

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ - ق ١٥هـ / ق ٧ - ق ٢١م)

➔ الجزء الخامس والعشرون ❁



أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

غيثان بن علي بن عبد الله جريس، ١٤٤٣هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القول المكتوب في تاريخ الجنوب : (ق ١ - ق ١٥هـ / ق ٧ - ق ٢١م) - (الجزء الخامس والعشرون) / . غيثان بن علي بن عبد الله جريس - الرياض، ١٤٤٣هـ

٦٠٠ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٠٤ - ٠٣٣٨ - ٧

١ - المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

١٤٤٣/٥٨٧٦

ديوي ٩٥٣، ١٥

رقم الإيداع ١٤٤٣/٥٨٧٦

ردمك : ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٠٤ - ٠٣٣٨ - ٧

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

يوجد الكتاب كاملاً على الرابط الآتي : prof-ghithan.com

الرياض : مطابع الحميضي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

(أبها - المملكة العربية السعودية)



الفهرست العام لمحتويات الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١-	الفهرست العام لمحتويات الكتاب .	٥
٢-	المقدمة .	٧
٣-	القسم الأول : دراستان في النقوش ، واللهجات، ومقالات وصفية نقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية .	٩
	أولاً: مدخل .	١٠
	ثانياً: بنو مخزوم في وادي تباله من خلال النقوش الصخرية بمركز الثنية في محافظة بيشة بمنطقة عسير في القرنين (٣، ٤هـ / ٩، ١٠م) . بقلم أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي .	١٢
	ثالثاً: من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية . بقلم أ. د. عباس بن علي السوسوة .	٣٥
	رابعاً: مقالات بعض الباحثين والمؤرخين عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لفيثان بن جريس .	٦٥
	خامساً: آراء وتعليقات .	٩٧
٤-	القسم الثاني: رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرهما (٤ - ٦ / ٥ / ١٤٤٣هـ الموافق ٨ - ١٠ / ١٢ / ٢٠٢١م) (مشاهدات، وانطباعات، وتوثيقات) .	٩٩
	أولاً: مقدمة .	١٠٠
	ثانياً: أبها والقنفذة وما بينهما (جغرافيا وتاريخياً) .	١٠٢
	١- حاضرة أبها .	١٠٢
	٢- محافظة القنفذة .	١٠٥
	٣- البلدان التي بين القنفذة وأبها .	١٠٨
	ثالثاً: الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور (٣-٤ / ٥ / ١٤٤٣هـ / ٧ - ٨ / ١٢ / ٢٠٢١م) .	١٢٧
	١- أهداف الملتقى ونبذة عن أوراقه العلمية .	١٢٧

م	الموضوع	الصفحة
	٢ - آثار الملتقى الإيجابية وبعض التوصيات	١٤٥
	٣ - صور من القيم ، والوفاء ، والإهداءات .	١٤٨
	٤ - ملخص كلمة صاحب الرحلة (غيثان بن جريس) عن القنفذة وأهلها .	١٤٩
	رابعاً : انطباعات ومشاهدات عامة .	١٥٢
	١- انطباعات ومشاهدات إدارية وأمنية .	١٥٢
	٢- انطباعات ومشاهدات اجتماعية واقتصادية .	١٥٢
	٣- انطباعات معرفية ومشاهدات (تعليمية وثقافية) .	١٥٤
	خامساً : بعض النتائج والتوصيات	١٥٥
٥ -	القسم الثالث: رحلتا فيلبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عامي (١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م) .	١٥٨
	أولاً: مقدمة .	١٥٨
	ثانياً: رحلة فيلبي من الدرب إلى البرك عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) . ترجمة الدكتور حسن مصطفى حسن . تصويبات وتعليقات الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس .	١٦٠
	ثالثاً: رحلتي من الدرب إلى البرك (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ٢٠٤١٨ - ٢٤/١٠/٢٠٢١م) . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .	٢٠٤
	رابعاً: خلاصة آراء ووجهات نظر.	٣٠٠
	القسم الرابع: رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول).	٣٣٨
	أولاً: مقدمة .	٣٣٨
	ثانياً: تنومة والنماص في مدونات بعض الرحالة المسلمين في القرن (١٤هـ/٢٠م) . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .	٣٤٠
	ثالثاً: رحلتي في محافظات تنومة ، والنماص، والمجاردة في الفترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣-١٨/٩/٢٠٢١م) . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .	٣٦٨
	رابعاً : خلاصة آراء وتوصيات	٤٩٧
	سيرة ذاتية مختصره	٥٩٨

المقدمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَنْجَحَ مَنَّى وَثَلَّثَ وَرَبَّعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ (٢) [فاطر، ٢-١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝﴾ (٣) فَيَمَّا يَلِيزُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝﴾ (٤) [الكهف، ٢-١]. والصلاة والسلام على خير البرية، وخاتم الأنبياء، وسيد الرسل، وهادي البشرية الرسول الكريم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي عليه أفضل الصلوات والسلام. كما أحمد المولى - عز وجل - أن مد في عمري حتى فرغت من هذا السفر، المجلد رقم (٢٥) من موسوعة كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١-ق١٥هـ/ ق٧-ق٢١م) . ويشتمل على مقدمة وأربعة أقسام رئيسية على النحو الآتي:

١. القسم الأول : دراستان في النقوش، واللهجات، ومقالات وصفية ونقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية .
٢. القسم الثاني : رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرهما (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-٩/١٢/٢٠٢١) (مشاهدات وانطباعات، وتوثيقات) .
٣. القسم الثالث : رحلتا فيلبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عامي (١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م) .
٤. القسم الرابع : رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول) .


معظم هذه البحوث المنشورة في هذا المجلد اعتمدت بالدرجة الأولى على الرحلات الميدانية لرحالة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو رحلات ميدانية قمت بها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). واتضح لي أن بلاد (السروات وتهامة) أوطان عربية قديمة وحديثة ومعاصرة فيها الكثير من الكنوز العلمية والمعرفية وفي شتى الجوانب الحضارية. وهي فعلاً بحاجة نحن معاصر المؤرخين والباحثين فنبدل قصارى جهودنا في الكشف عن تراثها وموروثها منذ عهود ما قبل الإسلام حتى يومنا الحاضر. والواقع أن الباحث

الجاد المنصف ينبهر مما عرفته هذه البلاد من الحضارات والتواريخ المتنوعة . كما أنه يحزن أحياناً عندما يشاهد أو يعرف أن صفحات من تاريخها وتراثها وحضارتها مازال مفقود وغير معروف وبخاصة في العصور السابقة لعصر الإسلام ، ثم القرون الإسلامية الممتدة من القرن الأول إلى الحادي عشر أو الثاني عشر للهجرة (ق٧- ق١٨م)^(١) .

وهذا العمل البحثي والتوثيقي مساهمة محدودة جداً لخدمة أرضنا وإنسانها ، وأسأل الله أن يكون من العمل النافع الذي يكون حجة لصاحبه عند خالقه لا حجة عليه . كما أمل أن يجد فيه طالبات وطلاب العلم فائدة تنير لهم دروب البحث والمعرفة عن مكنونات بلادنا العزيزة والغنية بفكرها وتراثها وآدابها وحضارتها القديمة والحديثة . وفي الختام أشكر كل من قدم لي المساعدة والعون القليل والكثير حتى خرج هذا العمل العلمي الذي لا أدعي فيه الكمال ، وإنما أرجو أن يكون من الأعمال النافعة . وصلى الله وسلم على خير الهدى ، محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .


**عكف على جمع ودراسة وتوثيق هذا الجهد المتواضع
عبدالله الذي يطلب مغفرة ورحمة ربه (عز وجل)
غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الثوابي
الجبيري الشهري الحجري الهنوي الأزدي بمنزله
في مدينة أبها الجميلة يوم الثلاثاء ٢٩ / ٦ / ١٤٤٣ هـ
الموافق ١ / فبراير / ٢٠٢٢ م) .**

(١) هذا الذي عرفته وتأكدت منه ، وأنا أبحث وأنقب عن تاريخ وتراث هذه البلاد التهامية والسروية منذ أربعة عقود . ووضعنا المعرفي والعلمي والبحثي اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه البلاد قبل خمسة أو ستة عقود . فضي بلادنا (المملكة العربية السعودية) حالياً ، والحمد لله ، عشرات الجامعات ، ومئات الكليات والأقسام العلمية . وكذلك آلاف الباحثات والباحثين في شتى الميادين . كما أن وطننا ميدان رحب وكبير يتسع لإنجاز عشرات بل مئات الدراسات العلمية في شتى التخصصات والمجالات .



القسم الأول

درستان في النقوش ،
واللهجات، ومقالات وصفية
نقدية لموسوعة تاريخية
حضارية حديثة في جنوب
شبه الجزيرة العربية



القسم الأول

دراسات في النقوش، واللهجات، ومقالات وصفية ونقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	مدخل	١٠
ثانياً	بنو مخزوم في وادي تباله من خلال النقوش الصخرية بمركز الثانية في محافظة بيشة بمنطقة عسير في القرنين (٣، ٤هـ / ٩، ١٠م) بقلم: أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلي.	١٢
ثالثاً	من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية. بقلم: أ. د. عباس بن علي السوسوة.	٣٥
رابعاً	مقالات بعض الباحثين والمؤرخين عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لغيثان بن جريس.	٦٥
خامساً	آراء وتعليقات.	٩٧

أولاً: مدخل:

الجميل أن يكون الإنسان في ميدان تعليم وتعلم طوال حياته، وهذا من السنن الكونية. فكيف بمن يعمل في مجال العلم والثقافة، فالواجب عليه الحرص على طلب كل معرفة تساعد في أموره الخاصة والعامة، ولا ينسى نصيبه من الآخرة، فيدرس، ويتعلم، ويقدم ما يقدر عليه لخدمة دينه ووطنه، وأهله. ونحن معاشر الباحثين والمؤرخين علينا مسؤولية عظيمة لدراسة ورصد تاريخ وأحداث وحضارة أمتنا، مع التحلي بالصدق، والإنصاف، والأمانة، وهذه مهنة وعمل شاق، لكن من يجتهد في نيل أجري الدنيا والآخرة، فإلهه - عز وجل - لن يضيع أجر العاملين^(١).

(١) إن الكتابة والتوثيق صعبة جداً، وبخاصة إذا كانت تدور في فلك علم التاريخ. والإنسان مكون من عواطف وأحاسيس، ورغبات ويجب وبكره. وإن قرأ أو كتب في تاريخ الأمم والحضارات فقد يتأثر ومن ثم يلين، أو يذهب به الهوى إلى رصد أقوال وحقائق ومعلومات مغلوطة. وعندئذ يقع في خطأ كبير جداً أمام خالق الخلق ورب الأرباب، ولن يسلم من عقوبة العزيز القهار. ولهذا فالواجب على كل من يعمل في التاريخ وتوثيقه أن يستشعر هذا الأمر، ويراجع نفسه من وقت لآخر حتى لا تحيد به عن الجادة وعن السير في طريق الحق والإنصاف.

إنني أعمل في مجال البحث والدراسات التاريخية الحضارية منذ نهاية القرن الهجري الماضي، وما زلت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، مستمرًا في أداء رسالتي، ولا أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، فكل بني آدم يقعون في الأخطاء بقصد أو بدون قصد. ونسأل الله - عز وجل - أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يتجاوز عن زلاتنا، ويعيننا على جهاد أنفسنا. ومما اكتسبته في هذه الرحلة العلمية البحثية الطويلة، أنني تعلمت الكثير من أفراد، وجماعات، ومؤسسات. وما زلت أشعر بالنقص، فلم نبغ من العلم والمعرفة إلا قليلاً. وأرجو من المولى - عز وجل - أن يسخرنا لكل قول وعمل نافع لنا في دنيانا وآخرتنا^(١).

هذا التمهيد الذي وثقته في السطور السابقة جزء من العبرة والاعتبار في هذه الحياة. وعلى الإنسان الصِّراع مع نفسه ومع المجتمع الكبير الذي يعيش فيه، ويحرص أن يكون فيه عاملاً وفاعلاً، مع توخي الحذر والاجتهاد في ممارسة كل ما يعود عليه بالخير، وبخاصة في صلوات العبد بربه، فلم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلق لمهمة عظيمة، وهي عبادة رب العباد، والعمل ليوم الرحيل وما يليه من ثواب وعقاب^(٢).

هذا القسم الذي استهلته بما سبق، عنوانه: دراستان في النقوش، واللهجات، ومقالات مختصرة عن موسوعة تاريخية حضارية حديثة. وجل مادة هذا الباب شذرات من تاريخ وحضارات بعض المواطن والبشر في جنوب الجزيرة العربية وحظيت أجزاء من بلاد تهامة والسراة بالنصيب الأكبر من المادة المدونة. ويتكون من ثلاثة محاور، هي:

(١) بنو مخزوم في وادي تبالة من خلال النقوش الصخرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين). (٢) من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية. (٣) مقالات وصفية ونقدية مختصرة لبعض الباحثين وأساتذة الجامعات عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لغيثان بن جريس^(٣).

(١) نعم عمر الإنسان قصير، ورحلة الحياة أيضاً قصيرة. والموفق من هداه الله، عز وجل، إلى السير في دروب الخير، ومحاسبة النفس بين الفينة والأخرى. ومهما بذل المخلوق وعمل من إيجابيات، فهو ضعيف، ويقع في الزلات المتفاوتة من مكان أو وقت لآخر.

(٢) ربما يقول قائل أو قارئ لقد حولت مدونتك إلى وعظ وإرشاد. وأقول نعم إنني أعظ وأرشد نفسي أولاً، ثم كل من يطلع على هذه الجزئية، ونعلم جميعاً أن الله خلق الكون، ثم قدر فيه كل الأمور التي تخص من يعيش فيه، وصلتهم بربهم وخالقهم. وهذا كله لم يحدث بالصدفة، وإنما لأمر يريد الله لجميع المخلوقات، ويرى كيف عاشت وتعاملت مع نعم الله وأفضاله (عز وجل).

(٣) لا أقول إن هذه الأعمال كاملة في معلوماتها ومنهجها العلمي، لكنها جاءت من باحثين وأساتذة لهم شأن وخبرة طويلة في ميدان الدراسات والبحوث العلمية، ثم إنها تحتوي على معارف جديدة قد تفتح أبواباً أكبر وأرحب لخدمة الدراسات الأكاديمية البحثية في جنوب المملكة العربية السعودية، أو في نواحي أخرى من بلدان شبه الجزيرة العربية.

ثانياً : بنو مخزوم في وادي تباله من خلال النقوش الصخرية بمركز الثنية في محافظة بيشة بمنطقة عسير، بقلم: أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي^(١)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	مقدمة	١٢
ثانياً	من أخبار بني مخزوم في الجاهلية والإسلام	١٣
ثالثاً	الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش	٢١
رابعاً	ربط الشخصيات الواردة في النقوش بالأسول المخزومية	٢٦
خامساً	الخاتمة (النتائج والتوصيات)	٢٩
سادساً	المصادر والمراجع	٣٢

أولاً : مقدمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة خمسة نقوش إسلامية يرجع تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين، تم اكتشافها في موقع أم وقر الذي يقع بمركز الثنية التابع لمحافظة بيشة، وبيان أهميتها التاريخية، كما يلقي الضوء على تاريخ بني مخزوم وبلادهم في القرون الإسلامية الأولى، ومدى استقرارها بوادي تباله مقر هذه النقوش، كون شخصيات هذه النقوش تنسب لقبيلة بني مخزوم القرشية.

تقع هذه النقوش المكتشفة في موقع أم وقر في بلدة الثنية شمالاً من وادي تباله، مما يعطينا أهمية هذا الوادي التاريخية، فنحن نعلم أن وادي تباله^(٢) من أشهر الأودية، ومن أهم روافد وادي بيشة، وقد زاد من شهرته قيام بلدة تباله على ضفافه، التي تحمل اسمه، وكانت هذه البلدة إحدى محطات الطريق التجاري الذي يربط جنوب ممالك الجزيرة العربية بشمالها، وكانت في العصر الجاهلي تتمتع بسيادة دينية لاحتضانها لصنم ذي الخلصة. وكذلك كانت ملتقى طرق الحج والقوافل التجارية.

وقد حبا الله واديها بالخصب والنماء، لما يتمتع به من ميزات جغرافية وبيئية، واستراتيجية جعلته مستقراً لكثير من القبائل القحطانية والعدنانية ومن هذه القبائل قبيلة

(١) هذا البحث للأستاذ محمد بن جرمان الأكلبي من سكان محافظة بيشة، وله عدد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، وقد نشر عدد من الدراسات العلمية في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، والأكلبي قدم خدمات جيدة في ميدان البحوث التاريخية والأثرية وبخاصة لأهله وبلادة محافظة بيشة، فجزاه الله كل خير، ونأمل أن نرى جامعة بيشة تؤسس مراكز بحوث جديدة لخدمة أرض وإنسان بيشة. (ابن جريس).

(٢) سبق أن تطرقنا لتاريخ هذا لوادي وسكانه في دراسات سابقة ومنعاً للتكرار نكتفي بإيجاز هذه المقدمة.

بني مخزوم التي تنتمي إليها شخصيات النقوش المكتشفة، لذلك سوف نتعرف على شيء من أخبارها في الجاهلية والإسلام، وعلى بلادها، وصلتها بوادي تبالة في القرون الإسلامية المبكرة، ثم نرجع لدراسة النقوش الصخرية وتحليلها، وربط شخصياتها بالأصول المخزومية.

ثانياً: من أخبار بني مخزوم في الجاهلية والإسلام؛

بنو مخزوم من قبيلة قريش العدنانية، ينتسبون إلى جدهم الأعلى: مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر. (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١)، ويلتقون مع بني هاشم وبني أمية في مرة بن كعب بن لؤي. كان لهم دور بارز في المجتمع المكي قبل الإسلام، إذ ساهموا في تأسيس بعض أحياء مكة بعد أن قسمها قصي بن كلاب إلى أربع، فكانت منازلهم على مقربة من بيت الله الحرام.

ساهموا في إعادة بناء الكعبة وترميمها قبل الإسلام. إذ قاموا ببناء ما بين الركن الأسود والركن اليماني، ولما هابت قريش هدم الكعبة خوفاً من العقوبة الإلهية بادر الوليد بن المغيرة المخزومي بالهدم واستمر يوماً كاملاً يهدم لوحده، فلما رأته قريش قد هدم منها ما هدم، ولم يأتيتهم ما يخافون من العذاب، هدموا معه، وأتموا بناء الكعبة وترميمها^(٢).

ولما تم تقسيم الوظائف والسلطة بين بطون قريش لإدارة شؤون مكة ورعاية البيت الحرام وحماية قاصديه من كل مكان، انتهى ذلك الأمر إلى عشرة بطون هم: هاشم، وأمّية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد، وتميم، ومخزوم، وعدي، وجمح، وسهم. كانت لهاشم سقاية الحاج، ولأمّية راية الحرب، ولنوفل الرفادة، وهي إعانة الحجاج المنقطعين بالمال، ولعبد الدار السدانة والحجابة واللواء، ولبنو تميم الديات والمغارم، ولبنو مخزوم القبة وهي مجتمع الجيش، والأعنة وهي قيادة الفرسان، ولبنو عدي السفارة، ولبنو أسد المشورة أو رئاسة مجلس الشورى في مهمات الأمور، ولبنو جمح الأيسار أو الأزام، ولبنو سهم الحكومة والأموال المحجرة، وظلوا يتوارثوها جيلاً بعد جيل إلى ظهور الإسلام^(٣).

من توزيع المهام والسلطات السابقة يتضح أن لبني مخزوم السلطة العسكرية من قيادة الجيوش والإشراف على الأسلحة والخيول وغير ذلك، فكان دورهم بارزاً في أيام قريش وحروبها قبل الإسلام مثل: يوم عكاظ، وأيام الفجار الأول والثاني، ويوم الأحزاب وغيرها.

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م)، ص ١١.

(٢) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٥٩.

(٣) الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ص ١٧٧، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٣٧٦، محمود العقاد، عبقريّة خالد، ص ١٧.

يظهر أن بني مخزوم كان لهم دور بارز في إنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المكي قبل الإسلام وبعده، وتوسيع دائرة تجارة قريش في الداخل والخارج، ويتضح ذلك من كثرة أثرياء بني مخزوم واشتهارهم بالجود والكرم، ومن أشهرهم في هذا الجانب: سويد بن هرمي بن عامر المخزومي، فهو أول من وضع النمارق من قريش، وسقى الخمر واللبن^(١)، وكذلك من ثراء أبناء المغيرة بن عبد الله المخزومي وكرمهم، فقد كان الوليد بن المغيرة يكسو الكعبة وحده سنة وتكسوها قريش كلها سنة أخرى، وأخوه الفاكه بن المغيرة من أكرم العرب في زمانه، له بيت للضيافة يأوي إليه من شاء بغير استئذان^(٢). وأبو أمية بن المغيرة يلقب بزاد الركب لأنه يكفي أصحابه في السفر مئونتهم فلا يتزودون بزاد^(٣).

كان هشام بن المغيرة سيداً من سادات قريش في زمانه إطعاماً للطعام، وتوسيعاً على الناس، وقريش تؤرخ بموته، فتقول: (كان هذا ليالي مات هشام بن المغيرة)^(٤). وغير هؤلاء الكثير من بني مخزوم لا يتسع المقام لذكرهم؛ لذلك نتضح قوتهم الاقتصادية بين بطون قريش ورجاحتهم في كثير من المواقف قبل الإسلام وبعده، وتحملهم، كما ذكرنا سابقاً، بناء ربع الكعبة ما بين الركنين الأسود واليماني، واشتركت قريش كلها في بناء بقية الأركان. كان لهم وحدهم في غزوة بدر ثلاثون فرساً من مائة فرس لقريش كلها، وخمسة آلاف مثقال ذهب، وغير ذلك من العدة والعتاد^(٥).

عندما ظهر الإسلام في مكة ودعا النبي -ﷺ- الناس إليه، كان بنو مخزوم في مقدمة العشائر التي قاومت الدعوة إلى الإسلام، وكان زعماءها أبرز المستهزئين والمغالين في إيذاء النبي -ﷺ- وأصحابه، وهذه العداوة الشديدة تنطلق من عدة اعتبارات اجتماعية واقتصادية ودينية، كان يتمتع بها هؤلاء الزعماء قبل الإسلام، ويخشون من فقدانها بعده، ومن أشهر المعارضين من بني مخزوم: الوليد بن المغيرة المخزومي، الذي يلقب بالعدل، والوحيد في مكة، ويزعم أنه أحق الناس بالنبوة والقرآن، ويقول: "أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها". فهو أحد الرجلين المقصودين في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ﴾^(٦).

(١) الكلبي، جمهرة النسب، ص ٩٢.

(٢) الزبير، مصعب بن عبد الله، نسب قريش، ص ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٣) الكلبي، هشام، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ص ٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٥) الواقدي، الغازي، ج ١، ص ٢٥، العقاد، عبقريّة خالد، ص ١٩.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٢٢٦.

وقد ذمه الله تعالى في كتابه الكريم ذمّاً كبيراً لكفره وذمه القرآن فنزلت فيه الآيات من (١١) إلى (٢٦) من سورة المدثر.

وعمر بن هشام (أبا جهل)، كان سيداً مطاعاً في قومه، يكنى عند قريش (أبا الحكم) لرجاحة عقله، وصواب رأيه، فلما بُعث النبي - ﷺ - طاش عقله، وفقد صوابه، ولم يهده هذا العقل لإتباع دين الحق، بل زاد عناده وجهله، فأذى النساء والصبيان والموالي، وعذبهم فسماه النبي - ﷺ - (أبا جهل) لمخالفته ما كان يعرف عنه من الحكمة وصواب الرأي. وكان رفضه لهذه الدعوة وعدم قبولها بسبب الأنفة، والافتخار بالنفس، والمنافسة بينه وبين بني عبد مناف على الشرف والسؤدد حيث يقول فيما يروى عنه "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرس رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه" ^(١).

والأسود بن عبد الأسد بن هلال من أشد المؤذنين للنبي - ﷺ - قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر ^(٢). والعاص بن هشام بن المغيرة، كان من المعادين للرسول - ﷺ - بذل أمواله في معاداة الدعوة، وشارك ضد الرسول - ﷺ - يوم بدر فقتل على يد عمر بن الخطاب ^(٣)، وغير هؤلاء الكثير.

لم يكتف بنو مخزوم بهذا، بل كانوا جزءاً من المساومة التي عرضها كفار قريش على أبي طالب، لعله يتخلى عن محمد - ﷺ - فمشوا بعمارة بن الوليد ^(٤)، فقالوا: "يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد فتى قريش، وأشعرهم وأجملهم، فخذ فلك عقله ونصرته، فاتخذه ولداً، وأسلم لنا ابن عمك هذا الذي سفه أحلامنا، وفارق دينك ودين آبائك نقتله" ^(٥).

كان لبني مخزوم دور بارز في مقاطعة بني هاشم، وفي مطاردة النبي - ﷺ - في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، وفي قتال معركة بدر، والخندق، وصلاح الحديبية، وفتح مكة. ورغم هذا العداء من بني مخزوم إلا أن هناك قلة منهم كان لهم السبق في الإسلام مثل: الأرقم بن الأرقم فكانت داره أول مقر للدعوة إلى الإسلام.

وبعد فتح مكة في رمضان من العام الثامن للهجرة، وإعلان النبي - ﷺ - العفو العام، دخل بنو مخزوم تحت طائلة هذا العفو، وأسلموا، وحسّن إسلامهم، وجندوا أنفسهم في الدفاع عن الدعوة، وخرجوا مع النبي - ﷺ - في كثير من المعارك.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٢٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٥٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٩٩.

(٤) الرميح، أثر بني مخزوم، ص ٣٠.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٠١.

في عصر الخلافة الراشدة (١١ - ٥٤هـ / ٦٣١ - ٦٦٠م)، كان لهم دور مميز في القضاء على المرتدين بقيادة خالد بن الوليد، وإرساء دعائم دولة الإسلام، في عهد أبي بكر، وعندما خرجت الجيوش الإسلامية من مكة والمدينة، لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، خرج منهم الكثير للمشاركة في هذه الفتوحات الإسلامية، وكان منهم: القادة والأبطال كخالد بن الوليد المخزومي، سيف الله المسلول، الذي فتح بلاد الشام والعراق، ولو أن قبيلة بني مخزوم لم تتجب من الأبطال إلا هذا البطل الشجاع، لكفاهها فخراً وشرفاً. والولاة والأمراء كجعدة بن هبيرة المخزومي الذي كن والياً على خراسان، وابنه عون بن جعدة والياً على سجستان^(١). وعبد الله بن أبي ربيعة (ذو الرمحين)، والياً على اليمن^(٢). وعمار بن ياسر، والياً على الكوفة^(٣).

في آخر العهد الراشدي، قُتل الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وظهرت أحداث الفتنة الكبرى، فانقسم بنو مخزوم ثلاثة أقسام: قسم مع علي، وآخر مع معاوية -رضي الله عنهما- والثالث اعتزل الفريقين، وظلوا على هذا الحال حتى انتهى الأمر باستشهاد الإمام علي، وتولي معاوية الخلافة.

نجد في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦٠ - ٧٩٤م)، أن علاقة بني مخزوم بخلفاء بني أمية، كانت علاقة متينة وقوية، وتوجت هذه العلاقة بعدد من المصاهرات بين خلفاء بني أمية وأبنائهم، وبين بني مخزوم مثل: زواج معاوية بن أبي سفيان من عائشة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وزواج ابنه عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان من أم مجير بنت عبد الرحمن بن الحارث المخزومي^(٤). وزواج عبد الملك بن مروان من فاطمة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي^(٥)، وزواج يحيى بن الحكم عم عبد الملك بن مروان، من زينب أخت المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي^(٦). وزواج عبد الله بن عبد الملك بأم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومي، فمات عنها فتزوجها مسلمة بن هشام بن عبد الملك فمات عنها^(٧)، وكذلك زواج هشام بن عبد الملك بأم عبد الملك المخزومية^(٨).

(١) ابن عبد البر، الأنساب، ج ١، ص ٢٤٠، البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٢) الزبير، نسب قريش، ص ١٠٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٧١.

(٤) الزبير، نسب قريش، ج ١، ص ١٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٥.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ج ١، ص ٤٤٥، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٣٥.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٣٥.

نظراً لقوة هذه العلاقة الاجتماعية المبنية على وشائج القربى والمصاهرة، كان اعتماد خلفاء بني أمية على بعض رجال بني مخزوم واضحاً ومشاهداً للجميع، من خلال توليهم بعض المناصب القيادية والإدارية في الدولة، ومنها: أماراة الحج، التي كانت من المهام الصعبة التي لا يتولاها إلا خليفة المسلمين، لأنها ذات أهمية دينية وسياسية واجتماعية، لذلك سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج، وكانوا يتولون أماراة الحج بأنفسهم.

لما آلت الخلافة لبني أمية اتخذوا مدينة دمشق مركزاً لدولتهم، وأصبحوا بعيدين عن مكة المكرمة، لذلك صُعِبَتْ عليها أماراة الحج، فكان عليهم وضع أمير للحج، ينوب عنهم، ويكون على قدر المسؤولية والثقة، وقد حظي بهذا المنصب الرفيع، وهذه الثقة، أربعة من رجال بني مخزوم وهم: (١) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي^(١)، (٢) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي^(٢)، (٣) محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد المخزومي^(٣)، (٤) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن الوليد المخزومي^(٤).

لم يقتصر اعتماد خلفاء بني أمية على بني مخزوم عند هذا الحد، بل تعداه إلى اختيار عدد من أصحاب القدرة والكفاية العالية، وتكليفهم بإمارة بعض الولايات التابعة لهم، ومن أبرز هؤلاء الولاة وأماكن ولايتهم ما يلي:

١. عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي كان بطلاً شجاعاً وقائداً محنكاً مثل والده، عين على ولاية حمص في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ثم أبقاه معاوية بن أبي سفيان عليها عندما تولى الخلافة^(٥).
٢. مالك بن الحارث بن هشام المخزومي كان والياً على حوران حتى توفى سنة (٥٥هـ/٥٨٣م)^(٦).
٣. عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد المخزومي، كان والياً على اليمن، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان^(٧).
٤. هشام بن إسماعيل المخزومي، كان والياً على المدينة من سنة (٨٢هـ) حتى سنة (٨٦هـ)، وعزله الخليفة عبد الملك بن مروان قبل وفاته^(٨).

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٤١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمراء والملوك، ج ٥، ص ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٥) الزبير، نسب قريش، ج ١، ص ١٠٧.

(٦) الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٩٥.

(٧) الزبير، نسب قريش، ج ١، ص ١٠٩.

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٦٣٤.

٥. إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، كان والياً على مكة والمدينة والطائف في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ^(١).
٦. محمد بن هشام بن إسماعيل، كان والياً على مكة، والمدينة والطائف، واستمر حتى وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك ^(٢).

أما دور بني مخزوم في المجال العلمي والثقافي في العصر الأموي، فكان منهم الصحابة والتابعين ورواة الحديث الشريف، والعلماء البارزين في العلم الشرعي، وكان أكثرهم له عناية خاصة برواية الحديث الشريف والاشتغال بعلومه ونظراً لكثرتهم لا نستطيع أن نذكر أسماءهم وجهودهم في هذا البحث المختصر ^(٣)، أما في مجال الشعر والأدب، فلم نجد لبني مخزوم في العصر الأموي شعراء مشهورين، لهم إسهامات في الساحة الأدبية، أو على مستوى القبيلة في الدفاع عنها، أو الفخر بأجسادها وبطولاتها، سوى شاعرين هما: عمر بن ربيعة المخزومي، والحارث بن خالد المخزومي وقد اشتهرا بشعر الغزل دون غيره من أنواع الشعر.

وخلاصة القول: أن خلفاء بني أمية اعتمدوا على كثير من رجال بني مخزوم وقادتهم في عدد من الأمور المهمة، كما مر معنا، وكان بنو مخزوم محافظين على وشائج القربى والمصاهرة التي تجمعهم مع خلفاء بني أمية. وهذا لا يشمل كل قبيلة بني مخزوم، فإن بعضهم كان على علاقة سيئة مع خلفاء بني أمية، وكان ضمن القوى المناهضة للدولة الأموية، مثل حركة الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وكان منهم قادة وولاة في هذه الحركات.

أما في العصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٦٦هـ / ٧٤٩ - ١٢٥٨م) فلم نجد لبني مخزوم شهرة واسعة كما كان لهم في السابق، ويظهر أن لخلفاء بني العباس دوراً في تحجيم دورهم السياسي، وإبعادهم عن المناصب القيادية في الدولة، لكن ذلك ليس على إطلاقه إذ نجد منهم عيسى بن محمد بن إسماعيل المخزومي، كان والياً على مكة من قبل الخليفة العباسي المعتز بالله بن المتوكل (ت: ٢٥٥هـ) ^(٤). وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب بن سلمان المخزومي، واليا على مكة من قبل الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل (ت: ٢٧٩هـ) ^(٥).

(١) الفاكهي، أخبار مكة، ج ٥، ص ١٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ١٤٠.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر: الرميح، طارق بن عبد الله، أثر بني مخزوم في عصر الدولة الأموية.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٥) الشريف، مساعد بن منصور، جداول أمراء مكة وحكامها، ص ١٥.

أما في المجال العلمي والثقافي فنجد منهم الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء الذين خدموا الأمة الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية، مثل :

١. كان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث من رواة الحديث، ومن علماء المدينة المشهورين، عرض عليه أمير المؤمنين هارون الرشيد القضاء بالمدينة فرفض، توفي سنة ١٨٦هـ^(١).
٢. تولى محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقص، القضاء بمكة في عهد أبي جعفر المنصور العباسي (١٣٦ - ١٥٨هـ)، توفي سنة ١٦٩هـ^(٢).
٣. كان محمد بن عبد الرحمن بن يزيد المخزومي، قاضيا على بغداد، وعلى مكة المكرمة^(٣).
٤. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي الأندلسي، الوزير العلامة الشاعر، حامل لواء الشعر في عصره، له ديوان شعر مطبوع، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، فانتقل منها إلى عند صاحب إشبيلية المعتضد بن عباد، فجعله من خواصه، وبقي معه في صورة وزير^(٤).

كان لبنى مخزوم في العصر العباسي إسهامات كثيرة في مناح الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، لكنها لا تصل إلى ما كانت عليه في العصر الأموي؛ من القوة والتأثير، وقد يكون لتفرقهم في الأمصار والبلدان أثناء الفتوحات الإسلامية، واستقرار أكثرهم في هذه البلدان، وعدم تجمعهم في بلد واحد، أثر في إضعاف دورهم السياسي في العصر العباسي.

كانت منازلهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام في مكة والمدينة وما حولهما، ومع انتشار الفتوحات الإسلامية وخروج المسلمين خارج الجزيرة العربية، لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، أصبحت قبيلة بني مخزوم إحدى القبائل العربية التي خرج معظم رجالها حباً في نشر الإسلام، وطلباً للشهادة في سبيل الله، واستقر أكثرهم في البلدان المفتوحة مثل: الكوفة، والبصرة، والشام، ومصر، وخراسان، وسجستان، وأفريقيا، واليمن، وغيرها من البلدان. وعاد أكثرهم إلى موطنه الأصلي، واستقر بعضهم في بلاد الحجاز، وتهامة والسراة، وبيشة، وغيرها من البلدان. ولا يعني هذا البحث إلا اتصالهم ببلدتي بيشة وتبالة وما حولهما في القرون الإسلامية المبكرة أي من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري، إذ تشير بعض المصادر التاريخية إلى

(١) القيرواني، أبو محمد، النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات، ج ١، ص ٦٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٤، ص ١٠٢.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١١١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥٧٢.

وجود بعض بطون قريش مثل: بنو هاشم، وبنو مخزوم، وبنو سهم في بيشة وتبالة، فقد ذكر الهمداني^(١) أن أكثر سكان تبالة هم من قبيلة قريش^(٢)، ولعله يقصد بني مخزوم، كما يحدد في موضع آخر أعراض نجد بأنها بيشة وتبالة وترج والمراغة، وأن أكثر سكان المراغة من قريش، وهما: بنو مخزوم، وبنو سهم، وأن لهما فيها حصنان: الأول: حصن القرن مخزومي، والثاني حصن البرقة سهمي^(٣)، ويذكر أبو علي الهجري - وهو من أهل القرن الثالث الهجري - أن شِيحَاطَ لبني مخزوم، وأنه بلد من غربي ترج، وفيه حصن لبني مخزوم^(٤). ولا أعرف اليوم مكانا يسمى شِيحَاطَ قريبا من ترج.

كما ذكر ياقوت الحموي بيشة ووصفها بأنها قرية غناء في واد كثير الأهل والسكان، وأن من سكانها بنو هاشم من قريش، وأن لهم ملكاً في وادي بيشة يسمى المعمل^(٥)، وكان يُعرف قبل ذلك باسم (مطلوب)، وكان أول أمره مدار خلاف بين خثعم وبني سلول، حتى عُمر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان^(٦).

ويظهر أن صلة قريش، وبني مخزوم خاصة بتبالة كانت صلة قوية، من بداية القرن الثاني الهجري، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض ولاة مكة استعمل جُوان بن عمر بن ربيعة المخزومي على تبالة لجمع الزكاة، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً، فصارت خثعم تؤرخ بهذا العام، قال ضبارة بن الطفيل الخثعمي:

أَتَلْبَسْنَا لَيْلَى عَلَى شَعَثِ بَنِي مِنْ الْعَامِ أَوْ يَرْمِي بَنِي الرَّجْوَانِ
فَلَوْ شَهِدْتَنِي فِي لَيْالٍ خُلُونِ لِي عَامِينَ مَرَّةً بَعْدَ عَامِ جُوانِ^(٧)

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٤٢١.

(٢) قول الهمداني هذا فيه نظر، فأكثر سكان تبالة هم فروع خثعم.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨.

(٤) التعليقات والنوادر، ص ١٥٠٨.

(٥) لا أعرف مكانا يعرف اليوم في حدود محافظة بيشة باسم المعمل أو مطلوب، وقد ذكرت سابقاً في كتاب النقوش الإسلامية في موقع أم وقر، ص ٤٢٧، أنه يوجد قرية قديمة تقع في أعلى وادي بيشة قرب شفان، وقرية عيا التابعة لمركز وادي ابن هشبل تسمى (المعملة)، ويُطلق عليها عند بادية شهران (بلاد العبد). قد تكون المعمل، ولكن بعد التأكد من مكان القرية اتضح أنه بعيداً عن حاضرة بيشة، ولا تنطبق عليه أوصاف موقع مطلوب، فالذي أرى أن مكان المعمل يجب أن يكون في أسفل وادي بيشة، قريبا من حاضرة بيشة، فهذا الجزء من الوادي هو الذي تسكن فيه قبيلة بني سلول مجاورة لفروع خثعم، وهو الذي يصلح لزراعة النخيل، ويكثر فيه نبات الأثل، والأراك، اللذان ورد ذكرهما مقرونا بمطلوب في شعر الهلالي والسلولي الذي أورده ياقوت في رسم الموضع.

(٦) معجم البلدان، مج ١، ص ٥٢٩، مج ٥، ص ١٥٠، ١٥٨.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج ١، ص ٧٨ - ٨٠، والزبير بن بكار، نسب قريش وأخبارها، ج ١، ص ٤٨٩.

وكذلك عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي (٨٠ - ١٤٣هـ) استعمله زياد بن عبد الله الحارثي على تبالة، فأصاب بها مالا، فقدم المدينة، فبنى دارا وسماها تبالة، فاشتراها موسى بن جعفر من ورثته^(١).

ومما يقوي صلة قبيلة قريش بوادي تبالة، فضلاً عن الشواهد السابقة، وجود جبل صغير يقع على وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية بالقرب من قرية شديق يسمى (قريش) نسبة لهذه القبيلة، ولا يزال يحمل اسمه إلى اليوم، ولا يبعد كثيرا عن موقع هذه النقوش.

وفي ضوء ما تقدم من المصادر السابقة ومن النقوش الصخرية المكتشفة في المنطقة، يتضح لنا أن قبيلة قريش كانت من سكان المنطقة في القرون الإسلامية المبكرة، خصوصاً بني مخزوم، ثم رحلوا منها بعد ذلك، ومن بقي منهم في المنطقة دخلوا تحت مسمى قبائل المنطقة، فلا يوجد في وقتنا الحاضر في محافظة بيشة قبيلة تحمل اسم قريش أو بني مخزوم.

ثالثا: الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش:

تم اكتشاف هذه النقوش الصخرية في مركز الثنية التابع لمحافظة بيشة، في موقع هضبة أم وقر الأثري، وقد تم اختيار هذه النقوش الخمسة كعينة من نقوش بني مخزوم المنتشرة في المنطقة، والبالغ عددها (٢١) نقشا إسلامياً^(٢).

(*) النقش رقم: (١):

مقاساته: ٣٣سم X ١٠سم
عدد الأسطر: ٣ أسطر
نوع الخط: كوفي بسيط
طريقة تنفيذ النقش: الحز الغائر الدقيق
صيغته: الثقة بالله والإقرار بوحدانية الله
تاريخه: غير مؤرخ ويحتمل التأريخ بنهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري

(*) صاحب النقش: القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

- ١- القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي
- ٢- يثق بعفو الله ويشهد أن لا إله إلا الله وحده
- ٣- لا شريك له

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٥٦.

(٢) للتوسع حول هذه النقوش أنظر: الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، النقوش الصخرية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٤١هـ/٢٠١٩م).

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على صخر جرانيتي يقع بالجهة الشرقية من موقع أم وقر، بالقرب من نقوش بني مخزوم الأخرى. وقد جاء النقش خالياً من علامات الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل.

(*) ومن السمات الخطية المميزة للنقش: استقامة أجسام حروف الألفات واللامات وظهور الشكل الخطي بقاعدة الألف في كلمات (القاسم: ١ والله: ١، والله: ٢). وانزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري في كلمتي (ابن: ١ وأن: ٢). وكتابة الباء الراجعة للخلف في كلمة (المخزومي: ١).

(*) موضوع النقش: بدأ الكاتب نقشه بإثبات اسمه ولقبه ثم إثبات الثقة بعفو الله سبحانه وتعالى، ثم الإقرار بوحداية الله.

(*) صاحب النقش: ورد اسمه في النقش بتركيبه الرباعي: القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي، وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتوفرة لدينا فلم نعثر له على ترجمة، ويرى الباحث أنه من عائلة أبي ربيعة المخزومية.

(*) النقش رقم: (٢):

مقاساته: ٢٥ سم X ٩ سم عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط طريقة تنفيذ النقش: الحز الغائر الدقيق
صيغته: الثقة بالله

تاريخه: غير مؤرخ ويحتمل التأريخ بنهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري

(*) صاحب النقش: محمد بن أحمد بن محمد المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

- ١- محمد بن أحمد بن محمد
- ٢- المخزومي بالله يثق

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتي قريباً من النقش السابق بالخط الكوفي البسيط، وجاءت كلمات النقش خالية من الشكل والإعجام ومقروءة بالكامل.

(*) ومن السمات الخطية البارزة بالنقش: انزلاق حرف النون النهائية عن مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائرة كما في كلمة (ابن: ١)، وظهور الياء الراجعة للخلف كما في كلمة (المخزومي: ٢). وهذا من التأثيرات النبطية التي لحقت بالخط العربي.

(*) موضوع النقش: يتضمن بعد كتابة اسم صاحبه تأكيد الثقة بالله تعالى. والثقة تعني الائتمان^(١) وثقة العبد بربه تعني ائتمان العبد خالقه على نفسه وماله وجميع أمور دنياه وآخرته.

(*) صاحب النقش: ورد اسمه في بداية النقش بتركيبه الرباعي محمد بن أحمد بن محمد المخزومي منتسباً إلى قبيلة بني مخزوم البطن القرشي المعروف. كما ورد اسم والده وأخيه عبد الرحمن ضمن نقوش بني مخزوم في موقع أم وقر، وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتاحة فلم نجد له ذكرًا، لذا يرى الباحث أنه من أحفاد موسى بن إبراهيم المخزومي أحد رواة الحديث الشريف.

(*) النقش رقم: (٣):

مقاساته: ٣٤ سم × ٧ سم عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط طريقة تنفيذ النقش: الحز الغائر الدقيق
صيغته: طلب الرحمة من الله تعالى
تاريخه: غير مؤرخ، ويمكن تأريخه بسنة ٢٤٠ هـ^(٢).
صاحب النقش: عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومي

(*) قراءة النقش:

- ١- رب أرحم عبد الرحمن بن موسى
- ٢- بن إسماعيل المخزومي

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتي بالخط الكوفي البسيط، وقد جاء النقش خالياً من علامات الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل. وسليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية. ماعدا إسقاط حرف ألف المد الوسطى من كلمة إسماعيل (إسماعيل: ٢). وهذا من التأثيرات النبطية في الخط العربي. ويخلو النص من الزخرفة ما عدا الاستمداد البسيط في كلمة (المخزومي).

(*) ومن السمات الخطية البارزة في النص: استقامة أجسام حروف الألفات واللامات، وانزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري كما في كلمة (عبد الرحمن: ١)، وورود حرف العين الوسطى على شكل مثلث مقلوب في كلمة (إسماعيل). ويلاحظ على الكاتب عدم التزام قاعدة واحدة في كتابة حرف الياء النهائية، فقد

(١) البستاني، بطرس، محيط المحيط، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، ص ٩٥٦.

(٢) بناءً على النقش المؤرخ بسنة ٢٤٠ هـ في موقع جبل علي أنظر (الأكلبي، الآثار، ص ٨٨).

كتبها بطريقتين: الأولى على شكل الياء العربية المتأخرة كما في كلمة (موسى)، والثانية راجعة إلى الخلف متأثرة بالخط النبطي في كلمة (المخزومي).

أما موضوع النقش فهو نص دعائي يطلب صاحبه الرحمة من الله تعالى مستوحياً ذلك من بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) ^(١). وقوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣٢) ^(٢). وقوله تعالى: ﴿فَالرَّبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٢) ^(٣).

(*) صاحب النقش: ورد اسمه في هذا النقش عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومي، كما ورد بالصفة نفسها في نقش آخر من نقوش جبل علي مؤرخ في سنة ٢٤٠هـ ^(٤). وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتاحة فلم نعثر له على ترجمة، ويرى الباحث أنه من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم المخزومي.

(*) النقش رقم: (٤):

مقاساته: ٥٢ سم X ١٥ سم عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط طريقة تنفيذ النقش: الحز الغائر الدقيق
صيغته: التصريح بالثقة بعفو الله

تاريخه: غير مؤرخ، ويحتل التاريخ بالقرن الثالث الهجري

(*) صاحب النقش: أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

١- أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي

٢- يثق بعفو الله

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتي التكوين بالخط الكوفي البسيط، وقد جاء نص النقش خالياً من الشكل والتنقيط، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل.

(*) ومن السمات الخطية المميزة بالنقش: استقامة أجسام حروف الألفات واللامات

كما في كلمات (أحمد ١، وإسماعيل: ١، والله: ٢)، انزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري في كلمة (ابن: ١)، الاستدارة الكاملة

(١) سورة يوسف: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٥.

(٤) أنظر عن هذا النقش: الأكلبي، الآثار في محافظة بيشة، ص ٨٨.

لحرف الميم المتوسطة كما في كلمتي (محمد: ١، وأحمد: ١)، وكذلك ورود حرف العين الوسطى على هيئة مثلث مقلوب حاد الزوايا في كلمتي (إسماعيل: ١، وبعفو: ٢)، والرجوع العكسي لحرف الياء النهائي في كلمة (المخزومي) متأثراً بالخط النبطي.

ويظهر نص النقش منسقاً وسليماً من الهفوات اللغوية والإملائية ما عدا حذف الكاتب لحرف ألف المد الوسطى في رسم كلمة (إسماعيل: ١) والصواب إبقاؤها هكذا (إسماعيل). وهذا الحذف من الظواهر الخطية المبكرة في اللغة العربية المستمدة من سمات الخط النبطي القديم.

كما يلحظ بالنقش بعض المحاولات الزخرفية مثل ظاهرة الاستمداد البسيط كما في كلمة (الله: ٢).

(*) موضوع النقش: تأكيد الثقة بعبو الله سبحانه وتعالى، وإثبات اسم صاحبه في بداية النقش بصيغته الرباعية.

(*) صاحب النقش: ورد اسمه في النقش بتركيبه الثلاثي (أحمد بن محمد بن إسماعيل) وقد كتب لقبه (المخزومي) في بداية النقش في سطر مستقل كأنه أضيف بعد أن انتهى الكاتب من كتابة النص، وقد ورد له نقش آخر في الموقع يحمل اسمه ولقبه (أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي)، بالإضافة إلى نقشين آخرين باسم ابنيه محمد وعبد الرحمن. وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتوفرة، فلم نجد له أي ترجمة، ولكن يرى الباحث أنه من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم المخزومي.

(*) النقش رقم: (٥)

مقاساته: ٤٨ سم × ١٢ سم عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط طريقة تنفيذ النقش: الحز الفائر الدقيق
صيغته: تصريح بالثقة بعبو الله
تاريخه: غير مؤرخ، ويمكن إرجاع تأريخه إلى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري.

(*) صاحب النقش: عبد الرحمن بن أحمد المخزومي

(*) قراءة النقش:

- ١- عبد الرحمن بن أحمد المخزومي
- ٢- يثق بعبو الله

كتب هذا النقش الصخري، على صخر جرانيتي بالخط الكوفي البسيط، وجاءت كلماته خالية من الشكل والتنقيط، ومكتوبة بخط منسق، كما جاء النقش مكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءًا بالكامل وخالياً من الهفوات اللغوية والإملائية.

(*) ومن السمات الخطية البارزة بالنقش: استقامة أجسام حروف الألفات واللامات في كلمات (عبد الرحمن، وأحمد، والمخزومي، والله: ٢)، وكذلك انزلاق حرف النون تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري كما في كلمتي (ابن: ١، وعبد الرحمن: ١)، استدارة الميم المتوسطة استدارة كاملة كما في كلمة (عبد الرحمن: ١)، ظهور الياء الراجعة للخلف والمتأثرة بالشكل النبطي في كلمة (المخزومي). رسم الهاء المنتهية المربوطة على شكل مثلث في كلمة (الله: ٢).

كما ظهرت بالنقش بعض ظواهر الزخرفة البسيطة مثل: التعريض لهامات بعض الحروف على شكل مثلثات صغيرة، وقد برزت في اللامات والألفات، والاستمداد المقوس في لفظ الجلالة (الله: ٢)، وهو نوع من أنواع الزخرفة وقد شاع استخدامه في نقوش القرن الثالث الهجري وما بعده.

(*) أما موضوع النقش: فهو نص دعائي يصرح فيه صاحبه بثقته بعفو الله سبحانه وتعالى، مع تسجيل اسمه بصيغته الثلاثية.

(*) أما صاحب النقش: فورد اسمه في بداية النقش بتركيبه الثلاثي (عبد الرحمن بن أحمد المخزومي) منتسباً إلى قبيلة بني مخزوم القرشية، وقد ورد اسم والده وأخيه محمد ضمن نقوش الموقع. ولهذا يرى الباحث أنه من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم المخزومي، أحد رواة الحديث الشريف.

رابعاً: الشخصيات الواردة في النقوش وربطها بالأصول المخزومية:

بعد دراسة النقوش وتحليلها توصلنا بفضل الله إلى معرفة الشخصيات الواردة فيها، وتمكننا من ربطها بأصولها المخزومية، فجميع أصحابها يرجعون بنسبهم إلى أسرة أبي ربيعة المخزومي. فمن هو أبو ربيعة؟ ومن هم أبناءه، وأحفاده؟

وللإجابة على هذا السؤال، قمنا باستعراض كتب الأنساب والمصادر القديمة مثل: كتب ابن الكلبي، وابن حزم، والبلاذري، والزييري، والزيير بن بكار، وغيرها، وخلاصة ما ورد في هذه المصادر حول هذه الأسرة يمكن إيراده على النحو الآتي:

ولد المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثلاثة عشر ولداً:
منهم: أبو ربيعة واسمه عمرو، وولد عمرو (أبو ربيعة):

١- عبد الله ٢- وعياش^(١).

وعبد الله بن عمرو، كان اسمه في الجاهلية بجيراً وفيه يقول ابن الزبيري:

بجير ابن ذي الرمحين قرب مجلس وراح علينا فضله غير غائم

وقد أسلم يوم فتح مكة فسماه النبي ﷺ - عبد الله وكان من أشرف قريش في الجاهلية، وقد بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في مطالبة أصحاب رسول الله ﷺ - الذين كانوا عنده بأرض الحبشة، وكان والياً على اليمن، واستمر فيها حتى هلك في أيام عثمان بن عفان^(٢).

وقد ولد عبد الله بن أبي ربيعة: ١- عبد الرحمن، ٢- والحارث ٣- وإبراهيم ٤- وعمراً.

فأما عبد الرحمن بن عبد الله فكان راوياً من رواة الحديث الشريف، وسيداً من سادات قريش، أمه ليلى ابنة عطارد بن حاجب بن زرارة، وقد تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق فولدت له: ١- عثمان، ٢- وموسى، ٣- وإبراهيم، وتزوج فاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، فولدت له: ١- أبو بكر، ٢- ومحمد. ولعبد الرحمن عُقب كثير منهم: إبراهيم بن موسى بن عبد الرحمن، وإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وأخوه موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وكلهم من رواة الحديث الشريف^(٣).

وأما الحارث بن عبد الله فكان والياً على البصرة من قبل عبد الله بن الزبير، فأتاه أهل البصرة بمكيال، فقال: إن مكيالكم هذا لقباع، والقباع: الأجوف الواسع، فلعب من ذلك اليوم بالقباع، قال أبو الأسود مخاطباً ابن الزبير:

أبا بكر جزاك الله خيراً أرحنا من قباع بني المغيرة

كما ولاه مصعب الكوفة وكان حازماً وخطيباً، ومن وجوه قريش^(٤).

وأما إبراهيم، فله ولداً اسمه إسماعيل، وأما عمراً فهو الشاعر المشهور بشعر الغزل، وله ابنا اسمه جُوان ولجوان ابناً اسمه غنى، وقد انقرض عقبه.

وأما عياش بن عمرو (أبوربيعة) فكان من المهاجرين الأوائل، وكان له ولداً واحداً هو: عبد الله بن عياش وقد تزوج عبد الله بن عياش ابنة مطرف بن سلامة بن مخربة،

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٦.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص ٣١٧، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٥٢، الأصفهاني، الأغاني، ج ١، ص ٧٣.

(٣) ابن حزم، الجمهرة، ص ١٤٧، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣، ص ١٦.

(٤) الزبير بن بكار، جمهرة قريش وأخبارها، ج ١، ص ٤٨٩، الأصفهاني، الأغاني، ج ١، ص ٨٧٨، الكلبي، الجمهرة، ص ٨٧.

فولدت له الحارث، فتزوج الحارث بن عبد الله عمرة بنت عبد الله بن أبي ربيعة فولدت له: عبد الله، وتزوج عائشة بنت نعمان فولدت له: عبد الملك. وتزوج أم الولد فولدت له: عبد الرحمن، وولد عبد الله بن الحارث، عبد العزيز، لا عقب له^(١).

وولد عبداً لرحمن بن الحارث: ١- المغيرة، ٢- وعبد الله، وولد المغيرة: عياشاً.

وعندما ذكر ابن حزم فروع هذه الأسرة قال: "انقرض عقب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعقب إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة، وجميع عقب عياش بن أبي ربيعة"^(٢).

وبناء على هذا القول لم يبق من هذه الأسرة إلا عقب عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي. ومن دراسة الأسماء الواردة في النقوش والمقارنة بينها وبين أسماء أبناء وأحفاد عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي اتضح أنها تتعلق بشخصيتين من شخصيات هذه الأسرة وهما:

١ - إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة.

وهو تابعي من أهل المدينة، وراو من رواية الحديث الشريف، روى عن: أبيه إبراهيم، ومحمد بن كعب، وروى عنه: حاتم بن إسماعيل، وزيد بن الحباب، وسفيان الثوري، وسعيد بن أبي هلال. قال أبو داود: إسماعيل بن إبراهيم ثقة وذكره ابن حبان في جملة الثقات وقال: مات في آخر ولاية المهدي سنة ١٦٩ هـ^(٣).

٢ - موسى بن إبراهيم بن عبداً لرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة :

هو أخو إسماعيل صاحب الترجمة السابقة، وهو من رواية الحديث الشريف، روى عن: أبيه، وعن سلمة بن الأكوع، وروى عنه: العطاء بن خالد، وعبد الرحمن بن زيد، ومحمد بن إسماعيل، وغيرهم^(٤)، وقد وثقه ابن حبان^(٥) والذهبي^(٦).

وفي ضوء ما تقدم فإن نسب الأسماء الواردة في النقوش يمكن إيراده على النحو التالي:

١. صاحب النقش الأول: اسمه الوارد في النقش: القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي، ونسبه هو: القاسم بن عبد الله بن محمد بن معتب بن موسى بن

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٣) المزي، جمال الدين، كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣، ص ١٦.

(٤) الخزرجي، أحمد بن عبد الله، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٥) الثقات، ج ٧، ص ٤٤٩.

(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٦، ص ٥٣٥.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبوربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٢. صاحب النقش الثاني: اسمه الوارد في النقش: محمد بن أحمد بن محمد المخزومي، ونسبه هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبوربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٣. صاحب النقش الثالث اسمه الوارد في النقش: عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومي، ونسبه هو: عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبوربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٤. صاحب النقش الرابع اسمه الوارد في النقش: أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي، ونسبه هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبوربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٥. صاحب النقش الخامس: اسمه الوارد في النقش: عبد الرحمن بن أحمد المخزومي، ونسبه هو: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبوربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وهو أخو صاحب النقش الثاني.

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول: أن النقوش الصخرية تعد مصادر تاريخية أولية، يعتمد عليها في دراسة الأنساب العربية، ومعرفة الشخصيات والأعلام وفي تصحيح بعض الأسماء المختلف فيها في المصادر العربية القديمة.

خامساً: الخاتمة (النتائج والتوصيات):

استعرضنا في هذه الدراسة أهمية وادي تباله وموقعه المتميز ثم تطرقنا لقبيلة بني مخزوم وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ثم قمنا بدراسة بعض النقوش الصخرية العائدة لهذه القبيلة وربطنا شخصياتها بالآصول المخزومية بعد مقارنتها مع كتب الأنساب القديمة، وقد توصلنا بعد دراستنا لهذا الموضوع إلى عدد من النتائج والتوصيات، نوجزها على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١. يتميز وادي تباله بموقعه الاستراتيجي الذي جعله ممراً لطرق التجارة والحج التي كانت تربط جنوب الجزيرة العربية وشمالها، بالإضافة لخصوبة أرضه

وكثرة غاباته، وغزارة مياهه في السابق، كل هذه المعطيات جعلته مستقراً لكثير من القبائل العربية العدنانية والقحطانية، ومن هذه القبائل قبيلة قريش، التي أثبتت الدراسة وجودها في بيشة وتباله في القرون الإسلامية المبكرة.

٢. أظهرت الدراسة أن الموطن الأصلي لبني مخزوم في الجاهلية وصدر الإسلام هو مكة المكرمة وما حولها، ولكنهم أثناء الفتوحات الإسلامية انتقل أكثرهم من البلدان داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومن ضمن ما انتقلوا إليه من البلدان بيشة، وتباله.

٣. كشفت الدراسة أن بني مخزوم كان لهم دور بارز في رفع مستوى الحياة الاقتصادية في المجتمع المكي قبل الإسلام، وفي توسيع دائرة تجارة قريش داخليا وخارجيا.

٤. أظهرت الدراسة اعتماد خلفاء بني أمية في العصر الأموي على كثير من رجال بني مخزوم، وذلك من خلال توليهم المناصب القيادية والإدارية في الدولة، وتكليفهم بإخماد بعض الثورات والفتن التي ظهرت ضد الدولة الأموية، وكان اعتمادهم مبنياً على الكفاءة العالية لقادة بني مخزوم، وعلى وشائج القرى والمصاهرة التي كانت بين بعض بني مخزوم، وبعض خلفاء بني أمية.

٥. بينت الدراسة أن دور بني مخزوم السياسي وإسهاماتهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي، لم تكن كما كانت عليه في العصر الأموي، من حيث القوة التأثير.

٦. أثبتت الدراسة أن صلة قبيلة قريش بشكل عام، وبني مخزوم بشكل خاص بتباله وبيشة كانت صلة قوية، ومتصلة من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري، ويتضح ذلك مما ذكرته المصادر القديمة مثل: التعليقات والنوادر للهجري، وصفة جزيرة العرب للهمداني، وأنساب الأشراف للبلاذري، والأغاني للأصفهاني، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومما ورد في النقوش الصخرية المكتشفة في وادي تباله، حيث تتفق هذه المصادر المكتوبة مع النقوش الصخرية في إثبات هذه الصلة.

٧. أوضحت الدراسة أن الكتابات الصخرية تعد مصدراً من مصادر حفظ الأنساب العربية، وأنها مصادر أولية، يمكن الاعتماد عليها في تصحيح بعض الأنساب أو بعض الأسماء الواردة في كثير من المصادر التاريخية.

٨. أثبتت الدراسة أن النقوش الصخرية المكتشفة في وادي تباله، تعود لأسرة أبي

ربيعة المخزومية، فقد تمكنا من إرجاع الشخصيات الواردة في النقوش إلى أصولها في أسرة أبي ربيعة من خلال إيجاد سلسلة نسب متصلة لأصحاب هذه النقوش إلى جدهم الأعلى مخزوم بن يقظة.

ثانياً: التوصيات:

١. لفت نظر المسؤولين في هيئة السياحة والتراث الوطني إلى أهمية مواقع النقوش الصخرية في وادي تباله وغيرها من بلدان السروات، أملين منهم المحافظة على هذه النقوش في أماكنها وحمايتها من العبث والتشويه، وإيقاف الزحف العمراني الذي أحاط بها من جميع الجهات بهدف احتوائها وتملكها.
 ٢. لفت نظر المسؤولين في هيئة السياحة والتراث الوطني إلى وجود عشرات المواقع الأثرية في محافظة بيشة وعلى وجه الخصوص في مركز الثنية وتباله، لا زالت في حكم المجهول، لأنها تحتاج إلى دراسات متخصصة تعتمد على الحفر والتنقيب، لإمطة اللثام عما خفا من أسرارها وتاريخها الحضاري.
 ٣. انطلاقاً من رؤية المملكة ٢٠٣٠ والتي تدعو إلى المحافظة على المواقع الأثرية، والتعريف بها واستغلالها اقتصادياً وسياحياً بما يعود بالنفع على الوطن والمواطن فإنني أوصي باستغلال موقع أم وقر الأثري اقتصادياً وسياحياً وتهيئته بالمرافق الخدمية ليكون متحفاً للنقوش الإسلامية، يطلّع عليه كل من يزور المنطقة لكونه أكبر موقع أثري للنقوش الإسلامية في منطقة عسير.
 ٤. أظهرت الدراسة أن قبيلة بني مخزوم، قبيلة كثيرة الفروع، متعددة المنازل والديار، فها حذا لو تصدى أحد الباحثين لدراسة تاريخها وبلادها دراسة تاريخية حضارية.
- وأخيراً نأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم ما فيه فائدة للباحثين، وصلى الله على رسوله الأمين.

سادساً: المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد أبو الفضل، بيروت، (١٣٨٢هـ).
٢. الأصفهاني، أبو فرج، الأغانى، تحقيق: عبد علي مهنا، وسمير جابر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
٣. الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق، رشدي صالح ملحس، ط٤، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
٤. الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، الرياض، الحميضي (١٤٤٢هـ).
٥. -----، الآثار في محافظة بيشة، ط١، الحميضي، الرياض، (١٤٢٦هـ).
٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
٧. -----، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات المعارف، بيروت لبنان، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
٨. البستاني، بطرس، محيط المحيط، ط١ مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
٩. ابن حبان، الإمام الحافظ محمد بن حبان التميمي، الثقات، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركن - الهند، (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
١٠. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، (١٣٣٦هـ).
١١. ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
١٢. الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
١٣. ابن حبيب، أبي جعفر محمد بن حبيب، كتاب المحبر، تصحيح إليزه لختن، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م).

١٤. الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
١٥. الخزرجي، أحمد بن عبد الله، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت، (١٤١٦هـ).
١٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
١٧. -----، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (١٣٨٢م/١٩٦٣).
١٨. الرميح، طارق بن عبد الله، "أثر بني مخزوم في عصر الدولة الأموية"، دراسة تاريخية حضارية، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٩. الزبيري، مصعب بن عبد الله، نسب قريش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار المعارف مصر، (١٣٩٠هـ).
٢٠. الزركلي، خير الدين بن شهاب، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
٢١. الشريف، مساعد بن منصور، جداول إمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
٢٢. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تأريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢٣. ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن، تأريخ مدينة دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، (١٤١٥-١٩٩٥م).
٢٤. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٢٥. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتاب العلمية، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
٢٦. العقاد، عباس محمود، عبقرية خالد، مؤسسة هند اوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (٢٠١٤م).

٢٧. الفاسي، محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٢٨. -----، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٨م).
٢٩. الفاكهي، محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
٣٠. القرشي، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق عباس هاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (٢٠١٠م).
٣١. القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد عثمان، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٢م).
٣٢. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (١٣٦٤هـ).
٣٣. الكلبي، هشام بن محمد، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨١م).
٣٤. المزي، جمال الدين أبي الحجاج، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٠م).
٣٥. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد، السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، يروت، دار الكتاب العربي، ط ٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٣٦. الهجري، أبو علي هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق حمد الجاسر، العبيكان للطباعة والنشر الرياض، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٣٧. الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مطبعة نهضة مصر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (١٣٩٧هـ/١٩٩٧م).
٣٨. الواقدي، أبو عبد الله بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الكتاب العلمي، بيروت، (١٣٨٦هـ).

ثالثاً: من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية. بقلم أ.د. عباس بن علي السوسوة^(١)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	تمهيد	٣٥
ثانياً	من وجوه التشابه بين اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية.	٣٧
	أ- بعض المصادر والمراجع.	٣٧
	ب- نماذج من ألفاظ الزراعة والري.	٣٧
	ج- وزن فعال وتفعال.	٤٠
	د- صيغة جمع التكسير فاعل في اللهجات اليمنية والسعودية.	٤٧
	هـ- أدوات نحوية: قد الجنوبية ومعانيها، ونون الفاعل المؤنث، وعاد ومعانيها.	٥٠
	و- بعض نتائج الدراسة.	٦٣
ثالثاً	خلاصة القول	٦٤

أولاً: تمهيد:

اللهجات أشكال محلية للكلام في لغة معينة، أو قل: تنوعات جغرافية في لغة ما. وعادة ما تستعمل للتواصل في أمور الحياة اليومية من بيع وشراء وتحية وشكر وتعزية وتهنئة، ويضم معجمها المحلي المفردات المتداولة لما ذكرناه، ولألفاظ القرابة والزراعة والتجارة والرعي وغير ذلك من المهن والحرف.

واللهجات الجغرافية تتقارب وتتباعد في معجمها، وفي أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية، بحسب كثرة التفاعل واللقاء بين المتكلمين بها، وطول زمن هذا التفاعل وقصره. وقلما تخضع اللهجات للحدود بين الدول؛ ففي فرنسا لهجات ألمانية كما أن في ألمانيا لهجات فرنسية، وفي مصر نجد لهجات محافظة الشرقية القريبة من قناة السويس، مع لهجة شبه جزيرة سيناء أقرب إلى لهجات فلسطين. ونجد اللهجات في شرقي المملكة السعودية قريبة جداً إلى لهجات دول البحرين والكويت وقسم من العراق. ونجد لهجة محافظة دير الزور في سوريا كأنها لهجة عراقية من الوسط.

(١) هذا العمل العلمي لعالم جليل، في علم اللسانيات، إنه الصديق الأستاذ الدكتور/ عباس بن علي السوسوة، الذي يعمل حالياً في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد. وللدكتور السوسوة الكثير من الكتب والدراسات الرصينة في مجال تخصصه، وقد نشرت عدد من بحوثه الجيدة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وما زال يقدم دراسات قيمة ورصينة. وهذه الدراسة التي نحن بصدها جاءت من الزميل الدكتور عباس بعنوان (من وجوه التشابه بين لهجات اليمن السعودية) فغيرت كلمة (السعودية) إلى جنوب المملكة العربية السعودية، لأن جل المفردات واللهجات الخاصة بالسعودية من جنوبها وبخاصة من مناطق (جازان، ونجران، وعسير) (ابن جريس).

كذلك فإن اللهجات اليمنية متقاربة كثيراً مع اللهجات في المملكة العربية السعودية، خصوصاً لهجات إمارات عسير ونجران وجيزان^(١).

ومنذ بداية القرن العشرين الميلادي حاول بعض المستشرقين الأوروبيين تقسيم اللهجات الكبرى في البلدان العربية ومدى تقاربها، فقالوا: إن اليمن والسعودية لهجة واحدة، وكذا مصر والسودان^(٢). ثم تونس والجزائر والمغرب. وهذا الحكم / الرأي يصدق على الملامح الكبرى لها عامة دون التفاصيل والخصوصيات كما لا يخفى.

ورأى اللغوي الألماني فيرنر ديم تقسيم اللهجات اليمنية الحديثة على أسس صرفية أولاً ثم نحوية، بعد رحلات متفرقة بين ألمانيا الغربية وأرجاء اليمن مدة عشر سنوات، فجعلها في ست مجموعات لهجية كبرى.

وبعده جاء ألماني آخر هو بينشتيد، واستقصى لهجات محافظة صعدة فتوصل إلى أنها ست لهجات. وليس عمله بين يدي لأرجع إليه^(٣).

وإنما أكتب ما أتذكره منه، وفي هذه اللهجات أداة التعريف قبل الاسم (أل) وفي بعضها (أن) وبعضها (ام) قبل الاسم، وفي بعضها أداة التعريف (ان) بعد الاسم كما في السبئية، وبعضها يجمع بين (ان) في بداية الاسم وختامه، كما يقال (ان محافظان) = المحافظ^(٤).

والتشابه حادث بينها وبين لهجات إمارة نجران، بل وأطراف من جازان كبني مالك وفيفاء وبلغازي.

كذلك فاللهجات في تهامة اليمن التي تضم مناطق ساحلية وداخلية من محافظات الحديدة وحجة، تشابه كثيراً لهجات إمارات جازان عموماً. وقد زرت صيباً ومناطق مجاورة في عام (٢٠١٦م)، وأكرمتنا إدارتها التعليمية بغداء في جبل فيفاء مع نخبة من التربويين، وأخذ الحديث يتشعب بيننا وبينهم يميناً وشمالاً، فكان المستضيفين يتكلمون بكلام أهل الحديدة إلا ما لا خطر له.

(١) هي متقاربة مع بقية اللهجات الأخرى، لكن خصصنا هذه بالكلام لأن معرفتنا بها أكثر.

(٢) ينظر علي عبد الواحد وإيف: فقه اللغة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١١٧ وما بعدها.

(٣) للأسف ليس كتابه متوفراً لدي الآن لأرجع إليه. ولاحظ أن جامعته ظلت تنفق عليه عشر سنوات متصلة، كما أن السلطات اليمنية في الشمال والجنوب سهلت له التنقل واللقاء بالناس، واستضافته. ولو كان الباحث يمينياً بل عربياً أياً كان لما استطاع إنجاز واحد بالمئة مما فعله الألماني، بل أخشى أنه سيتعرض لسين وجيم وربما ألقى به في (بيت خاله).

(٤) ينظر عبد الله يحيى زيد الحوئي: لهجة صعدة، دراسة تأصيلية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغات والترجمة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ٧٣-٧٧.

وكانت زيارتان أخريان في عامي (٢٠١٨ و ٢٠١٩) فكانت الظواهر اللغوية هي هي، حتى إن في عامة الناس من ينطق العين همزة كما هي الحال في أكثر محافظات الحديدة وبعض حجة. ولهجات إمارة عسير تشبه اللهجات اليمنية الممتدة من شمال صنعاء فالمحويت فحجة، من وجوه شتى.

وليس هذا البحث ساعياً إلى استقصاء هذه التشابهات ولا يستطيعها في هذه الظروف. وإنما الغرض ذكر أمثلة يحسب أنها كافية ودالة ومحفزة للباحثين على الدرس والتعمق والاستقصاء. وسنذكر ألفاظاً متعلقة بالزراعة ونحوها، ثم بعض الأوزان الصرفية، ثم الأدوات النحوية، وسنحاول تعميقها بالحفر عنها تاريخياً في كتب التراث غير المعاجم.

ولأن الألفاظ لا تقع تحت حصر، ارتأينا الاكتفاء بألفاظ من حقل الزراعة والري، مع ملاحظة أن المشتغلين من المواطنين السعوديين بالزراعة نادرين، ولعلك تجددهم ممن جاوز السبعين عاماً في مناطق محددة، في حين أن اليمنيين ما زالوا يعملون بأيديهم في الزراعة وما يتعلق بها. ولسنا بغافلين عن وجود اختلافات بين اللهجات اليمنية نفسها، ولا بالاختلاف بين اللهجات السعودية الجنوبية بعضها مع بعض. لذلك سنشير إلى مصادر عامة درءاً للتكرار والتطويل، والمهم وجود التشابه في الألفاظ ودلالاتها.

ثانياً: من وجوه التشابه بين اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية:

أ - بعض المصادر والمراجع:

١. الزراعة في المخلاف السليماني تراث وحضارة، لحسن بن يحيى ضائحي^(١).
٢. ألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفاء، دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية، رسالة ماجستير للطالب عيسى بن محمد الفيضي، جامعة الملك خالد، ١٤٣٨هـ^(٢).
٣. ألفاظ الزراعة في مناطق من محافظة تعز، لمنير عبده علي أحمد^(٣).
٤. المعجم اليمني في اللغة والتراث، لمطهر بن علي الإرياني^(٤).

ب- نماذج من ألفاظ الزراعة والري:

١. الصراب والصرام والصريب: حصد الزرع المستوي خاصة الحبوب.
٢. الشريم: المنجل، أداة حديدية مسننة تقطع بها سيقان الزرع والحشائش.

(١) طبعه المؤلف على نفقته بمطابع الحميضي، الرياض، ٢٠١٤م.

(٢) غير منشورة حتى الآن.

(٣) رسالة دكتوراه في كلية الآداب جامعة تعز (غير منشورة)، ٢٠١٤م.

(٤) طبع في دمشق ١٩٩٦م، وطبع ثانية في مطابع الميثاق بصنعاء، ٢٠٠٣م، ولم أتمكن من الوصول إلى الطبعة الثانية.

٣. **الخبيط والخبط:** ضرب الزرع المحصود لفصل الحب عن عذوقه.
٤. **الضمّد:** ثوران تجمع عنقاها بالضمّد الذي ينتهي بالمحراث لحرث الأرض، وجَمَعَهُ ضُمْدٌ وضمايد.
٥. **الفدامة:** أداة من خيش ونحوه توضع على فم الدابة حتى لا تأكل الزرع.
٦. **أوثان:** مفردا وثن، أحجار توضع على حدود المزارع لتمييز الملكيات. وهذا أصل معنى الوثن في اللغة لو تأملت. ولها مرادفات. رِفَاد، حَد، مَأْبَن، حامية، قارِن.
٧. **البقل:** الفجل. ويقال له في اليمن أيضاً: قَشْمِي. ولم أسمع ما يخالف ذلك إلا في مدينة رَدَاع^(١) وما حولها، إذ يسمونه فَجَل.
٨. **البطيخ:** فاكهة الشَّام، ويقال له أيضاً بِرطِيخ وبردِيخ وبيدِيخ.
٩. **حبّجب:** هو فاكهة البطيخ في العربية المشتركة، في اليمن والسعودية. وله تسميات محلية في البلدان العربية الأخرى.
١٠. **تلم:** خط المحراث في الأرض، والفعل تَلَمَّ يَتَلَم، ويقال فلان: تَلَمَ ذرةً، أو بُرّاً أو نُحُوها، إذا شق المحراث مع وضع البذر معاً.
١١. **الجلجل والجلجلان:** السمسم.
١٢. **المجران والجريين:** مكان جمع العذوق المصروبة وخبطها وتذريتها.
١٣. **حَلَص:** نبات متسلق أوراقه ثخينة، نصف مطبقة، يؤكل أيام المجاعة، وفي أيام الشبع تجفف فإذا جفت سموها حَلَقَه. وتوضع مع المرق لتعطيه طعماً مُزاً.
١٤. **حَمَاط:** هَبَاء يتطاير من حب الذرة والدخن عند خبطها، وهو قشرة كانت تغطي الحبة.
١٥. **خَسَع وخساع:** التربة المبتلة بالمطر، وكذا المطر والماء الراسخ في الأرض.
١٦. **الدجر:** بفتح الدال وبكسرهما وبضمها: وهي المسماة (لوبيّا) في البلدان العربية الأخرى.
١٧. **العُطب:** القطن. وفي السعودية يقال (فراش معطّب) أي منجّد ومحشو قطناً. وفي اليمن يُقال أن الفاكهة (أعطبت) و (مُعطبة): فسدت وظهر فيها ما يشبه العطب. أو الخضرة. جاء في الخزرجي: "لا يلبس إلا ما يغزله حريمه من العطب الذي يُجلب من تهامة"^(٢).

(١) شرق مدينة دَمَار بنحو ٦٥ كيلاً.

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ٧٨/١، تصحيح محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال بالقاهرة، ١٩١١م.

١٨. ذُرَّة: بضم الذال وبكسرها: في البلدين هي الذرة صغيرة الحبوب التي تسمى في الكتب المدرسية: الذرة الرفيعة، ويقال لها العُويجة في مناطق من مصر. أما ذات الحبوب الكبيرة التي تثبت في كوزها، فتختلف تسمياتها من منطقة لأخرى: فهي هند، وشام، ورومي، وللذرة الرفيعة أصناف مختلفة أنواعاً وألواناً، تختلط أسماءها وتختلف في البلد الواحد.
١٩. الزَبِير: على وزن يعير، حاجر من التراب والطين يضعه المزارع على حدود حقله، ويجمع على زَبُور.
٢٠. البَصِيرَة: الوثيقة المكتوبة تبين الملكية الزراعية والعقارية ونحوها جمعها بصائر وبصاير.
٢١. وجيم: قصب الذرة خاصة، مفردة وجيمة.
٢٢. غَبَش: الوقت قبل صلاة الفجر، وقبل طلوع الشمس.
٢٣. الحَبِيل: قطعة زراعية قد تضم عدداً من المزارع وتكون في أسفل الجبل.
٢٤. الحِيفَة: جمعها حياف، المزرعة الكبيرة لكن كبرها بالعرض لا بالطول.
٢٥. السَّحْب: قطعة من أقوى أنواع الحديد تُحرث بها الأرض.
٢٦. المَفْرَس: أداة حفر يدوية صغيرة، وتسمى أيضاً الحِجْنة، لحرث ما يصعب على الثيران الوصول إليه.
٢٧. العَطِيف: ويقال (العطيفة) الفأس طرفها حاد تقطع بها الشجر، وتجمع على عَطُوف.
٢٨. المَذَح: تعريض الحبوب للهواء للتذرية لإزالة الشوائب.
٢٩. شَنْشَنَة: المطر المستمر يتوقف ثم يرجع ثانية، وقد يكون انصباب المطر عامة.
٣٠. الرَواح والمَرْوح: المطر آخر النهار يروي الأرض.
٣١. الرَاعِد: صوت الرعد يسبق المطر مما يُستبشر به.
٣٢. القَنْف: السحاب الأسود المتكون في السماء قادماً من بعيد، وتجمع على قَنُوف. وتبدو مائلة إلى الأمام كأنها حيود.
٣٣. العَنَفَة: التربة بين التلمين من الزراعة، وهي مرتفعة عن الأتلام، ويرجعونها على الزرع بعد ظهوره.
٣٤. العَدَف: التربة المتفتتة من أثر حراثة الأرض، وتشكل قطعاً من تربة الحقل.
٣٥. شَرَب وشُرْب: التربة التي غطتها مياه الأمطار حتى لا يرى خطوط الحرث.
٣٦. بَتْلَة: حراثة الأرض وهي جافة قبل موسم البذر، وعند البعض بمعنى حراثة الأرض مطلقاً.

٣٧. **حَرُورٌ وَمَحَرٌ**: استصلاح الأرض وتسويتها، أو جرف التربة والأحجار التي يجلبها السيل إليها. كذلك المحر آلة حديدية لتسوية الأرض.

٣٨. **دَمَالٌ**: رش السماد البلدي / الدَمَال على سطح التربة الزراعية بعد حرثها، وهو من مخلفات البهائم، أو الدجاج المربى في المزارع.

٣٩. **وَبَالٌ**: تنقية التربة من الحشائش التي نبت لها جذور غائرة في التربة تُضَرُّ بالزرع، وتسمى وَبَلٌ، والفعل: وَبَلَ يُوْبِلُ وَبَالٌ، واسم الفاعل مُوبِلٌ. والوبل تأكله الحمير.

٤٠. **زَرَابٌ**: وضع سياج من أغصان السدر المشوكة على أطراف الأرض الزراعية لحمايتها من الحيوانات والأطفال، ويسمى الزَرَبُ وَزَرَبَةً. ويسمى السياج مَزْرَابٌ وَمَزْرَبٌ، واسم الفاعل مُزْرِبٌ. وفي المثل: (زَرَبٌ وَلَا تَكَلِّبُ) أي: ضع زرباً على الأرض أفضل لك من الكلب المستخدم للحراسة. وفي الكناية عن المؤذي للآخرين بأنه زربة.

٤١. **خُمَاسِي**: الثور الذي ارتفاعه خمسة أشبار.

٤٢. **سُبَاعِي**: الثور الذي ارتفاعه سبعة أشبار.

والمزارعون يسمّون حيواناتهم خصوصاً الثيران والبقر، فمن أسمائها: جابر، ونجيم، وستران، وزهر، وبتال، ونظمية.

٤٣. **الشارح**: الذي يحرس ثمار المزروعات أو البذر في فترة النهار من الطيور والحيوانات، أو من الأشخاص الذين يسطون على الثمار، ويستعمل المقلاع لقتل الطيور بالحجارة.

٤٤. **المِيظَافُ / الوِظَفُ**: هو المقلاع الذي تقذف بها الحجارة على الطيور عادة. قطعتان من قماش ثخين بينهما قطعة جلدية توضع فيها الحجر.

٤٥. **المُوْهَرُ والمُوْهَرُ**: عصا طويلة ملساء يأخذها البتول = الحَرَّاث لیسوق بها الضمد عند الحراثة.

ج - وزن فَعَالٍ وَتَفْعَالٍ:

معلوم أن الفعل الآتي على وزن (فَعَّلَ) مصدره القياسي (تَفْعِيلٌ) مثل: عَلَّمَ تعليماً. ومعلوم أيضاً أن (تَفَعَّلَ) مصدره (تَفَعُّلٌ) مثل: تَحَمَّلَ تَحَمُّلاً. وذكر علماء العربية إلى جوار

هذه القاعدة الأصلية قاعدة فرعية بأن مصدر الفعل (فَعَلَ) قد يأتي على وزن (تَفَعَّل) ^(١). وهذا ما حدث في لهجات الخطاب في اليمن والسعودية في أيامنا هذه. لكن هذه الظاهرة ليست بالجديدة، رغم أن ما وصلنا من شعر جاهلي قد خلا من هذين الوزنين ^(٢).

أول وثيقة مكتوبة نجد فيها وزن (فَعَّل) هو القرآن الكريم في سورة النبأ، في الآية ٢٨ "وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا"، والآية ٣٥ "لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا" أما الوزن الآخر (تَفَعَّل) فغير موجود فيه ^(٣).

تذكر كتب القراءات قراءة بالتخفيف في المصدر نسبها لسيدنا علي بن أبي طالب والكسائي، كما تذكر أن القراءة بالثقل هي قراءة عاصم وأهل المدينة والحسن البصري، وتزيد فتذكر أن مصدر (كذب) يأتي على تكذيب وكذاب - بالتخفيف - وكذاب بالثقل ^(٤).

وجاء في القراءات الشاذة، في سورة النبأ آية ٢٦ "جزاء وفاقا" بتشديد الفاء، أنها قراءة أبي حيوة، وأن في مصحف عبد الله بن مسعود الآية ٢٦ من النبأ "جزاء من ربك عطاء حسابا" بتشديد السين ^(٥).

ويبدو من ندرة هذين المصدرين إلى حد الاختفاء في نصوص الفصحى، أنهما كانا من مميزات بعض اللغات المحلية في الجزيرة العربية. فنحن نجد الفراء (ت ٢٠٧هـ) يذكر أن مثل كذابا "لغة يمنية فصيحة، يقولون: كذبت كذابا، وخرقت القميص خراقا. وكل فعلت فمصدره فعال في لغتهم مشدد. قال لي أعرابي منهم على المروة: ألحلق أحب إليك أم القصار؟ يستفتيني. وأنشدني بعض بني كلاب:

(١) انظر كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨م. ٧٩/٤. والمبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٧٩م، ١٠١/٢، ورضي الدين الاسترأبادي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، القاهرة: المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ / ٦٣/١.

(٢) اعتمدنا على ما نحفظ ونعرف من شعر جاهلي، وعلى دراسة وسمية عبد المحسن المنصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص ٢٢٤، ولم نجد ما يخالف هذا الرأي.

(٣) انظر محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث بالقاهرة، ١٩٧٥م. ٢ ج ٢، ص ٦٧٥.

(٤) انظر: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٢٩/٣. وعنه أخذت هذه المعلومات في كل من:

أ- الأزهرى: تهذيب اللغة (ع. ز. ز) ٨٢/١.

ب- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف (ك. ذ. ب). ص ٣٨٤١.

ج- الزبيدي: تاج العروس (ك. ذ. ب) ٤٤٨/١، المطبعة الخيرية بالقاهرة، ١٣٠٥هـ.

د- ابن الجوزي: شمس الدين محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، المكتبة التجارية بالقاهرة، ٣٩٧/٢.

(٥) ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن، تحقيق برجشتراسر لبيزج، ١٩٣٤، ص ١٦٧-١٩٨.

لقد طالما ثَبَطْتَنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجٍ قَضَاؤُهَا مِنْ شَفَائِيَا^(١)

وهذا النص يعطينا إشارتين مهمتين:

الأولى: نعتها باللغة اليمينية الفصيحة. ويبدو أن القرآن الكريم لو لم يورد مصدراً على هذا الوزن لما التفت علماء العربية إليها، ولما وصفوها هذا الوصف.

الثانية: أن هذه اللغة الفصيحة كانت حيّة على الألسنة في لغة الحياة اليومية في القرن الهجري الثاني، وقد سمعها الفراء بنفسه وسجلها، بل إن شاعراً لم يُسمَّه أنشده بيتاً جاء فيه مصدر الفعل (قَضَى) على قَضَاء.

ويَقْوَى رأينا أن هذه ظاهرة لغوية كانت خاصة باليمن ثم انتقلت إلى اللغة المشتركة ما نقلناه عن كتب القراءات من أن أهل المدينة قرأوا بالثقل (كذّاباً). وأهل المدينة من أصل يمني، أضف إلى ما ذكره الصّغاني "وكَبَّرَ كِبَارًا مثل كَبَّرَ تكبيراً، وهي لغة بلحارث بن كعب وكثير من اليمن"^(٢).

ومن العجيب أن نجد ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) يعمّم هذه الظاهرة على جميع العرب حين أتى بشاهد شعري عليها: "قال الشاعر:

زَعِمْتَ بَأَنَّ جَمْعَكَ إِذْ رَأَوْنَا يَدُ لَكَ فِي الْوَلَاءِ وَأَنْتَ عَانِ
فَقَدْ غَرَّتْ حِبَالَكَ مِنْ أَنْاسٍ وَلَاؤُهُمْ كَكَذَابِ اللِّسَانِ

قال أبو بكر: كَكَذَابِ اللِّسَانِ، معناه ككذب اللسان. العرب تقول: هو الكذب والكذاب والكذاب. قال الله عز وجل: "لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا". معناه: ولا كذباً"^(٣).

وقبلهم جميعاً ربط سيبويه بين فَعَالٍ وتَفَعَّلَ، ذكر أنهما صادران عن لغة واحدة قال: "وقد قال أناس: كَلِمَتُهُ كَلَامًا وَحَمَلْتُهُ حِمْلًا... وأما مصدر تَفَعَّلَتْ فإنه التَفَعَّلَ...

(١) الفراء: معاني القرآن ٢/٢٢٩، وعنه في المصادر الآتية:

- رضي الدين محمد بن الحسن الصّغاني: التكملة، تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٨٦/٢، وعن اللحياني أيضاً.
- أبوحيان الأندلسي: البحر المحيط، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٢٢٨هـ، ٤١٤/٨ (عن حاجة).
- الزبيدي: تاج العروس (ق.ض.ي) ٢٩٦/١٠ عن أبي زيد. وأول البيت لبُتْنَتِي.

(٢) الصّغاني: التكملة ١٨٣/٣.

(٣) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم الضامن، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٩م، ١٤٣/٢، وأشار المحقق إلى وجود البيتين في المقصور والممدود للقالي، ص ٣١٧، بغير نسبة.

من ذلك قولك تكلمت تكلمًا وتقولت تقولًا... أما الذين قالوا: كذابا فإنهم قالوا: تحملت تحملاً^(١).

والمعاجم القديمة تورّد وزن (تَفَعَّل) على أنه قد يأتي صفة.
ففي القاموس (ماد: ل. ع. ب) "وتَلَعَّب وتَلَعَّابة: كثير اللعب".
وفي مادة (ل. م. ظ) "والتَلَمَّاز - كَسَنَمَار - من لا يثبت على مودة أحد، وبهاء: الثرثرة المهذرة".

والنوي يورّد الصفة والمصدر معاً: "تكلم الرجل تكلمًا وتكلامًا وكالمه: ناطقه. ورجل تكلام وتكلامًا وتكلامًا وكلماني: جيد الكلام فصيح"^(٢).

لكنّا إذا تركنا الصفة وجئنا إلى المصدر سنجد اللغوي ثعلباً (ت ٢٩١هـ) ينقل هذا البيت عن ابن الأعرابي دون أن ينسبه لأحد:

"ثلاثة أحباب فحبُّ علاقةٍ وحُبُّ تَمَلَّاقٍ وحُبُّ هو القتل"^(٣)
ويزعم ابن خالويه أنه "ليس في كلام العرب ما جاء على تَفَعَّل وفِعَّل إلا قولهم: تَمَلَّقه تَمَلَّاقًا، قال:

ثلاثة أحباب فحبُّ خلابةٍ وحُبُّ تَمَلَّاقٍ وحُبُّ هو القتل
قلت للأعرابي: زدني، فقال: البيت يتيم، أي فرد (...) ومثل التَمَلَّاق: التَّقَطُّاع، والتَبْتَال، وتِكْلَام، وتِلْقَام، وتِتْقَام"^(٤).

ولا شك أن هذا المصدر يعد كصابه من النوادر في الفصحى المشتركة، وقد جعله أحد لغويينا القدامى من الشوارد فقال: "من المصادر التي جاءت على تَفَعَّل: التَّقَطُّاع، والتَبْتَال، والتِتْقَام"^(٥).

(١) كتاب سيبويه، ٧٩/٤.

(٢) شرف الدين النوي: تهذيب الأسماء واللغات، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ق ٢، ج ٢، ص ١١٩.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م، ٢٣/١، وانظر السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق مجموعة، مكتبة عيسى الحلبي بالقاهرة، ١٩٥٨م، ٢٢٧/١.

(٤) الحسين بن عبد الله بن خالويه: ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة ١٩٧٩م، ص ١٣٩-١٤٠، ونقل عنه التاج ٢١٠/٧، بتصرف في ألفاظ، وكذا في (م. ل. ق) (ع ل ق). ٧٢/٧.

(٥) الصفاني: الشوارد، تحقيق عدنان الدوري، بغداد: المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣م، ص ٣٥٨ وانظر: تاج العروس ٤٧/٦-٤٨.

بعد ذلك لا نجد لهذين المصدرين أثراً إلا عند الشعراء، ولا عند الكتب المهتمة بجمع الخطب والحكم والوصايا، وصادفنا كتاباً يجمع أشعاراً من شمالي أفريقيا في العهد الفاطمي. فإذا فيه شاعر من القرن الرابع يدعى سهل بن إبراهيم الورّاق، لديه هذا الشاهد: "قال حديث الصدق رافضُ أهله راضٍ عن الكذاب والقينات"^(١) ثم ولّينا وجهنا نحو الكتب اليمينية فإذا الصيغتان موجودتان، إحداهما عند المؤرخ مفرّح الربيعي (ت بعد ٤٥٩هـ): "فعرّفناه أننا اشترينا حبلاً لتمد عليه ثيابنا عند الغسل"^(٢).

وفي القرن السادس الهجري نجد وزن (فعّال) فاشياً في لغة الحياة اليومية في الجزيرة العربية بشهادة اللغوي المفسر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وقد جاور في مكة زمناً طويلاً، ولفت نظره بعض الظواهر اللغوية، فكان يشير إليها في بعض مؤلفاته^(٣). وفي تفسيره لآتي سورة النبأ نجده يقول: "كذاباً: تكذيباً. وباب فعّل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره، وسمعي بعضهم أفسر آية فقال: لقد فسرتها فساراً ما سمع بمثله"^(٤).

ونجد فجوة بين القرنين السادس والعاشر، لا نجد فيها خبراً عن المصدرين. أما بعد ذلك فهما يكثران جداً في الشعر اليمني الحميني. فمن ديوان محمد بن عبد الله شرف الدين^(٥).

-ص ١٦٩: الباب بالباب والوشاة غيّاب.

فما سبب ذا الهجر والتجّاب؟

-ص ٣٠١: ما تتركين التّعتاب آحي منك آح.

ويمكن النظر في زمنٍ معاصرٍ له شعر عمر بامخرمة السيباني. (بالسين المهملة)^(٦).

وفي القرى الثاني عشر نجد الوزنين شائعين جداً عند شعراء الحميني بكافة توجهاتهم وهو أمر جلي لدى مطالعتنا ديوان الخفجي (ت ١١٨٠هـ) ففيه شعره وشعر

(١) محمد اليعلاوي (محقق): الأدب بأفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٦٥.

(٢) مفرّح الربيعي: سيرة الأميرين الحليين الشريفين الفاضلين، تحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي، بيروت: المنتخب العربي ١٩٩٣م، ص ١٠٨.

(٣) انظر مثلاً: المحاجاة بالمسائل النحوية، تحقيق مصطفى الحدري، حماة، ١٩٨٣م، ص ١١٦. وللطالب عبد العزيز أحمد ناجي، ماجستير، كلية الآداب جامعة تعز (غير منشورة)، ٢٠١٤م. ملاحظات الزمخشري على لغة عصره، دراسة في ضوء اللسانيات.

(٤) الزمخشري: تفسير الكشاف، مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، ٢٠٣/٢.

(٥) ديوان مبيّات وموشّحات: بعناية علي بن إسماعيل المؤيد، القاهرة، ١٩٤٧.

(٦) انظر: عبد الرحمن جعفر بن عقيل: عمر بامخرمة السيباني، حياته وتوصوفه وشعره، دمشق، ٢٠٠٢م، صفحات ١٣٢، ١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٥٠ إلخ.

أصدقائه الذي يساجلونهُ أو يرسلونه بالشعر مثل: البالوزة، وعبد الله بن يحيى الشامي، وحسن بن محمد الفسيل. ومن ذلك^(١):

- ص ٦: على مهٍ لحا اللاحي؟ وما شان بواحي.

- ص ٤٥: والصوم دِفَال والمسوكة والتَنَفَال

- ص ٢٠٤: وتُصلح له الزينطة والتحماس.

ففي الحاضلية سعد مبخوت^(٢).

وانظر صفحات ٤٧، ٥٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٣، ٢٩٤.

وفي قانون صنعاء المكتوب عام ١١٦١هـ بنوع من العامية تحاول أن تحاكي الفصحى نجد "وما ذهب داخل الحمام مثل طاسات الحمام، ومن حلية النساء التي يدخلن بها، فليس على الحمامية إلا فتاش النسوان التي في الحمام"^(٣).

وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر نجد الوزنين شائعين في ديوان عبد الرحمن الأنسي^(٤) (ت ١٢٥٠هـ) ومنه:

- ص ٥٦: يشهد الله جامنكم لا مننا × بدع هذا الجفا والتيمحان.

- ص ٣٥٧: وما لقيت الذي ضاع × بكتر دوار وتفتيش.

وانظر صفحات ١٥٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٢١.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر. نجد الوزنين شائعين في ديوان القارة (ت ١٢٩٣هـ). ومنه.

- ص ١٤: وقد سهل لك في الهوى التنفاس.

ها أنت تهوى الأغصن الموائس^(٥).

(١) علي بن الحسن الخفجي: ديوان سلافة العَدَس ولب لعلس في المضحكات والدلس، مخطوط في حوزتي، مصور عن مخطوط بعناية المرحوم علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة.

(٢) البواح: خوار البقر، دِفَال: ثقل، الزينطة: التفاخر الكاذب، التحماس: الحماسة، الحاضلية: وقت الشدة.

(٣) قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري، بعناية القاضي حسين بن أحمد السياغي، نشر عبد الله إسماعيل غمضان، صنعاء، ١٤٠٢هـ، ص ٤٢.

(٤) ديوان عبد الرحمن بن يحيى الأنسي: ترجيع الأطيبار بمرقص الأشعار: تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الإيراني وعبد الله بن عبد الإله الأغبري، القاهرة، ١٩٥٣م.

(٥) ديوان أحمد بن شرف الدين القارة الكوكباني، مخطوط في حوزتي، مصور عن نسخة في منزل المرحوم السيد علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة.

وانظر مثلاً لا حصراً صفحات ١٥، ٧٠، ٨٨، ١١٩، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٢ وما زال هذان الوزنان شائعين في الأشعار الحمينية والشعبية حتى الآن، ولا أدري بالمقابل هل يوجدان في الأشعار الملحونة في جنوب المملكة أم لا ؟

وإذا ألقينا نظرة على استعمال هذين المصدرين في المستويات اللغوية المختلفة

أيامنا هذه، وجدنا ما يلي:

أولاً: غير مستخدمين بالمرة في فصحانا المعاصرة بجميع أساليبها، سواء في اليمن أو في بقية الأقطار العربية الأخرى، بل نظن أن أحداً ممن يعرف تاريخهما لو استخدمهما في كتابته الفصيحة لوجد كثيرين يخطئونه.

ثانياً: هما في مستوي عامية الأميين وعامية المتنورين أكثر من مقابليهما الفصيحين.

ثالثاً: بعض مصادر هاتين الصيغتين لا نجد لها أثراً أو معنى في مظانها من المعاجم كاللسان والقاموس والتاج، مثل بَوَاح بمعنى الخوار، ونَوَاق بمعنى النهيق، وقَعَاي بمعنى فتح الفم من ذهول^(١)، وتَقَعَّام بمعنى تتأؤب، ودَوَّار بمعنى البحث والتفتيش، وغير ذلك كثير.

وقبل عشرين سنة تحيرت عن مصدر الوزنين، وقلبت كل الاحتمالات إلى أن رجّحت أنهما من العربية الجنوبية، ولكن نقوش المسند لا تدون الحركات القصار والطوال عادة لكن هذا لا يعني أنها لا تُقرأ.

والباحثون في النقوش اليمنية - بصفة عامة - أغفلوا هذا فلم يقرأوا خطوط المسند في ضوء لغة الحياة اليومية الحاضرة، لذلك لم نعثر على هذين الوزنين في قراءاتهم^(٢).

وتناقشت في شتاء (١٩٩٣م) في كلية الآداب بتعز، مع د. إبراهيم الصلوي، في أمر قراءة نقوش المسند في ضوء اللهجات المعاصرة، وهل ستؤدي هذه القراءة إلى نتائج جديدة؟ فأجاب إن هذا ما ينبغي أن يتم، ثم وعد بتقديم أمثلة من هذين الوزنين وردا في النقوش استناداً إلى هذه القراءة وقياساً على الفصحى، وأرسل بها بخطه. وقد سبق أن نشرتها قبل، وشكرته عليها مرتين، فهذه هي الثالثة^(٣)، وإليكها:

(١) انظر خليل يحيى نامي: من اللهجات اليمنية الحديثة. مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، ج ١، ص ٨، مايو ١٩٤٦، ص ٧٨ و ٨٣.

(٢) انظر مثلاً: المعجم السبئي لمجموعة من الباحثين، نشر جامعة صنعاء ١٩٨٢م. ومطهر الإرياني: نقوش وتعليقات مسندية.

(٣) انظر عباس السوسوة: دراسات في المحكية، ط ١، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٥م، وط ٢، مركز عبادي،

١. في النقش الموسوم بـ C573 صيغة "اخ رن" من الفعل أَخَر، والنون علامة المصدر، وتقرأ: إِخَارَن - إِخَارًا، بمعنى صَدًا، دَحَرًا، فيقال: أَخَر إِخَارَن بمعنى صَدَّ هجوماً صداً، أو دحر الأعداد دَحَرًا.
٢. في النقش الموسوم بـ C461 صيغة "ت أ ت وم" وهي من الفعل تَأَتَو، والميم علامة التنكير، وتقرأ: تَتَّأوم، بمعنى: تَقَرَّبًا، فيقال: تَأَتَو تَتَّأوم - تَتَّأوا، بمعنى تقرب للإله تَقَرَّبًا.
٣. في النقش الموسوم بـ C79 صيغة "ت ق د م"، هي من الفعل تَقَدَّم، وتقرأ: تَقَدَّم تَقَدَّام، بمعنى: تقدَّم في المعركة تقدماً.
٤. في النقش الموسوم بـ J589 صيغة "ت ن ش أن"، وهي من الفعل "ت ن ش" أ، والنون علامة المصدر. وتقرأ: تَنَشَّأ تَنَشَّاءن، بمعنى شَنَّ هجوماً أو حرباً شَنَّا.
٥. في النقش الموسوم بـ GL1574 صيغة "ت ص ل أ" من الفعل "ت ص ل أ" بمعنى أعلن. وتقرأ: تَصَلَّا تَصِلَاءً بمعنى: أعلن إعلاناً، أو أشعر إشعاراً.

د - صيغة جمع التكسير في اللهجات اليمنية والسعودية:

ليست فعيل - بكسر الفاء - في الفصيحة قديماً وحديثاً من جموع التكسير، بل هي صيغة متفرعة من فعيل - بفتح الفاء، التي هي اسم مفرد وصفة، فقد ذكر سيبويه أن عين الكلمة إذا كانت حرف حلق، فإن قبيلة تميم تحولها إلى فعيل بكسر الفاء مثل: لثيم وشهيد وسعيد^(١).

وبعده ذكروا أن كسر فاء فعيل - وإن لم تكن حرفاً حلقياً لغة شنعاء، مثل: كبير وجليل وكريم^(٢).

يهمنا فقط أن تكون جمعاً، وهي موجودة في لهجات اليمن وجنوب المملكة، فيما أعلم. وقد تأتي لفظة ما في السعودية، ولا توجد في اليمن، والعكس صحيح، بل إن بعض الألفاظ يأتي بصيغ جمع مختلفة. من ذلك في العيادي في إمارة جازان وجدت زريب جمع زرب (الشوك والسياح الشوكي المعروف) في حين لا توجد في اليمن.

٢٠٠٧م، ص ٩٧-٩٨. ولئن أراد التأكد فهذه الرموز مصطلح عليها ويمكن الرجوع إلى مصادر المعجم السبئي نفسه.

(١) انظر كتاب سيبويه ١٠٧/٤-١٠٨. وانظر لسان العرب (ش.ع.ر) ص ٢٢٧٧.

(٢) لسان العرب (ش.ه.د) ص ٣٤٩، وقارن بمحمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، (ش.ه.د) ٣٩١/٢.

يلاحظ على هذه الصيغة ما يلي:

أولاً: من صيغ جمع التكسير قليلة الانتشار، مقارنة بغيرها من الصيغ التي تشترك مع الفصحى في استعمالها.

ثانياً: لا تأتي جمعاً لمنسوب ولا لاسم مفعول ولا لصفة من الصفات، بل تأتي جمعاً للأسماء الجامدة فقط.

ثالثاً: مفرداتها مؤنث ينتهي بالهاء، ولا يوجد له لفظ مذكر وشذ عن ذلك (وجه) يجمع على وجه، وهو مذكر^(١).

رابعاً: تأتي جمع تكسير لما يأتي:

١. الأسماء على وزن فَعْلَة مثل: تتكة وجَمَنَة ودَرَجَة وصَبْرَة وعجلة وقصبة ولكمة.

٢. الأسماء على وزن فَعْلَة مثل: زَنَة وشَنْطَه وشَمْلَه وصفحة وطرحة وفردة ونصلة. وشذ عن ذلك لفظان: الأول: (بريك) مفرداها بَرَك وبركة - على اختلاف اللهجات الجغرافية - والثاني (وجيم مفرداها (وجيمة). ويمكن عد وجه ثالث الألفاظ.

خامساً: تستعمل جنباً إلى جنب مع بعض جموع التكسير الأخرى، خاصة مع فعال وفعل، حتى في إطار اللهجة الجغرافية الواحدة. فنجد في صنعاء القديمة جمعهم لدَرَجَة على دريج ودرجان ودَرَج، في لغة الفرد الواحد.

وسنذكر أشيع الألفاظ ونبين معانيها مقدمين الأشيع على الأقل شيوعاً في ذلك:

١. تَنِيك: جمع تتكة وتَنَك، وتجع على أتناك وتَنَك أيضاً. وهي علبة كبيرة من الصفيح تسع نحو عشرين لترا، كما تُطلق على الصفيح نفسه، وهي دخيلة من التركية^(٢).

٢. جَمِين: جمع جَمَنَة: إناء فخاري يشبه قلة الماء، تصنع فيه قهوة قشر البن. جاءت في شعر الخفنجي:

أظن قد له سنة وأزِيدُ في موقده للجَمِين حَايزُ^(٣)

(١) لاحظت في المسلات الكويتية أن (ويه) يبدال الجيم ياء، تجمع على وجه.

(٢) انظر: رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، أكمله جمال الدين الخياط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٢-٢٠٠١، ج ٢/٦٩، طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في العربية، دار العرب للبستاني بالقاهرة، ص ١٩.

(٣) ديوان الخفنجي، ص ١٠ وانظر ٢١١، ٢١٣، ٢٣٠، وانظر ديوان القارة، ص ١٢٩-١٣٠.

وجاءت في قانون صنعاء المكتوب عام ١١٦١هـ. وفيه "وعلى صاحب العهدة المعاهدة على أنية الماء والجمين"^(١).

٢. خريز: الخرز المعروف جمع خرزة، أما هذه فجمع خرزة التي تعني الحجر المدور، وهو من مصطلحات العمارة التقليدية اليمنية.

٤. دييب: جمع دبة، وتجمع أيضاً على دباب ودبب. والدبة وعاء لحمل السوائل مستطيل الشكل، وهي أيضاً أنبوبة البوتاغاز، وهي من الألفاظ الموجودة في التراث الفصيح^(٢).

٥. دريج: جمع درجة، وتجمع أيضاً على دراج ودرجان. وقد وردت في مذكرات المؤيد بالله: "أعان المولى - حفظه الله - بخمسئة حَرف في عمل الخرائب، ثم إنه اقتضى الحال من زيادة دريج أو زيادة مطهار أو تحويل أو تبديل ثم تخرجت بعد ذلك في الزيادة"^(٣).

٦. رقيب: جمع رقة، وتجمع على رقاب أيضاً.

٧. شنيط: جمع شنة، وتجمع على شَنَاط وشِنَط، وهي الحقيبة مطلقاً، دخيلة من التركية: جانطة^(٤).

٨. عجيل: جمع عجلة: وتجمع على عجلات أيضاً. أي: عجلات المركبات بكل أنواعها، وهو لفظ حديث نسبياً. وردت الصيغة في قصيدة لعبدالله عامر، على لسان شاحنة كبيرة (الموتر) في سوق المناداة على السيارات بالبيع، ويعود تاريخ القصيدة إلى عام ١٣٦٥هـ:

"وأول عيب عجيلي من مداور
مشي حتى وصل بين المقابر
وبُصتوني قراطيس قد تقطع
وقوس بالعجيل منزل ومطلع"^(٥)

(١) قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري، ص ٣٣ وانظر ٢٨، ٣٩، ٤٠.

(٢) انظر لسان العرب (د. ب. ب) ص ١٣١٦.

(٣) المؤيد بالله محمد إسماعيل: أول مذكرات شخصية لأحد الساسة في التراث الإسلامي (١٠٨٣-١٠٨٨هـ) حققها واستخرجها من مssودة المؤلف عبدالله محمد الحبشي، بيروت: المؤسسة الجامعية ١٩٩١م، ص ١٥٨. الحرف عملة سائدة أيامه، انظر المذكرات ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ١٠٥، ١٨١، ٢٢٣، المطهار: الحمّام.

(٤) طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة: ص ٤٢.

(٥) عبدالله بن أحمد عامر: من الشعر الحميني الصنعاني، ص ١٦-١٧، طبع دار الحياة بيروت ١٩٧٣م، مداور جمع مدور، القرط الكبير والسوار، يصنع من خزف أو مادة قابلة للانثناء السريع والكسر. البصتون تعريب piston بمعنى كباس محرك السيارة. قوس: حتى ظهره كالقوس طلوفاً ونزولاً.

عريض: جمع عَرَصَة، وتجمع على عَرَصَات أيضاً. وهي القطعة من الأرض تخصص للبناء.
فريد: جمع فَرْدَة، وهي فراش خشن من شعر الماعز. وجاءت في ديوان الذهباني،
 منسوبة لمجهول يتهم بمجلس الشورى عام ١٩٧٢ م.

"شورى وديمقراطية في منزله متواطئة
 خطة وما هي خاطيه فوق الفريد"^(١)

ومثل ذلك: زنين جمع زَنَّة: أثواب، شببك جمع شبكة، شميل جمع شملة، صبير جمع صَبْرَة، صفيح جمع صفحة، طبيق جمع طبقة، عذيب جمع عذبة، فريض جمع فرضة، فنيج جمع فنجة: الآلية، قصب جمع قصبه، قصيع جمع قصعة، قطيع جمع قطعة، كسيح جمع كسحة، لكيم جمع لكمة: أكمة، نسيم جمع نسمة، وجيم جمع وجيمة: قصب الذرة، وجيه جمع وجه. ولمن شاء تأصيل هذه الألفاظ وشواهد قديمة وحديثة عليها. أحيله إلى كتابنا (دراسات في المحكية اليمنية، ص ١٠٣-١١٣).

هـ- أدوات نحوية: قد الجنوبية ومعانيها، ونون الفاعل المؤنث، وعاد ومعانيها:

١- قد الجنوبية:

تقصد بها هذه الأداة النحوية المستعملة في اليمن وفي المناطق الجنوبية من السعودية، وقد سمعتها في غير المناطق الجنوبية، لكن دون تدقيق لتوزيعها. وقبل ذلك يحسن بنا أن ننظر في (قد) الفصحى. وقد جمع بعض العلماء من كتب النحو العامة ومن كتب الحروف وظائفها، ونحن ننقلها عنهم بتصرف^(٢)، مع مقابلتها مع قد الجنوبية، وسكتنا عما لا يوجد فيها، تجنباً للتكرار. فمن وظائفها:

أ- التوقع: قد يهطلُ المطر.

وفي الجنوبية: قد ينزل المطر/ المطر قد ينزل.

ب- تقريب الماضي: كقوله تعالى: (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) (سورة الأنعام ١١٩).

ج- التقليل، مع المضارع: إنَّ البخيلَ قد يجود.

وفي الجنوبية: قد تلاقى عاقلة في مية حُرمة.

(١) محمد بن محمد الذهباني: ثورة الجوع، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٩٧. خاطية اسم فاعل من الخَطُو.

(٢) إميل بديع يعقوب: موسوعة الحروف، بيروت: دار الجيل ١٩٩٥، ص ٢٢٧-٢٣٠، وذكر (قد بمعنى ربما) ولم نثبته لأنه احتمال، وهو تكرار. وانظر: عبد الكافي المرعب: قد اسماً وحرفاً. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٦ ج ١ ص ١١٣-١٢٨.

د- التكثير: قد أشهد الغارة الشعواء، و: قد أترك القرن مُصَفراً أنامله.

هـ- التحقيق: (قد أفلح المؤمنون)، و(قد يعلم ما أنتم عليه).

وفي الجنوبية لا يكون تحقيق الحدث إلا مع الفعل الماضي مثل: قد خرج، قد سافر... إلخ. ونقل عن (الأزهية في علم الحروف) للهروي، ص ٢١٢، أنها تأتي بمعنى إن، كما في: "قد هذا الفعل من عادتي وصفتي" بمعنى: "إن هذا من عادتي وصفتي". وهذه المصاحبة (قد + إشارة) غير موجودة في القرآن الكريم ولا في كتب الحديث الشريف، ولا في الشعر العربي المعرب في كل عصوره. وربما كانت لهجة من لهجات الخطاب في زمن المؤلف (ت ٤٢٥هـ)، لكن هذه المصاحبة مألوفة جداً في اللهجات اليمنية والسعودية، إلى جوار مصاحبات أخرى.

١- قد + ضمير شخص: مثل: قد أنا جالس، قد هو خارج، قد أنت عارف. قد هم مرتاحين، قد هي خسارة علينا، قدك شيبة، قدش عاقلة.

٢- قد + شبه جملة: قد لي من الفجر مراعي لك.

- قد في جيبه ما يغطي عيبه.

- قد عنده خمسين ألف ريال.

٣- ق + اسم (مفرد أو مضاف):

- قد خديجة في القاهرة.

- قد وجهه أحمر مثل جحر الرّيح.

- قد الشمس حامية.

٤- قد + ضمير إشارة:

- قد هذه لعنة عليكم.

- قد هاذولا الفرغ متبندقين.

٥- قد + ضمير موصول:

- قد الذي في الميدان هربوا.

- قد الذي تشجّع ولا بّج محبوس.

والتأمل في هذه الأنماط يستطيع ردها إلى التحقق أو التوكيد أو الصيرورة، بحسب السياق الصغير (سياق الجملة) أو السياق الكبير (سياق النص).

ومن العجيب أن ظاهرة قد الجنوبية في الكتابات اليمنية تعود حسبما تسعفنا الوثائق، إلى القرن الرابع الهجري. ففي تاريخ الإمام العياني للقاضي ابن يعقوب (ت ٣٩٣هـ)^(١):

- ص ١٣٨: لو كان الرجال يُخطبون للنساء لكان مثلك يُخطب، لكنها امرأة قدهي أولى مني بنفسها، إذ هي ثيب وأنا رسولك إليها.

- ص ٢٨٢: والمنازل التي ننزلها عليكم، فمنها منزل في آل دعام بن إبراهيم، ذلك لولد عليان. ومنزل قدهي في بني سلمان.

وبعد نحو قرن نجدها عند مُفرح الربعي (ت ٤٥٩هـ).

"يا مولانا الأمير؛ أما ما ذكرت من تخويفهم لك بي، فقد أنا في يدك، فافعل ما يؤمنك عني"^(٢). (للاصيرورة).

ونجدها عند الجندي (ت ٧٣٢هـ)^(٣):

- ص ٤٢١: فقال: يا سيدي سمعت معك مراجعة حديث، وقد لي ساعة. فقال له: أو قد سمعت ذلك؟ فقال: نعم. قال: عندي جماعة من إخوانك الطلبة من الجنة يسألوني عن مسائل!!.

- ص ٤٤٤: حتى جاء الساحل وركب البحر، وقد له سفن هنالك معدة فركب وسافر إلى أرض الحبشة.

ثم نجدها عند الخزرجي (ت ٨١٢هـ)^(٤):

- قد لهذا الحاكم مدة في هذه البلاد ولا يملك إلا بدلة واحدة.

وهي كثيرة عند بامخرمة السبياني (بالسين المهملة) المتوفى ٩٥٢هـ^(٥):

(١) القاضي الحسين أحمد بن يعقوب: تاريخ الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، صنعاء: دار الحكمة اليمنية ١٩٩٦م، وشواهد أخرى في ١٤٩ و ٢٤٤.

(٢) مفرح بن أحمد الربعي: سيرة الأميرين الحليين الشريفين الفاضلين: القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، تحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣، ص ١١٠.

(٣) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، صنعاء: وزارة الإعلام ٨٣-١٩٨٤م.

(٤) الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بسيوني عسل، القاهرة، مطبعة الهلال ١٩١١م، ج ١ ص ٢٥٢، في حوادث سنة ٦٨٧هـ. وقد أضاف المصحح (مضى)، وليست في الأصل حسب قوله. وانظر للمؤلف: المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، صنعاء: وزارة الإعلام. ص ٨١.

(٥) عمر بامخرمة السبياني: حياته وتصوفه وشعره. وانظر صفحات ٢٦ و ١٣٢ و ٢٨٦. وفي القرن نفسه. انظر: عرب فقيه: فتوح الحبشة، بعناية فهم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧٤م، ص ٢٠٢ و ٢٦٦.

-ص١٢٧: الشَّحَرِ قَدَهَا لك، ووادي الغيد والحرجا ظفار.

ص١٢٨: كل سلطان قده اليوم بالسيف عبده.

-ص٢٠٨: باقبي، اعرف إن الشيطنة قد لها ناس. قد لها ناس قاموا في بناها على ساس.

ولها حضور لافت عند عيسى بن لطف الله (ت ١٠٤٨هـ) ^(١). ومنه:

-ج٧٠/٢ "وكان موته وقد الأمير عمر في مادن" للاقتران الزمني.

-ج٥٩/٢ "وأشعروهم بأن قد السيد عامر في أيديهم". للصيرورة.

-ج٥٠/٢ "فوصل إلى محله، وقد الدنيا بأجمعها منضربة الأكناف" للصيرورة.

-ط٥٤-٥٥ "أخذ الإمام حصن مدع، وقد السيد الحسن حاصره، ولم يؤخذ بصورة الصلح" لتحقيق الماضي.

وفي القرن نفسه نجدها عند ابن حنش ^(٢) للصيرورة.

-ص٧٩ "وقد هذه وهنه عليكم" ..

-ص١٠٣ "فقال للوالي: اخرج قد الأمر لغيركم".

-ص١٠٦ "وكان قد هو داخلي بالنساء، فلما عرفوه شدوا عليه شدة رجل واحد".

وهنا دلت على المقاربة الزمانية أو الاقتتان بين حدثين.

وجاء في يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر "وسكن في كمران محله، وولده بالحيّة ليقضي الأعمال وقد معه في النفس بعض الكسار" ^(٣).

ونجد الظاهرة في شعر أبي الرحال (ت ١١٣٥هـ):

قد الوسَخ به معجون هذه نصيحة بقراط ^(٤)

(١) عيسى بن لطف بن المطهر: روح الروح فيما جرى بعد المئة الثامنة من الفتن والفتوح، طبعة وزارة الإعلام صنعاء، (تصوير للمخطوط).

(٢) صفى الدين أحمد بن حنش: النور المشرق في فتح بلاد المشرق وما به ألحق، تحقيق عبد الله بن محمد الحيشي، صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ١٩٩٣م.

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم: يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٤٦-١٠٩٩)، تحقيق عبد الله بن محمد الحيشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ص ٢٠٠، وانظر ٣٩٢.

(٤) محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، بعناية إسماعيل بن علي الأكوع، صنعاء، وزارة الإعلام، ١٩٨٤م، ص ٣٥٨.

ونجدها عند القاضي علي العنسي (ت ١١٣٩هـ) ^(١) للمقاربة مع المستقبل:
 وإن قال قد شايموت بالضنا فلان، قلت بينه وبين
 وللمقاربة مع الماضي:
 -نعم، وطرف العتاب يا أحمد × قد كنت شارخي له العنان
 وللصيرورة كما في:

ولا أحتاج اذكر اني قد الناس عالمين
 فديتك في خيالك وأنت واعمامك وخالك.

وهي كثيرة في ديوان الخفنجي (ت ١١٨٠هـ)، ولعلها جمعت كل وظائفها المتفرقة
 عند غيره. فمما جاء بمعنى المضي:

وقد له فيه وأكثر عَرَفَ نوح وازمانه ^(٢)

ومما جاء لتحقيق الحاضر:

-واسمع وشيش الشعر والفِث إليَّ قد بينَ افنقل ^(٣)

-قالوا: قد الغيد بتقرا يا عماد.

ما قد سمعنا بحرمة قارية

-قد بين اشم اليوم نودَ الفرج.

قد زال زمان الكبد والبور.

ومما جاء للصيرورة:

ولا تخطى عجوزة في جبا × إلا وقد ظهرها مثل الجنو ^(٤)

(١) ديوان وادي الدور، تحقيق يحيى بن منصور بن نصر، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٤٦، و ٦٤، و ٥٢ على التوالي وانظر: ٦٧ و ٦٩.

(٢) الخفنجي: أبو الحسن علي بن الحسين، ديوانه "سلافة العدس ولب العلس في المضحكات والدلس" مخطوط. ص ٧ وانظر ١٤٦، ١٣٣، ١٦٤، ١٨٢.

(٣) ديوان الخفنجي: ص ٢١ و ٢٢١ الوشيش: صوت المقلاة وفيها طعام يطبخ بزيت. افنقل: أحل الأمور وأفسفها. النود: الريح.

(٤) الخفنجي: ١٩ و ٩٢ و ١٠٢ و ١٨٢، الجبا سطح البيت، الجنو: اطار المنخل. سنوان كانت قرية قرب صنعاء وصارت داخلها أيامنا هذه. الكبا: الاقراص المصنوعة من مخلفات البقر تستعمل للوقود. والمقارم: جمع مقرفة قطعة من قماش تديره المرأة على رأسها.

ومما جاء للاقتران الزماني:

ما يدخل الصبح من سنوان كبا

إلا وقد لُق له واحد زَنُو

ومما جاء للاحتمال: واليوم قد شا اعشق الحافيات ما به حجاب إلا المقارم.

أما عند القارة (ت ١٢٩٣هـ) فلم تخرج على الصيرورة أو تحقق الاقتران الزماني^(١):

وهذا غاية المَطْلُوب وقد هي محسنه
أنا رزقي جرى لأبطن أمي وما قد به معي لأعين ولا سن

وهي عند المحضار (ت ١٣٠٤هـ) للصيرورة، وللمضي^(٢):

لا وأنت قَدَك عجوز

وهذا شيء ما يجوز

ذاك الذي عليه المحضار معول وقد له زمان يركض وراها ويهرول

وهي كثيرة جداً عند حبشوش (ت ١٣١١هـ) على قلة صفحات كتيبه^(٣):

-وقد هذا رزق من الله.

-فلما وصلت وقد الناس نايمين ضربت الباب.

-وكيف أسبب لهم الجزية وقد هم أغنى من قبايلنا.

- (...) وقراب، وقد هم من الفقراء.

ونجدها عند القُمندان^(٤) (ت ١٩٤٣م):

أنا أحبُّك جَم وانته قدك تعلم

ونجد الظاهرة في لغة الوزراء والمشايخ ورؤوس الدولة في أواسط الستينات من خلال المحاضر المكتوبة والعرائض. ومنه:

(١) ديوان أحمد شرف الدين القارة، مخطوط، ص ٥٢ و ٧١، وانظر: ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٩٩.

(٢) أحمد بن محمد المحضار: مقامة ذم الدنيا (ضمن مجموع المقامات اليمينية) لعبد الله الحبشي، صنعاء: مكتبة الارشاد، ص ٣٩٢ و ٣٩٩.

(٣) سالم بن يحيى الفتيحي (حبشوش)، ضمن "رؤية اليمن بين هاليبي وحبشوش". مركز الدراسات اليمني، صنعاء، ط ٢، ١٩٩٢م، صفحات ٢٩، ٣٤، ٤٠، ٤١، ٤٩.

(٤) القمندان: المصدر المفيد في غناء لحج الجديد، ص ١٢٤، وانظر: ٥٢، ٥٣، ٦٠.

- "وإذا قد انتوراضيين لمثل هذا فنريد أن نتعرف رأيكم" (١).

وفي قصيدة أنشأها عبدالله عامر عام ١٣٨٥هـ على لسان الشاحنة:

ولا يركن علياً اليوم مسافر قد العده نعيث، لئلم التخدواع (٢)

وفي الأمثال نجد "عجيت بعجل المره، ما عجل البقرة قدنا أذبحه" (٣).

لعل القارئ الكريم قد لاحظ معنا في الشواهد الأخيرة اختزال الهاء في ضمائر الغياب إذا صاحبت (قد) فتصبح: قدو، قدي، قدّه، قدن بعد أن كانت: قد هو، قد هي، وقد هن، وقد تشمل الضمائر الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة اختزال دال (قد) فتصبح (قا) أو (ق)، فيقال: قاخرج، وقخرج. ومثل ذلك ورد في أمثال يافع. ومنه "قال: أفّيه وإبطي، قال: قنته من جسمي".

وربما كان على جحاف (ت ١٤٢٧هـ) من القلة الذين ورد في شعرهم اختزال الدال. ومنه:

"لاقا معي فله ولا عمارة ولا وزارة خارج الوزارة
ولا اقبل اخلص لي قضا المخاليس واقول قاهم كلهم مناجيس" (٤)

وأختم هذا المبحث عن اختزال آخر في مناطق الحجرية بتعز (عدة مراكز)، ركب منه إخوانهم في المحافظة نفسها حكاية، مفادها أن أحدهم ذهب ليوفظ أخاه فدار بينهما الحوار التالي:

- قُم يَب (- قم يا ابن).

- موقو؟ (= ما قد هو) سؤال عن الوقت.

- قوولو. (= قد هو ضوء).

- كَم قي / قَم قي (= كم قد هي).

- قَرَب (= قد هي أربع = الرابعة).

(١) عبد الملك الطيب: الثورة والنفق المظلم، صنعاء، مطابع الفضل ١٩٩٦م، ص ٣٥٤، وانظر: ٣٥٥.

(٢) عبدالله عامر: من الشعر الحميني الصنعاني، بيروت: المكتب التجاري ١٣٩٣هـ، ص ١٦. نعيث: مبعثرة في غير نظام. وشواهد أخرى ص ٩، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٥، ٤٤ وذلك كثير في ديوان صغير الحجم لا تصل صفحاته إلى الثمانين.

(٣) علي صالح الخلاقي: الشائع من أمثال يافع، ص ١٥٥ وانظر ١٧٥ وشواهد شعرية في ٦٢ و ٣١٧ عجيبات: احترت في (مركز عبادي صنعاء).

(٤) علي عبد الرحمن جحاف: قل نيسان، صنعاء، ١٩٩٦م، ص ٥٠-٥١ والمخاليس جمع مخلوس: الفقير المعدم العاري (المخلوس) من الثياب.

٢- نون الفاعل المؤنث:

مما اشتركت فيه لهجات التهايم في اليمن، ولهجات متفرقة من قرى تعز، وأماكن من حجة والمحويت مع لهجات تهامة في السعودية، استعمال النون ضميراً للمؤنث الغائب المفرد في الغالب، وقليلاً لجمع المؤنث الغائب. ففي الأفعال أكل وخرج ودخل وهرب يقولون: أَكَلْنَ وشربن ودَخَلْنَ وخرجن وهَرَبْنَ. وهو قياس لا يتخلف.

ومن مفاعلات التراث النحوي العربي في اليمن، أن تجد النحوي علي بن سليمان الحيدرة (توفي بعد عام ٦٠٢هـ) يذكر هذه الظاهرة في زمنه ويقصرها على عوام تهامة. في كتابه (كشف المشكل في النحو والتصريف وما في الشعر عليه المعول^(١)) يتحدث عن (نون الترثم في الشعر) فيقول: "... وربما أدخلته عوام تهامة في غير الشعر مع الفعل الماضي وأقاموه مقام تاء التأنيث، فقالوا للمرأة: قَامْنَ وقَعَدْنَ وأَكَلْنَ وشَرِبْنَ. وهي لغة ضعيفة"^(٢).

وسمعتها في صبيا والدرب وهروب من جازان ومحاول عسير وبعض رجال ألمع ومن جارنا المحويتي في أبها محمد النمر يقول عن زوجته: "قلت أخرجها تنفَسُ أَيْنَ وما رظين"^(٣) يريد: أردت أن أخرجها من البيت لتنتزه فأبت وما رضيت.

ومن فلتات لسان زميل بدرجة أستاذ، سألتني: أم الخليل ما صَبَحْنَكش؟ يقصد ألم تَوَكَّلَك في الصبح.

٣- عاد ومعانيها:

حسب علمي القاصر أن كل اللهجات اليمنية تستعمل الفعل (عاد) لمعان متعددة حسب السياقين اللغوي والموقف، ولم أجد ذلك في اللهجات العربية المعاصرة، باستثناء لهجات جنوب المملكة العربية السعودية.

(عاد) مقطع واحد مغلوق = صامت وحركة طويلة فصامت. وتتحرك الدال بحركة مناسبة للضمائر التي اتصلت بها مثل: عاد أنا = عادنا.

عاد أنت تصبح: عادنت وعادك، ومثل ذلك للمؤنثة: عادك وعادش، عاد + هم، عادهن، عاد أنتم، عادحنا، عادهو = وكثيراً ما تختزل الهاء من هذه الضمائر، فيقولون: عادو، وعادي، وعادم، وعادين.

(١) علي بن سليمان الحيدرة: كتاب كشف المشكل في النحو والتصريف، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، غير منشورة، دراسة وتحقيق كامل محمد يعقوب أبو إسنيه. وللكتاب طبعة أخرى عراقية، نشرت مرتين، رغبتنا عنها لكثرة أخطائها وقلة ضبطها.

(٢) كشف المشكل ص ٦٤١.

(٣) في الجمعة ٢٢ يناير ٢٠٢١م.

وتلحق هاء السكت بالمفرد فيقال: عادوه، عاديه.

لم يذكر نحاتنا عاد (سواء بسكون الدال أو بفتحها) ضمن حروف المعاني. إلا ما كان من النحوي علي بن سليمان الحيدرة (ت بعد ٦٠٢ هـ). ففي حديثه عن الحروف الناسخة قال: "والذي شبهه بأن حرف واحد وهو (عاد) تقول: عاد زيدا قائم، وهي كلمة يمانية، كقول حسن: (وعاد أيام الصبا مستقبله) ^(١).

وكنيت أرى أن (عاد) في هذا الشطر تشبه (عاد) اليمنية، فهي بمعنى ما زال/ ما زالت الدالة على الاستمرار، فلغت نظري تلميذي النابه د. حميد عبده سلام النهاري ^(٢) إلى أن الزبيدي صاحب (تاج العروس) في مستدركه نهاية مادة (ع. و. د) أفرد لها كلاماً طويلاً نقله عن شيخه ابن الطيب الفاسي الشرقي، وأرانيه. فلما تمتعت فيه أيقنت أنه يصف لهجة من لهجات الخطاب في زمنه القرن الثاني عشر الهجري. لم يحددها قط غير أنه ذكر أن بعض الحجازيين يحذف نون الوقاية. إذا كان (عاد) بمعنى (أن) ^(٣). المهم منها أنها تأتي فعلاً ناسخاً مفتقراً للخبر، وتأتي حرفاً عاملاً نصباً بمنزلة (إن). ونراه قد أسرف في ذكر الشروط، في حين أن معناها في البيت - أيًا كان قائله - معنى ما زال/ ما زالت:

عُلِّقَتْهَا وَعَادَ قَلْبِي لَهَا وعَادَ أَيَّامَ الصَّبَا مُسْتَقْبَلُهُ
وذكر بيتاً آخر:

أَنْ تَعْلُونَ زَيْدًا فَعَادَ عَمْرًا وعَادَ أَمْرًا بَعْدَهُ وَأَمْرًا
وفسره: أي فإن عمراً موجود وتفسيره مقبول، ويشبه (عاد) في اليمن والمملكة في قولهم "إذا مات الشيخ فعاد ابنه" ^(٤).

وذكر أنها تكون حرف استفهام بمنزلة (هل) (...) مفتقر للجواب كقولك: عاد أبوك مقيم؟ مثل هل أبوك مقيم.

ومن معانيها أن تكون جواباً بمعنى الجملة المتضمنة لمعنى النفي بلم أو بما يقول المستفهم هل صليت؟ فيقول: عادني. أي أنتي لم أصل، أو أنتي ما صليت.

(١) علي بن سليمان الحيدرة: كتاب كشف المشكل في النحو، ص ٢١٠.

(٢) رقي إلى أستاذ مشارك في النحو والصرف، في كلية الآداب جامعة تعز في يناير ٢٠٢١.

(٣) ينظر: الزبيدي: محمد مرتضى بن مرتضى الحسيني: تاج العروس شرح جواهر القاموس، القاهرة: المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ، ج ٢/٤٤١.

ونلاحظ أن بعض ما ذكره ابن الطيب الشرقي شائع على الألسنة في اللهجات اليمنية ولهجات جنوب المملكة السعودية. ونبور معانيها في الآتي:

أ- معنى ما زال: كأن تسأل عن فلان فيخبرونك عنه بقولهم: عادُه راقِد أو جالس أو مريض... إلخ، وقد تسأل عن (الشيء) فيقال: الحبيب عادُه / عادو قارع^(١). ومثل ذلك:

الشارع عادو زحمة / عاد الشارع زحمة.
البنت عادِي عَزْبة / عاد البنت عزبة.

ومن الأغاني التراثية التي سمعتها في الطفولة، من على أحمد الخضر رحمه الله:

أديتكم قلبي، دَلا، دَلا به عادو صغير بالله ارحموا شبابِه^(٢)

ب- تحقق الحدث في الماضي القريب، مثل:

الشيخ عادُه خرج / عاد الشيخ خرج.
وهذا مشروط بمصاحبتها فعلاً ماضياً.

ج- توقع الحدث في المستقبل، مثل:

محسن عادو بايخرج / عاد مقبل بايخرج
أي: خروجه منتظر منه مستقبلاً.

د- نفي وقوع الحدث مع توقع حصوله في المستقبل، كأن يُسأل شخص: قد أكلت؟ فيجيب:
عادني ما أكلتش / ما أكلت، أو: عادني.

أو يسأل المراجعون: قد جا المدير؟ فيجاب: عادو ما جاش، أو: عادُه^(٣).
فالمجيء لم يحدث لكن حدوثه متوقع على سبيل الظن الغالب.

هـ- بمعنى البقية: أين معاشك؟ فيجيب: (عاد معي ثلاثة ألف)، أي: بقي منه ثلاثة آلاف. ومثل قولهم: ما عاد معنا إلا الله وأنت.

و- الربط بين حدث مستمر في زمنين: يُسأل فلان: كمّلت تتلّيف؟ فيجيب: عادني / عادنا؛ فهو يتلّف ومستمر في التلّيف قبل السؤال وبعده.

(١) منهم من يكسر الدال في عادُه، فلزم التنبيه.

(٢) وهبتكم قلبي، رفقاً به، رفقاً، أسألكم بالله أن ترحموا لشبابه. وتقطيع البيت: أد - دي - ت - كم - قل - بي - د - لا - د - لا - به - عا - دو - ص - غير - بل - لر - ح - مو - ش - با - به.

(٣) بعضهم يقول: باقي، للمعنى نفسه.

ز- بمعنى الزيادة أو فوق ذلك؛ يُسأل شخص: معاك ثياب العيد؟ فيجيب: (وعاد عندي كبش / طلي)

و- (متأخر في الحضور وعادك ترفع صوتك).

وكان الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) على عادته في الإلماع إلى بعض مظاهر تغيير اللغة في عصره قد أشار إلى أن العرب "لا تكاد تسمعونهم يستعملون صار، ولكن (عاد): ما عدت أراه؛ عاد لا يكلمني، ما عاد لفلان مال"^(١).

قلت في أكثر من مناسبة أن المنقب في غير كتب اللغة التقليدية (أقصد كتب التاريخ أولاً، ثم كتب الرحلات والجغرافيا) سيجد أصولاً وجذوراً لكثير من الظواهر السائدة في لهجات الخطاب. ولنقتصر هنا على (عاد) ومعانيها السبعة. فمن شواهد العائدة إلى القرن الرابع الهجري ما جاء عند القاضي الحسن بن أحمد يعقوب (ت ٣٩٣هـ). ومنها^(٢):

- فليس عادنا نلوم أنفسنا على شيء بعد الصبر الطويل والاحتمال وشماته الأعداء."

- "إن له منذ قبض وقتل ما يداني العشرين السنة (...) ثم سأله: أعاد عمتك فلانه، وأمك فلانة، وأختك - وسأله عن أهله - أما زلن على قيد الحياة؟".

- "حتى أتاه من أعلمه أن أهل صعدة حملة السلاح، والمليح والحسن، قد أحاطوا بالدار، وليس عاد المخرج إلا باب بني الملاح. وعاد أصحابك السعديون والشرفاء وخدمهم يستأذونك تخرج إليهم".

القسم الأول بمعنى: لم يبق مخرج إلا من باب بني الملاح، والقسم الثاني: ما زال أصحابك...

- "فإن الرأي انصرافنا من ساعتنا هذه، بهذه الذرية وعاد فينا الروح". أي ما زال فينا بقية من قوة.

وفي القرن الخامس نجدها عند مفرح الربيعي: "رأيت السلطان أحمد بن مظفر يضحك عن دردر أحمر، وليس عاد فيه واضحة"^(٣) أي: يضحك فيبدو فكّه أحمر لم يبق سن واحدة.

(١) جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٤٤/٢. وتلميذنا عبدالعزيز أحمد ناجي، رسالة ماجستير أجازت في كلية الآداب جامعة تعز، عام ٢٠١٤م، بعنوان: "ملاحظات الزمخشري على لغة عصره، دراسة في ضوء اللسانيات" وليست متاحة بين يدي للأسف.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب: تاريخ الإمام المنصور بالله، صفحات ٦٦-٦٧، ١٤٤، ١٨٥، ٢١٢، وفي صفحتي ٢٤٧، ٢٦١، شاهدان هجيان.

(٣) مفرح بن أحمد الربيعي: سيرة الأميرين الجليلين، تحقيق محمود عبد العاطي، ص ١٧٤، وانظر: ١٣٢.

وفي القرن الثامن نجدها عند الجندي (ت ٧٣٢هـ): "وكان عاده فارقه، فتبعه وقال: يا شيخ؛ الفقيه يسلم عليك"^(١).

وفي القرن التاسع وجدناها عند ابن الديبع (ت ٩٤٤هـ): "فقال: ما عاد إلا أنت ومن معك"^(٢). = لم يبق إلا أنت..

وهي كثيرة عند بامخرمة السيباني (بالسين المهملة) المتوفى ٩٥٢هـ. ومنه "ما غير ذه مرة وعاد الله يعودنا مراراً".

"ما وعزتك غيرك عاد لي فيه معلاق عاد رب السما يعطف علينا بغاره"^(٣) ونجدها في يوميات المؤيد بالله (ت ١٠٩٧هـ): "وإن يكن قد زاد ذلك، فعاد عندي عباءة عنبراني"^(٤).

ثم في شعر يحيى بن إبراهيم جحاف (ت ١١١٧هـ):
ليت من عاد قدر يجلس قليل عند خياط بعد أن طاف بالأسواق جميع سبع أشواط^(٥)
ولها حضور في ديوان القاضي علي العنسي (ت ١١٣٩هـ)، تأتي بالمعاني التالية: ما زال، البقية، إضافة إلى ذلك. ومنه^(٦):

إيش لو يحيدو الكرم في أصله عاد بطله يا أخا التكرم
وأقول: عادك من الأحياء يا وصل، أو مت في سرعه
وعادك لا تخون ميثاق ولا تحتال بالمواعيد

(١) الجندي: السلوك. ٢٨٢/١، وانظر الشرجي الزبيدي: طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، تحقيق عبد الله الحبشي، ص ١٤٣.

(٢) ابن الديبع الشيباني (عبد الرحمن بن علي) الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٩٨٢م، ص ٢١٩.

(٣) عمر بامخرمة السيباني، حياته وتصوفه وشعره، ص ١٢٦، ١٤٦، وانظر: ١٢٤، ١٢٧، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩١، الخ. وانظر عرب فقيه: فتوح الحبشة ص ٢١٢، ٢٣٨، ٢٣١.

(٤) مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل (أول مذكرات في التاريخ الإسلامي) استخراجها من مسودة المؤلف، وحققها عبد الله بن محمد الحبشي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات ١٩٩٣م، ص ٣، وانظر ٣٢.

(٥) عبد الله محمد الحبشي: الأدب اليمني، عصر خروج الأتراك الأول، صنعاء: وزارة الأوقاف، ١٩٨٧م، ص ٥٣١ وانظر: ٤٣٥.

(٦) القاضي علي العنسي: ديوان وادي الدور، تحقيق يحيى بن منصور بن نصر، القاهرة ١٩٥٣م، صفحات ٢٨، ٤١، ٤٩، ٦٦، ٦٨، ٧٧، على التوالي، وانظر: ص ٢٥، يحيدوا: يشاهدون. عاد بطله: ما زال بطله طريا، صنوه: أخوه، قبيلي حضور: من منطقة حضور، جعلت فداءً لمن ريقها كالتشوف، وهو طعام من جريش القمح مع قطع صغيرة من الدباء. السبار: المصروف، كمسه هروف: خمسة حروف، بحسب رطانتهم - وهو جمع حرف، عملة كانت سائدة أيامهم. وقد مر منها أمثلة عند المؤيد بالله ومن قبله.

ومن علي صنوه وكل الاخوان
ولي عذول عادة من النوايب
بالله بالله يا ذاك الوحيد
والا قبلي حضور ينشد نشيد
هيات ما عاد سوى رطن العبيد
واح، ما عاد شي ذمام
كفى كفى لي به كفا
عادك لمن له أدب عادك تشوف؟
فديت من ريقها مثل النشوف)
هات السبار يافقيه كمسه حروف

وتكثر في آخر القرن الثاني عشر في ديوان علي بن الحسن الخفنجي (ت ١١٨٠ هـ)،
له ولمعصرين من الشعراء: البالوزة، وشغدر، والفسيل، والشامي، ومنه:

ومن قرا قالوا وعاده شباب
لأن عاده صغير ما قد سرح
وقد كنت اسير والشبيسة معي
يشتي يميل عيون الناس ويسكع
في سن صالح أو قريب من سعيد
ولا عرف في الأنام إلا القليل
وعاده صغير مثل جعب العسل
وعاد هو في الحسوي^(١)

وفي ترجمة أحمد بن إسماعيل الحسني، من رجال القرن الثاني عشر: "فسأله صاحب
الترجمة: هل قد أذن العشاء؟ فقال: عاد الوقت يحين^(٢)". أي: ما زال الوقت مبكراً على العشاء.

ونجدها عن المحضار (ت ١٢٠٤ هـ): "وعادنا أرهن عندها العقل"^(٣).

"فقلت كيف عادك في الخامسة تطمع؟ وقد قال العرب: من باع الحصان، ما بالي
بالسرج والعنان"^(٤).

ونجدها عند حبشوش (ت ١٣١١ هـ) يصف أحد المعمرين "عمره مائة وأربعين سنة
(...) وفي هذه السن عاد لحيته أكثرها سوداً وأضراره باقيات"^(٥).

(١) ديوان علي بن الحسن الخفنجي. المسمى سُلَافَة العَدَس وَلَبَّ العَلَس، في المضحكات والدلس. مخطوط
في مكتبة المرحوم السيد علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة (يعمل د. إبراهيم أبو طالب منذ سنين على
تحقيقه) صفحات ٢٢، ٤١، ٩٣، ١٠٠، ٢٧٤، ١٦٦. وانظر أيضاً صفحات ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٤٢، ٤٦، ٨٠، ٨٧،
٩٢، ٩٩، ١٠٣، ١٠١، ١١٣، ١٢٤، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٦، ٢٦٤، وفي مخطوطة أخرى للديوان في مكتبة المرحوم
أحمد بن محمد شرف الدين، في تعز. صفحات ٢٣، ١٤١، ١٧٣، ١٩٦. الشبيسة: مجموعة حيوب من ذرة
وعدس وفاصولية وغيرها، تطحن وتبلل، ويؤكل الطفل الصغير منها، جعب العسل: ظرف العسل الصغير
جدا، الحوي: ساحة المنزل.

(٢) الحسن بن الحسين بن حيدرة (١١٧٠-١٢٢١ هـ): مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء
ذمار، تحقيق عبدالله الحوثي، صنعاء، مكتبة الحكمة اليمنية ٢٠٠٣م، ص ١٦١.

(٣) مقامة ذم الدنيا (ضمن مجموع المقامات اليمنية) جمع وتحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء: مكتبة الإرشاد
١٩٩٣م، ص ٤٠٤.

(٤) نفسه، ص ٤٠٩، وانظر: ٤٠٥، ٤٠٧.

(٥) حبشوش (ضمن رواية اليمن بين هاليفي وحبشوش) مركز الدراسات اليمني، صنعاء، ص ٤١.

وما بين المحضار وحبشوش يمكن أن نحيل القارئ الكريم على ديوان أحمد شرف الدين القارة (ت ١٢٩٣هـ) من ص ٦٩-٧٢.

ومن الأغاني الشائعة بين الناس في اليمن، لأحمد علي النصري (ت ١٩٩٣م)،
 طرح شارح وعاده زاد عفى ومن أقدم على ذا الغصن ويله^(١).
 وله أغنية مشهورة تنتهي أغصانها بشطر فيه هذه الظاهرة:

هذا طبيبي وذا طبيبي وذا حبيبي وذا حبي
 وذا فؤادي وذا لبي هذا الذي أنتو تشوفونه
 عاده صغير يربونه^(٢).

و - بعض نتائج الدراسة:

ليست هذه كل التشابهات بين اللهجات اليمنية وجنوب البلاد السعودية في الألفاظ الزراعية، ولا كل التشابهات في بعض الظواهر الصرفية والنحوية. ونخرج منها بما يلي:

١. أن الباحث في تغير اللغة العربية عبر العصور لن تسعفه كتب النحو واللغة والمعاجم فيما يريده.

٢. أن كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والفقهاء يمكن أن تفيد الباحث في التغير، إذا كان الباحث مدققاً.

٣. كتاب جنوب الجزيرة من القرن الخامس الهجري فما بعده، حملت كتبهم وأشعارهم ورسائلهم كثيراً من الظواهر التي نجدها في اللهجات المعاصرة.

٤. هذه اللهجات المعاصرة ليست نباتاً شيطانياً، بل لها أصولها في استعمالات لغوية حية تشمل كل جوانب الحياة.

٥. في اللهجات ظواهر في كل المستويات اللغوية: أصواتاً، وصرفاً، ونحواً، ودلالةً، وبلاغةً، موروثاً، بل إن بعضها يتجاوز العصر الجاهلي.

(١) أحمد علي النصري: دق القاع: مطابع جامعة عدن، ١٩٨٨م، ص ٣١، الشارح: حارس الزرع. وعفى: غطى على الأثر.

(٢) نفس المصدر ص ٤٩، وشواهد أخرى في ٤٨.

٦. التراث العربي يفاجئنا كما فاجأنا علي بن سليمان الحيدرة (ت بعد ٦٠٢هـ) بتسجيله ظواهر كثيرة من لغة الحياة اليومية في اليمن، مع أن كتابه "كشف المشكل" في النحو التقليدي التعليمي.
٧. هناك مشابهاة أيضاً بين هذه اللهجات ولهجات المغرب العربي وإن كانت أقل طبعاً. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...، (عباس علي السوسوة)

ثالثاً: خلاصة القول^(١)؛

أن الأخ الكريم أ.د. عباس السوسوة ذكر أمثلة عديدة من التشابهات اللغوية في بلاد اليمن وأجزاء من جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة). آمل من أساتذة وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية أن يعكفوا على دراسة لغات ولهجات بلادهم، فما زال هناك ميادين كثيرة ومتنوعة تستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية. وكوني معاصراً للحراك العلمي والفكري والبحثي في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أربعين عاماً (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م)، أقول أن أوضاعنا العلمية والبحثية بخير، وتتقدم وتتطور، لكننا نتطلع إلى المزيد في النوع والكيف، وسوف يتحقق ذلك (بإذن الله تعالى)، وفي شتى المجالات، على أيدي بناتنا وأبنائنا الباحثين الحيايين الجادين الذين يعملون لخدمة دينهم وبلادهم وأهلهم.

(١) هذه الخلاصة من إعداد صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس).

رابعاً: مقالات بعض الباحثين والمؤرخين عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لغيثان بن جريس.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	توطئة	٦٥
ثانياً	وقفات مع كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلداً) بقلم الأستاذ / منصور بن أحمد العسيري.	٦٧
ثالثاً	غيثان بن جريس وموسوعته التاريخية. بقلم أ. د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي.	٧٣
رابعاً	نظرات في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). بقلم أ. د. قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم.	٧٥
خامساً	رسائل مختصرة عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) بقلم أ. د. عباس بن علي السوسوة.	٨٠
سادساً	رحلتي مع موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الجزء الأول إلى الجزء الرابع والعشرين. بقلم الأستاذ عبد الهادي بن عبد الرحمن بن مجني.	٨٣
سابعاً	سابعاً: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) النتاج العلمي (الغيثاني) المتفرد. بقلم أ. د. صالح بن علي أبو عراد.	٩١
ثامناً	الحلم الذي أصبح حقيقة. بقلم الأستاذ / محمد بن جرمان العواجي الأكلبي.	٩٥

أولاً: توطئة:

ليس هناك لذة أفضل من العيش في مواقع القراءة والبحث والعلم والمعرفة بشكل عام. وهذا المحور اجتمعت مادته من أساتذة وطلاب علم فضلاء، رغبوا أن يتعاونوا مع مؤرخ وباحث قضى زهرة حياته في القراءة والتوثيق العلمي التاريخي والحضاري. وجميعهم اتفقوا على الإشارة أو التنويه إلى جوانب سلبية أو إيجابية عديدة رافقت أو تزامنت مع كتاب موسوعي كانت بدايته قبل حوالي عشرين عاماً، انه كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الذي بلغت أجزاءه حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) أربعة وعشرين مجلداً، وتجاوز صفحاته أربعة عشر ألف صفحة^(١).

(١) إنني العبد الفقير إلى الله (عز وجل) لا أدعي التميز، أو الجودة، أو الكمال في كل ما رصدته في هذا الكتاب الموسوعي، لكنني أمل أني قدمت عملاً فيه فائدة ونفع لديني وبلادي وأهلي، كما أرجو من المولى (عز وجل) أن لا يحرمني أجر هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجه الكريم، وأن يتوب عليّ ويغفر لي في ما

هؤلاء الأخوة الكرام ذكروا بعض المدح والثناء لصاحب الكتاب، وهو لا يستحق ذلك، لكنهم أناس اتصفوا بالنبل وحسن الأخلاق، فذكروا أخاهم بصفات حميدة عديدة، والذي يعلم بالحال، هو الله، عز وجل، ونسأل الله أن يجعلني خيراً مما ظننوا في واعتقدوا. ومما لا شك فيه أن الكتاب لا يخلو من الثغرات، والأخطاء، والعيوب.

واسأل الله أن يسخر له في المستقبل من يقرأه، ويصحح كل النقص والأخطاء التي تعثره. وما فعل أخواني الواردة أسماؤهم في هذا العنصر من إشارات وتببيها قد تساعد من قد يتخذ ميداناً لدراسات أطول وأعمق^(١).

إن الأساتذة الكرام الذين وردت مشاركاتهم في هذه الورقات، قد تنوعت مشاربهم واهتماماتهم. فمنهم أساتذة الجامعة الذين يعملون في تخصصات متنوعة. ومنهم الباحثون والمؤرخون الذين يهون القراءة والكتابة وبخاصة في علوم التاريخ الحضارة وغيرها.

ولا أقول لهم إلا غفر الله لي ولهم، وجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم، كما أنني أرجو منهم أو من غيرهم أن لا يحرموا أخاهم من عيوب ونواقص يشاهدونها في هذا السفر الكبير أو غيره من مؤلفاتي وبحوثي المطبوعة والمنشورة فيحذروني، وينبهونني ويساعدونني بما يبيني ويقوم كل خطأ وعيب وقعت فيه. وإنني على استعداد أن أراجع وأصحح كل عملي، ثم أطبعه وأنشره، وأقدم الشكر والدعاء الصادق، مكتوباً لكل من يقومني ويساعدني في هذا الكتاب^(٢).

وقعت فيه من عيوب وأخطاء. كما أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يصوب ويستكمل العيوب والنقص الذي يتخلل هذا السفر الكبير (والله من وراء القصد).

(١) هذا الكتاب الموسوعي يشتمل على كم هائل من المعارف التاريخية والحضارية، في مجالات عديدة، بل يعد منجماً معرفياً يستحق القراءة والتصويب واستكمال النقص، أو توضيح الغامض، أو تصحيح الأخطاء، وغير ذلك من الطرق والمناهج المعروفة والمتبعة عند المؤرخين والباحثين ومراكز البحوث العلمية.

(٢) يجب على كل باحث أن لا يعتد بعلمه أو عمله مهما بلغ، ويعلم أن الإنسان يعثره النقص، والعيوب، والخطأ. والسلوك السليم والصحيح أن يرجع الإنسان أو الباحث عن الخطأ إذا عرفه وتأكد له، بل يجب عليه أن يجتهد في التصويب والتصحيح لكل ما يكتشفه أو يصله من آخرين (والله من وراء القصد).

ثانياً: وقفات مع كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلداً)

بقلم: الأستاذ/ منصور بن أحمد العسيري^(١).

تلقيت من أستاذنا أ. د. غيثان بن علي بن جريس مجموعة مجلدات "القول المكتوب في تاريخ الجنوب" التي تم طباعتها من قبل جامعة الملك خالد، وهي عبارة عن ثلاثة وعشرين مجلداً فاخراً، والحقيقة أن مكتبتني لم تكن تخلو من هذه المجلدات، منذ تاريخ بداية صدورها، ولا أظن أحداً من المهتمين بتاريخ المنطقة تخلو مكتبته منها^(٢).

وقد تميزت الطبعة الجديدة للمجموعة بتنسيقها الموحد، وتقديم معالي مدير جامعة الملك خالد لها، وقد مهتت الأعداد من (١ إلى ١٧) كطبعة ثانية ومن (١٨ إلى ٢٣) كطبعة أولى، وبتاريخ الطباعة (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م)، فخرجت ككتاب واحد موسوعي من ثلاثة وعشرين مجلداً، يبلغ متوسط عدد صفحات كل مجلد ما بين (٥٩٠-٦٠٠) صفحة، وقد صدر بعد ذلك المجلد رقم (٢٤)، فتكون الموسوعة مكونة من (٢٤) مجلداً، علماً بأن "موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب" لا زالت تصدر وتتسع بشكل مستمر ومتتالي، مما يجعل تاريخ الجنوب حاضراً ومتجدداً من خلال هذه الموسوعة الحية^(٣).

وهذه الإصدارات المتتالية تمثل في الواقع واحداً من أهم المصادر التاريخية في الجزيرة العربية في العصر الحديث، فهي تشمل إلى جانب الكتابة التاريخية البحثية المتجددة والمتعددة الأغراض والرؤى: الرصد المعاصر لواقع ومراحل تطور الإدارة في المنطقة، وواقع ومراحل نمو التعليم العام والجامعي، وواقع ومراحل نمو السياحة والأعمال البلدية، وغيرها من القطاعات، بصفته توثيقاً لمراحل التطور الحضاري الذي تعيشه المنطقة في ظل حكومتنا الرشيدة، وهو ما نفقتر إلى وجوده في بعض الحقب السابقة مما أحدث لبساً في فهم الأحوال الإدارية والاقتصادية في بعض الفترات التاريخية القريبة، رغم وجود الإدارات والسجلات التي تلتفت دون أن يوثق ما بها بالشكل الملائم^(٤).

(١) الأستاذ منصور العسيري من مواليد مدينة تبوك عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م). تدرج في تعليمه حتى حصل على درجة الماجستير في علوم الزراعة. له اهتمامات عديدة، ومنها القراءة والبحث في تاريخ وتراث وحضارة شبه الجزيرة العربية، صدر له عدد من الكتب والبحوث العلمية القيمة. وما زال حتى الآن (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٢م) يعكف على عدد من الدراسات. وهذا الرجل على قدر عالٍ من الأدب، واللفظ، وحسن الخلق. للمزيد أنظر ترجمته في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)، (الجزء السادس عشر) ص ٢٠٨-٢٩٣. (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م) ص ٢٠٩-٢٩٤. (ابن جريس).

(٢) شكرًا لك يا أستاذ منصور وأسأل الله عز وجل، أن تكون من العلم النافع الذي أنال أجره في الدار الآخرة. (ابن جريس).

(٣) حتى هذه اللحظة نهاية شهر ربيع الثاني (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، أعكف على إنجاز المجلد رقم (٢٥) من الموسوعة، وأسأل الله التوفيق والعون حتى يصدر قريباً (بإذن الله تعالى) (ابن جريس).

(٤) يا أخي منصور أنت تشير إلى موضوع مهم جداً، وللأسف أن الجامعات والمؤسسات التعليمية ومراكز البحوث غافلة عن هذا الأمر. وهو الرصد والتوثيق لتاريخنا الحديث والمعاصر منذ منتصف القرن

ومما اتسمت به هذه الموسوعة التنوع في المحتوى فأنت تتجول بين استقراءات التاريخ، والدراسات النقدية، وقراءة المخطوطات، وفك رموز النقوش، والتهجي في أبجديات اللغة واللهجات، والغوص في بحور الشعر، والتفكه مع نواذر الأمثال الشعبية، والإطراق في شجون الذكريات، والتفاعل مع الرسائل، والتجول بالبصر بين ألوان الصور، والسير على طرق التجارة والحج، وغير ذلك مما يتعلق بالتراث^(١).

وقد حرص القائم عليها على الاستكتاب إلى جانب الكتابة منذ المجلد الأول، فكان يستكتب المزيد من الأقلام لمزيد من الرؤى والمعلومات، ويقوم بالتقديم والتعليق بأسلوبه العلمي الرصين، فظل الأستاذ عيثان بن جريس حاضرا في كل الأعداد، وكل المقالات والبحوث، ويقدم التوصيات، على كل مقال وبحث، فوجدنا إطارا يحمل أكثر من رؤيا في كل دراسة، مما زاد متعة القارئ وفائدته بما فيه^(٢).

ومما زاد من أهميتها إيمان أ. د. غيثان بن جريس بأهمية تنوع الروايات ووجهات النظر في الإثراء من خلال تكرار المصادر الموجهة لموضوع بعينه، بما يمثل ذلك من عصف ذهني، وهو ما يثري البحث، ويتيح المزيد من تلاقح الأفكار، ومن ثم الخروج بمفاهيم أوسع وأشمل، فلم يكن الأستاذ غيثان يكتفي بعرض رواية واحدة حول حدث ما، بل كان يستكتب كل من يتوقع منه إضافة وجهة نظر جديدة إلى هذا الموضوع، متقبلا وجهات النظر المختلفة، وبذلك أصبحت الموسوعة مرجعا هاما للوصول إلى المصادر والروايات المختلفة تحت عنوان واحد، فأنت مثلا تجد في الموسوعة رسالة الأستاذ محمد أحمد أنور عن أوضاع عسير في عهد الدولة السعودية الحديثة، وتجد في نفس العدد رصد عبدالله بن عبد الرحمن بن إلياس لبعض أحداث هذه المرحلة، وهو ما يعطي الباحث فرصة للمزيد من المقارنة والترجيح، بالإضافة لخلق الأنموذج

(١٤/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وقد يأتي يوم نجد صعوبة في الحصول على الحقائق والمعلومات الدقيقة الصحيحة. نعم هناك دور وثائق وأرشيف في كل مؤسسة إدارية في كل مكان، لكنها غير معننى بها فنجدها مهملة في المستودعات وأماكن لا تليق بها، وبخاصة بعد توظيف التقنية صار هناك عدم اكتراث بالمواد الورقية من سجلات، وتقارير، ووثائق وغيرها. وإذا ذهبت إلى أي مؤسسة حكومية وأهلية يقولون (كل شيء مؤرشف)، وإن بحثت في الإرشيف الرقمي تجده ناقصا وغير مرتب، وقد يضيع في لحظات سريعة، أمل أن يكون في كل وزارة أو هيئة عليا إدارة فاعلة تحرص على جمع وتوثيق الوثائق والمستندات والسجلات بطرق علمية وعملية (ابن جريس).

(١) أرجو يا أستاذ منصور أن تكون كذلك، وما زلت أعمل واجتهد على حفظ وتوثيق بعض الشيء من تراثنا وموروثنا الحضاري الجميل عبر العصور. وهذا عمل فردي، ولا بد أن يكون فيه قصور ونقص، والمسؤولية كبيرة على جامعاتنا المحلية فتؤسس مراكز بحوث علمية جيدة وفاعلة، وتدعم مسيرة البحث العلمي في شتى المجالات وبخاصة كل ما يتعلق ببلاد السروات وتهامة، التي نالها الكثير من النسيان في عالم الدراسات والتوثيق عبر أطوار التاريخ (ابن جريس).

(٢) صدقني يا أستاذ منصور أنني استفدت وتعلمت من عشرات الأعلام الذين شاركوا معي في هذه الموسوعة، فهم جميعا أصحاب فضل، بعد فضل الله عز وجل، أن أشروا مادة هذه الموسوعة وقدموا الكثير الكثير من الفوائد العلمية والمعرفة لخدمة أرض وسكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن (ابن جريس).

الذي يستفيد منه الباحث من خلال عرض التمايز ما بين أنماط السرد المختلفة بحسب الخلفيات والمرتكزات، وهذا ما يجعل كتاب (القول المكتوب) مرجعاً هاماً لا بد من الرجوع إليه لفهم تاريخ المناطق الجنوبية، وطرق رواية تاريخها^(١).

ومما ميّز هذا العمل الموسوعي أيضاً الاهتمام بتتبع ورصد الوثائق التاريخية والمخطوطات ونشرها، فكان تدفق المخطوطات مثيراً للباحث وممتعاً للقارئ بالفعل، فبين هذه المخطوطات التي تخرج من الخزائن المخبوءة والمكتبات المنعزلة، ودور الوثائق القصية، يجد القارئ الجديد والمفيد، فظلت هذه الدورية أحد المصادر الهامة للوثائق والمخطوطات^(٢).

كما أن استضافة الأعلام من المسؤولين في القطاعات المختلفة، خاصة أولئك المخضرمين من الجيل الأول الذي عاصر المراحل الأولى من تكون الوطن وبداية النهضة، بالإضافة لمن تسنموا المسؤولية في إدارات المنطقة المختلفة، أثري الموسوعة برسائلهم التي قل أن يخلو منها عدد، فنجد مثلاً في رسائل رجال التعليم الأوائل كالأستاذ محمد أنور والأستاذ إبراهيم فائع والأستاذ محمود شاكر سعيد، أو المسؤولين كالدكتور صالح بن علي أبو عراد الشهري، والأستاذ محمد بن سعيد القحطاني، والأستاذ محفوظ بن محمد آل مداوي، والدكتور محمد بن مفرح بن شبلي القحطاني، والدكتور فائز بن محمد آل سليمان عسيري، واللواء خالد بن شائع بن أحمد عسيري، وغيرهم الكثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً، تعريفاً بإدارتهم ورصداً لمراحل تطورها والتغيرات التي جرت عليها في فترات عاصروها وعاشوها وطرح لآرائهم ومقترحاتهم^(٣).

(١) إن مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) أراض ذات تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة، ومصادرها كثيرة وبخاصة آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، وكذلك رجالها وأعلامها عبر عصور التاريخ. لكن معظم هذا التاريخ لم يوثق فضاء. وما زال هناك رجال وأعلام عاصروا التحولات الحضارية التي شهدتها البلاد السروية والتهامية من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) والواجب علينا معاشرة الباحثين والمؤرخين أن نسارع في الالتقاء بهم قبل أن يغادروا هذه الدنيا، فمن المؤكد أن عندهم علوماً ومعارف لا نجدها في أي مصدر ورقي أو مادي. وهذا ما حصل معي عندما التقيت بالأستاذين عبد الله (ابن إلياس)، ومحمد أحمد أنور (غفر الله لهما)، فقد زوداني بمادة علمية جديدة في محتواها، ولم أجدها في أي مصدر مكتوب. وأمثالهما كثيرون، لكننا لم نستفد منهم قبل وفاتهم، وما زال بعضهم على قيد الحياة، حيث يستفاد ممن يستطيع أن يقدم شيئاً لخدمة البحث والتوثيق التاريخي (ابن جريس).

(٢) ما زلت أنادي وأؤكد على الاهتمام بأرشفة الوثائق، ثم خدمة الباحثين وطلاب الدراسات العليا وتزويدهم بالمصادر الوثائقية التي تساعدهم على إخراج دراسات علمية قوية ورسنية (ابن جريس).

(٣) يا أخي العزيز منصور بلادنا العزيزة (سراة وتهامة) ذات مخزون تراثي وحضاري كبير منذ آلاف السنين، وما زالت موطن حضارة وأعلام خدموا الدين والبلاد، لكننا مقصرون في عدم البحث عن هذا الموروث ودراسته وتوثيقه ثم طباعته ونشره. أقول هذا الكلام من خلال رحلة طويلة قضيتها في ميدان الطلب العلمي والمعرفة ثم البحث والتوثيق. أرجو أن نرى كليتنا وأقسامنا العلمية، وأساتذة الجامعات وطلابنا العاملين في ميدان التعليم والبحث الجامعي أن يلتفتوا إلى أهمية هذه الأوطان وتنوع حضارتها وثقافتها وتراثها، ثم يساهموا في دراسة وتحليل وتوثيق ما يستطيعون، وهذا في نظري من صلب أعمالهم المهنية؛ والوظيفية والأكاديمية (ابن جريس).

كما لم يغفل الناشر والقائم على الموسوعة خلال ذلك الكتابة. واستضافة الأعلام المتخصصة للكتابة. خارج إطار التاريخ، كأولئك الذين يرصدون الواقع ليطرحوا رؤى جديدة في التطوير والتغيير، بصفة ذلك في حد ذاته تأريخاً لواقع الحال وللرؤى المطروحة حوله، فتجد مثلاً بحثاً عن أهمية الاعلام السياحي ورؤى حول واقعه وتطويره، ونجد في آخر انطباعات ومشاهدات في منطقة عسير وما جاورها عامي (١٤٤٠-١٤٤١هـ/٢٠١٩-٢٠٢٠م)، وتوثيق لمرحلة (كوفيد ١٩) وأثرها على المجتمع، وغيرها^(١).

ومما ميز هذه الموسوعة أيضاً التنوع في دراسة المناطق الأربع سراتها وتهامتها، بمستويات مختلفة تتنوع أحياناً حسب الجغرافيا، وأحياناً حسب التقسيم الإداري، أو التاريخ القبلي، فتجد به العديد من البحوث عن تهامة وأخرى عن السراة، وأخرى عن منطقة الباحة، وأخرى عن نجران، وأخرى عن المخلاف السليماني، وأخرى عن جُرش، وأخرى عن قبيلة بني شهر وبني عمرو، وأخرى عن عنز بن وائل، بل وتجاوز المناطق الإدارية الجنوبية إلى المناطق المجاورة كالقنفذة، وقد طور الأستاذ غيثان بن جريس عدداً من هذه البحوث والمقالات التي كتبها إلى كتب عن هذه المناطق، فكانت كتباً غنية بمادتها تبعاً لغنى الموسوعة بالمواضيع عنها، فصدر كتاب عن نجران، وآخر عن الباحة، وآخر عن تهامة وبخاصة منطقة جازان وغيرها، وهكذا.

وفي المحصلة، فإن إصدارات موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) قد شكلت منعطفاً هاماً في كتابة تاريخ المناطق الجنوبية، وقد أحدثت تغييراً في طريقة كتابته وإعادة دراسته ونقده، ولا شك أنه يعد من أهم مصادر تاريخ مناطق جنوب المملكة العربية السعودية في العصر الحديث، إن لم يكن أهمها فعلاً من ناحية الشمولية وغنى المحتوى وتنوعه^(٢).

(*) التوصيات:

١. من الملاحظ أن الملاحق متنوعة وحجمها كبير، وبينها وثائق ومخطوطات قديمة وأخرى هي مراسلات مع باحثين ومسؤولين وأعلام، وأخرى مذكرات شخصية وانطباعات حول بعض الندوات أو الزيارات للناشر أو سواه، وأخرى مقاطع من

(١) يجب على المؤرخ أن لا يعزل نفسه في موضوع أو حقبة محددة وضيقة، وهذا ما يفعله بعض الباحثين وأساتذة الجامعات، فيقول الواحد: أنا تخصصي كذا وكذا، يقصد رسالته في الدكتوراه والماجستير، ثم يقضي حياته كلها مع هذا التخصص الصغير والمحدود في زمانه ومكانه، وعلماء المسلمين الأوائل قدوة لنا، فكان الواحد منهم يكتب في اللغة والأدب، وعلوم الشريعة والتاريخ وعلم الأنساب، والرحلات والجغرافيا وغيرها من العلوم، ومن ثم خلفوا لنا موروثاً عظيماً قل أن نجده عند أمة أخرى (ابن جريس).

(٢) ما قدمته من بحوث وكتب مطبوعة ومنشورة عن هذه البلاد العزيزة والغالية (السروات وتهامة) لا يمثّل إلاّ نزراً بسيطاً جداً. فهي أوطان لها عمق وتراث قديم ووسيط وحديث ومعاصر، يوثق في مئات الكتب والموسوعات. أمل أن يكون هذا العمل الذي شاركت به (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وغيره من البحوث والدراسات الأخرى لبنات مفيدة يستفيد منها المؤرخون والباحثون في قادم الأيام، ثم ينجزون أعمالاً أفضل وأشمل وأعمق (ابن جريس).

مقالات صحفية أو نشرات، وهكذا، وقد تصل حجم الملاحق إلى أكثر من مئة صفحة، وهي موجودة في جميع الأعداد، وكانت بفهرسة خاصة بها في بداية الملاحق، إلا أن فهرستها الخاصة انقطعت بعد الجزء (١٨)، فهي فيما بعد ذلك غير مفهرسة، ويتم الإشارة لها في الفهرس الرئيسي بشكل عام تحت خانة "الملاحق"، مع أنها كثيرة ومختلفة بذاتها عن المواضيع الأساسية في المتن، ومختلفة فيما بينها في الغرض والنوع حسب ما ذكرنا أو خلافه، ومن ثم فإن هذه الملاحق بحاجة إلى المزيد من التنظيم وإعادة ترتيب وجودها وفهرستها بشكل مفصل^(١).

٢. التقديم والتعليق واستنباط الخلاصة في مقالات الباحثين كان مثيراً جداً لهذه البحوث خاصة وأن التعليق من قامة علمية بحجم أ. د. غيثان بن جريس، فحضوره يثري البحث ويزيد معلومات القارئ بما يملك من علم وأسلوب رصين، ومن نافذة القول أن باحثي التاريخ في الجنوب السعودي وربما في غيره يستمعون لتوجيهات الدكتور غيثان بن جريس بأذان صاغية بل ويبحثون عنها في محاضراته وندواته ومقالاته وكتبه الكثيرة وفي خصوصياته ليثروا معرفتهم، وليستفيدوا من علمه وخبرته الكبيرة في طرق البحث وحسن الصياغة، ولكن هناك من الآراء ما يظل دائماً محل جدل وأخذ ورد، وأرى أن التعقيب ذا الطابع التصويبي للباحثين في دراسة نقدية مستقلة يكون أكثر ملاءمة للباحث وللقارئ ولإصدارات هذه الموسوعة الحية، وهذا لا شأن له بالتقديم والتعليق وإعطاء الخلاصة للبحوث، فهي إضافة أصبحت ضرورية في الموسوعة، ولها أثر قوي في رفع قيمة البحوث في الموسوعة^(٢).

٣. أرى أن الموسوعة قد أعطت الكثير لتاريخ الجنوب، وسدت الكثير من الثغرات في هذا الجانب، ولا شك أن هنالك المزيد مما سيظهر خلال السنوات القادمة، ولكن هذا الإصدار الدوري الموسوعي نتوق لأن نراه وقد امتد لتاريخ كامل المملكة، عنواناً وممتاً، ليكون نبأاً للتخلي عن تكريس الهويات الجزئية في وطن واحد، فلا شك أن هنالك خصوصية تمتد على حيز جغرافي أياً كان في المملكة العربية السعودية، ولكنها تظل دائماً خصوصية نسبية، تتأثر بعامل المسافة الجغرافية وتعاقب مراحل

(١) هذا الاقتراح الذي أشرت إليه يا أستاذ منصور صحيح ووجيه، لكنني أعلم معاناة الباحثين وبخاصة طلاب الدراسات العليا في الحصول على الوثائق والسجلات التي قد تساعدهم في إنجاز رسائلهم وبحوثهم العلمية، لهذا حرصت أن أنشر أكبر قدر ممكن من هذه الوثائق الجديدة، التي لم يسبق نشرها، وأنا متأكد أن معظمها سوف يكون في قادم الأيام مجالاً رحباً لإصدار دراسات وبحوثاً علمية جيدة وأصيلة. ولا أختلف معك فهي بحاجة إلى ترتيب وتنسيق، لكن لا أستطيع ذلك في الوقت الحاضر لانشغالي بأعمال علمية جديدة أخرى. (ابن جريس).

(٢) غفر الله لك يا أبا أحمد، فقولك عين الحقيقة والصواب، وما زالت المادة المدونة والموثقة في الموسوعة مع تنوعها، وتعدد مشاربها تحتاج إلى مراجعات وتحقيقات علمية رصينة. وقد أستطيع إنجاز شيء من ذلك، لكن تقدم السن، وتراجع الصحة، والانشغال وغيرها معوقات كبيرة تعيقني من تحقيق هذا الاقتراح المهم والصحيح. أمل أن يظهر من بناتنا وأبنائنا طلاب الدراسات العليا الفضلاء، في جامعاتنا المحلية، من ينجز ويحقق شيئاً من هذه التوصية الجيدة وغيرها في قادم الأيام. (ابن جريس).

التاريخ. وخصوصية هذا الحيز الجغرافي (أو الإقليم الإداري) أو ذاك يمكن رصدها من خلال عمل أو أعمال متخصصة كما حدث في هذه الموسوعة، وهو حق لكل جزء من الوطن مهما صغر حجمه، ولكن صفة الاستمرارية في إصدار دورية متخصصة بحجم كبير تعني الثبات على الاستثناء وخصوصية الانتماء، خاصة ونحن نكتب التاريخ، ذلك العلم الذي يرتبط بتأطيره بتأطير الهوية بشكل رئيسي، وهو ما قد ينمي العزلة والتقوقع على الذات لدى الجميع، لذا أرى أن هذا الإصدار سيكون أكثر تأثيراً لو تحول إلى عمل وطني يشمل كامل أجزاء الوطن، على غرار مجلة "العرب" للشيخ حمد الجاسر، و(المنهل) للشيخ الأديب عبد القدوس الأنصاري، رحمهما الله، والتي كانت ولا زالت تقوم بتغطية شاملة لكافة مناطق المملكة العربية السعودية، وكان لمناطق الجنوب فيها حضور مكافئ، فالوطن يتسع للعديد من الإصدارات المتخصصة في كل فن من الفنون، وكما سيكون جميلاً أن نجد عنواناً يحمل هم تراث كامل الوطن ينبثق من منطقة عسير من جنوب المملكة العربية السعودية، فيشارك فيه الجميع للتعريف بتراث قراهم ومدنهم ومناطقهم وبقية مناطق ومدن الوطن بشكل مستمر، فيشعر الجميع بقواسم التاريخ والمستقبل المشترك، وبحضورنا في إطار واحد هنا، كما نحن هنالك، ولعله يكون امتداداً للقول المكتوب أو موازياً له^(١).

(*) **أخيراً؛** فإن هذا الجهد الكبير يستحق منا جميعاً الشكر والتقدير لهذا الرجل النابه المخلص لوطنه وأُمَّته أ. د. غيثان بن جريس (مؤرخ تهامة والسراة) الذي اقتطع جزءاً كبيراً من وقته وجهده وماله لحفظ تراث جزء من الوطن، ولخدمة العلم وتوفير المعلومة ليجدها القارئ بكل يسر وسهولة.

وأسأل الله له ولنا القبول ودوام التوفيق والسداد. منصور بن أحمد العسيري. جدة بتاريخ (١٢/٤/١٤٤٣هـ)^(٢).

(١) يا أخي العزيز، غفر الله لي ولك، فكم أنت صادق ومبدع في كل ما يخدم الصالح العام. وهذا الاقتراح الذي أشرت إليه ممتاز. والسبب أن بلادنا (المملكة العربية السعودية) كانت قبل توحيدها في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (يرحمه الله) يسودها الاضطراب والحروب والصراعات المتنوعة، بل كان الأمن فيها شبه مفقود، ثم تحولت بفضل الله عز وجل إلى بلاد تتمتع بالأمن والأمان، وخدمة الاسلام، وهي وايم الله، تستحق أن يدون تاريخها وحضارتها بشكل عام في عشرات بل مئات الكتب والبحوث العلمية وفكرت وأعمل منذ عدة سنوات أن أصدر موسوعة تاريخية حضارية معاصرة، قامت ومازالت تقوم على الرحلة والتجوال في ربوع المملكة، أمل أن يمد الله في العمر حتى تصدر في بضعة مجلدات (ابن جريس).

(٢) أنني يا أخي منصور بن أحمد العسيري في أمس الحاجة إلى توضيحات وتصويبات الصادقين المنصفين أمثالك وأقول إنني إنسان ضعيف بجهده الشخصي والمعرفي، ويحتاج إلى عون أخوانه المؤرخين والباحثين الجادين الذين يرشدونه ويزودونه بعيوبه، والأخطاء، أو الغموض أو النواقص في أعماله العلمية. وهذا نداء طرحته في كثير من أبحاثي المطبوعة والمنشورة، وما زلت أطلبه وأحث عليه، ولا أجد أي غضاضة أو حرج أبداً، لمن يبين لي عيوبي، ويدلني إلى المنهج الصحيح والطريق الصواب، كما أنني أشكر من يقوم بذلك، وأحفظ حقه قولاً وعملاً. وأسأل الله عز وجل أن يسخرنا لكل خير، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن يجعلنا من عباد الصالحين الذين يتبعون أحسن وأفضل الأعمال والأقوال التي تقرّبهم إلى مرضاة الخالق الرحمن الرحيم. (ابن جريس).

ثالثاً: غيثان بن جريس وموسوعته التاريخية. بقلم أ. د. عبد الحميد

سيف الحسامي^(١)

لا يفتأ الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس يقلب صفحات الحياة في جنوب المملكة العربية السعودية في ثنايا كتاب حتى يعززه بكتاب آخر، وقد توالى إصداراته عن التاريخ والحضارة وعن الجنوب السعودي (تهامة وسراة)، وتاريخ الحياة، وتفاصيلها حتى بلغت تلك المؤلفات ستين كتاباً^(٢).

سعدت كثيراً بإهدائي موسوعته التاريخية والحضارية لتاريخ المنطقة الجنوبية السعودية (تهامة والسراة)، والموسومة ب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، والتي تأخذ أهميتها من كونها توثيقاً لتفاصيل الحياة والأحياء، وموسوعة تقدم للباحثين مادة لا يستغنون عنها في كتاباتهم البحثية^(٣).

ينطلق غيثان بن جريس في رؤيته التوثيقية للمنطقة من أهمية الدراسات التاريخية والحضارية حيث يقول: "إن دراسة التاريخ، وفهمه، والغوص في معانيه وأحداثه من العلوم المهمة التي يجب التأمل فيها، والإلمام بما تحويه من دروس وعظات، وما يمكن الخروج به والاستفادة منه في حاضرنا ومستقبلنا. والذي يدرس التاريخ بعين ثاقبة تحليلية يستطيع أن يخرج منه بالعديد من الخبرات والفوائد التي لا يجدها في أي علم آخر"^(٤).

(١) الدكتور الحسامي من مواليد تعز باليمن (١٩٧١م). درس بداية حياته في اليمن، ثم انتقل إلى كل من السودان، ثم العراق لدراسته درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد الحديث. يعمل حالياً في قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة الملك خالد، جاء للعمل في هذه الجامعة من قبل أربعة عشر عاماً، وما زال يعمل بجد ومتابعة واجتهاد. أصدر عشرات الكتب والبحوث في مجال تخصصه، وهو رجل يسعى إلى خدمة الآخرين، وصاحب أخلاق فاضلة. وحسب علمي مؤخراً أنه يقدم محاضرات عديدة في قسمه، ويشرف على رسائل عديدة بالإضافة إلى عمله مستشاراً لدى وكيل الجامعة، والأخ الدكتور عبد الحميد جدير بذلك أهل لذلك، لأنني أعرفه وأتعامل معه عن قرب منذ زمن. للمزيد عن سيرته الذاتية انظر: غيثان بن جريس: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحمضي، ١٤٢٢هـ/٢٠١٢م)، الجزء الثالث، ص ٨٦. (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ٧٥. (ابن جريس).

(٢) شكراً لك يا حسامي، وجعل عملي وعملك خالص لوجه الله الكريم، وأقول أنني أعمل في ميدان علوم التاريخ والحضارة منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، وأصدرت حتى الآن أكثر من ستين كتاباً، وأكثر من ثلاثمائة بحث مطبوعة ومنشورة، والكثير منها عن تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها السروي والتهامي. وهي متوفرة ورقياً، وعلى موقعي الإلكتروني (prof-ghithan.com) (ابن جريس).

(٣) موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) مساهمة بسيطة وقليلة لخدمة أهلي وبلادي في جنوب المملكة العربية السعودية (سراة وتهامة)، وأسأل الله أن تكون من العمل النافع الذي يكون حجة لي لا حجة علي يوم العرض الأكبر أمام رب السموات والأرض. (ابن جريس).

(٤) إن علم التاريخ سيد العلوم، لكن لمن يدرك ذلك، ويغوص في بحوره المختلفة، والتاريخ ميدان كبير، فلا

لقد شَرَّقَ غيثان بن جريس وغرَّب، وأنجَدَّ وأتَهَمَ، وجمع التاريخ والجغرافيا، والعادات والتقاليد، والحاضر والماضي، وصال وجال، وشأنه - شأن الباحثين - الذين يجتهدون فيصيبون، ويقدمون ويحجمون، لكن غيثان بن جريس كثيراً ما يقدم، فيجمع المادة التاريخية، ويتعب نفسه ومن حوله في ركض ممتد، وقد جاوز الستين ونيفاً، ولم يزل شعلة من النشاط والحركة، والمثابرة، فما شاء الله تبارك الله، وكلما ساح المرء في التاريخ فإنه يكتسب أعماراً جديدة، وحيوات متجددة^(١): ألم يقل الشاعر:

مَنْ لَمْ يَعْ التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ لَمْ يَدْرِ حُلُوَ الْعَيْشِ مِنْ مُرِّهِ
وَمَنْ وَعَى التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ أَضَافَ أَعْمَاراً إِلَى عُمْرِهِ

صديقي الصدوق غيثان بن جريس، أدعوك بالتوفيق والسداد، وأسأل الله أن يحقق رجاءك في الدنيا والآخرة، فطالما عرفناك ناصحاً أميناً، وصديقاً صدوقاً، وشجاعاً لا يهاب .

أُسجل هنا كل امتناني لإهدائك إياي موسوعتك التاريخية الثمينة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، وأدعوك بتوفيق ممتد، وأقول لك - هنا - كما أقول لك دوماً: إنني بانتظار الكتاب الذي ينبغي أن يدونه غيثان بن جريس تتويجاً لهذا الجهد الجامع، وختاماً لهذه الرحلة المباركة^(٢). والله من وراء القصد.

^(١) يُستغنى عنه في شتى المجالات، وكل شيء في الحياة له ماضٍ وتاريخ. ثم إن العامل في مجال التاريخ قراءة، وكتابية، وتوثيقاً، وتحليلاً يجب عليه أن يستشعر مهمة وصعوبة هذه المهنة، ومن ثم لا بد أن يكون صادقاً، حاذقاً، أميناً. (ابن جريس).

(١) نسأل الله حسن الختام، وصلاح الأعمال. كما أسأله أن يعينني على جهاد نفسي حتى أطرها على الحق والصواب. وما أشرت إليه يا دكتور حسامي، وتجاوز سني الستين ونيفاً، هذا والله نذير لرحيل العمر، ونسأل ربنا عز وجل أن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يجعلنا مستعدين لساعة الرحيل بأقوال وأعمال صالحة تثقل موازيننا يوم القيامة (ابن جريس).

(٢) أتمنى أن يطيل الله في العمر حتى أنجز أعمالاً عديدة مهمة منها: ١- خلاصة ما خرجت به من تجارب، وخبرات، ومشاهدات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وبخاصة في ميدان العلم والطلب المعرفي. وهي فترة تزيد عن (٤٧) عاماً في رحاب الجامعات ومؤسسات تعليمية عالية عديدة عربية وإسلامية وأجنبية. ٢- هناك مشروع عنوانته ب (تاريخ الناس) وقد رسمت جزءاً من خطته من قبل عدة سنوات، وما زالت أمل أنجازها وإصداره. ٣- رحلاتي الداخلية والخارجية، وقد جمعت الكثير منها، وما زال بعضها في أرشيف مكتبي، أرجو أن يعينني الله عز وجل حتى أستكملها، ثم أطبعها وأنشرها. (ابن جريس).

رابعاً: نظرات في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) بقلم أ. د. قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم^(١).

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، واستن بسنته واهتدى. أما بعد؛ فقد وصلني خطابكم سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس المؤرخ ب (٢٠/١/١٤٤٣هـ) الذي ذكرتم فيه بعد السلام إهداء نسخة من كتابكم الموسوم ب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ذلكم الخطاب الكريم الذي تطلبون فيه إبلاغ سعادتك بوصول هذه الهدية خطياً؛ فإنني أفيدكم سعادة (البروف) بعد إهدائك السلام والتحية والتقدير أن هديتكم القيمة التي هي موسوعة علمية مكونة من ثلاثة وعشرين مجلداً من مؤلفكم القيم: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، قد وصلتني وهي تعد بحق كالروض المعطار بعد إنهمار الغيث المدرار، تلك الموسوعة التي تسعد الأسماع والأبصار بما تحويه من أخبار الأقطار الجنوبية من مملكتنا العزيزة/ المملكة العربية السعودية، وإن كانت تلك الموسوعة قد امتدت بالبحث إلى ما قبل الإسلام في بعض أسفارها وهي عندي كالروض الأنف؛ الذي يحوي من كل روض زهرة، ومن كل بحر ونهر قطرة؛ إنها بحق قطر الندى وبل الصدى، وهي كالرحيق المختوم، إنها نزهة الناظر، وشحن خاطر، وبهجة المجالس، وأنس المجالس، طوّف بها مؤرخ موهوب في محافظات الجنوب بما تحويه من إرث كبير، وتراث عمراني عظيم، وموروث اجتماعي ذاخري فريد؛ عبر حقب تاريخية موهلة في القدم، يمتد بعضها - كما قلت أنفاً - إلى عصور ما قبل الإسلام، وهكذا امتدت عبر العصور إلى الزمن الراهن الحاضر، وكانت تلك البحوث متنوعة بتشكلاتها المختلفة لا من حيث المؤلفين فحسب^(٢) بل - أيضاً - من حيث الحيوانات المختلفة السياسية والاقتصادية

(١) الدكتور قاسم آل قاسم الألمي من مواليد رجال الميع عام (١٢٨٠هـ/١٩٦٠م). بدأ تعليمه العام والجامعي في حاضرة أبها. ونال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، عمل في العديد من المناشط العلمية، والإدارية بجامعة الملك خالد، له العديد من البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة. وهو حالياً متقاعد، ومتعاون مع قسمه في كلية العلوم الانسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، يقوم بأعمال التدريس والإشراف على طالبات وطلاب الدراسات العليا. والدكتور قاسم على قدر عال من الأمانة، وحسن الخلق، ولطف المعشر. للمزيد عن سيرته انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضى)، ١٤٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م، (الجزء الثالث)، ص ٥٦ (الطبعة الثانية/١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م)، ص ٥٠. (ابن جريس).

(٢) يا دكتور قاسم عرفتك صادقاً نبيلاً، منذ قابلتك قبل ربع قرن، بل شاركت معي في الموسوعة المذكورة أعلاه بعدد من الدراسات والمراجعات وما زلت أذكر دراستك الجيدة الموسومة ب (لمحة من تاريخ محافظة رجال الميع وأدبها) المنشورة في الجزء الثالث من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) قبل عشر سنوات. وأذكر أنني تحدثت معك عن هذا الموضوع ورجوتك أن تطوره كتاباً عن أوطانكم اللامعة (محافظة رجال الميع)، وحتى الآن يا أبا أحمد ما زلت أتشوق وانتظر هذا الكتاب الذي سوف يسد ثغرة مهمة عن هذه البلاد العربية المجادة. كما أنني أرجو منك ومن أساتذة الجامعة الأمليين، وهم كثيرون أن تخدموا بلادكم

والاجتماعية والعلمية والمعرفية والتراثية والثقافية؛ حيث ألقت تلك الموسوعة الأضواء على ما كتبه المؤرخون العرب القدامى والمحدثون مما له صلة بتلك الأنحاء التي تقع تحت المحدد المكاني أو المحدد الزماني أو المحدد التصويري لتلك الموسوعة، ومن البحوث ما ألقى الأشعة والأنوار على ما كتبه بعض الرحالة من المستشرقين الذين أمموا بوجوههم قبل المشرق العربي؛ وبالذات الجزيرة العربية، مهد الحضارات الإنسانية المتعاقبة؛ حيث شاركت الجزيرة العربية بسهم وافر في التقدم الإنساني، حيث دفعت الحضارة البشرية أشواطاً بعيدة، إذ كانت حلقة الوصل بين المشرق والمغرب؛ فهي ملتقى الحضارات المتعددة الهندية والصينية والفارسية واليونانية والرومانية؛ إذ كانت السوق العالمية الكبرى، التي تلقت في منتجات الشرق والغرب، ذلك السوق الذي كان يزخر بكل ما يتطلبه الإنسان من مشارق الأرض إلى مغاربها، وليست سوق (تيماء) قديماً من الباحثين ببعيد، وهذه السوق تقع شمال الجزيرة العربية بالإضافة إلى خطوط التجارة العالمية التي كانت تجوب الجزيرة جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً^(١).

ثم أنني أود أن أشير إلى أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا جاهليين كما يروج له بعض الباحثين إلا فيما يتعلق بالبعد الديني؛ وبخاصة بعد أن عبد بعضهم الأصنام والأوثان بعد أن كانوا موحدين الله - جل جلاله - فقد ساهمت الجزيرة العربية قديماً وحديثاً في التقدم الإنساني، والتطور البشري عبر حقبة المتعددة في كل المجالات، والناظر في الكتب اليونانية القديمة والوثائق الرومانية القديمة حسب الدكتور نجيب محمد البهيتي في كتابه القيم: (تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري)^(٢) سيدهش من خلال المعلومات المنبئية على الوثائق القديمة التي تشي بإرث عربي قديم لا يقل قيمة عن إرث اليونان أو الرومان أو قدماء المصريين أو الهنود والصينيين^(٣)، إذ كانت الجزيرة

تاريخياً، وثقافياً، وأدبياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياحياً، وتعليمياً، وإدارياً، وتتموياً فكل هذه الميادين جديدة ومهمة أن يصدر عنها بحوث علمية عميقة ورصينة، وأعلم أن هناك أعلاماً وباحثين جيدين في وطنكم يستطيعون تحقيق هذا المطلب، والله يحفظكم جميعاً ويرعاكم. (ابن جريس).

(١) شكراً لك يا دكتور قاسم، فلقد أشرت إلى شذرات مهمة عن أهمية شبه الجزيرة العربية على مر العصور. لكنها للأسف لم تخدم بشكل جيد في ميدان البحوث العلمية القوية والعميقة، وبخاصة بعض أجزائها الثائية أو المنزوية، وبلاد السراة وتهامة من أقل الأوطان التي خدمت معرفياً وثوثيقياً وبحثياً، مع أنها ذات حضارة وتاريخ عريق يعود إلى آلاف السنين قبل الإسلام. وهذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) محاولة بسيطة للفت أنظار الباحثين والجامعات المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية فتؤسس أقساماً ومراكزاً قوية ومدعومة مادياً وبشرياً بكل ما يدعم البحث والتتقيب عن تاريخ وموروث هذه البلاد العربية الماجدة. (ابن جريس).

(٢) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الرابعة (الرياض، ١٩٧٠م) ص ٣-٢٤. (آل قاسم).

(٣) ما من شك أن شبه الجزيرة العربية المذكورة في العديد من مصادر الحضارات القديمة، وما زلنا نحتاج إلى من يغوص في كتب ومراجع تلك الحضارات، ثم يستخرج لنا ما ورد عن جزيرة العرب في تراث تلك الأمم والحضارات، ومن يفعل ذلك، فسوف يسدى لنا معاشر الباحثين معروفاً وفضلاً كبيراً. (ابن جريس).

العربية هي الرابطة بين قارات العالم القديم (آسيا وإفريقيا وأوروبا)؛ ولهذا لا نستغرب إذا تم الكشف عن تلك الآثار عبر أقسام الآثار في الجامعات السعودية، وفرق الكشف عن آثار الجزيرة العربية التي تبنت لها بعض الكشوفات واللقى والآثار التي تمتد إلى آلاف السنين بل بعضها يمتد إلى مئات الآلاف من السنين سواء أكان ذلك في جنوب الجزيرة العربية أم شمالها أم شرقها أم غربها أو وسطها، وقد نشرت عبر الوسائل الإعلامية في المملكة العربية السعودية المرئية والمقروءة، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أن آدم عليه السلام التقى زوجته حواء بعد أن أهبطا من الجنة على أرض الجزيرة في عرفات، فيالله كيف يظلم بعض الباحثين هذه البلاد المباركة، ولا أريد أن أتحدث عن قدم مكة/ بكة وعمقها التاريخي، وبالذات البيت الحرام، وما قبل رفع قواعد البيت العتيق من قبل إبراهيم- عليه السلام- وابنه إسماعيل، ومرور الأنبياء -عليهم السلام- به^(١).

وقل مثل ذلك إذا ما وجه البحث والحديث ل (نجران)؛ فإن العين لا تخطئ عمق حضارتها الموعلة في الزمن، والضاربة في القدم؛ وبالذات عين الباحث، كيف لا وقد خلد الباري- جل الله- ذكرها في آيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وبالذات الحديث عن (الأخدود) وماذا يقول الباحثون عن (مدائن صالح والفاو) وغيرها؛ إن الجزيرة العربية ذخيرة معرفية لا تنفد، ومستودع ثقافي كبير، وخزان حضاري بدأ مع الإنسان البدائي الأول؛ وامتداد ذلك إلى عهد سليمان- عليه السلام- وبلقيس^(٢)، وإن موسوعة النقوش والآثار التي طبعتها جامعة الملك خالد بالتعاون مع إمارة منطقة عسير، والتي كان لي شرف الإسهام فيها مع الزملاء الذين نهضوا بهذا العمل لتشي بالكثير، وقد كشفت عن آثار ونقوش كثيرة امتدت على ثمانية مجلدات، هذا ما تبقى على ظهر الأرض عبر الجبال والوهاد ومواطن التعدين في جنوب الجزيرة العربية؛ فضلا عن المغمور داخل رمالها، بالإضافة إلى الكهوف التي سكنها الانسان البدائي في التاريخ الحجري القديم^(٣).

(١) ذكرتني يا أبا أحمد بعراقية شبه الجزيرة العربية، فعندما كنت أدرس مرحلتي الماجستير والدكتوراه في أمريكا ثم بريطانيا، ذهبت إلى بعض الجامعات التي تحتوي على مخطوطات وتراث قديم إسلامي، وشاهدت بعضها مليئا بالتفصيلات الخاصة بأحوال بلاد شبه الجزيرة العربية وسكانها منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكرة، واتضح لي أن الدول الغربية الاستعمارية جمعت الكثير من هذا التراث من البلدان العربية الإسلامية عندما كانت مسيطرة عليها سياسيا وعسكريا. لكن للأمانة لم يتلفوا هذا التراث وإنما رموه وحفظوه، وهي في متناول أيدي الدارسين والباحثين. والشاهد أن بلادنا العربية والإسلامية وبخاصة شبه الجزيرة العربية عريقة وأصيلة في تاريخها وحضارتها. (ابن جريس).

(٢) لا أخالفك يا أخي العزيز في كل ما أشرت إليه في المتن لكن من يقول أن أبها كانت من بلاد بلقيس، أو ما شابه هذا الحديث، فهذه معلومات لم تثبت صحتها حتى الآن، وما زالت معلومات دعائية إعلامية، ولا تصمد أمام البحث العلمي العميق والنزيه. وهناك روايات وأقوال في أمكنة عديدة أخرى على شاكلة ما ذكر عن أبها وبلقيس. وجامعاتنا المحلية ومراكز بحوثها العلمية تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية لخدمة البحث العلمي وتوجيهه على طريق الجد والحقيقة والمصداقية. (ابن جريس).

(٣) يادكتور قاسم ذهبت في مناكب السروات وتهامه وبعض مدن وقرى الحجاز خلال الأربعين عاماً الماضية

وإن ما قام به الاستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس من عمل مبارك يصب في هذا المصب، وينسرب في هذا المسرب، وقد استقى بعض المعلومات من كبار السن، ومن الباحثين من أبناء المحافظات الجنوبية، وما ينبئك مثل خبير.

وإن ما لم يظهر من المخطوطات إلى الآن، وما لم يقرأ من النقوش الكثيرة سيخبران عن تجذر إنسان هذه البلاد المباركة الكريمة، وإن مواطن التعدين، وبعض اللقى من الأحجار والفخار والمقابر التي تتجه قبورها إلى مشرق الشمس؛ لتدل على إيفال هذه الأماكن في التاريخ الغابر، بالإضافة إلى المزارع وقنوات المياه، والطرق في الجبال كل ذلك يشير إلى حضارة إنسان الجنوب كغيره من إخوانه في الجزيرة العربية حرسها الله^(١).

كما أن التنوع التراثي في المساكن بتشكلاتها المختلفة فمنها: الحجري في طوابقها كلها، ومنها ما هو حجري والطوابق العلوية من الطين، وبعضها من الطين بكامله حسب ما تجود به البيئة في كل منطقة تدل على ثراء كبير.

أما عن التراث الشعبي الحركي المتمثل في الألوان الشعبية، وتنوع ذلك من تنوع الزي واللباس كل ذلك يكشف عن ثراء منقطع النظير لإنسان هذا الجزء الغالي من وطننا الحبيب؛ وكل ذلك مواطن بحوث ستكون في غاية الأهمية مستقبلاً من قبل الباحثين في التخصصات المختلفة^(٢).

وقد حاولت تلك الموسوعة (الغيثانية) رصد ذلك ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، فضلاً عن العادات والتقاليد والأسواق، واللهجات واللغات، والظواهر الصوتية للإنسان الجنوبي التي تمتد إلى حقب قديمة بالإضافة إلى القصص، والحكم والأمثال، وعادات الزواج، والأفراح والأتراح، والخطب بتنوعها الثري التي كانت تلقى في تلك المناسبات كل ذلك يمكن

(١٤٠٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٨٠-٢٠٢١م)، وشاهدت الكثير من الآثار السطحية والمدفونة التي تتم عن تاريخ وحضارة قديمة وعريقة لهذه البلاد، وإذا كان درس وخرج بعض الشيء من تراث وموروث هذه الأوطان فما زال الكثير مغموراً ومنسياً وغير مخدوم. واليوم في بلادنا الكثير من الجامعات التي تحتوي على عشرات الكليات ومئات الأقسام، ويجب أن لا تحصر أعمالها وجهودها داخل أسوارها، وإنما يجب أن تمتد خدماتها وأثارها الإيجابية إلى رعاية الأرض والإنسان عملياً وبحثاً، وفي شتى المجالات. (ابن جريس).

(١) وهذا والله ما شاهدت ووقفت على بعضها في مواطن عديدة من بلاد السروات وتهامة، بل أن بعض هذا الموروث الحضاري أصابه التلف والخراب، والواجب أن تهب كل الجهات المسؤولية في البلاد إلى الحفاظ على ما تبقى، ثم تؤسس الجامعات والوزارات المعنية هيئات ومراكز بحوث تخدم هذا التراث بالحفظ، ثم الدراسة والتحليل، وأخيراً الطباعة والنشر. (ابن جريس).

(٢) أشرت إلى أنواع العمارة، وأيضاً إلى الفنون الشعبية، وبلاد السراة وتهامة مليئة جداً بهذا التراث الحضاري، الذي يعود بعضه إلى الهراء مئات السنين، لكنني لا أجد من يقوم عليه ويرعاه بالصيانة، ثم الحفظ والتوثيق، وهو جزء مهم جداً من تراث وحضارة بلادنا عبر العصور الماضية. (ابن جريس).

أن يفسر لنا أصالة إنسان الجزيرة العربية، وارتباطه بوطنه منذ عصر الخليقة الأول متدرجاً عبر حقب التاريخ بتشكلاتها المختلفة منذ العصر الحجري إلى يوم الناس هذا^(١).

ثم ألم يرد في الحديث الشريف أن الجزيرة العربية كانت مروجاً وأنهاراً وأنها ستعود في آخر الزمان مروجاً وأنهاراً، وإن الصور التي التقطت من الفضاء الخارجي عن طريق علماء (ناسا) أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك عن ذلك، وكذا الكشوفات الحديثة باتت تثبت تلك الحقائق، وقد كشفت بعض الآثار أن استئناس الخيول قد تم على هذه الأرض التي تعاقبت عليها الحضارات الكثيرة؛ إذ كشفت بعض الآثار عن تشكيل أحجار كبيرة قد تصل إلى المتر أو أكثر على هيئة رأس الحصان وأنها تمتد إلى أكثر من عشرة آلاف سنة، وقد نقضت هذه الحقيقة ما ذكر في كتاب (غنيس) من أن الخيول استؤنست في أواسط آسيا قبل خمسة آلاف سنة، وكذلك وجد في ذلك الموقع أيضاً - الذي كان بالقرب من (تثليث) أحجار على شكل أسماك، وقد وصل علماء الآثار هناك إلى وجود نهر قديم كان يصب في الربع الخالي، وما تخبئ رمال الجزيرة العربية أكبر بكثير مما اكتشف، وفي كل يوم - تقريباً - تتكشف الآثار، وتكتشف بعض المدن الحجرية التي غطتها رمال الصحاري في المملكة العربية السعودية؛ فما أبدعته يد الإنسان سيظل في صراع كبير مع عوامل المحو الذي تحاول الرمال والرياح والأمطار طمس آثاره؛ ولكن تأبى تلك الآثار بأمر ربها وقدرته إلا البقاء شواهد على تميز إنسان الجزيرة العربية وآثار يديه المبدعة^(٢).

بالإضافة إلى جناية بعض أيدي العابثين بتلك الآثار والنقوش التي لا تقدر بثمن، وهي بحق مدخرات وطنية يجب تكاتف الجهود للحفاظ عليها، وصيانتها ورعايتها حق الرعاية^(٣)، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) إن بلادنا والحمد لله تسير نحو البناء والتشييد المعرفي، ومن يقارن أوضاعنا الحالية مع عقود قريبة سبقت يجد الحياة العلمية والبحثية تطورت، لكننا نطمع ونتطلع إلى المزيد، كما أرجو أن نرى أعمالاً مؤسسية مدعومة لخدمة البحث العلمي في وطننا، وإذا تم ذلك، فالأمور سوف تكون أحسن وأعمق بكثير (بإذن الله تعالى). (ابن جريس).

(٢) ما زلت أنادي منذ أربعين عاماً إلى وجوب الاهتمام بالآثار المدفونة، وبلاد شبه الجزيرة العربية وبخاصة السروات وتهامة ما زالت بكرًا في هذا الميدان. وإن خدم هذا الموضوع مغنوا وماديا فسوف يكتشف قري ومدنا حضارية يعود تاريخها إلى الورا آلاف السنين. أرجو من هيئة السياحة، ووزارة التعليم، ووزارة الثقافة، أن تقدم أعمالاً عملية وإيجابية في هذا المجال وإن فعلت فسوف نجد ما يسر البلاد حضاريا وعلميا وتنمويًا. (ابن جريس).

(٣) إهمال الآثار والاعتداء عليها، حدث ولا حرج، وهذا ما عرفته وشاهدته في مواقع عديدة في طول البلاد وعرضها، منذ مطلع هذا القرن الهجري، وأنا أشاهد واسير في مناكب السروات وتهامة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية. (ابن جريس).

خامساً: رسائل مختصرة عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). بقلم. أ. د. عباس بن علي السوسوة^(١).

عندما جئت للعمل في قسم اللغة العربية وآدابها، بكلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)^(٢). كنت أرى صاحب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، أعني أ. د. غيثان بن علي بن جريس، يجوس خلال المكاتب في قسم التاريخ وفي قسم اللغة العربية، فرأيت أنه يعرف أكثر شاغلي المكاتب، وبينه وبين بعضهم صلات أكثر من صلة الجوار في المبنى، ورأيت مجلدين من هذا السفر متواصل الصدور في كل عام في مكتب د. حسين الزراعي^(٣)، وتناولت أحدهما بفضول وقلبت فيه، فاستفدت منه أموراً لم أكن أعرفها عن مناطق الجنوب السعودي، وتاريخها سواء أكان قديماً أو وسيطاً أم معاصراً^(٤).

ومفهوم التاريخ عند صاحب السفر أوسع من مجرد تاريخ الحكام وصراعاتهم بل هو حياة الناس جميعاً وطرق معيشتهم في الزراعة والرعي والحرف والمهن والوظائف والمساكن، والحياة الاجتماعية من حيث علاقات القرابة، وطرق الزواج والمناسبات والألعاب والحياة الاقتصادية والأسواق، والأسعار أسعار كل شي ما أمكن^(٥).

وبالطبع فأكثر هذه الموضوعات كلما أوغلنا في العودة إلى الماضي لا نجد ذكراً لها، سوى شذرات متفرقات في المصادر القديمة، التي قد تكون أرخت لمنطقة من هذه المناطق الكثيرة، وإنما جاءت عرضاً لا قصداً. وقد عاب عليه ذلك جماعة من الفضلاء

(١) الدكتور السوسوة من مواليد محافظة تعز باليمن عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، درس مراحل تعليمه الجامعي والعالي بجامعة القاهرة، ثم عاد إلى اليمن وتقلد مناصب عديدة في (جامعة تعز)، ذهب للعمل في جامعة الملك خالد بالملكة العربية السعودية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وما زال حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يعمل في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة. والدكتور السوسوة على قدر جيد من الاطلاع، وله كتب وبحوث عديدة مطبوعة وممنشورة، وبعضها نشر في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) تربطني علاقة طيبة مع الأستاذ السوسوة، الذي يمتاز بالتواضع، وحسن الخلق، ولطف المعشر. للمزيد انظر سيرته في كتاب: سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) ص ٢٤٥-٢٤٩، ٣٠٣-٣٠٤. (ابن جريس).

(٢) أي منذ قدوم الدكتور السوسوة من اليمن للعمل في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد، وأذكر أنني قابلته وتحدثت معه في الأيام الأولى من قدومه إلى أبها. (ابن جريس).

(٣) الدكتور حسين الزراعي أستاذ يعني عمل في قسم اللغة العربية بأبها، بضع سنوات، وذكر لي أنه يعمل حالياً في جامعة قطر، وهو على قدر كبير من اللطف وحسن الخلق، للمزيد انظر: رسالة الملك خالد (أفاق) العدد (١٠٠) (٢٦/صفر/١٤٣٥هـ)، وانظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ج ٧، ص ٥٢٣-٥٢٥. انظر الكتاب نفسه، الجزء الرابع والعشرون (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص ٥٧٦-٥٧٧. (ابن جريس).

(٤) أرجو أن يكون في هذا السفر الذي بلغ حتى الآن (٢٤ مجلد) فائدة ونفعاً للباحثين وطلاب العلم والمعرفة، كما أسأل الله، عز وجل الأجر والثواب. (ابن جريس).

(٥) للأسف إن معظم مصادر التاريخ تركز على عليّة القوم من الحكام والسلطين والوزراء ومن حولهم، والشريحة الكبرى في المجتمع، أي عامة الناس، لا يكتب تاريخهم. وقد حاولت في هذه الموسوعة وغيرها من المؤلفات والبحوث أن أوثق شيئاً من تاريخ الناس بشكل عام. (ابن جريس).

من كليات وأقسام مختلفة. وهذا ليس مما يعاب، إذ سيأتي زمن تظهر فيه فائدة هذه المعلومات المبتذلة - في نظرهم - الآن^(١).

المهم لفت نظري حينذاك كثرة الأخطاء اللغوية نحواً وصرفاً وأسلوباً في كثير مما كتب في ذاك المجلد، ثم في غيره. ونجا من ذلك بعضها كأبحاث ومقالات الأستاذ محمد بن أحمد معبر، إلا ما كان من أخطاء الطباعة التي لا يستطيع النجاة منها نهائياً، ثم في حدود المجلد العاشر أخذت اللغة تتحسن، أو الأصح أن الأخطاء أخذت تقل بنسب ملحوظة. ثم أعادت جامعة الملك خالد إصدار (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من المجلد الأول حتى السابع عشر، وأعيد النظر في عدة أمور، فروجعت ثانية، فكدت الأخطاء تختفي تماماً^(٢).

كذلك قلت في الطبعة الثانية التعليقات الغيثنائية الكثيرة، التي لم تكن تترك فكرة من الأفكار في الأبحاث والمقالات إلا وذكرت بأهميتها واستحقاقها لأن يكتب فيه رسائل ماجستير ودكتوراه^(٣). أو أن تدعو جامعات الجنوب السعودي لإعطاء أهمية لهذه الفكرة و..... إلخ التعليقات، يا هلي يا هلي يكفي ملامي والعتاب، وكنت قد أخذت على محرر (القول المكتوب) كثرة هذه التعليقات بصورة مزعجة. ولا بأس بها إذا أصلحت خطأ في معلومة أو رقم ونحوها، أما أن يكون بين التعليقين تعليق ثالث فاسمح لي^(٤)، في الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) عموماً أبحاث قيمة من كل لون، بل فيها أبحاث في التاريخ القديم فيها معلومات مستقاة من مصادر يونانية ولاتينية وغيرها، جديرة أن تغير نظرة الباحثين في كثير من المسلمات التي تؤخذ على علاقتها ولم تفحص^(٥). في القول المكتوب أيضاً أبحاث لغوية غير قليلة متفاوتة في قيمتها العلمية، وأفضلها -

(١) إن النقد السلبي الذي يصدر أحياناً من الحاسدين، أو من الذين لا يرغبون العمل الجاد، والإنسان إذا عمل فسوف يخطئ، لكن المهم أن يتعلم ويستفيد من أخطائه، أما التاريخ القديم لبلاد السراة وتهامة فما زال شبه مفقود، وأمل أن نشر على شيء منه من خلال التقيب عن الآثار المدفونة ثم دراستها وتحليلها. (ابن جريس).

(٢) ليس عندي اعتراض أبداً على ما رصده الدكتور السوسوة، لكنني أعمل وأجهد في الدراسة والبحث والتوثيق والمراجعات من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأمل أن يكون هناك فوائد علمية في ما قدمت من أعمال وبحوث خلال العقود الأربعة الماضية. كما أمل أن يأتي بعدي من يدرس ما كتبت ثم يصوب ما أخطأت فيه، أو يستكمل ما عجزت عن عمله، أو يشرح الغموض، أو يأتي بجديد في ميادين الدراسة، أو التحقيق أو النقد أو غير ذلك. (ابن جريس).

(٣) يا دكتور عباس هذه وجهة نظرك واحترمها، لكنني أدون هذه الاشارات والتعليقات، توضيحاً وتنبيهاً للباحثين وبخاصة طلاب الدراسات العليا في أقسام علمية عديدة في الجامعات. وعرفت وعلمت أن هناك طالبات وطلاباً استفادوا من بعض هذه التوصيات والتعليقات، ومنهم من سجل رسائل علمية من خلالها، ونسأل الله القبول لكل ما نقوم به، وأن يكون خالصاً لوجه الكريم. (ابن جريس).

(٤) لا انكر أنها كثيرة في بعض الأقسام أو الصفحات، لكن لأهميتها وضرورتها ثم تنبيه الباحثين أو طلاب الدراسات العليا بكل جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو بحث أو رسالة علمية. (ابن جريس).

(٥) للأسف منطقتنا (السراة وتهامة) وأجزاء عديدة في شبه الجزيرة العربية، ورد ذكرها في كثير من المصادر الكلاسيكية القديمة اللاتينية، واليونانية وغيرها، ونحن نجهلها، نأمل أن نرى من جامعاتنا ومراكز بحوثها اهتماماً بهذا النوع من المصادر، فتقوم بالبحث عنها، ثم توظف من الباحثين الجيدين المتمكنين من يقوم على ترجمتها وتحقيقها وشرحها. (ابن جريس).

من وجهة نظري- ما كتبه محمد بن أحمد معبر ، لا لغزارة علم الباحث فحسب، بل ولاتخاذہ الخطوات العلمية الحقة، في النظر ورصد الظواهر والألفاظ والمعاني، وحسن تعامله مع مصادره المكتوبة والمشاهدة، وحسن التعليل^(١)، والقول المكتوب يحتوي على مئات الوثائق مطبوعة ومخطوطة، ولعل الباحثين يستفيدون منها في أبحاث مستقبلية، بل إن أبحاثاً قيمة اعتمدت على وثائق المحاكم، وأوراق الصادر والوارد إلى دولة ما. ومن أهمها في تاريخ اللغة العربية، ووثائق البردي العربية التي جمعها العالم النمساوي أدولف جروهمان [اقرأ: جرومان] في ثمانى مجلدات، واعتمد عليها العلامة أحمد مختار عمر (ت ٢٠٠٣م) في (تاريخ اللغة العربية في مصر) عندما قسّم مراحل العربية منذ عام (٢٠هـ) إلى أول القرن الخامس عندما أصبحت العربية اللغة العامة في مصر^(٢)، ولم يعجبني- بشكل عام- في هذا الإصدار القيم ما كتب عن الرحلات والرحالين الذين مرّوا بأماكن في الجنوب، كل حسب تخصصه ووجهة نظره. ذلك أنه صار مثل المعطف الذي قلب مراراً، فأمر مفهوم أن يكون ترجمة وافية لكل منهم، لكن أن تكرر الترجمات مع تغير المناطق موضع الكلام، خصوصاً أن بعضها لم يمرّوا به، أو نجد أن (فلان) لم يمر به، أو مرّ به، ولم يذكر أي أخبار ومعلومات عنه، هكذا ست مرات أو سبع^(٣)، وأختم بذكر أمر، لا أدري إن كان الصديق أبا المثنى سيتقبله قبولاً حسناً أم سيقول، كما قال أصدقاء سابقون (نكتفي بهذا القدر من الصداقة). وسبق أن علقت على الترجمة المطولة لمحرر (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) أن فيها كثيراً من تزكية النفس المكروهة شرعاً، من حيث أن الشهادة الفلانية ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والشهادة العلانية كيت.. وهكذا إلخ^(٤).

أسأل الله أن يكون تجمعنا تجمعاً معصوماً، وتفرقتنا تفرقاً مرحوماً، والله حسبنا وهو نعم الوكيل.

عباس السوسوة، حرر في (١٧/٤/١٤٤٣هـ الموافق ٢٢/١١/٢٠٢١م)^(٥).

(١) ميدان اللغة العربية وفروعها في عموم السرورات وتهامة موضوع جديد وكبير، يستحق تضافر الجهود لدراسته. وما زالت أقسام اللغة العربية في الجامعات المحلية تحاول إخراج بعض البحوث في هذا الباب، لكنها ما زالت محدودة وقليلة، وبعضها دون المستوى العلمي الرصين الجيد. (ابن جريس).

(٢) ميدان الوثائق مجال آخر كبير، وفي بلادنا وعنّها الكثير من الوثائق والمخطوطات والسجلات وبخاصة خلال القرون الثلاثة الماضية (من ١١-١٤هـ/١٧-٢٠م). وهي من المصادر المهمة والجديدة التي تخدم البحث العلمي التاريخي، واللغوي، والاجتماعي والاقتصادي ومجالات أخرى عديدة. ثم إن الحصول على الكثير منها أصبح أسهل من السابق، والواجب الاجتهاد في الحصول عليها ثم توظيفها لخدمة البحث والدراسات العلمية المختلفة. (ابن جريس).

(٣) الرحلات والرحالة من المصادر الرئيسية التي تخدم المؤرخ وغيره. وفي كتب الرحلات مادة علمية جيدة يصعب أن نجد لها في أي مصدر آخر. أما قول الدكتور السوسوة عن كثرة إعادة تراجم الرحالة، فكلّامه صحيح في عدد من المواضع، أمل أن اتجنب هذه العيوب في بحوث ودراسات قادمة. (والله من وراء القصد) (ابن جريس).

(٤) والله يا دكتور عباس إن تزكية النفس غير جيدة، والإنسان ضعيف، ويقع في الزلل والأخطاء، ونسأل أن يرحم ضعفنا ويغفر ذنوبنا ويتجاوز عنا، إنه على كل شيء قدير. (ابن جريس).

(٥) لا أقول في نهاية هذه الرسائل، إلّا شكر الله لك يا عباس السوسوة، فقد جلست معك كثيراً، وتعاملت معك في أمور عديدة، فوجدتك صادقاً ناصحاً أميناً، وأسأل الله لي ولك التوفيق والسداد، كما أسأله أن يغفر ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، والله الهادي إلى سوى السبيل، وصلى الله وسلم على المصطفى الرسول الهاشمي القرشي الأمين (ابن جريس).

سادساً: رحلتي مع موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الجزء الأول إلى الجزء الرابع والعشرين. بقلم الأستاذ/ عبد الهادي بن عبد الرحمن بن مجني^(١).

حينما سمعت قبل عقدين مضت بموسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، حسبته من كتب الأقدمين، لأن العنوان مسجوع، ولم أكن قرأته بعد، فلما طالعتُه ازدادت إعجاباً به وبصاحبه، وألفيته حقلاً ثقافياً من حقول الإبداع، ولقد أدهشت هذه الموسوعة الأذهان فيما جاءت به من تنوعها وجمع صاحبها لها، ربما كونها متفردة في هذا المجال، ولم أسمع بعمل موسوعي متكامل عن جنوب البلاد السعودية (كالقول المكتوب...) حيث أحدث حراكاً ثقافياً في زمنه، لقد بذل صاحبه غيثان بن جريس طيلة هذه السنوات ومن معه ممن أعانوه المَهَج في تجشم الصعاب والعقبات لكي يستمر حتى قارب (٢٥) خمسة وعشرين جزءاً، ولا أحسبه إلا بَرَّ أقرانه من مجاليه بهذه الأعمال التاريخية الخالدة، كانت غاية الرجل نبيلة، فليت لنا نظرة ابن جريس التفاؤلية، لم يكن لديه الوقت ليضيعه، ودأب طوال هذه السنين في جمع المادة العلمية ونشر الوثائق الملحقة لأنها كانت هي المادة الأولية التي استقى منها كتابه حتى شارف على الانتهاء، ولا يفعل ما فعله إلا الرجال العظماء، فجزاه الله عن بلاده وأهلها خيراً، وله من الشكر وعبارات الامتنان، دعك من التقدير والاعتراف له بالريادة فيما قدمه لخدمة التاريخ، فهو منذ بدأ وعمل على تأليف موسوعته نهض بمقوماتها حتى اكتملت إلى ما هي عليه اليوم. ومما يجب أن أذكره هنا أن ذلك الرجل البرّ المفضل حرّض في مُدَّ عرفته العزم حتى شاركت معه بدراستين أكرمنا بنشرهما، وجميل منه مدّ الجسور مع الآخرين، داعياً بالعون والتوفيق له ولكل مجتهد مثله، فقد استقطب أقلاماً شرفت أن أكون مع تلك النخبة^(٢).

(١) الأستاذ عبد الهادي بن مواليد محافظة العرضيات في تهامة بقرن عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). تلقى بداية تعليمه في بلاده ومسقط رأسه. ثم التحق بالعمل في القطاع العسكري، وما زال يعمل في كلية الملك فهد الأمنية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) له العديد من النشاطات الصحفية، ونشر بعض البحوث العلمية في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وهو على قدر كبير من اللطف، وطيب المعشر. للمزيد عن سيرته الذاتية، انظر، محمد بن أحمد مُعَبَّر. سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) ص ٣٢٤. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أستاذ عبد الهادي بن مجني على هذا الإطار الذي فعلاً لا أستحقه، لكن طيب خلّك، ولطف معشرك جعلك تقول ما دونته أعلاه. وأعلم بآرك الله فيك أن بلادنا وأهلنا في حاجتنا فكل واحد منا يقدم ما يقدر عليه ويستطيع. وكوني أعمل في ميدان البحث والتدريس بالجامعة منذ منتصف تسعينات القرن (١٤٠هـ/٢٠م) فقد أكرمني المولى عز وجل، أن أعمل في التدوين والتأليف، ورأيت أن الأوطان الجنوبية

حين استهل جزأه الأول بدأه بالحديث عن أعلام ورواد يشار لهم، هم عبدالمالك الطرابلسي، ومحمد أحمد أنور، وعبدالله ابن إلياس^(١)، وهذه لمحة عن رجال ذلك العصر وأحواله تحسب للدكتور غيثان بن جريس، وكما قال العقاد: إن الكتابة عن الأعلام الذين رحلوا هو وفاء للشموس الغاربة، وذكرى للأيام الذاهبة، ولو لم يكن فيه إلا أنه جزاء كريم لمن كف الموت أيديهم عن الجزاء لكان جديراً من الأحياء بالجزاء الحسن والثناء الجميل، فقد تركوا لنا جوابهم المحفوظ في سجل الخالدين، هم الثلاثة الذين نقل المؤلف عنهم وسجل سيرهم ورسائلهم ومدوناتهم هم والله كذلك، والذي لولاه لم نكن لنهتدي إلى ما كتبوه ودونوه عن جنوب البلاد السعودية في مرحلة التأسيس^(٢)، فقد أفرد المؤلف لهم صفحات في كتابه وعرف بهم ورسائلهم وبمذكراتهم، وبعض القرارات الرسمية أيضاً قام بنشرها في الكتاب الأول من هذه الموسوعة^(٣)، وتالله لم أقرأ بأجمل من الرسائل العشر لأنور (رحمه الله ومن قال أمين) التي أرسلها للمؤلف عن عصره^(٤)، أما القول الثاني المكتوب فكان بثمان رسائل وأربعة مدونات لإبراهيم بن محمد بن فائع الأملعي حول أجزاء من تاريخ عسير الحديث والمعاصر، هي التي أسعفني الوقت لقراءتها من هذا الجزء^(٥)، أما القسم الرابع فلفت انتباهي فيه بعض الرحلات

السعودية (تهامة والسراة) من أقل البلدان في شبه الجزيرة العربية خدمة في ميدان البحث وتوثيق تاريخها وحضارتها. عندئذ بدأت أعمل منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وأجمع وأوثق بعضاً من تراثها وموروثها الفكري التاريخي والأدبي والحضاري، ووجدتها بلادا ذات عراقة وحضارة كبيرة، ويعجز الفرد أو الأفراد أن يدرسوا ويوثقوا مخزونها التراثي والعلمي العظيم، والواجب على الجامعات ومراكز البحوث العلمية أن تلتفت لضخامة وكثرة موروثها الثقافي والحضاري ثم تعمل على حفظه ودراسته. (ابن جريس).

(١) هؤلاء الأعلام الثلاثة (الطرابلسي، ومحمد أنور، وابن إلياس) من أعلام منطقة عسير وروادها في القرن (١٤هـ/٢٠م) وكل واحد منهم يستحق أن يصدر عنه رسالة أو كتاب مستقل، أمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يقومون بذلك. (ابن جريس).

(٢) ما زال في عموم السروات وتهامة أعلاماً قدموا الكثير لدينهم وبلادهم وأهلهم، ويستحقون أن يكتب تاريخهم وتوثق سيرهم. وقد اطلعت على آلاف الوثائق التي تذكر الكثير منهم خلال القرون الثلاثة الماضية (١١-١٤هـ/١٧-٢٠م)، كما لا تخلو كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيلة من شذرات محدودة عن بعض أعلام هذه البلاد العربية الماجدة خلال العصور الإسلامية المبكرة. (ابن جريس).

(٣) يقصد صاحب هذه الورقة أي قرارات المجلس البلدي في منطقة عسير من الستينيات إلى مطلع الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) فقد حققت ثم نشرت في الجزء الأول من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) في طبعينها الأولى والثانية. (ابن جريس).

(٤) رسائل الأستاذ محمد بن أحمد أنور مليئة بالمادة العلمية الجيدة التي تؤرخ لموضوعات عديدة في منطقة عسير خلال القرن الماضي، وجزء من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، أمل أن تدرس وتحقق، وتستحق أن تكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه. (ابن جريس).

(٥) أيضاً رسائل الأستاذ إبراهيم بن محمد بن فائع الأملعي لا تقل في جودتها العلمية عن رسائل الأستاذ محمد أنور، ولا يستغرب من ابن فائع فهو الطالب النجيب المقرب من استاذة محمد أنور، بل اقتدى به في الكثير من صفاته وسلوكياته وأخلاقه. ورسائله أيضاً تستحق أن تكون موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية جامعية. (ابن جريس).

التي قام بها المؤلف في أوقات سابقة، فأقول لنفسي حبذا لو جمعها هي وغيرها في مجلد واحد بدلاً عن كونها متناثرة^(١).

وبعد عام تقريباً من صدور القول المكتوب الجزء الثاني، صدر الجزء الثالث من هذه السلسلة وكان عنوانه عن عسير ونجران، وقسمه المؤلف إلى تسعة أجزاء الأول ورقات من التاريخ العسيري في الوثائق والمدونات، والقسم الثاني تصويب ونقد تاريخي عن القول المكتوب في جزئية (الأول والثاني). هذا، وأقول ان غيثان بن جريس أصل للنقد التاريخي في كتابه وهو من فرسانه المعاصرين، والنقد عنده في هذا المؤلف أكثر من التقريظ، وكما قال غازي الفقيه "أن صاحب القول المكتوب نال به قصب السبق في تسليط الضوء على بقعة غالية من وطننا الكبير"^(٢). أما القسم الثالث عن نجران ومؤسساتها وخلاصة تاريخية عنها، وجاء القسم الرابع عن أقوال من سكنوا نجران وأقوال أهلها، ووجهة نظر الرحالة وكتب السير اليمينية عن عسير ونجران أتت في القسم الخامس، أما القسم السادس فهو بما احتوته مكتبة المؤلف من فهرس لبحوث ووثائق غير منشورة عن عسير ونجران، وأخيراً ما جاء عن هذين الموقعين في الوثائق الإدارية والاقتصادية في منتصف القرن الماضي^(٣).

استمر غيثان بن جريس في إكمال أجزاء كتابه، ففي عام (١٤٣٣هـ/٢٠٢١م) أصدر الجزء الرابع، لكن هذه المرة عن جازان والقنفذة مع عسير، وقسمه كما فعل في الأجزاء الثلاثة السابقة، وبدأ أول ما بدأ بالتركيز على جازان في عيون الرحالة ومدوناتهم عنها من القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس عشر، ثم حلل تلك الرحلات وتأملها وقام بالمقارنة وما أحوجنا إلى من يقتضي أثر غيثان بن جريس وينتهج

(١) شكراً لك يا أستاذ عبد الهادي على هذا الاقتراح، وما أشرت إليه هو حالياً من مشاريعي العلمية المستقبلية، أرجو أن ترى هذه الرحلات النور وتصدر في كتاب مستقل من عدة مجلدات. (ابن جريس).

(٢) كم نحن في حاجة النقد الإيجابي الذي هدفه البناء وإصلاح العيوب والأخطاء. والانسان لا يعتد بأي عمل قدمه، وإنما كل عمل يقدمه البشر يشوبه النقص والعيوب. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من البراهين التي تحت الإنسان على مراجعة نفسه وأعماله بين الفينة والأخرى، والواجب على كل إنسان أن يحاسب نفسه بنفسه من أجل الوصول إلى العمل الأفضل والأحسن الذي يفيد في الدنيا والآخرة. ونسأل الله عز وجل أن يعيننا على محاربة نفوسنا وهدايتنا إلى الطريق السليم المستقيم في كل أمورنا العامة والخاصة (ابن جريس).

(٣) أقوم بجمع الوثائق من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها منذ أكثر من أربعين عاماً. وما زال هناك عشرات الآلاف من الوثائق المتناثرة عن بلادنا في أمكنة عديدة مثل مكتبات الأسر والبيوتات العلمية، وعند شيوخ القبائل وأعيانها، وعند معظم الأفراد والأسر في جميع أنحاء الوطن. وهناك الكثير من الوثائق في دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة داخل المملكة وخارجها، وهذا ما عرفته واطلعت على بعضها خلال رحلاتي العلمية الداخلية والخارجية. (ابن جريس).

منهجه^(١)، ثم ألح إلى فهرس لوثائق عن جازان في مكتبته، وعنون القسم الذي جاء بعد ذلك وفي نفس الموضوع بأقوال بعض من عرف جازان وعسير ومن عاش فيهما، ثم تحدث عن العمارة التقليدية الجازانية، وابن معبر كان قوله عن الصناعات والحرف في خميس مشيط خلال عشر سنوات قرابة عقد من الزمن أو أكثر من (١٣٨٧هـ) إلى سنة (١٣٩٧هـ)، أما العادات والتقاليد في بلاد بلقرن سبت العلالية وضواحيها فكتبها الأستاذ عبد الرحمن بن حامد القرني، ولا يشابه العادات في بلقرن، إلا تاريخ الناس جنوب منها في النماص في تسعينيات القرن الهجري الماضي، فقد كتبها ابن جريس في قرابة عشرين صفحة^(٢)، ثم أورد سيرة علمين من عسير يحملان من العلم والثقافة شعلة لم تنطفئ في زمانهما هما عبد الله بن حميد وابنه محمد، وكتب مادة هذا المحور بعض ممن عاصرها^(٣)، وأشار غازي الفقيه في انتقاداته على كتاب بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، والقول المكتوب في جزءه الثاني، استعجال غيثان بن جريس في إصدار مؤلفاته تباعاً، ولم يترك مدة كافية لقراءته كي يستوعبوا ما كتب ويحكمون عليها بروية وتأن. ونحن أيضاً مع ممن يغبطون غيثان بن جريس على نشاطه العلمي المحمود^(٤).

وفي غرة ربيع الثاني من سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف فاجأ ابن جريس قُرَّاءة ومتابعي نتاجه العلمي بخروج القول الخامس، وهذه المرة كان عنوانه عن منطقة الباحة (غامد وزهران) مضافة إلى منطقة عسير، وبدأه كما فعل في سابقة عن جازان وبنفس الطريقة، وليس ذاك بغريب فهذه سلسلة يجب أن تكون متشابهة، وأنا هنا لا أنقده. ثم وثق دراسة بعنوان: "الباحة في عيون بعض الرحالين" وذكر منهم عشرين رحالة^(٥).

(١) رحلات الرحالة في جنوب شبه الجزيرة العربية من المصادر المهمة، واحتوت على مواد علمية وتفصيلات تاريخية وحضارية يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. (ابن جريس)

(٢) التاريخ الاجتماعي في بلادنا السروية والتهامية موضوع حضاري مهم وكبير، يستحق أن يجد العناية والرعاية من المؤرخين الجادين، ومن مراكز البحوث العلمية الجامعية. (ابن جريس).

(٣) عبد الله بن حميد وابنه محمد من أعلام جنوب المملكة العربية السعودية وأمثالهم كثيرون، وجميعهم يستحقون أن تكتب سيرهم، وما قدموا من خدمات متنوعة لدينهم وبلادهم. (ابن جريس).

(٤) الحديث يا عبد الهادي عن استعجالي وتتابع إصداراتي موضوع أسمعته منذ ثلاثين عاماً ولا أنكر أن الاستعجال في إصدار الأعمال العلمية قد يوقع صاحبها في الأخطاء الكثيرة، أو النقص أو الغموض. ويجب على كل إنسان أن يجتهد في إتقان عمله، وأن يحمل صدقاً ونية صالحة في ما يقدم ويقوم به، والعمل في الفكر والثقافة، والبحث العلمي من أرفع المراتب التي يتعامل معها الإنسان. وأنا أعمل وأجتهد راجياً من الله عز وجل أن يعينني ويهديني إلى الحق والصواب، وإن وقع مني عيب أو نقص أو غموض فأسأل الله أن يغفر لي، وأن يجعل ما أقوم به حجة لي لا حجة علي يوم ألقى الله (عز وجل). (ابن جريس).

(٥) بلاد الباحة (غامد وزهران) وما يقع جنوبها وشمالها لم تزل اهتماماً كبيراً من الرحالة عبر العصور، ربما الصعوبة تضاريسها، وانعزالها في قرون مضت. مع أنها من شمال أبها إلى جنوب الطائف كنز تاريخي حضاري كبير يستحق منا معاشر الباحثين والمؤرخين والأثاريين، ومن جامعاتنا المحلية أن تبذل

وأشكر ابن جريس فقد بذل جهداً كبيراً في هذا المبحث، ومن يقرأه سيجد ما قلته حقاً، ثم ألمح إلى الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة، ووقف عدة وقفات مع أثارها وأورد صفحات تاريخية لبعض مؤسساتها^(١)، وشدني للقراءة ما كتبه هنا أحد أبناء غامد وزهران، إنه الأستاذ علي بن سدران الزهراني، فهو يكتب بطريقة عميقة مختلفة أثارت إعجابي، ودراسته النقدية؛ عن تاريخ تهامة والسراة تحديداً منطقة الباحة التي كتبها غيثان بن جريس في وقت سابق، ثم قام ابن سدران بتصويبها وقد قرأتها مرات عديدة فوجدت صاحبها لا يجامل في الحق، وله خلفية ثقافية عجيبة ولديه علم كثير^(٢)، كما لفت انتباهي في هذا الجزء الخامس ما كتبه الأستاذ محمد بن مَعْبَر عن صناعة المصادر التاريخية في القول المكتوب، عنوان جديد وإبداع في الطرح لدى الأستاذ ابن مَعْبَر^(٣).

وفي عام (١٤٣٥هـ) صدر الجزء السادس من هذه السلسلة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، وكأن غيثان بن جريس في سباق مع الوقت، وهذه المرة كتب عن نجران وعسير وجازان، وفي نفس العام (١٤٣٥هـ) صدر الكتاب الذي يليه من سلسلته (الجزء السابع) وعنوانه الباحة وعسير ونجران.

ومنتقدو المؤلف لهم فلسفة خاصة في انتقاده، فهم لا يرون صواب خروج أكثر من مؤلف في العام الواحد، وأترك الرد لابن جريس^(٤).

جهوداً كبيرة من أجل البحث عن موروث هذه البلاد في شتى الجوانب ثم حفظه ودرسته ونشره لأهلنا وطالبات وطلاب العلم في كل مكان. (ابن جريس).

(١) إن التاريخ التسموي والاداري والحضاري لعموم بلاد السراة وتهامة في العصر الحديث والمعاصر، من المجالات الجديدة، وجديرة أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث العلمية. (ابن جريس).

(٢) هذه الحقيقة يا ابن مجني فالأستاذ علي بن سدران مدرسة في تأليفه وجهوده البحثية. أمل أن نرى أحد أبناء غامد وزهران، أو أحد المؤرخين المعاصرين فيكتب سيرة وتاريخ هذا الرجل في خدمة العلم والبحث العلمي وبخاصة في ما يتعلق ببلاد (منطقة الباحة) وهو يستحق ذلك.

(٣) أن الأستاذ محمد بن أحمد بن مَعْبَر مدرسة أخرى في ميدان البحث والتأليف ويستحق أن تكتب جهوده في خدمة التاريخ والحضارة الإسلامية، وكذلك التراث العربي والإسلامي فالرجل له من الجهود العلمية، والإنجازات البحثية ما يستحق أن يدرس ويوثق في كتب ودراسات عديدة. أمل أن نرى من الباحثين، أو طالبات وطلاب الدراسات العليا من يتخذ هذا الرجل (ابن مَعْبَر)، موضوعاً لبحثه في رسالة ماجستير أو دكتوراه. (ابن جريس).

(٤) يا أخي الكريم إن الناقدين كثيرين، وربما قالوا ذلك، رغبة في خروج أعمال علمية أكثر عمقاً ورصانة. وأي عمل يستغرق وقتاً أطول من المراجعة والتدقيق والتمحيص بدون شك سوف يكون أفضل في مناه ومحتواه. ويعلم الله أنني أجتهد بكل ما أستطيع في خروج دراساتي وأبحاثي بصورة طيبة وجيدة، ولا أزكي نفسي، لكنني أعمل وأطلب الأجر من الله عز وجل، كما أطلب من كل الباحثات والباحثين إذا وجدوا عيوباً أو أخطاء في أعمالي العلمية المطبوعة والمنشورة أن يرشدوني إلى هذه الأخطاء وسوف أكون شاكرًا لهم،

وفي مطلع هذا العام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) صدر رقمياً الجزء قبل الأخير على ما يبدو، لأن أستاذنا غيثان بن جريس ينوي إكمال موسوعته حسب ما ذكر ليختهما فيكون القول الخامس والعشرون هو مسك الختام لهذا الكتاب الكبير والضخم، وقد استهل الرابع والعشرين منه بالفهرست وقدم لكتابه وقسمه إلى عدد من الأقسام بدأها ببحثين عن جنوب شبه الجزيرة العربية في العصرين القديم والإسلامي المبكر. أولاهما النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس حوالي (٣٦٨-٤٠٠م)، من إعداد أ. د. عبدالعزيز محمد رمضان.

أما البحث الآخر فكان عن نقوش إسلامية مؤرخة في القرنين الثاني والثالث الهجريين بمركز الثنية في بيشة بقلم الأستاذ محمد بن جرمان العواجي الأكلبي، ثم دراسة قدمتها الاستاذة سمية سعيد محمد آل عبيد عن الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١-٤٠هـ)^(١).

توالت بعد ذلك عدد من الدراسات في تاريخ عسير الحديث والمعاصر خلال ثلاثة قرون من الثالث عشر الهجري إلى الخامس عشر، فخرج المؤلف على بلاد عسير في عيون الرحالة الأوروبيين، ثم بعدها مدونة كتبها الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور عن الجوانب الحضارية في عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري، وقام غيثان بن جريس بتنسيقها وتحريرها، ثم أورد تعليقا للدكتور عبد المنعم علي ابراهيم عن كتاب: تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد الملك فهد بن عبد العزيز، (رحمه الله)، بعد ذلك توالت الأقسام والدراسات في هذا الجزء، فكتب أ. د عباس بن علي السوسوة دراسة علمية بحتة بعنوان: اللغة الهجين: دراسة لسانية اجتماعية جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجاً^(٢). ومما يلفت النظر في هذا الجزء (٢٤) دراسة مترجمة من لغتها الأم إلى العربية قام بترجمتها الأستاذ يحيى بن عبد المطلب السيد عن رحلة من عسير إلى اليمن كتبها روزيتا فوربس، تلى ذلك دراسة تاريخية قام بها الدكتور زهير بن

وأقوم بإصلاح كل عيب أو خطأ. (والله من وراء القصد) (ابن جريس).

(١) كم نحن في أمس الحاجة لمعرفة تاريخ وحضارة بلادنا (السراة وتهامة) في عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيط، فكل ما كتب عن هذه البلاد في تلك العصور ما زال قليلاً جداً أو نادراً. (ابن جريس).

(٢) لا ندعي الكمال في كل ما تم دراسته وتوثيقه ونشره، وإذا فحطنا التاريخ الحديث لهذه البلاد السروية والتهامية، ففيها الكثير من الموضوعات الحضارية التي تستحق أن تدرس في أعمال علمية كبيرة وورصينة (ابن جريس).

عبد الله الشهري وهي دراسة مقارنة في كتابي الرحالة جون فيليب وفيليب ليبنز^(١)، ثم رحلة غيثان بن جريس إلى محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) التي دون من خلالها مشاهداته لمدينة القنفذة ومراكزها الإدارية الرئيسية: القوز، فالمظيلف، فدوقة، وحلي، وخميس حرب، وسبت الجارة، وأحد بني زيد، وأخيراً ثلاثاء الخرم، وقد أشار إلى مقتطفات من تاريخ المحافظة المعاصر، وتكلم عن جغرافيتها وحياة الناس، وذكر صوراً من تاريخ التعليم والثقافة والصحة^(٢).

وفي نهاية الكتاب استعاد غيثان بن جريس عدداً من الذكريات والمشاهدات العلمية، وسيرته العلمية الخاصة، فنشرها في القسم السادس والأخير.

وقد تركزت تلك الذكريات على الأمكنة التي عاش بها الدكتور غيثان بن جريس، كبلاد النماص مسقط رأسه، ومدينة أبها التي استقر عيشه فيها وعمل بها، وأمريكا التي مكث فيها شبابه للدراسة سبعة أعوام من (١٤٠١هـ) حتى سنة (١٤٠٧هـ)، ثم المملكة المتحدة (بريطانيا) التي مكث فيها عامين (١٤٠٧-١٤٠٩هـ) لدراسة درجة الدكتوراه. كما ساق في عدد من البلدات والمدن داخل المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤١٠هـ) حتى الآن (١٤٤٢هـ)، وسجل ذكرياته ومشاهداته عنها^(٣).

إني هنا أستميح أستاذنا غيثان بن جريس عذراً عن قلبي هذا، وما لاحظته بعض النقاد ممن عرفتهم من التكرار الذي يذهب إليه في كتاب (القول المكتوب) وكان ينبغي ألا يقوم بنشر مادة سبق نشرها سواء في مؤلفاته الأخرى أو في موسوعته هذه، وهو أولى مني بالرد والتبرير لذلك، لكنني أقول أن هذا لا يضيره فهم إن كانوا رأوه من المخطئين لم يكن خطؤه إلا في اجتهاده^(٤). ويتساءل أحدهم ماذا لوقام

(١) الرحالة الأجانب حفظوا الكثير من تراثنا وتاريخنا وحضارتنا وبعض بحوثهم ترجمت إلى اللغة العربية، وما زال الكثير منها مكتوباً بلغاتها الأصلية الأجنبية. والواجب على مراكز بحوثنا المحلية أن تجتهد في نقل تلك العلوم من لغاتها إلى اللغة العربية، مع إضافة شروحات وتصويبات وتعليقات على ما جاء فيها من أخطاء أو نقص. (ابن جريس).

(٢) الرحلات العلمية الميدانية تساعد في دعم وإثراء أي دراسة. لكن على كل رحالة أن يكون صادقاً أميناً حيادياً في كل ما يوثق من خلال المشاهدة أو السماع ولا يتجرف خلف أي سبب من الأسباب. ومن لا يستطيع أن يتغلب على هواه ورغباته أثناء توثيق تاريخ مكان ما أو مجتمع، أو أمة فالأفضل أن لا يعمل في حقل الكتابة والتدوين والتوثيق التاريخي والحضاري (ابن جريس).

(٣) وثقت بعض الذكريات والمشاهدات خلال ستة عقود، مع تدوين خلاصة سيرتي العلمية. آمل أن يمد الله في العمر حتى أدون مذكراتي التفصيلية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. (ابن جريس).

(٤) أحياناً أجتهد في إعادة بعض الدراسات لأهميتها، ثم أضيف عليها بعض الشروحات والتفصيلات التي لم ترد في الدراسة نفسها عند نشرها لأول مرة. (ابن جريس).

الدكتور غيثان بن جريس بالاهتمام بدراسة كتب العقيدة والحديث وعلوم القرآن وأبلى فيها بلاءه في التاريخ، ولو فعل بهذه المهمة العالية بدلاً من التركيز على جنوب البلاد السعودية (تهامة والسراة) لقدّم للمسلمين يداً جليّة، وأترك للأستاذ الكريم الرد وفيما اطّلت عليه من كتب المؤلّف أنها حوت علوماً ومعارف شتى، وفي مقدمتها العلم الشرعي^(١)، أضف إلى ذلك أن العلوم الإنسانية جديرة أيضاً بالبحث والتقصي كالعلم الشرعي وممن رصدنا وجهات النظر لديهم من أرباب القلم، من يقول لماذا هذا الإفراط في التأليف، فليكن عملاً مركزاً ومنظماً في العام الواحد، بدلاً من كل تلك الكتب التي تصدر بشكل سنوي، وطلب البعض أن تصل هذه الاقتراحات إلى غيثان بن جريس من باب إسداء النصيحة^(٢).

وأخيراً لاحظت بعد قراءة سريعة موجزة للموسوعة أنها اشتملت على كثير من العلوم والمعارف، ولم تكن حكرًا على التاريخ ففيها دراسات عن الأدب والجغرافيا والجيولوجيا^(٣)، ومما خطر لي عندما اطّلت على الأجزاء الأخيرة من هذا المجلدات، وخصوصاً الجزء الثامن عشر حتى الجزء الرابع والعشرين أن بلاد السراة وتهامة في كتب الأخباريين والمصادر الكلاسيكية والأجنبية من قبل الإسلام، وحبذا أن يقوم بعض الباحثين بترجمة ودراسة هذه المصادر، وإن فعلوا فقد نطّل على معارف وحقائق جديدة لم نعرفها من قبل^(٤). وفي النهاية أقترح أن يكون هناك فهارس للأعلام والأماكن ليستفاد منها أسرع عند البحث تقنياً^(٥).

حرر في مدينة الرياض (١٧/٤/١٤٤٣ هـ الموافق ٢٢/١١/٢٠٢١ م)

-
- (١) لقد كفيّتي الإجابة يا ابن مجني فالعديد من كتبتي ودراساتي لا تخلو من بعض المعلومات الشرعية. وأسأل الله أن يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد ينفعنا في الآخرة قبل الدنيا. (ابن جريس).
 - (٢) أشكرك يا أستاذ عبد الهادي على هذه النصائح، وأشكر من قال ذلك أيضاً، وهذه أقوال أسمعها منذ ثلاثين عاماً، وقد تكون سلبية كما تقول ويقول غيرك. لكنني قلت في سطور سابقة من هذا المحور، وفي كتب وبحوث صدرت خلال السنوات الماضية، أنني رجل مجتهد أخطئ وأصيب، ولا أدعي الإبداع أو التميز في كل ما أقوم به، وفي الوقت نفسه أطلب الله عز وجل أن يخلص جميع أعمالتي وكتاباتي وأقوالي وأن يجعلها خالصة لوجه الكريم، كما أطلب الله أن لا يشوبها رياء أو كذب أو تزلف أو تدليس أو عمل لا ينفعني عند رب العالمين (ابن جريس).
 - (٣) بلادنا (السراة وتهامة) ثرية جداً بكل ما فيها من ثقافات، وحضارات وعلوم ومعارف، ولهذا فهي ميدان رحب وكبير جداً لإصدار أنواع الدراسات والبحوث العلمية. (ابن جريس).
 - (٤) سبق الإشارة إلى أهمية المصادر الأجنبية، وأنادي وأكرر النداء في الجامعات المحلية ومراكز بحوثها على أن تخدم البحث العلمي في بلادنا بتشجيع ترجمة المصادر والبحوث الأجنبية التي تصب في خدمة تاريخنا وتراثنا وحضارة بلادنا. (ابن جريس).
 - (٥) اقتراحك جيد جداً يا عبد الهادي، وأفكر فيه منذ عدة سنوات، أرجو من الله عز وجل أن يوفقني ويعينني حتى أنجزه وتصدر فهارس تفصيلية وشاملة لهذه الموسوعة الكبيرة. (ابن جريس).

سابعاً: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) النتاج العلمي

(الغيثاني) المتفرد. بقلم أ. د. صالح بن علي أبو عراد^(١).

الحمد لله الذي جاد وأنعم وتفضل وتكرم، والصلاة والسلام الأتمان الدائم على خير معلم للبشرية، نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه ووالاه من عباد الله الصالحين، أما بعد:

فمنذ سنوات عديدة والأخ الزميل الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس الشهري يتفضل عليّ بإهداءات بعض من مؤلفاته التي يُشرف على إصدارها وإعداد مادتها العلمية والمعرفية^(٢) وبخاصة التي تحمل عنوان موسوعته: القول المكتوب في تاريخ الجنوب.

وهي سلسلة من الأبحاث والدراسات والكتابات العلمية، النقدية التاريخية، والاجتماعية، والثقافية وترجع بداية صدور هذه الموسوعة إلى عام (١٤٢٦هـ) الموافق لعام (٢٠٠٥م)، واستمرت بفضل الله سبحانه وتعالى حتى بلغت إلى الآن (أربعة وعشرين) مجلداً تتناول في مجموعها جوانب مختلفة من تاريخ جنوب المملكة العربية السعودية (عسير، ونجران، وجازان، والباحة) إضافة إلى ما اشتملت عليه بعض المجلدات من دراسات تخص (القنفذة، وثلاث محافظات أخرى تتبع إدارياً منطقة مكة المكرمة، وهي: رنية، والخرمة، وتربة)^(٣).

(١) الدكتور صالح أبو عراد الشهري من مواليد مدينة تنومة عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) درس تعليمه الجامعي والعالي (البكالوريوس والماجستير) في أبها (السعودية) ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م). عمل في أعمال أكاديمية وإدارية عديدة، وهو حالياً استاذ متقاعد من جامعة الملك خالد، ويعمل استاذ متعاوناً في قسمه (التربية) في كلية التربية، له عشرات المقالات، والبحوث والكتب في مجالات عديدة وأكثرها في التربية والتاريخ. وله أنشطة مجتمعية عديدة وبخاصة في وطنه ومسقط رأسه محافظة تنومة. والدكتور صالح على قدر كبير من حسن الخلق، وطيب المعشر، ولطف التعامل مع الآخرين. للمزيد عن سيرته الذاتية. انظر محمد بن أحمد مُعَرِّ. سيرة كتاب: إحتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحبيضي، ١٤٢٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) الدكتور صالح أبو عراد زميل دراسة في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها. نعم كنت قبله في الكلية بعامين أو ثلاثة تقريباً لكن كان عددنا بالكلية آنذاك قليلاً، فكنا نعيش سوياً في سكن الجامعة، وفي بعض المحاضرات الدراسية. والأخ صالح رجل محب للخير، متعاون مع زملائه، وكل من يعرفه. (ابن جريس).

(٣) الأخ صالح لخص هذه الموسوعة التي تقع في (٢٤ مجلداً)، وفي أكثر من أربع عشرة ألف صفحة، وهي فعلاً كما أشار تحتوي على معارف عديدة عن بلاد السراة وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران، وأسأل الله أن تكون من العمل النافع الذي أنال أجره من رب السماوات والأرض. (ابن جريس).

ولعل من أبرز ما تتسم به هذه الموسوعة الكبيرة عنايتها بدراسة كل ما له علاقة بالتراث التاريخي والفكري والحضاري والمجتمعي لهذه المناطق (السروية والتهامية) في أزمنة تاريخية مختلفة، إضافة إلى تلك الملاحق المنشورة التي تشمل على كم كبير من الوثائق المفهرسة وعناوينها وما في حكمها من الخرائط والتقارير والخطابات ونحو ذلك^(١).

على الرغم من أن هذا العمل الموسوعي (الغيثاني) الجبار الذي تعجز عنه الكثير من المؤسسات العلمية والمراكز البحثية، قد نال الكثير من القبول والاستحسان؛ إلا أننا نتفق جميعاً أنه عملٌ وجهُ بشريٍّ لا يمكن أن يخلو من بعض المآخذ والملاحظات التي يُمكن أن تؤخذ عليه أو تلاحظ على محتواه انطلاقاً من إيماننا بأن الكمال لله تعالى وحده، وأن أي جهد بشري يكون بطبيعة الحال عرضةً للنقص والخطأ والقصور^(٢).

ولعلي أشيرُ في الأسطر التالية إلى عدد من النقاط التي يمكن أن نؤكد عليها فيما يخص شخصية المؤلف، وفيما تتسم بها محتويات هذه الموسوعة التاريخية الحضارية الغيثانية على وجه العموم، ومنها:

أولاً: الهمة العالية والصبر والجلد والمتابعة الدقيقة التي عرفتها عن أخي الدكتور غيثان بن جريس، وعاشتتها عن قرب لفترة ليست بالقصيرة من الزمن، فهو يعمل على جمع وإعداد وطباعة وإخراج ونشر وتوزيع هذه السلسلة بشكلٍ دوّوبٍ ومُستمرٍ دونما كلل أو ملل، ويبذل في ذلك الشأن الكثير من وقته وجهده وماله حرصاً منه على متابعتها والعناية بها في مختلف المراحل الكتابية والطباعية والإخراجية حتى تكون بين يدي القارئ في أفضل صورةٍ مُمكنة، ولعلي لا أكون مبالغاً إذا ما قلت إن أخي غيثان بن جريس يُعد أنموذجاً فريداً في هذا الشأن^(٣).

(١) ما قمت بنشره من الوثائق والخطابات والتقارير نماذج قليلة ومحدودة، والبلاد الجنوبية السعودية فيها الآلاف من الوثائق، والتقارير والسجلات غير المنشورة، والمتناثرة في أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. والواجب على مراكز بحوث الجامعات المحلية أن تبذل قصارى جهدها للبحث عن أمكنة هذه المصادر المهمة ثم جمعها وحفظها، ومساعدة الباحثين والمؤرخين على تحقيقها ودراستها ثم طباعتها ونشرها. (ابن جريس).

(٢) أسأل الله تعالى أن لا يؤاخذني بما أخطأت أو قصرت فيه في الموسوعة وغيرها. والانسان كما أشار الدكتور صالح معرض للزلل والخطأ. لكن الذي يطلع على النيات هو الله، عز وجل. والله العالم أنني لا أعمل إلا ما أرى أنه ذو نفع وفائدة لديني وبلدي وأهلي. وأسأل المولى سبحانه أن يهدينا جميعاً إلى كل عمل صالح يقربنا من خالقنا (عز وجل). (ابن جريس).

(٣) أنني يا أخي الغالي صالح أبو عراد أجتهد، والخطأ وارد لا محالة. وبلادنا وحكومتنا قدمت لنا الكثير من الدعم والرعاية والتشجيع، والواجب أن نرد الجميل لخدمة أوطاننا بما نستطيع، ونسأل الله أن يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد لديننا وبلادنا. (ابن جريس).

ثانياً: الإفادة الإيجابية من أكبر عدد ممكن من الكتاب والباحثين والدارسين في مختلف المجالات العلمية والمعرفية ذات العلاقة بموضوع هذه الموسوعة التاريخية الحضارية، ولعل أكبر دليل على ذلك أن كثيراً من الأبحاث والدراسات والكتابات والمشاركات عن تلك المناطق تكون - في الغالب - منشورة في هذه السلسلة بأقلام أبنائها أو المهتمين بالكتابة عنها وعن تاريخها؛ أو المعنيين بدراسة تراثها وأوجه الحياة الفكرية فيها، وبهذا يكون غيثان بن جريس قد خدم أولئك الباحثين والمهتمين بإتاحته الفرصة لهم مرات ومرات حتى يشاركون في هذه السلسلة الرائدة في نشر أبحاثهم، وطرح أفكارهم، وإبداء وجهات نظرهم وتعليقاتهم، وتدوين ملحوظاتهم وتصويباتهم العلمية التي قد تكون مُنتفة مع ما كتبه أو مختلفة ومتعارضة معه، وهو مع ذلك لا يتوانى عن قبولها ونشرها لهم^(١).

ثالثاً: الثراء العلمي والتنوع المعرفي الملحوظ الذي اشتملت عليه هذه السلسلة الموسوعية من المحتوى العلمي والثقافي الضخم الذي يعتني في مجمله بالرصد التاريخي الوثائقي للماضي، والحديث العلمي الموثق لمختلف الجوانب الحياتية في الوقت الحاضر، إضافة إلى ما يتسم به ذلك المحتوى من التنوع الجميل في مصادره ومراجعته العلمية المعتبرة، وما يمتاز به ذلك المحتوى من التنوع الملحوظ في طرح موضوعات تلك الدراسات والكتابات المنشورة، وما تشتمل عليه من الآراء، والأفكار، والتعليقات، والتصويبات، والاقتراحات، والنقاشات، والطروحات الثقافية المتنوعة^(٢).

رابعاً: أنها بمثابة قناة نشر علمية موثوقة للكتاب والباحثين والدارسين وطلبة العلم منذ صدورهما عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) وحتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) بل إنهم يجدون فيها متنفساً للطرح العلمي والنقاش المعرفي المثمر في ميادين علمية ومعرفية وثقافية شاملة ومتعددة، وإن كانت في الأصل مهتمة بالمجال التاريخي بمعناه الواسع^(٣).

(١) هذا الذي نعمل ونسعى إلى تحقيقه، فبلادنا ثرية بحضارتها وتاريخها، وبناتها وأبنائها هم من يجب أن يخدموا بلادهم وموروثهم الحضاري. وقد وجدت الكثير من الباحثين الذين شاركوا معي في هذه الموسوعة على قدر كبير من المسؤولية والاهتمام الذي يدفعهم إلى توثيق صفحات من تراثهم وحضارة أوطانهم. (ابن جريس).

(٢) أرجو أن تكون هذه الموسوعة عملاً مفيداً لحفظ شيء من تراثنا وحضارتنا كما أرجو أن تجد فيها الأجيال الحاضرة والمستقبلية معارف وعلومًا تساعد على إنجاز أعمال ودراسات أشمل وأفضل وأعمق، وبلادنا السريّة والتهامية مخازن كبيرة لشتى العلوم والمعارف، وهي تستحق أن تخدم في كل المجالات. (ابن جريس).

(٣) هي فعلاً مهتمة بالميدان التاريخي والحضاري عبر العصور، لكنها أيضاً وعاء لأي بحث علمي مفيد لخدمة أرض وإنسان جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة والسراة)، مهما كان نوع هذا البحث ومجاله الدقيق. (ابن جريس).

خامساً: النمط التأليفي المتميز وغير المسبوق (على حد علمي) لمجلدات هذه السلسلة الموسوعية التي تمتاز بأنها تعتمد في تأليفها على منهجية متفردة لترتيب نشر الأبحاث والموضوعات وما في حكمها^(١).

وهنا اغتتم الفرصة للإشارة إلى أن من أهم ما ينقص النمط التأليفي لهذه السلسلة (وآمل أن يتمكن أخي غيثان بن جريس من استدراكه في المستقبل) إغفال عنصر الصورة الفوتوغرافية التي نعلم جميعاً أنها تعد من أدوات العصر وتقنياته الحديثة التي لا يمكن إنكار حضورها، وأهميتها، وجاذبيتها، ودورها الفاعل والإيجابي في التأثير المباشر أو غير المباشر ودعم الحقائق المكتوبة، ولا سيما أن كثيراً من الصور قد تُغني في دلالتها ومعناها ورسالتها عن ألف كلمة كما يُقال، وليس هذا فحسب؛ فكلنا نعلم أن الحكمة العربية تقول: (ليس من رأى كمن سمع)، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية عنصر الصورة وقوتها، ودورها التأثيري عند القارئ^(٢).

وختاماً، فإن من الواجب علينا أن نقول للمحسن أحسنت، وهو ما يفرضه علينا الواقع تجاه هذا النتاج العلمي الموسوعي الضخم للأخ الزميل الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس، وإصداره المتميز (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، سائلين الله تعالى لنا وله القبول والتوفيق والسداد، ومؤملين أن يُصلح الله سبحانه وتعالى لنا جميعاً القول والعمل والنية، وأن يجعل ما نقول ونكتب في موازين الحسنات، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) هذا اجتهاد العبد الضعيف، الذي يرجو توفيق وعون مولاه (عز وجل)، وأسأل الله أن أكون قد أصبت في ما فعلت، أو نلت نصيباً لا بأس به من الصواب وسلوك طريق الحق والرشاد. (ابن جريس).

(٢) كلامك والله يا دكتور صالح حقيقة، فلم تدون إلا صدقاً، وقد بدأت في دعم بعض أعمالي بالصور الفوتوغرافية. فهذا كتاب (جامعة الملك خالد) صدر في جزئين وفيه عشرات الصور. وأعمل حالياً على إصدار المجلد رقم (٢٥) من الموسوعة، وسوف يحتوي على عشرات الصور لمعالم كثيرة في مناطق عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية. وأشكرك يا دكتور صالح على هذه النصيحة والحرص، ولا يستغرب منك ذلك، فقد عرفتك ناصحاً أميناً. (ابن جريس).

(٣) أسأل الله يا دكتور صالح أن يقبل دعواتك، وأن يخلص لنا الأعمال والأقوال، وأن يرحمنا برحمته إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على رسول الله. (ابن جريس).

ثامناً: الحلم الذي أصبح حقيقة: بقلم أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي^(١).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، نبينا محمداً ﷺ وعلى آله وصحابه الغر الميامين .. وبعد..

أهدي لي الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس الجزء الرابع والعشرين من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وقال لي: أن الجزء الخامس والعشرين، ربما يكون الجزء الأخير من هذه الموسوعة^(٢)، وإذا عندك أي ملحوظات أو اقتراحات تؤدي إلى تطوير الموسوعة مستقبلاً، فأرجو أن تبعث بها إلينا^(٣)، وما علم أخي الكريم أن البحر لا يطلب مدداً من الجدول الصغير، وأن الأعمال الموسوعية الكبيرة، لا يقوم بها في الغالب إلا القلة من العلماء، ممن تحلوا بالصبر والحرص والجلد، ولم تشغلهم زخارف الحياة ومُتَمَعها الفانية، عن طلب العلم وخدمة أهله، أمثال الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، فهو فريد دهره، ومؤرخ عصره^(٤)، ولولا علمي أنه لا يحب المديح، ويكره الثناء والإطراء، لذكرت شيئاً من صفاته ومحاسنه العلمية، والخلقية، التي عرفتها، من خلال تعاملتي معه عن قرب^(٥).

أما الكلام عن: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، فإن اسمها يغني عن شرح مضمونها، ومحتوياتها، فمن الصعوبة بمكان أن نستعرض في هذه العجالة، سلبيات وإيجابيات هذه الموسوعة التاريخية الضخمة، التي تتكون من خمسة وعشرين جزءاً

(١) الأستاذ محمد بن جرمان الأكلبي من أعلام محافظة بيشة، بل الابن البار لهذه البلاد العربية، ذات التاريخ والعراقة، فقد خدم أرضها وسكانها بالعديد من البحوث العلمية الرصينة: عرفته من مؤلفاته قبل ربع قرن، وقابلته شخصياً في محافظة النماص قبل عامين (١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م) وبعد ذلك صار لي معه اتصالات ولقاءات، ثم طلبته أن يشارك معي في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) فلم يتأخر، وصدرت مشاركته الأولى في الجزء الثامن عشر من الموسوعة عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)، واستمر في تزويدي بالعديد من الدراسات القيمة في الأجزاء التالية من (١٩-٢٥). وأسأل الله أن لا يحرمه أجر ذلك. كما أرجو من الأخ محمد بن جرمان أن يضاعف جهوده المباركة ويصدر دراسات أكثر وأعمق عن محافظة بيشة، فما زالت بكراً في علوم عديدة، وبخاصة الدراسات الأثرية والتاريخية الحضارية (الإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والتعليمية، والفكرية، والثقافية). (ابن جريس).

(٢) نعم ربما جزء (٢٥) يكون آخر أجزاء هذه الموسوعة، وحتى كتابة هذه السطور، لم أجزم. وأسأل الله أن يدلني إلى كل خير وصواب ويعود عليّ بالأجر والثواب من رب العباد. (ابن جريس).

(٣) انني، والشاهد الله على ما أقول وأكتب، لا أبحث إلا عن النقد الذي يبني ويفيد حتى يخرج العمل في أحسن صورته، والإنسان يخطي ويصيب، لكن الأهم أن يتعلم من العيوب والزلات التي يقع فيها بقصد أو دون قصد. وعندما طلبت من الأستاذ الأكلبي هذا الطلب فذلك لعلمي أنه رجل صادق وباحث جيد، ويدرك معنى الكلمة. ولن يقول لي (ياذن الله) إلا ما يراه صالحاً وصائباً في خدمة العمل العلمي الحيادي والشفاف. وأسأل الله أن يخلص لنا جميعاً الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير (ابن جريس).

(٤) غفر الله لك يا أخي محمد، فوالله إنني لا أستحق هذا الثناء والإطراء، وإنما أنا عبد فقير، أرجو رحمة ومغفرة المولى (عز وجل) وأسأل الله أن يسخرني لكل خير، إنه نعم المولى ونعم النصير (ابن جريس).

(٥) أسأل الله لي ولك التوبة والرحمة والمغفرة، كما أسأله أن يستعملنا ربنا في عبادته ومرضاته. (ابن جريس).

كل جزء لا تقل صفحاته عن (٦٠٠) صفحة تقريباً، أي في حدود (١٥٠٠٠) صفحة، وكذلك كل جزء تتراوح أقسامه من خمسة إلى تسعة أقسام، فهذا عمل موسوعي كبير، لا يقدر على إنجازه إلا الهيئات العلمية، والمراكز المتخصصة^(١)، ولكن الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس أصر على تحقيق هذا الحلم الكبير، فكان له ما أراد، وهذا بفضل الله تعالى وتوفيقه، ثم جهود هذا الرجل المخلص، لدينه ومجتمعه ووطنه، وتاريخ أرضه^(٢).

مع أنني على يقين تام أن الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس حين أصدر الجزء الأول من هذه الموسوعة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، لم يكن يتوقع أن يصل هذا العمل الموسوعي في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) إلى الجزء الخامس والعشرين. لكنها همم العظماء، وأحلام العباقر، والإصرار على تحقيق الأهداف السامية، وإخلاص النية، فمن أخلص نيته لله بارك الله في جهده وعمله، وهذا ما نلنّه ونحسبه ولا نزكي على الله أحداً^(٣).

(*) وإن كان لي من اقتراحات في هذه العجالة فأنتي أقترح:

أن تجمع التوصيات (الغيثانية) التي لا تخلو منها صفحة من صفحات الموسوعة، ثم تفهرس حسب الموضوعات وتوضع في كتاب مستقل، ليسهل الاطلاع عليها من طلاب وطالبات الدراسات العليا للاستفادة منها، فتركها مبعثرة في صفحات الموسوعة يقلل الاستفادة منها، وفيه نوع من الصعوبة على الباحثين^(٤).

(١) لقد عملت وحاولت العمل بجهد وإخلاص، لكنني لا أبرئ نفسي وهذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الأخطاء والزلل والعيوب. وأسأل الله أن يعينني على إصلاح ما يمكن إصلاحه، كما أرجو المولى عز وجل أن يسخر لها باحثين ودارسين جادين حياديين منصفين يصلحون ما فيها من أخطاء وعيوب. (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ محمد بلدنا قدم لنا خدمات كثيرة جداً، مادية ومعنوية. كما أن أرضنا وأهلنا في عموم (السراة وتهامة) لهم علينا واجبات فنرد لهم الجميل، ويعمل كل في مجاله أو تخصصه الذي قضى فيه عقوداً عديدة. وكنت قد تخصصت في علم التاريخ والحضارة قبل حوالي خمسين عاماً، وتعلمت في مدارس وجامعات عديدة داخل بلدي (المملكة العربية السعودية)، وخارجه. ومن ثم رأيت أن وطني الكبير، ووطني الصغير (السراة وتهامة) تحتاج مني تقديم بعض العلم والمعرفة التي تصب في دراسة تاريخ وتراث وحضارة هذه البلاد، لهذا اجتهدت، وأعلم أن اجتهادي محدود، لكن بذلت ما في وسعي وما زلت، وأرجو أن يكون في ما قدمت نفعا لديني وبلادي وأهلي. كما أرجو أن يجد فيه طلاب العلم ما يخدمهم في أعمالهم العلمية الموثقة والرصينة. (ابن جريس).

(٣) أسأل الله يا أخي محمد بن جرمان الأكلبي صلاح النية والعمل الخالص لوجهه الكريم، كما أرجو أن يبعدنا ويجنبنا أي عمل يشوبه تزلف، أو رياء، أو كذب، أو تدليس، ويجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول الحسن فيتبعون أحسنه. (ابن جريس).

(٤) أشكرك يا ابن جرمان على هذه التوصية، وكم يحتاج المسلم إلى نصيح إخوانه المؤمنين الصادقين، وأسأل الله أن تكون منهم. وما أشرت إليه عين الحقيقة والصواب، وقد يطيل الله في العمر فيكون عملاً مطبوعاً ومنشوراً، في قادم الأيام، وإن لم أستطع فأسأل الله أن يسخر لهذا العمل من يراجع، ويضيف عليه، ويشرح الغامض أو الناقص فيه. كما أن هذا العمل الموسوعي يحتاج أيضاً إلى فهارس متنوعة ودقيقة، حتى يسهل الرجوع إليه والاستفادة منه. وهذا أمر أفكر فيه منذ سبع سنوات، وعندي الرغبة في

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي وعملك خالصاً لوجهه الكريم،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي.

حرر في (١٥/٤/١٤٤٣هـ الموافق ٢٠/١١/٢٠٢١م).

خامساً: آراء وتعليقات:

هذا القسم اشتمل على موضوعات متنوعة تناقش بعض الرسومات الصخرية والنقوش في جزء من بلاد بيشة، وتشابهات واختلافات في اللغة ببلاد اليمن، وأوطان السروات وتهامة الممتدة من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز. ثم توصيفات وتعليقات وتقريصات ونقدات لموسوعة تاريخية حضارية تحتوي على عشرات الدراسات عن جنوب البلاد السعودية عبر عصور التاريخ القديم والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. ومن هذه البحوث خرجت بالعديد من النتائج والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. أن أراضي اليمن وتهامة والسراة قديمة في تراثها وحضارتها ولغتها وآدبها ومعارفها، وإذا كنت نشرت في هذا القسم نماذج من البحوث عن هذه البلاد، فذلك لا يمثل إلا جزءاً صغيراً جداً من الموروث الحضاري المحلي، وما زال الكثير منه متناثراً على سطح هذه الأراضي وفي باطنها.

٢. عالم الرسومات الصخرية والنقوش، والآثار المادية السطحية والمدفونة في بلاد تهامة والسراة لم تخدم بطرق علمية وجادة. وهذا الميدان يحتاج إلى دعم سياسي وإداري كبيرين، ثم إلى دعم مادي ومعرفي حقيقي. وكل هذه العوامل غير متوفرة حالياً، لكن بلادنا تحتاج إلى خلق هذه المقومات ثم دفعها إلى الأمام حتى تصبح أعمالاً تنفذ على أرض الواقع بهدف استخراج مكنونات البلاد التراثية والحضارية. وإذا كان هناك أفراداً قلائل قدموا بعض البحوث المحدودة في هذا المحيط الواسع لكن المشوار ما زال طويلاً، ويحتاج إلى هياكل وفرق عمل كبيرة تقوم على ذلك.

٣. أن عليم اللهجات والتراث اللغوي بحر واسع، وله صلات ويتأثر ويؤثر، بل يعد جزءاً أصيلاً من نسيج المجتمعات البشرية. وشبه الجزيرة العربية عرفت شعوباً عديدة لها أفكار، وثقافات، ولغات، ولهجات متعددة ومتغيرة عبر عصور التاريخ. وإذا كان البحث الثاني في هذا القسم يناقش شذرات من التشابهات والاختلافات بين اللغة في بعض بلدان اليمن وبلاد السروات وتهامة، فذلك فقط أنموذج صغير من مجال

إنجازه، وأسأل الله العون والتوفيق حتى أستطيع تحقيق هذه الرغبات التي أعرفها، والتي وصلني بعضها من إخوة فضلاء نبلاء (ابن جريس).

العلم اللغوي في هذه البلاد. بل هناك لغات ولهجات قديمة جرى عليها الفناء، أو التحور، أو التغير في جسمها الرئيسي أو الفرعي. وكم نحن في أمس الحاجة إلى علماء بارعين يدرسون تاريخ لغات هذه البلاد منذ العصر الحجري حتى وقتنا الحاضر، وما جرى لها من مقومات داعمة، أو معوقات أضعفتها، وأحياناً قضت عليها، أو حولتها إلى وجهات ثقافية ولغوية مغايرة. إن الذهاب في أرجاء العالم ثم زيارة أقسام اللغات والبحوث اللغوية القوية والرصينة يدرك أن اللغات واللهجات من العلوم الكبيرة التي يجب دراستها والاهتمام بها. وفي بلادنا حالياً أقسام لغات عديدة، لكن الكثير منها ما زالت كلاسيكية في مناهجها وخططها ومخرجاتها وتحتاج إلى تطوير ومراجعات، ثم الاستفادة مما عند المؤسسات والمراكز العلمية والبحثية الإقليمية والعالمية.

٤. عرف العالم قديماً وحديثاً، عربياً وإسلامياً وأجنبياً عالم الموسوعات المتنوعة في خططها، وتمويلاتها، ومادتها المعرفية، وأهدافها الحضارية. وقد اجتهدت من قبل عشرين عاماً فبدأت موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، ولم أقتبس أو أقلد موسوعة أو عملاً موسوعياً آخر. وإنما الذي دفعني إلى نهج هذه الطريقة الظاهرة على هذا الكتاب، هو الاحساس بالفقر العلمي. والمعرفة الذي عاشته وعانت منه بلادنا (السروات وتهامة) منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر، لهذا سعيت إلى تقديم بعض الأعمال العلمية البحثية عن هذه الأوطان، ولم أتفرد بإعداد هذه الموسوعة بمفردي، وإنما جاهدت وبذلت كل ما في وسعي لكسب أقلام علماء متعددين في علوم شتى، وقد حققت بعض النجاح، لكن البلاد المعنية في هذه الموسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ما زالت بكرة، إن صح التعبير، في معارفها، وتراثها، وموروثها وحضارتها. وآمل أن يكون هذا العمل الموسوعي الذي أخذ مني حوالى عقدين من الزمان لبنة صغيرة تؤسس لأعمال أعظم وأوسع وأكبر. وبلادنا السروية التهامة ولادة، فهي موطن رجال عظماء في ميادين عديدة عرفهم التاريخ منذ العصر الجاهلي حتى الآن. وقد يأتي من بناتها وأبنائها من يؤسس لمدارس علمية بحثية كبيرة تخدم أرض وإنسان هذه النواحي العربية الأصيلة^(١).

(١) أنني أعيش هم الفقر المعرفي الذي عرفته أوطاننا في عصور ما قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي حتى القرن (١١هـ/١٧م). وما زلت أرجو وأتمنى أن أرى مؤسسات علمية بحثية رصينة وقوية تعكف على التنقيب عن حضارة وموروث هذه البلاد. وأن يكون همها الوحيد خدمة أرض وإنسان هذه البلاد في ميدان البحث العلمي الواقعي الجاد، والحيادي الشفاف والرصين. وهذه أمني قد تصبح حقيقة بتقدير مسير الأفلاك، خالق الأرض والسماوات. (والله من وراء القصد).

القسم الثاني

رحلة ثلاثة أيام بين أباها
والقنفذة وغيرهما
(٤-٦ / ٥ / ١٤٤٣ هـ الموافق
٨-١٠ / ١٢ / ٢٠٢١ م)
(مشاهدات، وانطباعات، وتوثيقات)

القسم الثاني

رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرها (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ - ٨-١٠/١٢/٢٠٢١م) (مشاهدات، انطباعات، وتوثيقات)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	مقدمة.	١٠٠
ثانياً	أبها والقنفذة وما بينهما (جغرافياً وتاريخياً).	١٠٢
	١- حاضرة أبها.	١٠٢
	٢- محافظة القنفذة.	١٠٥
	٣- البلدان التي بين القنفذة وأبها.	١٠٨
ثالثاً	الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور في الفترة من (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٢١م)	١٢٧
	١- أهداف الملتقى ونبذة عن أوراقه العلمية.	١٢٧
	٢- آثار الملتقى الايجابية وبعض التوصيات.	١٤٥
	٣- صور من القيم، والوفاء، والإهداءات.	١٤٨
	٤- ملخص كلمة صاحب الرحلة (غيثان بن جريس) عن القنفذة وأهلها.	١٤٩
رابعاً	انطباعات ومشاهدات مختصرة وعامة.	١٥٢
	١- انطباعات ومشاهدات إدارية وأمنية.	١٥٢
	٢- انطباعات ومشاهد اجتماعية واقتصادية.	١٥٢
	٣- انطباعات ومشاهدات معرفية (تعليمية وثقافية).	١٥٤
خامساً	بعض النتائج والتوصيات.	١٥٥

أولاً: مقدمة:

هذه الرحلة لمدة ثلاثة أيام (من الأربعاء إلى الجمعة ٤-٦/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠/١٢/٢٠٢١م) لم يكن مرتباً لها أبداً. مع أنني أعلم منذ أكثر من عام أن الجمعية التاريخية السعودية سوف تعقد ملتقى في القنفذة عن تاريخ وحضارة هذه البلاد وما حولها عبر عصور التاريخ. كما أن رئيس فرع الجمعية في المنطقة الغربية (مكة المكرمة) أ.د. فهد المالكي اتصل بي منذ عدة شهور وطلب أن أقدم ورقة علمية في هذا اللقاء العلمي المزمع عقده في القنفذة، لكنني وقتها اعتذرت لظروف صحية وعائلية. وتقرر عقد هذا

اللقاء في الفترة من (٣-٤/٥/١٤٤٤هـ - ٧/٨/١٢/٢٠٢١م)، وقد أرسلت لي دعوى للحضور والمشاركة، لكن ظروفه ما زالت تأخذ جزءاً كبيراً من وقتي فاعتذرت أيضاً. وقبل انعقاد اللقاء بيومين اتصل بي ابن الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه (د. علي بن حسن)، وطلب مني حضور حفل تكريم على نية والده (غفر الله له) فذكرت له بعض ظروفه، لكنه قال: إن علاقتك مع والدي كانت جيدة، وهذا الذي دونته في كتبك، فقلت له وهذه الحقيقة، فقال: أكرمنا بالمشاركة والحضور، في الليل يوم الأربعاء (٤/٥/١٤٤٣هـ)، فوافقت.

بدأ الملتقى يوم الثلاثاء (٣/٥/١٤٤٣هـ)، وقررت أن أذهب من أبها صباح الأربعاء، على أن أسلك الطريق من أبها إلى الدرب فالبرك ثم مدينة القوز التي سوف يعقد فيها حفل آل الفقيه لوالدهم الشيخ حسن. وفي الوقت نفسه قررت أيضاً أن أوثق بعض مشاهداتي في البلدان الممتدة من أبها إلى القنفذة، فأسلك في الذهاب طريقاً، وأعود من طريق آخر، فذهبت عبر حواضر الدرب، والقحمة، والبرك، وحلي حتى القوز ثم القنفذة. وخططت لهذه الرحلة ثلاثة أيام. اليوم الأول من أبها إلى القوز، واليوم الثاني في مدينتي القوز والقنفذة، ثم أعود في آخر هذا اليوم إلى مدينة المجاردة. واليوم الثالث في أجزاء من محافظات بارق والمجاردة وتهامة باللحمر وبللسمر، ثم أعود في عقبة التوحيد حتى النماص، وأعود من السروات حتى أبها.

هكذا خططت، وارتحلت على نفس التخطيط والحمد لله. كما رسمت الإطار العام لهذه الرحلة، فرأيت أن أبدأ حديثي عن حاضرتي أبها والقنفذة، وأوثق شيئاً من جغرافيتهما وتاريخهما، وأشار أيضاً إلى البلدان التي مررت عليها في الذهاب والإياب. وفي محور آخر قصرت الحديث عن الملتقى العلمي لتاريخ القنفذة وحضارتها عبر العصور وما تخلل فقراته من أنشطة علمية وحضارية، وأختم هذا العنصر ببعض العبر والدروس التي خرجت بها في هذه الرحلة وبخاصة عن بلاد القنفذة وسكانها. وفي عنصر ثالث أوثق صوراً من الانطباعات العامة التي خرجت بها في هذه الرحلة التي بدأت من أبها وانتهت فيها، واستغرقت ثلاثة أيام، بل زادت ببضع ساعات^(١). وفي نهاية هذه المدونة أرصد بعض النتائج والتوصيات العامة.

(١) في الفقرات السابقة العديد من الأسماء والمعلومات التي تحتاج إلى تفسيرات وشروح كثيرة، لكنني لم أسلك هذه الطريق، حتى لا أنقل معلومات الرحلة بالهوامش والتفصيلات. كما أن هذه البلاد التي تجولت في أرجائها من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة وتهامة باللحمر وبللسمر، وأخيراً عقبة التوحيد ثم الذهاب من النماص إلى أبها سبق أن درست صفحات من تاريخها القديم والحديث والمعاصر، كما أنني قمت فيها برحلات عديدة، وهي موثقة في عدد من مؤلفاتي وبحوثي. وفي هذا العمل سوف أحاول الابتعاد بقدر الإمكان عن التكرار. ولعلي أوفق في تدوين أحداثاً وتفصيلات جديدة في محتواها، وتكون إضافة لما سبق أن نشرته. للمزيد من هذه الدراسات انظر عدد من مؤلفاتي، وبخاصة موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤) مجلد، حوالي (١٥٠٠) صفحة.

ثانياً: أبها والقنفذة وما بينهما (جغرافياً وتاريخياً):

١- حاضرة أبها:

إن لي رحلة طويلة مع مدينة أبها، فقد جئت إليها طالباً في الجامعة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم امتد بي التاريخ فيها حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). نعم ذهبت إلى أمريكا وبريطانيا بضع سنوات لدراسة درجتي الماجستير والدكتوراه ثم عدت إلى حاضرة أبها (عاصمة منطقة عسير)، وأحياناً سافرت إلى أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، لكنني لا أمكث طويلاً، وإنما أعود إلى مقر إقامتي في أبها وإلى مسقط رأسي في محافظة النماص^(١).

ودرست تاريخ أبها وحضارتها وجغرافيتها في عدد من الدراسات، وجميعها مطبوعة ومنشورة، وأكبر هذه البحوث وأطولها، كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، صدر هذا العمل العلمي في طبعتين (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) و (١٤٣٠هـ/٢٠٠٦م)، في (٥٨٤) صفحة. وفي موسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، بحوث ومدونات عن مدينة أبها وما حولها من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)^(٢).

يغلب الطابع الجبلي على تضاريس أبها، ويتخللها العديد من الشعاب والأودية. وأهمها وادي أبها الذي تأتي مسائله من مرتفعات المدينة الغربية، ثم تسير شرقاً حتى تصب في وادي بيشة. والمدينة وأريافها مكسوة بالغطاء النباتي الجميل، فالذهب من وسط المدينة نحو الغرب أو الشمال الغربي، يرى الكثير من الغابات والمنتزهات الجميلة والرائدة في المملكة العربية السعودية. وكانت إلى عهد قريب مليئة بالطيور والثروة الحيوانية المتنوعة، وما زال بعضها حتى الآن، لكنها قلت عن السابق بسبب التمدن الحديث الذي انتشر في كل مكان^(٣).

مناخ أبها معتدل صيفاً، بارد شتاءً، وتسقط الأمطار في بعض شهور السنة وبخاصة في فصلي الخريف والصيف. ويحل الضباب (العماة) على المدينة ومرتفعاتها الغربية،

(١) للمزيد من التفاصيل عن صاحب الرحلة (غيثان بن جريس)، انظر، محمد بن أحمد معبر. مؤرخ تهامة والسراة (غيثان بن جريس) (طبعتان ١٤٢٣هـ، ١٤٢٧هـ / ٢٠١٢م، ٢٠١٦م). (٦٢٠ صفحة) و (٥٨٤ صفحة)، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) (الجزء الرابع والعشرون)، ص ٤٦٩-٥٨٧.

(٢) هناك العديد من البحوث والرسائل العلمية والمقالات والقصائد الشعرية والروايات المدونة عن حاضرة أبها. وما زالت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تستحق أن يصدر عنها بحوث أكثر وأقوى وأطول.

(٣) أثرت حياة المدينة والتنمية الحديثة على الحياة الطبيعية، فتراجع الغطاء النباتي، وانقرضت الكثير من الطيور والحيوانات البرية، والبعض منها أصبح قليلاً جداً أو شبه نادر.

والجنوبية الغربية، والشمالية الغربية في فصل الشتاء، وأحياناً في بعض أوقات السنة الأخرى كفصل الصيف. وتهب على الحاضرة رياح شرقية جافة أحياناً، وفي فصل الصيف يزداد الغبار في تهامة، وأحياناً تحمله الريح إلى مرتفعات عسير وغيرها من السروات^(١).

والتأمل في جغرافية حاضرة أبها يجد لها مرتفعات عالية في الناحية الغربية، يأتي بعدها منطقة الأصدار المكسوة بالأشجار الكثيرة، ويتخللها أودية ومنحدرات شديدة نحو الغرب حتى تتصل بالسهول ثم ساحل البحر الأحمر. ولها أيضاً منحدرات شرقية تهبط تدريجياً حتى تتصل بأجزاء من بلاد شهران العريضة الممتدة من خميس مشيط جنوباً إلى بيشة وبوادي رجال الحجر شرقاً^(٢).

سكان مدينة أبها الأساسيون وما حولها هم قبائل عسير الأربع: مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة. وكل قبيلة تستوطن ناحية من الحاضرة. وقبيلة مغيد في وسط المدينة وما حولها. وكتب التاريخ والأنساب الحديثة ذكرت صفحات من تركيبة أبها البشرية. وتمتد أراضي القبائل الأبهائية في كل اتجاه فتجاورها بعض عشائر شهران وقحطان من الشرق والجنوب، وبعض قبائل رجال الحجر من الشمال، وامتداد بعض قبائل حاضرة أبها تتصل مع قبائل رجال ألمع وبعض قبائل تهامة في الغرب. ولم تسلم حاضرة أبها من عناصر بشرية وفدت إليها من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها، بل جاء إليها بعض الأجناس البشرية منذ قرون مضت. وفي العصر الحديث المتأخر والمعاصر تطورت مدينة أبها وما حولها في شتى المجالات، وأصبحت حاضرة مترامية الأطراف، ومن ثم وفد إليها الكثير من سكان الأرياف، وأعداد غير قليلة من السواح الداخليين والخارجيين، ناهيك عن العمالة الوافدة التي تعيش فيها حالياً، فهم كثيرون، جاءوا إليها من بلدان عديدة في العالم العربي والإسلامي وغير الإسلامي^(٣).

ورد ذكر أبها منذ فجر الإسلام، وربما كانت معروفة بهذا الاسم منذ العصر القديم. لكن ذكرها بهذا المصطلح في مصادر مبكرة غير واضح من حيث المساحة الجغرافية، والكثافة السكانية. وكانت حاضرة جُرش، أو بلاد جرش هي المعروفة قبل

(١) هذا الذي شاهده وعاصرته خلال السنوات الماضية، وما زالت هذه الظاهرة تتكرر دائماً في فصل الصيف.

(٢) ارتحلت في هذه البلاد مرات عديدة، وكتبت عن جزئيات من تاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ. وما زالت تحتوي على الكثير من النقوش والآثار السطحية والمدفونة الجديرة بالبحث والدراسة والتحليل.

(٣) هذا الذي قرأته عن الحياة السكانية في حاضرة أبها وما حولها، كما أنني عاصرت وشاهدت النمو والتنوع السكاني في هذه الناحية منذ حوالي خمسين عاماً، كيف كانت بلدة متواضعة في عمرانها وإمكاناتها الحضارية، ثم قفزت قفزات تنموية كبيرة وسريعة، وفي كل المجالات، والتركيبية السكانية من المجالات التي نمت وازدادت بشكل كبير جداً.

الإسلام وبعده حتى القرن (١٢هـ/١٣هـ)، وأبها كانت ربما ناحية صغيرة من مخلاف جُرش (جزء كبير من سروات منطقة عسير حالياً) ^(١).

بدأت أبها تعرف كقرية صغيرة على واديها المعروف باسمها (وادي أبها) منذ نهاية القرون الإسلامية الوسيطة، وفي بداية العصر الحديث ازداد سكانها، وكثرة خيراتها الاقتصادية، وبرز بعض رجالها في مد نفوذهم السياسي والإداري، وصارت تذكر في بعض المصادر التاريخية المعتبرة منذ القرن (١١هـ/١٧م)، ولم يأت نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) ثم بداية القرن (١٣هـ/١٩م) إلا وأصبحت ناحية معروفة، لكنها لم تتخذ عاصمة للبلاد إلا في بداية الأربعينيات من القرن (١٣هـ/١٩م)، وكانت قرية المفتاحة أول الأمكنة الإدارية والسياسية الحديثة في هذه الحاضرة، واستمرت المدينة (أبها) تتسع وتشتهر في عهد الأميرين عائض بن مرعي وولده محمد بن عائض من نهاية الأربعينيات إلى نهاية الثمانينيات في القرن (١٣هـ/١٩م)، وعند دخولها تحت نفوذ الدولة العثمانية عام (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) صارت العاصمة المركزية لنفوذهم في عموم السروات وتهامة، واستمرت هكذا حتى عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، ثم دخلت تحت نفوذ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وتدرجياً صارت حاضرة منطقة عسير وما زالت حتى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ^(٢).

وتاريخ مدينة أبها الحضاري وصلاتها مع غيرها موضوع كبير ومتشعب يستحق أن يبسط في دراسات علمية عديدة. ومن أهم مؤهلاتها موقعها على وادٍ غني بتربته ومياهه، ثم استيطانه بالعديد من العشائر، وأيضاً اتصاله جغرافياً وبشرياً بالكثير من البلدان المأهولة بالقبائل المتفاوتة في سعة أراضيها وعدد سكانها وعشائرها، والأهم من ذلك أن صارت من القرن (١٣هـ/١٩م) المقر السياسي والإداري لمعظم بلدان السراة وتهامة، وحالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير الممتدة

(١) صدرت العديد من البحوث عن مخلاف جُرش في القرون الإسلامية المبكرة الوسيطة، وهي مطبوعة ومنشورة في بعض أجزاء موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وفي كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (١ق-١٠ق/١٠هـ-٧ق-١٦م) (الجزء الأول). انظر هذه الكتب ورقياً وإلكترونياً على الرابط الآتي (Prof-ghithan.com).

(٢) اختصرت جداً في الإشارة إلى تاريخ أبها السياسي، مع أن هناك بعض الدراسات والرسائل والبحوث الحديثة التي فصلت الحديث عن تاريخ عسير الحديث بشكل عام، وعن بعض حواضرها ومدنها مثل مدينة أبها. لكن ما زال الكثير من الجوانب التي لم تدرس تاريخها القديم والمبكر والوسيط. كما أن هناك الكثير من الوثائق الحديثة غير المنشورة وفيها مادة علمية جيدة وجديدة عن مدينة أبها. أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ وحضارة هذه الحاضرة من شتى الجوانب من نهاية القرون الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر.

في الجبال من جنوب محافظة بلجرشي في منطقة الباحة شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً، ومن محافظة بيشة شرقاً إلى محافظة البرك على ساحل البحر الأحمر^(١).

٢- محافظة القنفذة:

مصطلح (محافظة) لم يظهر إلا منذ ثلاثين عاماً، أما اسم القنفذة فهو معروف منذ خمسة قرون. والقنفذة اليوم، مدينة ومحافظة، تقع على ساحل البحر الأحمر الشرقي، وفي منتصف الطريق بين مكة المكرمة شمالاً، ومنطقة جازان جنوباً. وهذه الرحلة القصيرة التي خرجت فيها من أبها إلى القنفذة ثم العودة إلى أبها، ليست كافية لأن أكتب عن هذه البلدان التهامية والسروية المتباعدة، والمختلفة في تركيبها البشرية والجغرافية. ثم إن بلاد القنفذة ليست أرضاً جديدة أو غريبة عليّ في ميدان البحث العلمي، وإنما زرتها باحثاً في بداية العشرينات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وقرأت عنها في الكثير من المصادر، والمخطوطات، والوثائق، وتجولت في مناكبها متأملاً ومدوناً شيئاً من تاريخها وحضارتها الحديثة والمعاصرة، وأخيراً أصدرت عنها كتاب بعنوان: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١٠هـ-١٦هـ/١٦ق-٢١م) (دراسة تاريخية حضارية)، عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٥٢٧ صفحة). ثم أعدت طباعته في طبعة ثانية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) (٥٦٨ صفحة)^(٢).

كانت القنفذة مثلها مثل أبها، فلم تكن معروفة بشكل واسع في القرون الإسلامية الوسيطة، وربما كانت أبها أفضل حالاً لأنها مذكورة، أي أن مصطلح (أبها) ورد اسماً لمكان ضمن مخلاف جرش (جزء من منطقة عسير حالياً)، لكن ذكره كان غامضاً، فلا تعرف حدوده ومساحته، ومع مرور الزمن ارتفع شأن حاضرة أبها حتى نراها حالياً العاصمة الإدارية الرئيسية لعموم منطقة عسير. والذي كان معروفاً ومذكوراً في محافظة القنفذة قبل الإسلام وبعده حتى نهاية العصر الإسلامي الوسيط بعض الأودية المشهورة في هذه الناحية، كوادي حلي في الجنوب، يليه شمالاً وادي ببة، ثم وادي قنونا. هذه الأودية الثلاث كبيرة جداً فمنابع مياهها تأتي من أعالي السروات، ثم

(١) قرأت عشرات الكتب، ومئات الوثائق والمدونات والمخطوطات التي تشتمل على تفصيلات عن منطقة عسير وحاضرتها مدينة أبها، وعن بلاد السروات وتهامة الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى منطقتي جازان ونجران فوجدت هذه البلاد متنوعة الموارد الطبيعية، متعددة القبائل والعشائر العربية، ولها تاريخ وحضارة قديمة ووسيلة وحديثة ومعاصرة، وهي تستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والرسائل والبحوث العلمية، وقد خرج عنها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) العديد من البحوث، لكنها ما زالت بحاجة إلى مؤسسات ومراكز بحوث علمية، مدعومة مالياً وبشرياً ومعنوياً، فتقوم بهذه الأعمال البحثية الكبيرة.

(٢) للمزيد انظر الطبعتين منشورة ورقياً، وانظرها أيضاً تقنياً على الرابط الإلكتروني (Prof-ghithan.com).

ترفدها الكثير من الأودية الصغيرة والكبيرة في منطقة الأصدار حتى سفوح السروات الغربية، ثم السهول والخبوت حتى تصب هذه الأودية الكبيرة في البحر. وجميعها تقع حتى اليوم ضمن محافظة القنفذة الإدارية^(١).

نجد العديد من المصادر توثق بعض التفصيلات عن وادي حلي، وعن إمارة إسلامية قامت فيه خلال القرون الإسلامية الوسيطة، ولا يستبعد أن في هذه الأوطان قبل الإسلام قوى سياسية وحضارية. ومما جعلني أقول ذلك أنني وقفت على أمكنة عديدة في وادي حلي فرأيت فيها الكثير من النقوش والآثار السطحية والمدفونة التي يعود تاريخ بعضها إلى عصور ما قبل الإسلام^(٢). أما إمارة بلاد حلي الإسلامية، فعرفت بإمارة بني حرام، وكان لهذه الإمارة أحداث سياسية وحربية وحضارية في بلاد تهامة، مع الكثير من القوى السياسية التي ظهرت في الحجاز واليمن خلال القرون الإسلامي الوسيطة، بل كان لها صلات مع بعض القوى السياسية الإسلامية الكبرى في العراق والشام ومصر وغيرها^(٣).

ومنذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) نجد المصادر تشير إلى اسم القنفذة عند مصب وادي قنونا في البحر، وبدأت هذه الناحية تتطور سياسياً وحضارياً. وفي الوقت نفسه اختفى ذكر إمارة بني حرام في حلي منذ القرن الثامن الهجري تقريباً، والبلاد بقيت كما هي حتى العصر الحديث، لكن لم نعد نسمع عن حراك تاريخي وسياسي ملموس في هذه الناحية، وصارت القنفذة هي القبلية الرئيسية في عموم محافظة القنفذة. بل أصبحت القنفذة لاعباً سياسياً مهماً عندما اشتدت الحروب بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى، وكانت إمارة الأشراف في

(١) إن الباحث في بعض المصادر الأجنبية القديمة، والمصادر العربية الإسلامية المبكرة والوسيطية يجدها دونت بعض المعلومات عن هذه الأودية الثلاثة (حلي، وبيبة، وقنونا). وأقول أن كل واد من هذه الأودية يستحق أن يصدر عنه الكثير من الكتب والبحوث العلمية التاريخية، والأثرية، والحضارية. أمل من أقسام التاريخ والآثار في جامعاتنا السعودية أن تهتم بدراسة هذه الأمكنة الجديرة بالبحث والتأصيل.

(٢) ارتحلت في محافظة القنفذة مرتين، واستغرقت كل رحلة من (٧-١٠) أيام. الرحلة الأولى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، والرحلة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). ووجدت أن محافظة القنفذة متنوعة في جغرافيتها وأيضاً في أعراقها البشرية. وهي بلاد جديرة بالبحث التاريخي والأثري الكبير والعميق. وهاتان الرحلتان منشورة في كتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١٠ق-١٥ق هـ/١٦ق-٢١ق م). (الطبعتان الأولى والثانية).

(٣) صدر بعض الدراسات المحدودة عن إمارة بني حرام في وادي حلي، لكنها ما زالت تحتاج إلى عدد من البحوث الحضارية، والتاريخية، والأثرية. أما صلاتها مع غيرها داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها فهذا موضوع آخر مهم يستحق أن يدرس في أكثر من كتاب أو رسالة علمية. حيداً أن نرى بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعة الجنوب السعودي فيقومون بخدمة هذه البلاد علمياً وبحثياً وتوثيقاً.

الحجاز تساهم بشكل كبير في تلك الأحداث، وكذلك إمارة المتاحمة في بلاد عسير، وحمود أبو مسمار وبعض الأشراف في منطقة جازان. وظهرت إمارتا سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل ثم إمارة آل عائض في عسير، وأصبحت أبها في عصرهم هي العاصمة السياسية والإدارية لبلاد عسير^(١).

عاد العثمانيون إلى بلدان السراة وتهامة في ثمانينيات القرن (١٢هـ/١٩م) وسيطروا عليها حوالي خمسين عاماً، وصارت مدينة أبها المركز الرئيسي لمد نفوذهم على البلاد، وأصبحت مدينة القنفذة واحدة من الإدارات والمواني الرئيسية التابعة للمتصرفية العثمانية في أبها. وجرت حروب وأحداث وتقلبات سياسية متعددة في هذه البلاد. وظهرت مؤخراً إمارة الإدريسي في جازان في عشرينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، كما تدخلت بعض القوى الغربية كإيطاليا وبريطانيا وغيرهما في تلك الأحداث والصراعات^(٢).

وعند وصول الحكم السعودي الحديث إلى بلاد تهامة والسراة، كانت ببشة ثم أبها أول الحواضر الرئيسية التي مد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود نفوذه عليها. ومن حاضرة أبها امتد الحكم السعودي على معظم أوطان السروات وتهامة. وإن تأملنا في المصادر والوثائق التاريخية المعاصرة لحكم الملك عبدالعزيز آل سعود على الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وجدنا كل ناحية لها ظروف وأحداث متنوعة منذ بداية الدولة السعودية الحديثة حتى وفاة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله)^(٣).

(١) صدر حتى الآن العديد من الدراسات العلمية التي تناقش وتشرح الأحداث السياسية، والحربية التي عاشتها عموم السروات وتهامة من نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) إلى ثمانينات القرن (١٢هـ/١٩م). وكيف كان لبلاد القنفذة ثم حاضرة أبها أدوار سياسية متعددة. مع أن كل البحوث التي خرجت حتى الآن فصلت الحديث عن الجانب السياسي والحربي، وما زالت الميادين الحضارية (الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والفكرية والتعليمية). لم تتلحقها من البحث والتوثيق، أرجو أن تكون هذه الموضوعات من اهتمامات المؤرخات والمؤرخين في وقتنا الحاضر.

(٢) أوجزت جداً في تدوين تلك الأحداث التي عاشتها المنطقة من ثمانينات القرن (١٢هـ/١٩م) إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وهناك الكثير من الكتب والرسائل، والبحوث العلمية التي درست هذه الفترة وبخاصة الجوانب السياسية والعسكرية، وبعضها إشارات بشكل بسيط إلى التاريخ الحضاري. والتواريخ الحضارية في هذه الفترة وفي عموم السروات وتهامة ما زالت بحاجة كبيرة إلى إصدار العديد من الكتب والدراسات العلمية الدقيقة والموثقة.

(٣) هناك الكثير من البحوث والكتب التي أرخت لهذه الفترة وبعض الأحداث التي وقعت في عموم بلدان السراة وتهامة الممتدة من جازان ونجران إلى مكة المكرمة والطائف. وما زال هناك جوانب تاريخية حضارية، وكذلك أعلام كان لهم دور في توحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار فيها. ومثل هذه الموضوعات

وبلاد القنفذة وما حولها كانت تتبع إدارياً ومالياً لحاضرة أبها حتى نهاية النفوذ العثماني في شبه الجزيرة العربية. واستمرت هذه التبعية في السنوات الأولى من سيطرة الملك عبدالعزيز على بلاد عسير، كما بقيت أبها وما زالت هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير تهامة وسراة^(١).

وبعد إجراء بعض التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة السعودية الحديثة تحولت التبعية الإدارية لإمارة ثم محافظة القنفذة إلى إمارة المنطقة الغربية في مكة المكرمة. وما زالت على هذا الوضع حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)^(٢).

والناظر في أحوال مدينتي أبها والقنفذة اليوم يجدهما من الحواضر الحديثة في المملكة العربية السعودية. وحاضرة أبها أفضل تنموياً وحضارياً كونها ذات تاريخ سياسي وحضاري قديم، فهي عاصمة معظم بلدان السراة وتهامة خلال القرون الماضية المتأخرة، واليوم هي المقر الإداري الرئيسي لمنطقة عسير. أما القنفذة فهي المركز الرئيسي لأجزاء عديدة في تهامة، وفي الوقت نفسه هي إمارة ثم محافظة رئيسية ضمن الهيكل الإداري لمنطقة مكة المكرمة. وتحتوي على الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية ومشاريع أخرى عديدة، وما زالت تنتظر مشاريع تنمية وتطويرية أخرى^(٣).

٣- البلدان التي بين القنفذة وأبها:

مررت على بلدان عديدة أثناء الذهاب والإياب بين أبها والقنفذة، ابتداءً من عقبة ضلع جنوب مدينة أبها مروراً بمرربة، فمحافظة الدرب، والحريضة، والقحمة، ومحافظة البرك، فسعيدة الصوالحة، ثم حلي، فالقوز ثم القنفذة. وعند عودتي رجعت

تستحق أن تدرس في هيئة رسائل جامعية، أو بحوث علمية محكمة. وهذا الذي نرجو تحقيقه على أيدي باحثين ومؤرخين حياديين ومنصفين.

(١) حبذا أن نرى باحثين جادين يكتبون عن التاريخ الإداري والمالي لحاضرتي أبها والقنفذة من ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وحسب علمي المحدود أن هذين الموضوعين لم يدرسا في عمل علمي مطول وموثق.

(٢) من خلال تجوالي في عموم السروات وتهامة منذ خمسين عاماً، ثم إصداري عدداً من البحوث العلمية عن هذه الأوطان، فأقول أن البلاد التهامية الممتدة من جنوب مدينة مكة المكرمة إلى القنفذة والقوز على البحر، وإلى قلوة والمخواة والعرضيات في تهامة الباحة وما جاورها ما زالت بكرة في ميدان البحث العلمي، وفي كل المجالات، وأحث جامعات الباحة، والطائف، وأم القرى على تشجيع أساتذتها وطلابها في برامج الدراسات العليا على دراسة هذه الأوطان في شتى الجوانب، وهي فعلاً تستحق ذلك.

(٣) دونت هذه المختصرات التوثيقية عن حاضر أبها، ومدينة القنفذة، وهذا غير كاف، وهناك بعض البحوث والكتب التي صدرت عنها خلال الأربعين عاماً الماضية وأكثر. وقد وثقت كثيراً من هذه المصادر والمراجع في كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة تاريخية)، وكتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠-١٥هـ/ ١٦-٢١م). وما زالت هاتان الناحيتان تستحقان مزيداً من البحوث العلمية النوعية.

إلى القوز ثم خرجت في الطريق الشرقي الذي أخذني إلى مقربة من خميس حرب ثم سرت في الطريق الذي يصل إلى محافظة المجاردة، ثم إلى محافظة بارق، وبعض مراكز محافظة محايل الشرقية كخميس مطير (تهامة باللحمر وبللسمر)، ثم عدت إلى مدينتي المجاردة وخاط، وصعدت عقبة التوحيد إلى النماص ثم ذهبت إلى تنومه، فاثنتين بللسمر، ثم مدينة صبح بسرورات باللحمر ثم أبها^(١). وخرجت من هذه الرحلة المحدودة زمنياً ببعض الخلاصات الجغرافية والتاريخية، أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. جميع هذه البلدان أعرفها منذ زمن بعيد فقد عشت في بعضها أيام الصبا، وزرت أخرى وتجولت في أرجائها منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وفي نهاية الأمر وثقت بعض رحلاتي فيها في عدد من الكتب والدراسات، وكان أول تلك الرحلات المدونة قبل ثلاثين عاماً، وعنوانها: رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٢/٦/١٤١٣هـ)^(٢)، ثم تلا ذلك رحلات عديدة كان آخرها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، فقامت برحلة لعدة أيام في محافظات تنومة، والنماص، والمجاردة^(٣)، وبعدها رحلة من الدرب إلى البرك^(٤)، وهناك رحلات أخرى عديدة في هذه البلاد وغيرها من أوطان السروات وتهامة^(٥).

٢. شاهدت جغرافية هذه الأوطان خلال خمسة عقود فكانت من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) كثيرة الأمطار، مليئة بالثروات الحيوانية والزراعية، ومكتظة أراضيها بالأشجار والغابات المتنوعة، وكثير من

(١) هذه الرحلة استغرقت ثلاثة أيام من (٤-٥/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠/١٢/٢٠٢١م). وجميع هذه المدن والبلدات المذكورة في المتن تستحق أن تدرس في بحوث علمية توثيقية مطولة، أمل أن نرى طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريخ المحلية يتولونها فيدرسونها في رسائل علمية موثقة.

(٢) للمزيد انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثاني). طبعتان (١٤٢٢هـ/٢٠١١م) و(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (القسم السابع). ونشرت من قبل في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٣) في الفترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣-١٨/٩/٢٠٢١م)، ومنشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الخامس والعشرون).

(٤) في الفترة من (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨-٢٤/١٠/٢٠٢١م) في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الخامس والعشرون).

(٥) بعض هذه الرحلات منشورة في بعض أجزاء (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٥ مجلداً)، وفي كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعات الثانية، والثالثة، والرابعة). كما نشر بعضها الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبَّر في كتاب: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (ق٢-ق١٥هـ/ق٨-ق٢١م) (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثاني) ص ٥٦٧-١١٠٢. وأمل أن أتمكن من جمع جميع رحلاتي في بلاد تهامة والسراة في عدة مجلدات (بإذن الله تعالى).

النباتات والحشائش الأخرى. وبعد ذلك بدأت تتراجع في ثرواتها الطبيعية الحيوانية والنباتية، نتيجة التنمية والتطور العمراني الحديث الذي انتشر في المدن والأرياف، والبوادي، والكثير من الناس تركوا مهنة الرعي والزراعة وانخرطوا في أعمال وظيفية واقتصادية أخرى يكسبون منها أموالاً وأرزاقاً أكثر من مهنة الزراعة والرعي^(١). كما رأيت أن مياه الآبار الجوفية قلت كثيراً عن السابق، وبالتالي أقامت الدولة الكثير من السدود المائية التي تساعد الناس في ممارسة بعض أعمالهم الحضارية. وصار بعض الناس يحفرون آباراً ارتوازية، وكان الحصول على الماء في البداية قريبا وسهلاً، واليوم صار بعيداً في جوف الأرض، ولا يصل الإنسان إليه إلا بعد مئات الأمتار^(٢).

٢. عرفت، ووقفت، وشاهدت المستوطنات البشرية في هذه البلاد، فكانت حياة البدو والبادية سائدة في معظم البلدان التي مررت عليها. وحياة العمارة والتمدن الحديث بدأت ثم توسعت من المدن الرئيسية. مثل أبها، أو الدرب، أو القوز والقنفذة، أو المجاردة، والنماص، وأبها، فقد كانت أفضل حالاً تنمية وتطوراً في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، مقارنة مع أمكنة أخرى كالخريضة، والقحمة، والبرك، وبارق، وخميس مطير، وتومة، واثنين بللسمر، وصبح في سرورات بللحمر. فجميع هذه النواحي ما زالت آنذاك في بدايات التطور والتمدن الحديث من حيث الأبنية السكنية، والحكومية، والتجارية، وحتى الصناعية، والسياحية. والحوضر الكبيرة هي التي بدأ فيها التطوير أولاً، ثم سار تدريجياً إلى البلدان التي بعدها. أما الأراضي والأرياف والقرى البعيدة نوعاً ما عن أماكن الاستيطان الكبيرة والمتوسطة الأنف ذكرها فقد كانت حياة الناس فيها أقرب إلى البداوة والبادية من غيرها^(٣).

(١) لم يكن التراجع مقصور على الحيوانات والطيور الأليفة فقط، لكن هذا التدهور وأحياناً الانقراض امتد إلى السباع والحيوانات البرية، والطيور، والزواحف. فقد شاهدت الكثير من هذه الكائنات الحية في تسعينيات القرن الهجري الماضي، والعقد الأول من هذا القرن موجودة بأعداد كثيرة، وفي كل مكان (المرتفعات، ومنحدرات السروات الغربية، والسهول والسواحل)، واليوم صار أكثرها شبه نادر، وإن وجد بعضها فهي قليلة، وفي الأماكن الوعرة من منطقة الإصدار (سفوح السروات الغربية)، وبعض الغابات البرية في السهول والسواحل: المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته لهذه التحولات الجغرافية من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).
(٢) إن للتنمية الحضارية الحديثة أثراً إيجابية كثيرة، كما أن لها سلبيات على الطبيعة من نباتات ومياه وغيرها. حبذا أن تدرس إيجابياتها وسلبياتها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وهذا الموضوع جدير أن تصدر عنه دراسات علمية عديدة وفي شتى الجوانب، ويجب على مراكز البحوث في الجامعات والمؤسسات العلمية أن تخدم هذا الميدان معرفياً وبحثياً وتوثيقاً.
(٣) هذا الذي عرفته وشاهدته من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بدايات العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م). وتاريخ التنمية الحديثة في عموم المملكة العربية السعودية جدير أن يدرس ويوثق في أعمال

ومن مظاهر التحول الجغرافي الرئيسي في هذه البلاد، ظهور الدروب الحديثة التي تسلكها بعض السيارات، وقيام العمارة الحديثة سوى كانت بالطوب والإسمنت والحجارة، أو بالحديد والخرسانة المسلحة. وبدا زحف هذه النماذج من التنمية الحديثة في المدن الكبيرة ثم التي تليها حتى وصلت إلى الأرياف والبوادي، عندئذ بدأ الناس يتركون مساكنهم القديمة المبنية بالحجارة والطين أو الجص، وأيضاً بيوت القش، واستبدلوها أولاً بمساكن جمعت بين العمارة القديمة والحديثة، ومنذ عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت الأحياء والمدن والبلدات والقرى المبنية بالحديد والخرسانة المسلحة، وبقيت بعض البيوت في القرى مستخدمة من قبل أهلها، أو من يسكنها.

ومنذ (١٥-٢٠) سنة تقريباً تم هجر معظم القرى والبيوت القديمة وبخاصة في المدن والحواضر الكبيرة والتي تليها في المستوى التنموي. وبقيت الأرياف البعيدة أو البوادي مليئةً بالبيوت القديمة من الحجر أو الطوب، أما منازل القش فقد انتهت بنسبة (٩٥-٩٨٪)، وإن بقي منها شيء فهي قليلة جداً وفي الأرياف والبوادي القصية.

والذاهب في ربوع هذه البلاد المذكورة في هذه الرحلة أو غيرها من بلاد السروات وتهامة يشاهد مئات القرى القديمة المهجورة، ومعظمها صارت مهدامة ومندثرة، بل صارت تعكس تشوهاً بصرياً وعمرانياً سلبياً لمن يزورها أو يشاهدها. كما أن أغلب القرى لا تخلو من نماذج عمرانية أخرى قديمة كالقصور، والحصون، والقلاع، وبعض الأسوار، ومعالم جغرافية متعددة، وهي أيضاً خربة، بل بعضها أصبحت أمكنة بائدة وموحشة لمن يزورها أو يتجول في بعض أجزائها^(١).

وإذا تأملنا الطرقات والدروب القديمة، وجدناها جزءاً من التاريخ، فلا تخلو قرية، أو ناحية، أو مزرعة، أو بادية، أو ريف من طرق تربط بعضها ببعض. وكانت من عمل وجهود الأوائل، فلا يضعفون أو يتقاعدسون عن بناء طرقهم في كل مكان. بل إن بعضهم فتحوا طرقاً بدائية بجهود فردية تربط بين مرتفعات السروات، والأجزاء التهامية أو البدوية الشرقية. وما زلنا نرى بعضاً من تلك الطرق (العقبات) القديمة التي تسير من أبها، أو من السروات الممتدة من حاضرة أبها إلى محافظة النماص^(٢).

علمية كبيرة. وعلى جامعاتنا مسؤولية كبيرة فالواجب عليها الدعم والتشجيع في توثيق تاريخنا الحديث والمعاصر وبخاصة في مجال التنمية والبناء.

(١) أن هذه الأنماط العمرانية القديمة جزء من تاريخ بلادنا خلال العصر القديم، وعصور الإسلام المختلفة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتستحق أن يدرس تاريخها أولاً، كما أنها جديرة أن ترمم وتطور حتى تعود لها الحياة البشرية والحضارية كما كانت في عصور سابقة.

(٢) تجولت في بلدان عديدة من الطائف إلى ظهران الجنوب، ونزلت بلاد تهامة ورأيت بلدان عديدة من جازان وصبيا وييش إلى رجال ألمع ومحایل والمجاردة والمخوة حتى تهامة الطائف، ووقفت على دروب في هذه

سبقت طرق السيارات إلى بعض البلدان المعنية في هذه الرحلة وغيرها، قبل مجيء العمارة الحديثة المسلحة. وتشير الوثائق التاريخية وبعض المصادر إلى وصول السيارة إلى نواحي عديدة في مناطق عسير، وجازان، ونجران والباحة منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنها كانت محدودة وقليلة جداً حتى التسعينيات من القرن نفسه، ثم بدأت الطرق والسيارات تتزايد في العقدين الثامن والتاسع من القرن الهجري الماضي، ولم يبدأ هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا وجميع حواضر ومدن السروات وتهامة صارت مرتادة بالعديد من السيارات المتنوعة في أحجامها، وأنواعها، وموديلاتها^(١).

ومن يطالع شبكة الطرق البرية اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) في جميع مدن وقرى وحواضر وبوادي السروات وتهامة فإنه سيجد ميدانا تنموياً واسعاً يستحق أن يدون في عشرات الكتب والرسائل العلمية. وإن توقفنا مع الطرق الطويلة والكبيرة التي تربط بين مدن وحواضر وقرى الجنوب السعودي، أو بين أعالي السروات والسهول التهامة فإننا نجد لها تاريخاً طويلاً مر بالعديد من المراحل والصعوبات بل نرى آثار هذه الدروب الإيجابية على ميدان التنمية العمرانية، وكل المجالات الحضارية الأخرى. وفي الوقت نفسه نجد الآثار السلبية التي لحقت بالجغرافيا والطبيعة وبخاصة في ثرواتها النباتية والحيوانية، وربما معالمها الصخرية في كثير من النواحي السروية والتهامية^(٢).

أما التاريخ الإنساني لهذه البلدان الواقعة بين أبها والقنفذة، فهو مجال كبير، فليس هناك ناحية في هذه الأصقاع إلا ولها تاريخ سياسي وحضاري. فكل مدينة أو بلدة مأهولة بالسكان منذ عصور قديمة، والطابع القبلي هو السائد. والمعروف أن كل قبيلة أو عشيرة أو قرية لها شيوخ، أو نواب، أو عرائف^(٣). وقد جمعت مئات الوثائق التي تؤكد

الأوطان، وبعضها عقبات (طرق) قديمة تربط بين سهول تهامة ومرتفعات السروات. وهذه الطرق القديمة تستحق أن تحصر ويدرس تاريخها خلال القرون الماضية المتأخرة. ومن يقوم بهذا العمل سوف يجد الكثير من المصادر المادية، وبعض الروايات الشفاهية، ولا تخلو بعضها من بعض الأوراق والوثائق المكتوبة.

(١) إن طرق السيارات في عموم السراة وتهامة تستحق أن تدرس في عشرات البحوث من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. وهذا الموضوع حسب علمي لم يدرس في بحوث تاريخية حضارية رصينة، أمل أن يدرس من خلال طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات جنوب المملكة العربية السعودية، وهو جدير أن يوثق.

(٢) هذا الذي أدركته وعاصرته عندما كنا نمضي على الأقدام من السروات إلى تهامة، أو في نواحي عديدة سروية أو تهامية، كيف كانت الطبيعة مليئة بكل الكائنات الحيوانية والنباتية، إضافة إلى جمال جميع مكونات الأرض الجغرافية والطبيعية. واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، لم نعد نرى ونشاهد ذلك الجمال الطبيعي الرباني.

(٣) من يدرس التركيبة القبلية في شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة يجد أن القبيلة صاحبة الحل والعقد في بلادها. وكانت أوضاع البلاد قبل العصر الحديث المعاصر يشوبها الكثير من الصراعات القبلية، لعدم وجود إدارة مركزية تسوس البلاد،

قولي، وكل شيخ أو عريفة مسؤول في قبيلته أو ناحيته، ومن حوله بعض الأعيان والوجهاء الذين يساعدونه على تدبير أوضاع بلاده^(١).

وعند قيام الدولة السعودية الحديثة، وتوحيد البلاد تحت راية واحدة، هي راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، سعى مؤسس البلاد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) إلى جمع شمل القبائل، والاعتراف بشيوخها، وعرائفها، ثم إشراكهم بشكل فعلي في خدمة أرضهم وأهلهم والجد والاجتهاد في نشر الأمن والاستقرار في كل مكان. وقد قرأت واطلعت على مئات الوثائق والرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز ورجال دولته ومع الكثير من شيوخ ونواب وعرائف بلاد تهامة والسراة، ومنها هذه الأوطان التي ارتحلت فيها، وذكر لمحات من تاريخها وحضارتها في هذه المصادر^(٢).

كان على الملك عبدالعزيز ورجال دولته أن لا يكتفوا بالقبائل وشيوخها في حكم بلادهم، وإنما أنشئت مؤسسات إدارية حديثة تتولى توطيد مفهوم الوحدة، وتحويل المجتمعات من عشائر وقبائل إلى دولة حديثة عصرية^(٣). وكانت بداية المؤسسات الإدارية السعودية الحديثة في عموم السروات وتهامة من مدينة أبها، حيث أنشئت الإمارة في نهاية الثلاثينات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تبعها الكثير من الإدارات القضائية، والأمنية، والدفاعية، والتعليمية، والخدماتية الأخرى^(٤). ومن حاضرة أبها انتشر التطوير الإداري

فكل شيخ قبيلة أو عشيرة يعتبر الأمر الناهي في قبيلته وأراضيها، وأحياناً تتحالف عدد من القبائل في الدفاع عن أرضها في سلمها وحربها. ودراسة تاريخ القبائل في شبه الجزيرة العربية قديماً، وفي عموم السروات وتهامة موضوع مهم وكبير، يستحق أن يدرس في عشرات البحوث والكتب العلمية.

(١) لا تخلو أي ناحية مررت عليها في هذه الرحلة من بيوت مشيخة أو نواب أو عرائف معروفين منذ القدم في بلادهم وبين قبائلهم، وما زالت سيادتهم في قبائلهم حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م).

(٢) لقد نشرت الكثير من هذه الوثائق في عدد من بحوثي ومؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضية. ووجدت وضوح الرؤى والقرار والتوجه عند الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي كان يهدف إلى نشر الأمن في كل مكان، وحفظ حقوق الناس وأرواحهم، والقضاء على الفوضى والصراعات القبلية التي كانت منتشرة في كل ناحية. وقد تحقق له ما أراد. وقد ساهمت القبائل وشيوخها في هذه البناء الحضاري الحديث، ولو لم يكن الملك عبدالعزيز صارماً وواضحاً في رسالته ومنهجه الذي قام على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) لما نجحت الأمور وتوحدت البلاد وانتشر الأمن والعدل في أرجائها (فغفر الله للملك عبدالعزيز وأسكنه جنات النعيم).

(٣) من يدرس تاريخ البلاد قبل ظهور الملك عبدالعزيز يجد أن هناك بعض المؤسسات الإدارية التي تمارس شيئاً من أعمالها، لكن في حدود ضيقة، لأن القبائل وشيوخها هم المهيمنون على أوطانهم، وليس بينهم اتحاد أو رابطة تخدم الأرض والناس بشكل عام في كل مكان، وإنما كل شيخ قبيلة هو من يتولى تصريف الأمور في أرضه وسكانها، وليس له علاقة بالقبائل والعشائر المجاورة. بل إن بعض القبائل ترى فيها القوة والعزة والمنعة فتسعى إلى مد نفوذها على غيرها، ويتولد عن ذلك صراعات مريرة، ولهذا كانت الحروب مستمرة، والفوضى منتشرة، وفقدان الأمن حاضر بقوة في جميع أنحاء البلاد وأوطان السروات وتهامة من أكثر البلدان التي عانت من هذا الاضطراب وعدم الاستقرار.

(٤) فصلت الحديث عن الكثير من المؤسسات الإدارية السعودية الحديثة التي أنشئت في حاضرة أبها من نهاية

الحديث حتى وصل القنفذة على ساحل البحر الأحمر، وشمل الكثير من المدن أو البلدات التهامية والسروية وحتى الأجزاء الشرقية من بلاد السراة^(١).

لوتحدثنا ووثقنا التاريخ السياسي الحربي قبل قيام الدولة السعودية الحديثة، ثم أثناء توحيد البلاد في عصر الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل فإننا سوف نطلع على تفصيلات وصراعات كثيرة ومتعددة الأهداف والأحداث والنتائج. وكل القبائل في عموم السروات وتهامة ساهمت في تلك الحروب والتاريخ السياسي^(٢). وفي عصر الملك عبدالعزيز كانت مدينة أبها أيضاً محورية ورئيسية في بعث الجيوش في كل مكان من أجل توحيد البلاد. والبلاد الممتدة من أبها إلى الدرب فالبرك والقنفذة عرفت الكثير من الصدامات العسكرية المتنوعة، وكانت الغلبة في الأخير للملك عبدالعزيز وجيوشه. والأوطان الممتدة من أبها نحو الشمال إلى النماص وما جاورها من أراضي السروات، وكذلك البلاد التهامية الداخلية كمحايل عسير والمجاردة وما حولها كانت أيضاً قد شهدت حروباً وصراعات قبلية عديدة. لكن إمارة منطقة عسير في أبها استطاعت أن تخمد كل الصراعات وتشر الاستقرار في جميع هذه الأوطان^(٣).

والقارئ للتاريخ الإداري والمالي للبلدان الواقعة بين أبها والقنفذة والنماص خلال المئة عام الماضية (١٢٤٠هـ - ١٤٤٣هـ / ١٩٢٢ - ٢٠٢١م) يجد أن مؤسسة الإمارة قامت

الثلاثينيات وبداية الأربعينيات في القرن (١٤هـ / ٢٠م). وللمزيد انظر غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية). (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) (٥٨٤ صفحة). وهناك الكثير من البحوث والدراسات الأخرى التي نشرتها في (مجلة العرب)، وفي مجلات علمية وثقافية أخرى، وفي بعض أجزاء موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلد).

(١) إن المتتبع لنشأة المؤسسات الإدارية السعودية الحديثة في القنفذة، والبرك، والمجاردة، وبارق، ومحايل عسير، والنماص، وتومة، وبيشة، وسراة عبيدة، وظهران الجنوب، وخميس مشيط، وغيرها من المدن والحوضر في أجزاء عديدة من السراة وتهامة يجدها تفرعت من الإدارات الرئيسية التي قامت في أبها، وكانت جميعها تسعى إلى خدمة جميع السكان أمنياً وقضائياً وتنموياً وحضارياً.

(٢) تاريخ بلاد تهامة والسراة السياسي والحربي قبل قيام الدولة السعودية الحديثة موضوع جديد في ميدانه ويستحق أن يبسط ويوثق في كتب وبحوث علمية عديدة. والجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها الأكاديمية عليها مسؤولية تجاه هذا المشروع العلمي.

(٣) لا أدون هذه الأخبار من باب صرف الكلام، وإنما هي حقائق امتلأت بها الوثائق والمصادر التاريخية الحقيقية. كما أن الكثير من المعاصرين والرواة أخبرونا بأخبار وأحداث كثيرة وقعت في هذه البلاد من عام (١٢٤٠ - ١٢٧٣هـ / ١٩٢٢ - ١٩٥٣م). وهناك الكثير من البشر الذين بذلوا ما في وسعهم لتوحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار، وكان للملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) ورجال حكومته في أبها وغيرها أدوار إيجابية متعددة. كما أن أهل البلاد أنفسهم أدركوا أهمية الوحدة ونشر العدل والأمن فلم يتأخروا عن المشاركة الجيدة في خدمة أهلهم وبلادهم. وأقول أن دراسة التاريخ السياسي المحلي في عموم السراة وتهامة في عصر الملك عبدالعزيز موضوع يستحق أن يكتب في كتب وبحوث عديدة، مع ذكر مساهمات السرويين والتهاميين في بناء أوطانهم وأنفسهم منذ دخلت أبها تحت حكم الدولة السعودية الحديثة حتى نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م).

في عدد من هذه النواحي، وكانت القنفذة من أولها، ثم تبعيتها بلدات ونواحي أخرى مثل النماص وغيرها، ولم يأت عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، إلا ومعظم الأوطان الكبيرة من أبها إلى الدرب فالقنفذة، ثم المجاردة وبارق ومحال عسير، ثم النماص وغيرها صارت محكومة بإمارات عصرية، ومعظمها تراجع إمارة أبها الرئيسية^(١).

وفي الثلاثين عاماً الماضية (١٤١٠-١٤٤٣هـ / ١٩٩٠-٢٠٢١م) ذهبت إلى عدد من مدن ومحافظات وحواضر السروات وتهامة، وجمعت صفحات من تاريخها الإداري خلال المئة عام الماضية، واتضح لي عدد من الأمور التي أوثقها في النقاط الآتية:

١. أن جميع البلاد (تهامة وسراة) لم تعرف إمارات حديثة إلا مع ظهور الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي استفاد مما عند الآخرين، ثم جلب أعداداً غير قليلة من المتعلمين والمخططين والمتقنين الذين ساعدوه في تأسيس حكومة عصرية بجميع وزاراتها، وإدارتها، وهيئاتها، مع حرصه الشديد في الحفاظ على ثوابت البلاد وقيمها المبنية على منهج الشريعة الإسلامية السمحة^(٢).
٢. جمعت مادة علمية عن بعض الإمارات والأمراء، ثم المحافظات والمحافظين في كثير من نواحي السراة وتهامة. فوجدت أن هناك عشرات بل مئات الأمراء الذين تولوا إمارات كبيرة وصغيرة من أبها إلى القنفذة أو النماص، أو بيشة، أو بعض المدن الأخرى في مناطق جازان ونجران والباحة وحتى الطائف، وفي الفترة الممتدة من عام (١٣٤٠-١٤٠٠هـ / ١٩٢٢-١٩٨٠م)، فكانوا على قدر كبير من النضج والحكمة والحصافة في التعامل مع الأرض والناس، ومعالجة الأمور والقضايا التي تواجههم حسب الإمكانيات والملاسات والظروف التي تحيط بكل مشكلة أو قضية، وكان من أعظم اهتماماتهم الحفاظ على أمن الناس واستقرارهم مع تحكيم شرع الله في كل شيء^(٣).

(١) تاريخ نشأة ثم تطور الإمارات في هذه البلدان وغيرها من مدن وحواضر ونواحي السروات وتهامة من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ / ١٩٢٠-١٩٥٣م) موضوعات جديدة لم تدرس وتوثق في هيئة رسائل أو كتب علمية. حبذا أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يتولون هذا المجال بدراسات علمية رصينة.

(٢) إن الدارس للتاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة العربية السعودية بحدودها الحديثة يجد أن سكان هذه الأوطان عرفوا الإسلام منذ ظهوره، وحصل الكثير من الأحداث السياسية السلبية والإيجابية، لكن منهج كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كان السائد حتى وإن حدث صراعات وحروب متعددة على مر التاريخ وكتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيلة حفظت لنا الشيء الكثير من النماذج الإيجابية التي ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية في هذه البلاد العربية المجددة. وكان الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود من هذه النماذج الحديثة التي جمعت شتات معظم بلدان شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيد، ولم يكتف بذلك وإنما بنى حكومة وإدارات عصرية تخدم الأرض والإنسان ضمن إطار العقيدة الإسلامية الوسطية.

(٣) هذا الذي اتضح لي من قراءة الكثير من الوثائق والسجلات الرسمية في أرشيف بعض المؤسسات

٢. واصلت البحث عن تاريخ الإمارات ثم المحافظين والمحافظات في معظم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٤٠١-١٤٤٣هـ/١٩٨١-٢٠٢١م)، فوجدت الأمور تسير على نفس وتيرة الأوائل من حيث المتابعة، وتحقيق الأهداف السامية التي تقود إلى جمع الكلمة، وحفظ حقوق الناس، والحكم بالعدل، والحرص على رعاية التطور والتنمية الحديثة التي تمر بها البلاد منذ عقود، وما زالت تسير في اتجاه البناء الإيجابي. نعم إن الوضع الإداري والمهمات كثرت وتوسعت رأسياً وأفقياً، وهذا أمر طبيعي لأن أعداد الناس زادت، ثم إن عصرنا الحالي يختلف عن السابق بأحداثه وتقنياته، واتصال العالم بعضه مع بعض. كما أن الكثير من ثقافات الناس وتجاربهم، واتصالهم ببعضهم داخل البلاد وخارجها جلبت الكثير من التعقيدات والمشاكل المتنوعة على مستوى الأفراد، أو الأسر، أو المدن والحوضر، أو على المستوى الداخلي والخارجي. وكل هذا زاد الأعباء والأعمال على المؤسسات الإدارية الحديثة وفي مقدمتها الإمارات والمحافظات^(١).

تعد الإدارة المالية من الإدارات المهمة والحيوية. فالحياة المالية في عصور ما قبل الدولة السعودية الحالية كانت موجودة لكنها بسيطة ومتواضعة، وغالباً في المقرات السياسية الرئيسية. ومدينة أبها في مقدمة تلك المواطن. ثم إن الزكاة والرسوم على الأسواق والتجارات كانت هي الموارد المالية الأساسية، ولم يكن هناك تنمية حضارية عامة تعود على الناس بفائدة تذكر^(٢).

بعد دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود، بدأ الاهتمام بالحياة المالية، والإمام عبدالعزيز يعرف توفر الخيرات الحيوانية والزراعية في جميع الأوطان التهامية والسروية. وفي الوقت نفسه كانت الدولة بحاجة ماسة إلى مصادر اقتصادية

الإدارية، وعند بعض بيوت المشيخة أو البيوتات العلمية في نواحي عديدة من تهامة والسراة. كما تبين لي السياسة العامة التي تسير عليها الدولة وجميع وزاراتها ومؤسساتها الرسمية التي تحرص على تحكيم الشرع الحنيف في كل الأمور، مع نشر الأمن والعدل في أنحاء البلاد. ودراسة تاريخ الأمراء والإمارات في جميع بلدان المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجديدة والمهمة التي تستحق البحث والتوثيق.

- (١) وأقول أن كتابة تاريخ الإمارات والمحافظات من عام (١٤٠١-١٤٤٣هـ/١٩٨١-٢٠٢١م) في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية من الموضوعات المهمة التي تستحق أن يؤرخ لها، وتوثق مسيرتها التاريخية بانصاف وحيادية.
- (٢) كانت معظم البلاد التهامية والسروية لا يسوسها مؤسسات مالية منظمة، مع أن المتصرفية العثمانية في عسير حاولت إنشاء بعض الإدارات التي تنظم جباية الزكوات وبعض الموارد المالية الأخرى. بل وجدت بعضاً من هذه الأنشطة في عهد الإمارات السياسية التي قامت في عسير وجازان وغيرها خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٢هـ/١٩م). والبحث في هذا الموضوع جيد، فهناك الكثير من الوثائق العثمانية التي أشارت إلى شيء من التاريخ المالي في الفترة من (١٢٨٨-١٣٢٧هـ/١٨٧١-١٩١٩م). وعند الناس بعض الوثائق والمصادر المدونة التي تعكس شيئاً من تاريخ الزكوات وغيرها من الموارد المالية خلال القرن (١٢هـ/١٩م) حتى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

تساعدها في جمع شتات البلاد وتوحيدها، عندئذ عين الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود الشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة رئيساً لمالية عسير، ثم ماليات الجنوب. وكان لي بعض الجهود التاريخية التوثيقية عن أبو ملحمة ودوره في إدارة أموال الجنوب وحفظها وتدبير شؤونها لمصلحة البلاد والعباد^(١). وقد اطلعت على آلاف الوثائق التي تصب في خدمة التاريخ المالي، ووجدت خطة واضحة من الملك عبدالعزيز لأبي ملحمة، وقد أحسن الشيخ أبو ملحمة الإدارة والتدبير في جمع الزكوات، والرسوم وغيرها التي كان بعضها يرسل إلى وزارة المالية، وأخرى تصرف في مصارف محلية عديدة من أجل التطوير والبناء^(٢).

بقيت إدارات المالية في بلاد السراة وتهامة بعد موت الملك عبدالعزيز (١٢٧٣هـ/١٩٥٣م) تؤدي خدماتها المتنوعة، لكن لم تكن بنفس الشمولية والوضع الذي كانت عليه في عصر الملك عبدالعزيز والشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة لأن أحوال الناس تطورت وتحسنت في كل الجوانب، وصار هناك رواتب نقدية مجزية من الدولة تصرف من وزارة المالية، وأيضا المشاريع والخدمات الأخرى أصبح لها ميزانيات محددة للسير في ركاب التنمية الحديثة. وما زالت هذه الإدارات (المالية) موجودة في المدن الرئيسية مثل أبها، ولها أعمال وواجبات محددة تقوم بها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)^(٣).

والقضاء، والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإدارات الحديثة التي تأسست في أبها منذ بداية الحكم السعودي الحديث^(٤). ومن يتجول في مدن الدرب، والحريضة، والبرك، والقوز، والقنفذة، وبلدان المجاردة، وبارق، ومحايل، وفي النماص، وتنومة، وبللسمر، وبللحمر، وأبها، وغيرها من حواضر ومدن السروات وتهامة يجد هذه الإدارات ما زالت تؤدي خدماتها بشكل جيد. وإذا درسنا بداية كل إدارة نجدها بدأت ثم

(١) نشرت بعض البحوث والدراسات في هذا الباب، ووضحت صورا من تاريخ المال في الجنوب السعودي وكيف كان الشيخ أبو ملحمة ومعه رجال مخلصون في الحفاظ على أموال البلاد وصرفها في منافع عامة وكثيرة. انظر غيثان بن جريس. عبد الوهاب أبو ملحمة في جنوب البلاد السعودية (دراسة تاريخية وثائقية). (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الطبعة الثانية) (٥٩٦ صفحة).

(٢) إن مالية الجنوب التي مقرها مدينة أبها من عام (١٣٤٠-١٣٧٤هـ/١٩٢٢-١٩٥٣م) لها آثار إيجابية كثيرة على خدمة الأرض والناس في مناطق جازان، ونجران، وعسير (تهامة وسراة) وما جاورها شمالا، وفي شتى المجالات الحضارية. حبذا أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ هذه الآثار، وهناك مئات المصادر والوثائق المنشورة وغير المنشورة المفيدة لخدمة هذا الموضوع البحثي.

(٣) موضوع تاريخ الإدارة المالية في المملكة العربية السعودية بعد عصر الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٤) كان في بعض بلدان السراة وتهامة بعضا من هذه المؤسسات الإدارية منذ فجر الإسلام، وبقيت خلال عصور الإسلام حتى قيام الدولة السعودية الحديثة، لكنها كانت بسيطة في إمكاناتها، وأجور القائمين عليها، ثم إن المصادر الإسلامية المبكرة والوسيلة لم تفصل الحديث في هذا الجانب المهم الذي يستحق دراسته في دراسات علمية عديدة.

تطورت من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد اطلعت على بعض المدونات والوثائق التي رصدت شيئاً من تاريخها الحديث في بعض مناطق الباحة، والقنفذة، وعسير، ونجران. كما وثقت ونشرت صفحات من هذا التاريخ الحضاري في العصر السعودي الحالي^(١).

وأثناء سيري من أبها إلى القنفذة، ثم عودتي إلى أجزاء من تهامة عسير وسرواتها رأيت الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية في معظم المدن والحواضر الكبيرة والصغيرة. وبعضها أمنية، وأخرى تنمية وخدماتية في مجالات عديدة. كما أن العديد منها تأسست في عصر الملك عبدالعزيز (يرحمه الله)، وأخرى أنشئت بعد وفاته حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهناك أيضاً إدارات حديثة تأسست خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م)^(٢).

كان عليّ أن أذكر بشكل مختصر إدارتين مهمتين كان وما زال لهما دور كبير في رسم خطط بناء الأرض والإنسان (التعليم العام والعالي، والبلديات)، فمؤسسات التعليم العام والعالي موضوع كبير جداً يكتب تاريخه في عشرات الكتب والبحوث، لكنني عاصرت جزء من هذا التطور، كما ألقت عدداً من الكتب والبحوث عنه. فلم تكن البلاد التي شاهدها في هذه الرحلة وغيرها من أوطان السروات وتهامة خالية من التعليم والتعلم منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وإنما كان هناك معلمون وطلاب علم، لكن نسبتهم قليلة جداً، بل بعض طلاب العلم خرجوا من ديارهم وذهبوا إلى الحجاز أو اليمن أو إلى بعض الأمصار الإسلامية، من أجل التعلم، ومنهم من رجع إلى ديارهم الرئيسية وآخرون أقاموا في البلاد التي ذهبوا إليها^(٣).

أما بدايات التعليم الحديث فقد بدأ في منتصف العقد الخامس من القرن (١٤هـ/٢٠م) في كل من أبها، والقنفذة، وبيشة، وجازان، والظفير في الباحة. وكانت بدايته بسيطة جداً من حيث عدد الطلاب، والمعلمين، والإمكانات، والمقرات. ثم انتشر التعليم العام من هذه الحواضر الخمس حتى عم بلدان السروات وتهامة. والحديث

(١) إدارات القضاء، والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل منطقة من مناطق الجنوب السعودي تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من البحوث العلمية خلال الفترة من (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٢-٢٠٢١م). أمل أن نرى بعض الباحثين والمؤرخين الجادين الذين يقومون بإنجاز مثل هذه الأعمال البحثية المهمة.

(٢) ليست مهمتي في هذه الرحلة وهذه الأوراق تتبع كل إدارة رسمية أو أهلية رأيها، أو شاهدها مقرها في البلدان التي ارتحل فيها أثناء هذه الأيام الثلاثة (٤-٥/٥هـ ١٤٤٣هـ الموافق ١٠-١٢/١٢م)، وإنما أشرت إليها مؤكداً على أهميتها وما قدمته من خدمات إيجابية ويصعب توثيقها في صفحات معدودة، وإنما كل إدارة في كل حاضرة أو مدينة تستحق أن توثق في دراسة مستقلة.

(٣) ذكرت فقط مختصرات قليلة عن وضع التعليم والتعلم في بلاد السراة وتهامة منذ فجر الإسلام إلى خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع مهم جداً، ومن يبحث فيه يجد تاريخ طويل وكبير، حبذا أن نرى باحثين نشطين يؤرخون للحياة العلمية والتعليمية، خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة.

عن كل مدينة تعليمياً من المدن الآنفة ذكرها، منذ نشأة التعليم فيها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يحتاج إلى مئات وربما آلاف الصفحات. كما أن التعليم النسائي بدأ في هذه البلدان من ثمانينات القرن نفسه، ولم يأت عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، إلا والتعليم العام (للذكور والإناث) في معظم المدن والحوضر الكبيرة في مناطق الجنوب السعودي (الباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والبلاد التهامية الممتدة من البرك والمجاردة حتى تهامة الطائف وجنوب مكة المكرمة). وقد تجولت في معظم هذه الأوطان خلال العشر سنوات الماضية (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م) فوجدتها تحتضن مئات الآلاف من الطالبات والطلاب، وعشرات الآلاف من المعلمين والمعلمات، وآلاف المقررات الحكومية ناهيك عن الأبنية المستأجرة فما زال هناك بعض الأمكنة التي يوجد فيها مدارس مستأجرة لبعض مراحل التعليم العام. كما لا تخلو هذه الأوطان من مدارس أجنبية وخاصة يدرس فيها آلاف الطلاب والطالبات^(١).

ومن خلال البحث عن التعليم العام في السروات وتهامة، وجدت أنه بدأ بسيطاً ومحدوداً، واستمر أعضاء هيئة التدريس من خارج جنوب المملكة العربية السعودية فكان بعضهم من مكة المكرمة وبعض مدن الحجاز الأخرى، ومنذ السبعينيات تم استقدام المعلمين ثم المعلمات من دول عربية عديدة، وكان أكثرهم في بادي الأمر من بلاد الشام، ثم جاء المصريون والسودانيون والعراقيون فساهموا في مسيرة التعليم في عموم المملكة، وبدأ العنصر السعودي يدخل للعمل في هذا القطاع منذ الثمانينيات واستمر السعوديون والمتعاقدون يؤدون أعمالهم حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، مع تزايد أعداد السعوديين وتناقص المتعاقدين، ولم يأت العقد الثالث من القرن نفسه إلا وجميع المدرسين والمدرسات من الجنسية السعودية، وربما وجد بعض المتعاقدين (رجالاً ونساءً) يعدون على الأصابع يعملون في بعض المناطق النائية. أما اليوم عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فمن الصعب جداً أن نرى مدرساً أو مدرسة متعاقدة في التعليم النظامي الحكومي، وما زالت المدارس الأهلية الخاصة حتى الآن تجمع بين الكوادر البشرية السعودية وغير السعودية^(٢).

(١) درست ثم طبعت ونشرت العديد من الدراسات عن التعليم العام في بعض مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ بداية العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. كما جمعت الكثير من الوثائق والسجلات الخاصة بالتعليم العام النظامي في مناطق عسير، وجازان، والباحة، والطائف، وأيضاً بعض الصور الفوتوغرافية. وما زال هناك الكثير الكثير من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس وتوثق في عموم البلاد الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران. أمل من أساتذة أقسام التربية والتاريخ في جامعات الجنوب السعودي أن يخدموا هذا المجال المهم من خلال بحوث ودراسات علمية موثقة.

(٢) قمت بزيارات متعددة لعدد من إدارات التعليم في السروات وتهامة، كما التقيت بالعديد من المعلمين الأوائل وبعض المدرسين في وقتنا الحاضر. أيضاً اطلعت على الكثير من السجلات والتقارير الخاصة بالتعليم العام في المملكة وبخاصة جنوبها، ووقفت على بعض الأراشيف القديمة في بعض المدارس فوجدت أن هناك تراثاً وتاريخاً كبيراً ما زال متاثراً وغير مدون. أمل من المؤرخين الجادين المعاصرين أن يوثقوا شيئاً من

أما التعليم العالي فهو الآخر ميدان رحب، بدأ للبنين في أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ومع مطلع القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ تعليم البنات الجامعي. والدارس لهذا الميدان في العقد الأول من هذا القرن يجد أن مدينة أبها كانت تحتضن عدداً من الكليات العلمية والإنسانية، وفيها أقسام عديدة يدرس فيها مئات الطلاب والطالبات. ثم امتد التعليم الجامعي إلى العديد من المدن والمحافظات في مناطق نجران وجازان والباحة. كما أنشئت أيضاً كليات صحية وتقنية عديدة في أبها وغيرها من حواضر جنوب المملكة العربية السعودية^(١).

وفي عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) كان لحاضرة أبها موعد آخر مهم مع مسيرة التعليم الجامعي، فأنشئت جامعة الملك خالد التي أدرج تحت مظلتها الكليات القائمة في أبها، وكلية المجتمع في جازان، ثم تطورت هذه الجامعة وأنشأت العديد من الكليات الجديدة والنوعية في مدن أبها، وخميس مشيط، والنماص، والمجاردة، ومحايل عسير وغيرها. بل امتدت آثارها الإيجابية إلى تأسيس كليات أخرى في جازان ونجران، ولم تأت نهاية العشرينيات من هذا القرن إلا وخرج من تحت مظلة جامعة الملك خالد جامعتا جازان ونجران، وضمت كليات البنات، والكليات الصحية والتقنية في منطقة عسير تحت إدارة جامعة الملك خالد. وفي منتصف الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) استقلت أيضاً جامعة بيشة التي كانت فرعاً من جامعة الملك خالد. وما زال فرع جامعة الملك خالد بتهامة في طريق التوسع والتطوير حتى يصبح جامعة مستقلة، وقد يكون ذلك قريباً^(٢).

وأثناء سيري في هذه الرحلة القصيرة من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة فالنماص رجوعاً إلى أبها. فقد شاهدت آثار جامعة الملك خالد ثم جامعة جازان وأيضاً جامعة أم القرى في مكة المكرمة التي أنشأت كليات عديدة في تنومة والنماص، ثم المجاردة، ومحافظتي بارق ومحايل، والقنفذة، والدرب أيضاً. ومما لاحظته في البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى القنفذة ثم المجاردة فمحايل عسير ورجال ألمع الكثافة السكانية الكبيرة جداً، وفي هذه البلاد عشرات الآلاف من الطلاب، وهم جميعاً يستحقون أكثر

هذا التاريخ الحضاري المهم. كما أرجو من بعض المعلمين الأوائل وبخاصة من عندهم القدرة على التدوين أن يكتبوا مذكراتهم عن التعليم العام، كيف عاصروه، وما هي الدروس التي يمكن الخروج بها من خلال تجاربهم مع التعليم.

(١) أدون هذه المعلومات لأنني عاصرت التعليم العالي في أبها وعموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ البداية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وأقول أن العشرين سنة الأولى من التعليم الجامعي في هذه الأوطان (١٣٩٦-١٤١٦هـ/١٩٧٦-١٩٩٥م) تستحق أن تدرس دراسة علمية توثيقية في عدد من الرسائل والكتب العلمية، أرجو أن يتحقق ذلك على أيدي أساتذة الجامعات المحلية.

(٢) أوجزت الحديث عن التعليم الجامعي والعالي في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة مناطق عسير، وجازان، ونجران. وهذا المجال كبير جداً، ويستحق أن يوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية، أمل أن يتحقق ذلك على أيدي باحثين جادين منصفين.

من جامعة في هذه البلاد الواسعة، والملاحظ أنه لا يوجد فيها حالياً إلا كليات محدودة في إمكاناتها وأعدادها، أمل أن نرى فيها قريباً جامعة أو جامعتين تشمل جميع الكليات والأقسام العلمية والإنسانية^(١).

أما الحديث عن الجهود التي بُذلت في تأسيس مؤسسات التعليم العالي في الجنوب السعودي، وعن المقرات والإمكانات المادية، وكذلك أعضاء هيئة التدريس والكوادر البشرية فقد بدأت صعبة حيث واجه المؤسسون الكثير من العقبات والمشاكل المتعددة. واليوم أصبحنا نرى مقرات جامعية حكومية كبيرة ومميزة في مواقعها وإمكاناتها. فهناك مدن جامعية في جازان، ونجران، وبيشة، والباحة وجميعها شيدت في العشرين عاماً الماضية (١٤٢٢هـ - ١٤٤٣هـ / ٢٠٠١-٢٠٢١م).

أما مقرات جامعة الملك خالد فقد بدأت بأبنية مستأجرة من عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ثم استقلت الجامعة بأبنية حكومية عامي (١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨-٢٠٠٩م) أما المدينة الجامعية الرئيسية في الفرعاء (القرعاء) فقد بدأت فكرتها في مطلع هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) لكنها لم تبدأ فعلياً في البناء والتشييد إلا في نهاية العشرينيات من القرن نفسه. واستمرت حتى مطلع عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ثم بدأت بعض الإدارات والعمادات المساندة والكليات بالانتقال إلى مقراتها الجديدة في الفرعاء (القرعاء)، وما زالت معظم الكليات حتى كتابة هذه السطور في شهر جمادى الأولى (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) في مقراتها الأولى في حي القريقر بأبها، وأعتقد أنه مع نهاية العام الهجري قد تنتقل جميع الكليات إلى هذه المدينة الجامعية الجديدة في الفرعاء (القرعاء)^(٢).

كانت الكوادر البشرية وبخاصة أعضاء هيئة التدريس السعوديين في التعليم العالي شبه معدومة عند قيام بعض الكليات الجامعية في أبها في تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) والسنوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م)، وجميع أعضاء هيئة التدريس في تلك الكليات من دول عربية عديدة كمصر، والأردن، وفلسطين، والسودان، وبعض دول شمال

(١) أدون هذه التوصية لأنني ابن التعليم العالي في الجنوب السعودي منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، ثم إنني ما زلت أجد في ربوع هذه الأوطان العربية الماجدة، والدولة بذلت قصارى جهودها (والحمد لله) في توفير التعليم الجامعي لكل الناس، لكن ما زال هناك مناطق في تهامة تستحق أن يكون فيها جامعات مستقلة، وليست فروعا من جامعات.

(٢) أنجزت العديد من الدراسات العلمية الخاصة بالتعليم العالي في منطقة عسير وما جاورها خلال الأربع سنوات الماضية. ونشرت أغلبها في أجزاء عديدة من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلداً). كما أصدرت كتاباً في جزئين بعنوان: جامعة الملك خالد (١٤١٩-١٤٤٢هـ / ١٩٩٨-٢٠٢١م). (١١٤ صفحة). وما زالت جامعة الملك خالد وغيرها من الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية تستحق أن تدرس وتوثق في كتب وبحوث عديدة.

أفريقيا، وبعض الإنجليز والأمريكان الذين كانوا يدرسون اللغة الإنجليزية. بل إن كثيراً من الأساتذة العرب الذين عملوا في كليتي التربية والطب بفرع جامعة الملك سعود في أبها كانوا يحملون جنسيات أوروبية أو أمريكية، ومنهم الذين حصلوا على شهاداتهم العليا (الماجستير والدكتوراه) من الاتحاد السوفيتي سابقاً^(١).

وإذا درسنا أحوال كليات البنات في أبها، فكان القائمون عليها عضوات هيئة تدريس غير سعوديات. وبقي التعليم العالي في عموم جنوب البلاد السعودية مخدوماً من قبل المتعاقبات والمتعاقدين غير السعوديين وبشكل كبير جداً من عام (١٣٩٦-١٤٢٠هـ/ ١٩٧٦-١٩٩٩م)^(٢). وفي هذا الوقت انتشر التعليم الجامعي، إلى حد ما، في كل الحواضر الجنوبية السعودية الكبيرة مثل خميس مشيط، وبيشة، والباحة، والقنفذة، والنماص، ونجران، وجازان. وارتفعت أيضاً نسبة السعوديات والسعوديين الأكاديميين في هذه البلدان التهامية والسروية^(٣).

منذ تأسيس جامعة الملك خالد في أبها (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بدأ التطوير الأفقي والرأسي الفعلي لمسيرة التعليم الجامعي في جنوب البلاد السعودية. فتضاعفت أعداد الطالبات والطلاب حتى أصبح عددهم يقدر بعشرات الآلاف، بل دخلوا مئات الألوف بعد تأسيس جامعات حكومية عديدة من الطائف إلى نجران، ومن مكة المكرمة إلى جازان. وكذلك أعضاء هيئة التدريس (الذكور والإناث) أصبحوا اليوم (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) يقدرون بالآلاف، وربما نسبة السعوديات والسعوديين تزيد عن النصف وقد تصل في بعض الكليات إلى (٦٠٪) أو (٧٠٪). ناهيك عن الموظفين والموظفين فجميعهم سعوديات وسعوديون، وإن وجد فيهم بعض المتعاقدين والمتعاقبات فنسبتهم قليلة جداً^(٤).

(١) المصدر: معاصرة الباحث لنشأة وتطور الكليات الجامعية في حاضرة أبها خلال العقدين الأولين من تاريخها، كما وثقت بعض الدراسات عن تلك الفترة، وهي مطبوعة ومنشورة ورقياً وإلكترونياً.

(٢) عاصرت ورأيت الكثير من أعضاء هيئة التدريس غير السعوديين الذين كانوا يعملون في كليات وأقسام أكاديمية في حواضر جنوب البلاد السعودية، وكان البعض منهم علماء في تخصصاتهم وأعمالهم العلمية المتنوعة. حبذا أن يؤرخ لبعض تلك النماذج المبدعة التي لها آثار ملموسة من خلال مؤلفاتهم وأبحاثهم ومحاضراتهم العامة ومشاركاتهم العلمية والثقافية المختلفة. وكيف كان لهم أدوار إيجابية في مسيرة التنمية الحضارية المحلية.

(٣) دراسة تطور التعليم الجامعي في جنوب المملكة العربية السعودية، ودور الكوادر السعودية في هذا البناء والتطوير خلال (العقود الخمسة الماضية (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/ ١٩٧٦-٢٠٢١م) موضوع مهم وكبير يستحق أن يدرس ويوثق في بحوث ودراسات علمية عديدة.

(٤) أوثق هذه الأقوال من خلال التجربة والمعاصرة للتعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/ ١٩٧٦-٢٠٢١م)، ومما قرأته واطلعت عليه في عشرات التقارير الجامعية السنوية، وكذلك الخطابات والوثائق الرسمية التي تؤرخ لجزئيات من تاريخ التعليم الجامعي في تهامة والسراة.

وإذا توقفنا مع آثار الكليات الجامعية للبنين والبنات في أبها من عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م)، فإننا نجد الكثير من الآثار التنموية الإيجابية على حاضرة أبها أولاً، ثم على جميع بلدان جنوب البلاد السعودية من القنفذة والباحة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً. وكوني أحد طلاب ثم أساتذة الجامعة في تلك الفترة، فقد عاصرت، وشاهدت، وعرفت، وقرأت عن التطورات المادية والمعنوية الكبيرة التي عادت على الأفراد، والأسر، والمجتمعات في عموم السروات وتهامة من خلال تلك المؤسسات (الكليات) الجامعية التي بدأت من مدينة أبها وانتشرت في مدن وحواضر عديدة في الجنوب السعودي^(١).

تأسست جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، وواصلت مسيرة البناء ليس في أبها أو عسير فقط، وإنما امتدت آثارها الإيجابية إلى منطقتي جازان ونجران^(٢). والوضع هنا تغير كثيراً عن نشأة التعليم العالي في أبها ثم باقي مناطق جنوب المملكة من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، فالذين قام التأسيس والبناء الأول على أكتافهم كانوا من الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس غير السعوديين^(٣). أما في بداية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فكان معظم المخططين والمسؤولين والعاملين في البناء والتطوير من السعوديين، ومعظمهم من بلدان السروات وتهامة ومن مخرجات تلك الكليات الفرعية في أبها خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولم تكن جهودهم فقط مقصورة على تأسيس وبناء وتطوير جامعة الملك خالد وكلياتها في منطقة عسير، بل الكثير منهم بذلوا الجهود الكبيرة والمتنوعة في تأسيس بعض الكليات الجامعية في جازان ونجران. وعند استقلال جامعتي نجران وجازان كان معظم المسؤولين فيها من طلاب كليات مدينة أبها قبل جامعة الملك خالد، ثم من بعض المسؤولين والأساتذة في جامعة الملك خالد^(٤).

وأقول أن الجامعات الأربع (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة) بالإضافة إلى جامعة الطائف تستحق أن يوثق تاريخها وآثارها الإيجابية على الأرض والناس في عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية.

(١) من الصعب التفصيل في هذه الورقات المحدودة عن تلك الآثار المثمرة والإيجابية على الأرض والسكان لمدة ربع قرن (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م)، لكنني فقط ألمحت إلى هذا الموضوع الذي يستحق أن يُدرس في رسائل وكتب وبحوث علمية عديدة، وأرجو أن نرى من بناتنا وأبنائنا المؤرخين من يتولاه بالتدوين والدراسة العلمية التوثيقية التحليلية.

(٢) أرجو أن نرى باحثاً ومؤرخاً جاداً ونزيهاً يُؤرخ لدور جامعة الملك خالد في تأسيس وتطوير التعليم الجامعي في منطقتي جازان ونجران قبل جامعة الملك خالد وبعد تأسيسها.

(٣) أرصد هذه الأقوال من خلال المشاهدة والمعاصرة. فقد كان عمداء الكليات الأولى في أبها، وأحياناً الوكلاء من السعوديين، أما الذين اجتهدوا وعملوا وبنوا وأسسوا تلك الكليات وتابعوا الإشراف عليها وعلى الطلاب الدارسين فيها فكانوا المتعاقبات والمتعاقدين من بلدان عربية وإسلامية عديدة.

(٤) إن الكليات الجامعية في مدينة أبها، قبل قيام جامعة الملك خالد (كليات الشريعة وأصول الدين، واللغة

وعند ذهابي في رحلتي الأخيرة من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة والنماص شاهدت والتقيت بالكثير من المعلمين والمشرفين ومدراء التعليم ووكلائهم فكان الكثير منهم ممن تخرج في كليات أبها خلال العقدين الأوليين من تاريخها (١٤٠٠-١٤١٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٩٨م)، ومنهم أيضا ممن تخرج في كليات جامعة الملك خالد في أبها أو محایل عسير. كما قابلت في بعض مجالس القنفذة العامة موظفين متقاعدين وآخرين ما زالوا على رأس العمل وأخبروني أنهم من خريجي كليات التعليم الجامعي في منطقة عسير وبخاصة في مدينة أبها. كما رأيت مدراء ووكلاء بعض المؤسسات الإدارية الأخرى في الدرب، والحريضة، والبرك، والقحمة، والقنفذة، ومحایل عسير، وبارق، والنماص، وبللسمر، وبللحمر فكانوا جميعهم جامعيين تخرجوا في أقسام وكليات جامعية في مدينة أبها، وبعضهم من خريجي جامعتي جازان ونجران^(١).

زرت بعض الكليات الجامعية في الدرب، والقنفذة، ومحایل عسير، وبارق، والمجاردة، والنماص، وتومة فوجدت معظم المسؤولات والمسؤولين في هذه الكليات من خريجي مؤسسات التعليم العالي في منطقة عسير، وبعضهم قد تقاعدوا وكانوا من طالبات وطلاب الكليات الجامعية في أبها قبل عام (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). أما عضوات وأعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات حاليا فأكثرهم من أساتذة جامعة الملك خالد، وبعضهم ممن عملوا معيدات ومعيدتين في كليات هذه الجامعة ثم ذهبوا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه داخل البلاد وخارجها، وعادوا إلى جامعتهم الأم (الملك خالد)، ثم نقلوا خدماتهم إلى كليات عديدة في هذه البلدان والمدن التي مرت عليها في هذه الرحلة، وآخرون انتقلوا إلى كليات وجامعات في حواضر أخرى بالمملكة العربية السعودية^(٢).

أما مؤسسة البلديات فلا تقل أهميتها عن مؤسسات التعليم العام والعالي، فإذا كان التعليم يبني الإنسان معرفيا وتنويريا، فالبلديات تبني وتشرف على بناء الأرض

العربية، والتربية، والطب، وكلية المعلمين، وكلية التربية للبنات) كان لها آثار كبيرة في تطور التعليم العام والعالي في جنوب البلاد السعودية، فقد تخرج منها آلاف الطالبات والطلاب الذين خدموا التعليم العام، ومنهم من واصلوا دراساتهم العليا داخل البلاد وخارجها ثم عادوا للعمل في كلياتهم في حاضرة أبها. وعند تأسيس جامعة الملك خالد انخرطوا في البناء والتطوير للجامعة في عموم منطقة عسير ومنطقتي جازان ونجران. وبعد استقلال جامعتي نجران وجازان كان معظم المسؤولين وأعضاء هيئة التدريس في هاتين الجامعتين من خريجي كليات أبها، ومن أساتذة جامعة الملك خالد.

(١) إن الآثار الإيجابية للتعليم الجامعي على عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية كثيرة، ولا يمكن اختصارها في سطور أو صفحات محدودة. وهي من الموضوعات البحثية الجيدة والجديدة جدا أن نرى باحثين جادين يقومون بإنجاز هذه الدراسات العلمية التوثيقية.

(٢) إنني أدون وأوثق شذرات من آثار مؤسسات التعليم العالي في عسير وعلى وجه التحديد مدينة أبها، وكيف كان لتلك المؤسسات جهود جيدة وإيجابية في نشر التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد تهامة والسراة.

عمرانياً وتنموياً. والبلديات من المؤسسات القديمة في مدينة أبها. وقد اطلعت على مئات الوثائق، ونشرت الكثير من التفاصيل عن تاريخ بلدية أبها وما يتبعها من مؤسسات إدارية في منطقة عسير (سراة وتهامة) منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ^(١).

إنني أعرف كل البلدان التي عبرتها خلال الأيام الثلاثة في هذه الرحلة (٤-٥/٦/١٤٤٣هـ) منذ أربعين عاماً، وشاهدت مسيرة العمارة والبناء فيها لكل المجالات التنموية الحديثة. والبلديات المسؤولة عن الإشراف والمتابعة لهذا التطور الذي كان محدوداً وبسيطاً من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زاد المال والخير عند الناس فتوسعوا في بناء منازلهم وقراهم وأحيائهم ومدنهم، كما زادت مشاريع الدولة العمرانية من مدارس ومقرات حكومية ومراكز حضارية، وأسواق أسبوعية ويومية، وشوارع صغيرة وكبيرة، وحدائق، ومنتزهات برية وبحرية، ومقابر، وملاعب رياضية، وصالات ترفيهية واجتماعية وغيرها ^(٢).

خرجت من أبها وعدت إليها في غضون (٧٢) ساعة، فرأيت مبنى أمانة منطقة عسير وسط مدينة أبها، ويتبعها العديد من البلديات في الحريضة، والبرك، والمجاردة، ومحاليل عسير، والنماص، وتبومة، واثنين بلسمر، وصبح في سروات بلحمر. كما زرت بلديات أخرى في الدرب والشقيق وتتبع أمانة منطقة جازان، وبلديات في القوز والقنفذة وتتبع أمانة منطقة مكة المكرمة. ومما عرفته ولاحظته على هذه الإدارات الخدمانية ما يلي: ١. كثرة هذه البلديات وتعدد إداراتها وفروعها ومكاتبها، وكثرة موظفيها مع أن عددهم يتفاوت من بلدية لأخرى، وأيضاً الفخامة الظاهرة على مقراتها المعمارية من حيث جودة الموقع، وتعدد أدوارها وجمالها، واتساع ما يحيط به من أبنية ومرافق ^(٣).

٢. ليس هناك وجه مقارنة بين مقرات البلديات وغيرها من المؤسسات الإدارية الأخرى. بل بعض الإدارات ما زالت في أبنية مستأجرة داخل المدن الكبيرة وأيضاً

(١) درست ونشرت الكثير من الدراسات والوثائق التي تؤرخ لبلدية أبها ومجلسها البلدي منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكيف كانت تتولى الإشراف على الأسواق ورسومها بالتعاون مع مالية عسير، أيضاً كانت تمتد مسؤولياتها إلى بعض الموانئ على البحر الأحمر مثل مينائي القحمة والبرك وغيرها. وتاريخ البلدية والمالية في عسير من عام (١٣٤٠-١٣٨٠هـ/١٩٢٢-١٩٤١م) موضوعان جديان يستحقان أن يدرسا في بحثين علميين، وحيداً أن يكونا موضوعين لرسالتين علميتين. (ماجستير أو دكتوراه).

(٢) إن الذهاب في أرجاء السروات وتهامة يجد هذه المشاريع التنموية منتشرة في كل مكان، والناس (سعوديين وغير سعوديين) يستفيدون من الخدمات المقدمة في هذه المجالات التنموية. وجميعها موضوعات تاريخية حديثة تستحق الدراسة والتوثيق في بحوث عديدة، أرجو من المؤرخين المحليين أن يوثقوا شيئاً من بداياتها ثم تطورها حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م).

(٣) تجولت في معظم مناطق المملكة العربية السعودية فوجد أفضل مقرات المؤسسات الحكومية تتمثل في أبنية البلديات. وهذه جهود بذلت من وزارة البلديات في سنوات مضت، فكانت نتيجة هذا الاجتهاد هو تشييد مقرات كبيرة وفارهة لمعظم البلديات في أنحاء البلاد.

- في بعض البلدات والمراكز. وتمنيت أن أرى الإدارات الحكومية والأهلية الأخرى في مقرات رسمية وليست مستأجرة وقديمة في عمارتها ومرافقها. مع أن بعض المؤسسات الحكومية يعود تاريخها إلى خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).
٢. اتضح لي أن إدارة البلديات في كل ناحية هي المسؤولة الرئيسية عن مسيرة التخطيط والبناء العمراني في المدن، والحوضر، والمراكز، وحتى بعض الأرياف. أما البوادي وبخاصة في تهامة فما زالت خارج إشراف البلديات.
٤. زرت بعض البلديات، وكان أولها أمانة منطقة عسير، وبعض الإدارات في الدرب، والحريضة، والبرك، والمجاردة، والنماص، وبللسمر وحصلت على عدد من التقارير والخرائط لبعض منجزاتها خلال السنوات العشر الماضية. واتضح لي مقدار النشاط والجهود الجيدة التي تبذلها هذه المؤسسات الإدارية الخدمائية.
٥. حصلت أيضاً على بعض المدونات، والكتيبات والتقارير من أمانة منطقة عسير، واتضح شمولية الإشراف من الأمانة على فروعها (البلديات) في تهامة والسراة. كما وجدت عدداً من المشاريع المستقبلية التي تعتمزم الأمانة وبلديتا الحريضة والبرك على تنفيذها على ساحل البحر الأحمر، حتى تكون أمكنة سياحية مخدومة بشكل جيد، تستقبل زواراً وسواحاً من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. كما اطلعت أيضاً على مشاريع أخرى ضمن خطط الأمانة وبلديات أبها، ومحال عسير، والمجاردة، والنماص، ومدن وحوضر أخرى في منطقة عسير.
٦. حاولت الحصول على بعض المصادر والتقارير من بلديات القنفذة، والقوز، والشقيق، والدرب حتى أطلع على بعض الأنشطة التنموية في هذه النواحي، لكنني لم أستطع الحصول على مبتغاي، مع أنني شأهت على الواقع في هذه المدن الكثير من المشاريع الحضارية التنموية الحديثة والمعاصرة.
٧. وجدت معظم الموظفين والعاملين الرسميين في هذه الإدارات (البلديات) من السعوديين ومنهم نسبة محدودة من النساء. ورأيت بعض المهندسين والفنيين والتقنيين من جنسيات غير سعودية، لكن نسبتهم أيضاً قليلة^(١).

(١) عاصرت بعض إدارات البلديات في منطقة عسير في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فكان أعداد غير السعوديين كثيرة، ومعظمهم من دول عربية مثل مصر، والسودان، وبلاد الشام. وأقول أن تاريخ كل بلدية في كل مدينة ومحافظة من محافظات السروات وتهامة تستحق أن يفرد لها دراسات تاريخية عديدة، وحذاً لو تدعم هذه البحوث ببعض الصور والخرائط الملونة.

ثالثاً: الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور في الفترة من (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٢١م)؛

١- أهداف الملتقى ونبذة عن أوراقه العلمية؛

إن الحديث عن الهدف من ملتقى القنفذة يقودنا للحديث عن الجمعية التاريخية السعودية التي انعقد الملتقى تحت مظلتها. بدأت فكرة الجمعية في جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، فأنشئت الجمعية التاريخية الأثرية، ثم تحولت هذه الجمعية إلى قسم أكاديمي في كلية الآداب باسم (قسم الآثار والمتاحف) ^(١). بدأ قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بإنشاء جمعية جديدة ابتداء من عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، وتقدم أعضاء قسم التاريخ في كلية الآداب بلائحة مقترحة إلى الجامعة، ووافق عليها المجلس العلمي عام (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). بدأت الجمعية التاريخية السعودية نشاطها وعقد ندواتها السنوية. وأقامت أكثر من عشرين لقاء وندوة. وصار للجمعية الرئيسية التي مقرها جامعة الملك سعود فرعين آخرين. الأول في منطقة عسير، والآخر في منطقة مكة المكرمة. والجمعية وفرعها يعملون على تقديم لقاءات سنوية وأحياناً نصف سنوية يحضرها الأساتذة والمهتمون بالدراسات التاريخية والحضارية من أقسام التاريخ والآثار في الجامعات والهيئات العلمية والتعليمية السعودية. أصدرت الجمعية العديد من الكتب والبحوث العلمية، ولديها مجلة علمية محكمة تنشر بحوث أعضاء الجمعية ^(٢).

أما ملتقى القنفذة العلمي، فالذي اقترحه وتابع مراحل تنفيذه فرع الجمعية في مكة المكرمة، والدكتور فهد بن عتيق المالكي، رئيس الفرع، والدكتورة هالة المطيري، نائبة الرئيس هما من بذلا قصارى جهودهما حتى انعقاد الملتقى في مدينة القنفذة في يومي الثلاثاء والأربعاء (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ)، وكان موضوعه: تاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور.

سبق أن اتصل بي الدكتور فهد المالكي في نهاية عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) على أن أشارك بورقة في هذا اللقاء العلمي، لكن ظروف لم تكن ميسرة فاعتذرت، وقبل انعقاد الملتقى بحوالي عشرة أيام أرسلت لفرع الجمعية هدية (٤٢٠) نسخة من تسعة مؤلفات لي كانت قد صدرت خلال الخمس سنوات الماضية (١٤٣٨-١٤٤٣هـ/ ٢٠١٧-٢٠٢١م) على أن توزع على الحضور، واعتذرت أيضاً من الذهاب للظروف نفسها ^(٣).

(١) للمزيد انظر عوض بن عبد الله بن ناحي. المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧هـ - ١٤٤٠هـ/ ١٩٨٧-٢٠١٨م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م) ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) كان اتصالي مع الدكتور فهد المالكي بخصوص هذه الكتب الهدية، وعند استلامها زودني مشكوراً بخطاب شكر بختم فرع الجمعية في مكة المكرمة بتاريخ (٢٢/٤/١٤٤٣هـ). انظر صورة هذا الخطاب، في كتاب:

قبل انعقاد الملتقى بأربعة أيام اتصل بي الدكتور علي بن حسن بن إبراهيم الفقيه، وقال: "نعلم أنك صديق والدي، وقد كتبت عنه في عدد من مؤلفاتك. ورأيت أنا وإخواني وأخواتي أن نكرمك على هامش ملتقى القنفذة، فأخبرته ببعض ظروفه وطلوبته أن يعفيني، لكنه امتنع" وقال "إذا كان لنا نحن أسرة حسن الفقيه احترام، ولوالدنا حب وتقدير عندك فأرجو الموافقة والحضور" عندئذ وافقت ونزلت عند رغبته، وقلت له سوف أحضر في نفس اليوم الذي تعقدون فيه احتفالكم وتكرمكم لي ولغيري. وخرجت من أبها في اليوم الثاني من انعقاد اللقاء (الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ)، ورأيت في الوقت نفسه أن أدون بعض مشاهداتي وانطباعاتي أثناء زهابي وإيابي فخرجت من أبها إلى الدرب والبرك حتى وصلت القوز والقنفذة ثم رجعت إلى النماص وعدت مع طريق السروات إلى أبها. واستغرقت هذه الرحلة حوالي ثلاثة أيام، وثقت فيها شيئاً مما شاهدته أو عرفتة، وحضرت احتفالية أسرة آل الفقيه، وألقيت كلمة على الحاضرين شكرت فيها أبناء وبنات الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه ودعونا له بالرحمة والمغفرة^(١).

لم أتمكن من حضور الأوراق العلمية التي قدمها حوالي عشرين باحثاً وباحثة، وكنت أتمنى ذلك، لكن الظروف حالت دون ذلك، واضطرت حضور حفل آل الفقيه، ومقابلة كل الزملاء في ذلك الحفل، ثم طلبت من الدكتور فهد المالكي تزويدي بأسماء الحاضرين وعناوين بحوثهم فلم يترددوا وأرسلها لي بالإضافة إلى ملخص كل بحث، لهذا رأيت إدراجها في الصفحات التالية، لعل فائدتها تعم، ويستفيد منها بعض الباحثين وبخاصة طالبات وطلاب الدراسات العليا، وهي على النحو الآتي:

وثائق غيثان بن حريس الخاصة، لمحمد بن أحمد معبر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). (المجلد الحادي عشر)، آخر صفحة في القسم الثامن (الجمعية التاريخية السعودية)، ص ٢٣٦.

(١) إن الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه يعتبر مؤرخ القنفذة في عصرنا الحديث، بل هو رائد في خدمة أهله في بلاد تهامة. وبخاصة محافظة القنفذة وما جاورها. عرفته قبل أكثر من عشرين عاماً، وذكرته بخير، بدون مجاملة أو تزلف، فقد كان عالماً بارعاً في عدد من الأبحاث التاريخية والأثرية، وكان على قدر كبير من الأدب واللفظ وحسن الخلق، وهذا ما قلته وتلوته على الحضور في ذلك الاحتفال والتكريم الذي أقامه أبناؤه في مزرعتهم بمركز القوز من صلاة المغرب إلى الساعة الثانية عشرة يوم الأربعاء (١٤٤٣/٥/٤هـ).

أسماء الباحثين وعناوين أوراقهم وتاريخ تقديمها في الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ)

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
١	أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي	ميناء السرين	جامعة الملك سعود	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٢	د. مريم خلف العتيبي	القنفذة من خلال جريدة أم القرى	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٣	أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي	برك الغماد التاريخ والميناء	جامعة أم القرى	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٤	أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني	الدور الاقتصادي لوادي بية في القنفذة عبر العصور الإسلامية (دراسة تاريخية أثرية)	جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٥	د. محمد بن علي الشهري	القنفذة في عهد الدولة السعودية الأولى (١٢١٨-١٢٢٩هـ / ١٨٠٣-١٨١٤م) (دراسة تاريخية)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٦	أ.د. محمد بن منصور حاوي	الرحلة العلمية من بلاد القنفذة إلى اليمن خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، العلامة،/عبدالقادر بن حمزة التهامي البيهي "أنموذجا"	جامعة الملك خالد	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٧	أ.د. إلهام بنت أحمد البابطين	محافظة القنفذة في كتابات روتر وفلبي وثيسجر	جامعة الملك سعود	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٨	أ.د. علي بن حسين الصميلي	الحملة اليمنية على مكة وهزيمتها في الليث ودوقة (١٠٣٩هـ / ١٦٣٠م)	جامعة جازان	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
٩	د. رحمة بنت عواد السناني	القنفذة ودورها التجاري حتى ظهور الإسلام	جامعة طيبة	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣ هـ
١٠	د. سعود بن حامد الخديدي	القنفذة في كتابات الرحالة الأوربيين	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣ هـ
١١	أ.د. عبداللطيف بن محمد الحميد	الشيخ الأديب حسن الفقيه	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤ هـ
١٢	أ.د. عبدالرحمن بن علي السنيدي	سكان القنفذة والدولة الإسلامية بالمدينة من المواجهة إلى الوفاة والولاء	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤ هـ
١٣	د. غراء بنت عازم الشراري	قرى القنفذة في كتابات الجغرافيين	جامعة الجوف	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤ هـ
١٤	د. علي بن حسن النجعي	الأمير قيس بن محمد الحرامي ودوره في الصراع السياسي بين أشراف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري	المعهد العلمي بالرياض	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤ هـ
١٥	أ. إبراهيم بن علي بن بلقاسم الفقيه	قراءة في رسائل الملك عبدالعزيز إلى أهالي الليث والقنفذة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٥١هـ) من عام (١٩٢٤م) إلى عام (١٩٥٢م)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤ هـ

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
١٦	د.محمد أحمد خريص المرحبي	النواحي العلمية في وادي قنونا بني زيد بالقنفذة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري دراسة وثائقية (١٢٥٠-١٣٠٠هـ / ١٨٣٤-١٨٨٣م)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٧	د.يوسف حسن العارف	القنفذة دراسة وثائقية	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٨	د.سمير حمدي الحسني	أمراء القنفذة في عهد الملك عبدالعزيز	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٩	أ.غازي بن أحمد الفقيه	المدلول التاريخي لاسم ونشأة القنفذة	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
٢٠	أ. وضحي عواض الرشيدي	القنفذة ميناء البحر الأحمر (٩٠٢-١٣٤٥هـ / ١٥١٧-١٩٢٥م)	جامعة بيشة	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ

نوثق في الصفحات التالية ملخصات البحوث التي قدمت في ملتقى (تاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور) في الفترة الممتدة من (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٢١م):

١- ميناء السرين الإسلامي تاريخه وآثاره. أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي؛

كان ميناء السرين من الموانئ الإسلامية الشهيرة في جنوب الحجاز بمحافظة الليث، منطقة مكة المكرمة، ويقع على بعد (٤٠) كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة الليث، المركز الإداري للمحافظة، وعلى بعد (٢٤٠) كيلومتراً إلى الجنوب من مكة المكرمة. وقد ازدهر هذا الميناء في القرون الستة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، ثم تلاشى ذكره بعد ذلك في المصادر التاريخية المتاحة، واندثر موقعه، وأصبح اليوم من المواقع الإسلامية الأثرية المشهورة على ساحل البحر الأحمر، وبه بعثة سعودية صينية للتنقيب عن آثاره منذ العام (١٤٢٩هـ/٢٠١٨م) يشرفني أنني أعمل مستشاراً لها. وسيجري الحديث في هذا البحث عن موقع السرين، عن أهميته بوصفه ميناءً ثانياً لإمارة مكة المكرمة بعد جدة في زمانه، حيث كان يخدم مخاليفها الجنوبية، بما في ذلك بلاد السراة المواجهة له من الشرق. وكذا أهميته التاريخية بوصفه أهم عمل، أو مركز إداري تابع لمكة لا يولى عليه إلا أحد أبناء الأسرة الحاكمة بمكة، فضلاً عن كونه من أهم المحطات الرئيسية الواقعة على طريق الحج والتجارة الساحلي بين مكة واليمن. وكان لأمير السرين دور في الصراع بين الأيوبيين والرسوليين للسيطرة على مكة، وخصوصاً في زمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، وابنه الملك المظفر يوسف. أما الأهمية الأثرية لموقع السرين فتكمن في العثور على عدد غير قليل من شواهد القبور المنقوش عليها أسماء أصحابها بخط كوفي جميل ومتقن، وبذلك النقوش من المضامين التاريخية ما ساعد على التعرف من خلالها إلى مجمع السرين في زمان ازدهارها، بما في ذلك أسماء أمرائها، وبعض أصول ساكنيها، وما اشتغلوا به وامتتهنوه من حرف وصناعات سيجري استعراضها ومناقشتها والتعليق عليها فيما سيرفق بالبحث من لوحات توضيحية أغلبها من شواهد القبور المنقوشة بخطوط غاية في الروعة والجمال.

٢- مدينة القنفذة في عهد الملك عبدالعزيز من خلال صحيفة أم القرى.**د. مريم بنت خلف شديد العتيبي.**

صدرت صحيفة أم القرى في بدايات تأسيس المملكة العربية السعودية، وكانت ولا زالت هي الصحيفة الرسمية للبلاد، وهي من الصحف المهمة جداً في المملكة العربية السعودية بحكم ما انفردت به من نشر الأخبار المتعلقة بالدولة والملك المؤسس - رحمه الله - ورجالاته وأنشطة الدولة وما يجري فيها من أحداث على جميع المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية محلياً أو عالمياً. عاصرت صحيفة أم القرى الملك عبدالعزيز لمدة ثلاثة عقود وهذا مما ميزها عن غيرها من الصحف السعودية، وانفردت بالحديث

عن مناطق المملكة ومدنها، وما يجري فيها من أحداث ووقائع، بل تبع ذلك ذكر الأحوال المناخية ومتغيرات الطقس من أمطار وسيول وقحط وجفاف، والأحوال الصحية والأزمات والأوبئة. ومن المدن السعودية التي كان لها حضور جيد في صحيفة أم القرى، مدينة القنفذة، وهي تقع على ساحل البحر الأحمر، وقد حظيت كغيرها من المدن السعودية بالذكر والإشادة، وسوف يناقش هذا البحث ما سجلته هيئة تحرير صحيفة أم القرى عن مدينة القنفذة في حقبة الملك المؤسس منذ صدورها، وتتبع جميع ما كتب عنها سواء من الناحية السياسية والاقتصادية، أو الاجتماعية. تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في أصالتها وجديتها، وأسبقيتها فلا توجد دراسة بحثية - حسب علمي - حتى الآن تتناول هذا الموضوع، وتتطرق إليه. وعليه أمل أن تسد حيزاً في المكتبة السعودية، وأن تكون مرجعية مهمة للباحثين والباحثات الراغبين في الكتابة عن تاريخ القنفذة لاحقاً.

٣- برك الغماد والتاريخ والميناء. أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فستتناول ورقتي الموسومة بـ "برك الغماد، التاريخ والميناء" نقاطاً عدة منها الحديث عن برك الغماد الاسم والمسمى، حيث سأوضح المقصود بكلمتي "برك الغماد"، أصلهما اللغوي ومدلولهما اللفظي. كما ستتناول أيضاً اختيار الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه لهذا المكان عندما انبرى ليتحدث مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عزم الأنصار الخروج معه لملاقاة المشركين في بدر، حيث قال رضي الله عنه عبارته المشهورة مخاطباً النبي (صلى الله عليه وسلم): "لو اعترضت بنا البحر لخضناه، أو قصدت بنا برك الغماد لقصدناه"، حيث ستعرض الدراسة لسبب اختياره لهذا المكان النائي ليكون دليلاً على مصداقية الأنصار للخروج معه في هذه المعركة، كما ستعرض الدراسة أيضاً للقول الذي يردده بعض المؤرخين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج من مكة قاصداً الهجرة إلى المدينة بعد أن اشتد أذى قريش على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وعندما وصل إلى هذا المكان (برك الغماد) لقيه رجل يعرف بابن الدغنة فقال له: "مثلك لا يترك صاحبه ويخرج مهاجراً"، فعاد رضي الله عنه من هذا المكان إلى مكة. كما ستتناول الدراسة البرك كميناء هام منذ وقت مبكر حتى وقتنا الحاضر، وأنه اليوم يقع ضمن النطاق الإداري لإمارة منطقة عسير ويحظى باهتمام كبير من طرف ولاية أمرنا (حفظهم الله).

٤- الدور الاقتصادي لوادي ببة في القنفذة عبر العصور الإسلامية. دراسة

تاريخية أثرية. أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني؛

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى وادي ببة، وهو وادٍ عظيم من أكبر الأودية بالجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، بالرجوع إلى ما أتيج من المصادر التاريخية، وكذلك من كتب الجغرافيين. وتستهدف إظهار أهمية هذا الوادي في المواد الخام، والتعرف إلى هذا الوادي كمحطة من محطات طريق الحج، وإظهار الدور الزراعي لهذا الوادي، والتعرف إلى وادي ببة في التاريخ الإسلامي، وذكر الآثار الموجودة في منطقتي القوز والحبيل من الوادي. قسمت خطة الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث، تناول التمهيد ذكر اسم ببة في المصادر واختلاف شكل كتابتها، وترجيح الأصح في تسميته. أما المبحث الأول فتناول الأهمية الاقتصادية لوادي ببة. والمبحث الثاني في تاريخ وادي ببة عبر التاريخ الإسلامي. وأخيراً تناول آثار القوز والحبيل بوادي ببة. يعتبر الوادي مجمعا للأودية المنحدرة من سراة بلقرن وشمران ومحافظة المجاردة وتهامة بني شهر، والأودية المنحدرة من بادية ربيعة المقاطرة، كما يُعد الوادي من المواطن الرئيسية في منطقة القنفذة، لأنه وادٍ كبير يأتي من أعالي السروات، وقد يطلق عليها سروات جنوب الطائف. ويضم الوادي في باطنه كثيراً من الجواهر النفيسة، وغيرها من المعادن، كما أنه صالح للزراعة، إذ زرعت فيه مختلف أنواع المحاصيل. وله أهمية كبرى؛ إذ إنه مصدر مائي، لأن المياه تتجمع فيه في فترة السيول، وتتجاوز كميات المياه الفائضة فيه (١٠٠) مليون متر مكعب. وتمر بوادي ببة طرق الحج اليمني، فهو محطة على طريق الحج، خاصة الطريق من خولان ذي سُحيم إلى مكة، ويعقد فيه أيضاً سوق حباشة إلى شماله، وهو سوق مشهور وقديم. ومن القبائل التي تسكن في وادي ببة: ثرбан، وحلي، كما سكنته قديماً قبيلة جرهم قبل الإسلام. وقد أسلم أهل السراة ومن بينهم أهل وادي ببة، وحسن إسلامهم، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية. وتتناول الدراسة كذلك تاريخ وادي ببة في الإسلام في عهود الخلفاء الأمويين والعباسيين ببلاد تهامة والسراة، ثم في عهد الأشراف، وشيوخ القبائل الذين كان كل واحد منهم يمثل دولة مستقلة، ثم في عهد الدولة الصليحية. وتطرق الدراسة إلى الآثار الموجودة في القوز، وهي أهم المدن التي تقع فيه، وكذلك في الحبيل، فمنها الآبار، والقطع الحجرية المنقوش عليها، ومسجدها القديم، وبئر قطيطة، وثمة بقايا مسجد في وادي ببة.

٥- القنفذة في عهد الدولة السعودية الأولى (١٢١٨-١٢٢٩هـ/١٨٠٣-**١٨١٤م) (دراسة تاريخية): د. محمد علي محمد آل الجحيني الشهري**

شهدت القنفذة خلال هذه الفترة تقلبات سياسية وصراع عسكري بين قوى متعددة في المنطقة منها من كان من داخل شبه الجزيرة العربية كالشريف غالب وآل سعود وقادتهم في عسير وزعماء القبائل في تهامة، ومنها من قدم من خارج شبه الجزيرة العربية كالقوات العثمانية بقيادة محمد علي باشا وقادته، عندما قدم لمحاربة الدولة السعودية الأولى. وفي هذه الورقة نسلط الضوء على ذلك الصراع، وعلى أبرز الشخصيات التي ظهرت على مسرح الأحداث بداية بقدم الدعوة الإصلاحية إليها، ثم الصراع المسلح بين قادة الدعوة وقوات الشريف غالب بقيادة وزيره على القنفذة أبو بكر بن عثمان، وكم مكثت تحت سيطرتها، إضافة إلى تناول كثير من الجوانب الحضارية خلال هذه المدة، وموقف أهلها وقادة الدولة فيها من قوات محمد علي باشا. كما فصلت الورقة الحديث عن القنفذة تحت حكم الدولة السعودية الأولى، وعلاقة الدولة السعودية الأولى بالأولى بالحجاز وعسير، وأثرها في موقف القنفذة منها. مع رصد الوقائع التي حدثت بين الفريقين، ومن أبرز قادتها. ثم الحديث عن ضم القنفذة إلى الدولة السعودية الأولى، وما صاحب ذلك من وقائع عسكرية، وآراء حول من قام بذلك، وما نتأجه خلال مدة حكمها لها، والتي شهدت فيه استقرارا سياسيا واقتصاديا. ثم أشارت إلى الشخصيات التي حكمتها خلال حكم الدولة السعودية الأولى. وفي الختام تحدث الباحث عن الصراع بين الدولة السعودية الأولى، ومحمد علي باشا على القنفذة، وأبرز المواجهات بينهما، إضافة إلى الوحشية التي تعامل بها محمد علي وجنوده مع أهل القنفذة. ثم الإشارة إلى قائدين من قادة الدولة السعودية الأولى: طامي بن شعيب، وبخروش بن عباس، اللذين شهدت القنفذة أسر أحدهما، وقتل الآخر. ثم نهاية حكم الدولة السعودية الأولى لها.

٦- الرحلة العلمية من بلاد القنفذة إلى اليمن خلال القرن العاشر الهجري، العلامة**عبدالقادر بن حمزة التهامي اليبهي» أنموذجا» أ.د. محمد بن منصور حاوي**

كانت المدن الرئيسية في اليمن بشطريه الأعلى والأسفل خلال العصور الإسلامية الوسيطة مقصداً لطلبة العلم، وذلك لوجود العلماء الأفاضل من أهل السنة، ومن الزيدية، ولقيام الحكام برعاية الطلبة، وبخاصة الوافدين عليها من غير أهلها، والتكفل بهم، ومساعدتهم للتفرغ لطلب العلم. وذلك من الأمور التي شجعت طلاب العلم وبخاصة من البلاد المجاورة كالمخلاف السليماني، والحجاز، وما بينهما من تهامة الشامية، وساعد على تشجيع هؤلاء الحريصين على العلم من تهامة الشامية كون مدنها وأوديتها

تقع على طريق الحاج اليمني، والذي يسلكه الحجاج والمعتزمون من أهل اليمن ومنهم طبقات العلماء، الأمر الذي يُتيح للمتطلعين إلى تحصيل العلوم من أبنائها أن يلتقوا بهؤلاء العلماء، ولا يبعد من أن يجدوا التشجيع منهم على الرحلة إلى اليمن للاستزادة من العلوم والمعارف. وكان من هؤلاء الطلبة من يقصد مدن اليمن الأعلى حيث هجر علوم الزيدية كصنعاء وصعدة وغيرها، ومنهم من يتجه إلى اليمن الأسفل كـ "زبيد" و"تعز" و "بيت الفقيه"، والتي هي هجر ومعقل العلم لأهل السنة. وكان من هؤلاء الطلبة من تهامة الشامية من أهل حلي بن يعقوب وبلاد القنفذة، ومن وادي بية تخصيصاً طالب علم كانت وجهته إلى صنعاء، وهناك ترقى في مراتب العلم حتى أصبح عالماً معروفاً ممن يُشار إليه بالبنان، وهو الفقيه العلامة القاضي عبدالقادر بن حمزة التهامي اليبهي (ت ١٠١٤هـ) والذي عاصر الإمام شرف الدين يحيى (ت ٩٦٥هـ) وعمر طويلاً حتى قارب التسعين عاماً. وستتناول هذه الورقات التعريف بهذا العالم ورحلته من وادي بية إلى صنعاء، وتتبع زوايا حياته وأثره في النشاط العلمي في صنعاء، وغيرها.

٧- القنفذة في كتابات روتروفلبي وثيسجر (دراسة مقارنة) أ.د. إلهام بنت

أحمد بن عبدالعزيز البابطين؛

لم يكن نصيب محافظة القنفذة كبيراً من حيث زيارات الرحالة الغربيين إليها مقارنة بغيرها من الأقاليم الأخرى لجزيرة العرب. وأغلب الذين زاروها ما عدا شجر كانت زيارتهم إليها مجرد عبور إلى مدن الحجاز الرئيسية. وسأختار في هذه الدراسة من الذين زاروا محافظة القنفذة ثلاثة من مشاهيرهم، وهم الإنجليزي إدون روتر Eldon Rutter الذي مر بمدينة القنفذة وبعض القرى التابعة لها في عام (١٢٤٢هـ / ١٩٢٥م)، والإنجليزي فلبى Harry St. John Bridger Phillby الذي مر بالمحافظة أيضاً عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م) وهو في طريقه إلى مكة لمقابلة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بعد عودته من رحلته الشهيرة التي نتج عنها كتابه العظيم "مرتفعات الجزيرة العربية (Arabian Highlands)"، أما الشخص الثالث فهو الإنجليزي أيضاً ولفريد ثيسجر (Welfred Thesiger) الذي عمل في القنفذة في بعثة مكافحة الجراد في عام (١٣٦٧هـ / ١٩٤٦م) فضلاً عن أنه يُعد من الرحالين الأوروبيين المشهورين إن لم يكن من أشهرهم. وقد تضمنت تقارير هؤلاء الرحالة الثلاثة معلومات قيمة عن الأمكنة التي قادتهم رحلتهم إليها مما لا نجده في أي مرجع آخر في حدود علمي. وستضمن الدراسة التعريف بهؤلاء الرحالة على سبيل الاختصار مع ذكر خطوط سيرهم، والأمكنة التي زاروها والوصف الذي قدموه عنها بما فيه الأسواق، وأشكال الناس وصورهم، وسبل

معاشهم، والعمارة التقليدية التي كانت سائدة في المحافظة وألعابهم الشعبية بما في ذلك بعض الفنون الأدائية التي تفرّد بها تيسجر، والتي يُعد إبرازها إضافة علمية قد لا نجدها في أي مؤلف آخر على حد علمي.

٨- الحملة اليمنية على مكة وهزيمتها في الليث والقنفذة (١٠٣٩/١٦٣٠) أ.د.

علي بن حسين الصميلي

تناولت هذه الدراسة الحملة اليمنية التي أرسلها إمام اليمن محمد بن القاسم إلى مكة لنصرة أميرها الشريف محسن بن الحسين على الشريف أحمد بن عبدالمطلب والأشراف المناصرين له والقوات العثمانية التي استعانوا بها. وقد تناول الباحث التطورات السياسية في مكة واليمن التي أدت إلى استعانة أمير مكة الشريف محسن بن الحسين بالإمام محمد بن القاسم والتصدي للخارجين عليه من الأشراف وتثبيت إمارته في مكة. ثم تناول الباحث خط سير الحملة اليمنية من بلاد اليمن حتى وصولها إلى القنفذة والإمدادات العسكرية التي أرسلها الإمام محمد لتقوية الحملة واتخاذ قائد الحملة من القنفذة مركزاً لجمع الأنصار للتقدم منها إلى مكة. كما تناول الباحث تقدم قوات الشريف أحمد بن عبدالمطلب من مكة والتصدي لهذه الحملة والتقاء الجيشين في الليث وهزيمة الحملة اليمنية وانسحابها إلى دوقة ثم القنفذة ثم القوز ثم حلي بن يعقوب، وانضمام الشريف محسن بن الحسين إلى الحملة بما معه من القوات وتقدم الحملة مرة أخرى إلى القنفذة لقتال القوات المكية. وكيف تعرضت الحملة اليمنية لهزيمة أخرى في القنفذة الأمر الذي أجبر قائد الحملة على الانسحاب إلى حلي بن يعقوب ثم العودة إلى بلاد اليمن. كما لخص الباحث الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة في تحقيق المهمة التي خرجت من أجلها.

٩- القنفذة ودورها التجاري حتى ظهور الإسلام. د. رحمة بنت عواد السناني؛

تبوأ المنطقة التي نشأت فيها القنفذة بموقع استراتيجي هام، حيث كانت ملتقى طرق التجارة البرية القادمة من جنوب الجزيرة العربية القديمة والمنتجهة إلى شمالها، كما قامت على سواحلها على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر أهم المرافئ التي استقبلت التجار وشتى أنواع السلع والبضائع التي تفرغها السفن على سواحلها، وتاجرت مدن المنطقة بأنواع من محاصيلها الزراعية مع المناطق المجاورة، بالإضافة إلى اشتغال سكانها بصناعة المعادن لا سيما الذهب، وترتب على ازدهار اقتصاد المنطقة انعاش تجارتها، وبالتالي تطور حضارتها بكافة القرى والمدن التي نشأت وازدهرت فيها.

١٠- القنفذة في كتابات الرحالة الغربيين. د. سعود بن حامد الخديدي:

تعتبر مدينة القنفذة من مدن ساحل تهامة الهامة، ولم تعرف بهذا الاسم إلا منذ نهاية القرن العاشر الهجري الخامس والسادس عشر الميلادي، وهناك من يذكر أنها عرفت بهذا الاسم قبل هذا التاريخ، وهي تقع عند مصب نهر وادي قنونا في البحر الأحمر، ويعتقد أن مسماها القديم كان قرية قنونا، وهي محافظة من محافظات منطقة مكة المكرمة. وفي هذه الدراسة أركز على بلاد القنفذة في عيون بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا أو كتبوا عن القنفذة في العصر الحديث مثل: كيناهان كورنواليس، وروبن بدول، وهاري سانت جون فيليبي، وتوتيشل، وغيرهم. ولن أستطيع تقديم دراسة تفصيلية عن هذه الناحية عند الرحالة المتقدمين، لكنني أذكر بعض الصور التاريخية الحضارية التي دونوها في مؤلفاتهم ورحلاتهم، وآمل أن تدرس كتبهم في بحوث أطول وأعمق.

١١- الشيخ الأديب حسن بن إبراهيم الفقيه، أعماله التاريخية والآثار،

(١٣٥٨-١٤٣٦هـ) أ.د. عبد اللطيف بن محمد الحميد.

يتناول البحث الأعمال التاريخية والآثار للشيخ الأديب حسن بن إبراهيم الفقيه. من خلال اهتمامه بتاريخ وآثار الجزء التهامي من ساحل البحر الأحمر بين مدينتي (الليث، والبرك) في مسافة تمتد حوالي (٣٠٠ كم) على ساحل البحر الأحمر الشرقي، ومنها (مخلاف عشم)، و (مدينة السرين)، و (مدينة ضنكان)، و (حلي يعقوب)، و (الخلف والخليف)، و (القنفذة). وسوف يناقش البحث سيرة الشيخ حسن الفقيه وجهوده العلمية والتربوية والأدبية باعتباره رمزا من رموز مدينة القنفذة في شتى المجالات. ومن أبرز مصادر تلك الأعمال التي نشرها الفقيه في حياته كتاب: (مخلاف عشم)، وكتاب (مدينة السرين)، أو التي نشرها أبناؤه بعد رحيله رحمه الله مثل كتاب (مدينة ضنكان الأثرية) وما نشره بعض الكتاب والباحثين من دراسات تتناول أعماله. بالإضافة إلى معرفة ميدانية للباحث في لقاء الشيخ مباشرة في القنفذة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، والتعرف على أبنائه بعد رحيله (رحمه الله)، والإفادة منهم كثيرا.

١٢- علاقات الدولة الإسلامية بكنانة الجنوبية. أ.د. عبد الرحمن السنيدي:

البحث يتناول علاقات الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة في العصر النبوي ببعض قبائل ساحل جنوبي الحجاز (بعض فروع كنانة) والمنتشرة في تهامة، وهي ذات أثر في الصراع بين المسلمين في المدينة وقريش كما يرصد البحث المواجهات بين المسلمين وبعض تلك القبائل كبني جذيمة بني عامر بن عبدمناة الكنانية ثم وفادة فصائل من

تلك القبائل للمدينة وإسلامها واندماجها في نهاية الأمر في مكون الأمة الإسلامية.
وأبرز محاور البحث: (١) كنانة وعلاقتها بمكة (٢) كنانة والدولة الإسلامية بالمدينة
(٣) سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة الكنانية بتهامة وإشكالاتها. (٤) الخاتمة.

١٣- قرى القنفذة في كتابات الجغرافيين. د. عفرأ عازم الشراري:

محافظة القنفذة من أهم محافظات منطقة مكة المكرمة، وتتكون في وقتنا الحاضر من عدد من المراكز الإدارية، وتتناول الدراسة قرى القنفذة كما وردت في كتابات الجغرافيين عبر العصور الإسلامية، وقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين المبحث يتناول قرى القنفذة في الكتب الجغرافية الأصلية وقرى القنفذة في المصادر الجغرافية الحديثة. كما نشأت مدينة القنفذة في بداية القرن الثامن الهجري وتحديدًا في عام ٧٠٩هـ/١١٢١م وفقاً للمصادر التاريخية، ومنذ أقدم العصور كان الشريط الساحلي الشرقي الموازي للبحر الأحمر من الطرق البرية المشهورة التي ترتاده قوافل التجارة البرية بين اليمن والشام.

١٤- الأمير قيس بن محمد الحرامي ودوره في الصراع السياسي بين أشرف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري. د. علي بن حسن النجعي.

بعد القضاء على الدولة الطاهرية في اليمن سنة (٨٥٨هـ)، واستقرار الأمر للأمير المهدي بدأ التوتر في العلاقات بين الأشراف السليمانيين (الإمارة القطبية)، وأشراف مكة بسبب التقارب القطبي المملوكي بعد وصول القوات المصرية إلى اليمن والمخلاف. هذه الدراسة ستركز على هذا التوتر وتداعياته، ودور الأمير قيس الحرامي أمير حلي في الصراع بين أشراف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف في القرن العاشر الهجري. وستلقي الدراسة الضوء على أوضاع الإمارة القطبية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وعلى إمارة حلي في عهد الأمير قيس الحرامي، كما ستلقي الضوء على الصراع بين الإماراتين ودور إمارة حلي في ذلك.

١٥- قراءة في رسائل الملك عبدالعزيز إلى أهالي الليث والقنفذة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٥١هـ) الموافق (١٩٢٤هـ/١٩٥٢م). أ. إبراهيم بن علي بن بلقاسم الفقيه.

تعود أهمية هذه الرسائل إلى أنها لم تنشر لاحتفاظ أصحابها بها كإرث وتركها للأبناء. وقد استطاع الباحث الحصول على صور من هذه الوثائق مع احتفاظ أصحابها بالأصول ويبلغ عدد هذه الرسائل أكثر من أربعين رسالة.

(*) من مدلولات هذه الرسائل نستخلص بعض الجوانب مثل: (١) أن أغلب

هذه الرسائل كتبت في الفترة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٤٥هـ)، وهي الفترة التي تم فيها ضم الحجاز إلى سلطنة نجد وأصبحت تعرف بمملكة الحجاز وسلطنة نجد. (٢) هذه الرسائل تشخص الواقع الاقتصادي للدولة الناشئة واعتمادها على الرسوم والضرائب. (٣) تبرز هذه الرسائل أهمية مرفأي القنفذة والليث كمصدرين هامين لدخل الدولة من الرسوم والضرائب على البضائع التي ترد إلى هذين المينائين أو تصدر منهما (٤) تشير بعض الرسائل إلى استخدام المرفأين لاستقبال الحجاج والمسافرين فترة حصار مدينة جدة في عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، (٥) تدل هذه الرسائل على العلاقة المباشرة بين الحاكم ورعاياه، من خلال الرسائل التي تتصف بالبساطة وعدم التكلف في الأسلوب ووضوح المضمون. (٦) تمثل هذه الرسائل مرحلة جديدة من العلاقة بين الحاكم والمحكوم ففي العهود التي سبقت عهد الملك عبدالعزيز كان من الصعوبة الوصول أو التخاطب مع الولاة أو أعوانهم. أما الملك عبدالعزيز فقد أحدث نقلة نوعية في التعامل بين الحاكم والمحكوم مما ساعد في استجابة جميع المناطق لهذه القيادة. (٧) توضح الرسائل كثيراً من الأحداث التاريخية التي حصلت في الحجاز (٨) تشير هذه الرسائل إلى الأدوار التي لعبها رجال الملك عبدالعزيز في القنفذة والليث ودور القبائل في مناصرته. وسيتم دراسة كل رسالة على حدة وتحليل مضمونها.

١٦- النواحي العلمية في وادي قنونا / بني زيد في النصف الثاني من القرن

الثالث عشر الهجري (١٢٥٠-١٣٠٠هـ) (١٨٢٤-١٨٨٣م)، دراسة وثائقية. د.

محمد أحمد خريص المرحبي.

يتضمن البحث دراسة تاريخية للنواحي العلمية في وادي قنونا وبالتحديد بما يسمى مركز بني زيد، شرق محافظة القنفذة (البلد) وغرب مركز سبت الجارة، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (١٢٥٠-١٣٠٠هـ) (١٨٣٤-١٨٨٣م). وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على النواحي العلمية والثقافية، وتعريف الناس بالثقافة التي كانت في تلك الحقبة الزمنية، وكذلك تأثير العلم والعلماء على مناحي الحياة اليومية، بداية من تأثير الدين والثقافة على الناس، من خلال الوثائق المحلية، وتحليل واستعراض الوثائق بأنواعها المختلفة التي ترسم ملامح الفكر والثقافة. ومما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع، وجود نقص كبير جداً في الدراسات التاريخية لهذه المنطقة، فضلاً عن محافظة القنفذة ككل، إذ لم يكن من اهتمام الدارسين والباحثين التركيز على المناطق الداخلية فضلاً عن غيرها، إضافة إلى وجود إشارات في بعض

الدراسات أو الرحلات التي أخذت طابع التحامل وعدم المصادقية في نقل الصورة بالشكل الحقيقي والواقعي، كما تم اختيار الفترة بناء على أهميتها خصوصاً أنها ارهاصات سقوط الدولة العثمانية وفقدان السيطرة على المناطق الكبيرة والقريبة من مراكز نفوذها الرئيسية، كما استندت الدراسة على مصادر عديدة ومهمة، سواء كتب التاريخ أو كتب الرحالة العرب والأجانب، وأعتقد أن الإضافة في هذه الدراسة هي الاعتماد على الوثائق الأهلية والمحلية التي ظلت رهن الصناديق العتيقة، التي تحمل في طياتها الأصالة والصدق والحقيقة دون تزوير أو تزيف. وقد اعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي، في ضوء ما استطاع الباحث جمعه من وثائق محلية، مع تحري الدقة والموضوعية في تدوين ما يختص بالنواحي العلمية في المنطقة. وكشفت الدراسة أيضاً نواح كثيرة كانت مجهولة ومنسية في الحياة الثقافية والعلمية للمنطقة، وكان لها دور كبير في الإفصاح عن الأسر العلمية التي كانت تعنى بالخطابة والإمامة والإصلاح بين الناس ومن يكتب لهم عقودهم التجارية والزواجية وغيرها.

١٧- القنفذة في الذاكرة الوثائقية. د. يوسف حسن العارف.

تحاول هذه الورقة أن تقدم حواراً تاريخياً وحضارياً مع مجموعة من المصادر التاريخية الأولية وهي "الذاكرة الوثائقية" المتعلقة بـ (القنفذة) وما حولها، في فترات تاريخية حديثة متعددة وأوضاع وأحداث سياسية متغيرة. وفي هذه الحوارية التاريخية/الوثائقية ستنهج الورقة المنهج التفتيقي في تحليل الوثائق حيث تحويلها من مادة خام ورقية إلى مادة معرفية قابلة للتفكيك والتداخل، وبيان التعالقات بينها وبين الأحداث التاريخية المتعلقة بالمكان والزمان. ومن خلال هذا العمل سيتجلى (القنفذة) مسرحاً للأحداث وميداناً للصراعات المحلية والدولية، ومحوراً أساسياً ورئيسياً لكل هذه الوثائق، فوجدنا الزمن يمتد في الأعوام (١٢٥٥-١٣٢٧هـ = ١٨٣٩-١٩١٨م)، حيث كانت الدولة العثمانية هي المسيطرة والحاكمة على هذه المنطقة وما جاورها بحكم الإدارة العثمانية، وقد تداخل معها في هذه الفترة كل من حكومة الأدارسة في صبيا والمخلاف السليمانى الذين امتد حكمهم شمالاً ليصل إلى القنفذة وعسير، وحكومة الأشراف في الحجاز، الممتد طموحهم السياسي إلى القنفذة وما جاورها، ودخول الدول الأوروبية إيطاليا ثم بريطانيا في هذه الصراعات!! ثم ينتقل بنا الزمن التاريخي إلى الأعوام (١٣٢٩-١٣٧٧هـ = ١٩٢١-١٩٥٨م) لنجد الحكم السعودي وقد ضرب أطنابه في هذه المنطقة وبدأ التفاعل الحضاري والوثائقي والتاريخي والسياسي. وبذلك تكون (الذاكرة الوثائقية) مجالاً خصباً يرفد الدرس التاريخي بمعلومات معاصرة وصادقة وموثوقة عن (المكان) و (الأحداث) و (الحكومات) و (القيادات) الفاعلة والمحركة للمشهد التاريخي. والبحث في أربع محاور رئيسة، في الثلاثة الأول منها تتفرع إلى جملة من

الجزئيات والتفريعات، لينتظم ذلك في عقد من البيان الوثائقي والتفصيلات والتوصيات التي ستسهم - إن شاء الله - في تطوير الدرس الوثائقي، وجعل (الذاكرة الوثائقية) مستنداً أولياً، ومرجعاً أصلياً يعتمد عليه الباحثون والدارسون وخاصة في حقل التاريخ الحديث والمعاصر. ولعلنا بذلك نسهم في التعريف بشيء من تلك (الذاكرة الوثائقية) التي تتحدث عن (القنفذة) مكاناً وتاريخاً وأحداثاً وحكومات محلية ودولية وإقليمية، ونفتح الباب على مصراعيه لغيرنا من الباحثين والدارسين، ونضع النقطة الأولى على السطر لمسار طويل من البحث والدرس الوثائقي!! فالقنفذة تستحق الشيء الكثير لأنها منطقة ذات تاريخ وحضارة وبُعد رمزي للمنطقة التهامية والساحلية في غرب الجزيرة العربية.

١٨- أمراء القنفذة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-

١٩٥٣م) د. سمير بن حمدي الحسني.

تناول هذا البحث دراسة مفصلة لأمراء القنفذة الذين تعاقبوا على إدارة المنطقة منذ أن ضم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الحجاز إلى الكيان السعودي سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)، حيث ضمت القنفذة سلماً إلى الكيان المبارك بعد ذلك بأشهر، وصارت تتبع أبها ومركزها منطقة عسير. وقد فصل البحث الحديث عن جوانب منيرة من حياة أحد عشر أميراً من الأمراء الذين أدوا أمانة المسؤولية طيلة أكثر من ثلاثين عاماً على خير وجه وأكملة، لا سيما وأن أعمالهم كانت في ظل صعوبات كبيرة واجهوها بسبب حداثة الدولة حينها وشح مواردها المالية. وكان أول هؤلاء الأمير محمد بن عجاج (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، وآخرهم الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم (١٣٧١-١٣٨٠هـ/١٩٥١-١٩٦٠م).

١٩- المدلول التاريخي لاسم ونشأة القنفذة. أ. غازي بن أحمد الفقيه؛

في ظل شح المصادر والمراجع التاريخية والدراسات الأثرية لمكان ما، يقع المجتهدون من المؤرخين وهواة كتابة تاريخ ذلك المكان من غير المتخصصين دراسة وممارسة في أخطاء متعمدة بالتأول والتخمين لأهداف منها الفوز بأسبقية الكتابة أو السير على نهج من سبقهم ويعتقدون بصحة ما وصل إليه السابقون دون تمحيص وتدقيق...!!، ومن تلك الأماكن (القنفذة) التي شاب اسمها ونشأتها الكثير من الاجتهادات والمبالغات والتأويلات غير الموفقة ممن تصدى للكتابة في تاريخها!

(*) فمن اسمها: (١) بعض من كتب عن ذلك أعاد الاسم لأصله اللغوي وتفسير المعاجم لاسم (القنفذه) وجذرها اللغوي..! وذلك أمر ثانوي. (٢) وبعضهم ترك

اسمها المتداول على السنة أهلها ومن هم حولها (القنفذه) بالبدال المهملة ودعاها بـ (القنفذة) بالذال المعجمة على الرغم من سماعه ومعرفته لصحة نطق اسمها بالبدال المهملة وذهب مفسرا لاجتهاده بجواز الإبدال بين الحروف في اللغة العربية مخالفا القول (لا اجتهد مع نص).. والنص هو ما يردده أهلها ودونته المصادر المتوفرة!.. (٣) وبعضهم جنح للخرافات والحكاوي في توضيح سر تسميتها بالقنفذه فادعى أن أهالي القنفذه قديما يتداولون أن تسميتها يعود لامرأة كانت هي أول من سكن المكان اسمها (القنفذه) ولكي يكمل المدعي خاتمة الخرافة المسيئة لتاريخها ادعى أن هذه المرأة تزوجها رجل يدعى (البندر) وكانت النتيجة أن أصبح اسمها (بندر القنفذه) من وجهة نظر حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة الخيالية!.. (٤) وبعضهم ادعى بأن القنفذه ليست إلا قرية صغيرة كانت عند مصب وادي قنوني على شط البحر الأحمر الشرقي تسمى (قنوني) وطوع له خياله تحوير هذا الاسم إلى القنفذه.. وتناسى أن قنوني واد شهير وليس قرية منذ أقدم العصور وبقي باسمه حتى يوم الناس هذا وروافده تنبع من جبال السراة شرقا ويصب في البحر الأحمر غربا في سهل تهامة عند موقع القنفذه شمالها وجنوبها عند ظهورها!.. (٥) ومنهم من أخذ بمقولة محقق كتاب الهمداني (محمد بن علي الأكوغ) المقتبسة في كتاب (صفة جزيرة العرب) من أن القنفذه هي بديلة لقرية كانت في مصب وادي قنوني تدعى (القناة)!.. مع أن الهمداني كانت وفاته قبل ظهور القنفذه بحوالي ستة قرون!..

(*) وحيال ما استعرضناه آنفا نقول: (أ) القنفذة اسم منقول من جنوب اليمن (حضر موت) ومن الشحر قريبا من عدن وبحرها على وجه الخصوص جلبه الحضارم من قرية بنفس الاسم إلى موقعها الحالي لأنهم غالبية من سكانها في جنوب منطقة مكة المكرمة بمسافة تقدر بـ (٣٥٠) كيلا. (ب) وبخصوص اسم القنفذه وهل هي بالبدال المهملة أو بالذال المعجمة؟! وهي الصيغة الحالية المستخدمة!.. (*) فأول المصادر التي ذكرتها بالبدال المهملة هي: (١) البرق اليماني في الفتح العثماني. لقطب الدين النهروالي (٢) سمط النجوم العوالي. لعبد الملك العصامي.

(*) ومن المراجع التي أكدت اسمها: رحلة الموسوي إلى القنفذة. الرحلة اليمانية للبركاتي. تاريخ مكة لأحمد السباعي. مجموعة وثائق عسيرية وعثمانية رسمية ووثائق رسمية وصحفية على العهد السعودي والاختباريون!.. معالم حضارية ثابتة مثل شوارع في مكة المكرمة وجدة تحمل اسم القنفذه بالبدال المهملة!.. والبندر اسم فارسي لكل مرسى ترسو به السفن جاء به العهد العثماني للقنفذه وغيرها كجازان! فيقال بندر القنفذه وبندر جازان.

(*) وأما نشأة القنفذه؛ فقد نالها كذلك بعض التهويمات والاجتهادات المبنية على التخمين في تحديد ميلادها على غير الميلاد الحقيقي الذي ظهرت به على صفحات المصادر كأول مرة. (١) بعض المجتهدين ادعى أن مرسى القنفذه قد هبط فيه الفينيقيون والعبرانيون والإغريق والرومان. بغرض البحث عن معدن الذهب... (٢) وبعضهم حدد ميلادها بالقرن الثامن الهجري... والقول الفصل الذي تؤكد المصادر الصحيحة المجردة من العواطف أن المرسى المسمى القنفذه وظهوره على صفحات المصادر الموثوقة كان عام (٩٠٧) هجرية أي في مطلع القرن العاشر الهجري وذلك عند إغراق قاضي مكة أبي السعود بن الظهيرة في بحرها بأمر من أمير مكة الشريف بركات، وقد تكون نشأتها قبل ذلك ولكن لم تذكر ذلك المصادر التي بين أيدينا. وزادت أهمية القنفذه بعد الاحتلال العثماني الثاني لها عام (١٢٨٩) هجرية واتخاذها منطلقاً لاحتلال إقليم عسير... وردا على من قال من المؤرخين أن القنفذه نشأت بعد موت مدينة (حلي بن يعقوب)...، فهذا قول ينفيه بقاء سلطة أمراء بني حرام في حلي إلى القرن الحادي عشر الهجري. وقد أثبتت الدراسة خلاصة ما وصلت إليه مدعوماً بالمصادر والمراجع الموثوق بها المثبتة في حواشي وتعليقات الدراسة ومصادرها ومراجعتها.

٢٠- الأهمية الاستراتيجية لميناء القنفذه (٩٢٣هـ - ١٣٤٥هـ / ١٥١٧م -

١٩٢٥م). أ. وضحي بنت عواض الرشيد.

يتناول هذا البحث موضوع "الأهمية الاستراتيجية لميناء القنفذه"؛ فقد كان هذا الميناء من الموانئ الهامة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر؛ حيث ساهم في استقبال السفن الكبيرة المحملة بحاصلات اليمن والشام. وعن طريقه تم تصدير حاصلات هذه البلاد الوفيرة إلى خارج المنطقة ومدنها المجاورة مثل جدة ومكة المكرمة، وقد نشط هذا الميناء بحكم موقعه الاستراتيجي، مما جعله يلعب دوراً كبيراً في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن تهامة، وخاصة مكة المكرمة. وأثناء المعارك الدائرة، إبان الفتح السعودي لمدينة جدة؛ كان الميناء يستقبل حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرقي آسيا وخاصة حجاج الهند، كما ساهم بدرجة كبيرة في إمداد مكة بالاحتياجات الضرورية من المواد التموينية وغيرها، أثناء حصار الأمير علي لمدينة جدة. وتسلط هذه الورقة الضوء على ميناء القنفذه خلال الفترة التاريخية الواقعة ما بين عامي ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٥م، معتمدة على مصادر وكتابات المؤرخين والرحالة، ويهدف البحث إلى توضيح الأهمية الاستراتيجية لميناء القنفذه، وإبراز دوره في العديد من الصراعات والأحداث الهامة التي مر بها، ومدى تأثير الظروف السياسية على ميناء القنفذه خلال فترة الدراسة؛ أثناء فترة الحكم العثماني في الحجاز، وأخيراً فترة دخول هذا الميناء تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٥م).

٢- آثار الملتقى الإيجابية وبعض التوصيات:

لا يعرف الفضل والخير الذي تعيش بلادنا في وقتنا الحاضر، إلا من عرف وعاصر أزمانا وأجيالا سابقة. فالأحوال الحضارية في القرون الماضية وفي شتى الجوانب كانت متواضعة وبسيطة جدا. والعلم والمعرفة والثقافة كانت من الأمور القليلة جدا كما وكيفا، ثم بدأت عجلة البناء والتنوير حتى أصبحنا نرى مؤسسات تعليمية عامة، وعالية في كل مكان، ونشاهد آلاف المبدعات والمبدعين، والعاملات والعاملين من أساتذة الجامعات وغيرهم من نساء ورجالات المجتمع السعودي الذي يعملون ويساهمون بكل إمكاناتهم العلمية والعملية في بناء وطنهم وخدمة دينهم وأهلهم^(١).

إن هذا الملتقى التاريخي الحضاري الذي عقدته الجمعية التاريخية في محافظة القنفذة ليس إلا بذرة بسيطة مما تمر به البلاد من نمو وتطور وازدهار. لكن الجميل في هذا الملتقى أنه شارك فيه عشرين أستاذا وأساتذة متخصصون في علمي التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ومن ينظر في أسمائهم ويقرأ سيرهم الذاتية ودرجاتهم العلمية، ومقرات عملهم يجدهم يحملون درجات عالية متنوعة من درجة الماجستير إلى درجة أستاذ دكتور، وجميعهم يعملون في قطاع التعليم العام والعالي، وبعضهم قضوا حياتهم في ميداني البحث والتدريس في الجامعة، وأكثرهم عنده نتائج بحثي ومعرفي مطبوع ومنشور، وفيهم أيضا بعض المؤرخين والباحثين المعروفين على مستوى المملكة العربية السعودية أو على مستوى العالم العربي^(٢).

في هذا المحور أشير إلى أمرين مهمين، الأمر الأول يتعلق بملتقى القنفذة، وما يدور في فلكه من آثار إيجابية وتوصيات على محافظة القنفذة وما جاورها من بلدان تهامة الساحلية والسهلية. والأمر الثاني موجه إلى كل المؤسسات العلمية البحثية في بلادنا، وإلى كل المؤرخات والمؤرخين والآثاريين، وإلى كل من يستطيع أن يخدم البحث العلمي الذي يعود بالفائدة والنفع على وطننا الكبير وسكانه وجميع مقدراته.

(١) لا أرصد هذه الأقوال اعتباطاً أو جزافاً، لكنها نتيجة أكثر من ستين عاماً عشتها في هذه البلد المبارك (المملكة العربية السعودية)، متأملاً، ودراسة، وبحثاً في تاريخها وتراثها وموروثها، عندئذ عرفت وقرأت وتأكد لي كيف كان وضع الآباء والأجداد اقتصادياً، وأمنياً، وحضارياً، وكيف كانت معاناتهم كثيرة وكبيرة في كل شيء. وخلال (٦٠-٧٠) عاماً تحولت أركان البلاد والعباد من فقر، وجهل، وجوع، ومرض، وخوف إلى غنى، وعلم، وشيع، وصحة، وأمن، وتطور في أمور كثيرة يصعب حصرها في هذه الرحلة أو الورقات المحدودة. (فالحمد لله والشكر على فضله ونعمه الكثيرة).

(٢) معظمهم دونوا سيرهم في أعمال علمية ورقية ورقمية متعددة. كما أن فرع الجمعية التاريخية السعودية في مكة المكرمة أصدر كتاباً يقع في (١٥٦) صفحة مقاس (A4) يحتوي على جدول اللقاء العلمي الذي عقد في القنفذة، وأسماء المشاركين، وسيرهم الذاتية، وملخصات البحوث التي قدمت في الملتقى.

وبلاد القنفذة من البلدان النائية في تهامة، وبقيت غير مخدومة بحثياً وتوثيقاً قروناً وعقوداً عديدة، مع أنها لعبت دوراً حضارياً وتاريخياً كبيراً خلال القرون الثلاثة الماضية. وورد ذكرها مختصراً في عدد من المؤلفات الحجازية واليمينية منذ القرن العاشر الهجري، وفي نهاية القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ثم العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م).

درست وذكرت بدرجة لا بأس بها في بعض كتب ودراسات مؤرخين محلين فيها مثل الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزليعي. وهناك أفراد آخرون أشاروا إليها وإلى أجزاء من تهامة في بعض مقالاتهم، وبحوثهم وكتبهم^(١).

ومحافظة القنفذة وغيرها من المدن والمحافظات في بلاد تهامة الداخلية والساحلية، والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى مدن الطوال، وسامطة، وأحد المسارحة في جازان تستحق أن تدرس دراسات علمية مطولة وموثقة. وكل هذه الأوطان غنية بتراتها وتاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ^(٢).

والجمعية التاريخية والقائمين عليها في الرياض أو مكة المكرمة كانوا محظوظين وموفقين إن كانت محافظة القنفذة قبلتهم، ففقدوا فيها هذا الملتقى العلمي التاريخي التوثيقي. وتقديم عشرين ورقة علمية، وأيضاً تفاعل أهل القنفذة مع عقد هذا اللقاء يعد نجاحاً معرفياً ومعنوياً بامتياز. ومما زاد الملتقى ثماراً طيبة وإيجابية أن كل البحوث المقدمة لم تكن مقصورة على مدينة القنفذة أو حتى المحافظة الحالية، نعم الكثير من الدراسات ناقشت أموراً تاريخية وحضارية عديدة عرفتتها حاضرة القنفذة، لكن كان هناك عدد لا بأس به من الأوراق المقدمة ناقشت بعض الجوانب التاريخية في بلدان وأودية تهامية عديدة من الليث شمالاً إلى جازان جنوباً. وهذا مما يلفت نظر بعض الباحثين والمؤرخين إلى أن بلاد تهامة من الطوال وسامطة جنوباً إلى جنوب مكة

(١) من يعمل على حصر بعض البحوث والدراسات الحديثة التي صدرت عن القنفذة أو تهامة من مكة المكرمة إلى جازان، فإنه سوف يجد العديد من المقالات في بعض المجلات المحلية، كالفيصل، والمنهل، والعرب وغيرها. وهناك بحوث علمية قليلة نشرت في بعض المجلات العلمية المحكمة، بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية، والكتب الثقافية، وبعض البحوث غير المنشورة. هذا الذي عرفته واطلعت على الكثير من هذه المصادر والمراجع. خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٢) أدون هذه المعلومات عن بلاد القنفذة وما حولها لأنني سرت وتجولت في ربوعها منذ ثلاثين عاماً، وما زلت أشاهد وأتجول في أرجائها حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، وقد صدر عن بعضها، كمدينة جازان وما حولها، بعض الدراسات العلمية الجيدة. لكن جميع هذه الديار بمدنها، وحواضرها، وقراها، وأوديتها، وجبال، وسكانها، وأثارها المادية والمعنوية، السطحية والمدفونة ما زالت فعلاً تستحق تضافر الجهود بين أهلها والباحثين والمؤسسات العلمية الأكاديمية على جمع ودراسة وتوثيق ونشر ما تشتمل عليه من تاريخ وحضارة من العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر. والباحثون سوف يجدون صعوبة كبيرة عند البحث عن تاريخها قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، لكن ما زالت تحتضن الكثير من النقوش والآثار القديمة التي قد تساعد في العثور على شيء من تاريخها وحضارتها وتراثها القديم.

المكرمة شمالاً ما زالت ميادين مهمة لأجري بحوث تاريخية وحضارية وأثرية عديدة. ونأمل أن يتبع هذا الملتقى القنفذي ملتقيات علمية أخرى تعقد في حواضر ومدن تهامية ساحلية أو سهيلة داخلية، وكل ناحية من نواحي هذه البلاد تستحق ندوات ولقاءات وملتقيات عديدة. أرجو أن نرى شيئاً من ذلك في قادم الأيام^(١).

إن جامعتي الملك سعود وأم القرى مشكورتين رعتا الجمعية التاريخية السعودية ونشاطاتها. فجامعة الملك سعود بالرياض وفرت مقراً رئيسياً للجمعية الأم تدعمها إدارياً وقانونياً. كذلك جامعة أم القرى احتضنت فرع الجمعية التاريخية السعودية بمكة المكرمة، وقدمت لها بعض المساعدات الإدارية والمعنوية والمادية. ومن ثمار رعايتها لهذا الفرع أن انطلق المسؤول عن الفرع، وتحت مظلة الجامعة من الحصول على الموافقات الرسمية لعقد هذا الملتقى، ثم واصلوا الترتيبات العلمية، والإدارية، والمالية وغيرها حتى انعقاد اللقاء وتحقيق أهدافه^(٢).

للأسف لم أتمكن من حضور تقديم أوراق الباحثات والباحثين في لقاء القنفذة، لكنني جئت متأخراً بعد انتهاء الجلسات العلمية، ثم سألت وقرأت عن آثار هذا الملتقى الإيجابية، فكان الجميع فرحين وسعداء بما تحقق من هذا الجمع العلمي المبارك، ثم سألت القائمين عليه بتزويدي بأهم التوصيات التي خرجوا بها، فأرسلوها لي مشكورين، وخلصتها على النحو الآتي:

أ - أوصت اللجنة العلمية للملتقى برفع برقيات شكر لكل من ساهم في عقد هذه الملتقى العلمي، وفي مقدمتهم مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وسمو ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، وإلى مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، وإلى نائبه وإلى معالي وزير التعليم وغيرهم من المسؤولين في محافظة القنفذة، أو من كان له اسهام في عقد هذا اللقاء ونجاحه^(٣).

(١) في هذه البلاد التهامية الكثير من المؤرخين والباحثين الذين يرغبون في عمل بعض البحوث العلمية عن أوطانهم. لكنهم يحتاجون إلى مؤسسات علمية تعليمية تشجعهم وتدعمهم بكل ما يحتاجونه من تخطيط وتوجيه ومساعدات معنوية ومادية. أمل أن يتحقق ذلك من خلال الجامعات والكليات وإدارات التعليم في عموم جنوب المملكة العربية السعودية (سراة وتهامة).

(٢) ما قامت به جامعتا الملك سعود، وأم القرى تعد من أعمالها ونشاطاتها تجاه خدمة المجتمع. وكل الجامعات وإدارات التعليم وغيرها من المؤسسات الإدارية التنموية والخدمية عليها واجبات كثيرة تجاه خدمة المجتمعات المحلية، بكل ما يصب في تنميتها وتطويرها مادياً، ومعنوياً، ومعرفياً، وثقافياً وغير ذلك. أمل من جامعات الجنوب السعودي أن لا تغفل عن هذا الجانب، وبخاصة في مجال الخدمات العلمية والبحثية، لأن عموم السروات وتهامة أرضية بكر وبحاجة إلى دراسة تاريخها وحضارتها وآثارها وموروثها عبر عصور التاريخ.

(٣) ذكروا في التوصيات أسماء كثيرة ساهموا في الترتيب والمتابعة لعقد هذا الملتقى من البداية إلى النهاية. وحسب ما سمعت من أهالي القنفذة وممن حضر واستمع للأوراق العلمية الشاء على الجهود المبذولة، ويتمنون عقد لقاءات وملتقيات مشابهة في حواضر ومحافظة ومدن تهامية أخرى من جازان إلى مكة المكرمة.

- ب - أوصى الملتقى بإنجاز السجل العلمي للملتقى في أقرب وقت، مع حث الباحثين والباحثات بسرعة تسليم أبحاثهم، وعقد ورش عمل للمحافظة على تراث محافظة القنفذة وتطويرها سياحياً، وتكريم الرموز من أهالي محافظة القنفذة بعقد ندوات عنهم وتسمية الشوارع والقاعات بأسمائهم، بالإضافة إلى التوصية بإنشاء قسم للتاريخ والآثار في الكلية الجامعية بالقنفذة، مع تأسيس مركز تاريخي بالقنفذة للعناية بالوثائق والدراسات التاريخية^(١).
- ج - التوصية بإنشاء متحف تاريخي وأثاري، والاهتمام بالتاريخ الشفوي من خلال مقابلة كبار السن والمعمرين لتوثيق ما لديهم من روايات شفوية، وتشجيع طلاب الدراسات العليا والباحثين على تقديم رسائل علمية عن محافظة القنفذة وتاريخها، بالإضافة إلى العمل على عقد ملتقى آخر بالمحافظة لاستكمال الجوانب التاريخية والأثرية فيها^(٢).

٣- صور من القيم، والوفاء، والإهداءات:

عرفت محافظة القنفذة زائراً وباحثاً من بداية العشرينيات في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وعندما تجولت في أرجائها رحالاً وموثقاً لصور من تاريخها وحضارتها اتضح لي حسن تعامل أهلها، وطيب معشرهم، وسهولة التعامل معهم. وعند حضور آخر يوم من ملتقى القنفذة (الأربعاء ٤/٥/١٤٤٣هـ) سمعت ورأيت الكثير من الصفات الإنسانية الجميلة التي تعكس شيئاً من نبيل وحسن خلق أهل هذه البلاد، فكانوا جميعهم مرحبين مستبشرين متعاونين في عقد هذا الملتقى، واستضافة الكثير من المؤرخات والمؤرخين الذين جاءوا من مدن ومناطق عديدة في المملكة العربية السعودية، وكانت الزيارة الأولى إلى القنفذة لمعظم أولئك الباحثات والباحثين^(٣).

كان أهالي القنفذة يدركون أهمية بلادهم التاريخية والحضارية عبر عصور التاريخ، ويعرفون أصحاب الفضل من أبنائهم الذين خدموا تاريخهم وتراثهم وموروثهم المادي والمعنوي المحلي، عندئذ بادروا بتكريمهم وذكر أفضالهم. وتم عقد احتفاء بأستاذين

(١) وأقول أن الخروج فقط يمثل هذه التوصيات تعد نجاحاً وخدمة لبلاد القنفذة وما جاورها. وأؤكد أن بلدان تهامة والسرارة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران تستحق أن يعقد فيها عشرات الندوات واللقاءات والملتقيات العلمية، وذلك لما لهذه الأوطان من تاريخ وتراث وحضارة، وموروث قديم ووسيط وحديث ومعاصر ويحتاج إلى من يجمعه ويوثقه ثم يدرس ويحلل ويطلع وينشر.

(٢) أخذت محافظة القنفذة نصيباً علمياً ومعرفياً لا بأس به من خلال عقد هذا الملتقى، وهناك محافظات كثيرة في تهامة ما زالت بحاجة إلى عقد بعض اللقاءات والملتقيات التي تصب في خدمة تاريخها وموروثها الحضاري عبر العصور.

(٣) هذا الذي سمعته من بعض الأساتذة الذين جاءوا لحضور هذا الملتقى وكان من ضمنهم مدراء جامعات سابقين في بعض مناطق المملكة، وكذلك بعض أعضاء مجلس الشورى وغيرهم من المؤرخين والباحثين المميزين.

كريمين كان لهم الأثر العلمي البحثي الإيجابي الكبير على بلاد القنفذة وما جاورها من مدن وحواضر تهامية أخرى. إنهما الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي. فاحتقوا بالاثنتين ضمن الجدول الرئيسي للملتقى، فذكر بعض الباحثين جهودهما العلمية والبحثية، ودعوا بالرحمة والمغفرة للأستاذ حسن الفقيه، وشكروا الدكتور أحمد الزيلعي الذي كان حاضراً معهم. ثم قام أهالي بلدة الحبيل التي ينتمي لها الدكتور الزيلعي بإقامة تكريم كبير له، وحضر هذا الاحتفاء جميع المشاركين في الملتقى والكثير من سكان محافظة القنفذة وبخاصة من مدينتي القنفذة، والقوز، وقدموا الكثير من الهدايا المادية والمعنوية للمحتفى به^(١).

أما الاحتفاء الآخر، الذي جئت من مدينة أبها لحضوره، فكان من أبناء وبنات الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، الذين أصروا على استضافة جميع ضيوف الملتقى، كما اتصلوا ببعض أصدقاء والدهم، وكنت واحدا منهم، من أجل المشاركة. وأقاموا حفلا كبيرا في إحدى مزارعهم بمركز القوز. وقدموا (أسرة حسن بن إبراهيم الفقيه) أروع الأمثلة والدروس الإنسانية التي نتعلم منها البر بالوالدين، والكرم، والنبيل، والوفاء لوالدهم ولكل من كتب عنه أو ذكره بخير وحضر ذلك اللقاء جمع غفير من الضيوف الذين جاءوا من خارج المحافظة، ومن مدن وقرى محافظة القنفذة. والجميع كانوا سعداء ويدعون ويشكرون لبنات وأبناء الشيخ حسن بن إبراهيم الفقيه على هذه اللفتة الإنسانية الرائعة^(٢).

٤- ملخص كلمة صاحب الرحلة (غيثان بن جريس) عن القنفذة وأهلها

حضرت احتفالية أسرة الشيخ حسن بن إبراهيم الفقيه، التي قدم فيها العديد من الفقرات، وكان أحدها كلمة مختصرة مني احتوت هذه الكلمة على ثلاث رسائل، وثلاثة دروس^(٣).

الرسالة الأولى ديباجة الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم ألقيت تحية الإسلام والسلام على الحضور. والرسالة الثانية شكر للجمعية التاريخية بإدارتها الرئيسية في الرياض وفرعها في مكة المكرمة على ما بذلوا من جهود وترتيبات لعقد

(١) لم أتمكن من حضور هذا الاحتفاء لأنه عقد في ليلة اليوم الأول من انعقاد اللقاء (الثلاثاء ٣/٥/١٤٤٣هـ)، ولم أحضر إلى محافظة القنفذة إلا الأربعاء (٤/٥/١٤٤٣هـ). وسمعت أخبارا جيدة تعكس بعض القيم والوفاء التي صدرت من أهل بلدة الحبيل تجاه ابنهم الدكتور أحمد الزيلعي.

(٢) لم أفصل ما جرى في تلك الليلة من عبر ودروس وقيم وتكريمات، فقد استغرق الحفل أكثر من ساعتين، وأرجو من أسرة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه أن تكون وثقت برامج الاحتفال واحتفائهم بوالدهم، لأنها جزء من التاريخ وبخاصة أنها تتعلق بإنسان نذر حياته في خدمة بلاد القنفذة وما جاورها معرفيا وبحثيا وتوثيقيا.

(٣) أنا لا أحب (والشاهد الله) تصدر المنابر، لكن الأستاذ الفقيه عرفته منذ زمن طويل وقدم لي العديد من الخدمات أثناء جمع مادة كتابي: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١-١٦ق/١٥هـ-١٦ق-٢١م). ولا أقول إلا غفر الله له وأسكنه جنات النعيم، وغفر لنا إذا صرنا إلى ما صار إليه.

هذا الملتقى العلمي. كما شكرت أهل القنفذة والمسؤولين وكل من كان له يد في التعاون مع الجمعية التاريخية السعودية على قيام هذه الاحتفالية العلمية وما صاحبها من معارض ونشاطات أخرى. أما الرسالة الثالثة فكانت عن الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه الذي سمعت عنه وصار بيني وبينه محادثات ومراسلات خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ثم زرتة وقابلته في بداية العشرينيات من القرن نفسه عندما بدأت بجمع مادة كتاب (بلاد القنفذة...)، وذكرت بعض أفضاله عليّ عندما كنت أتردد عليه في منزله وسط مدينة القنفذة، وقد كان (غفر الله له) متعاوناً وأميناً في النصيح والإرشاد والتوجيه، كما زودني بعشرات الصفحات المدونة بخط يده، وقد نشرتها في عدد من بحوثي ومؤلفاتي تحت اسمه. وقلت أن الشيخ حسن الفقيه يعد رائداً في بلاد تهامة الممتدة من شمال مدينة الدرب إلى محافظة الليث، فقد أنجز العديد من البحوث العلمية الرصينة التي لم يسبقه فيها أحد، بل أن الأستاذ الفقيه كان مجتهداً مخلصاً متفانياً في خدمة بلاده وأهلها (محافظة القنفذة وما حولها) ^(١) وذكرت أنني بقيت على اتصال اجتماعي وفكري وعلمي مع هذا العلم القنفذي التهامي حتى وفاته في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م).

أما الدرس الأول فكان موجهاً إلى أبناء وبنات وأسرة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، الذين ضربوا أروع الأمثلة في الوفاء والبر بأبيهم، ولا يُستغرب ذلك فأغلبهم يحملون شهادات عالية (الماجستير والدكتوراه) في علوم متعددة. كما أنهم تربوا في مدرسة والدهم الأستاذ المربي القدير (حسن بن إبراهيم الفقيه)، وقد رأيت بعضهم وهم شباب صغار عندما كنت أزور والدهم في مكتبته وسط مدينة القنفذة عام (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، وقد كانوا وقتها على قدر جيد من الأدب والتربية الحسنة. وطلبت من نفسي ومن الحضور في ذلك المحفل الكبير أن نأخذ أولاد وبنات حسن الفقيه قدوة فنكون بارين بأبائنا وأمهاتنا، وأن نحسن لمن أحسن إلينا، فلم يكن إحسان آل الفقيه مقصوراً على ذكر محاسن والدهم، لكنهم حرصوا على دعوى أصدقاء والدهم ومن عرفه وتعامل معه عن قرب، وكنت واحداً منهم ^(٢).

(١) للمزيد انظر جزء من الكلمة التي أقيمتها في احتفالية أبناء وبنات حسن الفقيه في القنفذة في (١٤٤٣/٥/٤هـ) على الرابط. (Prof-ghithan.com).

(٢) ما أجمل البر والإحسان، فتلك مبادئ رئيسية حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية. كما أن الدنيا ما زالت بخير، فاليوم أصبح الغث منتشراً في كل مكان، وانصرف الناس في دروب الحياة المتنوعة برزاياها وفتنها، وصرنا نرى سلوكيات العقوق والنكران أحياناً منتشرة. لكن الأمة الإسلامية، والحمد لله، ما زالت مليئة بالخيرين الصالحين الذين مخافة الله نصب أعينهم، ويحرصون على السير في دروب الخير والفضيلة، ونسأل الله أن نكون منهم.

أما الدرس الثاني فقد استخلصته من أهل القنفذة أرضاً وإنساناً، عندما جئت إلى بلادهم عام (١٤٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) باحثاً وجامعاً لصفحات من تاريخهم وتراثهم وحضارتهم، ثم تجولت في ربوع بلادهم آنذاك، وبعد عشرين سنة (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) عدت إلى وطنهم ثم ارتحلت مرة ثانية في مدينة القنفذة وجميع مراكزها وقراها، ودونت الرحلتين في كتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١ق-١٥قهـ/ ١٦ق-٢١قم)، الطبعين الأولى والثانية. واتضح لي أمور كثيرة عن هذه البلاد العربية التهامية الماجدة، حيث وجدتها ذات تاريخ وعراقة قديمة تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، كما أن لها موروثاً حضارياً متنوعاً خلال القرون الإسلامية المختلفة (١ق-١٥قهـ/ ٧ق-٢١م). أيضاً كان سكانها وما زالوا أهل أعراق وعادات وتقاليد ولهجات وفنون وأهازيج وتراث حضاري متنوع. كما عرفت وشاهدت عندهم الكثير من المبادئ والقيم الإنسانية الجميلة ليس في حاضرة القنفذة وحسب، وإنما في مدن المحافظة وقراها وبواديها الأخرى من ساحل البحر إلى الأجزاء التهامية الداخلية، ومن حاضرة البرك جنوباً إلى بلاد دوقه شمالاً^(١).

الدرس الثالث والأخير موجه لي ولجميع الحضور، وذكرت أن الجميع يعرفون ويدركون ما مرت به بلادنا (شبه الجزيرة العربية) من فتن ومصائب على مر التاريخ، وكيف كان الأجداد والآباء يعيشون في صراعات قبلية مستمرة، بالإضافة إلى حياة المرض والجوع والفقر والخوف، ثم تحولت هذه البلدان (تهامة وسراة) وعموم بلاد المملكة العربية السعودية إلى تطور وتنمية وأمن وأمان. والواجب على الجميع أن يستشعروا هذه التحولات التاريخية، فنشكر الله عز وجل على هذا التحول الإيجابي، كما يعمل كل منا ما في وسعه لخدمة دينه وبلاده، والمعلوم أن الحياة لن تدوم لأحد. وكوني أتحدث إلى مجموعة من الناس، فيهم عدد لا بأس به من الأساتذة الباحثين المؤرخين والآثاريين المتخصصين، فالواجب عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد ويسخروا معارفهم وعلومهم في دراسة وتوثيق تاريخ وحضارة بلادهم في شتى المجالات. كما يجب عليهم أن يتعلموا من الرواد الأوائل في ميدان البحث العلمي، ويتخذونهم قدوة ويسيروا على خطاهم، كما أن علينا معاصر المؤرخين واجبات تجاه أولئك الرواد فندرس سيرهم ونوثق جهودهم في خدمة دينهم وأوطانهم، بل وخدمة البحث العلمي.

(١) قلت وما زلت أكرر أن عموم بلاد تهامة ذات تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة. وللأسف أن هناك من يقول ليس لها تاريخ، وهذا كلام غير صحيح، فهي أرض حضارة وتراث، لكن للأسف الكثير من موروثها التاريخي القديم والإسلامي المبكر والوسيط ضاع واندثر، فلم يجد من يوثقه ويحفظه، وهذا الفرق بين أن لها تاريخاً مفقوداً وضائعاً، أو من يقول أن ليس لها تاريخ، والكلام الأخير غير حقيقة ولا صحيح.

رابعاً: انطباعات ومشاهدات مختصرة وعامة:

١- انطباعات ومشاهدات إدارية وأمنية:

استغرقت رحلتي ثلاثة أيام خرجت فيها من أبها إلى القنفذة ثم ذهبت إلى النماص وعدت إلى أبها. كان السفر قديماً في هذه الأوطان التي مررت عليها (أبها، الدرب، الحريضة، القحمة، البرك، القوز، القنفذة، المجاردة، تهائم محافظتي محایل عسير وبارق، عقبة التوحيد، النماص، تنومة، بلسمر، بلحمر، وأخيراً أبها) تأخذ من المسافرين عدة شهور مشياً على الأقدام والدواب، ثم انحصرت إلى أسابيع عند فتح طرق السيارات حتى بداية التسعينيات من القرن (١٤/٢٠م)، وفي وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجتازها الذهاب في أرجائها في بضعة ساعات، وفي أي مركبة حديثة، والسيارات تتنوع في جودتها، وسرعتها، ومتانتها، وسهولة استخدامها^(١).

رأيت كل هذه البلاد محكومة بمؤسسات إدارية وأمنية رسمية وحديثة، وواجباتها أن تحافظ على حياة الأوطان والناس في أمن وسلام، وكل هذه الإدارات تقوم على ممارسة أعمالها المنوطة بها وحسب القواعد والأهداف التي أسست من أجلها. وهذه الإدارات في المحافظات والمدن والمراكز مرتبطة بإدارات ووزارات رسمية وكبيرة سواء في بلاد السراة وتهامة، أو في عاصمة الدولة (المملكة العربية السعودية) الرياض، أو في مدن أخرى رئيسية في الوطن مثل جدة ومكة المكرمة وغيرها^(٢).

٢- انطباعات ومشاهدات اجتماعية واقتصادية:

الغالب على جميع البلاد التي سافرت فيها أنها أوطان قبائل وعشائر عربية قديمة في مواطنها، ولها من التاريخ السياسي والحضاري ما سمعنا أو قرأنا عن بعضه، وما زال أغلبه غير موثق ولا مدروس.

ومجتمعات هذه البلاد تتكون من القرى، وهي التركيبة العمرانية والاجتماعية الموجودة في هذه الأوطان من عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة، ثم البوادي وهي تشكل نسبة كبيرة أيضاً من البلاد نفسها. أما المدن والحوضر فكانت قديماً قليلة جداً، بل كانت الحياة القروية أو الريفية أو البدائية هي السائدة في كل

(١) من أراد المرور حالياً على كل هذه النواحي المذكورة أعلاه، دون التوقف كثيراً، أو إقامة لفترة طويلة، فيوم واحد من الساعة السادسة صباحاً إلى المغرب يكون كافياً جداً للسفر في أرجاء هذه الأوطان.

(٢) كل الإدارات الأساسية التنفيذية الإدارية والأمنية وغيرها مثل الإمارات، والمحافظات، وإدارة المراكز، وإدارات الشرطة، والمرور، والجوازات، وسلاح الحدود، والنيابة العامة، والدفاع المدني وغيرها في عموم السروات وتهامة تستحق أن يوثق تاريخها في العصر الحديث من أربعينيات القرن (١٤/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وإن جرى هناك دراسات مقارنة عن هذه الإدارات قبل العهد السعودي الحديث، وخلال عهد المملكة العربية السعودية فذلك يكون أفضل وأعمق وأجود.

مكان حتى على البلدان أو القرى المتحضرة^(١).

يتكون السكان في القرى أو الأرياف أو البوادي من أسر متعددة تشكل القرية أو البادية أو الحاضرة، ولكل أسرة رئيس ياتمر أفرادها بأمره في كل أمورهم الخاصة والعامة. وعلى كل قرية أو مجموعة قرى نائب أو عريضة، وكل النواب والعرائف في القبيلة أو العشيرة الواحدة يراجعون الشيخ (شيخ القبيلة)، وكان يعرف أيضا باسم (الأمير). هكذا كانت حياة الناس قديما، حتى وإن كان هناك سلطة أو إمارة محلية أو خارجية فسكان القرى والقبائل هم المسؤولون عن جميع أمورهم الحياتية، فيسعون في كسب أرزاقهم، وتراهم متقاربين متعاونين في أفراحهم وأتراحهم، وكل قبيلة مستقلة عن غيرها. وأحيانا يكون هناك تحالفات بين بعض القبائل أو العشائر المتجاورة من أجل حماية أرضها وسكانها مما قد يحدث لهم مع قبائل أخرى ومن يعتدي عليهم من خارج حدود أراضيهم^(٢).

وإذا ناقشنا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للبلاد التي سافرت في أرجائها أو أي ناحية من بلدان السراة وتهامة منذ العصر الجاهلي إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، فذلك يحتاج إلى وقت وجهود كبيرة للحصول على مادة علمية حقيقية تؤرخ لهذه الميادين الحضارية المهمة، وهناك صعوبات وعقبات كثيرة لندرة المادة، لكن من يلج هذا الباب، ويكون جادا ومجتهدا فقد يعثر على بعض الشذرات والمعلومات التاريخية التي تفيد في خدمة هذا الموضوع الكبير^(٣).

وبعد قيام الدولة السعودية الحديثة تبدلت أوضاع البلاد اجتماعياً واقتصادياً. وصار هناك حكومة عصرية تحكم البلاد بمؤسسات حديثة، وجميعها تعمل على جمع الكلمة لجميع الناس تحت شعار التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وجميع السكان والبلاد كانوا قبل ذلك مسلمين موحدين لله، لكنهم يفتقدون إلى سلطة مركزية تجمع شتات البلاد، وتدير أحوال الناس بإدارات حديثة تؤسس على أسس واضحة ومعروفة عند الحاكم والمحكوم^(٤).

(١) إن دراسة طبيعة الأرض والسكان في عموم السروات وتهامة منذ العصر الحجري إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث. وليست دراستها سهلة لقلة المصادر حتى القرن (١٢هـ/١٨م)، لكن عن طريق الآثار والنقوش قد نعثر على شيء من تاريخها القديم.

(٢) هكذا كانت حالة وحياء معظم سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده حتى القرن (١٤هـ/٢٠م). وإن درسنا حياة أراضي وسكان تهامة والسراة خلال العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيلة ببضعة قرون من التاريخ الحديث فالقبيلة هي الأمرة الناهية، وصاحبة القرار الأول والأخير في أراضيها وعلى سكانها. حذا أن تدرس تواريخ وحضارة قبائل السراة وتهامة من العصر الجاهلي إلى القرن (١٢هـ/١٨م).

(٣) أقول هذا الكلام بعد دراسات وبحوث ورحلات ومقابلات في عموم السروات وتهامة، استغرقت مني أكثر من ثلاثين عاما. واتضح لي أن هذه البلاد نالها الكثير من التجاهل والنسيان عند مدوني التراث القديم أو الإسلامي، لكن من يسير في ربوع هذه الأرض يجدها مليئة بالخيرات الاقتصادية، وكان هناك مجتمعات بشرية تعيش على هذه الموارد الطبيعية. ناهيك عن مدنها، وقراها، وحصونها، وأسواقها، ومقابرها، وأبارها، وأحمتها، وآثارها السطحية والمدفونة فهي تؤكد لنا حياة تاريخية متنوعة في أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والبشرية وغيرها.

(٤) من يدرس تاريخ بلاد السراة وتهامة منذ فجر الإسلام يجد أهلها دخلوا الإسلام من عصر الرسول

جاء الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل فحارب وناضل من أجل توحيد أرجاء معظم شبه الجزيرة العربية، وبعد إعلان حكومته باسم (المملكة العربية السعودية) سارت سياسة البلاد نحو البناء في كل مجال. والأحوال الاجتماعية والاقتصادية في السراة وتهامة وجدت الرعاية والبناء والتطوير من أربعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) وسارت من حسن إلى أحسن حتى أصبحنا نرى كل مدينة أو ناحية أو حتى بلدة أو قرية تتمتع اليوم بحياة حضارية اقتصادية واجتماعية متقدمة ومتطورة في شتى المجالات^(١).

٣- انطباعات ومشاهدات معرفية (تعليمية وثقافية) :

لم تخل البلاد التي مررت عليها من ثقافات ومعارف قديمة حتى منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) لكنها كانت بسيطة ومحدودة وبخاصة في كل ما يتعلق بالقراءة والكتابة. أما معارفهم في زراعتهم، ورعيهم، وتجاراتهم، وحروبهم، وسلمهم وعاداتهم، ولهجاتهم، وفنونهم الطربية، ورياضاتهم وأشعارهم، وأمثالهم، وحكمهم، وأحاجيهم، وغير ذلك فكان لهم الكثير من المعارف والتجارب والخبرات التي يمارسونها جميعا (ذكورا وإناثا، صفارا وكبارا)^(٢).

تحولت حياة الناس معرفياً وتعليمياً وثقافياً من منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م)، وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية النظامية، ثم تزايدت أعدادها وأنواعها. وفي خلال تقريبا (٩٠) عاماً صارت كل الأوطان مخدومة بالمدارس الحديثة (للبنين والبنات)، بل تنوعت المدارس في تخصصاتها وأهدافها المعرفية والتعليمية، فهناك المدارس العامة، والخاصة، والفنية التقنية، والصحية وغيرها. كما أنشئت مؤسسات التعليم العالي، وافتتحت كليات جامعية من أبها إلى القنفذة فالنماص. بل أصبح في عموم السروات وتهامة حوالي ست جامعات حكومية في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران، ومن جازان إلى مكة المكرمة. أما اللجان والنوادي والجمعيات الرياضية والثقافية والمعرفية فهي الأخرى تؤدي أدواراً إيجابية جيدة لخدمة الكثير من شرائح المجتمع، (نساء ورجالا)^(٣).

الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ثم بقوا على إسلامهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي. لكن أوضاعهم السياسية، هي حياة القبيلة، فكانت صاحبة الحل والعقد في بلادها، وكل قبيلة تسوس أهلها وأرضها بنفسها، دون أن يكون لها رابط إداري عام وواضح يجمعها مع غيرها من العشائر والقبائل الأخرى.

(١) إن الحديث عن التطور والتنمية التي تمر فيها البلاد التي ارتحلت فيها خلال هذه الأيام الثلاثة المذكورة في هذا المحور تحتاج أن توثق وتدرس في بحوث ودراسات عديدة. ناهيك عن باقي المدن والنواحي في عموم السراة وتهامة فهي جديرة بالدراسة والتوثيق في كتب ورسائل علمية.

(٢) إن المتأمل في حياة وحضارات وثقافات السروات وتهامة عبر أطوار التاريخ يجد أن عندهم الكثير من الموروث المعرفي والثقافي الذي تعود جذور بعضه إلى عصور قديمة قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة. وهذا الجانب من الحضارة والتاريخ غير مخدوم بحثياً. أرجو أن يكون هناك مؤرخون وباحثون جادون يكفون على خدمة هذا الموضوع من خلال دراسات عميقة ونوعية.

(٣) التاريخ التعليمي والثقافي والتربوي الحديث والمعاصر في جميع مناطق ومدن المملكة العربية السعودية، جدير أن يدرس في بحوث ومؤلفات كثيرة، وبخاصة منذ قيام الدولة السعودية الحالية. وهناك الكثير من

خامساً: بعض النتائج والتوصيات:

هذه البلاد التي تنقلت في أرجائها تتفاوت في تضاريسها، وتركيبية سكانها. وذكرها في المصادر الإسلامية المبكرة والوسيلة قليل جداً. أما في العصر الحديث (ق ١٠- ق ١٤هـ/ق ١٦-٢٠م) فأكثرها ذكراً بعض موانئ البحر الأحمر، وأولها القنفذة، وفي السروات أبها، ثم تأتي المناطق الأخرى بعد هاتين الناحيتين. وقد صدر عنها حتى الآن بعض الدراسات والبحوث والرسائل، لكن ما زالت تستحق جميع هذه البلدان دراسات أكثر وأطول وأعمق. وهناك بعض الموضوعات التي أسرد بعضها في النقاط الآتية:

١. تاريخ بعض الموانئ كالقنفذة، والبرك، والقحمة، والحريضة، والشقيق، والدرب تستحق كل ناحية دراسة مستقلة ترصد أهميتها التاريخية والحضارية من القرن العاشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري. وأيضاً تاريخها التتموي الحديث والمعاصر من ثمانينات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جدير أن يدرس ويوثق خلال هذه العقود المتأخرة الماضية.
٢. البلدان التهامية الداخلية من المجاردة إلى بارق ومحال عسير ورجال المع من أقل الأوطان المخدومة بحثياً. أرجو أن تخدم علمياً من قبل المؤرخين المحليين، ومن مؤسسات جامعة الملك خالد العلمية والبحثية.
٣. العقبات (الطرق) التي تربط تهامة عسير مع سرواتها تستحق أن يوثق تاريخها، فبعضها قديمة ولها سجل تاريخي طويل. وكذلك العقبات (الطرق) الجديدة كعقبة التوحيد مثلاً يجب أن يكتب تاريخها من مصادر أولية ورئيسية.
٤. بلاد السروات من النماص إلى أبها لم تزل حقها من البحث والتوثيق، وبخاصة سروات وبوادي وتهائم بلاد بللسمر وبللحمر، فحسب علمي لم يُعنى بها في ميادين التوثيق والبحث العلمي، وعلى رجالها وأبنائها من المؤرخين والباحثين أن يخدموا أهلهم وبلادهم بحفظ موروثهم وتاريخهم.
٥. كل البلاد التي ارتحلت فيها مليئة بالآثار والنقوش المتناثرة في جبالها ووهادها وأوديتها. ويجب على جامعة الملك خالد أن تنشئ كلية للآثار والنقوش ثم تدعّمها مادياً ومعنوياً، وتشجع طلابها وأساتذتها على دراسة الآثار في هذه الأوطان السروية والتهامية.

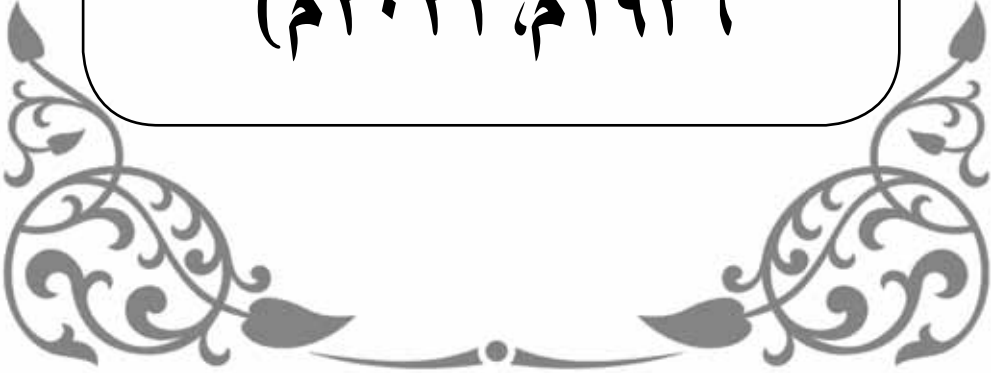
المصادر والمراجع والوثائق الموجودة في كل مكان وجديرة أن يستفاد منها لدراسة هذه الميادين المهمة. كما أن المسؤولين والعلماء والمعلمين والمعاصرين لمسيرة الحياة العلمية والتعليم قد يكون فيهم من يدون ويوثق شيئاً من هذا التاريخ الحضاري المهم.

٦. هناك الكثير من الرموز والأعلام في عموم السراة وتهامة، وأغلبهم فارقوا هذه الدنيا وتركوا بصمات وآثاراً جيدة تقيد الأرض والناس. ومن حقهم علينا معاشر الباحثين والمؤرخين أن نوثق شيئاً من تراثهم وأعمالهم. كما يجب على ذرياتهم من الأبناء والبنات أن يخلدوا ذكر آبائهم بالأعمال الصالحة والذكر الحسن. ورأينا أسرة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه في القنفذة فقد قدموا درساً عملياً جيداً من البر والوفاء لوالدهم (مؤرخ محافظة القنفذة في العصر الحديث).



القسم الثالث

رحلتا فيلبي وابن
جريس في الدرب
والبرك وما بينهما عامي
(١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق
١٩٣٦م، ٢٠٢١م)



القسم الثالث

رحلتا فيليبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عام (١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مقدمة .	١٥٨
ثانياً:	رحلة فيليبي من الدرب إلى البرك عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م). ترجمة الدكتور حسن مصطفى حسن ، تصويبات وتعليقات الدكتور غيثان بن علي بن جريس .	١٦٠
ثالثاً:	رحلتي من الدرب إلى البرك (١٢ - ١٨ / ٣ / ١٤٤٣هـ الموافق ١٨ - ٢٤ / ١٠ / ٢٠٢١م). بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.	٢٠٤
رابعاً:	خلاصة آراء ووجهات نظر .	٣٠٠

أولاً: مقدمة :

الرحلات من العلوم المهمة التي تثري الفرد والمجتمع علمياً وثقافياً وفكرياً وحضارياً. وما زال هذا العلم في عالمنا العربي والإسلامي متواضعاً في العصر الحديث والمعاصر مقارنة بالقرون الإسلامية المبكرة والوسيطه . فهناك الكثير من العلماء والرحالة الأوائل الذين جابوا أقطار العالم الإسلامي ودونوا لنا تراثاً عظيماً في شتى العلوم والمعارف . وليس علم الرحلات مقصوراً على جغرافية الأرض وتركيباتها السكانية، لكننا نجد في علوم الشريعة ، واللغة العربية ، والتاريخ والحضارة ، والأدب ، وعلوم الاجتماع ، والجغرافيا ، والفلك ، والطب وغيرها من اعتمد على الرحلة في طلب العلم ثم دونوا مؤلفات وتراثاً كثيراً في هذه الميادين . والرحلة اليوم أصبحت أسهل بكثير مما عاشه الأولون ، لكن الناس انصرفوا عن التوثيق الجاد العميق الرصين ، واكتفوا بالمشاهدات الترفيحية والسطحية في كل ما يرغبون رؤيته أو سماعه ، وربما كان لوسائل النقل والتواصل وانفتاح العالم على بعضه حضارياً وتقنياً ساهم في هذا التراجع وعدم الاكتراث . والتدوين العلمي الدقيق من خلال الترحال والتجول ليس عملاً سهلاً ، بل

هو مضمن ويحتاج إلى صبر ومثابرة ودقة ملاحظة ^(١) .

هذا القسم مساهمة محدودة جمعت فيها رحلة رحالة انجليزي (هاري سانت جون فيليبى) الذي زار البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى البرك على ساحل البحر الأحمر في بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ووثق جوانب تاريخية وحضارية متنوعة ، وهذه المادة التي حفظها لنا جيدة جداً عن أرض وسكان تلك الأوطان. لكنه وقع أحياناً في بعض الغموض أو النقص أو الأخطاء ، فكان عليّ أن أنشر ما دونه ، ثم أصلح أو أضيف ما يفيد هذا العمل العلمي . كما قمت برحلة ميدانية لمدة ستة أيام عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) تجولت خلالها في البلاد التي زارها فيليبى ، ووثقت شيئاً من تاريخها المعاصر ، بهدف أن يطلع القراء الكرام والباحثون وطلاب العلم على التحولات الحضارية التي عاشتها هذه البلدان قديماً وحديثاً .

(١) هذا ما عرفته وقرأته من خلال رحلات علماء المسلمين في القرون الإسلامية الوسيطة ، ورحلات بعض المستشرقين الذين سافروا إلى بلدان عديدة في العالم الإسلامي وغيره في العصر الحديث ، ثم دونوا أسفاراً كبيرة وجيدة في محتواها .

ثانياً : رحلة فيليبي من الدرب إلى البرك عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). ترجمة الدكتور حسن مصطفى حسن ، تصويبات وتعليقات الدكتور غيثان بن علي بن جريس ،

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	وقفة مع فيليبي (رحلته في جنوب المملكة العربية السعودية ، وكتابه : مرتفعات الجزيرة العربية)	١٦٠
ثانياً :	رحلة فيليبي في الدرب ، والشقيق ، والقحمة .	١٦٣
ثالثاً :	مشاهدات فيليبي ورحلته في البرك وما حولها .	١٨٩

أولاً : وقفة مع فيليبي (رحلته في جنوب المملكة العربية السعودية ، وكتابه : مرتفعات الجزيرة العربية) :

ولد هاري سانت جون فيليبي عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) في جزيرة سيلان (سيرلانكا حالياً) ، في أسرة إنجليزية أصولها من جنوب شرق بريطانيا^(١) ، عاد إلى بريطانيا وتدرج في مراحل التعليم العام والجامعي حتى تخرج من جامعة كمبردج عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) ، ثم التحق وظيفياً بالحكومة البريطانية في الهند عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)^(٢) ، وتعلم العديد من اللغات مثل: الفارسية ، والهندية ، والعربية ، والبنجالية ، والأردية . وتدرج في عدد من الوظائف الإدارية والإعلامية^(٣) .

وعند وقوع الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، وتسارع الأحداث في الشرق الأوسط ، رأت الحكومة البريطانية الاستفادة من قدرات فيليبي وخبراته وإتقانه لعدد من اللغات ، فكلفته بالذهاب إلى العراق للمساعدة في إدارة الشؤون البريطانية فيها بعد انسحاب الجيوش العثمانية منها^(٤) وكانت العراق آنذاك تحت إدارة السير بيرسي كوكس ، أحد الساسة البريطانيين الرئيسيين في إدارة شؤون بريطانيا في العراق والخليج العربي^(٥) .

- (١) انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ج ٢٤ ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .
- (٢) خيرى حماد . عبد الله فليبي قطعة من تاريخ العرب الحديث (بيروت ، ١٩٦١م) ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- (٣) عمر بن صالح العمري . " عبد الله فليبي : حياته وآثاره . مجلة دار الملك عبد العزيز ، ع ٣٤ ، سنة ٢٥ ، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص ٦٠ .
- (٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ . انظر خيرى حماد ، المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .
- (٥) غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج ٢٤ ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ . للمؤلف نفسه . " جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيليبي (دراسة تاريخية تحليلية) " . بحث منشور ضمن أعمال ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص ٢٤١ وما بعدها .

من بلاد العراق بدأت صلات فيليبي بالجزيرة العربية وبالمملك عبد العزيز تحديداً، شارك في اللقاء الأول الذي عقد بين بيرسي كوكس والمملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في العقير في أواخر عام (١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)، وعندما عازمت بريطانيا إجراء محادثات أخرى مع بعض الزعماء العرب مثل المملك عبد العزيز وغيره وقع الاختيار على فيليبي^(١). ومن هنا كانت البداية الحقيقية لرحلات فيليبي ومؤلفاته عن الجزيرة العربية^(٢).

تولى فيليبي العديد من الأعمال السياسية والاستخباراتية في الحكومة البريطانية، وكان معاصراً لأحداث الحربين العالميتين. قدم إلى جزيرة العرب عام (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م)، ذاهباً إلى الأحساء، ثم إلى الرياض والتقى بالمملك عبد العزيز وصار من مستشاريه المقربين. والتحق بخدمته، وأعلن إسلامه عام (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)، وعرف باسم (الحاج عبد الله فيليبي ١٩٣٠م)^(٣). مكث فيليبي في الجزيرة العربية أكثر من أربعين عاماً، وخدم تاريخها وتراثها وحضارتها بالكثير من الكتب والبحوث العلمية^(٤).

الرحلة المنشورة في هذا القسم جزء صغير من كتاب فيليبي: مرتفعات الجزيرة العربية (Arabian Highlands). هذا الكتاب رحلة طويلة قام بها فيليبي في المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعودية بدأها من الطائف حتى تربة ورنية ثم أجزاء من مناطق عسير، ونجران، وجازان حتى عاد إلى جدة ومكة المكرمة^(٥). طبع الكتاب الأول مرة باللغة الإنجليزية في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٧٦م)، وصدر في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط. ثم قامت مكتبة العبيكان مشكورة، خلال العقد

(١) انظر سانت جون فيليبي. بعثة إلى نجد (١٢٣٦-١٢٣٧هـ / ١٩١٧-١٩١٨م). ترجمة عبد الله صالح العثيمين (الرياض، ١٤١٨هـ) ص ٧٣ وما بعدها.

(٢) من يتأمل في سيرة فيليبي بعد قدومه إلى الجزيرة العربية ثم بقائه فيه حوالي أربعة عقود، وتدوينه آلاف الصفحات عن تاريخها وأثارها وحضارتها يجد أنه أفضل وأكثر من كتب عن عموم الجزيرة العربية خلال القرن (٢٠هـ / ٢٠م) وقد صدر العديد من الكتب والبحوث التي تؤرخ لجهود هذا الرجل في خدمة تراث وتاريخ جزيرة العرب.

(٣) انظر محمد المانع. توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٢٧٦.

(٤) هناك العديد من الدراسات المطبوعة والمنشورة باللغات العربية والإنجليزية وغيرها عن فيليبي. وما زال هناك جزئيات عن حياة هذا الرجل لم تدرس، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع ويدرس هذه الجوانب التي ما زالت تستحق مزيداً من البحث والدراسة.

(٥) زار فيليبي الكثير من البلدان في هذه المناطق (عسير، ونجران، وجازان) بالإضافة إلى بعض النواحي في ساحل تهامة من البرك إلى جدة ومكة. لكنه للأسف لم يمر على أعالي السروات، وسفوحها الغربية، حتى الأجزاء التهامية الداخلية الممتدة من رجال ألمع إلى تهامة الطائف بما فيها مناطق الأصدار لم يكتب عنها أي شيء، لأنه لم يشاهدها أو يجتازها أثناء رحلته المدونة في كتابه (مرتفعات الجزيرة العربية)، ولو جاء عليها لكان زودنا بمادة علمية قيمة ونادرة في بابها في منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م).

الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) بتكليف الدكتور حسن مصطفى حسن بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية^(١) وبعد عدة سنوات من ترجمته اتفق معي آل العبيكان على مراجعة الكتاب والتأكد من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية، ووافقت على ذلك، وقضيت بضعة شهور أراجعه، وذهبت إلى عدد من المناطق التي زارها فيلبي في مناطق عسير، ونجران، وجازان، وراجعت وأصلحت ما استطعت، وطبعته مكتبة العبيكان في مجلدين كبيرين بلغت صفحاتهما (١٤٤٩) صفحة من القطع المتوسط، وصدر الكتاب باللغة العربية عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)^(٢).

الكتاب (النسخة العربية) يقع في ستة أبواب تحتوي على (٣٣) فصلاً، خصص لكل باب منطقة جغرافية، ولكل فصل مدينة أو قرية أو جزء صغير في تهامة والسراة^(٣). كما احتوى على عدد من الصور الفوتوغرافية، وخرائط، وجداول وفهارس عديدة بالإضافة إلى كلمة الناشر العربي (مكتبة العبيكان) وسبع صفحات تقديم للكتاب بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس^(٤).

الجزئية المنشورة في هذا القسم وردت في الباب السادس من الجزء الثاني، الذي عنوانه: منخفضات تهامة، ويقع هذا الباب في (٣٠٩) صفحة، رصد فيها تفصيلات كثيرة من رحلته ومشاهداته في منطقة جازان، والأجزاء الممتدة من بيش والدرب حتى جدة ثم مكة المكرمة. استغرق في رحلته المدونة في هذا الباب الأخير من كتابه حوالى (٤٨) يوماً^(٥).

والرحلة المقتبسة من كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية في هذا القسم تأتي ضمن الفصلين رقم (٣٢) بعنوان (الطريق الساحلي: منطقة جازان)^(٦)، و(٣٣) وعنوانه (الطريق الساحلي: القنفذة)^(٧) وعدد الصفحات التي اشتملت تفصيلاتها على

(١) لا أعرف الدكتور حسن مصطفى لكن قيل لي أنه عضو هيئة تدريس في جامعة الملك سعود أثناء ترجمة الكتاب، ولا أعلم من أي البلاد هو، لكنه عربي ربما من السودان أو مصر.

(٢) انظر الكتاب في نسخته العربية ورقياً وإلكترونياً. كما صدر عنه عدد من البحوث، وقد أشرت إلى بعضها في حواش سابقة من هذه الدراسة.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) تمت كتابة التقديم لهذين الجزئين في أبها في (٢٧/١٢/١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٥/٧/٢٠م). انظر الكتاب في نسخته العربية طبعة عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ج ١، ص ١٠١ وانظر صفحات الجزئين التي عددها كاملة (١٤٤٩) صفحة.

(٥) بدأها من جازان في ١٨/شوال/١٣٥٥هـ الموافق ١/يناير/١٩٣٧م)، وانتهى في مكة المكرمة في (٦/ذوالحجة/١٣٥٥هـ الموافق ١٨/فبراير/١٩٣٧م). انظر كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية (النسخة العربية)، الجزء الثاني، ص ١٠١٣-١٣٢٢.

(٦) انظر فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية (النسخة العربية)، ج ٢، ص ١٢٣١-١٢٧٨.

(٧) كنت قد راجعت هذا الكتاب وكتبت تقديماً له في عام (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، لكنني عندما قرأت هذه

بلاد الدرب والبرك وما بينهما حوالي (٤٧) صفحة من صفحات الجزء الثاني، وهي التي سوف يعاد نشرها مع تصويب ما ورد فيها، من أخطاء، وإضافة بعض الشروح والتعليقات التي تصب في خدمة هذه الرحلة علمياً ومعرفياً. وهذه الصفحات شملت الحديث عن حاضرة الدرب، والشقيق، ثم القحمة، والبرك^(١).

ثانياً: رحلة فيليبي في الدرب، والشقيق، والقحمة :

وصلنا إلى طريق السيارات بعد نصف ساعة من بداية الرحلة إلا أنه كان يتجه غرباً، وقررنا أن نمضي ناحية الشمال الغربي تجاه السلاسل البركانية لأهل السودة^(٢). كان هذا يعني السفر بلا رؤيا وذلك لأن الغابة كانت كثيفة جداً، وقد تمت بأكثر جاذبية في القفار، وبدا لنا أننا نمتلكها لمصلحتنا فقط، فيما يخص البشر. كنا نفرع من حين لآخر الغزلان من مراعيها المنعزلة، كما كان طائر الشقراق الحبشي متوافراً وقد لاحظنا الحبارى العربية تتلصص إلى الاختباء^(٣). أصبح سطح الأرض صعباً ونحن نقترّب لخط وادي سر^(٤)، وأصبحت البلاد مكسرة برغم أنها جيدة الغابات، رفعت أشجار الدوم من حين لآخر رؤوسها فوق أشجار الغابة. كما بدأنا نلاحظ وجود الضأن وبعض الجمال وهي ترعى، بينما احتفى مالكوها بجوار البرك المائية للمجاري العديدة التي تعترض هذه الأرض^(٥). عبرنا واحداً من هذه الأحواض، كان عرضه حوالي (٢٠) ياردة وخرجنا منه إلى حزام حصوي كأنما هو سد نهري قديم، ونزلنا فيما يليه إلى وادي سر نفسه - وهو المجرى الرئيسي. كانت أشجار الدوم هناك أكثر

الصفحات وغيرها مرة ثانية وجدتها لا تخلو من أخطاء عديدة، عندئذ رأيت أن أقتطع جزئيات صغيرة وأعيد نشرها وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء أو غموض مع حفظ حقوقها العلمية لصاحب الرحلة الرئيسية. (فيليبي).

(١) الناظر في رحلة فيليبي: مرتفعات الجزيرة العربية، يجد أنها سفر جيد ومهم لدراسة أحوال الأرض والناس في بلدان عديدة من السراة وتهامة في بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م). وهذه الصفحات المنشورة في هذا القسم ليست إلا نموذجاً صغيراً من هذه الرحلة الطويلة، بين الحجاز واليمن، التي استغرقت أكثر من عشرة شهور. وما ذكره عن بلاد الدرب، والشقيق، والقحمة، والبرك يعد مادة علمية جديدة رصدها من خلال سيره في مناكب هذه البلاد، وشاهد صوراً من حضارة أهلها وتاريخهم في منتصف القرن الهجري الماضي.

(٢) السودة: هي السواد وتعرف أيضاً بالسودة، مرتفعات (هضاب) محدودة الارتفاع، وحولها شعيب أو واد صغير في الطرف الشمالي من محافظة بيش، وهي أقرب إلى محافظة الدرب. (ابن جريس) .

(٣) كانت الغابات والطيور بأنواعها توجد في جميع أجزاء منطقة جازان أثناء مرور فيليبي منها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ومازال اليوم بعض الطيور والغابات المحدودة في كثافتها وأعداد نباتاتها. (ابن جريس) .

(٤) وادي السر من الأودية المتوسطة شمال وادي بيش، ويقع ضمن محافظة الدرب حالياً. (ابن جريس) .

(٥) إن الثروة الحيوانية في عموم تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) كثيرة جداً، بل حياة الرعي من المهن الرئيسية لأهل هذه البلاد، واليوم أصبحت قليلة ومحدودة. (ابن جريس) .

انتشاراً ومعها الأراك وعدد من أشجار الطلح والقطف وغيرها^(١) . وجدنا رجلاً طاعناً في السن داخل عشة منعزلة سقفها من القصب يقوم بعناية رجل مريض بمساعدة كلب مزمر لئيم^(٢) . كانت أغنامهم وماعزهم تستمع هنا وهناك بالمراعي المزدهرة . يجري بطن السيل في هذا الوادي العريض في أكثر من شريط ، تسلقنا فيما يليه السفح المرقط بالشجيرات القصيرة على جانبه الأيمن لتلقي نظرة من القمة على البحر البعيد .

لم يعد هنالك شك حول الأصل البركاني لسلسلتي صفصاف وآل السوداء^(٣) ، وليستا بعيدتين ، بينما على بعد ناحية الشمال الغربي ، وهو الاتجاه العام لمسيرتنا ، نستطيع رؤية القمم البارزة غير أنها منخفضة لسلسلة تسمى - كما تأكد لنا فيما بعد حرامين^(٤) . امتد سهل واسع من طرف أرض مرتفعة إلى البعيد وعلى يميننا إلى حد ما قريباً من البحر ، تكسوه شجيرات قصيرة وحشائش مع قليل من الأشجار والجنابات الكبيرة من حين لآخر . مررنا في هذا السهل بملاجئ للرعاة ، وقد وجدنا رجلاً وثلاثاً من النسوة ومعهم قطع من الماعز . ارتفع السهل تدريجياً إلى سلسلة منخفضة ، هبطنا منها قليلاً لنعبر ثلاثة مجارٍ منفصلة لوادي السوداء ، وقد نمت على حافاتها أشجار الدوم بغزارة ويستمر على امتداد حافة الأرض البركانية التي انتشرت أمامنا على شكل ربوات خشنة ذات غطاء نباتي شحيح . أدى دخولنا هذا الموقع إلى نفور غزالتين وأرنب بري كما كانت هنالك جمال ترعى في الأودية . كان لكل واحد من هذه الأودية اسمه الخاص به ، غير أنني جمعتها كلها معاً بكونها أجزاء من وادي السوداء وذلك لأننا لم نجد من الناس من يمكنه إعطاؤنا معلومات دقيقة . عبرنا خمسة من هذه المجاري قبل أن ندخل إلى وادي الرضه ذي الشواطئ المنحدرة ، العميق والضيق ، وقد تحصلنا على اسمه من أحد الرعاة كنا قد ألقينا عليه التحية وسألناه عن الطريق . كما أخبرنا أن مشرب الرضه يقع على مسافة (٥٠٠) ياردة مع اتجاه الوادي عند العبور^(٥) .

(١) وقفت على أجزاء من وادي السر عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، فلم يعد فيه ماء ، ولا أشجار ولا نباتات كثيرة . (ابن جريس)

(٢) أشار فيلبي إلى بيت من العيش والمريض الذي كان فيها ، وأقول إن معظم منازل الناس في القرن (١٤هـ/٢٠م) من القش ، كما أن الحمى والأمراض كانت تقتك بالناس بشكل كبير جداً . (ابن جريس)

(٣) الصفصاف وآل السوداء من التضاريس الجغرافية الواقعة في شمال محافظة بيش وهي إلى بلاد الدرب أقرب . (ابن جريس)

(٤) حرامين : الصحيح هرمان ، بفتح الهاء وإسكان الراء بعدها ميم فألف ثم نون ، واد صغير جنوب محافظة الدرب . يعرف اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هرمان الصغير ، وهرمان الكبير ، وهما شعبان صغيران . (ابن جريس)

(٥) وادي الروضة في الناحية الجنوبية من محافظة الدرب وإلى الشمال من محافظة بيش ، وهو من الأودية الصغيرة في منطقة جازان . ابن جريس

كنا نسير الآن فوق أرض عندها وقفات قصيرة خلال أربع ساعات، لم يكن رفيقي ماشياً على رجليه فحسب، وإنما كان يحمل عني ممتلكاتي لأكون حرّ الحركة لأقوم بمسوحاتي - وقد بدأ عليه الإرهاق، ولعل هذا سببه الجوع والعطش أكثر منه الجهد المضني^(١)، ثم شعر رفيقي بالتحسن بعد دقائق حينما وصلنا إلى الطريق السريع الذي كنا نبحث عنه، وهو يمتد فوق جبهة عريضة في الخطوط المألوفة عبر الحرة المتكسرة والسهل البازلتى. كان هذا واحداً من الطريقين الرئيسيين المتجهين من الجنوب إلى الشمال في تهامة، وهو الأكثر قرباً إلى البلاد الداخلية، ذلك لأن الطريق الآخر يحتضن الساحل كثيراً في القطاع^(٢). عبر الطريق ثلاثة مجار لست متأكداً من أسمائها - تم تعريفها فيما بعد على أنها درب المعقر^(٣) -، مررت في واحد منها برجلين واثنتي عشرة امرأة وبعض الجمال، متجهين جنوباً ربما للعمل في الحصاد في وادي بيش. كان أحد الرجال يرتدي ملابس مصبوغة بالأخضر. كان سير حماري الآن أفضل علي طريق مطروق، وحاول الرجل القادم من صبيا أن يماشي سير الحمار. كان متخلفاً وراءنا إلى البعيد حينما وصلت إلى وادي سمرة، وهو مجرى جذاب جداً ينفرج عبر شريط عريض من بازلت مائل، تنتشر فيه العديد من البرك المائية في تجاويف صخور^(٤). كان أحد الرعاة يقوم بسقي قطعانه هنا إلا أنه نفسه لم يشرب من البرك خوفاً من الحمى. قام بدلاً من ذلك بحفر الرمل، وشرب الماء وهو ينبع من تحت التربة إلى سطحها. عملت مثل ما فعل ووجدت الماء بارداً ومنعشاً. وصل رفيقي أخيراً وهو مرهق واستلقى على يديه وركبتيه وأخذ يلعق الماء كما يفعل الحيوان^(٥).

يتجه الطريق فيما يلي هذا المجرى ناحية الشمال الغربي على السهل نفسه ذي الحصى الذي تعترضه خطوط صرف من حين لآخر. كانت أشجار الرنف مزهرة كما

(١) يشير فيليبى إلى قسوة الحياة، وفقر الناس، والجوع الذي كان سائداً في البلاد. كما ذكر صعوبة الأرض أثناء السير في منابها في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). وبقيت على هذا المنوال حتى تسعينيات القرن نفسه، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم تطورت الأرض والناس في شتى المجالات. (ابن جريس) .
(٢) يتضح من كلام هذا الرحالة أن هناك طريقين رئيسيين تسيران من الجنوب إلى الشمال، والرحالة والجغرافيون الأوائل أشاروا إلى تلك الطرق الداخلية والساحلية. وهاتان الطريقان تستحقان أن تدرسا في هيئة كتابين أو رسالتين خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيط، والحديثة حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس) .

(٣) درب المعقر: يقع في جنوب محافظة الدرب، وكلمة درب يكثر استخدامها في منطقة جازان، وتطلق على أمكنة عديدة هناك. (ابن جريس) .

(٤) وادي سمرة: من أودية بلاد الدرب. (ابن جريس) .

(٥) أشار فيليبى إلى طريقة الحصول على المياه أحياناً، وكانت غير بعيدة عن سطح الأرض. (ابن جريس) .

تكاثرت أعداد أشجار الدوم^(١) . بدأ السطح على بعد ينبسط ويصير أملس وقد كساه حصى خفيف ورمل وطمي ، وانحدر بلطف إلى وادي بيض المهم^(٢) مع مجرى معتبر وبحيرة في موقع عبورنا . كشفت علامة مستوى الماء العالي على الشاطئين عن الإفادة بأنه قد كان هنالك سيل قوي وقع حديثاً ، ويعزى وجود مسطح مائي واسع لهذا السبب أيضاً . يكون سداً من البازلت عبر الوادي في هذا الموقع خزاناً طبيعياً لتنظيم مياه السيول ، كما كانت هنالك طبقة سميكة من خليط بركاني تكون جزءاً من الجانب الأيمن . كما يوجد إلى جانب أشجار الدوم انتشار كبير لأشجار البالميتو (النخيل) على جانبي الوادي^(٣) . استمر السهل الحصوي المتدرج فيما يلي هذه ومعه غطاؤه النباتي الشحيح وخطوط الصرف المتكررة . كان واحد منها فقط - ولا أعرف اسمه - يتمتع بأهمية خاصة وأخبروني في الدرب أنه وادي الدبر^(٤) ، ينحدر مرة أخرى المجرى عند عبورنا له فوق حاجز بازلتي ، على أرض ذات تكوين خليط كحلوى البودنق وقد تخلله بعض الجلاميد ، متجهين نحو الجنوب بحثاً عن العمل ، لعل الأخبار عن السيل العظيم هي التي دفعت الناس إلى التوجه إلى وادي بيض^(٥) . كانت طيور الشادي الأورفيني وطيور على الطريق منتظرة فرصة شربها للماء . كانت الغزلان متكررة الظهور أيضاً كما كان هديل الحمام يسمع في كل واد - تحولت البلاد تدريجياً وبلا شعور منا إلى أرض غابات وتطورت إلى غابة كثيفة نسبياً في أرض الدلتا لوادي رملان^(٦) ، على مسافة قليلة من سلسلتي حرامين والعكادين^(٧) .

أدركنا أثناء سيرنا اثنين من الهنود في هذه المنطقة كان أحدهما من دهلي والآخر من كلكتا ، سائرين على الأقدام إلى مكة لأداء الحج . نزلنا في ميدي وسارا على الأقدام

(١) شجر الدوم : من الأشجار الكبيرة والمعمرة ، يوجد بكثرة في المناطق الساحلية الممتدة من جازان إلى البرك والقنفذة وما حولها . المصدر : مشاهدات الباحث في رحلات متعددة في هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٢) وادي بيض : من أودية محافظة الدرب الجنوبية ، وهو من الأودية الكبار ، وتأتي منابعه من شرق جبال بيض وما جاورها في مرتفعات جازان الشمالية . (ابن جريس) .

(٣) كانت أشجار النخيل منتشرة في عموم تهامة ، وما زالت حتى اليوم ، لكن أصاب الكثير منها الجفاف فاندثرت وتلاشت . (ابن جريس) .

(٤) وادي الدبر : من الأودية الصغيرة في جنوب محافظة الدرب .

(٥) وادي بيض : من الأودية الفحول في منطقة جازان وتأتي منابعه من جبال السروات ، ويسقي وادي بيض من الأراضي الزراعية ما مساحته تقدر بين (٦٠) كيلاً طولاً في خمسة أكيال عرضاً . ويخش اليوم من محافظات منطقة جازان الرئيسية . (ابن جريس) .

(٦) وادي رملان : من أودية محافظة الدرب ، وتأتي منابعه من مرتفعات شرق المحافظة ، وجنوب وادي عتود ، ويعبر قرية رملان متجهاً نحو البحر (ابن جريس) .

(٧) الصحيح هرمان وليس حرامين . أما العكادين فهما جبلان إلى الجنوب وسط المحافظة بحوالي (٤-٥) كيلو وأحدهما أكبر من الآخر . والكبير تقع عليه مضخة تحلية مياه رئيسية ، وعلى رأس العكايد الصغير استراحة بلدية الدرب ، وهناك طريق مسفلت بعرض حوالي عشرة أمتار يصل إلى هذين الجبلين . (ابن جريس) .

من هناك ، تماشياً للرسوم التي يجب دفعها بواسطة الحجاج الذين يهبطون في جدة وغيرها من الموانئ العربية . ويتسللون عبر الحدود أثناء الليل لتحاشي ملاحظة الموظفين المحليين . لم يبق أمامهم إلا وقت قليل جداً للوصول إلى مكة في الوقت المحددة ، ولا أدري إن كانا قد نجحنا في ذلك أم لا . سنقابلهم مرة أخرى في الطريق^(١) .

كان منظر المجرى الرئيسي لوادي رملان عظيماً ، حيث نشاهد أفضل أشجار الدوم التي رأيناها متباعدة بتفرعات سيقانها في الوادي أعلى وأسفل الطريق . كان بطن المجرى مكسواً بالحصى كأنه ساحل البحر وكانت الجوانب المنخفضة من مادة مختلطة خشنة . كان علينا أن نعبر خطأ آخر لهذا الوادي قبل أن نصل إلى أرض الغابات على الجانب الآخر الذي يجري عبره طريق الحاج قريباً من سلسلتي حرامين^(٢) ، والعكادين وموازيا لهما مكونة جزءاً من جزيرة بركانية تفصل وادي رملان عن الدلتا العريضة لوادي عتود^(٣) . كانت الشمس معلقة عند الأفق كأنها برتقالة ضخمة وهي تضيء الصخور لهذه السلاسل بوهج قرمزي أثناء ما كنا نسرع في سيرنا . كان يحفنا إحساس بعدم الحقيقة حول هذا المشهد العام . وكان الصمت محسوساً لم يكن هنالك صوت عدا ضربات حوافر حماري وارتطام أقدام الهنديين ، علماً بأننا كنا على عتبة منطقة زراعية واسعة ذات كثافة سكانية .

لم نر قرية رملان وهي قرية كبيرة عند ذيل الوادي وخلف السلسلة البركانية^(٤) ، كما لم نشاهد الدرب وما يجاورها وهي تقع إلى الأمام من موقعنا هذا . كان وقع اسم العكادين كوقع الموسيقى في أذني . كانت أرضاً لحادثة مشهورة في تاريخ الأحداث الحولية في تاريخ العصور الوسطى لليمن ، ولم يكن موقعها الصحيح معروفاً . أكون بذلك قد اكتشفت وبمحض الصدفة حقيقة ذات مغزى تاريخي كبير . غربت الشمس وأنا على ظهر الحمار أسترجع المعركة التي وقعت في هذه الغابة بالذات في أزمان

(١) يتضح من قول هذا الرحالة معاناة الحجاج الذين كانوا يأتون من خارج شبه الجزيرة ، ومنهم الهنود الذين شاهد بعضهم ، كما أشار إلى الرسوم التي تؤخذ على الحجاج في المنافذ مثل جدة وغيرها . ومن هذه الإشارات نلمس بعض الموضوعات الجديدة في بابها التي تستحق أن تكون عناوين لبحوث علمية عن تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة في عصور سابقة .

(٢) الصحيح (هرمان) وليس حرامين . (ابن جريس) .

(٣) وادي عتود : من الأودية الكبار التي تأتي مسألته من سروات عسير ، ويعبر المحافظة من الشمال إلى الجنوب . ويعرف هذا الاسم (عتود) في سراة عسير ، ثم تسيل مياهه الغربية نحو منطقة جازان ، ومياهه الشرقية نحو وادي ببشة . وله ذكر عند المتقدمين من الجغرافيين واللغويين والمؤرخين والأدباء . ولا ماء فيه ، بل يخيم الجفاف عليه أثناء زيارتي له في عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(٤) قرية رملان تسبب إلى الوادي ، وفيها اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) بعض العمران المحدود . (ابن جريس) .

قديمة لإثراء الدخل الحكومي لمنطقة الدرب^(١)، التي كانت هدية المباشرة. وصلنا إلى أول المجاري بعد أن عبرنا طرف سلسلة عكاوين وخرجنا إلى دلتا واسعة ممتدة ذات مزارع منتشرة، وذلك خلال خمس عشرة دقيقة قبل هبوط الظلام. وصلنا إلى قرية الدرب نفسها بعد ساعة كاملة، بسبب الظلام الدامس والمتاهة المعقدة للطرق والحقول والمتاريس، وكان ذلك قبل الساعة الثامنة مساءً بقليل، بعد مسيرة شارفت على الاثني عشرة ساعة، ولم يكن معنا طعام نأكله خلالها عدا البيضتين في مسلية.

تمكننا من التحرك عبر المتاهة بمساعدة بعض الناس، خلال شوارع تصطف على جوانبها العشش إلى حيث منزل الشيخ المحلي، حيث قوبلنا بكرم شديد. أحضرت لنا السرائر الخفيفة مع أغطية أكثر إلى داخل المعسكر والذي على أحد جوانبه كان منزل الشيخ يشرف على العشش الشبيهة بخلايا النحل في الجوار التي يسكنها وكلاؤه. كما تم إحضار مصباح إصصاري وأشعل ليضيء الموقع. وأحسست بهمس فهمت أنه يدور حول الرغبة في ذبح عجل سمين. وهذا يعني انتظاراً طويلاً، وقد كنت مرهقاً وجائعاً، وتجرات بالتدخل، برغم كل الحديث الذي يدور. شرحت موقعي ووجدت حالتني تعاطفاً، وقد تخيلت أن تدخلني في تفصيل شاة على العجل لم يعجب مضيفنا. اقترحت أن قليلاً من الخبز وربما دجاجة وبعض البيض سيكفي لإبعاد جوعي، والذي بعده أحتاج إلى أن أنام. كان هنالك الكثير من الخبز - كما قالوا - واستغربوا أن أقوم بأكل هذه الأشياء - لا يأكل أهل الدرب هذه الأشياء - إنها التقاليد القديمة! تغلبت على ارتياهم وانطلق الرسل لجمع الطيور ومنتجاتها. عادوا خلال دقائق ومعهم دجاجة حيتان ودسته من البيض، واقترب المتفرجون ليراقبوا تقديمها لي كما هي على طبق كبير. أدركوا تماماً أنني لا أستطيع أن أقوم ببلع الطيور وهي حية أو أن أكل البيض وهو نيء، أما ما سأفعله بكل منهما، فلا علم لهم به. استرجعت صورة السيدة في مسلية، وطلبت إحضار موقد وقدر ماء للغلي^(٢)، وسرعان ما أعدوا لي ذلك. شرحت لهم ما أحتاج إليه فيما يخص الدجاج أثناء ما كان الماء يغلي، إن أعناق الدجاج تقطع تماماً كما يفعلون بالضأن، ثم يزال كل الريش، ثم تنزع الأحشاء، ثم أقوم بتوضيح ما يمكنني أن أفعله بعد ذلك^(٣).

(١) يقصد بمنطقة الدرب، أي قرية الدرب، الحاضرة الرئيسية لهذه المنطقة أثناء زيارة هذا الرحالة لهذه البلاد عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). (ابن جريس) *

(٢) في السطور المدونة أعلاه نجد فيليبي يذكر حسن استقبال شيخ أهل الدرب وأهلها لهم، وكانت رغبتهم أن يبالغوا في ضيافتهم. كما ذكر بعضاً من العادات والتقاليد الاجتماعية التي شاهدها وكان يعيشها أهل البلاد، وهذه معلومات قيمة نعرفها ونطلع عليها قبل حوالي (٩٠) عاماً عن هذه البلاد التي كان يعاني أهلها من الجوع والفقر والأمية. (ابن جريس) *

(٣) هذه مبالغة، فالطيور مثل: الحمام، والقماري، والدجاج موجود في معظم بلاد تهامة والسرعة، وهذا مما يدل على أنهم يعرفون هذه الأنواع من الطيور، وبالتالي لابد أنهم يعرفون كيف يذبحونها ثم تطبخ أو تشوى بغرض الأكل. (ابن جريس) *

لقد أحدثت فيهم إثارة بلاشك ، وكان اهتمامهم قد تضاعف وقد أصبح الماء يغلي وأسقطت من دسنة البيض الواحدة تلو الأخرى . انتظارا لما يلي ، طلبت منهم إحضار الخبز وقليلًا من الملح وفعلوا ذلك على الفور، وكان الخبز لا يزال ساخنًا من الفرن ، انتهت فترة الخمس دقائق التي خصصتها للبيض . لكي أكون على الجانب الآمن إن كان بعضها غير طازج . وبدأت ألتهم أجمل أنواع خبز الدخن مع البيض المسلوق . لم يكن لرفيقي القادم من صيبا أي تقدير ليشاركني في تناول كليهما ، وقد أزلنا الجوع عنا ، تناول بعد ذلك سريريه وذهب بعيدا إلى زاوية هادئة ليتردد متاعبه بالنوم. أحضروا الدجاج في هذه الأثناء ، تماما كما طلبت وأسقطتهما في الماء الذي يغلي والذي كان به البيض. ولما كنت قد تناولت كل ما أمكنني ، فقد تركت الدجاجتين تغليان في الماء حتى جاء وقت ذهابي للنوم ، حينها أخرجتهما من الوعاء ووضعتهما في مكان آمن لتبردا حتى وقت الفطور^(١) .

جلست أحدث رفاقي وهم يتسللون تدريجياً مع تقدم الليل، وقد تمكنت من رد جميل كرمهم إليهم في اللحظة. كان القليل منهم من المدخنين، وقد استطعت أن أهديهم بعض التبغ من مستودعي المستورد ولم يعجبهم بالمرة. أعجبهم الشاي ولهذا قصة . لم يكن معي شايًا حينما وصلت ، غير أنه اتضح أن قدومي لم يكن غير متوقع. كانت المجموعة الرئيسية لفرقتي ، بعد أن فقدوا كل أثر لي خلال الليلة السابقة، ولم يقابلوا رجلي، قد قرروا أن يعسكروا في الطريق وأن يسلكوا الطريق العادي الساحلي أثناء النهار حتى وصلوا إلى ذيل وادي بيض، في موقع ما أسفل مكان عبوري له . عسكروا هناك لقضاء الليلة إلا أنهم أرسلوا رسولا إلى الدرب في حالة مروري بذلك الطريق ، لإخبارهم بأنهم سيتوجهون في اليوم التالي إلى الشقيق^(٢)، حيث يتلاقى الطريقان، وينتظرونني هناك إن لم أكن قد سبقتهم. أرسل سعد ذو التفكير الثاقب مع الرسالة بعضا من الشاي . لا أذكر إطلاقا أنني استمتعت بأمسية مثل تلك . لقد نمت نوم العادل بكل تأكيد تحت النجوم، وأفطرت ومعني رفيقي صباح اليوم التالي على الدجاجتين وعدد كبير من البيض والخبز والشاي .

كان مضيفي الشيخ محمد بن هادي الشعبي^(٣) ، واحداً من أسمن الرجال الذين

(١) نستخلص من هذا الوصف الذي أورده فيليبي حسن تعامل أهل البلاد في تلبية طلبه ، ومساعدته في إتمام طهي ما يريد . أما قوله إنهم مستغربون مما فعل فاعتقد أنه بالغ في هذا الكلام ، فهم أهل حلال ومواش وطيور ، ولا بد أنهم يعرفون كيف يتعاملون معها ويستفيدون منها في أكلهم وشربهم . (ابن جريس) .

(٢) الشقيق : تقع قريبا من مدينة الدرب بحوالي (٢٥) كيلا ، وهي أحد مراكز المحافظة الرئيسية . (ابن جريس)

(٣) وقع فيليبي في خطأ عندما ذكر اسم الشيخ/ محمد بن هادي الشعبي ، حيث أورده باسم (المنجي) بدلا من (الشعبي) . مع أن محمد الشعبي هو شيخ قبائل درب بني شعبة ، وهذا ما أثبتناه ، كما يوجد في بلاد بني شعبة عشيرة أخرى تسمى المنجي ، وحياتهم تميل إلى حياة البادية ، ويقطن أكثرهم في النواحي الواقعة إلى الشمال من بلدة الدرب ، التي كان يطلق عليها مع بلدة الشقيق اسم . (محافظة القياس) . في عام (٢٥) - ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ، ثم صارت تسمى بمحافظة الدرب حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

قابلتهم ، يزن ما لا يقل عن (١٨) حجراً وهو شخص متقدم في السن ، لطيف ، كثير الكلام ، طيب . أخبرني أنه قد ورث الاتجاه نحو البدانة من والدته ، وسألني ماذا يفعل بالنسبة لذلك ^(١) ، اعتقدت أنني قد تعرفت عليه بما فيه الكفاية في تلك اللحظة لأقترح عليه ان يتجنب لحم الضأن والدهون والسمن ، ويعتمد إلى تناول الدجاج والبيض وشرب الشاي والقهوة بدون سكر! كان عليّ أن أمنع الأكل الشره للخبز الحار الذي هو غذاؤهم الرئيسي مع اللبن والذي يعدونه في صنفين محلي وحامض ^(٢) . يخبز كلاهما بنفس الطريقة غير أنه في حالة الخبز الحامض فإنهم يعجنون العجينة ويتركونها مدة (٢٤) ساعة قبل إدخالها الفرن . لم تكن قبيلة المنجحة من أصل الأشراف ^(٣) ، بل من العرب الدنيويين ويزعمون صلة مع بني تغلب وهؤلاء فرع من قحطان . سافر شقيق الشيخ ، واسمه حمد ^(٤) ، قبل أيام من زيارتي مع مجموعة محلية من ثلاثين حاجاً بما في ذلك أربع من النسوة ، ولم تتسهم القرية أثناء غيابهم . وقد ظلت النسوة لعدد من الساعات أثناء الليل يتضرعن إلى الله تعالى في الدعاء لهم ^(٥) . عبرنا حقول الدرب صباح اليوم التالي ، ومررنا بامرأة متقدمة في السن ، تشد في طرب لابنها الذي كان ضمن المجموعة التي ذهبت إلى مكة . يتضح من هذا أن النظام الإدريسي قد طبع في كل هذه البلاد ، احتراماً حيويًا للأسس الإسلامية ^(٦) .

كان الشيخ وأبنائه الثلاثة في وداعي ، وكان عليّ أن أعترض على سلوك الابن الأصغر بسبب تحديقه غير المذهب . كانت المناسبة - عدا ذلك - جيدة كما كانت الليلة

-
- (١) أسرة محمد بن هادي الشعبي، هي بيت مشيخة رئيسية لدرب بني شعبة، وما زالت المشيخة في هذا البيت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فالشيخ الحالي يدعى هادي بن علي بن محمد الشعبي ، حاولت أن أقابله أثناء رحلتي الأخيرة ، لكنه اعتذر بسبب ظروفه الصحية وهو حفيد الشيخ محمد الشعبي الذي ذكره فيليبي . (ابن جريس) .
- (٢) الاسم الصحيح لهذه الأصناف من الخبز هو (الخضير) و (الخمير) . فالخضير: هو ما ذكر فيليبي باسم (المحلي) والخمير: أي الحامض . (ابن جريس) .
- (٣) إذا كان فيليبي يقصد بالقبيلة التي يتولى رئاستها الشيخ محمد الشعبي ، فلا يطلق عليها اسم قبيلة المنجحة ، وإنما تسمى قبائل درب بني شعبة . (ابن جريس) .
- (٤) لم يكن للشيخ محمد الشعبي شقيق يدعى (حمد) ، وإنما شقيقه الوحيد والفعلي يدعى (منجحي) ، وهذا الذي أوقع هذا الرحالة عندما أطلق على الشيخ اسم (محمد بن هادي المنجحي) ، والصحيح ما أثبتناه في سطور سابقة باسم (الشعبي) . (ابن جريس) .
- (٥) كان الدعاء للمسافرين قديماً من الأمور الضرورية والهامة ، وبخاصة من أسرهم وأهل قراهم ومواطنهم وذلك لما يقابلون في أسفارهم من عقبات لا تعد ولا تحصى ، ومن أعظمها السلب والنهب، والقتل، والغدر من قطاع الطرق والقبائل والبلاد التي يمرون عليها ، والخوف من مجهول القدر في الأسفار ، ومما يقابل المسافرين جعل المسافر يخرج من منزله وفي اعتقاده أنه لا يعود لما يواجهه من مخاطر عديدة . (ابن جريس) .
- (٦) طقوس الإدريسي وتعاليمه الدينية أثرت على حياة الناس اجتماعياً في عموم منطقة جازان ، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في هيئة رسالة علمية . (ابن جريس) .

السابقة ، غير أن عيني قد أزعجهما كثرة البصاق الذي يقذفه ماضغو البردقان وكان من بينهم الشيخ نفسه ^(١) .

حضرت مجلس الشيخ بعد الإفطار الذي يستقبل فيه شكاوى والتماسات رعيته ، كما يحكم في العديد من الخصومات ، ولم يكن مكتبه عاطلاً عن العمل . كان أسلوبه القضائي لطيفاً . ويبدو أن الناس يدركون ما يدودون قوله ، وكان يدعهم يدلون بما لديهم قبل أن يصدر الحكم ، مختصراً ومحكماً ، مع إحساس بأنه نهائي . كان يستطيع القراءة والكتابة بامتياز على عكس الكثير من العرب الذين من جيله . كان مقر سكنه بسيطاً وجيد البناء ، كما لاحظت من فوق سطحه أنه توجد منازل مشابهة له في القرية ^(٢) ، كانوا قد أحضروا حجارة بنائها من صخر بني أحمر من أصل بركاني - من مستخرجات الحجارة من ربوة صغيرة تسمى (الكد) على بعد نصف ميل في اتجاه عكادين ، والتي قد تكون بروزاً خارجياً منعزلاً له . لابد أن يكون عدد سكان الدرب نفسها مماثلاً لذلك في أم الخشب ، وربما تضاعف لنقل (١٠،٠٠٠) نسمة باعتبار كل القرى في دلتا عتود .

ينساب الجانب الرئيسي من الوادي ماراً بالجانب الشمالي من القرية فوق بطن عريض حصوي ، ويرتفع الجانب الأيمن الصخري إلى (٢٠) قدماً ، بينما تجد مساحة القرية المقابلة الحماية من متاريس ^(٣) من الطين تقيها أخطار السيول . ينبع كل من وادي عتود ووادي ضلع ^(٤) ، من موقع متجاور في جرف جبال السراة بالقرب من أبها ، ثم يتحدان في نهاية الأمر في موقع يسمى المخاضة ^(٥) ، حيث يوجد جدول من برك صخرية ، إن كلاهما من وادي رملان ، ووادي حرمان ^(٦) . ومعهما مجاريهما المتعددة ، ما هما إلا

(١) إن استخدام الدققة ، أو النقطة التي يسميها فيليبى (البردقان) لا تزال معروفة في بعض أجزاء تهامة ، وفي أجزاء عديدة من اليمن ، وغالباً ما ينتج عن استخدامها كثرة البصاق أثناء مضغها . (ابن جريس) .
(٢) ما ذكره فيليبى هنا كان من مهام الشيوخ والأمراء في معظم شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة قبل ظهور المؤسسات الإدارية الحديثة التي تفصل في قضايا الناس . وأقول: تاريخ العمارة قديماً في عموم السراة وتهامة من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها وتوثيق ما يمكن مع دعم الدراسة ببعض الصور الفوتوغرافية للقرى والبيوت والحصون القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان ، مع أنه أصابها الخراب والدمار . (ابن جريس) .

(٣) اعتقد أن المتاريس هنا يقصد بها (الزبر) ومفردها زبير أو العقم وجمعها (عقوم) . (ابن جريس) .
(٤) وادي ضلع تأتي منابعه من حاضرة أبها ، ومازالت الطريق (العقبة) التي تتحدر من أبها نحو الدرب وجازان يطلق عليها حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) (عقبة ضلع) . (ابن جريس) .

(٥) المخاضة : من روافد وادي ضلع بتهامة عسير ، وتقع قريباً من الطريق الحالي المسفلت الذي يخرج من أبها إلى الدرب ، وتأتي قبل قرية مربة . وهناك أمكنة أخرى في سروات تهامة عسير يطلق عليها أيضاً اسم (المخاضة) . المصدر: رحلات الباحث ومشاهداته في بلاد عسير (ابن جريس) .

(٦) ليس حرمان ، والصحيح (هرمان) . (ابن جريس) .

فروع جانبية من الجدول الرئيسي بعد خروجه إلى السهل ليكون الدلتا، غير أنني لم أجد معلومات تؤكد هذه النقطة. نستطيع رؤية جرف جبل الريث وصخوره الخطرة ناحية الشرق من موقعنا على بعد ^(١)، غير أننا لا نرى العكوتين الآن. نستطيع رؤية مجرى عتود وهو ينحدر من بين قريتي قرار والنغبي على مسافة ميلين ^(٢)، كما يلاحظ على البعد نفسه وجهة الغرب أبو السداد الذي سنمره بعد قليل ^(٣). تقع قرية عتود نفسها إلى جهة الشمال الغربي ^(٤)، غير أنها بعيدة وغير مرئية. كما لم يمكننا رؤية رملان-ربما معش رملان- خلف العكادين ناحية الجنوب الشرقي ^(٥). لا توجد زراعة قمح أو شعير في هذه الدلتا، وهي مشهورة بإنتاج نوعي الدخن، التي تصدر منها كميات كبيرة في السنوات الجيدة، ويزرعون إلى جانب هذه المحاصيل الغذائية، أيضا السمسم لزيتته والأندقو الذي يسمى حواراً ^(٦). ينتج حوار محاصيل بلا انقطاع طالما وجد الماء، بينما تحصد زراعة الدخن عدة مرات، تصل إلى ثلاث أو أربع كما في بقية أنحاء تهامة ^(٧).

كان سيل الأسبوع الماضي عالياً في وادي عتود أيضاً، ونفق العديد من الضأن إلا أن آثاره العامة كانت مفيدة إذ ظهر نشاط كبير في الحقول ذات المتاريس ونحن نعبر خلالها مواصلين مسيرتنا في الصباح ^(٨). كان عمل المتاريس من بين كل العمليات الزراعية في دلتا تهامة هو الأكثر أهمية وهو الأصعب، وتقوم بعمله فرق من الثيران تحفر سطح التربة بمجرفة خشبية واسعة وثقيلة وتجمع التربة التي تم حفرها على منحدر. إن عملية الحرث هنا ما هي إلا تجريح فقط للسطح وتستخدم الثيران منفردة أو في أزواج

(١) الريث: من مرتفعات منطقة جازان الشمالية الشرقية. والريث بلاد واسعة يسكنها العديد من العشائر ولها تاريخ سياسي وحربي طويل خلال القرون الماضية. (ابن جريس) *

(٢) قرار: على طريق أبها الدرب قبل الإشارة والمثلث حالياً، وما زالت تحمل هذا الاسم إلى الآن. والنغبي: على طريق الدرب جازان، وتبعد عن مثلث الدرب نحو جازان بحوالي كيلين على يسار الطريق، وصارت في وقتنا الحاضر مندثرة فلا سكان فيها. (ابن جريس) *

(٣) أبو السداد: مكان قديم في الدرب على يمين الخط للذهاب إلى الشقيق. وسمي أبو السداد ربما نسبة إلى شجر السداد. وهو اليوم أكبر أحياء محافظة الدرب، فيه العديد من المؤسسات الإدارية الحديثة، ومكثظ بالسكان والعمارات الحديثة. المصدر: جولة الباحث في هذا الحي في شهر ربيع الأول عام (١٤٤٢هـ). (ابن جريس) *

(٤) قرية عتود: قرية قديمة أخذت اسمها من وادي عتود وتقع على ضفافه. (ابن جريس) *

(٥) الصحيح: الجنوب الغربي وليس الشرقي. (ابن جريس) *

(٦) حوارا: الصحيح (القوار)، وهو اسم مكان. (ابن جريس) *

(٧) تاريخ الزراعة في الدرب وعموم منطقة جازان موضوع مهم يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية. (ابن جريس) *

(٨) تاريخ الأمطار (السيول) في تهامة من جازان إلى القنفذة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق الدراسة مع ذكر آثارها الإيجابية والسلبية على الأرض والناس. (ابن جريس) *

لتجر المحراث الخشبي البدائي الخفيف الذي ركبت فيه قطعة محددة من الحديد . كان البذر هو البساطة بعينها ، مجرد النثر باليد ويتم الحصاد بواسطة المنجل . تحضر آبار القرية عبر طبقات الطمي المتراكم إلى مستوى الماء ، وقد لاحظت بجوار بئر عبرنا بها بعد مغادرتنا للقرية صفاً من الرواقيد الأندقو ممتلئة بالسائل الصبغي ^(١) .

كانت الزراعة شاسعة في أبو السداد غير أن المحاصيل كانت فقيرة ^(٢) . عبرنا فيما يليها مجرى وادي حطب ^(٣) ، وهو بلا شك شريط من الدلتا نفسها، لتصل إلى بئر الحشفة ^(٤) وهي آخر مشرب للماء يقابلنا حتى نصل إلى جوار الشقيق . كانت البلاد فيما يليها عبارة عن سهل قمبورة الطيني ، العاري غير قليل من أراك مبعر وشجيرات طلع ومن حين لآخر أشجار التنضب - يسمى محلياً سداداً - . كانت آثار جمال الحج واضحة وفي عمق على الطريق الصحراوي الذي لم تصله سيول عتود ، ويزرع على مساحات خلال المواسم ذات الأمطار الجيدة . على الرغم من أنه ليس من الصعب إدخاله تحت نظام الري إذا أمكن السيطرة على وادي عتود في مجراه الأعلى . كان سفرنا على الدواب لطيفاً في هذا الجور البارد ، إلا أنه ثقيل ، لهذا اليوم الملبد بالسحب - لم يكن هناك ندى ، بالمناسبة ، أثناء الليل في الدرب - وقد استغرق وصولنا إلى منخفض (المفش) ^(٥) الكثير الأشجار حوالي الساعة الواحدة . ليس هذا - بدون شك - جزءاً من نظام الدلتا ، إنه فقط خط تصريف يبدأ من السلاسل الجبلية البركانية ويجري مباشرة إلى البحر ، وهو عبارة عن شريط عريض لغابة مثالية تحفها الصحراء على الجانبين . ويعرف عند أجزائه العليا بوادي بركة وتحفه أشجار الدوم ^(٦) .

أرسل الشيخ محمد أحد عبيده ليخدمني كمرشد ويرافقني حتى الشقيق ^(٧) ، كما أمدنا بالحمير ، بينما أنهيت خدمات رفيقي القادم من صبيا بعد تجاربه المرهقة لليوم السابق مع مكافأة مناسبة هي أن يعود راكباً الحمار الذي أحضرني من هناك . كان

(١) أفادنا فيليبي بهذه المعلومات المختصرة عن تاريخ الزراعة في الدرب خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وإفراد دراسة لهذا الموضوع عن هذه البلاد خلال القرن الرابع عشر الهجري وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد جدير بالبحث والتوثيق. (ابن جريس) .

(٢) تجولت في أبو السداد في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فوجدت تربته جيدة للزراعة، لكن هذه المهنة تراجعت في وقتنا الحاضر، وصار معظم الحي مكتظاً بالعمران الحديث . (ابن جريس) .

(٣) حطب : الصحيح (الحطب) ، مكان في طرف مدينة الدرب من ناحية الشقيق . (ابن جريس) .

(٤) الحشفة : والصحيح (بئر الحشافة) . (ابن جريس) .

(٥) المفش : مكان يقع شرق الشقيق وغرب مدينة الدرب . (ابن جريس) .

(٦) وادي بركة : قريبا من المفش ، وأحيانا يقال مفش البركة ، والمكانان متقاربان . (ابن جريس) .

(٧) يقصد بالشيخ هنا ، شيخ درب بني شعبة الشيخ محمد بن هادي الشعبي . (ابن جريس) .

مثالاً ممتازاً للإنسان عديم العقل ، وبلا قدرة على الاحتمال ، إلا أنه كان مخلوقاً ودوداً وأحسست بالأسف كثيراً ناحيته . كان على حافة البكاء خلال المراحل الأخيرة من تلك المسيرة الطويلة . كان لحمير الدرب ميزة خاصة اكتشفها سريعاً ، وهي أنني ورفيقي الجديد كنا نسير بسرعة المسيرات الجنائزية ^(١) .

واجهتنا بلاد صعبة ذات شجيرات قصيرة بها العديد من العلقاء ونبات الثمام نامية في كتل في الرمال بعد أن تركنا من ورائنا آخر آثار الغطاء النباتي لمفش . كانت قطعان الأغنام والأبقار ترعى من منطقة الشقيق كما مررنا بآثار السيارات هنا وهناك آثار سيرنا الصعب ^(٢) . ظهر أمامنا على بعد الشريط الأخضر لوادي ريم مع بعض أشجار الدوم المتناثر ^(٣) ، وبدأت تظهر قراه الصغيرة القليلة ونحن نقرب أكثر ، منها قريتا القناع وحسام على جانبي الوادي ودملاج فيما يليها ^(٤) . ثم وصلنا إلى بئر ليست بالبعيدة من البئر الثانية في هذا الثالوث ، حيث وجدنا حاجاً هندياً آخر يرتاح خلال حرارة النهار ، جاء من حيدر أباد (السند) ، وبدأ رحلة حجه مع شقيقه الذي كان مرضه سبباً لموته في ميدي . كان يجهد نفسه في السير الجاد الاضطرابي على قدميه ، يسافر طول الليل ومعظم النهار يعتمد على الصدقة ليعيش أثناء الطريق ^(٥) .

أفسحت الصحراء تدريجياً المجال لغابة خفيفة ، عبرنا داخلها بقرية صلب التي تم حصاد محصول الدخن فيها للمرة الأولى ^(٦) ، وكان في اتجاهه للحصاد الثاني .

(١) كانت الحمير من وسائل النقل الرئيسية في عموم السراة وتهامة ، وأثناء تجوالي في هذه البلاد حالياً رأيت بعض الحمير السائبة التي تسير في بعض القرى والأحياء ، ولم يعد لها أهمية في وقتنا الحاضر . (ابن جريس)
(٢) الشقيق بالتصغير مرسى على ساحل البحر الأحمر شمال غرب منطقة جازان ، يبعد عن مدينة جازان حوالي (١٥٠ كم) ، ورد ذكرها قديماً في بعض المصادر اليمنية والحجازية . ومنذ ظهور الدولة السعودية الأولى ، فقد صعد نجم هذا المكان لظهور بعض الأعلام فيها ، ولوقوع بعض الأحداث السياسية خلال القرنين (١٢-١٣هـ / ١٨-١٩م) . وهي اليوم من مراكز محافظة الدرب الرئيسية ، ويوجد فيها أكبر محطة تحلية مياه في الشرق الأوسط . (ابن جريس) *

(٣) وادي ريم : من أودية محافظة الدرب ، تأتي مياهه من مرتفعات رجال ألمع الغربية ، يمر بالعديد من قرى المحافظة مثل الصنيدلي ، وعجيب ، وخبت بن جبران حتى يصل الشقيق ويصب في البحر . (ابن جريس) *
(٤) حسام ، ودملاج . والصحيح الحَصَام ، والدملاج من قرى وشعاب مركز الشقيق ، وتقع قريباً من وادي ريم الذي يصب في البحر عند الشقيق . (ابن جريس) *

(٥) تاريخ الحجاج الهندو الذين كانوا ينزلون في ميدي ثم يسلكون طريق تهامة حتى مكة المكرمة في القرون الثلاثة الماضية (١٢-١٤هـ / ١٨-٢٠م) موضوع جديد لم يدرس حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) *

(٦) صلب : كانت من نواحي شمال الشقيق ، وسألت عنها في الوقت الحاضر ، فذكر لي أهل البلاد عدم معرفتهم لها ، وربما اندثرت وهناك مكان آخر يسمى جبل أو بلاد صلب تتبع لرجال ألمع وتبعد حوالي (٣٠ كم) . (ابن جريس) *

كانت قنابر الصحراء تغرد بعيداً بمرح ، بينما تجمعت مجموعة من النسور فوق جثة حيوان على جانب الطريق ، وتحيط بهذه حلقة خارجية من طيور الغداف تنتظر دورها في الوليمة . استمتعت برؤية زوج من الغداف ، في حالة مناسبة ، أثناء هذه المسيرة ، وهي تهاجم وتطرد نسراً منفرداً اختلفا معه حول الموضوع . كان السطح في الجوار حول صلب ومن ورائها فوز مكسراً بالتلال الرملية ونحن نقرب من مجرى ريم . كان وادي ريم نفسه في هذا الموقع مقسماً إلى مجريين بربوة رملية طويلة منخفضة ، وكان هنالك نمو كثيف للطرفاء والأثل على جانبي بطن الوادي الضحل ^(١) .

تقع الشقيق على مسافة تقل عن نصف ميل فيما يليه وقد وجدناها في زحمة سوق الأحد . كان يوم السوق في الدرب هو الخميس . لقد سرنا الآن بقرب الساحل مرة أخرى ، وتقف الشقيق إلى الخلف على بعد ميل واحد منه ، على الذيل المنتشر لوادي ريم ، وهي واحدة من المواقع التي تم اختيارها بواسطة الحكومة لإنشاء مركز شرطة صغير ، الذي جميع بين مهمات الشرطة العادية ووظائف حرس الحدود . ذهبنا ناحية مبنى الشرطة فوق أرض مرتفعة قليلاً ، تطل على القرية التي مررنا بها عند الوصول ، لنجد الترحيب والضيافة والسكن الذي قدمه لنا على الشاويش المسؤول ، لم يصل بعد قطار عفشنا غير أنه وصل سالماً مع الغروب ، وهكذا اجتمع شملنا مرة أخرى في مكان مناسب هو موقع التقاء طريقين مختلفين ، كلانا كان يتبع واحداً منهما . سيكون هنالك طريق واحد فقط من هنا إلى الشمال ^(٢) .

تقع الشقيق في جزأين يفصلهما أحد مجاري دلتا ريم ^(٣) ، يقع مركز الشرطة في القسم الجنوبي ويقع السوق في القسم الشمالي ^(٤) . كانت الساعة تشير إلى الرابعة مساءً حينما وصلنا ، وذهبت فوراً لتفقد السوق ، الذي كان لا يزال يحفل بالمرتادين

(١) مازالت بلاد الشقيق حتى الآن مليئة بالنباتات والأشجار المتنوعة ، وهي تقع على جانبي الطريق الدولي الذي يسير من الدرب إلى البرك والقنفذة وجدة ومكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٢) هناك عدد من الطرق تخرج من اليمن إلى الحجاز ، وبعضها يسير قريباً من الساحل أو الأجزاء الداخلية التهامية . وقد أشارت إليها الكثير من المصادر الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة . وحديث فيليبي عن الشقيق أنها مركز إداري منذ بداية حكم الملك عبدالعزيز ، إلا أنها موضوع جيد وجديد لودرس في كتاب أو رسالة علمية خلال العصر الحديث (١٠٠ ق/١٤٠هـ / ١٦ ق/٢٠٠ م) . (ابن جريس) .

(٣) وادي ريم : هو وادي الشقيق الذي يصب بالقرب منه واد يأتي من الجبال القريبة من السراة إلى الشمال من وادي عتود ، ويسمى راسه (كيسان) . وهو واد كثير القرى والزروع ، وجزء منه في محافظة رجال ألمع ، وأسفله لقبائل الشقيق ، ووسطه لقبائل المخلوطة . (ابن جريس) .

(٤) أسواق محافظة الدرب الشعبية تستحق أن تدرس في أكثر من بحث علمي منذ بداية القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . ومازال سوق الدرب الشعبي يعقد إلى اليوم في قرية الدرب يوم الخميس ، وكذلك سوق الشقيق الأسبوعي يوم الأحد . (ابن جريس) .

حتى عند تلك الساعة المتأخرة . كان الشارع الرئيسي وأيضاً الوحيد في هذا القسم يتكون من خط مزدوج من المتاجر المبنية من التوتل والأعواد ، التي يدور فيها الكثير من البيع والشراء . إلى جانب أصحاب المتاجر ، كان هنالك مدربو الصقور والباعة المتجولون ، يحتلون مواقع أمام المتاجر أو وسط الشارع ، بينما كان سوق الحيوانات للأبقار والجمال وما شابه ذلك في أرض واسعة كأرض المعسكر تملأ الفراغ بين السوق والوادي . كان لسكان المكان المظهر المدني ولباس أهل المدن أكثر منه مظهر المزارعين وكانوا - في معظمهم - تجاراً بأسلوب صغير يستوردون سلعهم من بائعي الجملة في جازان ، وقد تحدثت مع العديد منهم ، بما في ذلك العمدة الشيخ هادي القربي الذي أراني العناصر الرئيسية لمناشطهم التجارية^(١) . وربما كان أكثر هذه إثارة هو جماعة من النسوة والفتيات يقمن بعجن كميات ضخمة من جبال الدخن لتقديمها إلى أفران تقف بالجوار لصنع الخبز^(٢) .

إن الشقيق هي مركز مستعمرة من قرى صغيرة مبعثرة حول دلتا وادي ريم ووادي عرمرم ، على بعد ميل واحد أو أكثر من ناحية الشمال^(٣) . لقد ورد ذكر بعض هذه القرى من قبل . كانت قرية الساحل من بين القرى الأخرى^(٤) ، هي الأقرب إلى البحر داخل غابة أثل ونخيل وتمور ، تمتد حتى حافة مسطح يفصل بين الأرض الحقيقية والبحر ، وكان البحر يبعد حوالي ميل ونصف الميل عن السوق . تقع قرية أم الشرفاء اتجاه أعلى الوادي على مسافة ميل واحد^(٥) ، بينما تقف قرية حجير على الشاطئ الأيمن لعرمرم ، على بعد ميلين ، وتقع قرية نحوس على الجانب الأيسر لعرمرم وعلى الطريق الأمامي^(٦) . بينما تقع الشعوف اتجاه أعلى الوادي ومعها قرية بزاه وقرية زبارة . كانت قرية أم الدغابيس ، ومزارعها الواسعة لأشجار النخيل ، أقرب إلى البحر وعلى يسار نحوس بناء المعلومات المحلية^(٧) ، فإن وادي ريم له مستجمع ماء مشترك مع

(١) الشيخ هادي القربي من أعيان بلاد الشقيق ، والشيخة فيهم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وذكر فيليب صورا من النشاط التجاري في الشقيق . وتاريخ التجارة في محافظة الدرب خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يدرس (ابن جريس) .

(٢) تاريخ الطعام والشراب في منطقة جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع مهم جداً أن نرى باحثاً جاداً يدرسه في رسالة أو كتاب علمي . (ابن جريس) .

(٣) وادي عرمرم مثل وادي ريم تأتي منابعه من جبال تهامة عسير ويسير نحو الشقيق حتى يصب في البحر . (ابن جريس) .

(٤) قرية الساحل مازالت تحمل الاسم نفسه ، وتبعد عن البحر حوالي كيلومتر ، ونزح أهلها إلى مدينة الشقيق الحديثة وإلى نواحي أخرى في منطقة جازان . (ابن جريس) .

(٥) أم الشرفاء: قرية تعرف في الشقيق باسم (أم الشرايف) ، والشرايف جمع شريف ، وهي في لهجة أهل جازان (الأرنب) ، وهي من قرى شرق بلدة الشقيق . (ابن جريس) .

(٦) حجير والنحوس من القرى الواقعة على وادي عرمرم في محيط بلدة الشقيق . (ابن جريس) .

(٧) أم الدغابيس: قرية غرب بلدة الشقيق ، والدغابيس واحدة دغبوس ، ثم شجر معروف بهذا الاسم . (ابن جريس) .

وادي حليّ (أو وادي البرك)^(١) . في سلسلة تتقف عليها قرية الشعبين المهمة . بلاشك أن الواديين يعودان إلى تاريخ اليمى في العصور الوسطى . يجري ريم من هنا عبر قسمين من رجال ألمع وهي قرية مهمة أخرى داخل حزام التلال^(٢) ، ليعبر إلى الأرض المرتفعة البركانية الخارجية ، ومنها إلى السهل ثم البحر . يجب أن يعد عمرمرم في هذه الحالة ، مصرفاً ثانوياً للمنطقة البركانية ، على الرغم من أننا عندما عبرناه بدأ لنا أكثر مهابة من ريم . لقد ذكرت الأرض البركانية في تعابير عامة وذلك على الرغم من أنها ذات نقاط بارزة ، إلا أنها في معظمها مساحة منخفضة غير مميزة ، تتقارب تدريجياً إلى طريقنا إلى الشمال وتصل إلى البحر داخل أرض رقبة المهيبة ، التي يمكن رؤيتها من عند الشقيق ، كما كانت هناك بعض التلال في جوار البرك ، تسمى الأرض الرملية على امتداد ساحل البحر إلى الجنوب من وادي ريم أبو المرو^(٣) . توجد بها بئر واحدة جيدة ، ولا يوجد سكان . لقد انحدر وادي ريم أثناء السيل الكبير الأخير من الجبال وقد هجرت كل العشش التي على مستوى الوادي ، غير أنه لم يحدث ضرر كبير .

أكرم العسكري على مجموعتنا بما فيه الكفاية من اللحم والأرز ، غير أن طبيخه لم يكن جيداً ولم تكن الوجبة مثيرة للشهية . شاركنا الحاج القادم من حيدر أباد في الوقت المناسب لتناول الطعام ، وقد ناولته مبلغاً صغيراً يساعده في الطريق ، ذلك أنه ينوي السير أثناء الليل على قدميه . لم نر بعد ذلك الهنديين الآخرين ولا بد أنهما قد عبرا إلى ما يلي هذا الموقع . أخذنا زوجاً جديداً من الحمير من هذا المكان ومرشداً جديداً . إلا أن بداية الرحلة قد تأخرت قليلاً بسبب أن حماري له قطعة رفيعة جداً يقولون إنها للجام^(٤) . رأيت أن هذا ليس بالأمر الآمن ولا اللائق مع كرامتي ، ولم يجد ضابط الشرطة الذي يجلب الغنم بداً من إرسال أحد إلى السوق لإحضار قطعة من الحبل تحل مكان اللجام ، وكان هذا هو أحسن ما أمكنه عمله . بدأنا السير وسرعان ما كنا نخوض

(١) لمزيد من الإيضاح عن بلاد البرك ، انظر: عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبده ، من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) (د . ت / ١٤٢٠هـ) ص ١٤ وما بعدها . (ابن جريس) .

(٢) إذا أردنا ذكر (قرية رجال) ، فإنه يكون إبرادها بهذه الطريقة ، وليس كما ذكر فيليبى ، ب (قرية رجال ألمع) أما عموم رجال ألمع فإننا نقول (بلاد رجال ألمع) . وهي أرض واسعة تتكون من عشرات القرى والعشائر . أما قرية الشعبين فهي من قرى رجال ألمع الرئيسية ، ويوجد فيها اليوم العديد من المؤسسات الإدارية الحديثة . (ابن جريس) .

(٣) أبو المرو : من الأمكنة المعروفة قديماً قريبة من بلدة الشقيق ، وهناك مواضع أخرى تحمل نفس الاسم في منطقة جازان ناحية العارضة وغيرها . (ابن جريس) .

(٤) اللجام : قطعة من الحديد مربوطة يوضع من خلف رأس الحمار ، في حين أن هذه القطعة الحديدية تكون في فم الحمار أثناء ركوبه ، كي يزرع ويحد من الانطلاق وإيذاء راكبه . (ابن جريس) .

بدلاً من أن نسير فوق غابة طرفاء مبللة بمياه السيول ، استمرت حتى طرف مزارع قرية أم الدغابس. كانت مزارع نخيل التمر ومزرعة منها صغيرة في بئر مقدم جنوب وادي ريم هي أولى المساحات لهذه الشجرة النبيلة التي نراها في كل هذا الجزء الجنوبي من تهامة . كانت مساحتها أكراً واحداً فقط وكانت منتجة ، إلا أنها بالمعيار المحلي فإن أجود التمر في كل هذه المنطقة هو ما تنتجه ذهبان^(١) ، إلى مسافة ناحية الشمال . شاهدنا على طرف القرية وعلى جانب الطريق مشهداً غير عادي لاثنتين من مدافع قديمة كبيرة مفككة ، لا يُعرف شيء عن تاريخها^(٢) . ربما كانت بقايا من أزمان نابليون أنزلها هنا الأتراك لحملة ضد الإدريسي أو ضد اليمن . كان نبات الرين الأصفر الأزهار متوافراً في كل هذه المنطقة الغدقة ، ويبدو أنه عشب ضار تصعب إزالته ولا فائدة منه لأي أحد أو لأي شيء . كما كان هنالك الكثير من عشب نجيلي قصير يسمى نجمة ، وبالطبع كتل من الطرفاء في كل مكان ، وبعض العلقى ، بينما كان محصول الصيف للدخن الذي يزرع مع السيل الأخير ، قد برز إلى السطح في مجموعات خضراء جذابة .

تتابعت مزارع النحوس مع تلك لأم الدغابس ومررنا فوق دلتا عرمم الذي ينشق مجراه على مسافة ناحية الشمال الشرقي ، تاركا مياه سيوله تنتشر بلا ترشيد وتندمج مع دلتا ريم . تغطي هذه المنطقة كتل ضخمة من نبات السواد الذي يسمونه محلياً (حمض) وهو ضرب من جنس الفربيون يصنعون منه نوعاً بدائياً من مسحوق الصابون. أضافت شجرة الدوم واحدة ، وثلاث أو أربع شجرات نخيل التمر تنويعاً إلى المنظر ، كما كانت طيور القناير المتوجة تغني بلا توقف أثناء مرورنا . أكلت الحمير نبات السواد وهي تتعثر في جهد حتى عبرنا خارج الدلتا إلى أرض كثبان رملية فوق أرضية طينية ، سيطرت الرمال سريعاً على المنظر. تقع أمامنا أرض رقبة ومعها سلسلة محاليل عسير^(٣) . على يمينها والتي عليها يتعرج طريق الحاج فوق سهل البرك^(٤) . تمتد الكثبان الرملية أحياناً في موجات منتظمة ذات ارتفاع ، وبصفة عامة فقد كان المنظر غير مثير

(١) ذهبان من الأودية الرئيسية في محافظة البرك ، وهو حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) من مراكز البرك الإدارية، ووادي البرك غني بأشجاره ومياهه قديماً وحديثاً . (ابن جريس)

(٢) هذه المدافع من بقايا الأتراك أثناء خروجهم من بلاد عسير عام (١٢٣٧هـ/١٩١٨م) . مقابلة مع عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبده ببلدة البرك في (٢٠/١٤٢٥هـ) . (ابن جريس)

(٣) محاليل عسير: هو الاسم الصحيح لهذه البلاد التي تبعد عن مدينة أبها ناحية الشمال الغربي بحوالي (٨٠) كم ، وهي واحدة من محافظة منطقة عسير الرئيسية . وليس اسمها (حائل) كما ذكر فيليبي . ونلاحظ أن هذا الرحالة اجتاز أراضي الحريضة حالياً ، ولم يذكر عنها أي شيء ، لأنها كانت أرضاً قفراً آنذاك . (ابن جريس)

(٤) هذه المنطقة التي يذكرها فيليبي في هذه السطور القليلة أصبحت تتبع إدارياً لمنطقة عسير ، في حين أنها إلى عام (١٤٢٠هـ) كان الطرف الشمالي منها (بلاد البرك وما حولها) تتبع إدارياً لإمارة مكة ، أما طرفها الجنوبي (بلاد القحمة وغيرها) فكانت تتبع إدارياً لمنطقة جازان. (ابن جريس)

ومضجر حتى وصلنا إلى مجرى وادي نهب^(١)، كان جانباه المسطحان مهملتين بأشجار البالميتو والشجيرات الصحراوية الخفيفة مع بعض الدوم، بينما لمحنا على مسافة نصف ميل مع اتجاه الوادي، بحيرة تربط المجرى مع البحر، ينطلق هذا المصرف من الأراضي البركانية المرتفعة في جوار سلسلة عيبية على بعد بعض الأميال ناحية الشمال الشرقي من موقعنا. أشار دليلي عند نقطة قريبة من هذه الأرض المرتفعة والتي تسمى حصن العوادي إلى أطلال لقلعة قديمة، ربما تعود إلى العصر الإدريسي. مر بجوارنا اثنان من الهنود في طريقهما إلى مكة، رجل طاعن في السن يسير على مسافة (٣٠٠) ياردة خلف شاب قوي، ربما كان ابنا له، وكان يحاول جاهداً أن يلحق بخطاه حسب ضروريات الحالة.

عبرنا الامتداد الرملي للوادي بعد وقفة قصيرة لاستيعاب المنظر، أدركتنا خلالها قاطرة عفشنا وتقدمت علينا، لنواصل سيرنا داخل بهو يضيق دائماً بين أرض الحمم البركانية والبحر، مع شريط عريض من أشجار البالميتو على الجانب الأرضي الداخلي للممر، وكثير من نبات الثمام والحلفاء في كل مكان. كانت بلاداً صعبة غير أنه كانت تشاهد فيها آثار لحركة السيارات هنا وهناك حيث يمكن اختراق السطح. لقد كان هو الطريق الوحيد المتوفر لأي نوع من الحركة، وحتى للسير على الأقدام فقد كان طريق الحمم مستحيلاً^(٢). لقد طوقتنا الآن ناحية البحر في شريط شبه دائري يمتد من هضبة حصن العوادي، عبر سلاسل جبلية ومحاليل إلى الرقبة الذي غسلت أقدامه الأمواج^(٣). ينحدر خلال هذه البلاد الصعبة مسيل مدع لينتهي في مسطح سبخة واسع^(٤)، يقال إنه لا يمكن السير فيها تحت ظروف البلل لأي ضرب من الحرة، كان المار يختار طريقه على حافة الحمم البركانية، أما السيارات فعليها أن تنتظر حتى يجف المسطح^(٥).

(١) وادي نهب: تأتي منابعه من جبال محافظة محاليل، وتحديدًا من أراضي قبائل ولد أسلم ولتين في مركز قنا. (ابن جريس).

(٢) هذا الرحالة يسير تجاه الشمال الغربي في البلاد الممتدة من الشقيق والحريضة نحو بلاد القحمة، وهي إلى حد ما قديما وحديثا قليلة السكان، وأحيانا عديمة الاستيطان، ومعظم السكان الذين كانوا يعيشون قريبا من هذه البلاد بدو رحل، وبقوا على هذا الوضع إلى وقت قريب، ثم صاروا يستوطنون المستوطنات البشرية الحديثة في الحريضة وغيرها. (ابن جريس).

(٣) الرقبة: ناحية تقع ضمن مركز الحريضة. وهي تبعد عن وسط المركز شمالاً حوالي (٦-٨ كم)، يذكر أنه كان فيها إلى عهد قريب نقطة عسكرية لسلح الحدود، ثم ألغيت، ويقع على ساحل البحر مقابل هذه البلاد منتجع القوات المسلحة حاليا. (ابن جريس).

(٤) مسيل مدع: يقع إلى الشمال الشرقي من الرقبة، ومياهه تأتي من بعض مرتفعات محافظة محاليل عسير. (ابن جريس).

(٥) يتضح من كلام هذا الرحالة أن السيارات وصلت البلاد في بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) (ابن جريس).

يوجد ثقبان مائيان في زاوية حقل الحمم البركانية ، حيث يدخل المسيل إلى المسطح ، تسميان الميعان في مجموعة صغيرة من أشجار الدوم والنخيل مع انتشار كبير لأشجار البالميتو . الماء صالح للشرب ، بالرغم من أنها تبدو منقرة داخل ثقوب ضيقة عمقها حوالي القدم الواحد ، متماسة مع حافة الحمم البركانية ، التي اختلطت هنا مع حجر مرجاني مملوء بالحفريات الإسفنجية . قمت بفحص المنطقة بعناية وتوصلت إلى الاستنتاج بأن الشعاب المرجانية لا بد وأن تكون قد تكونت قبل انفجار البركان ، الذي دفع بالحمم البركانية عبر سطح الشعاب المرجانية التي قاومت جزئياً تغلغل اختراق الحمم لها وتم رفعها كاملة إلى أعلى . تغطي الشعاب المرجانية في بعض أجزاء الحمم البركانية عند ارتفاع معتبر فوق سطح البحر . يتضح أن هذا المسطح المحلي كان جزءاً من أرض انحسر عنها البحر إلى مسافة ميل واحد على الأطراف الحالية لخليج صغير ، ينتهي إلى انبعاج جميل تحفه غابة المانجروف . يطوف ممرنا الخارجي مع الحافة الداخلية لهذا ، مسافة فوق طريق معبد صناعي من كتل حمم صعبة . أصبحت الصورة العامة للأرض البركانية واضحة الآن ، وكل النقاط البارزة المختلفة كانت مخاريط بركانية قديمة بعضها تكسر بعوامل طبيعية . كان هنالك الكثير من نبات خزامى البحر في الخليج الذي يقع بين الحمم البركانية وحزام غابة المانجروف^(١) . كانت غابة المانجروف نفسها والخليج فيما يليها مصدر وجبة سمك لمستعمرات من طيور البلشون ، التي طارت حينما مررنا بجوارها . رأيت أيضاً طائر بجع منفرد يخوض في الخليج بعيد عن مدى بندقيتي .

كانت مسيرتنا صعبة جداً فوق الصخور ، ونحن نمر من البهو إلى ساحل تكسوه الحمم البركانية وخليج يمتد إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) ياردة على جانبنا الأيسر ، وساحل مرجاني قديم قريب منا على اليمين ، وقد ارتفع فوق سطح البحر في مواجهة صخرة من الحمم البركانية تقع خلفه . عبرنا خليجاً كبيراً من السبخة بعد أن ابتعدنا عن الخليج المائي على حافة الحمم البركانية ، كانت تنمو عليه أعشاب خزامى البحر وغابة منظمة من المانجروف على جانب البحر .

اتسعت المسافة بين البحر والحمم البركانية في هذا الموقع إلى مدى الميل الواحد ، بينما مررنا في أحد المواقع بمساحة معتبرة من مسطح الماء على يميننا ، وقد انغزل من الخليج المائي . كان عرض الساحل لا يقل عن الميل الواحد عندما اقتربنا من صعود الحقل الحممي البركاني الحقيقي ، وكان طريقنا يقع أولاً فوق الشعاب المرجانية ثم فوق

(١) الذاهب في أرجاء هذه البلاد الواقعة بين الحريضة والقحمة يلحظ كثرة الأحجار والمعالم الجغرافية البركانية ، كما يشاهد وجود الكثير من النباتات والأشجار الطبيعية . (ابن جريس) .

خليط من شعاب مرجانية وحمم بركانية ، ثم فوق انتشار خفيف لحمم بركانية مندلفة فوق الحقل الرئيسي . وقف مخروط رغبة من فوقنا وينحدر منه مسيل يجري إلى أسفل من الحافة الشرقية المكسرة لفوهة البركان . تجري قاعدة البركان تجاه الجنوب الغربي من الموقع الذي يبدأ فيه الطريق إلى الصعود ، وحتى حافة البحر على بعد ثلاثة أرباع الميل ، والذي منه تصعد مرة أخرى إلى جدار من الحجارة المختلفة من رماد البراكين وحمم بركانية على ارتفاع (٥٠٠) قدم . كان طريقنا ضيقا جدا يخترق بركة الجلاميد البركانية ، متكومة في أكوام غريبة الشكل الطبقي فوق أرض من الحجارة البركانية ، أو ربما شعاب مرجانية وقد حرقها الانفجار البركاني ، تمتد شرقا في حزام عريض من سفوح رغبة ، الذي تجري قاعدته في هذا الموقع في اتجاه مواز لنا على مسافة ثلاثمائة ياردة . كانت قافلة عفشنا ترزح مجهدة أمامنا ، وكان خلفها أحد الأعراب تصحبه امرأتان وجمل وبعض الأغنام ، - أيضا مثلهم في الجهد - . أمكننا رؤية حاج هندي عند نهاية الطريق يسير وحده ، بينما إلى مسافة من ورائنا ، وعلى مستوى الساحل ، يمكن رؤية ثلاثة هنود آخرين وهم مسرعون .

استغرق وصولنا إلى قمة الطريق حوالي عشرين دقيقة ، ولم تكن بأكثر من مشتي قدم فوق سطح البحر ، إلا أن الوصول إلى هناك كان عملية مرهقة أثناء أدائها . يصعب التصديق بأن السيارات يمكنها أن تقطع هذه المسافة من لسان الحمم البركانية في أي موقع منها ، إلا أنه وبلا شك قد تم ذلك في المناطق المكشوفة إلى الداخل التي لا يعرف دليلي عنها شيئا ، ولعلها تكون على شريط يربط بين مشرب المعيان ووادي بشير على الجانب الشمالي للحمم^(١) . لاحظت هنا أن الصخر البركاني الأبيض كان مختلطا مع الأصدا ف وسجلت الاستنتاج المبدئي بأنه إما أن يكون قد تم سحقه وتحول إلي مرجان أو هو خليط من المرجان مع رماد بركاني . كان المنظر من قمة الطريق مؤثرا ، وكانت جزيرة كتمبل هي السمة الأساسية لها - وهي تركيب مخروطي هرمي من صخر أسود يسبح في البحر كأنه جبل جليدي ضخم إلى البعيد خارج الساحل^(٢) .

كانت واحدة من بين العديد من المخاريط البركانية التي تنتشر في المنطقة كلها التي تقع داخل نطاق الرؤيا ، إلا أنها كانت الوحيدة التي يمكن ملاحظتها داخل البحر بالفعل . كانت رغبة نفسها مؤثرة باتساعها إلا أنها مكسرة على القمة وأطرافها

(١) مشرب المعيان ووادي بشير من المعالم الجغرافية التي تقع بين الحريضة والقحمة ، وما زالت هذه المواضع ماثلة للعيان حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(٢) جزيرة كتمبل: تقع جنوب غرب مركز القحمة ، وهي جبل بركاني ، جزء منه صخرة وسط البحر ، يوجد فيها بعض الآثار والقبور القديمة ، تبعد عن شاطئ البحر حوالي نصف ساعة تقريبا . وهي من الجزر التي يراد استصلاحها سياحيا حتى تكون إحدى المتنزهات البحرية الهامة في منطقة عسير . (ابن جريس) .

الداخلية كذلك، بينما تحتل وسم^(١)، وهي علامة أرضية مهمة بارزة في القحمة، المركز الثاني من الناحية الجمالية بعد كتمبل. تقف وسم على حافة الماء على الجانب البعيد من ميناء القحمة التي تشرف عليها تماماً. يرتفع رقعة - وهو شبيه بالجبل الجليدي أيضاً - على الجانب القريب من وسم، بينما كان المنظر الداخلي من القحمة وجنوباً منقطاً بعدد من المخاريط وكتل بركانية أقل حدة. كان من أبرز هذه كل من الخرمى^(٢) والحمة^(٣) ومحايل^(٤)، بينما علم مجرى وادي الحمضة شريط من الروابي، من أولى هذه إلى البحر أمام القحمة. نستطيع رؤية حصن العوض ناحية الشرق من موقعنا وعلى قمته القلعة المدمرة^(٥). ألقينا نظرة، مباشرة أسفل موقعنا وعند النهاية بطريق سهل يقود إلى أسفل لسهل النميش الذي يكثر فيه شجر الدوم على امتداد مجرى ضحل صريفي^(٦)، يجري بدوره على امتداد الطريق البعيد لحقل الحمم البركانية تجاه البحر على الجانب الشمالي لرغبة، الذي تغطي كتلته المرتئية لنا حوالي ثلاثين درجة على مسافة ثلاثمائة ياردة من موقعنا.

وصلنا إلى السهل خلال عشر دقائق متجهين ناحية الشمال الغربي، على الجانب الأيمن لخط الصرف، الذي نحفه وتوجد بداخله أشجار طلع بينما اكتسى السهل بينه وبين الساحل بأشجار خفيضة جافة، وحشائش مع بعض شجر التنضب من حين لآخر. كان السير هنا جيداً فوق أرض ثابتة طينية ووصلنا بعد مسيرة نصف ساعة إلى رأس خط الصرف الذي يوجد فيه على مسافة نصف ميل إلى اليمين مجموعة من الثقوب المائية (ملازم) تسمى نميشاً، ينحدر خط الصرف هذا من مخروط وسلسلة محايل التي منها ينحدر مجرى صرف آخر يتجه إلى الشمال مع طريقنا ليتصل مع وادي

(١) الوسم: جبل الوسم غرب القحمة، يوجد على رأسه حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) قوة عسكرية للدفاع الجوي، ويبعد عن الشاطئ حوالي (٣كم). (ابن جريس)

(٢) الخرمي: وينطق أيضاً جبل الخرماء شرق مركز القحمة، يوجد فيه كهف استخدم في القرون الماضية لإيواء المواشي وقت الأمطار. وهذا الكهف ربما كان من عمل الإنسان، وليس تكويناً جيولوجياً كما يظن بعض الناس. (ابن جريس)

(٣) الحمة: موضع على شاطئ البحر، وهو أقرب إلى مركز ذهبان التابع لمحافظة البرك. (ابن جريس)

(٤) محايل: مدينة في تهامة عسير، وهي ناحية متحضرة والمركز الرئيسي لمحافظة محايل عسير. (ابن جريس)

(٥) لم أجد مكاناً بهذا الاسم، وهناك حصن آخر شرق القحمة بحوالي (٨كم) يطلق عليه اسم (حصن الجداوي)، وربما كان الحصن المقصود. (ابن جريس)

(٦) النميش: عقوم أو زبر مفرد (زبير) المياه. وهناك موضع شمال الحريضة يدعى أيضاً النميش، وهو الذي يقع فيه منتجع القوات المسلحة حالياً. (ابن جريس)

بشير الضحل أمامنا^(١). وجدنا أحد روافده يتفكك داخل الطريق ، إلى رواب رملية ينمو عليها الدوم ، وفيما يلي هذه لا يوجد ماء إلا في مواسم جيدة السيول . خرجنا إلى سهل سبخة واسع فيما يلي هذه المجموعة من أشجار الدوم تكسوه حشائش شحيحة وشجيرات حمض خفيضة ، وتحفه على أحد الجانبين سلسلة رملية خفيضة قريبة من الساحل وعلى الآخر كثبان تمتد إلى الخلف إلى حافة حقل الحمم البركانية من حول الخرمل . توجد فجوة واسعة بين هذا القسم لحقل الحمم واندلاقه براكين الحمّة ، ينحدر خلالها وادي بشير الذي يأتي من سلسلة السوداء إلى الخلف من بعيد^(٢) . تقف سلسلة جب المنخفضة التي^(٣) - كما قيل لي - يوجد فيها بقايا المقبرة الهلالية ، ويربطه الأهالي بالأساطير المحلية لقبيلة بني هلال^(٤) .

ليس لوادي بشير نفسه أهمية كبيرة ، فهو منخفض واسع رملي وضحل ، وبه العديد من البرك المألحة في مجراه . يمتد الوادي على مسافة نصف ميل مع اتجاه أسفل الوادي من موقع عبورنا على امتداد قدم رقعة على جانبه الجنوبي ليصل إلى البحر ، على بعد ميل ونصف الميل ، بالقرب من ثقوب ماء الحفائر . تقع هذه داخل مجموعة من التلال الرملية عند حافة الماء ، ويقال إن مياهها ممتازة وحلوة .

سرنا فوق أرض رملية فيما يلي وادي بشير مغطاه بكثبان مكسوة بالحشائش تنتهي بجوار البحر في منطقة كثبان سنامية جميلة . قابلنا فيها الحاج الهندي وقد عمد إلى الراحة بعد سيره على الإقدام مسافة طويلة ، وكان ينتظر صلاة المغرب ، غير أن قافلة عفشنا لم تصل بعد ، التي كانت قد استفادت من توقفنا في حقل الحمم البركانية لزيادة سرعتها ، لإصرارها على الوصول إلى قدور لحم القحمة لعشاء الليلة . إنه لمن المدهش أن نجد أن الجمال المرهقة يمكن أن تفعل العجائب إذا كان سائقوها بين خيارين إما أن يتناولوا عشاء مسافر في الصحراء . بدا لي أن طاقة الجمال في هذه الحالة بالذات قد وضعت في غير مكانها ، أخبرتهم بمنتهى الوضوح حينما قابلتهم في اليوم التالي ، لأن ذلك قد تسبب في تورطي في مسيرة مدة ثلاث ساعات في الظلام . فقدت بذلك ملاحظة تفاصيل مساحة صغيرة لهذه البلاد الساحلية ، بما أنها لم تكن تستحق ذلك . غطينا فيما تبقى لدينا من ضوء النهار وضوء الشفق منطقة الصحراء ، ذات الأشجار

(١) وادي بشير : أحد المواضع في مركز القحمة . (ابن جريس) .

(٢) السوداء : من الجبال التي تقع شرق مركز القحمة حول بلاد بحر أبو سكيمة وقتنا وما حولها . (ابن جريس) .

(٣) جب أو الجب : وادي جنوب شرق القحمة ، يصب في موقع على البحر يسمى مغزل ، وفيه الآن مصنع الثلج وبعض الاستثمارات العقارية الحديثة . (ابن جريس) .

(٤) مازال حول الجب مقبرة لقبيلة المنجعة ، وليست هلالية أو لبني هلال كما يذكر فيليبي . (ابن جريس) .

الخفيضة فيما يلي وادي بشير ، وكذلك حزام سبخي عريض فيما يلي الوادي يمتد من حمم الحمّة البركانية إلى مسافة ميلين على يميننا ، ثم إلى البحر .

دخلنا إلى دلتا وادي حمضة العريضة في وسط كل ذلك ^(١) ، مع انطباق الظلام عند الساعة (٦ ، ٢٠) . كنت أتعثر في الظلام ولم أكن قادرا على تسجيل مذكراتي ، ولم أصل إلى القحمة حتى الساعة (٩ ، ١٥) . وأنا غضبان ومرهق . ضخم الظلام - بالطبع - كثافة عرض حزام الغابة التي ملأت الدلتا ، غير أنها في بعض الأجزاء بدأت صعبة الاختراق . كان علينا أن نبحث عن المجرى الرئيسي في منتصف الطريق عبرها ، وكذلك الطريق الصعب لسلسلة حمضة فيما يليها ، والغابة الأكثر كثافة فيما بعدها . كنت أود رؤية هذه البلاد نهاراً ، ولابد أنها كانت جنة للطيور ، غير أننا لا بد أن نواصل السير جادين لنذكر رفاقنا ، الذين كان في حوزتهم كل طعامنا وعفشنا . قيل لي إنه في مكان ما في مجرى حمضة توجد قرية بحر ^(٢) بينما تقع قرية الخسعة الصغيرة لصيد الأسماك وبها مرسى صغير لقواربها على الساحل عند طرف الدلتا على الجانب الشمالي ^(٣) .

خرجنا أخيراً من الغابة إلى سبخة واسعة مسطحة ، تعترض طريقنا من حقل الحمم البركانية إلى الساحل وتندمج في نهاية الأمر مع منطقة رملية يصعب وصفها التي وصلنا فيها إلى أول مجموعة من أشجار النخيل التابعة لجوار القحمة . لا تتأثر أشجار النخيل بالترب والمياه المالحة ، وتتلقى هذه الأشجار ذات التوزيع الخارجي كميات وافرة من كليهما . كانت الأولى منها هي المسبخية مزرعة نخيل وبها عدد قليل من عشش المستأجرين ^(٤) .

يجري طريقنا فيما يلي هذه مدة نصف ساعة خلال مزارع مهملة واسعة ، منقطعة ، ومتعرجة ، تابعة لقرية مغزل ^(٥) . تفصل مسافة بين هذه وبين قرية بريطان ^(٦) ، ذات

(١) وادي حمضة : من الأودية الكبيرة في مركز القحمة تبدأ منابعه من جبال محافظة محاليل الغربية ، يتصل بوادي يتمة ثم قرى المطعن ورقة الصفراء حتى يصب في البحر جنوب القحمة . وهو من المصادر الرئيسية لسقيا مزارع الذرة والدخن وغيرهما . (ابن جريس) •

(٢) قرية بحر : من المواضع الموجودة في وادي حمضة وليست بلدة بحر أبوسكينة التابعة لمحافظة محاليل . (ابن جريس) •
(٣) الخسعة : مكان الميناء قديماً ، والآن مرسى للقوارب ، ويبعد عن وسط مركز القحمة في الناحية الجنوبية الغربية (٨ كم) . كان مأهولاً بالسكان ، ثم هجر ، وما زالت آثار مقابر وحصن أثري ماثلة للعيان ، ويوجد على الناحية الشرقية فيه حالياً إسكان وزارة الداخلية . ويذكر بعض الرواة أن هذا الميناء استخدم في تسعينيات القرن (١٤ / ٢٠ م) لنقل بعض المعدات لإصلاح وشق طريق القحمة جازان . (ابن جريس) •

(٤) المسبخية : الاسم الصحيح (المسبخية) ، المترجم هو الذي وقع في الخطأ ، وتقع جنوب القحمة بحوالي (٦ كم) ، وهي خالية حالياً من الاستيطان البشري ، ومزارعها وأشجارها تراجمت وقلت كثيراً . (ابن جريس) •

(٥) مغزل : قرية قديمة ، تبعد إلى الجنوب عن وسط القحمة (٤ - ٥ كم) ، وهي حالياً مأهولة بالسكان ، وفيه نشاط عمراني حديث ، وزروع ونباتات متنوعة . (ابن جريس) •

(٦) بريطان : ناحية قديمة وقرية من قرية مغزل . (ابن جريس) •

الحمم المتوسطة ، تليها مشقور التي تقف فوق تربة أفضل^(١) ، وتبدو مزدهرة بخطوط أشجار نخيلها العالية الممتدة على جانب الطريق إلى عمق (١٠٠) ياردة على الجانب. لم يبق علينا الكثير لتغطيته ، غير أن حماري قد سقط مرتين في هذه المرحلة الأخيرة ، كانت الثانية منهما حينما كنا نعبّر الخليج (أو القنال) الضيق . خضت طريقي إلى الساحل وغطيت بقية المسافة مشياً الأقدام .

أعترف أنني وصلت إلى القحمة وأنا في مزاج متعكر ، وسيان لو كنت مخطئاً أو مصيباً ، فإنني أعتقد أن الحاكم المحلي لم يكن لبقاً حينما أرسل رسولا عنه لتحيتي بدلاً من أن يأتي هو بنفسه . أخبرني الرسول أن الأمير ينتظرنى في منزله وذلك لوجود ضيوف معه . كانت إجابتي أنني لن أتحرك من هذا الموقع . ظهر الحاكم بعد ذلك أمام مدخل الجناح المخصص لي ولجموعتي ومعه كل ضيوفه وكل حاشيته ، ودخلنا فوراً في تبادل للاعتذارات وفي هذه الأثناء دارت فتاجين القهوة . أدركت في حينها أن عبد الله بن عيسى ، حاكم القحمة وهو من مواطني الرس في القصيم كان رجلاً ذا جاذبية كبيرة . كان في منتصف العقد الثالث وكان يتأتى في حديثه . لم ينقصه شيء من النبل المدني الذي يميز أهل المدن في محافظته هذه . كانت الرس ، بالرغم من أنها أصغر من بريدة وعنيزة فهي مميزة مثلها بوجود الأمراء التجار الذين أضافوا الكثير لقيادة القصيم وللحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية. تحسنت علاقتنا سريعاً ، وذلك لأنني كنت أعرف أسرته والعديد من أهل الرس^(٢) .

كان من بين رفاقه ابن نشوان ، ضابط جمارك محلي . أخبرني الحاكم أنه أخذ المبادرة ليدعوني لتناول العشاء ، ثم نهض جمعنا كله وتمشيناً في الظلام ، كلنا في مسيرة جلييلة إلى المركز أو المبنى الحكومي . جلسنا عند الساعة الحادية عشرة مساءً حول عشاء ممتاز ، عدت بعده إلى عشتي لأنال راحة ضرورية بالمستوى نفسه ، ونمت عميقاً لأصحو وقد انتعشت كثيراً . لم تزعجني حتى قطرات المطر القليلة التي تساقطت أثناء الليل ، غير أن السماء في الصباح كانت ملبدة بالسحب مع احتمالات لأمطار متوقعة .

كان علينا استبدال جمال العفش التي استأجرناها من صيبا بأخرى تأخذنا من هنا إلى القنفذة^(٣) . كانت المسيرة من صيبا إلى القحمة على أربع مراحل ، وكان الإيجار

(١) مشقور : مكان يطلق على بئر تسمى بهذا الاسم ، إلى الجنوب من القحمة بكيلين ، مازالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن ، وهي حالياً غير مأهولة بالسكان . ويذكر أن الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود خيم عندها أثناء حملته على اليمن في منتصف القرن (١٤/هـ ٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) فيلبى شخصية جاب معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية ، ووثق عن أكثرها كتباً وبحوثاً عديدة تعد مصادر رئيسية لتاريخ وحضارة هذه البلاد خلال القرن (١٤/هـ ٢٠م) ، لهذا فلا غرابة أنه يعرف بلاد القصيم ، والكثير من رجالها ورموزها فقد سجل عن تاريخها وحضارتها عشرات الصفحات ، وكل هذه المادة العلمية مطبوعة ومنشورة باللغة الإنجليزية ، وبعضها ترجم إلى اللغة العربية (ابن جريس) .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن بلاد القنفذة ، انظر : عاتق البلادي . بين مكة واليمن ، ص ١٠٧ وما بعدها . شرف

المتفق عليه هو نصف ريال لكل مرحلة ، أي ريالاً واحداً (سدس) لكل جمل لرحلة تستغرق حوالي (٧٠) أو (٨٠) ميلاً . يبدو الأمر رخيصاً جداً ، وقد أضفت مكافأة من عندي للرجال الذين اصطحبوا الجمال والذين كانت خدماتهم متضمنة داخل الإيجار بلا مقابل^(١) . تركت رفاقي ، بعد أن قمت بذلك ، لترتيب المواصلات الأخرى وذهبت للقيام برحلة استكشافية ، يرافقتني الحاكم وضابط الجمارك وحشد من مرافقيهم . تقع القحمة على خط عرض (١٨) شمالاً ، وتعلم الحدود الشمالية لمحافظة جازان الإدارية ، بالرغم من أن وضعها الطبيعي قد جعلها جزءاً من محافظة القنفذة ممتدة إلى الشمال^(٢) . تفصل القنفذة عن جازان بواسطة حاجز الحمم البركانية الذي يمتد من حافة البحر في رغبة ، وتتميز عنه بوضوح بحقيقة أن نخيلها هو نخيل التمور وليس نخيل الدوم . لا أستطيع تفسير لماذا لا تنتج جازان نخيل التمور - باستثناء مساحات صغيرة في الشقيق - على الرغم من أنها من أخصب أقسام تهامة العربية السعودية ، وتستطيع أن تنتج القطن واليندفو والسسمم والدخن وربما القمح والشعير ، وبكميات كبيرة إذا استخدمت مياهها بالطريقة الصحيحة . لم يكن الأمر متعلقاً بخطوط العرض ، وذلك لأن تهامة اليمن إلى الجنوب منها ، وتهامة السعودية إلى الشمال منها ، تنتج التمور . لا بد أن يكون الأمر متعلقاً بالتربة ، وهو أمر يستحق الدراسة .

مهما كان الأمر ، فإن أشجار نخيل التمور تؤدي دوراً حيوياً في تمييز التركيب الاجتماعي لقسمين متجاورين من تهامة . يعيش الناس في معظم الأجزاء في عيش في القحمة مثلاً والدرب ، إلا أن العيش هنا مبنية من سعف النخيل وليس من الوتل والأعواد بينما تسور الزرائب بحاجز من سعف النخيل بدلاً من بناء جدار من الأعواد^(٣) . توحى سعفات النخيل هذه بعدم النظام ، وبالتأكيد فهي لا تبدو نظيفة ، مثل غيرها ، إلا أنها مقاومة لعوامل الطقس وتؤمن خصوصية كاملة بينما ينصرف مواطنو القحمة لحاجة

البركاتي ، الرحلة اليمانية ، ص ١٣٣ . انظر أيضاً غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ - ق ١٥هـ / ق ١٦ - ق ٢١م) طبعتان (١٤٢٢هـ / ٢٠١١م) و (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) (٥٦٨ صفحة) . (ابن جريس) .

(١) أقول إن تاريخ الحياة الاقتصادية والإدارية في تهامة وبخاصة الأسعار ، والأجور والرواتب من الموضوعات المهمة والجديدة في ميدانها وتستحق أن توثق في عدد من الكتب العلمية من منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان في كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(٢) أصبحت البلاد الممتدة من شمال بلدة الشقيق إلى قرية سعيدة الصوالحة جنوب بلدة حلي تتبع إدارياً إلى منطقة عسير بعد أن كانت موزعة على إمارات مكة المكرمة وجازان وعسير . (ابن جريس) .

لمزيد من التوضيحات عن بناء العيش في مناطق تهامة الممتدة من البرك والقحمة شمالاً إلى أقصى بلاد جازان جنوباً ، انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ) ، ص ٤٩ - ٥٢ . (ابن جريس) .

(٣) لمزيد من التوضيحات عن بناء العيش في مناطق تهامة الممتدة من البرك والقحمة شمالاً إلى أقصى بلاد جازان جنوباً ، انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ) ، ص ٤٩ - ٥٢ . (ابن جريس) .

الحمام الداخلي^(١). تلحق بالعشة التي أعدت لي، مثلاً عشة صغيرة من المادة نفسها، مجهزة بمراحل من البازلت المثبت بالجبس والإسمنت، أو أحجار الحمم البركانية موضوعة حول الجزء الأعلى من الحفرة التي تصل إلى المياه المالحة تحت السطحية، التي تقوم بإتلاف كل شيء يصلها وتقضي بذلك على كل ما تنفر منه الأنف. توجد في القحمة مبان حجرية مبنية بصفة عامة من أحجار الحمم البركانية ومطلية بطبقة من الجبس^(٢). غير أن الأمير ورفاقه الضباط يفضلون الحياة في العشش، التي يعدونها أكثر برودة وصحية، لعلهم مصيبون في هذا في مثل هذا الطقس الحار الرطب في الجزء الأوسط من ساحل البحر الأحمر. كان مقر الجمارك بناءً من الحجارة يتكون من طابقين كما كانت كذلك أماكن الأعمال الخاصة بالتجار، وقد فضل بعض هؤلاء والنبلاء المحليون البناء الحجري سكناً لهم.

تمكنت من التقاط منظر ممتاز من سطح منزل الجمارك للمدينة وما جاورها، وما يلفت نظر المرء لأول وهلة هو أن القرية ليست قائمة على مجرى واد، ولكنها تنتشر فوق حافة مسطح سبخي يتجه ناحية البحر، بملأ الفراغ من وادي حمضة، وقد ورد ذكره^(٣). ووادي نجل إلى الشمال^(٤)، الذي هو الحدود الفعلية للمحافظة. يمتد لسان من البحر داخل هذا المسطح بين فجوة ضيقة من قرنين من السبخة، لتكوين الميناء، الذي ينقسم إلى قسم شمالي وقسم جنوبي، كل منهما يؤمن مرسى محمياً للمراكب الشراعية التي تزور المكان. يرتفع مخروط وسم فيما يلي القسم الشمالي^(٥). وتقريباً ناحية الغرب من منزل الجمارك، على بعد الميل الواحد على لسان من الأرض يبرز إلى داخل البحر ويحمي ذلك الجانب من المرسى.

(١) كانت بلاد تهامة من جازان إلى القنفذة والليث منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، من القش وغصون الأشجار، المعروفة بـ (العشش ومفردها عشة) ومرافقها. ولا تخلو هذه البلاد أيضاً من أبنية حجرية، وإن دخلنا إلى الأجزاء التهامة من الدرب ورجال ألمع ومحاليل إلى قلوّة والمخواة وتهامة الطائف فهي أيضاً مليئة بالأبنية الحجرية والعشش أيضاً. وهذا التراث المعماري القديم اندثر فالعشش لم يصبح لها وجود، والعمارات الحجرية اندثرت وهجر أكثرها، وحلت العمارة الحديثة المسلحة المنتشرة في عموم منطقة تهامة من جازان إلى مكة المكرمة. وتاريخ العمران القديم ومقارنته مع العمران الحديث ميدان واسع ويستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث العلمية. (ابن جريس) *

(٢) المقصود بـ (الجبس)، أي الجص. مادة تؤخذ من البحر، ثم تحرق وتطحن وتستخدم ملاطاً للجدران من الداخل والخارج. ويطلق عليها أحياناً اسم (النورة). ولها فوائد فهي تقاوم العوامل الجوية. وقد لاحظت أبنية قديمة في البرك والقنفذة، وهي مليسة بالجص منذ مئات السنين، وما زالت ماثلة للعيان حتى الآن. (ابن جريس) *

(٣) ورد له تعريف في صفحات سابقة. (ابن جريس) *

(٤) وادي نجل شمال مركز القحمة. بحوالي (٧كم)، ومسائله تبدأ من مرتفعات محافظة محاليل في الناحية الشرقية، وسكانه فخوذ عديدة من قبائل القحمة، ويمر على العديد من المواضع والقرى حتى يصب في البحر في بلاد القحمة، ويكثر فيه شجر الدوم. (ابن جريس) *

(٥) جبل الوسم: سبق تعريفه في حاشية سابقة. (ابن جريس) *

تنحني الحافة الداخلية لحزام النخيل من موقع يقع قريباً من القرن الجنوبي للميناء ، على وتر لطيف يمر على مسافة ثلاثمائة ياردة من منزل الجمارك على الجانب الشرقي ، وينتهي على بعد نصف الميل إلى الشمال منه .

يبلغ متوسط عمق هذا الحزام حوالي مئة ياردة ، بينما في صدر الساحل وبين النخيل والميناء تنتشر مناطق السكن الأربع ، وهي حشوة الجربا إلى الجنوب منها ، وإلى شرق منزل الجمارك ، وعنقة إلى جنوب وغرب حشوة الجربا وتكون المركز الإداري والتجاري بما في ذلك منزل الجمارك ودعامة الجسر ومقر سكن الأمير ، وأخيراً العرق وهي مجموعة صغيرة من العشش بها مسجد بارز على لسان الأرض الذي يفصل بين قسمي الميناء ، التي يقع مدخلها على مسافة ميل ونصف الميل إلى الجنوب الغربي من منزل الجمارك^(١) .

تقع قرية المشقور^(٢) التي تنفصل مزارع نخيلها عن تلك التابعة للقحمة بفجوة مقدارها ثلاثمائة ياردة ، ناحية الجنوب من موقعنا على جانب البحر لحزامها النخيلي على بعد ميل واحد .

تحتل قرية صيد صغيرة تسمى حرفاً^(٣) لساناً من الشبكة يمتد داخل القسم الشمالي للميناء إلى مسافة ثلاثة أرباع الميل ناحية الشمال الغربي من موقعنا ، بينما تقع قرية الحشافة^(٤) ومزارع نخيلها ناحية الشمال على امتداد سلسلة قدم على الجانب الأيمن لوادي نجل . يمكن ملاحظة عدد من المخاريط البركانية التي لم تشاهد من قبل - ليس أي منها مهما - بينما إلى وراء حقل الحمم البركانية تمكنت من رؤية ثلاث قمم للسلسلة الجبلية الرئيسية - لم أجد لها أسماء .

هكذا كان ذلك المنظر الذي رأيته من سطوح منزل الجمارك . ينتمي أهل القحمة إلى قبيلة تسمى المنجحة^(٥) ، غير أنني لم أستطع الحصول على أي معلومات حول علاقاتهم

(١) يقصد بالحشوة ، أي الحي أ ، أو الحجارة ، وسميت بهذا الاسم دلالة عن الترابط والتكاتف بين سكان كل ناحية . فهم متقاربون متلازمون متعاونون في جميع الأمور الحياتية . وحشوة العرق ، والجربا ، وعنقة جميعها وسط القحمة القديمة . كانت فيها مؤسسات الحكومة الرئيسية مثل الإمارة ، والشرطة ، وأيضاً السوق التجاري . وهي حالياً مهجورة ومندثرة ، وما زال يعيش قريباً منها بعض السكان في بيوت شعبية وأخرى مسلحة قليلة . وذكر لي أنها سوف تزال ويستفاد من أراضيها سياحياً . المصدر : تحولت في أرجاء هذه الأحياء في (١٦-١٧/٣/١٤٤٣هـ) . (ابن جريس) .

(٢) المشقور : خطأ مطبعي ، وهي بئر المشقور السابق ذكرها . (ابن جريس) .

(٣) قرية الصيد (الحرف) تقع شمال القحمة بثلاثة أكيال ، وهي غير مأهولة بالسكان ، ويوجد حرس الحدود قريباً من هذه الناحية ، وهي قريبة من شاطئ البحر . (ابن جريس) .

(٤) قرية الحشافة : شمال مدينة القحمة بحوالي (٥ كم) . كانت في السابق مأهولة بالسكان ، ثم هجرها أهلها بحثاً عن الماء ، وهي مندثرة حالياً . (ابن جريس) .

(٥) قبيلة المنجحة منتشرة في مناطق عديدة من تهامة عسير وجازان ، ومعظم فخوذها في محيط بلاد بحر

القبيلية ، التي يبدو أنه قد طواها النسيان منذ زمن بعيد من أذهان القرويين الذين انصرفوا لزراعة نخيلهم وصيدهم وتجارتهم الساحلية الثانوية . لم ينسوا إلى زمن قريب أن مناشطهم التجارية كانت أكثر ازدهارا مما هي عليه الآن . يقال : إن الطريق من القحمة إلى محایل في التلال ، وهو أفضل طريق إلى أبها ، هو أيضا الأقصر والأسهل مقارنة بذلك من القنفذة^(١) ، ويتعامل الناس هنا بنسبة تجارية عالية مع أبها والمنطقة التابعة لها^(٢) .

لقد تحسنت ظروفهم كثيراً حينما وسعت الحكومة السعودية مجالات فوائد التطور إلى محافظة القنفذة مع كل الممتلكات للتعريف المرتفعة والانضباط القوي . أصبحت القنفذة قبله الأنظار للتجارة مع أبها ، غير أن الحكومة قررت ، وقبل ستة أشهر من زيارتي ، أن تمد منافع الحضارة إلى هذه المنطقة أيضاً . تم تطبيق نظام تعريف جده وأنشئ مكتب للجمارك ليتحقق من تسديد كل الرسوم . ولا تستطيع القحمة أن تنافس القنفذة الثرية ، وماتت تجارتها لتتكيد الناس^(٣) .

ثالثاً : مشاهدات فيليبي ورحلته في البرك وما حولها :

كان الوقت متأخراً في الصباح عندما قمنا بزيارة مقر سكن الأمير لتناول طعام الإفطار . غير أن ارتياحي لهذا قد تكافأ مع اكتشاف في بأتنا لن نكون مستعدين لمواصلة رحلتنا . دار جدل كبير حول مساعي كل من يهمهم الأمر للحصول على الحمير ، والجمال والمرشدين^(٤) .

أبو سكيئة ، والحريضة ، والقحمة ، والدرب وغيرها . (ابن جريس) •

(١) للمزيد عن الطرق التي تربط بلاد الساحل بالمرتفعات الجبلية وبخاصة في منطقة عسير خلال القرن الهجري الماضي . انظر : السير كيناهان كورنواليس . Carnwallis . Asir Before World war lpp. 107-155 . (ابن جريس) •

(٢) كانت البلاد الممتدة من القحمة جنوباً حتى بلاد القنفذة شمالاً هي المنافذ البحرية الرئيسية لبلاد السروات الممتدة من الباحة شمالاً حتى بلاد قحطان ونجران جنوباً . (ابن جريس) •

(٣) من يدرس تاريخ وحضارة القنفذة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) ، فإنه يجدها الميناء الرئيسي لبلاد السروات . بل هناك مئات الوثائق الموجودة في تركيا ، وفي دار الملك عبدالعزيز ، وفي مكتبة الملك فهد الوطنية ، وفي وزارة المالية السعودية ، وجميعها تشير إلى الصلات الحضارية (الاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية) التي كانت سائدة بين موانئ البحر الأحمر مثل : القنفذة ، والبرك ، والقحمة وبين حواضر بلاد السراة مثل : أبها ، والنماص ، والباحة وغيرها . للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ - ١٥ هـ / ق ١٦ - ٢١ م) (الطبعة الثانية ، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م) ، (٥٦٨ صفحة) . (ابن جريس) •

(٤) هذه الفقرة بدأت في كتاب فيليبي : مرتفعات الجزيرة العربية ، تحت عنوان رئيسي هو (الفصل الثالث والثلاثون : الطريق الساحلي) (محافظة القنفذة) . ومن شمال مركز القحمة بدأت محافظة القنفذة التي أولها من ناحية الجنوب بلاد ذهبان والبرك . ونجد القحمة كانت تتبع إدارياً منطقة جازان خلال الحكم السعودي الحديث حتى عام (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ثم صارت البلاد الممتدة من الحريضة جنوباً إلى الصوالحة (السعيدة) شمالاً تتبع منطقة عسير ، وكانت في بادئ الأمر مركزاً ، ثم صارت مؤخراً محافظة فئة (ب) . (ابن جريس) •

لعل مضيفونا يرغبون أن نمكث عندهم حتى نتناول وجبة الغداء ، غير أنني قاومت كل محاولة تؤدي إلى تأخيرنا ، وعند الساعة الحادية عشرة والربع ، وبعد أن مثل أمامي المرشدان اللذان أوصى عليهما الأمير نفسه بأنهما كاملا العلم بالمواقع ، وبعض الحمير التي يفطر منظرها القلب إلى درجة بعيدة باعتبار طول الرحلة التي تنتظرها ، ركبت على أحد الحمير ، وتحركنا وأنا أرفع يدي بالوداع والشكر الجزيل للأمير وحاشيته المجتمعمة . سيتبعني الموكب حينما يجهز ، كما أن عملي في الطريق سيعطلني بما فيه الكفاية ليجعلهم يلحقون بي ويسبقونني .

اكتشفت سريعا أن مرشدي الجديدين العالمين ببواطن الأمور يجهلان كل شيء عن البلاد من حولنا . لقد عرفوا الطريق ، هذه حقيقة ، غير أن الحمير قد عرفت ذلك أيضا ، ويمكنها أن تقودنا عليه بمجرد أن تلتقط مفهوم السير إلى الأمام بدلا من توقف في مراعي بلادها . لقد نثرت أعواد الدخن فوق السبخة المبللة فيما يلي حدود المنطقة لكي يصبح الطريق أقل خطورة للحركة . عبرنا آخر عشة تابعة للقحمة خلال خمس دقائق داخل بهو طوله (٥٠) ياردة من البحر وحزام النخيل ، ثم اتجهنا سريعا ناحية الشمال الغربي من حول طرف الميناء ، نسير في اتجاه قمة قرين فيما يلي وادي نجل^(١) . عبرنا ذراعين ضحلين ممتدين من البحر إلى الأرض على سهل السبخة وكنا نمر على مسافة (٣٠٠) ياردة من قرية الحرف الصغيرة ، وقد امتدنا من قاعدة وسم مسافة إلى الداخل في اتجاه مخروطي أسلة ومحرق . كانت وسم تبعد على مسافة ميل ونصف الميل إلى يسارنا مع حزام من المانجروف على الجانبين القريب على امتداد الطرف الغربي للميناء . تقع مزارع نخيل الحشافة على بعد ميل واحد إلى يميننا فوق وادي نجل الذي يتوزع مجراه فوق سهل السبخة ولم نعبه بالفعل^(٢) .

سرنا على حافة حقل الحمم البركانية بعد أن عبرنا السبخة ، ويقع البحر وغابات المانجروف على مسافة ميل واحد إلى يسارنا عبر الساحل السبخي . يمتد وادي الشقيق^(٣) على بعد مسافة قليلة عبر ممر في واد سبخي ضحل واسع حيث أصبحت غابات المانجروف غابات حقيقية تلاحقت مع الطريق ، بينما تباعدت الحمم البركانية . انتشرت في وادي الشقيق أشجار الدوم في كلا مجرييه وكنا نستطع رؤية وادي زهبان قليلا وراء المجرى الثاني وقراه الصغيرة المبعثرة وأراضيه الغنية بنخيل التمر^(٤) .

(١) وادي نجل : سبق الإشارة إليه في حاشية سابقة . (ابن جريس) .

(٢) قربنا الحرف والحشافة ضمن مركز القحمة سبق الإشارة لهما . (ابن جريس) .

(٣) الشقيق : وادي يقع إلى الشمال من حاضرة القحمة ، يحده وادي زهبان من الشمال ، ومنابعه تأتي من مرتفعات تهامة عسير . (ابن جريس) .

(٤) وادي زهبان : من أودية محافظة البرك الرئيسية ، يبعد عن بلدة البرك نحو الجنوب (١٥ كم) . أرضه خصبه ومزارعه كثيرة ، يوجد شجر الدوم والنخيل بكثرة . وقد أصابها اليوم الكثير من التراجع والانقراض . ورد ذكره عند بعض الجغرافيين والرحالة الأوائل ، يقع وادي ضنكان الأثري في أعلاه . يوجد

كانت بعض مزارع النخيل ممتازة بدرجة باهرة كما لاحظتها حينما وصلنا إلى الوادي وتوقفنا لإجراء مسح عام للمنظر بجوار قرية الحباك^(١) الصغيرة عند النهاية مع اتجاه الوادي لمزارع النخيل والمحاصيل. تقع قرية طرق^(٢) الأكبر على مسافة ميل واحد تجاه أعلى الوادي بين مزارع نخيل كثيفة، بينما يمكن اعتبار مجموعة صغيرة من عيش مبنية من كتل الحمم البركانية عند طرف الحرة على الجانب الأيمن للوادي من ضمن مكونات الواحة. تسمى هذه القرية قرية الشيخ^(٣)، ولا يبدو أنها مأهولة، ذلك لأنها تستخدم فقط كموقع لنوم المستأجرين أثناء عمليات الزراعة والحصاد الخاصة بالدخن، الذي كانت مساحة زراعته واسعة في كل من المساحات المتناثرة حول الوادي، وخاصة فوق الأراضي المرتفعة على جانبيه حيث تكون الزراعة محمية بالحوجاز العالية ضد كل من السيول ومد البحر^(٤).

لقد أشرت إلى امتياز تمرور ذهبان محلياً على امتداد هذا الشريط من الساحل. لا بد أن يكون المحصول السنوي كبيراً نسبياً كما كانت المساحة المخصصة لزراعة الدخن مثيرة للدهشة، بل المدهش فوق كل هذا أن كل الوادي الذي يبدو وكأنه منخفض ضحل بدلاً عن وادٍ وذلك لأنني لم أجد كل ما يدل على وجود مجرى فعلي. كان الوادي تحت صورة من صور الزراعة. كما كان يحتوي على آبار عديدة، غير أن أشجار النخيل تحتاج للري في حداتها. حتى إذا ثبتت أشجار النخيل فإن عروقها تضرب إلى الأعماق إلى النطاق المائي الذي يكون عند عمق (١٠) أو (١٢) قدماً تحت السطح في كل هذه المنطقة المزروعة. ربما كان هذا هو سر ازدهار زراعة ذهبان، ذلك لأن السيول نادرة هنا^(٥).

فيه مركز إداري حديث يراجع محافظة البرك، وفيه العديد من القرى والمستوطنات البشرية، لا يخلو من بعض المؤسسات الإدارية الحديثة كالمدارس الحكومية ومركز الرعاية الأولية وغيرها. (ابن جريس) *

(١) قرية الحباك: قرية من قرى وادي ذهبان، تقع غرب الوادي عند مصبه بالقرب من البحر. كان مركزاً لحرس الحدود حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، كانت مليئة بالسكان، ثم هجرها أهلها، ولا يوجد فيها حالياً إلا بعض الصيادين. بينها وبين البحر مقبرة، وفي شرقها موقع يقال له الحصن. ثم بيع بعض أراضيها إلى بعض السرويين، وما زالت مهجورة، وقد يصلها التطور العمراني الحديث في قادم الأيام. (ابن جريس) *

(٢) قرية الطرق: من قرى وادي ذهبان الرئيسية في الناحية الجنوبية الشرقية، وفيها المركز الإداري ومليئة بالسكان الذين يسكنون في منازل حديثة مسلحة، وبعضهم في بيوت شعبية، وعلى مقربة منها العديد من الأحياء والقرى التابعة للمركز الإداري في قرية الطرق. يذكر أنها تعرضت لسيول كبير عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، مما استدعى إلى بناء سد وادي ذهبان لحماية السكان. (ابن جريس) *

(٣) قرية الشيخ: ربما سميت بهذا الاسم لأن شيخ الوادي يسكنها، ويطلق عليها أيضاً قرية الحرة، وهي مستوطنة قديمة وما زالت حتى الآن من أحياء وادي ذهبان الحديثة ومقر شيخ قبائل وادي ذهبان. (ابن جريس) *

(٤) هذه البلاد غنية بزروعها ومياهها منذ القدم، وأهلها في السابق جمعوا بين مهنتي الزراعة والرعي. وما زال وادي ذهبان حتى اليوم من الديار الغنية بوفرة مياهه وكثرة زروعه ونباتاته. (ابن جريس) *

(٥) وادي ذهبان: في محافظة البرك من الأوطان التي لها تاريخ حضاري متنوع، ومذكور في العديد من المصادر المبكرة، كما أنه لا يخلو من الآثار الكثيرة السطحية والمدفونة، ويستحق أن يدرس في بحث علمي موثق وورسين. (ابن جريس) *

يمثل آل ذهبان تجمعات خارجية من آل بني هلال التابعين للبرك ، وقد رأينا بيوتهم وقلعتهم ناحية الشمال الغربي من موقعنا قبل أن تخرج من آخر حقول الدخن فيما يلي الوادي. تمتع كل من البرك وذهبان - بالرغم من أنهما متضمنتان داخل محافظة القنفذة فيما يخص الأغراض الأميرية الخاصة بخزانة الدولة وغيرها - بدرجة من الاستقلالية المحلية كجيب قبلي تحت سيطرة رؤساء بني هلال في البرك ^(١). توجد غابة طرفاء قصيرة النمو وغطاء نباتي آخر في المسافات بين مزارع النخيل ، بينما كانت الخلفية العامة للقريّة من حقول حمم بركانية كئيبة تنحدر إلى الخلف إلى مخاريط عديدة وفوهات براكين وتشاهد من ورائها من القحمة الجبال العالية . قيل لي إن أحد هذه الجبال يسمى زرقان ^(٢). لم أشاهد حتى الآن الطيور النموذجية لجنوب تهامة وكنت أعجب لأننا لم نكن قد خرجنا تماماً من نطاق تواجدها . لقد كانت الإجابة عن هذا السؤال جزئية ، إذ ظهر طائر الشقراق الحبشي داخل حقول الدخن ، لا بد أن يكون هنالك الكثير منه غير أنني لم أر غيره .

استمر سفرنا ، باستثناء التوقيفات ، حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة ، عندما قرنا التوقف لأداء صلاة العصر ، والقيام بمسح عام عند الساعة (٤،٢٠) لسهل ناعم من دبال وأصداف إلى مسافة خمسمائة ياردة من ساحل البحر . جزيرة الجبل فيما يلي هذا ^(٣) ، وتتفصل عن الأرض الرئيسية بالمجرى الرئيسي مسافة ثلاثمائة ياردة ، وهي مسطحة النهايتين ، وترتفع في الوسط إلى مخروط لطيف يبدو أنه بركاني وكانت بعض نباتات خزامى البحر تتخلل الساحل بينما كانت صفحة الطريق على اليمين عبارة عن حاجز صلب من الحمم البركانية مع العديد من المخاريط التي ترتفع إلى مجال الرؤيا ونحن نسير شمالاً .

دخلنا إلى أرض مسطحة تكسوها جلاميد ضخمة من الكتل البركانية عدا ممر ضيق تم كشفه لحركة السير ، وذلك بعد أن طال انتظارنا لقافلة العفش التي لم تظهر في الأفق ،

(١) محافظة البرك الحالية الممتدة من القحمة جنوباً إلى بلاد السعدية (الصوالحة) شمالاً ، ومن البحر غرباً إلى حدود محافظات محال وبارق والمجاردة شرقاً مأهولة بالسكان ذات الأعراق العربية الأصلية . لها تاريخ سياسي وحضاري من عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسطى والحديثة والمعاصرة . وتستحق أن تدرس أرضها ، وآثارها ، وحضارتها عبر العصور . أمل أن نرى باحثاً جاداً يعكف على دراسة تاريخها وموروثها الحضاري . للمزيد انظر عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن علي بن عبده . من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) . (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) (٣٦٨ صفحة) . (ابن جريس)

(٢) جبل زرقان : يبدو أنه في المرتفعات الشرقية من بلاد البرك وذهبان والقحمة ، وقد يكون ضمن تهامة عسير . (ابن جريس)

(٣) جزيرة الجبل : مصب وادي الداهن . ويبعد هذا الوادي عن وادي ذهبان شمالاً حوالي (٥ كم) . ومنابعه تأتي من شرق محافظة البرك . وعند مصبه وعلى ضفافه الكثير من النقوش والآثار التاريخية التي يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد . (ابن جريس)

ويسمح الطريق لحركة السيارات أيضا. عبرنا فيما يلي هذا إلى فم وادي موضيية^(١). الذي يوجد على جانبه البعيد لسان بحري عبرناه ويقع فوق طريق مرتفع من صخور الحمم البركانية. وإجهنا على الفور وادي الداهن وفمه الواسع الذي يندمج مع مجرى موضيية ويغطيه أيضا ذراع من البحر ودرنا حوله بجوار مجموعة صغيرة من أشجار النخيل^(٢). لا بد وأن يكون عرض هذا الوادي المزدوج الفم حوالي ميل واحد وكان سرا علي أن أدرك أن السيارات قد عبرت هذا الموقع. سارت رحلتنا الآن فوق شريط من السبخة على امتداد حافة رف منخفض من حمم بركانية متشابكة وشعاب مرجانية على يمننا. كانت السبخة لزجة جداً في بعض أجزائها، غير أننا وصلنا إلى فم وادي اللصيب دون حوادث^(٣).

سرنا مدة ساعة أخرى وكادت الشمس أن تغرب، ولم نر أثراً لرفاقتنا الذين نتوقع لحاقهم بنا، لذا فقد قررت أن نتوقف لقضاء الليلة فوق كتل بجوار مجموعة من أشجار النخيل تسمى "نخل زايد" على الجانب الأيسر للوادي^(٤)، الذي امتلأ جانبه الأسفل بلسان من البحر. أزججت حركتنا طائر بجع منعزلا وهو يصطاد في موقع صيده المسائي، بينما طار من أشجار النخيل زوج من طيور الغداف كانت قد قررت مثلنا أن تقضي الليلة هنا قبل أن نقدم نحن، وقد رافق طيرانها احتجاج بصوت أجش، لتهبط فوق غابة مانجروف على جزيرة أخرى مسطحة وطويلة على بعد ميل ونصف الميل من الساحل^(٥). وصل قطار عفشنا أخيرا بعد نصف ساعة من استقرارنا في هذا الموقع، وتناولنا جميعا وجبة العشاء المكونة من اللحم المقلي مع شرائح أناناس كحلى. كانت الليلة ذات سحب وكانت ممطرة وقد لاحظت للمرة الثانية الغياب التام للحشرات برغم سطوع ضوء مصباحي. لم يكن هنالك ندى خلال الليل غير أن الجو كان رطباً لقرب المكان من البحر. كان المد مهمداً إلى الوادي في المساء، غير أنني لاحظته ينحسر بسرعة، وعند حلول الصباح كان اللسان المائي مكشوفاً، إلا أن الموقع كان مبتلاً يصعب اختراقه إلا بتجول خفيف مع الوادي لاختيار مجراه الحصبائي فيما يلي علامة أقصر موقع له^(٦).

(١) فم وادي موضيية : هو مصب وادي الداهن . (ابن جريس) *

(٢) وادي الداهن : تم الإشارة إليه في حاشية سابقة . (ابن جريس) *

(٣) وادي اللصيب : واد صغير أو شعيب تأتي مياهه من مرتفعات محافظة البرك شرقاً ، ويصب في البحر أمام جزيرة حصر التي تقدر مساحتها بـ (١٢٠٠ م × ٦٠٠ م) ، وفيها الكثير من الأشجار وبخاصة شجر المانجروف . (ابن جريس) *

(٤) نجل زايد : ربما نسبة إلى رجل يدعى زايد ، ويقع هذا المكان عند مصب وادي اللصيب . وهو حالياً مهجور ومندثر . (ابن جريس) *

(٥) ذكر هذا الرحالة عدداً من الطيور التي شاهدها مثل البجع ، والغداف ، واسمه الصحيح أبو مقداًف أو مجداف ، وغيرها . وهذه الطيور موجودة بكثرة في أراضي تهامة الساحلية من الحديدة إلى جدة . (ابن جريس) *

(٦) من خلال اطلاعي على العديد من بحوث ومؤلفات فيلبي في شبه الجزيرة العربية وغيرها لاحظت دقة ملاحظته ، وسعة معارفه وثقافته فهو لا يرصد الحياة التاريخية الحضارية (السياسية ، والإدارية ،

أَمْضِينَا فَقَطْ سَاعَتَيْنِ فِي مَعْسَكَرِ الْبَرْكِ وَكَانَتِ الْمَسِيرَةُ إِلَى هُنَا فَوْقَ طَرِيقٍ يَجْرِي عَلَى سَاحِلِ ضَيْقٍ وَكَانَ الْبَحْرُ يَبْعِدُ عَنَّا بِنَفْسٍ بَعْدَ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَةِ مَنَا . كَانَتِ الشَّعَابُ الْمَرْجَانِيَّةُ مَخْتَلِطَةً مَعَ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةِ أَوْ كَانَتِ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةُ تَعْلُوهَا ، وَقَدْ عَبَرْنَا عَلَى فُتْرَاتٍ أَفْوَاهُ عِدَدٍ مِنَ الْمَسَايِلِ الثَّانَوِيَّةِ الَّتِي تَتَحَدَّرُ مِنْ حَقْلِ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةِ .

سَرْتُ عَلَى قَدَمِي إِلَى نَاحِيَةِ أَوَّلِ هَذِهِ الْمَسَايِلِ ، وَيُسَمَّى وَادِي الْمَطْلَعِ وَقَلِيلًا إِلَى مَا يَلِيهِ ^(١) . كَانِ الْمَسِيلُ التَّالِيُ يُسَمَّى وَادِي مَرَّةٍ ^(٢) وَالَّذِي اخْتَرَقَتْ طَرِيقُنَا فِيهِ مَزْرَعَةُ نَخِيلٍ صَغِيرَةٍ تَابِعَةٌ لِقَرْيَةٍ مَكْمَانٍ ^(٣) الصَّغِيرَةِ الشَّبِيهِةِ أَعْشَاشَهَا بِخَلَايَا النَّحْلِ ، وَتَقِفُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ بِجَوَارِ الْبَحْرِ ، الَّذِي كَانَ يَبْعُدُ حَوَالِي خَمْسِمِائَةٍ يَارْدَةٍ عَلَى يَسَارِنَا . تَوْجَدُ هُنَا حَقُولٌ قَلِيلَةٌ لَدَخْنِ نَامٍ حَدِيثًا ، وَالَّتِي فِيهَا يَلِيهَا يَخْتَرِقُ الطَّرِيقُ حَافَةَ حَقْلِ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةِ وَقَدْ شَقَّ فَوْقَ طَرِيقِ سَيَارَاتٍ يَقَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ . أَوْصَلْنَا هَذَا الطَّرِيقَ إِلَى مَسِيلِ وَادِي مَنِيخَرٍ ^(٤) الضَّيْقِ الَّذِي كَانَ فَمَهُ يَبْعُدُ عَنَّا مَسَافَةً مِثْنِي يَارْدَةٍ إِلَى يَسَارِنَا ، وَقَدْ سَدَّهُ حَزَامٌ غَابَةٌ مَاجْرُوفٌ . وَصَلْتُ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةَ فِيمَا يَلِي هَذَا إِلَى حَافَةِ الْبَحْرِ وَبِالْفَعْلِ أَصْبَحَتْ الشَّعْبُ الْمَرْجَانِيَّةُ مِنْ فَوْقِ وَمِنْ تَحْتِ الْجَلَامِيدِ الْبَرْكَانِيَّةِ فِي فَوْضَى شَدِيدَةٍ ، بَيْنَمَا قَبْلَ أَنْ نَصِلَ إِلَى الْبَرْكِ كَانَتِ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةُ مَمْتَدَّةً عِبْرَ طَرِيقِنَا فِي لِسَانٍ طَوِيلٍ ضَيْقٍ يَصِلُ إِلَى الْبَحْرِ . مَرَرْنَا بِالْقَرَبِ مِنْ هَذَا الْمَوْقِعِ عَلَى الْمَقْبَرَةِ الْمُحَلِيَّةِ فَوْقَ مَسَاحَةِ أَرْضٍ رَمِيلَةٍ عَلَى حَافَةِ الْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةِ ^(٥) ، وَدَخَلْنَا بَعْدَ دَقِيقَتَيْنِ قَرْيَةَ الْبَرْكِ ^(٦) .

والاقتصادية ، والاجتماعية) فقط . وإنما يذكر الكثير من المعلومات العلمية الخاصة بالنجوم ، والحشرات ، والآثار ، وعلوم البحار ، والمناخ وغيرها . (ابن جريس) .

(١) وادي المطلع : والصحيح وادي المطلاة ، والذي وقع في الخطأ هو المترجم وليس فيليبي . يقع هذا الوادي جنوب حاضرة البرك . سمي المطلاة لأنه مكان لطلي الإبل والمواشي بإياه المالحه التي تستخدم علاجاً لهذه الحيوانات . ويحمل نفس الاسم حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . يستوطنه العديد من السكان ، وإلى الشمال من هذا المكان ، شرق الطريق الدولي ، خيرية الأمير سلطان المكونة من (١٠٠) قلة يسكنها الكثير من الأسر السعودية . وفي هذه الخيرية العديد من المؤسسات الإدارية مثل : مكتب التربية والتعليم ، ومركز البلدية ، ومركز التنمية الاجتماعية ، وسوق شعبي . (ابن جريس) .

(٢) وادي مرة : يأتي شمالاً بعد وادي المطلاة . تأتي منابعه من حرار البرك الشرقية ، ويصب في البحر . كان مأهولاً بالسكان ، وحالياً مندثراً . وشمال وشرق الطريق العام العديد من المخططات السكنية الحديثة . (ابن جريس) .

(٣) قرية الكمان : تقع على ضفة وادي مرة الشمالية الغربية . وحالياً مهجورة . ويوجد فيها اليوم مركز مراقبة الدفاع الجوي . (ابن جريس) .

(٤) وادي منيخر : شعب من روافد وادي البرك الرئيسي ، و منابعه من بعض مرتفعات البرك الشرقية . (ابن جريس) .

(٥) شاهدة هذه المقبرة على شاطئ البحر مقابل بلدة البرك ومساحتها حوالي (٢٠٠ × ٥٠٠ م) ، محاطة بسور من قبل البلدية ارتفاعه حوالي متر وسبعين سنتيمتر تقريباً . وذكر لي بعض أعلام المحافظة أن بداية الدفن فيها كان في بداية الأربعينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ويوجد في المقبرة حالياً وقرىياً منها الكثير من الأشجار والنباتات المتنوعة . (ابن جريس) .

(٦) لمزيد من التفاصيل عن بلاد البرك (جغرافيتها وتاريخها) ، انظر : عبد الرحمن عبده . من تاريخ برك الغماد ، ص ١٤ وما بعدها . (ابن جريس) .

يتكون جزؤها الرئيسي من حوالي مئة من العشش التي تشبه خلايا النحل ، إلى جانب البناء المركزي للحكومة بلونه الأبيض ، ويقع في وسطها عدد من المنازل المبنية البيضاء من حولها . يقف هذا القسم من القرية فوق سلسلة حمم بركانية منخفضة تطل على البحر ، وعلى حافتها حقول قليلة تم إعدادها للزراعة ولم تزرع حديثاً . يقع قسم آخر ، وهو قرية صغيرة تشتمل على بعض المباني المطلاة بالجبس (الجص) عند سفح ربوة على يميننا^(١) .

كان هنالك — إلى جانب هذين القسمين للقرية - القلعة التي كنا قد رأيناها من ذهبان ، تقف بارزة فوق قمة ربوة منخفضة . يقع خليج خور البرك على يسار القرية ، وهو مرسى طويل محمي أكثر منه ميناء ، وبه سبخة عريضة تحني على الجانب ناحية المدخل العريض^(٢) .

يدخل مجرى وادي حلي إلى هذا الميناء^(٣) ، وقد وردت الإشارة إليه بأنه يشترك في مستجمع الماء مع وادي ريم ، التابع للشقيق ، وقد اكتسب اسمه هذا بسبب احتوائه على كمية وافرة من المياه العذبة قريباً من السطح^(٤) . تحف أشجار النخيل هذا المجرى مسافة ستمائة أو سبعمائة ياردة من الميناء ، قليلاً إلى الداخل من السور القديم ، الذي يعود تاريخه إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) سنة^(٥) ، وكان يحمي هذا الموقع المحلي المهم ضد الأعداء . يجري هذا مسافة ألف ياردة ناحية الشرق من الساحل على امتداد الجانب

(١) مازالت بلدة البرك قائمة حتى الآن ، ويظهر وسطها بعض البيوت الحجرية القديمة ، أما العشش فليس لها أثر . والمدينة حالياً مكتظة بالمعائر الحديثة المسلحة التي تتراوح أدوارها من طابق واحد إلى ثلاثة طوابق . وامتدت الحياة العمرانية في حاضرة المحافظة في كل اتجاه ، والشارع العام الدولي مليء بالمحلات التجارية الاقتصادية ، وهناك مخطط حكومي حديث شمال المدينة يوجد فيه العديد من الأبنية الحكومية والعمارات السكنية ، ناهيك عن المنتزهات والشواطئ السياحية الجميلة في نواح عديدة من المدينة . (ابن جريس) .

(٢) مازالت بعض أثار القلعة بارزة في الجهة الجنوبية الشرقية ، ويقع قريباً منها بعض الأبنية الحديثة التتموية . وعلى شاطئ المدينة أيضاً بعض قوارب الصيد ، ومازال هذا المرسى يحتاج إلى تنمية وخدمة تطويرية أفضل . (ابن جريس) .

(٣) لم يكن فيليب صائباً في قوله " يدخل مجرى وادي حلي إلى هذا الميناء " ويقصد بالميناء (بلدة البرك) ، ففي وقت رحلته (١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م) لم يكن البرك ميناءً بالمعنى الصحيح . ثم إن وادي حلي يبعد عن بلدة البرك شمالاً حوالي (٧٠) كيلاً . (ابن جريس) .

(٤) وقول هذا الرحالة إن وادي حلي يشترك مع وادي ريم التابع للشقيق فهذا خلط كبير فوادي حلي ضمن محافظة القنفذة حالياً ، وبعيد جداً في الجهة الشمالية . ووادي ريم ووادي الشقيق من الأودية الرئيسية التابعة لمحافظة الدرب ومياهها تأتي من بعض مرتفعات منطقة عسير الغربية . وفي محافظة البرك اسم وادي الشقيق وآخر جبل الشقيق الأول جنوب المحافظة ، والآخر شمالها . ويبدو أن الرواة الذين التقى بهم فيليب وقد يكونون من المرشدين المرافقين له ، ضلوه به وذكروا له معلومات غير صحيحة ، وهذا ما جعله يقع في هذا اللبس والأخطاء العلمية . (ابن جريس) .

(٥) بعض الروايات تذكر أن بناء السور كان خلال عام (١٢٢٩هـ / ١٢٣١م) ، ثم رمم عام (٧٠٤هـ / ١٣٠٤م) . (ابن جريس) .

الأيسر لوادي حلي ثم يتجه جنوباً^(١) ، مع تتابع أبراج على مسافات على امتداد سلسلة منخفضة تعبر من خلف القرية إلى حيث القلعة القديمة ثم إلى أسفل إلى البحر عند الموقع الذي كنا قد عبرناه عند عنق اللسان^(٢) . وبذلك يؤمن حماية تامة للقرية من جانب اليابسة^(٣) . يمر الطريق إلى القنفذة خلال هذا الجدار عن طريق ما لا بد أن يكون بوابة عظيمة على حافة الوادي، غير أن القليل قد تبقى منها عدا الركام الذي بنيت منه . كانت البرك تزار من حين لآخر بالبواخر الصغيرة التي تتحرك على امتداد الساحل ، غير أن مرساها لا يصلح لجعلها ميناء منتظماً يتجه إليه ، كما كانت تجارتها غير مهمة مقارنة مع القحمة قبل تدميرها بالتعريف الجمركية الجديدة^(٤) .

لم يكن مرعي^(٥) - شيخ قبيلة بني هلال - موجوداً في مسكنه عندما مررنا بقرية البرك^(٦) ، ذلك لأنه قد قام بإرساله زوجاته الثلاث اللاتي كن يعشن معه في القرية إلى أداء الحج ضمن مجموعة محلية من (٣٢) شخصاً وعدد مماثل من الجمال . ذهب إلى الجبال ليعزي نفسه بغيا بهن وذلك بقضاء الفترة مع زوجته الرابعة ، وهي شابة تفضل الحياة في الصحراء مع قبيلتها على بهرجة جمال الحضارة . أشرف على الترحيب بنا وكيله^(٧) ، وهو مثال جيد للشباب الغامض ، الذي كان يفتر لكل مقدرة على الحديث ويبدو مندهشاً ناحية كل شخص يقوم بأداء عمل يتطلب جهداً جسدياً^(٨) .

-
- (١) مازال الخلط والخطأ مستمراً في رصد ومشاهدات هذا الرحالة . فوادي حلي كما أشرت سابقاً . يبعد جهة الشمال حوال (٧٠ كم) . (ابن جريس) .
- (٢) هذه الناحية التي يشير إليها فيلبلي عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) هي وسط مدينة البرك حالياً ، وهي أكبر وأقدم تجمع سكاني في المحافظة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .
- (٣) المسافة بين البحر والبلدة القديمة قصيرة جداً ، حيث كانت من الأمكنة الاستراتيجية والحصينة التي تحجز عبور الجيوش أثناء الحرب من الشمال إلى الجنوب أو العكس . (ابن جريس) .
- (٤) انظر توضيحات أكثر عن بعض الموانئ الرئيسية على ساحل البحر الأحمر . محمد أحمد الرويثي . التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبه الجزيرة العربية دراسة تاريخية جغرافية تحليلية . (القاهرة : مطابع الطوبجي التجارية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص ١٠١ وما بعدها . وتاريخ البرك تجارياً واقتصادياً موضوع جديد يستحق الدراسة والتحليل خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .
- (٥) هو مرعي بن عبده بن إبراهيم آل عبده الهلالي ، كان أميراً للبرك من عام (١٣٥٤-١٣٦٣هـ) . (مقابلة مع عبد الرحمن عبد الرحيم بن علي بن عبده في بلدة البرك خلال شهر المحرم عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) . (ابن جريس) .
- (٦) أسرة آل عبده الهلالية شيوخ البرك منذ زمن ، لهم تاريخ سياسي وحضاري قديم ، وما زالوا في مركز المشيخة إلى الآن . ومحافظ المحافظة حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) من الأسرة نفسها . (ابن جريس) .
- (٧) وكيل الأمير آنذاك هو : شامي بن محمد عبده الهلالي . (ابن جريس) .
- (٨) القارئ لمؤلفات ومدونات فيلبلي يتضح دقته في وصف المعالم الجغرافية ، كما أنه يوثق الصفات الخلقية والخلقية أحياناً لبعض الرموز والأعلام الذين يقابلهم ويلتقي بهم في البلدان التي زارها ، وغالباً ما يكونون من أعيان البلاد وشيوخها . (ابن جريس) .

كنا أحسن حالاً مع ضابط الجمارك المحلي ، الشيخ محمد من مواطني الوجه الذي ظل يعمل في الحكومة ويبدو أنه معجب به ، غير أنه بعد قضاء خمسة أشهر في البرك بدأ عليه الملل لعدم قدرته أداء أي عمل في موقع بهذه الكآبة . يقاسمه في وظيفته العاطلة هذه أدميرال الميناء (أمير البحر) الذي يبدو أن لديه القليل من العمل ، ولكل منهما مجموعة من الموظفين من الكتبة والمساعدين ليعاونوهم على أداء أعمالهم^(١) . كانت زيارتنا لهذه القرية الرسمية الصغيرة هدية لهم من السماء ، وقد كان الترحيب بنا خلال الساعة التي مكثناها بتقديم البلح المحلي والأناناس المستورد والشاي والقهوة^(٢) .

وحيثما حان وقت سفرنا ، وذلك بعد أن تم استبدال المرشدين القادمين من القحمة بثلاثة مرشدين من بني هلال تم إحضارهم من القرية ، فإن كل القرية رافقتني وأنا أسير ناحية البوابة القديمة ويبدو أنهم كانوا كارهين رحيلي. رافقنا بعد أن تحررنا من الحشد شاة وسلّة بيض وبعض الخبز الذي صنع من الدخن ، كانت هذه هي هدية الوداع من ضابط البرك^(٣) .

على الرغم من أن كلاً من البرك وذهبان قد ضمتا الآن إلى محافظة القنفذة في الحجاز ، إلا أنهما كانتا جزءاً من المخلاف السليمانى في الماضي ، أيام حكم الإدريسي ، الذي كان يضع ضابط الجمارك في البرك ليقوم بجمع الرسوم له . لا بد أن تكون الحدود الجنوبية للحجاز في تلك الأيام ، جارية على امتداد وادي عمق ، وهو حدود بني هلال ، إلى مسافة (٢٠) أو (٢٥) ميلاً إلى الشمال . لقد استغرق وصولنا إلى ذلك الموقع حوالي ست ساعات ، وقد نصبنا معسكرنا هناك بعد نصف ساعة من غروب الشمس لقضاء الليلة في الوادي^(٤) . سار المرشدون الجدد كل الطريق على أقدامهم دون تعب

(١) إن الباحث عن تاريخ بلاد السراة وتهامة في العقود الأولى من امتداد حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل يجد الكثير من المسؤولين والموظفين الذين جاءوا من المناطق الوسطى ، والغربية ، والشمالية ، فكانوا من البناة الأوائل لتوطيد الحكم السعودي الحديث في هذه الديار الجنوبية السعودية . وهذا الموضوع جديد في بابهِ ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) *

(٢) كانت بلدة البرك من المرافئ المهمة ، فتصدر إليها الكثير من البضائع ، ومنها بعض المواد الغذائية المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية . وهناك عشرات الوثائق التي تشير إلى النشاط الاقتصادية في موانئ البحر الأحمر الشرقية ، ومنها ميناء البرك .. (ابن جريس) *

(٣) نستخلص من هذه الفقرة الأخيرة أن بلدة البرك محاطة بسور ، وما زالت آثار هذا السور ماثلة للعيان حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . كما أن أهل هذه الناحية أصحاب كرم فهم قد رحبوا بهذا الرحالة عند قدومه ، ورافقوه عند خروجه إلى خارج المدينة . والكرم صفة رئيسية عند سكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) *

(٤) من هذه الفقرة نجد أن إمارة الأدارسة في صبيها كانت تمتد شمالاً إلى جنوب حاضرة القنفذة ، وكانت

وهم يمضغون البردقان ويبصقون في الطريق . كانت مسيرة كثيبة وكذلك كان الطريق نفسه إذ أنه يقع على شريط ضيق للساحل بين الحمم البركانية المستديمة أبداً وبين البحر، نادراً ما يصل اتساع الشريط إلى الميل الواحد ، وكثيراً ما يكون أقل من ذلك ^(١).

كان التغير الوحيد لكسر رتابة المنظر هو ذبول المسایل التي عبرت طريقتنا والمخاريط غير الواضحة المعالم التي تناثرت فوق ساحة الحمم البركانية الواسعة ، وبعض القمم العالية أو السلاسل على مسافة إلى الورا . كان وادي الحشافة ^(٢) ، الذي ينحدر من سلسلة العرك ^(٣) ، خلال بعض الشعاب المرجانية ، هو أول هذه المسایل ، إلى جانب وادي الصحين ^(٤) - وتنتشر فوقه صخور الحمم البركانية - ، ووادي العرك ووادي مجعرة ^(٥) ويأتیان متتابعين بعد وادي الصحين ، وكلها تنحدر من سلسلة العرك التي يسيطر عليها مخروطان على كل طرف منها مخروط واحد . لاحظنا وعلى فترات القليل من طيور الفلامنكو وهي تصطاد داخل مجرى ضيق يحفه المانجروف يتجه شمالاً لمسافة وموازيًا لطريقنا ، بينما وجدنا في أحد المواقع سرباً ضخماً من طيور النورس والخرشنة يطوف ويغطس داخل المجرى . أخبرني مرشديّ الهلاليون أن الجمال البائسة في هذه المقاطعة لا تأنف من أكل أوراق المانجروف طعاماً لها إذا لم يتوافر لها ما تتغذى به على الأرض .

كان لون الماء في هذا المجرى ، أو الخور كما يطلقون على هذه الألسنة ، في زرقة السماء يتحرك ناحية الساحل بأمواج لطيفة . يجري داخل نهايتها الشمالية مسيل وادي العين ^(٦) الذي يعبر طريقنا من الناحية البعيدة لسلسلة العرك بينما يخرج وادي

بلاد البرك من البلدان التابعة للإدرسي قبل ظهور حكم ابن سعود . أما وادي عمق وقراه فيقع شمال بلدة البرك بحوالي (٢٠ كم) ، وهو من المراكز الرئيسية لمحافظة البرك حالياً . وفيه حالياً العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية ، ومكتظ بالسكان ، والطريق الدولي يعبر من وسطه . (ابن جريس) .

(١) الاتساع بين ساحل البحر ومرتفعات محافظة البرك تضيق عند وسط المدينة ، لكنها تتسع شيئاً فشيئاً كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً . (ابن جريس) .

(٢) تم الإشارة إلى قرية الحشافة في مركز القحمة ، وفي شمال محافظة البرك أيضاً وادي الحشافة ، ويعرف أيضاً باسم وادي (أبو السمر) . (ابن جريس) .

(٣) العرك : ويطلق عليه أحياناً وادي ، وهو هضاب متوسطة الارتفاع شرق شاطئ النهود ، وتسمى في الخرائط الجديدة باسم (جبال النهود) لبروزها عن سطح الأرض . وتبعد شمال مدينة البرك حوالي (٥-٦ كم) . (ابن جريس) .

(٤) وادي الصحين : يبعد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (٢ كم) ، ويوجد فيه حالياً مركز صحي ، وملعب ، ومحطة للوقود . (ابن جريس) .

(٥) وادي مجعرة عرف بهذا الاسم ، لأنه كان في السابق مليء بالضباع (الجعارة) ومفردها جعري) ، ويبعد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (٨-٩) . لقد تحولت في أجزاء عديدة من محافظة البرك ، وارى أن هذه البلاد تستحق أن تدرس تاريخياً واجتماعياً وجغرافياً وحضارياً . أمل أن نرى أحد الباحثين في كليات فرع جامعة الملك خالد في محالٍ فيقوم بهذا العمل العلمي التوثيقي . (ابن جريس) .

(٦) وادي العين : يبعد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (١٠ كم) ، وتأتي مياهه من جرات محافظة البرك الشرقية حتى يصب في البحر . ويوجد على ضفته الشمالية حالياً قرية الفصلة . ويستوطنه حالياً العديد من السكان . (ابن جريس) .

دبسا^(١) مباشرة فيما يليه إلى شريط سبخة واسع ليضيع داخل حزام المانجروف السميك . وعلى الرغم من أن الطريق يحتضن في هذا الموقع حافة الحمم البركانية مسافة إلى الخلف من البحر ، فإن السير كان صعباً فوق السبخة المبتلة اللزجة التي أدركنا فيها جمال العفش وهي تلتقط خطواتها في صبر وعناء عبر المستقع . أسرعنا ناحية مخروط منخفض من الحمم البركانية هو جبل الصاقعة – بارز فوق الطريق – لكي نقوم بمسح البلاد المجاورة من قمته^(٢) . تقع بئر الغضفاء^(٣) عند قدمه وماؤها مالح غير أنه يمكن شربه ، وحول مجموعة من أشجار النخيل والتي فيما يليها توجد ست عشش مبنية من سعف النخل ، وهي قرية الحشافة الصغيرة لصيد الأسماك وتقوم فوق ربوة مزدانة بغابة المانجروف^(٤) . توجد قرية كبيرة تقع على بعد ميل واحد أو أقل ناحية الشمال الشرقي ، تحتوي على حوالي خمسين عشة ومساحة لابأس بها من أشجار النخيل . هذه هي قرية قامة^(٥) وهي مشهورة بأحلى مياه في المنطقة كلها . توجد مساحات منعزلة للنخيل مبعثرة في هذه المنطقة . كان المنظر من فوق قمة جبل الصاقعة واسعاً ولكنه لا يثير إحساساً .

يتكون الزوج التالي من المسایل من كل من وادي شربين^(٦) ووادي برمة^(٧) ، وهما متقاربان ويخرجان من خليجين عميقين من الحمم البركانية ، وقد رأيناها بعد أن عبرنا طريق الشعاب المرجانية المطعم بالحمم البركانية . لحقنا في هذا الموقع بمجموعة من الحجاج التكروينيين الأفارقة وهم ثلاثة رجال وامرأة ، يضربون الطريق على الأقدام نحو مكة^(٨) .

- (١) وادي دبسا ، أو قرية دبسا : تبعد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (١٠ كم) . قرية قديمة عرفت أيضاً باسم (إمعية) أو العيقة ، وسكانها من بني هلال . وقد اتسعت هذه الناحية عمرانياً ، ويسكنها العديد من الناس ، وفيها بعض الخدمات الحكومية والأهلية . ومن أحيائها أو القرى القريبة السدد ، والمصانة . (ابن جريس) .
- (٢) جبل الصاقعة : من المعالم الجغرافية الرئيسية في ناحية دبسا ، ويقع إلى الشرق من الطريق الدولي ويبعد عن البرك شمالاً حوالي (١٢ كم) ، وسمي (جبل الصاقعة) لتعرضه لبرق وصاقعة في القديم . (ابن جريس) .
- (٣) بئر الغضفاء : كانت منهل مياه لأهل دبسا . (ابن جريس) .
- (٤) قرية الحشافة : تم الإشارة إليها في حواشٍ سابقة في القحمة والبرك . وهي مندثرة في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .
- (٥) قرية قامة ، أو القامة : تسمى حالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) قرية المرصوفة ، معروفة قديماً باسم بئرها . مأهولة حالياً بالسكان ، والعمران الحديث ، وبعض الخدمات الحكومية والأهلية . (ابن جريس) .
- (٦) وادي الشربين : وادي أو شعيب صغير يقع شمال البرك بحوالي (١٧ - ١٨ كم) ، وتعرف هذه الناحية حالياً باسم نخلة الشربين ، ويشملها أيضاً شاطئ زهران . (ابن جريس) .
- (٧) أورد فيليبى اسم هذا الوادي باسم (ضربة) ، وأعتقد أن اسمه وادي (برمة) ، مع أنني سألت بعض أعلام محافظة البرك فلم يفيدوني بالاسم الصحيح . (ابن جريس) .
- (٨) يتضح من رحلة فيليبى في تهامة في منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) أن العديد من الحجاج الهنود وبعض

تركنا لهم بعض ما لدينا من خبز وواصلنا سيرنا فوق ساحل ضيق حتى وصلنا إلى لسان عريض من الحمم البركانية يصل إلى حافة الماء. طريق ضيق فوق هذا اللسان، غير أن النهاية القريبة منا لهذا الممر كانت مغلقة في أزمان سابقة بجدار لا تزال بقاياها يمكن ملاحظتها خلال مسافة على الجانبين. وفوق كوم من الحجارة يسمى المحاجي^(١) وهو يؤرخ بلا شك لمعركة قبلية طواها النسيان حول ملكية هذا الطريق السريع الاستراتيجي^(٢). كانت هنالك مجموعة من طيور البجع تستمتع بالهواء الطلق باسترخاء فوق بعض الصخور إلى البعيد على يسارنا وقد بدت جادة ومحترمة. وصلنا إلى عمود مطلي بالجبس (الجص) على مسافة قليلة وراء الحمم البركانية والذي قال عنه مرشدي أنه نصب لتعليم موقع بئر أزعة^(٣)، وهي بئر قديمة يوجد مأوها عند عمق ثلاث قامات وتقع على بعد خمسمائة ياردة داخل حقل الحمم البركانية، وقد تم حفرها لمنفعة عابري السبيل منذ سنتين.

وصلنا بعد وقت وجيز إلى وادي جيّة الذي ينحدر من حقل الحمم البركانية عبر حزام من حشائش^(٤)، ويندفع من الجانب الآخر لطريقنا داخل حافة مانجروف ويطوق لسانا بحريا. توجد عشة واحدة وسط مجموعة من أشجار النخيل على الجانب البعيد، ربما كانت محطة مؤقتة لبائع متجول يشتري ويبيع ضروريات الحياة للحجاج أو غيرهم من عابري السبيل^(٥). كانت العشة فارغة ولا أثر لأصحابها^(٦). غابت الشمس خلف

سكان شرق آسيا، وأيضاً بلاد إفريقيا الواقعة على شاطئ البحر الأحمر الغربي كانوا يركبون البحر، ثم ينزلون على شاطئه الشرقي ويسيروا على الأقدام حتى يصلوا إلى مكة المكرمة. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس)

(١) المحاجي : الاسم الصحيح لهذا الكوم، مع أن فيليبي أطلق عليه اسم (القحم)، وهو اسم غير سليم. والمحاجي سلسلة صخرية تصل بين البحر والجبل، استخدمت أماكن حراسة ومراقبة أثناء الحروب قديماً، وهي تشبه القفل أو الحاجز لحصانتها، وربطها بين الماء واليابس. (ابن جريس)

(٢) هذه الطريق التي سلكها فيليبي في أوائل النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، كانت إحدى الطرق الرئيسية التي كان يسلكها التجار والحجاج ما بين اليمن والحجاز عبر العصور الإسلامية المختلفة. كما سلكتها العديد من الجيوش التي خاضت حروباً في بلاد تهامة منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة. (ابن جريس)

(٣) بئر أزعة : اسمها الحقيقي بئر حذفة نسبة إلى تلك الحرات التي تسمى الحذفات لوعورة أرضها، وتبعد عن وسط البرك شمالاً حوالي (١٨ - ٢٠ كم). (ابن جريس)

(٤) وادي جيّة : هو مصب وادي قيلة، يبعد عن وسط مدينة البرك شمالاً (٢٥ كم)، سبخة كان بها شروم (مفردتها شرم)، مكان لاستخراج الملح وبيعه في الأسواق الأسبوعية القريبة، وهي حالياً مندثرة ومهجورة. أما قرية قيلة فقد نهضت حديثاً ترموياً وعمرانياً، وفيها الكثير من الخدمات الرسمية والأهلية. (ابن جريس)

(٥) إن طرق الحج التهامية الممتدة من اليمن إلى الحجاز لها تاريخ عبر أطوار التاريخ الإسلامي، أمل أن نرى باحثين جادين يدرسوا هذا الموضوع في كتب وبحوث علمية. (ابن جريس)

(٦) كانت هذه العشة لمن يقوم بجمع الملح في فصل الصيف، ومرور فيليبي من هذا المكان كان خلال الشتاء، ولهذا فلم يكن بها أحد أثناء مروره بها. (ابن جريس)

شريط من السحب إلا أننا رحبنا بأولى لمحات نخيل وادي عمق^(١). واصلنا بنشاط سيرنا فوق أرض ذات كتل من أعشاب وحشائش فوق رمال، وهي بلاشك بداية لدلتا الوادي العريضة، ثم عبرنا بطن مجرى جاف، ربما مجرى مساعد للوادي. لنصل إلى المجرى الرئيسي الذي تحفه مزارع النخيل على الجانبين. وجدنا مجموعة كبيرة من الحجاج التكارنة وقد استقروا في معسكر لهم حول نار لطيفة عند وصولنا، ربما كانت المجموعة القليلة العدد التي مررنا بها، هي المتأخرة عن هذا الجمع الرئيسي.

تجولنا في الوادي نبحث عن موقع ملائم لنعسكر فيه لقضاء الليلة وتمكننا من العثور على مساحة رميلة عند الطرف البعيد من النخيل على الجانب الأيمن. يوجد إلى جانب النخيل الكثير من أشجار الدوم ومجموعات من البالييتو المنخفض الارتفاع (حش) كان النطاق المائي لهذا الوادي قريباً جداً من السطح الذي انتشر فيه عدد من البرك المائية إلا أن ماءها كان مالحة. أفادني مرشدي بأن الماء العذب يوجد على مسافة بعد مزارع النخيل، وقد أفادتنا معلوماتهم هذه، بينما اقتنع التكترونيون أسفل من موقعنا هذا بما لديهم^(٢). أزجج وصولنا إلى هذا الموقع مجموعة من طيور الغداف. كانت تعشش فوق أشجار النخيل بينما وجدت طيور القطا متقاربة الشرائط، التي وصلت إلى الماء بعد الشفق كما هي عاداتها، إن مأواها المفضل قد وقع في أيدي البشر المتطفلين.

كان استقرارنا في هذا المكان سريعاً لتناول وجبة من البيض والخبز والشاي، في انتظار قافلة العفش^(٣)، التي وصلت بعد نصف ساعة. أخبرني مرشدي أن طائفة الاستطلاع التابعة لشركة التعدين السعودية العربية قد حلت فوق السماء إلى حدود البرك قبل فترة سبقت زيارتي، ولكنها لم تهبط^(٤).

(١) وادي عمق، سبق الإشارة إليه في حاشية سابقة. هو من الأودية الرئيسية في محافظة البرك. وعمق حالياً مركزاً إدارياً رئيسياً في المحافظة، وفيه الكثير من الخدمات الأهلية والحكومية، ومكتظ بالأحياء والسكان. (ابن جريس) *

(٢) صلات الأفارقة بساحل البحر الأحمر الشرقي قديمة جداً، تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، واستمرت تلك العلاقات خلال العصور الإسلامية المختلفة. وهذا موضوع مهم وكبير يستحق أن يدرس في عشرات البحوث العلمية الموثقة. (ابن جريس) *

(٣) تاريخ الطعام والشراب في بلاد تهامة من مكة إلى جازان خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجيدة والجديدة التي تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الكتب والرسائل العلمية، والمصادر لهذا البحث. لن تكون صعبة مقارنةً بالقرون الإسلامية المبكرة والوسيلة. (ابن جريس) *

(٤) كان الملك عبدالعزيز حريصاً على التعدين والبحث عن المعادن في دولته (المملكة العربية السعودية)، والباحث الأمريكي تويتشل في كتابه (المملكة العربية السعودية وتطوراتها الطبيعية)، أورد الكثير من التفاصيل في هذا الكتاب الذي صدر باللغة الإنجليزية عام (١٩٤٧م)، وترجم إلى اللغة العربية ونشر عام (١٩٥٥م). (ابن جريس) *

تحركت جمال العفش صباح اليوم التالي في وقت مبكر عند الساعة السابعة صباحاً وتخلفت ومعني المرشدون مدة ساعة أخرى لدراسة المنطقة . ينحدر وادي عمق عبر الحرّة - حقل حمم بركانية - في اتجاه غربي بصفة عامة من كتلة بازلتية عالية أو كتلة شست تسمى حمران على مسافة خمسة عشر ميلاً إلى داخل اليابسة . كان منفذها من عند الحمم البركانية يبعد بحوالي ثلاثة أميال عن البحر ، غير أن الحمم البركانية تكون في هذا الموقع خليجاً تقف عند حافته الشمالية ربوتان هما جلا وجليلة^(١) . وتقومان بتحويل المجرى الرئيسي للوادي المنتشر الآن في اتجاه جنوب شرق مارا بمعسكرنا إلى البحر . تكون هاتان الربوتان مفصلاً تتحرك فوقه الحمم البركانية إلى البعيد ناحية الشمال الشرقي وتتباعد عن طريقنا تدريجياً وبلطف ناحية أرض منخفضة تسمى حينياً^(٢) على بعد عشرة أميال أو أكثر إلى الشرق من حلي ، وهي القرية التالية ذات الحجم المعتبر التي تقع على طريقنا وعلى مسافة (١٢) ميلاً إلى الشمال أو الشمال الغربي من موقعنا^(٣) . لم يكن هنالك ندى أثناء الليل وكانت درجة الحرارة الدنيا (٦٤) درجة إلا أنه يوجد إحساس بالرطوبة في الهواء ، كانت السماء لا تزال ملبدة بالسحب وكانت الرياح ساكنة ومختلفة على الرغم من أن الجو بدا بارداً^(٤) .

استغرق خروجنا من الدلتا مدة عشر دقائق مررنا بعدها بمجرى ثالث للوادي ، ومررنا فوق حقول ذات متاريس صعبة تابعة لبني هلال ، الذين قاموا بزراعة هذه الأراضي بطريقة لا هدف لها . كما لم تكن لهم قرى في الوادي ، تبادلت مساحات من عشب الحلفاء مع مساحات من هذه المزارع كما كانت هنالك مجموعات قليلة لأشجار الدوم .

(١) الربوتان : ناحية رملية تبعد عن وسط البرك شمالاً حوالي (٣٥ كم) ، يطلق على هذا المكان حالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) الجليلا ، لا يوجد فيه عمران ولا تنمية حديثة ، وتقع إلى الغرب من الطريق الدولي بعد بلدة عمق . (ابن جريس) .

(٢) حينياً : لم أجد من يرشدني إلى هذا المكان ، لكنه حسب وصف فيليبي يقع بعد وادي عمق . (ابن جريس) .
(٣) هذا الرحالة خلط في حديثه هنا ، فذكر بلاد حلي ، وسبق أن أخطأ أيضاً أثناء حديثه عن بلدة البرك وما حولها ، فقد ذكر هذا المكان أيضاً ، وحلي تبعد من البرك نحو الشمال (٧٠ كم) ، ومن عمق والربوتان (الجليلا) من (٣٠ - ٣٥ كم) . (ابن جريس) .

(٤) الفاحص لمعظم كتب ويحوت فيليبي عن شبه الجزيرة العربية يجد أنها تشتمل على تفصيلات في جوانب تاريخية وحضارية عديدة يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر . وكل كتاب من كتبه وبحوثه التي تجاوزت الخمسين دراسة تستحق أن تفرد في دراسة مستقلة وتفصيلية . (ابن جريس) .

دخلنا فيما يلي حافة الدلتا إلى إقليم قبيلة الصوالحة^(١)، الذي يمتد حتى وادي شفقة على بعد (٥) أو (٦) أميال فقط إلى الشمال^(٢)، والتي تقع فيما يليه أراضي حلي. كان شريط المانجروف، بين الحمم البركانية المتراجعة وساحل البحر التي كان الطريق يتبعها عن قرب إلى حلي، يتداخل على أرض عامة من أودية رملية تتبادل الموقع مع شرائط من سبخات حيث يدخل عدد من خطوط الصرف من الحمم البركانية. كان سيرنا من حين لآخر فوق رمل ثقيل وسهل بما فيه الكفاية فوق أرض ميتة يكسوها عشب جاف. عبرنا منخفضات كل من القزيعات وشعب الضبر ووادي الحلقة^(٣) في تتابع سريع. كان ساحل البحر مليئاً بالسرطانات، مسرعة إلى جحورها أو إلى البحر حين اقترابنا إلى أرض استعراضاتها. دخلنا فيما يلي وادي اللهمان^(٤) - المنخفض التالي - إلى أرض رملية ذات كثبان شبيهة بالأمواج تسمى دقدقة^(٥)، مررنا بعدها إلى داخل دلتا وادي شفقة الذي يجري من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي عبر طريقنا، وقد غطته غابة طرفاء وأراك، يتخللها نبات الحلفاء وعشب الثمام بمساحات كبيرة، خاصة على الجانب البعيد لمجرى السيل الرملي الضيق. لم تكن الصوالحة مأهولة بالمرّة كما لم لاحظ أي علامات للزراعة في منطقتهم، وكانت من أكثر المناطق التي عبرناها كآبة وبؤساً^(٦).

(١) الصوالحة: تعرف حالياً بالسعيدة، وهي مركز إداري يتبع محافظة محال عسير، وأهلها من قبائل منطقة عسير، وتأتي بعد محافظة البرك شمالاً، وهي آخر حدود منطقة عسير التهامية الساحلية من الشمال، يأتي بعدها بلاد حلي التابعة إدارياً لمحافظة القنفذة. والباحث في بلاد تهامة إدارياً في عصر الدولة السعودية الحالية قد يقع أحياناً في أخطاء غير مقصودة، وذلك لشدة تداخل البلاد جغرافياً وإدارياً وتمويهاً وحضارياً من مكة المكرمة شمالاً إلى منطقة جازان جنوباً. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (ابن جريس).

(٢) وادي شفقة: أحد المعالم الرئيسية في الصوالحة، ومياهه تأتي من بعض مرتفعات تهامة عسير، ولم يصبح هذا الاسم سائداً في وقتنا الحاضر، وصار الاسم المتداول والمعروف (سعيدة الصوالحة)، أو (السعيدة). (ابن جريس).

(٣) وادي الحلقة: والاسم الصحيح (وادي الحلفاء) ربما نسبة إلى شجر الحلفاء الذي يوجد في بعض نواحيه. يقع شمال مركز عمق، وجنوب مركز سعيدة الصوالحة. (ابن جريس).

(٤) وادي اللهمان: تأتي منابعه من الحرار الشرقية، ويصب في البحر جنوب مركز سعيدة الصوالحة، وهو واد صغير، وما زال يعرف بهذا الاسم حتى الآن. (ابن جريس).

(٥) هذه الكثبان الرملية يطلق عليها أيضاً بلاد أو وادي (الجوف). (ابن جريس).

(٦) هذه البلاد رملية، وهي الآن إحدى مراكز محافظة محال عسير الإدارية، ووصل إليها زحف التطور الحضاري الذي تعيشه عموم المملكة العربية السعودية. وهناك طريق مسفلت مازال العمل فيه جارياً بين حاضرة محال وبين سعيدة الصوالحة، وعند اكتماله وافتتاحه سوف تتطور هذه الناحية أكثر وفي شتى الميادين لوقوعها على ساحل البحر الأحمر، وأيضاً على الطريق العام الدولي. (ابن جريس).

ثالثاً: رحلتي من الدرب إلى البرك في الفترة من (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨-٢٤/١٠/٢٠٢١م).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل.	٢٠٤
ثانياً:	رحلتي في محافظة الدرب (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ).	٢٠٥
	١- وقفة مع جغرافية الدرب الطبيعية والبشرية.	٢٠٥
	٢- لمحات من الحياة الإدارية .	٢٠٩
	٣- التاريخ العمراني والتنموي .	٢١٦
ثالثاً:	مركزا الحريضة والقحمة.	٢٢٥
	١- من التاريخ المعاصر لمركز الحريضة.	٢٢٦
	٢- صفحات من تاريخ وحضارة مركز القحمة الحديث والمعاصر .	٢٤٠
رابعاً:	مشاهداتي في محافظة البرك (١٧-١٨/٣/١٤٤٣هـ).	٢٥٦
	١- لمحة عن الجغرافيا والإنسان .	٢٥٧
	٢- من التاريخ الإداري للمحافظة ومراكزها .	٢٦٢
	٣- ورقات من التاريخ العمراني التنموي الحديث والمعاصر.	٢٧٠
خامساً:	صور حضارية عامة من البرك إلى الدرب .	٢٧٧
	١- التشابهات والاختلافات تاريخياً وحضارياً .	٢٧٧
	٢- وقفات مع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية المعاصرة .	٢٨٢
	أ - وقفة مع الحياة الاجتماعية .	٢٨٢
	ب - وقفة مع الحياة الاقتصادية .	٢٨٥
	ج - وقفة مع الحياة الصحية .	٢٩٧

أولاً: مدخل:

وثقت في هذا المحور بعض التفصيلات عن رحلة ميدانية قمت بها في البلدان الممتدة من محافظة الدرب إلى محافظة البرك ، استغرقت حوالي سبعة أيام دونت خلالها الكثير من الجوانب الحضارية التاريخية الحديثة والمعاصرة . ولا أدعي أنني كتبت كل شيء رأيته ، أو سمعت عنه ، أو وقفت عليه ، لكنني أعتقد أنني حفظت تاريخ ومعلومات معاصرة ومهمة . وأهميتها سوف تزيد مع تقادم السنين والأزمان .

ثانياً: رحلتي في محافظة الدرب (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ).

خرجت من مدينة أبها يوم الإثنين (١٢/٣/١٤٤٣هـ) سالكا عقبة ضلع حتى وصلت جسر رجال ألمع^(١)، ثم دخلت محافظة الدرب من الجهة الشمالية، وقضيت فيها يومين (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ) أتجول في ربوعها، وألتقي ببعض أعلامها، وأدون شيئاً من تاريخها وحضارتها المعاصرة^(٢).

١- وقفة مع جغرافية الدرب الطبيعية والبشرية:

تتبع محافظة الدرب منطقة جازان، وتقع في الجزء الشمالي من المنطقة، وتبعد مدينة الدرب عن مدينة جازان حوالي (١٢٥-١٣٠ كم)^(٣). يحد المحافظة من الجنوب محافظة بيش، ومن الشرق أجزاء من تهامة عسير كمركز مربة وغيره، ومن الشمال أجزاء من محافظة رجال ألمع التابعة لمنطقة عسير، ومن الغرب سواحل عسير ممثلة في مركز الحريضة^(٤). ومساحتها تزيد عن (٤٠٠٠ كم^٢)، وتتباين تضاريسها من جبال وهضاب، وأودية، وسهول وسواحل^(٥).

أثناء زهابي من جسر رجال ألمع إلى ناحيتي الشمال الغربي، والجنوب الشرقي وجدت الطريق المسفلت في الاتجاهين يعد بنسبة كبيرة حداً إدارياً بين منطقتي عسير وجازان، وهناك العديد من الجبال والهضاب على جانبي الطريق، وهي في الناحية العسيرية أكبر وأكثر ارتفاعاً^(٦). وبعد دخولي في أرجاء محافظة الدرب رأيت العديد

(١) هذه البلاد الممتدة من قمة عقبة ضلع إلى كبري رجال ألمع تتبع إدارياً وسكانياً منطقة عسير. وتهامة عسير عموماً من محال ورجال ألمع شمالاً إلى أقصى تهامة شهران وقحطان جنوباً تستحق أن يوثق تاريخها في عدد من الكتب والبحوث العلمية. (ابن جريس).

(٢) التقيت في هذين اليومين بالعديد من الأساتذة والمشرفين في مكتب التعليم بمحافظة الدرب. كما قابلت أعلاماً آخرين ساعدوني في جمع بعض المادة المعاصرة مثل: الأستاذ علي بن إبراهيم آل حمود، وحسن إبراهيم شبير، وموسى مكي عسيري وغيرهم. فلهم مني جزيل الشكر، وأسأل الله لي ولهم الإخلاص في القول والعمل. (ابن جريس).

(٣) هذا الذي عرفته أثناء سفري من الدرب إلى جازان مرات عديدة. (ابن جريس).

(٤) موقع محافظة الدرب استراتيجي تحيط بها محافظات ومراكز متنوعة في تضاريسها وتركيباتها البشرية، وأجزاء كبيرة منها تقع على ساحل البحر الأحمر. وهذه المحافظة (الدرب) لم تخدم في ميدان البحوث والدراسات العلمية، وتستحق أن يوثق تاريخها وتراثها، ومسؤولية هذا الأمر على أبنائها من الباحثين والمؤرخين، وكذلك على جامعة جازان بكلياتها وأقسامها العلمية. (ابن جريس).

(٥) إن الناظر في خارطة منطقة جازان يلاحظ أن محافظة الدرب من أكبر محافظات المنطقة مساحة، ومن أكثرها تنوعاً في التضاريس. (ابن جريس).

(٦) ذهبت شرقاً إلى ناحية الفطيحة والحقوق شاهدت تعدد الجبال الواقعة على هذا الطريق. أما الطريق الذاهب من جسر رجال ألمع إلى بلاد الحبيل في محافظة رجال ألمع فالجبال تقع قريباً من هذا الطريق

من الجبال متوسطة الارتفاع ، ومنها جبل الأخدع ، وجبل العكادين جنوب طريق الدرب — بيش . وعلى قمة جبل العكاد الكبير مضخة التحلية الرئيسية ، وعلى العكاد الصغير استراحة البلدية^(١)

(*) كما عرفت بلاد الدرب العديد من الأودية المتفاوتة في مساحتها وأهميتها

التاريخية والجغرافية ، ومن أهمها :

أ- وادي عتود :

من أشهر الأودية التي تبدأ مسائله من مرتفعات حاضرة أبها ، ويعبر من شمال محافظة الدرب حتى جنوبها ثم يصب في البحر . ويقع على ضفاف هذا الوادي العديد من القرى والأحياء التابعة لمحافظة الدرب^(٢) . وهو من الأودية المهمة لخدمة الحياة الزراعية في الدرب^(٣) .

ب- أودية بيض ، وعمرم ، ورملان ، وريم ، وسمرة ، والسر :

كل هذه الأودية تسير في أراضي محافظة الدرب ، وتتفاوت في مساحتها ، وتبدأ منابعها من سروات منطقة عسير ، وبعضها من مرتفعات الأصدار أوتهامة الشمالية والشمالية الشرقية ، ويقع على أغلبها العديد من القرى والمواطن البشرية القديمة والحديثة^(٤) .

ذكر لي بعض الرواة أن في الدرب العديد من الخبوت القديمة وما زالت تحمل نفس الأسماء حتى اليوم . ومنها : خبت البقر بين جنوب المحافظة على طريق الدرب جازان وبين محافظة بيش . وخبت بن جبران في الشقيق ، وخبت القياس بين مدينتي

المعبد ، وبعضها تتبع محافظة الدرب ، وأخرى لمحافظة رجال ألمع . المصدر : مشاهدات الباحث في (١٢/٣/١٤٤٣هـ) (ابن جريس) .

(١) لم يشمل توثيقي جميع جبال ومرتفعات محافظة الدرب ، وما زال هناك هضاب وجبال عديدة جديدة بالدراسة ، بهذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس جغرافية وتاريخ هذه المحافظة في عمل علمي مطول . (ابن جريس) .

(٢) هناك الكثير من القرى القديمة والحديثة على وادي عتود ، مثل : قرية عتود ، وقرية القضب ، وقرية رملان ، وقرية الدرب القديمة والحديثة ، والقائم الأعلى ، والغريف ، والقومة ، والكدره وغيرها . إن دراسة التركيبة البشرية لمحافظة الدرب وحصر قراها القديمة والحديثة موضوع جديد يستحق التوثيق .

(٣) لم تعد الزراعة نشطة اليوم في محافظة الدرب ، وكان وادي عتود قديماً من الأودية غزيرة المياه التي تخدم النشاط الزراعي في الدرب وكل البلدان الزراعية التي يمر عليها . ووادي عتود مذكور في بعض كتب التراث ، ويستحق أن يدرس جغرافياً وتاريخياً في بحث علمي توثيقي .

(٤) شاهدت أجزاء من هذه الأودية في محافظة الدرب ، وسمعت عن أخرى . وجميعها تأتي في المساحة بعد وادي عتود الذي يعد من أكبرها وأكثرها غزارة أثناء هطول الأمطار .

الدرب والشقيق شمال محطة التحلية تحديداً^(١). وهناك خبوت أخرى عديدة في شمال المحافظة، وشرقها، وقريباً من الحاضرة الرئيسية.

تتألف محافظة الدرب من مدن وقرى وأحياء كثيرة. فالدرب (المدينة) وبلدة الشقيق أكبر المستوطنات الحضارية والبشرية، وسمعت بعض من قابلتهم يذكرون قرى وأحياء عديدة موزعة في أنحاء المحافظة، منها: (١) الدرب القديمة. (٢) أم السبخ. (٣) القصبة. (٤) المسامير. (٥) أبو يحيى. (٦) عجيبى. (٧) الجبلين الجنوبي والغربي. (٨) منشبة. (٩) أبو السداد. (١٠) الصنيدلي. (١١) أم الحنشان. (١٢) نخب. (١٣) المسمور. (١٤) الطائف. (١٥) بحرة الشمالية والجنوبية. (١٦) الصعقان. (١٧) السميرات. (١٨) بني هيجان. (١٩) أبو ثور. (٢٠) جبر أبو العشر. (٢١) الراجحية. (٢٢) رملان المفش. (٢٣) الحرجة. (٢٤) القائم الأعلى والأسفل. (٢٥) العرق. (٢٦) الحصام الجنوبي. (٢٧) الزبارة. (٢٨) السواني. (٢٩) خليج الشعوف. (٣٠) حجلة. (٣١) الغريف. (٣٢) الأشول. (٣٣) هيجة رملان. (٣٤) الحصام الشمالي. (٣٥) الحمراء. (٣٦) هرمان. (٣٧) القاع. (٣٨) الرشة. (٣٩) الكرشة. (٤٠) القضب. (٤١) خبت بن جبران. (٤٢) الحروف. (٤٣) المحرق. (٤٤) سمرة الجد. (٤٥) رملان. (٤٦) زبارة الهجنبة^(٢).

مناخ المحافظة حار صيفاً معتدل شتاءً، تسقط الأمطار في فصل الشتاء، وأحياناً في فصل الخريف. ولا تخلو الدرب من شجيرات وأشجار برية مثل السمر، والطلح وغيرها. كانت البلاد في السابق غنية بمزروعاتها وبخاصة الذرة والدخن، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تراجع الزراعة كثيراً، وهناك من يزرع بعض الفواكه والخضروات. والثروة الحيوانية في الماضي أفضل بكثير مما هي عليه في وقتنا الحاضر، وما زال هناك من يربي ويقتني بعض الحيوانات الأليفة كالأغنام، والإبل، والأبقار. وشاهدت بعض الحيوانات السائبة، وهي قليلة، مثل الحمير والكلاب. وذكر لي أن بعض الأسر القليلة تقوم على تربية الخيول، والغزلان، وبعض الطيور كالدجاج، والبط، والحمام. أما الحيوانات البرية فهي قليلة جداً، كالذئاب، والضباع، والثعالب،

(١) عند إجراء بعض التعديلات الإدارية على الإمارات والمحافظات في المملكة العربية السعودية في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، أطلق على بلاد الدرب والشقيق محافظة القياس، وبعد عدة سنوات صار اسمها محافظة الدرب، وما زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) لم آت على كل قرية أو ناحية أو حي في محافظة الدرب، لكن هذا الذي استطعت جمعه ممن قابلت من أهل الدرب، وسوف أذكر بعضها في سطور قادمة، وبخاصة الأمكنة التي وقفت عليها أو مررت من حولها .

وأحياناً القروء ، وغالباً توجد في بعض المرتفعات أو الأرياف البعيدة عن الحاضرة ^(١) .
غالبية سكان محافظة الدرب قبائل تنقسم إلى العديد من العشائر والفخذ ،
ويرأسهم بعض الشيوخ الذين تعود لهم قبائلهم . كان وضع القبيلة في الماضي مهماً
وحساساً ، فهي الأمرة الناهية في بلادها ، ومع التطور السياسي والإداري الذي تعيشه
المملكة العربية السعودية من منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر
(١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، صار هناك مؤسسات إدارية رسمية تدير شؤون البلاد إدارياً
وحضارياً ، وما زال شيوخ القبائل لهم منزلة جيدة في بلادهم ، فهم إحدى حلقات
الوصل الرئيسية بين رجال قبائلهم ومؤسسات الدولة الرسمية . والجميع يعملون
ويتعاونون على حفظ الأمن والاستقرار في عموم البلاد ^(٢) .

مما شاهدت وأنا أسير في نواحي الدرب وجود الكثير من السعوديين الذين يمتلكون
الدور والعقارات وغيرها . ومنهم السكان الأصليون لمحافظة الدرب ، فهم يعيشون في قراهم
وأحيائهم وحواضرهم . ويخالطهم سعوديون كثيرون جاءوا من بلدان عديدة في تهامة
والسراة ، وأحياناً من حواضر ومدن أخرى في المملكة العربية السعودية . وأثناء زيارتي
لعدد من المؤسسات الحكومية والأهلية ، وبعض الأمكنة الاقتصادية والحضارية رأيت
أعداداً كثيرة من سكان منطقة عسير ، والبعض من سكان منطقتي نجران والباحة فهم
يعيشون بشكل دائم ، وأحياناً يترددون على بلاد الدرب . ويمارسون العديد من الأنشطة
الاقتصادية ، ومنهم من يعمل في الإدارات الحكومية والأهلية ، ويمتلكون أملاكاً وعقارات
كثيرة . وهناك شريحة ليست قليلة يعيشون في مواطنهم الرئيسية في بلاد السراة ، لكنهم
يملكون استراحات ، ومزارع وعقارات تجارية في أنحاء المحافظة وبخاصة في مدينتي
الدرب والشقيق ، وعلى الطرق الرئيسية التي تربط محافظة الدرب مع غيرها ^(٣) .

(١) حاولت خلال يومين أن أجمع أكبر قدر من المادة العلمية عن الحياة الرعوية ، والزراعية وبعض الكائنات
الحية الأخرى ، فزرت بعض الأسر ، وذهبت إلى الأسواق الشعبية ، وتجولت في بعض نواحي المحافظة ،
لكنني لم أعثر على مادة كبيرة في هذا الباب . وربما كانت جائحة كورونا (كوفيد ١٩) من الأسباب
الرئيسية التي أبقت الناس في منازلهم ، وعدم ممارسة حياتهم بشكل طبيعي .

(٢) إن التحول السياسي والإداري الذي مرت به البلاد خلال المئة عام الماضية ، ثم الآثار الإيجابية التي استفاد
منها الناس في شتى الجوانب من الموضوعات الجديدة في بابها ، وحسب علمي إلى الآن ، فلم تدرس في
أعمال علمية توثيقية رصينة . أمل من الجامعات المحلية ممثلة في كلياتها ، وأقسامها ، وأساتذتها ،
وطلاب الدراسات العليا أن يلتفتوا إلى هذا الميدان فيخدم دراسة وبحثاً .

(٣) يبدو أن بلاد الدرب أخذت اسمها من وقوعها على مفترق طرق رئيسية قديمة . مثل : طريق الدرب ببش صبيا
جازان . وطريق الدرب أبها عبر وادي عتود وضلع . وطريق الدرب الشقيق البرك إلى القنفذة ثم مكة وجدة
ـ وطريق الدرب رجال ألمع محاليل المجاردة العرضيات إلى المخوة . وهذه الطرق القديمة أصبحت اليوم طرق
مسفلتة واسعة وسهلة . وعند مشاهدتي للبلاد الممتدة من جسر رجال ألمع إلى الشقيق ، وسيري على الطرق

وفي محافظة الدرب الكثير من العناصر البشرية غير السعودية . فمنهم العرب الذين جاءوا للعمل في مهن وقطاعات عديدة مثل اليمنيين ، والمصريين ، والسودانيين ، وهم كثيرون . وهناك بعض الأعداد القليلة من الأردنيين ، والفلسطينيين ، والتونسيين وغيرهم . أما الأجناس غير العربية فهم أيضاً يتفاوتون في أعدادهم ، وأكثرهم من البنجاليين ، والأحباش ، والهنود ، والباكستانيين ، والصوماليين . وأجناس أخرى أقل عدداً من دول إفريقية وآسيوية ^(١) .

إن أغلب السكان غير السعوديين من الرجال ، ومعظمهم يعملون في الحياة الاقتصادية وبعض المهن الاجتماعية والتعليمية والسياحية . ومنهم من يصطحب أهله من الذكور والإناث . وهناك فئات نسوية يعملن في قطاعات الصحة الحكومية والأهلية ، وفي كليات التعليم الجامعي ، أو في بعض الخدمات المنزلية وغيرها ^(٢) .

٢- لمحات من الحياة الإدارية :

لم ندرس التاريخ الإداري لبلاد الدرب خلال العصر الحديث ، وهذا موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ^(٣) . وإنما حديثي عن محافظة الدرب في

الذهابة إلى جازان ، أو الفطيحة والحقو ، أو رجال ألمع ، ومحال عسير . ثم دخولي بعض التجمعات السكنية في أحياء أبو السداد ، والقرى والأحياء الممتدة من مثلث الدرب إلى جسر رجال ألمع ، وأيضاً بلدة الشقيق فقد وجدت أكثر سكانها وبخاصة الشرائع العاملة في التجارة والمهن الاقتصادية الأخرى من أهل الجبال وبخاصة من سروات منطقة عسير ، ومن بلاد نجران . وإلى قبل أربعين عاماً كانت هذه الشرائع قليلة جداً ، ومع التطور الحضاري والاقتصادي زادت أعدادهم حتى صاروا يقدرون بالآلاف . المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته لهذه التطورات الحضرية من عام (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م) .

(١) زرت الكثير من الأسواق والورش والمحلات التجارية الواقعة على الطريق الممتد من جسر رجال ألمع إلى الشقيق ، ومن مثلث الدرب إلى وادي رملان وسمره قريباً من محافظة بيش ، وشاهدت الكثير من هذه الأجناس . وبعض العناصر اليمنية والإفريقية تمثل نسبة كبيرة من سكان المحافظة . ودراسة التاريخ السكاني والبشري لمحافظة الدرب خلال الثلاثة قرون الماضية موضوع جديد يستحق أن يوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٢) هذا الذي شاهدته في مستشفى الدرب الحكومي في (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ) ، وفي بعض المراكز الصحية الأهلية الأخرى . وذكر لي أن في الكلية الجامعية التابعة لجامعة جازان في محافظة الدرب عدد من عضوات هيئة التدريس ، ومعظمهن من الجاليات العربية ، كبلدان شمال إفريقيا ، ومصر ، والسودان ، ودول شرق وجنوب شرق آسيا .

(٣) معظم سكان الدرب من قبيلة بني شعبة ، يخالطهم قبائل وعشائر أخرى . لعبت هذه البلاد دوراً سياسياً وحضارياً منذ القرن (١٠هـ/١٦م) ، وهناك بعض المصادر اليمنية والحجازية ، وعربية وأجنبية أخرى أشارت إلى شذرات من الحياة السياسية والحربية في هذه الديار خلال القرون الخمسة الماضية . وسكانها وقبائلها يعيشون في أوطانهم منذ قرون عديدة . وما زال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تحتوي على مادة علمية عن أرض وسكان هذه الأوطان منذ نهاية القرون الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر . أمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً جاداً يدرس تاريخها السياسي والحضاري منذ القرن (١٠هـ/١٦م) حتى الآن ، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على مادة علمية جديدة .

الوقت الحاضر، فهي محافظة من فئة (أ)، فيها العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية، معظمها في المدينة الرئيسية الدرب، ومن تلك الإدارات ما يلي:

أ- إدارة المحافظة :

تقع في مبنى مستأجر على الطريق العام (الدولي) الدرب الشقيق البرك جدة . تتكون العمارة من دورين مستأجرة مع ملاحظتها من مكاتب، وأحواش محدودة المساحة، ومرافق أخرى . ويعمل فيها حوالي (١٠ - ١٥) موظفاً^(١) .

ب- المحاكم الشرعية وكتابة العدل :

تقع المحاكم في مبنى حكومي من دور واحد في حي أبو السداد . وكتابة العدل في عمارة مستأجرة من دورين في نفس الحي . ويعمل في الإدارتين أكثر من عشرين موظفاً^(٢) .

ج - مكتب التعليم :

يتكون من عمارتين حكوميتين وهما مبنيان مستقلان في حي بحرة، أحدهما للرجال، وآخر للنساء، وهما مبنيان متقاربان في المكان، ويتكون كل منهما من دورين بمرافقهما^(٣) .

د - المستشفى العام ومراكز الرعاية الأولية :

مستشفى الدرب العام يقع وسط حي أبو السداد، مبنى حكومي من دورين، طاقته (٥٠) سريراً . ومكانه مزدحم لما يحيط به من العمارات السكنية، وكذلك الطرق المؤدية إليه مازالت ضيقة وتحتاج إلى توسعة. وهناك مستشفى جديد سعته (٢٠٠) سرير على الطريق الدولي من الدرب إلى البرك فالقنفذة، مازال العمل فيه جارياً، وقد ينتهي تشييده قريباً. هناك خمسة مراكز رعاية أولية . اثنان في مدينة الدرب، أحدهما وسط المدينة حكومي مكون من دور ونصف، والثاني في عمارة مستأجرة بحي أبو السداد مكون من دورين . وثلاثة مراكز أخرى حكومية تتكون من دور ودورين في مراكز عتود، والشقيق، ومنشبة^(٤) .

(١) زيارة الباحث ومشاهدته يومي (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) زرت مبنى الرجال في (١٢/٣/١٤٤٣هـ)، والتقيت ببعض المشرفين والموظفين الذين ساعدوني في الحصول على بعض المعلومات والتفصيلات عن المحافظة وسكانها .

(٤) وقفت على بعض هذه الإدارات وبخاصة مستشفى الدرب العام في أبو السداد، ومركز الرعاية أيضاً . وتاريخ الصحة والخدمات الطبية في عموم منطقة جازان موضوع لم يدرس ويوثق تاريخه من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية .

هـ - المدارس الحكومية، وإدارات الهلال الأحمر، ومكافحة المخدرات، وهيئة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبريد، والضمان الاجتماعي :

تجولت في عموم المحافظة، وشاهدت جميع مدارس التعليم العام (بنين وبنات) في عمائر حكومية مسلحة، تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة أدوار. وإدارة الهلال الأحمر في حي الغريف جنوب المحافظة في عمارة مستأجرة مكونة من دورين. وإدارة مكافحة المخدرات في حي بحرة في مبنى مستأجر من دورين. وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبنى حكومي في مخطط الإسكان جنوب المحافظة، على طريق الدرب جازان^(١). يتكون من طابقين وملاحقهما. وإدارة البريد وسط مدينة الدرب في عمارة مستأجرة من دور واحد. والضمان الاجتماعي في مبنى حكومي من طابقين في حي أبو السداد^(٢).

و - إدارات الشرطة، والمرور، والدفاع المدني، ومركز مكافحة نواقل الأمراض،

وإدارة المساجد، والأحوال المدنية :

تقع إدارة الشرطة في مبنى حكومي من ثلاثة طوابق في حي الحمراء المعروف سابقاً بقرية (المسامير). والمرور في عمارة مستأجرة من دورين شرق المحافظة في حي الغريف. وإدارة الدفاع المدني في عمارة حكومية من دورين بحي أبو السداد. ومركز مكافحة نواقل الأمراض في مبنى حكومي من دور واحد في مخطط الدوائر الحكومية. وإدارة المساجد في حي أبو السداد في عمارة مستأجرة مكونة من طابقين. وإدارة الأحوال المدنية في مبنى مستأجر وسط الدرب على الشارع العام^(٣).

ز - إدارات البلدية، ووحدة كهرباء الدرب، وفرقة المجاهدين، وإدارة البيئة

والمياه، ومركز الدعوة والإرشاد، وكليات التعليم العالي :

مبنى بلدية الدرب حكومي، من أجمل عمارات المحافظة، على طريق الدرب

(١) يعرف هذا المخطط بالإسكان الجديد، ويسمى مخطط الدوائر الحكومية، فيه العديد من العمارات الحديثة والجديدة في تصاميمها وديكوراتها.

(٢) التاريخ الإداري لمحافظة الدرب خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٠-١٤٤٣ هـ/١٩٦٠-٢٠٢١ م) موضوع جديد يستحق الدراسة والتوثيق في عمل علمي تفصيلي.

(٣) لم أسهب في الحديث عن كل إدارة من حيث طاقمها البشري، وأنشطتها لخدمة الأرض والناس. وهذه المحاور التي أسردها في هذه الرحلة تعد فقط مفاتيح أولية لمن يرغب توثيق تاريخ هذه المؤسسات الإدارية المتفاوتة في تواريخها وجهودها الحضارية. كما أن توثيقي لم يشمل كل المؤسسات الإدارية والأهلية في عموم المحافظة.

جازان ، في مخطط المملكة جنوب المحافظة ، يتكون من ثلاثة أدوار كبيرة ، يحيط به العديد من المرافق الخدماتية ، وعلى مقربة منه حديقة متوسطة المساحة . ووحدة الكهرباء في عمارة بحي أبو السداد مكونة من دورين . وفرقة المجاهدين في عمارة مسلحة بقرية المسامير (حي الحمراء حالياً) مكونة من دورين . وإدارة المياه في مبنى حكومي مسلح مكون من دورين بحي أبو السداد . ومركز الدعوة والإرشاد في عمارة مكونة من طابقين في حي أبو السداد . والكلية التقنية للبنين في مبنى حكومي كبير جنوب المحافظة على طريق الدرب جازان . وكلية البنات الجامعية على الطريق الذي يسير من جسر رجال ألمع إلى الدرب ، في عدد من العماائر المستأجرة ، مكونة من طابق وطابقين . وشاهدت عمارات من دورين على طريق الدرب جازان ، مازالت غير مكتملة عمرانياً ، ذكر لي أنها مقر كليات البنات الجامعية ، ويقال إن عمارتها متوقفة منذ عدة سنوات ، ولا أعلم ما هو السبب ؟^(١) .

ح - جمعيات ، ولجان ، ومؤسسات أهلية :

من الجمعيات في الدرب ، جمعية البر الخيرية ، تقع في دور حكومي واحد بحي أبو السداد . وجمعية تحفيظ القرآن الكريم في عمارة مستأجرة من دورين وسط المدينة . ولجنة التنمية الاجتماعية الأهلية في عمارة ملك للشؤون الاجتماعية مكونة من دورين في حي أبو السداد . وفي المدينة ثلاثة فروع لبنوك الراجحي ، والأهلي ، والبلاد ، بالإضافة إلى خدمات تحويلات سريعة لبنكي الأهلي والراجحي . وجميعها تقع على الشارع العام (الدولي) من الدرب إلى القنفذة وجدة^(٢) .

(*) يتبع محافظة الدرب أربعة مراكز حكومية ، وهي على النحو الآتي :

١- مركز الشقيق :

الشقيق بلاد قديمة ، لها ذكر في بعض المصادر والوثائق الحديثة ، تبعد عن حاضرة الدرب على طريق الدرب البرك القنفذة حوالي (٢٥ كم) تحتل حاضرتها

(١) أشرت في المحور المدون أعلاه إلى عدد من المؤسسات الإدارية . وكل مؤسسة تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة . ومن خلال ترددي على منطقة جازان منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) وجدت أنها بلاد ذات تاريخ وإرث حضاري كبير ، تستحق أن تدرس ويوثق موارثها في عشرات البحوث . واليوم - والله الحمد - يوجد في جامعة جازان عشرات الأقسام والكليات ، وأعداد كثيرة من الأساتذة والباحثين ، وعليهم جميعاً مسؤولية خدمة هذه البلاد العريقة في تاريخها وحضارتها ومواردها الطبيعية والبشرية .

(٢) ما تم الإشارة إليه من التاريخ الإداري بمحافظة الدرب ، هو فقط شذرات مختصرة ، على أمل أن تكون هذه الوقفات عوامل مساعدة لمن يرغب دراسة تاريخ التنمية الحديثة في عموم منطقة جازان ، فهي بلاد تستحق أن تدرس وتخدم بعشرات الأعمال البحثية الوثائقية الرصينة .

الواجهة البحرية بين الدرب والحريضة ، تمتد أراضيها في الداخل حتى المرتفعات الساحلية الواقعة ضمن محافظتي محاليل ورجال ألمع . ومساحة مدينة الشقيق الرئيسية حوالي (١٥×٥ كم^٢) ^(١) وتضم الأجزاء الدنيا للوديان القادمة من المرتفعات التهامية الساحلية الواقعة بين وادي عتود وحلي، مثل: أودية ريم ، وعمرم ، ونهب . وكون هذه المجاري صغيرة ، لكنها كونت مساحات متفرقة من رسوبيات الطمي حوالها ، وهذا مما ساعد على وجود حياة مستقرة تعتمد على الزراعة بالإضافة إلى مهنة الرعي ^(٢).

وبلدة الشقيق حاضرة متمدنة ، تقع قريباً من مصب وادي ريم ، وتحديداً على جانبه الأيسر ، كان يمر منها الطريق الساحلي القديم ، ويجتاها حالياً الطريق العام الدولي الذي يربط منطقة جازان مع القنفذة وجدة ومكة المكرمة . ويتبع الشقيق قرى عديدة منها: ساحل العلاطة ، والصقعان ، وحلة ابن هيجان ، والحصام على الجانب الأيمن من الوادي ، وفي الناحية الشمالية الشرقية قرى القاع ، وخبث بن جبران ، والجعافرة ، والصنيدلي ، وعجيبى . وهناك بعض القرى الصغيرة في الناحية الشمالية الغربية مثل: المسمور ، والسواني ^(٣).

من خلال اطلاعي على بعض الوثائق والمدونات ، ومقابلتي بعض الأفراد في منطقتي عسير وجازان علمت أن بلاد الشقيق كانت في السابق غنية جداً بالزراعة وما ينبت في أراضيها من ثمار ومحاصيل زراعية ، وكان الناس يفدون إليها من كل مكان وبخاصة من بلاد محاليل ورجال ألمع وما حولها ، من أجل العمل مع أهلها في مزارعهم شهوراً عديدة ، والاستفادة مما تجود به أراضيهم من حبوب وخيرات زراعية ^(٤) . والذاهب في

(١) لبلاد الشقيق أودية وعمق داخلي يصل إلى جبال محاليل ورجال ألمع ، ومعظم سكانها في تلك النواحي قبائل عربية يسكنون ديارهم منذ مئات السنين ، وما زالت الحياة الريفية تغلب على حياتهم في الأودية والجبال البعيدة عن بلدة الشقيق الرئيسية . وديار الشقيق تستحق أن تدرس في عمل علمي توثيقي خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) .

(٢) إن الذاهب من بلاد الدرب والشقيق نحو مرتفعات تهامة منطقة عسير في محاليل ورجال ألمع يلحظ وجود الأراضي الزراعية الكثيرة ، وبعض الجبال والهضاب والمجاري المائية الصالحة لمزاولة الحياة الرعوية . وكانت هاتان الحرفتان (الرعي والزراعة نشيπτين في القرون الماضية ، لكنها تراجعت في العقود الماضية المتأخرة . والبلاد الداخلية في الأجزاء التهامية الممتدة من تهامة الطائف إلى تهامة عسير جديرة بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية .

(٣) جمعت هذه المعلومات من بعض أعلام مركز الشقيق في (١٣/٢/١٤٤٣هـ) ولم أحصر كل قرى ونواحي بلاد الشقيق ، لكنني أشرت فقط إلى بعضها ، ومدينة الشقيق إحدى مدن منطقة جازان الحديثة ، ورد ذكرها في عدد من كتب التراث الإسلامي الوسيط ، ثم جرى على أرضها أحداث سياسية وحربية في العصر الحديث فذكرت بشكل أوسع في الكثير من المصادر والمراجع والوثائق . ويذكر أنها كانت في أوقات سابقة ميناءً بحرياً حروبياً وتجارياً . وهذه البلدة تستحق أن تدرس في بحث أو رسالة علمية .

(٤) دراسة بلاد الشقيق زراعياً في القرون الماضية موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في عمل علمي مطول وعميق .

أرجاء الشقيق حالياً يتضح له غنى تربتها ، ووفرة مياهها وتنوع نباتاتها. لكنها لم تعد اليوم أراضي زراعية كبيرة كما كانت في السابق ، وإنما صارت وجهة سياحية بامتياز ، فيوجد فيها الوقت الحاضر عشرات المنتجعات السياحية ، بالإضافة إلى جمال شواطئها وصلاحياتها للاستثمارات السياحية المختلفة^(١).

أثناء زيارتي الدرب والشقيق يومي الإثنين والثلاثاء (١٢-١٣/٢/١٤٤٣هـ) ، رأيت الشارع العام الدولي الذي يخرج من مدينة الدرب تجاه بلدة الشقيق عرضه تقريباً (٥٠ م) . وفي بلدة الشقيق تقع معظم المحلات والأنشطة الاقتصادية على الشارع الرئيسي الدولي . يتوسط المدينة إشارة ضوئية تتقاطع مع شارع الأمير محمد بن ناصر آل سعود الذي يسير من وسط البلدة إلى شاطئ البحر ، ويوازيه شارع آخر باسم الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ، ويتقاطع الشارعان قريباً من الشاطئ مع شارع يحمل اسم الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود . وهذه الشوارع الثلاثة أكبر الطرق المسفلتة في مركز الشقيق وعرضها يتراوح بين (٤٠-٦٠ م) . ويوجد على جوانبها الكثير من الخدمات الحضارية والتنمية^(٢).

تأتي بلدة الشقيق في المرتبة الثانية بعد مدينة الدرب من حيث توفر بعض المؤسسات الحكومية والأهلية. فإدارة المركز في مبنى مسلح مستأجر يتكون من دور واحد وإدارات أخرى عدية على شارع الأمير محمد بن ناصر مثل: الشرطة والدفاع المدني ، وكل مؤسسة في دورين حكوميين . والبلدية على الشارع نفسه قريباً من شاطئ البحر في مبنى حكومي كبيراً يتكون من ثلاثة أدوار وعدد من المرافق . وإدارات هيئة الأمر بالمعروف والمنكر ، وحرس الحدود ، وفرع البيئة والمياه ، وكل مؤسسة في عمارة مسلحة من دور أو دورين . ومركز الرعاية الأولية في مبنى حكومي من دورين^(٣) . وفي الشقيق محطة تحلية المياه

(١) أعرف بلاد الشقيق ببلاداً سياحية ممتازة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكانت الشواطئ السياحية الرئيسية لسكان السروات وبخاصة أهالي بلاد عسير ونجران . وخلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) جرى على أرضها الكثير من التطورات السياحية والتنمية . وبعد أن صارت الحريضة مركزاً من مراكز منطقة عسير منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) صارت هي الأخرى منافسة لبلاد الشقيق . والساحل من الدرب إلى القنفذة يستحق أن يخدم ويستثمر في ميدان السياحة ، وإذا حصل ذلك ، فالعائدات الاقتصادية من هذا المجال سوف تكون كبيرة ومربحة على المستويين العام والخاص الرسمي والأهلي .

(٢) إن الباحث في مجال التطور والتنمية الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ خمسين عاماً يجد أن تطوير الأرض والإنسان وصل إلى كل مكان . وهذا يعكس ما تبدله هذه الدولة المباركة (المملكة العربية السعودية) من خدمات كبيرة وجلييلة لعموم السكان والمجتمع السعودي (ذكروا وإنانا) .

(٣) لم يشمل حديثي كل الإدارات الحكومية والأهلية في مركز الشقيق ، وإنما أشرت إلى المؤسسات التي وقفت عندها وشاهدتها ، وهناك العديد من الخدمات الخاصة مثل بعض المراكز الصحية ، وفرع شركة الكهرباء ، وبعض البنوك التجارية .

التي تعد من أكبر المحطات في المملكة العربية السعودية ، ومياهاها تغذي مناطق كثيرة في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة في منطقتي جازان وعسير^(١) .

٢- مراكز عتود ، وريم ، وسمرة :

يقع مركز عتود جنوب غرب محافظة الدرب ، يبعد عن وسط مدينة الدرب حوالي (٢٢- ٢٥ كم) . يمتد هذا المركز بين مركز الشقيق شمالاً إلى وادي بيض جنوباً . يشتمل على عدد من القرى مثل: عتود ، والحروف ، والقضيب ، والعرق ، والسميرات . ويستوطنه عدد من البطون القبلية . واسم عتود ينسب إلى وادي عتود ، الذي ورد ذكره في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة ، والوسيطه ، وذكره بعض الشعراء الأوائل والمتأخرين . ومساحة المركز تقدر بـ (٤١٢ كم) . يوجد فيه بعض المؤسسات الإدارية ، كإدارة المركز في مبنى مستأجر من دورين ، ومركز الرعاية الأولية في عمارة حكومية من طابقين ، ومركز خدمات البلدية في دور مسلح حكومي . وهناك العديد من مدارس التعليم العام في أبنية حكومية مسلحة^(٢) .

يقع مركز ريم شمال محافظة الدرب ، على طريق رجال المَع ، يبعد عن وسط مدينة الدرب حوالي (٣٠ كم) ، يتبعه قرى عديدة ، مثل: السبلة ، وجندلة ، والرهوة ، والحمه ، والمفرق ، وأمسيول ، ومجاليل ، وجمحان وغيرها . ويسكنه حوالي (٢٥٠٠) نسمة . تتميز القرى التابعة للمركز بطبيعة خلابة متمثلة في بعض الأودية والمرتفعات والسهول ، ومعظم قرى هذه الناحية تقع ضمن مرتفعات تهامة عسير ذات الغطاء النباتي الكثيف . وفي المركز عدد من المؤسسات الحكومية ، مثل إدارة المركز في دور مستأجر ، وفرقة للمجاهدين في عمارة مسلحة من دور ونصف^(٣) .

(١) شاهدت محطة تحلية المياه بين الدرب والشقيق ، وهي ضمن أراضي مركز الشقيق . والذي سعى في وجودها ، وبذل جهوداً كبيرة في تأسيسها هو الأمير خالد الفيصل آل سعود ، أمير منطقة عسير منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) فقد أدرك صعوبة الحصول على مياه الشرب في منطقة عسير وبخاصة الأجزاء السروية ، لهذا عمل واجتهد في بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) على إنشاء محطة تحلية على شاطئ البحر الأحمر ، وقد نجح في تحقيق هذا المشروع . ومحطة التحلية في الشقيق اليوم تدار من إدارتها الرئيسية في الشقيق وأبها ، وتتبع المؤسسة العامة لتحلية المياه وتخدم بلداناً كثيرة في منطقتي عسير وجازان . تاريخ تحلية المياه في الشقيق موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) وناحية منشبة : إحدى نواحي محافظة الدرب ، قريبة من مركز عتود ، وفيها بعض المؤسسات الحكومية في أبنية رسمية وأخرى مستأجرة .

(٣) مركز ريم من المناطق البرية السياحية الجميلة ، يرتاده الكثير من السواح في الدرب وبعض محافظات عسير التهامة . وفيه مواقع ذات إطلالات جميلة على بعض سهول تهامة ، وفيه الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة في أحجامها ، وأشكالها ، وفوائدها .

مركز سمرة نسبة إلى وادي سمرة على الطريق الذي يصل محافظة الدرب بمحافظة بيش^(١). هذا المركز حديث النشأة، يبعد عن مدينة الدرب حوالي (٢٥ كم)، يوجد فيه بعض المدارس الحكومية، وإدارة المركز في مبنى مستأجر مكون من دور واحد. وإدارة حرس الحدود في عمارة حكومية من طابق واحد^(٢).

٣- التاريخ العمراني والتنموي :

كانت بلاد الدرب إلى عهد قريب تكثر فيها بيوت القش، ولا تخلو من البيوت المبنية بالأحجار أو اللبن^(٣). ومن بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ العمران الحديث يغزو أجزاء عديدة منها. وأثناء سيري في الطريق العام الذي يسير من جسر رجال المَع إلى وسط المدينة شاهدت العديد من المخططات العشوائية والمستوطنات البشرية التي تحتضن مئات العمائر الحديثة المسلحة. فبعد جسر رجال المَع مباشرة يأتي على يمين الخط حي المدير، بعده مخطط الكدرة على يسار الشارع ويمينه، ثم حي القرار على اليسار. وفي حاضرة الدرب، قرى وأحياء القائمين الأعلى والأسفل، وبحرة، وأبو السداد، وأبويحيى وجميعها شمال الخط الرئيسي^(٤).

من جسر رجال المَع يسير الطريق في الجهة الشمالية الغربية إلى بلاد رجال المَع، وفي الجنوب الشرقي إلى ديار الفطيحة والحقو، وإلى الجنوب أو الغرب من الشارع تأتي بلاد وسهول تهامية تابعة لمحافظة الدرب وغيرها. وفي هذه الديار مزارع وبعض المستوطنات السكانية. وعند مثلث الدرب يستمر الطريق بشكل مستقيم حتى الشقيق وما بعدها. وقبل مدينة الشقيق يخرج الطريق الدولي الجديد القادم من حواضر الحجاز إلى جازان واليمن. ومن المثلث أيضاً ينحرف الطريق إلى مدن بيش، وصبيا، وجازان. وعلى هذا الطريق وقرب منه قرى وأحياء عديدة بعضها قديمة، وأخرى حديثة^(٥).

(١) وادي سمرة، واد صغير شمال منطقة جازان بين محافظتي بيش والدرب، يسكنه بعض القبائل التي تعود في نسبها وأحلافها إلى بلاد الدرب، يلتقي هذا الوادي مع وادي بيض، ثم يصبان في البحر. المصدر: مشاهدات الباحث يوم الثلاثاء (١٣/٢/١٤٤٣هـ).

(٢) بلاد جازان بما فيها محافظة الدرب مازالت تستحق العديد من الدراسات الحضارية التي ترصد صفحات من تاريخها عبر أطوار التاريخ. والأمل في جامعة جازان وكلياتها وأقسامها العلمية فتدعم وتشجع إنجاز مثل هذه الأعمال العلمية التوثيقية.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن العمارة في عسير وجازان انظر غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م)، ص ٢٧-٥٧. وفي موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلداً) مادة علمية كثيرة متناثرة عن العمارة الحديثة والقديمة ومرافقها.

(٤) قمت بجولة في هذه الأحياء لبضع ساعات يومي الإثنين والثلاثاء (١٢-١٣/٢/١٤٤٣هـ).

(٥) ذهبت في هذين الطريقين إلى الشقيق، وإلى حدود محافظة بيش وشاهدت عدداً من الأحياء والقرى مثل: حي الحمراء

ذهبت إلى قرية الدرب القديمة وسط المحافظة في (١٣/٣/١٤٤٣ هـ) ، فوجدت مساحتها لا تزيد عن (١×١ كم) ، ويحدها من الشمال وادي عتود ، ومن الجنوب قريتي أبو ثور والكد ، ومن الشرق والغرب أراضي زراعية متنوعة المساحات . وهي القرية التي أشار إليها بعض رحالة القرن (١٤ هـ/ ٢٠ م) مثل الحاج عبد الله فيلبي وغيره . كانت معظم بيوتها في السابق من العشب ، واليوم (١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١ م) جميع بيوتها عمائر مسلحة من دور واحد إلى ثلاثة طوابق . وعدد منازلها تتراوح من (١٥٠ - ٢٠٠) منزلا ، وتتخللها شوارع مسفلتة ضيقة . ويتصل بالقرية طريقين أحدهما يتفرع من الشارع العام بين الدرب والشقيق ، ويجتاز وادي عتود . والطريق الآخر يتفرع من طريق الدرب بيش ويسير من حي الحمراء (المسامير) حتى وسط القرية ، وذكر لي أن عدد سكانها يتجاوزون الأربعة آلاف نسمة^(١) .

انتقلت إلى حي أبو السداد شمال مدينة الدرب شمال الطريق العام ، فوجدته من أكبر أحياء محافظة الدرب الحديثة ، ومن أقدمها . وذكر لي بعض الرواة أن معظم منازلهم في السابق كانت من القش والأشجار ، وبدأ العمران الحديث فيه خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤ هـ/ ٢٠ م) . ويغلب على أبنية هذا الحي تعدد الأدوار ، واتساع الشوارع ، وكثرة المرافق والخدمات . ويوجد فيه حالياً (١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١ م) مؤسسات إدارية عديدة مثل مقر المحافظة ، والمستشفى الحكومي ، ومكتب التعليم وغيرها^(٢) .

(*) إن الطرق المعبدة والمسفلتة من أفضل المشاريع التنموية والحديثة التي

ساعدت في تطوير محافظة الدرب. ومن أهمها :

أ - طريق أبها الدرب الشقيق ، والدرب بيش صبيا جازان :

هذا الطريق قديم في تاريخه ، فقد استخدم خلال القرون الماضية عندما كان ضيقاً وصغيراً فلا يسلكه إلا المشاة والدواب . ومنذ العقود الأخيرة في القرن (١٤ هـ/ ٢٠ م) بدأ العمل فيه حتى يكون مسلوكة بالآلات والسيارات. واستغرق إنجازه سنوات كثيرة ، لكنه

(المسامير قديماً) ، والغريف ، والجليلين ، ورملان ، ومنشبة ، والردحة وغيرها . ولم آت على كل أحياء وقرى حاضرة الدرب وما حولها ، لكنني وقفت عند بعضها ، وسألت بعض أعلام تلك البلاد عن أسمائها ، وشيئاً من تاريخها .

(١) زرت هذه القرية يوم الثلاثاء (١٣/٣/١٤٤٣ هـ) وتجولت في أرجائها ، ورأيت عماراتها المسلحة ، وما زال فيها بعض البيوت الشعبية القديمة المسكونة ، وبعضها مهجور . والغالب على القرية التخطيط العشوائي القديم ، فهي ضيقة في طرقها ، ومنازلها متلاصقة بعضها ببعض ، وتحيط بها الأراضي الزراعية من عدة جهات .

(٢) أسمع بهذا الحي منذ تسعينيات القرن (١٤ هـ/ ٢٠ م) ، فلا يذكر الدرب إلا ويرد اسم حي أبو السداد . وفيه الآن (١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١ م) مئات العمارات والمرافق المتنوعة من مدارس ، ومؤسسات حكومية ، ومقابر ، ومحلات ، وعمارات سكنية خاصة وتجارية . ويبدو أنه أطلق عليه اسم (أبو السداد) نسبة إلى شجر السداد الذي كان موجوداً فيه بكثرة . وسكانه من قبائل الدرب ، وبينهم أعداد كثيرة من أهل السراة الذين اشتروا الكثير من العقارات والأراضي وعمروها واستثمروها .

لم ينته القرن الهجري الماضي إلا وأصبح مطروقا إلى أبها ، أو جازان . وبلاد الدرب من المحافظات الرئيسية لهذا الطريق . ثم تطور تشيده وتمهيدته وتطويره حتى صار اليوم (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) شارعاً كبيراً مزدوجاً يتراوح عرضه من (٣٠ - ٦٠ م)^(١) والشارع الذي يسير من جسر رجال ألمع إلى مثلث الدرب ثم يتجه غرباً إلى الشقيق يتفاوت عرضه من الثلاثين إلى الخمسين متراً ، وربما زاد في بعض الأمكنة . والوضع نفسه على الشارع الذي يخرج من المثلث إلى بيش وصبيا لكنه أوسع ، وأفضل في طبيعته وسهولته^(٢) . ومن مكان على الشارع بين مدينتي الدرب والشقيق يسير الطريق الدولي الجديد القادم من الحجاز متجهاً إلى حاضرة جازان سالكا الساحل دون أن يمر على حاضرة الدرب^(٣) .

ب - طريق جسر رجال ألمع إلى الحبيل ورجال ، أو الفطيحة والحقو :

كان هذا الطريق معروفاً قديماً ومسلكاً بالمسافرين والحجاج وغيرهم ، وفي العقود الماضية المتأخرة تم شقه وسفلته ، وهو مسار واحد بعرض حوالي (١٥ - ٢٠ م) . يوجد على جانبيه في الاتجاهين الكثير من المزارع ، والأبنية الخاصة ، وكثير منها استراحات ومنتجعات حديثة لأهل السراة وبعض التهاميين . وهو شريان مهم يربط تهامة عسير الشمالية والجنوبية مع بلدان عديدة من تهامة وفي مقدمتها محافظة الدرب . ومن هذا الطريق يستطيع المسافر أن يذهب إلى بلدة الشعبين في رجال ألمع ثم يواصل السير إلى محاليل ، أو يصعد من عقبة الصماء إلى حاضرة أبها . أو من بلاد الفطيحة والحقو والريث إلى بعض العقبات (الطرق) في تهامة شهران وقحطان حتى سروات عسير الجنوبية والشرقية^(٤) .

(١) أشار إلى هذا الطريق بعض الرحالة والمؤرخين خلال القرون الثلاثة الماضية (١١ - ١٤هـ/ ١٧ - ٢٠م) . وهو درب مهم له تاريخ ، ووقع عليه حروب وأحداث عديدة . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسه ويوثق تاريخه من القرن (١٠هـ - ١٦م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) . ومن يقوم بذلك فسوف يطلعنا على معلومات قيمة عن هذا الطريق الحضاري المهم .

(٢) سرت في هذا الطريق من عام (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ، وشاهدت كيف كان ضيقاً جداً ، وصعباً في بعض أجزائه ، ثم رعته الدولة (وقفها الله) حتى صار اليوم من أسهل الطرق التي تربط منطقة جازان مع غيرها من بلدان ومناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية .

(٣) يجري العمل في هذا الطريق منذ زمن ، ويسير مع الساحل من الشقيق حتى جازان والطول فاليمن . وعند ذهابي على طريق الدرب بيش في (١٣/٣/١٤٤٣هـ) بحوالي عشرة أكياال ووجدت دربا إلى اليمن ، يعرف باسم طريق (منشبة) فسرت عليه حوالي (١٢ - ١٥ كم) ، ثم وجدت الطريق الدولي الجديد اتجاهين بعرض يزيد عن (٦٠ م) ، وصار مسلوكا بجميع السيارات حتى جازان ثم اليمن ، ومازال جزء صغيراً في حاضرة الدرب غير مفتوح حتى يلتقي بالطريق الدولي العام الذي يخرج من مثلث الدرب إلى الشقيق ثم البرك إلى جدة ومكة المكرمة . والذهاب في هذا الطريق إلى جازان يجد قرية سمرة إلى اليمن . وأراضي محافظة بيش على اليسار . وهذا الطريق الساحلي المذكور من قبل الإسلام ، وأشار إليه بعض الرحالة المسلمين الأوائل ، وهو اليوم معبد ومسفلت ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٤) هذا ما سمعته من بعض سكان محافظة الدرب ومركز مربة وبعض السرييين في منطقة عسير . ومعظم هذه الطرق مسفلتة وسهلة العبور ما عدا العقبات التي تنزل من سروات قحطان وشهران ما زالت تحتاج إلى إصلاح وتوسعات أفضل .

ج- طريق من الشقيق إلى أجزاء من محافظة محاليل :

هذا الطريق اتجاه واحد بعرض (١٥-٢٠م) ، وهي من الطرق المهمة التي تصل بين أجزاء تهامة عسير الشمالية ومنطقة جازان ابتداءً بمحافظة الدرب . يقع على هذا الشريان بعض الخدمات المحدودة ، ولأهميته الاقتصادية والحضرية ، فإنه بحاجة إلى توسعات حتى يصبح مزدوجاً ، ويحتاج إلى بعض الخدمات الضرورية مثل محطات للبترول ، وخدمات السيارات ، وبقالات ، وغيرها^(١) .

د- طرق محافظة الدرب الداخلية :

هناك شبكة طرق كثيرة ومتنوعة في أطوالها وجودتها داخل القرى والأحياء . ومن الطريق العام من أبها إلى الشقيق أو ببش تتفرع عشرات الطرق التي تدخل إلى بلدات وأحياء المحافظة . والملاحظ على جميع أجزاء المحافظة التخطيط العشوائي . ففي النواحي الواقعة بين كبري رجال ألمع ومثلث الدرب الانتشار الكثير للعمران الحديث الذي قام عشوائياً فالطرق الداخلية غير مخطط لها ، وتتفاوت في أطوالها ، وعرضها ، واتجاهاتها ، وبعضها مسفلت وأخرى مازالت ترابية^(٢) . وإذا تأملنا قرى وأحياء حاضرة الدرب فهي الأخرى غير منظمة ، فلم يراع فيها تخطيط عمراني حديث ، ومن ثم ظهرت العشوائيات في معظم الأبنية العامة والخاصة^(٣) . وبلدة الشقيق القديمة ليست بعيدة في عشوائياتها عما سبق . لكن فيها بعض الطرق الحديثة والكبيرة التي لا تخلو جنباتها من التخطيط . وقد شاهدت بعض المخططات الحديثة في المحافظة ، ومن أفضلها مخطط الإسكان ، أو الدوائر الحكومية بجوار البلدية على طريق الدرب ببش فهو مخطط حظي بتخطيط حديث ، وقامت فيه الكثير من العمارات الحديثة ، والشوارع المرتبة والجيدة^(٤) .

(١) هذا الطريق مزدحم ومسلك بنسبة كبيرة ، ولمحدوديته يقع عليه الكثير من الحوادث الكبيرة والقاتلة . أمل أن يجد رعاية أفضل ، ويجري توسعته وخدمته بالخدمات اللازمة والضرورية .

(٢) أشاهد هذه الناحية من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فقد كانت أراضي غير مسكونة ، ثم بدأ الناس يملكون العقارات فيها بأسعار محدودة ، وبدأوا في عمارتها فشيّدوا فيها البيوت الخاصة ، والمنتجعات السياحية دون مراعاة التخطيط العمراني السليم للبناء والتشييد .

(٣) ليس التخطيط العمراني العشوائي مقصوداً على محافظة الدرب ، لكنني شاهدت ذلك في عموم قرى وبلدات ومين السروات وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران . وهذا نتج عنه الارتجالية في البناء قديماً ، لعدم وجود مؤسسات خدماتية ، كالبلديات وغيرها ، تشرف على الحياة العمرانية . وفي العقود الماضية المتأخرة تطورت البلاد حضارياً واقتصادياً ، وقامت مؤسسات تشرف على التنظيم العمراني ، ومن ثم اصطدمت بالتجمعات السكنية القديمة العشوائية ، ثم قامت العمارات الحديثة داخل أو قريباً من القرى القديمة وازداد العمل العشوائي وشمل أيضاً العمران الحديث الذي نشاهده منتشراً في كل مكان .

(٤) يقع في بلدة الشقيق مخططان أحدهما حكومي ، ولم يشيد فيه العمران حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ومخطط

(*) أما العمارة بأنواعها في محافظة الدرب، فهي الأخرى تتفاوت وتتنوع من مكان لآخر، ونذكر بعضها وأهمها في النقاط الآتية :

١- العمارة الحكومية والسكنية :

تم الإشارة إلى عدد من المؤسسات الحكومية والأهلية، ومنها نسبة جيدة تمارس أعمالها في أبنية حكومية تتراوح ارتفاعاتها من طابق إلى ثلاثة طوابق. وأفضل العمارات الحديثة في المحافظات مقرات البلدية في الدرب والشقيق، فهي أبنية كبيرة تتكون من ثلاثة أدوار مع مرافقها، ثم المدارس الحكومية فأبنيتها حديثة وكبيرة مزودة بجميع الخدمات. ومقرات تحلية الشقيق، ومستشفى الدرب الحكومي الجديد فهي مكونة من عمارات عديدة وجديدة متعددة الأدوار والمرافق الأخرى. وهناك إدارات أهلية ورسمية تعمل في عمارات مستأجرة داخل الحاضرة، وفي المراكز وتختلف من مؤسسة لأخرى حسب حجمها، وعدد موظفيها، وأهميتها في خدمة الأرض والناس^(١).

والعمارة السكنية الأكثر انتشاراً في عموم المحافظة. فهناك عدد من القرى والأحياء القديمة مازالت تشتمل على أبنية شعبية مبنية بالحجارة أو الطوب. والعمارة الحديثة المسلحة بدأت من تسعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م)، ثم تكاثرت حتى صارت معظم الأحياء، والقرى والمراكز مليئة بالأبنية الجديدة المتفاوتة في مساحاتها، ومرافقها، وطوابقها. لكنها تتراوح من دور واحد، أو بعض الغرف المحدودة إلى ثلاثة طوابق وقليل ما ترى عمارات خاصة من أربعة وخمسة أدوار، ما عدا الأبنية السكنية التجارية. ويمتلك بعض الأفراد منتجعات أو استراحات خاصة يستخدمونها لأموهم الخاصة^(٢).

٢- العمارة التجارية :

إن الذهاب على الطريق العام من جسر رجال ألمع إلى الشقيق، أو إلى حدود محافظة بيش الغريبة يرى مئات العماائر التجارية. وقد وقفت عند كثير منها مثل : الفنادق والشقق المفروشة، والدكاكين والمحلات التجارية، والمحطات البترولية، والمطاعم،

خاص بدأ من بداية هذا القرن، وهو مأهول بالعمارات والسكان. وفي حاضرة الدرب مخطط عتود قريباً من الخط الدائري الجديد، وحتى الآن لم يقم فيه العمران. وأثناء سيري في حاضرة الدرب شاهدت بعض شوارعها الداخلية مزدوجة وكبيرة، لكنها لا تخلو من بعض العشوائيات لقربها واختلاطها بالعمارة والقرى القديمة .

(١) تاريخ العمارة الحكومية في عموم منطقة جازان موضوع مهم وجديد في ميدانه حيداً أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية من عام (١٣٥٠-١٤٤٣هـ/١٩٣١-٢٠٢١م) .

(٢) المنازل أو الأبنية السكنية الخاصة في محافظة الدرب أو عموم منطقة جازان جرى عليها الكثير من التحولات والتطورات من نهاية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، من حيث مواقعها، ومواد البناء، والأيدي العاملة، والأعمال والفنون الهندسية، والإيجائيات والسلبيات لكل مرحلة أو نوع من البناء. وهذا موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق بالصور الفوتوغرافية. أمل أن نرى باحثين جادين يتولون هذا المجال بالبحث والتوثيق .

والأسواق المتنوعة في معروضاتها ، والورش والمصانع متعددة الأغراض . وتتراوح أدوارها من غرفة ، أو غرف ، أو شقة ، أو دور إلى عدة أدوار ، وارتفاع بعض الأبنية على الشارع الرئيسي تزيد عن خمسة وستة أدوار وقليل جداً تصل إلى تسعة أو عشرة أدوار ^(١) .

تكثر الشاليهات والمنتجعات في محافظة الدرب ، وبخاصة في مركز الشقيق وما حوله ، فقد حصرت أكثر من سبعين فيلاً أو شاليه أو منتجع على الطريق الممتد من الدرب إلى الشقيق . وتتفاوت في أعدادها ، ومساحاتها ، وخدماتها ، ومرافقها ، ومواقعها . وأغلب المحلات التجارية على الطريق العام الممتد من مثلث الدرب تجاه أبها وعلى الطريقين المؤديين إلى الشقيق ، أو بيش . ولا يخلو شاطئ الشقيق من بعض المنتجعات والشاليهات التجارية الخاصة . وشاهدت عدداً من الأسواق والمستودعات الحديثة ، مثل: الدرب مول ، والراية ، والعثيم ، وقاهر الأسعار ، والعامر وجميعها على الشارع العام في حاضرة الدرب . وأسواق (البيالوفارد) وريحانة مول التي يجري تشييدها حالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) على الطريق العام . ومن مستودعات الأغذية الفلقي ، والتوفير ، والأصدقاء ، والنور ، ومصبح ، والطيبات وغيرها ، وجميعها تتبع أنواعاً كثيرة من الأطعمة والمواد الغذائية ^(٢) .

عند إقامتي في الدرب شاهدت بعض الأسواق اليومية والأسبوعية . فمن الأسواق اليومية سوق شعبي ، يعرفه أهل الدرب باسم (سوق ابن نازح) عند المثلث ، كان في السابق تحت مظلة حديدية (هنقر) مساحته تقريباً (٢٥ × ٢٠م) ، يعرض فيه عشرات السلع المحلية من أدوات منزلية ، وزينة ، وألبسة ، وسلع خشبية ، وبلاستيكية ، وأقمشة وغيرها . وعندما نزلت جائحة كورونا على الناس عام (١٤٤١-١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠-٢٠٢١م) ، قامت البلدية بنقله إلى شوارع مفتوحة مجاورة لمكانه الأول ، حتى لا تنتشر عدوى كورونا بين الناس . وأثناء زيارتي الأخيرة مازال في مكانه الجديد ، ويعمل فيه عمالة سعودية وغير سعودية ، ويرتاده الكثير من الزوار والسواح ، لما يعرض فيه من البضائع التراثية وغيرها . وأسعارها رخيصة ومعقولة مقارنة بالأسواق اليومية الأخرى . وفي وسط مدينة الدرب على الشارع العام هناك سوق يومي آخر ، متخصص في بيع الأسماك ، والروبيان ، والفواكه ، والخضروات ، وبعض الأطعمة المحلية . وهذا السوق

(١) شاهدت بعض الأبنية في الشقيق والدرب ومعظم أدوارها من دورين إلى خمسة أو ستة أدوار . ورأيت عمارة أو عمارتين فقط وصل ارتفاعها إلى تسعة طوابق ونصف . لم تكن محافظة الدرب بهذه الصورة عمرانياً حتى سبع أو ثمان سنوات ماضية ، وحالياً زادت عماراتها العالية التي تزيد طوابقها عن الأربعة وخمسة طوابق .
(٢) تاريخ التجارة والعمارة التجارية في محافظة الدرب موضوع مهم يستحق أن يوثق في عمل علمي مطول .
هكذا أن نرى باحثاً يدرس هذا العنوان خلال الثمانين عاماً الماضية .

كثير الارتياح من سكان محافظة الدرب . والفئات العاملة فيه من السعوديين ، وبعض الوافدين من اليمن ، وبعض الدول العربية ، ودول شرق وجنوب شرق آسيا . أما سوق المواشي والأعلاف فيقع بعد مبنى بلدية الدرب على طريق الدرب ببش بحوالي كيلين . ويعرض فيه الكثير من المواشي التي تجلب من مناطق عديدة في منطقة جازان ، وتهامة قحطان وشهران وغيرها ^(١) .

وسوق الدرب الأسبوعي يعقد كل خميس ، ويسمى (سوق الخميس) من الأسواق القديمة التي ورد ذكرها في بعض الكتب والوثائق قبل أكثر من قرنين . مازال هذا السوق يعقد إلى اليوم ، فالناس ، وبخاصة أهل البضائع يرتادونه من بعد ظهر الأربعاء ، ويزدحم وتشتد حركته التجارية طوال يوم الخميس . وهو في فناء خارجي بقرية الدرب القديمة ، يطل على وادي عتود ، ومساحته حوالي (٢٠٠ × ٢٠٠ م) ، أقامت فيه البلدية بعض المظلات الحديدية . وذكر لي بعض سكان الدرب أنه من أنشط الأسواق في منطقة جازان ، ويرتاده الكثير من الناس الذين يأتون إليه من أجزاء عديدة في تهامة جازان الشمالية ، وبعض تهائم عسير الجنوبية . ويرتاده بعض المتسوقين السريوين الذين يمتلكون بعض العقارات والأنشطة التجارية في محافظة الدرب وما حولها ^(٢) .

وفي مركز الشقيق سوق أسبوعي آخر يعقد كل يوم أحد ، وهو من أسواق تهامة القديمة ، ومازال يقام حتى اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . مقره الدائم في جنوب الشقيق ، يبعد عن الطريق العام إلى الداخل حوالي (١٥٠ - ٢٠٠ م) . ومساحته تقريبا (١٥٠ × ١٥٠ م) ، فيه أبنية حديثة تستخدم لبعض النشاطات التجارية ، وأجزاء منه مظلة بمظلات حديدية . ويذكر بعض الرواة أنه كان إلى وقت قريب يجمع كل السلع المختلفة بالإضافة إلى سوق المواشي والأعلاف ، ومنذ خمس سنوات انتقل سوق المواشي إلى الناحية الجنوبية الغربية للبلدة ، ويعمل بشكل يومي ومساحته حوالي (٢٠٠ × ٣٠٠ م) ، أما سوق الشقيق الأسبوعي الرئيسي فمازال في مكانه الأول وتعرض فيه الكثير من السلع المحلية وبعض المستوردة كل يوم أحد ^(٣) .

(١) المصدر : مشاهدات الباحث يوم الثلاثاء (١٢ / ١٠ / ١٤٤٣هـ) .

(٢) تاريخ سوق الدرب الأسبوعي موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، حبذا أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا بأقسام التاريخ في جامعتي الملك خالد أو جازان فيدرسه موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٣) السائح في أرجاء بلاد تهامة الساحلية والداخلية من جدة ومكة إلى جازان يلاحظ آثار الكثير من الأسواق الأسبوعية التي اندثرت وتوقف العمل فيها . وهناك أسواق أخرى عديدة وقديمة مازالت تعمل حتى وقتنا الحاضر ، وتفاوتت في أحجامها ونشاطاتها حسب الموقع والكثافة السكانية القريبة من كل سوق .

٣- الأبنية الدينية، والصحية، والرياضية، والتعليمية :

اطلعت في اليومين التي قضيتها في محافظة الدرب على منشآت معمارية تنموية حديثة أخرى، ومن أهمها:

أ- العمارات الدينية ممثلة في الجوامع والمساجد والمقابر :

شاهدت مساجد ومصليات صغيرة عديدة في عدد من أحياء وقرى المحافظة . ووقفت عند بعض الجوامع الكبيرة مثل: جامعين في قرية الدرب القديمة، ومساحتهما تتراوح بين (٢٥×٢٠م) و(٢٥×٢٥م) تقريباً. وعند المثلث في التقاطع بين طريقي الدرب جازان، والدرب الشقيق جامع المثلث، كان إلى قبل سبع سنوات محدود المساحة، وبناءة قديمة نوعاً ما، ثم أعيد تشييده وتوسعته على طراز معماري حديث، ومساحته حوالي (٢٠×٢٠م) ورأيت جوامع أخرى عديدة كجامع الرحمة في حي أبو السداد، وجامع الجوهرة في حي بحرة، وجامع السوق على الشارع العام الذي يربط الدرب مع الشقيق ومساحاتها تتراوح من (٢٠×١٥م) إلى (٣٠×٢٠م)^(١) .

شاهدت عدداً من المقابر في بعض أحياء المحافظة مثل: مقبرة الكد في قرية الدرب، ومقبرتي أبويحيى والشبالية في حي أبو السداد . ومقابر في أحياء القائمين الأعلى والأسفل، وبحرة، والحمراء (المسامير) . وتتفاوت مساحاتها بين (١٠٠×١٠٠م) إلى (٢٠٠×١٠٠م)، وجميعها مسورة بأسوار من عمل البلدية يتراوح ارتفاعها من متر ونصف إلى مترين وتزيد بعضها عن ذلك . ورأيت مقبرة جديدة كبيرة قريبة من الشارع العام وسط المدينة تزيد مساحتها عن (٣٠٠×٢٠٠م) من منشآت البلدية، وأثناء رحلتي الأخيرة للمحافظة لم بعد تفتح للدفن فيها^(٢) .

ب- الأبنية الطبية :

تقع على الشارع العام الذي يسير من الدرب إلى الشقيق مجموعة عمارات، منها الحكومية مثل المستشفى الحكومي الجديد الذي شيد على عشرات الآلاف من المترات على يسار الطريق العام، وبعض المراكز الصحية الخاصة في مدينة الدرب

(١) لم يشمل حديثي كل الجوامع والمساجد في محافظة الدرب فهي كثيرة، ويقدر عددها بالعشرات . وتاريخ

عمارة المساجد في منطقة جازان جدير بالبحث والدراسة في عدد من البحوث التوثيقية .

(٢) مشاهدات الباحث في عموم المحافظة يومي الإثنين والثلاثاء (١٢-١٣/٢/١٤٤٣هـ) . والعمارة الدينية في عموم منطقة جازان (الجوامع، والمساجد، ومصليات الأعياد، والمقابر وغيرها) تستحق أن تدرس وتوثق في بعض الأعمال التاريخية التوثيقية .

وبلدة الشقيق^(١) . بالإضافة إلى مستشفى الدرب القديم ، الذي مازال العمل سارياً فيه حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) ، وعدد من مراكز الرعاية الأولية في بعض أحياء الحاضرة، وبعض المراكز الأخرى . وجميع عمارات الصحة الرسمية والأهلية في أبنية حديثة مسلحة بعضها حكومية وأخرى مستأجرة^(٢) .

ج- العمارات الرياضية ، والترفيهية ، والسياحية والتعليمية :

لا يوجد في محافظة الدرب أندية رياضية رسمية ، وذكر لي بعض الرواة أن هناك أندية شعبية في الأحياء المحلية ، أسسها بعض شباب المنطقة ، يمارسون من خلالها بعض الألعاب الرياضية وبخاصة كرة القدم . وقد أنشأت البلدية عدداً من الملاعب في أماكن متفرقة ليستفيد منها أبناء المحافظة أثناء ممارسة رياضاتهم . ويقال أن هناك من يقوم حالياً (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) على بناء صالة رياضية بالقرب من بلدية الدرب . هناك استراحة البلدية لخدمة المحافظة واحتضان بعض نشاطاتها الاجتماعية والمعرفية وغيرها ، وتقع على قمة جبل عكاد الصغير مكونة من دور واحد وبعض المرافق الضرورية . والمركز الحضاري جنوب المحافظة قريباً من البلدية لعقد بعض الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية والترفيهية .

وفي المحافظة الكثير من الاستراحات الخاصة والشاليهات التجارية . وفي حاضرة الدرب عدد من القاعات والقصور لعقد المناسبات والاحتفالات واللقاءات الاجتماعية المختلفة مثل: قاعة التاج في المثلث ومساحتها تقريباً (١٠٠×٧٠م) ، وقصر العرب على الشارع العام وسط المدينة ، وهو كبير جداً فقد تزيد مساحته عن (٣٥٠×٣٥٠م) ، وقد تم قسمه إلى قاعتين تعملان بشكل مستقل . وقصر المملكة قريباً من حزام الدرب بين حيي بحرة وأبوالسداد ، ومساحته تزيد عن (١٥٠×١٠٠م) ، وقصر الفارس على حزام القائم الأعلى ومساحته تقريباً (٥٠×٣٠م)^(٣) .

(١) رأيت عدداً من المستوصفات الأهلية على طريق الدرب الشقيق مثل : الأهلي ، والشفاء ، وأفتان للأسنان ، ومركز الدكتور علي الطبي وغيرها .

(٢) كانت منطقة تهامة من مكة إلى جازان ساحل وسهول موطناً للكثير من أمراض عديدة فتكت بالناس . واليوم صارت بلاداً متطورة في شتى المجالات ، وأصبحت الرعاية الصحية الجيدة متوفرة لجميع شرائح المجتمع . وتاريخ الطب والتطبيب في هذه البلاد خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٢١-٢٠٢١م) موضوع مهم يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية .

(٣) ذكرت فقط نماذج من الاستراحات والقصور في المحافظة ، مع أن هناك عدداً من الاستراحات المتفاوتة في مساحاتها ومواقعها في المدينة وبعض مراكزها . أمل أن نرى من أبناء هذه البلاد من يعمل على توثيق شيء من تاريخها وتراثها وحضارتها الحديثة والمعاصرة .

لا تخلو المحافظة من بعض الأمكنة السياحية . فهناك حدائق متفرقة في البلاد من منجزات البلدية كحديقة المملكة جنوب المحافظة قريباً من مبنى البلدية ، ومنتهز الدرب السياحي جنوب الكلية الجامعية في الدرب . وحديقتي المعهد المهني ، والعامه جنوب المحافظة ، وحديقة أبو يحيى غرب الدرب ، وحديقة عتود ، وحديقة غيم في حي بحرة قريباً من مكتب التعليم . وللدرب منتزه بري جميل في وادي ريم ، ليس فيه أبنية ، لكنه ذا مناظر طبيعية جميلة . وشواطئ محافظة الدرب في الشقيق ، والعرق ، والسميرات وغيرها . وأفضلها شاطئ الشقيق لوجود بعض الخدمات البسيطة فيه . أما الشواطئ الأخرى فما زالت بكرًا وتحتاج إلى جهود كبيرة لخدمتها وتطويرها^(١) .

والخدمات التعليمية والتنموية الثقافية لا بأس بها ، وبخاصة ما يتعلق بالتعليم العام فالمقررات التعليمية في عموم المحافظة حكومية . والمعلمون والمعلمات ، والمشرفون والمشرفات وجميع الكوادر البشرية وطنية يحمل معظمهم الشهادة الجامعية ، وبعضهم حصلوا على شهادات ما فوق الجامعة كالديبلوم العالي والماجستير والدكتوراه^(٢) . أما التعليم الجامعي فما زال متأخراً في هذه الناحية ، نعم هناك كلية بنات جامعية فيها عدد من التخصصات النظرية والعلمية ، لكن المحافظة تحتاج أقساماً وكليات . وخدمات أخرى عديدة^(٣) .

ثالثاً : مركزا الحريضة والقحمة :

هذان المركزان (الحريضة ، والقحمة) يتبعان إدارياً في الوقت الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) إمارة منطقة عسير . وهما جزء من سواحل عسير البحرية الممتدة من الحريضة جنوباً إلى سعيدة الصوالحة شمالاً^(٤) .

- (١) مازالت محافظة الدرب بحاجة إلى خدمات تنموية عديدة ، وهي تستحق ذلك لموقعها الاستراتيجي ، فهي تربط بين عدد من الجهات والمناطق والمحافظات ، وتمتاز بالتنوع الطبيعي من ساحل وسهول إلى هضاب ومرقعات . أمل أن نرى هذه الناحية درة سياحية في شتى الجوانب التنموية .
- (٢) تجولت في ربوع المحافظة ، وقابلت عدداً من أعلامها ، وعلمت وسمعت أن هناك أعداداً ليست قليلة ممن يحملون شهادات عليا . بل هناك رجالاً ونساءً وصلوا إلى مناصب إدارية عليا في الدولة . وأعلم أن هناك بعض طلابنا وزملائنا يشغلون أعمالاً رفيعة في عدد من وزارات ومؤسسات الدولة . أمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظة من يعكف على توثيق سير أعلامها خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٠-١٤٤٣هـ / ١٩٢١-٢٠٢١م) .
- (٣) ليست الكليات الجامعية فقط التي تحتاجها محافظة الدرب ، وإنما تحتاج إلى إنشاء مجمعات تجارية كبيرة ، ونواد رياضية وثقافية حكومية . كما أن مجال الاتصالات وشبكات أبراج الجوالات ووسائل التواصل ضعيفة في بعض أجزاء المحافظة . وأقول إن على أبناء وأعلام هذه المحافظة مسؤولية كبيرة فيعملوا ويطالبوا ويدعموا كل ما يصب في تطوير محافظتهم . والدولة (وفقها الله) لن تتأخر في خدمة إنسان هذه البلاد ، لكن على الجميع التعاون والعمل الجماعي الذي يعود عليهم وعلى بلادهم بالنتائج التطويرية الإيجابية .
- (٤) هذه البلاد ذات تاريخ قديم يعود إلى ما قبل الإسلام ، ولها ذكر محدود جداً في بعض

١- من التاريخ المعاصر لمركز الحريضة :

لا أجد مصادر وكتب رحالة القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) يذكرون اسم الحريضة. وعندما جاء فيليب إلى الدرب والشقيق في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) اجتاز أراضي الحريضة دون أن يذكر هذا الاسم. وسألت بعض أعلام مركز الحريضة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عن بداية هذا الاسم فلم أجد إجابة دقيقة، وأشار بعضهم إلى أن مدينة الحريضة كانت غير مأهولة بالسكان إلى تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكثير من سكانها الحاليين كانوا يعيشون في بوادي وقرى عديدة بين حاضرة الحريضة وبين قرى وبوادي محافظتي محايل ورجال ألمع. ثم بدأوا مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ينزلون من قراهم وبواديهم إلى حاضرة الحريضة الحالية^(١).

أ- الجغرافيا والسكان :

تقع بلاد الحريضة في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، ويحدها من الشمال مركز بحر أبو سكينه، (خميس البحر) التابع لمحافظة محايل عسير، ومن الجنوب شاطئ البحر الأحمر، ومن الشرق أجزاء من محافظة الدرب، ومن الغرب مركز القحمة. ومساحتها تزيد عن ألف كيلومتر مربع، وعدد سكانها أكثر (١٧،٠٠٠) نسمة. وتتكون تضاريسها من ساحل، وسهول، ومرتفعات في الناحية الشمالية، والشمالية الشرقية من المركز. ومن أهم جبالها: جبل لبيا الذي توجد فيه العين الحارة، وجبال

كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط، لكنها عرفت ولعبت دوراً لا بأس به في العصر الحديث منذ القرن (١٠هـ/١٦م) إلى (١٤هـ/٢٠م). وفي عهد الدولة السعودية الحالية (المملكة العربية السعودية) صارت جزءاً منها، وتوزعت تبعيتها الإدارية. فالحريضة كانت تتبع إمارة عسير، وحالياً تراجع محافظة رجال ألمع. والقحمة كانت تابعة لإمارة منطقة جازان، والبرك تابعة لإمارة مكة المكرمة. ثم جرى بعض التعديلات الإدارية في بداية العشرينيات من هذا القرن فأصبحت البلاد الممتدة من الحريضة إلى الصوالة تتبع إمارة منطقة عسير، مع التباين في تبعية كل ناحية. واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعد الحريضة مركزاً إدارياً يرّاجع محافظة رجال ألمع. والقحمة من مراكز منطقة عسير. وذكر لي أنها تراجع الإمارة في أبها. والبرك كانت مركزاً منذ تبعتها إمارة مكة، ثم انتقلت إلى عسير، وهي اليوم محافظة من فئة (ب)، وتراجع إمارة عسير. وتاريخ ساحل البحر الأحمر الشرقي من مكة المكرمة إلى جازان، مازال فقيراً في الدراسات الأثرية والتاريخية والحضارية منذ العصور الحجرية إلى وقتنا الحاضر. وهي من البلدان المستوطنة بشريا منذ القدم وعبر أطوار التاريخ، وتستحق أن تدرس في عشرات البحوث. والبلاد المعنية في هذه الرحلة (الدرب، والحريضة، والقحمة، والبرك) من الأوطان المهمة والواجب دراسة تاريخها وتوثيقه. أمل أن نرى بعض أساتذة جامعتي جازان، والملك خالد فيدرسون موروث هذه البلاد وتراثها الحضاري.

(١) سكان مركز الحريضة الأصليون من قبائل وعشائر عديدة في تهامة منطقة عسير، وبخاصة في محافظتي محايل ورجال ألمع. حبذا أن نرى باحثاً جاداً ومنصفاً فيدرس تركيبة البلاد التهامية السكانية (الأصدار، والسهول، والساحل) الممتدة من البرك والمجاردة إلى أبي عريش، وجازان، وصبيا، وبيش.

الخرما ، وابلال ، وحصن برامعوادي ، والحشاحيش ، والزور ، والمعتضة ، والرقبة . وهناك بعض الحرات البركانية الغربية مثل : المديد ، وحررة فائع ، وحررة الجديد ^(١) .

من أودية مركز الحريضة ، وادي نهب ، وادي متوسط تبدأ منابعه من مرتفعات محایل عسير ، ومن مركز قنا تحديداً . ومثله أيضاً وادي عرمرم . ووادي الملح ، ودغيج وبدايتهما من جبل لبيبا ، ووادي اللصب من جبل ابلال . وهناك مجموعة من المجاري والأودية الصغيرة ، تسمى بـ (اللصب) ، وعادة تكون منابعها من بعض الهضاب والمناطق الصخرية في الشمال ، والشمال الشرقي من المركز ^(٢) .

ومناخ الحريضة حار صيفاً ، معتدلاً في فصل الشتاء ، وتهب الرياح الموسمية في فصل الصيف حاملة معها الغبار والأتربة . والأمطار قليلة ، وغالباً تسقط في فصل الخريف . وتتنوع النباتات والأشجار . ومن أكثرها انتشاراً شجر الدوم الذي يشبه شجر النخيل ، يوجد بمناطق متفرقة على الساحل وبخاصة على جانبي وادي نهب الذي يسير في أرض المركز حتى يصب في البحر . وهو من النباتات المعمرة ، وكذلك أشجار السمر (الطلح) والضبر ، والرديف (الأراك) ، والمرخ ، والسدر (العروج) . ومن الأعشاب والنباتات الأخرى : العرفج ، والقطب ، والشبرق ، والثمام ، والسكب ، والصيبران ، والوزاب ، والسعد ، والدنس ، والعشر ، والرقم وغيرها . ومن النباتات المثمرة الموز ، والليمون ، والمانجو ، وأنواع أخرى من الخضروات والورقيات ^(٣) .

أثناء سيرني في أجزاء من المركز يوم الأربعاء (١٤/٣/١٤٤٣هـ) ، شاهدت وسمعت بعض التفصيلات عن أرض وسكان الحريضة . فالشاطئ يغلب عليه وجود التربة الرملية ، وبعض الأخوار الصخرية الطبيعية ، وعلى ساحل بلدة الحريضة الشركة السعودية للأسماك ، وتقع على مساحة تقدر بـ (١٩ كم^٢) . يوجد على الطريق العام أو قريباً منه بعض الأبنية الحكومية والسكنية والتجارية مثل فندق الحريضة

(١) لم يشمل حديثي كل الجبال والمرتفعات والهضاب والحرار في مركز الحريضة ، وهي متعددة ومتنوعة في أحجامها وطبيعتها وبخاصة في الجهة الشمالية القريبة من بلاد محافظتي محایل ورجال المع .

(٢) مركز الحريضة وما حوله من بلدان في محافظة محایل جديرة بالدراسة الجغرافية التاريخية ، أمل أن نرى بعض طلاب الدراسات العليا والأساتذة في قسمي التاريخ والجغرافيا بجامعة الملك خالد فيتولون دراسة الأجزاء التهامية لمنطقة عسير من المجاردة والبرك شمالاً إلى القحمة والحريضة جنوباً .

(٣) هذه المعلومات جمعت من بعض أعلام مركز الحريضة في منزل الأستاذ إبراهيم بن علي المخلوطي الذي ضيفنا في الليل يوم الإثنين (١٢/٣/١٤٤٣هـ) . ولم أذكر كل الأشجار والنباتات الموجودة في مركز الحريضة وما جاوره من بلدان تهامة ، فهي كثيرة ومتنوعة في أشكالها وفوائدها . وموضوع النباتات في عموم تهامة منطقة عسير جدير بالدراسة والتوثيق بالشرح والصورة الفوتوغرافية .

في خيرية الملك فيصل ، وبلدية الحريضة ، وهناك العديد من المخططات الخاصة التي قام في بعضها الكثير من العمارات وبعض الأبنية الاقتصادية الأخرى . ومخطط الحريضة الحكومي على طريق الحريضة محايل ، يذكر أن فيه أكثر من ألف أرض سكنية ، وبعضها قام عليها عمارات سكنية متعددة الأدوار والمرافق^(١) .

يستوطن مركز الحريضة بعض السكان الذين ينتمون إلى بعض قبائل رجال المع ، وقبائل مركزي قنا وبحر أبوسكينة التابعين لمحافظة محايل . وهناك أفراد وأسر يسكنون حاضرة الحريضة ، وهم من قبائل ومواطن عديدة في مناطق السروات وتهامة . وذكر لي أن هناك بعض السكان القلائل الذي يعيشون في بلدة الحريضة ، وينتمون إلى بلدان عديدة في المملكة العربية السعودية . وربما جاءوا إلى هذه الناحية بحكم الوظيفة ، أو ممارسة بعض الأعمال السياحية والاقتصادية الأخرى . ويوجد في عموم نواحي المركز عناصر بشرية غير سعودية عربية وإسلامية وأجنبية تم استقدامهم من بلادهم للعمل المؤقت في مهن عديدة ، ثم العودة إلى أوطانهم ، ومنهم السودانيون ، والمصريون ، والهنود ، والباكستانيون ، وغيرهم^(٢) .

ب- لمحة من الحياة الإدارية :

كانت أراضي الحريضة بجميع بواديها وقراها تراجع مؤسسات محافظة رجال المع الإدارية . وربما حصلوا على بعض الخدمات الصحية وغيرها من مستشفى ومراكز الدرب الطبية ، أو من بعض المجمعات الصحية الأخرى في منطقتي جازان وعسير^(٣) . وفي منتصف العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) رأت إمارة منطقة عسير فتح مركز إداري في بلدة الحريضة ، مع أن البلدة لا تخلو آنذاك من تجمعات سكنية واستيطان بشري معقول . ومنذ ذلك التاريخ تتابع فتح العديد من المؤسسات الإدارية الأمنية ، والتعليمية ، والخدماتية وغيرها^(٤) .

(١) هذا الذي شاهدته في (١٤/٣/١٤٤٣هـ) وسمعتة أيضاً من بعض الرجال الذين قابلتهم في منزل إبراهيم المخلوطي في الليل يوم (١٢/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) جمعت بعض المعلومات ممن التقيت بهم في منزل إبراهيم المخلوطي في (١٢/٣/١٤٤٣هـ) . كما قابلت بعض سكان الحريضة في بعض الشقق المفروشة الواقعة على الطريق العام في (١٤/٣/١٤٤٣هـ) .

(٣) وذلك للقرب الجغرافي من محافظة الدرب ومراكزها وبخاصة الشقيق المجاور لمركز الحريضة من الناحية الشرقية .

(٤) ربما أن إمارة عسير رأت تأسيس مركز إداري في الحريضة سوف يكون له مردود إيجابي أمني، وإداري، وتنموي، وسياحي . وفعلًا أصبح كذلك ، وسوف تكون بلاد الحريضة من الوجهات السياحية العالمية . (بإذن الله تعالى) .

أعلمني بعض الرواة في الحريضة بأنها كانت تعرف باسم (الساحل) ، واليوم هي أحد مراكز منطقة عسير الإدارية ، ويتبع لها العديد من الأحياء والمخططات الجديدة والحديثة^(١) . ومن قراها القديمة والمعروفة حتى اليوم : (١) البدوة ، (٢) الجر . (٣) عرمرم . (٤) الرقة . (٥) دغيج . (٦) المفرغ . (٧) الزبارة . (٨) المسلوم . (٩) الشليبة . (١٠) الجمعة . (١١) نهب . (١٢) آل النوتي . (١٣) العُشير . (١٤) الصفقة . (١٥) النشم . (١٦) الغراف . (١٧) سرّة . (١٨) أمشرف . (١٩) أمصبغا . (٢٠) الحومة^(٢) .

تجولت في أنحاء المركز يومي (١٤-١٥/٣/١٤٤٣هـ) ، وشاهدت العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية، مثل: (١) إدارة المركز وتقع في مبنى مسلح مستأجر مكون من ثلاثة طوابق ومرفقه . (٢) الشرطة في عمارة مستأجرة من دور ونصف . (٣) إدارتي مكافحة المخدرات ، والدفاع المدني في عمارتين مستأجرتين كل واحدة منهما مكونة من دورين . (٤) حرس الحدود في دور حكومي ويحيط به بعض المرافق المهمة . (٥) مركز الرعاية الأولية في مبنى حكومي من طابقين . (٦) إدارة الأوقاف في عمارة مستأجرة من دورين . (٧) بلدية الحريضة المعروفة باسم (بلدية الساحل) في عمارة حكومية مكونة من ثلاثة أدوار . (٨) مراكز الهلال الأحمر ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبيئة والمياه ، وكل منها في عمارة مستأجرة من دورين . (٩) مركز مكافحة نواقل الأمراض في دور مسلح مستأجر . (١٠) إدارة المجاهدين في عمارة مستأجرة من طابق واحد . (١١) ومنتره القوات المسلحة في مجموعة فلل حكومية على شاطئ البحر^(٣) .

والمركز يشتمل على العديد من المدارس الحكومية (بنات وبنين) ، ومعظمها في أبنية حكومية مكونة من دور ودورين ، وبعضها لها ملاحق ومرافق عديدة . وفي حاضرة الحريضة عدد من الجمعيات مثل: (أ) جمعية البر الخيرية في عمارة مستأجرة من دورين . (ب) لجنة التنمية الاجتماعية في مبنى مستأجر من دور واحد . (ج) جمعيتا الدعوة والإرشاد ، وتحفيظ القرآن الكريم في عمارتين مستأجرتين ، كل منها مكونة من طابق واحد^(٤) .

(١) جميع المخططات العمرانية في الحريضة حديثة ، وكثيراً منها مخططات خاصة على الطريق العام أو قريب منه .

(٢) لم أذكر كل القرى أو المواطن السكنية في عموم المركز وبعضها قديمة وموجودة منذ عشرات السنين وبخاصة في النواحي الداخلية الواقعة بين حاضرة الحريضة الحالية وبعض قرى وحواضر محافظة محايل .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس التاريخ الإداري في محافظة رجال ألمع ومراكزها ، وبلاد الحريضة واحدة من مراكز المحافظة .

(٤) إن تاريخ مركز الحريضة حديث ، لكن مؤسسات منطقة عسير الرئيسية ، والتي مقرها حاضرة أبها ، بذلت جهود كبيرة في تنمية بلاد الحريضة والاستفادة من طبيعتها الجغرافية ، لتنوع تضاريسها ، وامتلاكها شاطئاً بحرياً مهماً ومفيداً للاستثمار والنشاطات الحضارية والاقتصادية المختلفة .

ج- نبذة من التاريخ العمراني والسياحي :

كان العمران القديم في بلاد الحريضة من العشش ، ولم تخل بعض القرى الداخلية من أبنية حجرية . ثم بدأ العمران الحديث في بعض نواحي المركز من نهاية التسعينيات في القرن الهجري الماضي (١٤ / هـ / ٢٠ م) ، ومن العقد الثاني في هذا القرن (١٥ / هـ / ٢٠ م) سارت التنمية العمرانية في طريق البناء . وبدأت قرية الملك فيصل الخيرية ، وتعددت العمارات في أنواعها ، وارتفاعاتها ، ومرافقها . وجاء التجار المستثمرون من السروات فاشترؤا الأراضي الخام ، ثم خططوها ، وقامت عليها عشرات الفلل ، والغرف ، والأدوار . وظهر أيضاً في الحريضة الرئيسية العديد من الأنماط العمرانية المختلفة . وعند رحلتي في ربوع المركز شاهدت عشرات الأبنية الحديثة التي لا يزيد تاريخ عمرانها عن ربع قرن ، وربما وصل بعضها إلى ثلاثين عاماً . ومعظم العمارات السكنية تتراوح أدوارها من الدور الواحد إلى الثلاثة ، ونادراً ما ترى عمارة من أربعة طوابق . ورأيت داخل بلدة الحريضة بعض البيوت الشعبية ، فجدرها من البلك ، وسقفها من الأخشاب والتراب ، وبعضها بالخرسانة المسلحة^(١) .

على الشارع الرئيسي في بلدة الحريضة بعض الأسواق التي تتراوح مساحاتها من (٦×٥ م) ، وأحياناً (٧×٧ م) ، وهي محدودة في عددها ومعروضاتها . ويوجد بعض البوفيهات والمطاعم التي تقدم بعض الأطعمة الحيوانية والنباتية والبحرية . وهناك عدد محدود من الشقق المفروشة ، وبعض الفنادق مثل : فندق الحريضة ، وفندق الخور . وفي أماكن متفرقة من حاضرة الحريضة العديد من الشاليهات والمنتجعات السياحية ، وذروة نشاطها الاقتصادي في فصل الشتاء ، وأغلب مرتاديه من أهل السراة^(٢) .

في نواحي مركز الحريضة العديد من المساجد والجوامع المسلحة ، وتتراوح مساحاتها بين الصغيرة والكبيرة ، ومن الجوامع التي شاهدتها جامع الحسنين وسط الحريضة ومساحته تزيد عن (٢٠×١٨ م) ، وجامع الفاروق في المثلث ، تقاطع الطريق العام مع طريق الحريضة محايل ، ومساحته تقارب (١٨×١٨ م) ، وجامع الواجبة البحرية ، ويتسع لأكثر من (١٢٠٠) مصل ، وله مئذنة عالية تزيد عن ثلاثين متراً . وجامع خيرية الملك فيصل ومساحته تقارب (٢٠×٢٠ م) ، وجامع عرمرم ومساحته

(١) مشاهدات الباحث في (١٤ / ١٥ / ٢٠١٤ هـ) .

(٢) رحلتي كانت في زمن جائحة كورونا ، فجميع القطاعات الاقتصادية والسياحية كانت خامدة ، بل متوقفة وشاهدت الكثير من أهل السراة وبخاصة من منطقة عسير يمتلكون منازل وفلاً خاصة ينزلون إليها مع أسرهم وقت اشتداد البرد في السراة .

تقريباً (١٨×٢٠م). ولا تخلو القرى الأخرى في بلاد الحريضة من مساجد عديدة تقام فيها الجمع والجماعات^(١).

وفي مجال التربية والتعليم رأيت العديد من مدارس التعليم العام في بلدة الحريضة وقرى أخرى عديدة، وجميعها مقرات حكومية تتنوع في مساحاتها ومرافقها. وأخبرني بعض أعلام مركز الحريضة وبخاصة العاملين في قطاع التعليم أن في عموم المركز سبع ثانويات، أربعاً للبنين، وثلاثاً للبنات، و (١٦) ابتدائية، ثمان مدارس لكل جنس. وأربع متوسطات للبنين، وثلاث للبنات، وأربع روضات، ومعهد ثانوي صناعي^(٢).

لا يوجد عمارات أو خدمات تقنية أو صناعية في مركز الحريضة، لكنها لا تخلو من بعض الأمكنة القليلة والمحدودة التي يوجد فيها بعض ورش ومقرات لخدمة السيارات. ومن رغب في خدمات تقنية وصناعية من أهل البلاد فإنه يذهب إلى بعض الأسواق والأمكنة الأخرى في محافظة الدرب، وأحياناً في مركز الشقيق المجاور للحريضة، وربما جلب السكان احتياجاتهم وحصلوا على مبتغاهم من مدن وحواضر أخرى في جنوب البلاد السعودية أو غيرها^(٣).

تعد الطرق البرية من أهم الشرايين الحيوية التنموية، وحظيت حاضرة الحريضة بفائدة مرور الطريق الساحلي العام الذي يربط بين جازان والحجاز. وهذا الطريق الذي يزيد عرضه في وقتنا الحاضر عن الأربعين متراً يجتاز مدينة الحريضة حتى يدخل محافظة الدرب، ثم يسير نحو جازان، أو سراوات منطقة عسير. وهذا الطريق يجري تطويره حالياً، حتى يكون أعرض وأفضل مما هو عليه اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(١) يشاهد الذاهب في أي ناحية من نواحي السراوات وتهامه، بل في عموم المملكة العربية السعودية تعدد المساجد والجوامع المسلحة المتنوعة في مواقعها، ومساحاتها، ونوعية تشييدها وديكوراتها. والعمارة الدينية في أي محافظة، أو مدينة من مدن البلاد السعودية تستحق التوثيق التاريخي وبخاصة خلال الخمسين عاماً الماضية. أرجو من المؤرخين والباحثين السعوديين أن يعكفوا على بحوث موثقة في هذا المجال.

(٢) إن بلاد الحريضة تعد حديثة عهد في ميدان التنمية. لكن الدولة لم تأل جهداً في تنمية وتطوير الأرض والإنسان في جميع أنحاء البلاد السعودية. والذي عاصر أحوال الناس خلال النصف الثاني من القرن (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م) فليس هناك وجه مقارنة. لتواضع الحياة التنموية قديماً، وتطورها بشكل كبير في وقتنا المعاصر، وفي شتى المجالات الحضارية المادية والمعنوية.

(٣) إن جميع وسائل التواصل والمواصلات صارت في وقتنا الحاضر سهلة جداً، فالإنسان يستطيع أن يحصل على ما يريد من أي مكان داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها بكل سهولة. وهذه الطفرة الحضارية المتقدمة لا يزيد عمرها عن ربع قرن، والناس خلال القرون الماضية حتى بدايات هذا القرن (١٥٠٠هـ/٢٠٠٠م) كانت إمكاناتهم المادية قليلة ومتواضعة. وعموم الحياة التنموية في شتى المجالات كانت بسيطة ومازالت في بداياتها. وتاريخ التنمية في عموم السراوات وتهامه موضوع مهم وكبير، فالواجب دراسته في عشرات البحوث وبخاصة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م).

وكما أشرت سابقاً ، أنه جرى عليه توسعة وتطوير ثم انحرف مساره ، من بين مدينتي الدرب والشقيق ، حتى صار محاذياً للساحل حتى حاضرة جازان^(١) .

هناك طريق ذو مسار واحد يتفرع من الطريق العام في الشقيق والحريضة ثم يسير إلى محافظة محايل . وهذا الدرب مازال محدوداً في اتساعه وخدماته . ويحتاج إلى تطوير وتوسعة ، أمل أن نراه مزدوجاً ، وأفضل مما هو عليه في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . كما أن أحياء مركز الحريضة وقراها لا تخلو من طرق صغيرة تصل بعضها ببعض ، ومنها المسفلت ، وأخرى مازالت ترابية ، وبلدية الحريضة تعمل جاهدة على خدماتها وتطويرها^(٢) .

بعد أن صارت البلاد الساحلية الممتدة من الحريضة إلى سيدة الصوالحة شمال محافظة البرك تابعة إدارياً لإمارة منطقة عسير ، بدأت الإمارة والأمانة تعملان على تطوير هذه الناحية . وقد اطلعت في أمانة عسير على عدد من التقارير التي صدرت عام (١٤٣٢هـ) ، وجميعها تحت عنوان : مشروع المخطط التفصيلي الاستثماري وارتفاعات المباني على طول الساحل بمنطقة عسير ، وخصص لكل من الحريضة ، والقحمة ، والبرك ، وعمق كتيب مستقل ، درست فيه طبوغرافية الأرض ، ومميزاتها وعيوبها ، ثم الخطوات لاستثمارها والتي يراد إنشاءها لأهداف تنمية وسياحية وحضارية . وتشتمل هذه التقارير على رؤى ودراسات وتفصيلات جيدة جداً ، وعند سيري في هذه البلاد ، ثم مقارنة الطبيعة مع هذه التقارير ، وجدت البون كبيراً بين ما دون في كل تقرير ، وبين الواقع الذي مازال إلى حد ما على وضعه القديم ، مع قيام مشاريع صغيرة ومحدودة هنا وهناك . وقد سألت بعض المسؤولين والمهندسين عن نتائج تلك التقارير التي تجاوز صدورها أكثر من عشر سنوات ، فقالوا إن الدراسات ضرورية ، وتسبق أي مشروع عمراني وتنموي يقوم ، كما أن تنفيذها على أرض الواقع يحتاج إلى وقت طويل ، بالإضافة إلى بعض العقبات المادية والتطويرية وغيرها . وقال بعضهم أن هناك بعض

(١) كان هذا الطريق في السابق متواضعاً في عرضه وخدماته ، واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) أصبح طريقاً إقليمياً كبيراً مزدوجاً يسير من جدة ومكة المكرمة إلى منطقة جازان ثم بلاد اليمن . وطرق الساحل والسهول التهامية من اليمن إلى الحجاز جديرة بالدراسة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . والأمل في جامعاتنا المحلية وأقسامها الأكاديمية فتقوم بدعم وإنجاز مثل هذه الأعمال العلمية والتاريخية التوثيقية .

(٢) إن بلاد الحريضة محظوظة منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) . فالأعمال التنموية فيها تتزايد . وهي اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ضمن اهتمامات إمارة وأمانة منطقة عسير اللتان تسعيان إلى خدمة ساحل عسير حضارياً وتنموياً حتى تكون هذه الناحية في مصاف المناطق السياحية العالمية في المملكة العربية السعودية . هذا ما سمعته ، وقرأت عنه في مصادر ومراجع حديثة وعديدة ، أمل أن نرى ذلك حقيقة على أرض الواقع .

البحوث الجديدة ، والشاملة للكثير من الخطط والاستراتيجيات الحديثة . وحاولت الاطلاع على هذه الأعمال الحديثة ، لكن حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) لم أستطع الوصول إليها ^(١) .

(*) في مركز الحريضة العديد من المتنزهات البرية التي يرتادها الناس، وبخاصة في فصل الشتاء ، وأواخر فصل الصيف ، ومنها :

١- **العين الحارة :** تقع في جوف جبل لبيا ، وهي مياه جوفية تنبع من باطن الأرض ، وتستخدم لعلاج بعض الأمراض ، وما زالت تستحق جهودا تنموية وتطويرية أفضل حتى يزداد زوارها ، ويستفاد منها ، وقريب منها تنتشر أشجار الدوم بشكل كبير ^(٢) .

٢- **أمندارة ، أومسعين :** هذه النواحي تقع ضمن أراضي وادي عرمرم ، وتجري فيها المياه ، وتنتشر بها الأشجار وبخاصة نخيل الدوم . وهي من الأمكنة الجميلة التي يرتادها الكثير من السواح والمتنزهين ^(٣) .

٣- **الربغة :** من أرياف مركز الحريضة ، بها العديد من الأودية ، والشعاب الصغيرة ، وفيها بعض العيون التي تجري مياهها طوال العام ، وتزيد كمياتها أثناء سقوط الأمطار ^(٤) .

٤- **الفرشة :** بلاد واسعة على طريق الحريضة - خميس البحر ، وفيها الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة ، وبخاصة أشجار السمر وغيره . وأن أجري عليها بعض التطويرات السياحية ، وزودت ببعض الخدمات الضرورية فسوف تكون من أفضل المواقع السياحية البرية في مركز الحريضة . والذاهب في أرجاء البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى القنفذة يرى عشرات المواقع الصالحة للتطوير والاستثمارات . أمل أن نرى رجال الأعمال والقطاعات الخاصة تستثمر سياحيا في هذه الأوطان وغيرها من بلدان السروات وتهامة ^(٥) .

(١) أقول إن منطقة عسير محظوظة جداً فقد صار لها منفذٌ على البحر بطول يزيد عن (١٤٠) كيلاً . وهذه البلاد الساحلية التهامية قد ينالها الكثير من التنمية والتطوير تحت مظلة استراتيجية عسير التي تم الموافقة عليها وأعلنت رسمياً في مطلع هذا العام الهجري (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وسمعت وأعلم حالياً أن أمير منطقة عسير تركي بن طلال آل سعود يعمل ليلاً ونهاراً على تطوير منطقة عسير حتى تكون واجهة سياحية عالمية ، ومن ضمن اهتماماته الكبيرة البلاد الساحلية العسيرية الممتدة من الحريضة إلى سعيدة الصالحة . وهذه البلاد مازالت تحتاج إلى بحوث علمية نوعية في شتى المجالات ، أرجو أن تكون ضمن خطط جامعة الملك خالد فيعنتى بها علمياً وبحثياً ومعرفياً .

(٢) رحلة الباحث ومشاهداته في مركز الحريضة في (١٤-١٥/٣/١٤٤٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه . لم أت على نواحي كل المركز ، لكن أخبرني بعض الأعلام ، أن بلاد الحريضة تحتضن أماكن برية عديدة ، تستحق التنمية والتطوير ، حتى يكثر مرتادوها من السواح .

(٤) مشاهدات الباحث في (١٤-١٥/٣/١٤٤٣هـ) .

(٥) تجولت في عموم السروات وتهامة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذه البلاد حباها الله طبيعة خلابة ، بالإضافة إلى موروثها التاريخي والحضاري . وهيئة السياحة ووزارة الثقافة ، وغيرها من المؤسسات

مازال في مركز الحريضة جبال ، وأودية ، وشعاب ، وهضاب ، وسهول برية ، وجميعها جميلة في طبيعتها ، ولا تخلو من بعض الموارد الطبيعية التي تصب في خدمة التنمية والاستثمار . وفي العصر الحاضر صارت الدولة والمجتمع يدركون أهمية الطبيعة والاستفادة منها في خدمة السياحة وجلب موارد اقتصادية لها آثار إيجابية على بناء الأرض والإنسان^(١) .

وفي مركز الحريضة مواقع سياحية ساحلية جميلة ، ومن أهمها: كورنيش الحريضة وشاطئها الرئيسي ، الذي يقع في مكان يعرف بـ (المعجز) ، ويمتاز برماله البيضاء ، وفيه مشروع الواجهة البحرية لمنطقة عسير^(٢) . صمم هذا المشروع على مساحة تقدر بأكثر من مليوني متر مربع ، فطوله على الساحل (٥٦٠٠ م) ، وعرضه في الداخل (٤٠٠ م) . ويتكون المشروع من كورنيش خرساني يتسع لأكثر من (٢٠٠) جلسة عائلية مطلة على البحر ، وممشى يحاذي البحر على طول الواجهة بعرض (٢٠ م) ، ويحتوي أيضاً على مسطحات خضراء ، وخدمات ترفيهية عديدة أخرى . قام المشروع على مرحلتين ، المرحلة الأولى مازالت متعثرة . أما المرحلة الثانية فأصبحت شبه جاهزة ، وتمتد على طول (٢٦٠٠ م) تبدأ من مرسى المراكب شمالاً إلى حدود شاطئ مركز الشقيق جنوباً ، وتكلفتها تزيد عن (٢٦٧ ، ٠٠٠) مليون ريال^(٣) . وهذه المرحلة (الثانية) تشتمل على ثلاثة مبان إدارية للصيانة والأمن والإدارة ، وجلسات عائلية ، و (١٦) جداراً استنادياً . وثلاثة مبان أخرى خدمية تتضمن دورات مياه ، ومطعمين يطلان على البحر ، ومساحة كل واحد منهما (٤٠٠ م) ، ومصليات للرجال والنساء ، ويتوسط الموقع مسجد جامع

والوزارات المعنية بتطوير الأرض والإنسان عليها مسؤوليات كبيرة في الاستفادة من هذه البلاد الغنية بكل المؤهلات التنموية والحضارية .

(١) إن الراصد للتاريخ والتطور الذي تمر به المملكة العربية السعودية من منتصف القرن (١٤ هـ / ٢٠ م) حتى الآن يدرك ويقرأ عن العديد من الخطوات والمراحل التطويرية التي جرت على البلاد . والنفط كان ومازال من الموارد الاقتصادية في تنمية البلاد وتطويرها . لكن عندنا أيضاً الكثير من المصادر الأخرى التي لو وظفت التوظيف المدروس والسليم ، فقد تفوق ثمارها وإيجابياتها موارد النفط . وتباين طبيعة المملكة ، وتنوع مواردها الطبيعية والاقتصادية من أهم العوامل المساعدة في جلب موارد هائلة ترفع من نسب التطوير والاستثمار الداخلي والخارجي .

(٢) بدأ تأسيس المرحلة الأولى للواجهة البحرية عام (١٤٢٨ هـ / ٢٠١٧ م) ، وهذا المشروع من أوائل مشاريع تطوير ساحل منطقة عسير . وأثناء زيارتي الأخيرة (١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م) شاهدت هذا المشروع مازال متعثراً ، ومقفلًا ، وعند سؤالني عن سبب التوقف ، قالوا هناك بعض الأسباب الإدارية والمالية وغيرها ، وربما يستأنف العمل فيه قريباً .

(٣) هذا الذي سمعته ووجدته في أمانة منطقة عسير في مطلع شهر ربيع الآخر (١٤٤٣ هـ) . كما زرت الواجهة ووقفت على بعض أجزائها في (١٤ / ٣ / ١٤٤٣ هـ) .

تزيد مساحته عن (٢٥٠٠م^٢) . وتنتشر في المكان أعداد ليست قليلة من أعمدة الكهرباء ، بالإضافة إلى بعض الديكورات الجمالية ، وقريباً من المكان مرفأ لصيد الأسماك^(١) .

ومن الأمكنة السياحية الجميلة في الحريضة، خور الحريضة، ويطلق عليه أهل تلك البلاد (طعنة علي)^(٢) ، وهي الجزء المقابل لفندق الحريضة على الشارع العام ، وتحيط به من الناحية الغربية أشجار كثيرة ومتنوعة ، ومن الجهتين الشرقية والجنوبية الشركة السعودية للأسماك ، ومكان استزراع الروبيان^(٣) .

وعلى شاطئ الحريضة مكان سياحي جميل يعرف باسم (شاطئ الرقبة) ومن هذا المكان يستطيع الإنسان مشاهدة ظاهرة المد والجزر ، وعلى مقربة منه (جبل الرقبة) . وفي الجهة الغربية من جبل الرقبة يأتي منتزه القوات المسلحة ، الذي يشتمل على عدد من الفلل السياحية ، المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها ، وهناك طريق رئيسي يخرج من الطريق العام إلى هذا المنتزه المحاط بسور ارتفاعه متران إلى مترين ونصف . وأكثر من يستفيد من هذا المنتزه رجال القوات المسلحة ، وبعض أقاربهم ، وله إدارة مسؤولة عنه في المدينة العسكرية بخميس مشيط ، وفي المنتزه نفسه^(٤) .

أثناء تجوالي في مركز الحريضة يومي (١٤ - ١٥ / ٢ / ١٤٤٣هـ) ، التقيت ببعض كبار السن ، ومتوسطي الأعمار ، وسمعت منهم مفردات ومصطلحات لم أفهم معناها ، فطلبت منهم أن يذكروا لي بعض الكلمات والاصطلاحات اللغوية ، وقد زدوني مشكورين بشيء من ذلك ، فرأيت أن أدون بعض النماذج لعلها تكون لبنة أولى لمن قد يدرس لغات ولهجات بلاد تهامة الممتدة من الدرب إلى القنفذة^(٥) ، وهذه الألفاظ ، أو الاصطلاحات ، أو الأمثال الشعبية على النحو الآتي :

(١) هذا المشروع من المشاريع الجيدة ، لكن مازال يحتاج الكثير من الجهود والأموال حتى تستكمل جميع مرافقه العامة والخاصة . المصدر: رحلة الباحث ومشاهداته في (١٤ / ٢ / ١٤٤٣هـ) .

(٢) هذا المكان معروف بهذا الاسم منذ القدم ، وسألت بعض رجال بلدة الحريضة عن سبب هذه التسمية فلم أجد أحداً يعرف السبب ، وربما أطلق عليه هذا الاسم بسبب حدث تاريخي وقع فيه ، وقد يكون أحد أطراف ذلك الحدث رجل اسمه (علي) .

(٣) هذه الشركة قديمة في موقعها ، وهي من الأنشطة الاقتصادية النشطة ليس في مركز الحريضة ، لكن في مناطق عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية ، لها حراك تجاري واقتصادي جيد في الأسواق المحلية . المصدر : معاصرة الباحث للحياة الاقتصادية والاجتماعية في جنوب المملكة العربية السعودية منذ بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) .

(٤) زرت هذا المنتزه مع بعض الأقارب قبل عشرين عاماً ، ثم زرت في رحلتي الأخيرة (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، ويقع على شاطئ جميل ونظيف ، ورماله ناعمة وبيضاء .

(٥) ذهبت ووقفت وسمعت لهجات واصطلاحات لغوية متنوعة في عموم السروات وتهامة . وكثير من تلك اللهجات عربية صرفة ، وجرى على بعض مفرداتها أو مجملها بعض التغيرات اليسيرة . واللغات واللهجات في هذه البلاد العربية السعودية الجنوبية تستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية ، وهي مسؤولة أقسام اللغة العربية وأساتذتها في جامعات الطائف ، والباحة ، وبيشة ، والملك خالد ، ونجران ، وجازان .

(١) الحجة : الصك أو الوثيقة الزراعية . (٢) يقرع : يشرب اللبن صباحاً ، ويتقرع : يأكل طعام الفطور . (٣) يتصوح : يشرب اللبن في الظهر . (٤) يغتبق : يشرب اللبن في المساء . (٥) الوريث : اللبن المغلي بالحجارة الساخنة ، توضع على النار حتى تحمر ثم توضع في اللبن ، وينتج عن ذلك رائحة طيبة ، وطعم لذيذ . (٦) يدلش : ينزل الشيء بهدوء . (٧) الخوان : يقابله في الفصحى (اللبا) ، لبن الماعز حديثة الولادة ، يسخن فيتحول إلى مادة بيضاء تشبه ما يعرف اليوم بـ (الشكشوكة) . (٨) يغب : تصبح الماشية بدون ماء . (٩) يكج : خض الحليب في الدبية ، أو ما يعرف في أجزاء السراة بـ (الشكوة) (١٠) المساس : الماء الذي يستخدم لترطيب الحبوب أثناء طحنها . (١١) الجوش : الطبقة التي تطفو عند غسيل الحب بغرض طحنه . (١٢) من مراحل الطحن : الجش ، ثم الدبش ، ثم الرك ، فالعودة . (١٣) مراحل حصاد الذرة : الحشوش ثم الصريم ، أي فصل العذق عن الجلب ، ثم الخبط : أي ضرب العذوق في مكان نظيف ومبسوط حتى تخرج الحبوب من العذق . (١٤) التعريش : رص أكياس الحبوب بعضها فوق بعض في المستودعات أو المخازن المخصصة لها . (١٥) البضع : نتاج الأغنام من المواليد الصغار ، وبضع الماشية يختلف : فالماعر له بضعان على مواسم متعددة ، مثل المخرف في فصل الخريف ، والمشتي في الشتاء ، والمربع في الربيع ، والمصيف في الصيف ، ويسمى أيضاً المشعب ، أي ما يوافق نتاجه موسم الغبار المسمى أمشعبان . ويقول المنشد

وأخربت يا أمشعبان مذهب وليفي لا بد من ردة عشايا امخريفي

(١٦) النصد : أجزاء من اللحم بغرض تقسيمه وتوزيعه على الجيران . (١٧) السيور أو الخزين : عملية تجفيف اللحم بالملح . (١٨) المصور : اللحم المطبوخ الذي سبق تناول جزء منه في الليل ، ثم يؤكل منه في الصباح أو النهار ، فينصح بتسخينه ، وكانوا يتناصحون فيقولون (أحذر من اللحم المصور)^(١) . (١٩) الشدود : الانتقال من موطن لآخر .

(٢٠) المدرى : البيت التهامي القديم ، مكون من الخوص المنسوج ، والأخشاب المستخرجة من العروج ، وتسمى هذه الأخشاب الزافر ، وهو أهم جزء يحمل السقف ، وفي مؤخرته الأعصاء ، وبعده الخي الذي تحفظ فيه أغراض المنزل ، وفي المقدمة

(١) قضيت ليلة جميلة مع بعض أعلام مركز الحريضة في بلدة الحريضة الرئيسية ، وتعلمت وسمعت منهم تراثاً وفكراً وثقافة محلية جميلة وأصيلة ، وعموم بلاد السراة وتهامة مستودعات كبيرة من التراث العربي المحلي الأصيل . أرجو من أقسام الجامعات العلمية (اللغة العربية ، والعلوم الشرعية ، والتاريخ ، والاجتماع ، والتراث والحضارة والآثار وغيرها) أن تساهم في جمع هذا الموروث وحفظه ودراسته .

الإقبال المساندة للزافر ، ثم الحنايا وتربط بالزافر ، ثم المزاريق ، والهدم ، وتسمى أيضاً المثلثات. وتوجد للبيت أشكال أخرى مثل المفرز ، أصغر من المدربي ، وأقل في الأهمية^(١).

(٢١) عن الأوقات والأهلة والشهور: شهر المحرم ، يطلق عليه عاشورة ، وصفر ، ساديه. والربيعان الأول والثاني ، الأربعة . وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، الأجمدة. وشعبان ، القصير. وشوال وذو القعدة ، الفطرويين. وذو الحجة ، الضحى^(٢).

(٢٢) مفردات لها صلة بالزمن (الوقت): جهم ، أو يهم : الذهاب في الصباح الباكر قبل ظهور الشمس ، ويقال أيضاً (غبش) وبرها أي ذهب في الصباح بعد شروق الشمس. وصابي: الذهاب في وسط النهار وقت الظهر. ونشر: الخروج وقت العصر. وطفل : الذهاب في وقت المغرب .وهج : قدوم الإنسان أو مجيئه في منتصف الليل .

(٢٣) مصطلحات للأكل والشراب وبعض الأواني المنزلية :

يتناول : أي يفطر مبكراً . يتخسف : يأكل الخبز بدون حليب أو سائل آخر. يتقضم: يأكل الحبوب الجافة أو ما يشابهها . يقت : يشرب إلى حد الارتواء . التمة : الطعام غير المالح . الحشرة : الطعام الذي عليه ملح زائد . الفحيفة : حب الدخن يحمص ثم يطحن ويضاف عليه الحليب . الخلاص: حب يحمص ثم يوضع عليه السمن ويطبخ بعدها حتى يفصل الحب عن السمن. المقتر: عيش يوضع في التنور إلى الصباح ثم يضاف عليه الحليب ويؤكل. الفضار: إناء من الفخار يستخدم عادة لتقديم الطعام . المكدش : فنجان القهوة من الفخار . الحدجة : كيس من الطفي لحمل اللحم فيه . المعداش : عود يستخرج به اللحم من القدر.

(٢٤) الورشة : أجزاء رقيقة من لحاء الشجر بهدف إشعال النار . (٢٥) الطروقة : صاحب الغنم يأخذ فحلاً من غنم شخص آخر . (٢٦) الدميم : بناء صغير ترتفع فوقه أغراض المنزل . (٢٧) الحروص: السحور . (٢٨) الكرس : بناء جبلي من الحجر لوضع الأغنام فيه . (٢٩) العلا : الختان . (٣٠) المعابل: ومفردها معبل ، أربطة من القماش لضماد جراح الختان . (٣١) الجهوف: الشعر الطويل . (٣٢) الخرمد: الحب المنخور الفاسد ، وأحياناً يكون لونه أسود . (٣٣) الغثري: الطحالب المائية . (٣٤) الزهرية :

(١) تاريخ العمارة وأشكالها وأهميتها في تهامة موضوع جديد يستحق أن يكتب عنه رسالة أو كتب مدعومة بالصور الفوتوغرافية الملونة . انظر غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ٣٧-٥٧ .

(٢) هذه المصطلحات معروفة عند بلدان أخرى في عموم سروات شهران ، وبلاد الحجر ، وسروات غامد وزهران وغيرها .

مرتفع من المرو الأبيض . (٣٥) الزور : السهل المنبسط الممتد . (٣٦) الفتح : أصغر من الوادي . (٣٧) الشاقة : المنخفض الذي يسلكه مجرى الماء . (٣٨) الزبار : كثنان رملية متراكمة يطلق عليها في أمكنة أخرى من السراة وتهامة الزبير للمفرد ، والزبر للجمع . (٣٩) المغدى : حالة مطرية متوقعة في وقت الصباح من جهة البحر ، ويعرف باسم (الباكر) ، له أسماء أخرى مثل : (عشوي) أو (مسرية) (٤٠) الدغاييس : نبات يأكله الإنسان . (٤١) المصع : ثمار شجرة الضبر .

(٤٢) الجبلة والبلة : ثمر موسمي تأكله الأغنام ، وهناك قواعد وقوانين بين بعض القبائل ، فلا يستخدم المخباط (عصا طويلة وغليلة) تضرب به أغصان الشجرة فيتساقط الحبل ، ويسمح فقط بالنوشة ، أي هز الشجرة وأغصانها باليد فقط ^(١) . (٤٣) الدفسة : العراك بالأيدي . (٤٤) المحبطة : تجمع دموي من أثر ضربة بعصا أو غيرها . (٥٤) اللوخ : الألم فيقال فلان متلوخ . (٤٦) العرقبة : كي عرقوب القدم بروت البقر بعد حرقه على النار ، وغالباً يعالج به المبطلون لإيقاف القيء . (٤٧) رياح الصدور : مرض صدري يصيب الأطفال . (٤٨) أمزلة : مرض يعالج بالكي . (٤٩) الجنيب : مرض يعالج بالتدليك . (٥٠) الكنينة : ألم الأذن . (٥١) السفعا : مرض يصيب العيون . (٥٢) الكسم ، وأبورمخ : أمراض تصيب الغنم بالزكام . (٥٣) الرجبائي : النفضة بسبب ارتفاع درجة الحرارة . (٥٤) الورد أو الدامخة : مرض الحمى أو الزكام ^(٢) .

(٥٥) أسماء بعض الألبسة : المطرف : الإزار الأبيض . المثلوث : الإزار الأسود . الحطيم : الإزار المكون من اللون الأحمر والأصفر . الجريفي : إزار مكون من اللون الأحمر والأسود . العريشي : لباس يتكون من عدة ألوان . الرجالية : اللباس الذي يلبس فوقه الإزار (الرداء) ، ويكثر فيه التطريز . السديرية : لباس على الجزء الأعلى من الجسد ، وعادة تكون بدون تطريز . وفي حالة الزواج قديماً يشترط على الزوج عدد من الألبسة مثل :

(١) أجمع الوثائق التاريخية الحضارية منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومعظم الوثائق التي في حوزتي تتعلق بالأرض والناس في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة البلاد التهامية والسروية الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز . وضمن هذه الوثائق الكثير من القواعد والاتفاقيات القبلية التي كانت تحكم عادات الناس وأعرافهم في عصور سابقة . ويوجد في هذه الوثائق بعض الأنظمة والقوانين الجيدة التي تتوافق مع الشرع الحنيف ، وتساعد المجتمعات في تعاونها وتعايشها وتكافلها . ولا تخلو بعضها من بنود وقوانين قاسية ومجحفة أحياناً .

(٢) الأوبئة والأمراض القديمة التي عرفها السريون والتهاميون كثيرة جداً ، وكان لهم بعض الوسائل والتداوي البدائي . والكي على رأس تلك العلاجات . وموضوع الطب والتطبيب في هذه البلاد خلال القرنين (١٢-١٤هـ/٢٠-٢٠م) يستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي مطول .

الحطيم، أو الجريف، والمدرعة: الثوب المفتوح من الجانبين، والقطاعة (الشيلة) ^(١).

كما سمعت وجمعت بعض الأمثلة الشعبية أثناء تجوالي في مركز الحريضة ^(٢). ومما استطعت تدوينه ما يلي: (١) أول الحصن العريش: الأمر الكبير يبدأ صغيراً. (٢) من ما نفع أمه من نفع خالته. أي عديم المنفعة من الناس، الذي لا ينفع أقاربه فكيف يساعد أو ينفع الأبعد. (٣) أمجق لا شيء وامرط ما قلّه: أي من لا يجني شيئاً، ويضيع حياته بدون فائدة. (٤) من رأى ضرب أمحبيطي راح وامشمس حيه: أي يجب على الإنسان أن يأخذ العبرة من غيره. (٥) يا سعد عينين واجهن ديانها: أي من يصمد ويتصف بالثبات عند المواجهة. (٦) من غيب أهبن شاته عتود: يطلق على الغائب الذي يبخل حقّه. (٧) زل بين أمحالب وأملاي: أي من يتدخل فيما لا يعنيه. (٨) لا يزين ظفارين على أمقل: أي من يحاول التجميل أو التحسين على أساس سيء. (٩) لا متفالة بلاريق: أي لا ينفع جهد بدون عتاد. (١٠) إيلا ما في حب من فين تكيل: أي فاقد الشيء لا يعطيه ^(٣).

(١١) حلقي بين عودين: يقال لمشغول بأمر ما. (١٢) يتنسم مع أمفرق: دلالة على شدة الغضب. (١٣) سوق بخلف: يطلق على من يؤم مكان ويجد فيه ما لا يتوقع. (١٤) قدنك ويلا أنمار فعين بمجحم أمكباز: تعني إذا عزمت على أمر ما فكن عالي الهمة. (١٥) فجة خبارة: من يتحمس في بداية الأمر ثم يخبو ويتراجع. (١٦) أمعين مع أمذيب: تطلق على من يفضّل عن شيء ما. (١٧) لا يأكل بلحيه إلا أمذيب: تأنيب لمن يتهاون في تغذية نفسه، أو من لا يحسن الأكل. (١٨) شبع البقر على ربي: تدل على الشراهة والنهم في الأكل. (١٩) أمراح ويلي: أي مردك إلى عندي. (٢٠) لا توصي يتيمن ببكاي: أي لا توصي عارفاً عالماً بالأمور، أو أي واحد متصدر لأمر ما فلا يحتاج له توصية لحذاقته وفطنته. (٢١) صكك الله بمنقاي: تعني تحمل التحدي في الخصومة. (٢٢) أنا عهدك أنها زقن: تدل على من

(١) الزينة واللباس في عموم السروات وتهامة من المجالات الحضارية الكبيرة والمتنوعة في النوع، والشكل، والأسعار، وطريقة اللباس وغير ذلك. وكان الناس قديماً لا يملكون ألبسة كثيرة لقلة ذات اليد، ثم فاض الخير في وقتنا الحاضر فتوعدت وتعددت الألبسة وأدوات الزينة. وإجراء دراسة مقارنة عن الزينة واللباس قديماً وحديثاً يستحق أن يوثق في عشرات الكتب والبحوث. انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٦٥-٧٣.

(٢) لا تمثل الحريضة إلا جزءاً صغيراً من بلاد السراة وتهامة، وسكان هذه البلاد عامة عرفوا الكثير من التراث الشعبي كالأمثال الشعبية، والحكم، والأهازيج، والأحاجي، والشعر النبطي، والمفردات واللهجات، وكل هذه المجالات تعكس صفحات حضارية جميلة لهذه الأوطان. ويجب جمع هذا الموروث وشرحه وتحليله ثم طباعته ونشره، حتى تطلع عليه الأجيال القادمة، وهو جزء من تاريخ الآباء والأجداد (رحمهم الله تعالى).

(٣) من يتأمل في أمثال وحكم وأهازيج وفنون الأواكل يجد فيها الأصالة والسمو. كما أنها مليئة بالمعاني والصياغات الجميلة. وكل هذا الموروث يعد من صلب حياة الناس وتعايشهم مع بعضهم، ثم إنها جزء من حضارتهم التي عاشوها بكل إيجابياتها وسلبياتها.

يفعل أمر ما ويتسرع فيه ، وبالتالي تعود عليه الأمور بنتائج سلبية^(١).

٢- صفحات من تاريخ وحضارة مركز القحمة الحديث والمعاصر؛

أ- مصطلح القحمة ، وتركيباتها الجغرافية والبشرية ؛

أشارت بعض معاجم اللغة العربية إلى أن اسم القحمة ، بفتح القاف ، الجيدة أو الحسنة من الغنم أو الإبل ، ويقال : أقحم الرجل نفسه في أمر ما ، أي اقتحمه ودخل فيه بالقوة . والقحمة ، بضم القاف ، أي الأمور الكبيرة الشاقة ، ويقال فلان مقحم ، أي عاش في البوادي والأرياف ، أو الأماكن الصعبة^(٢) . وفسر مصطلح القحمة في بعض القواميس العربية بأنه المكان الذي يتخذ موطناً مؤقتاً للراحة والاسترخاء^(٣).

ونجد بعض المعاجم والمصادر الجغرافية المبكرة تشير إلى اسم مكان يعرف بـ (الحمضة) ، وهو من أودية مركز القحمة الجنوبية . وأشار الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ، وياقوت في مؤلفه (معجم البلدان) بأن هذه الناحية (القحمة) أو (الحمضة) في تهامة همدان وخولان . وهذه الإشارات عامة فلم تحدد المكان الدقيق لهذه البلاد^(٤) ، لكن المراجع الحديثة حددت موقعها شمال تهامة جازان ، وهي أراضي ساحلية وسهلية تسكنها قبيلة المنجحة . واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) هي جزء من تهامة عسير^(٥).

(١) لم أدرج هذه النماذج من اللهجات والمفردات والأمثال ، إلا أرجو أن يطلع عليها طالبات وطلاب الدراسات العليا وبخاصة في أقسام اللغة العربية وآدابها ، والتاريخ ، وعلم الاجتماع ثم يجتهدون لخدمة بلادهم ودراسة موروثها الحضاري المتنوع في مجالاته وعلومه .

(٢) واسم القحمة أو القحم عند سكان السراة وتهامة يعرف أيضاً بالماشية الكبيرة في السن ، فيقال للشاة ، أو البقرة ، أو الناقة (شاه قحمة ، أو بقرة قحمة ، أو ناقة قحمة) ، أي مسنة وكبيرة في العمر . وفي أجزاء من تهامة يطلق على المرأة أو الرجل الكبير المسن (قحم أو قحمة) . هذا ما عاصرتة وعرفته وأنا أتجول في عموم السروات وتهامة منذ خمسين عاماً .

(٣) انظر معاجم اللغة العربية الرئيسية مثل : لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي وغيرها .
(٤) هناك عدد من المصادر الجغرافية أشارت إلى بلاد الحمضة ، أو القحمة مثل : الاصطخري ، وابن حوقل ، والهمداني ، والبكري ، وياقوت الحموي وغيرهم . وما زال هناك معالم جغرافية كثيرة على ساحل البحر الأحمر الشرقي من عدن إلى جدة تحتاج من يدرسها ويوثق شيئاً من تاريخ أرضها وإنسانها منذ عصور ما قبل الإسلام إلى القرن (١٠هـ / ١٦م) . بل تستحق بعض الموانئ أو المحطات أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية ، وهذه مسؤولية الكليات والأقسام الأكاديمية في الجامعات السعودية المحلية .

(٥) القحمة جزء صغير من بلاد تهامة . ولا يمكن دراسة هذه الناحية دون الإلمام بتاريخ المنطقة التهامة الممتدة من جدة ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان وتهامة اليمن جنوباً . والدارس لعدد من الوثائق غير المنشورة ، والرسائل العلمية ، أو الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة يجد أن هذا الساحل والأجزاء التهامة الداخلية لها تاريخ سياسي وحربي وحضاري متنوع خلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيط ، والحديثة ، والمعاصرة ، وما زالت تحتاج إلى بحوث نوعية في عناوينها وتحليلها وتوثيقها . أمل أن نرى مؤرخين وجغرافيين وآثارين يقومون بهذه المهمة العلمية مع توخي المصداقية والشفافية والحيادية في كل ما يجمع ويدرس ويحلل .

في يومي الخميس والجمعة (١٥ - ١٦/٣/١٤٤٣هـ) ، أثناء رحلتي من الدرب إلى البرك^(١) ، التي قضيتهما في أوطان القحمة والحريضة تبين لي أن هذا المركز (القحمة) يحده من الشرق أجزاء من محافظة محايل كمركز بحر أبوسكينة وما يحيط به ، ومن الغرب البحر ، ومن الشمال أجزاء من محافظة البرك وبخاصة مركز ذهبان ، ومن الجنوب مركز الحريضة وتتداخل أراضي اليابسة والبحر في هذه الناحية . ومساحة المركز تقريبا (٨٠ كم^٢) ، تقريبا عشرين كيلا على البحر ، وأربعين في العمق الداخلي^(٢) .

تتنوع تضاريس المركز ، ففي الداخل حرار ، وهضاب ، وأودية مثل : وادي ضنكان في الأراضي الشرقية وتصب مياه في البحر ، ووادي حمضة التي تأتي منابعه من أوطان بحر أبوسكينة في محافظة محايل ، ووادي نجل الذي ليس بعيدا في حجمه ووصفه عن وادي حمضة . وهناك العديد من الجداول والشعاب في الأجزاء الشرقية من المركز^(٣) . كما لا تخلو بلاد القحمة من الجبال والهضاب المتفاوتة في أحجامها وارتفاعاتها ، ومنها جبل الخرماء شرق بلدة القحمة ، ويخترقه طريق مسفلت بعرض حوالي (١٠ - ١٢ م) ، وفي أعلاه مطل ومنتجع سياحي خاص بالبلدية ، وتظهر عليه الآثار البركانية التي جرت على طبيعته في عصور غابرة . ومن منتصف هذا الجبل أو القحمة تشاهد أجزاء كثيرة من أراضي المركز في كل الاتجاهات^(٤) . وجبل المطف في رقة الصفراء شرق مدينة القحمة بحوال (١٥ كم) . وعلى شاطئ البحر في الغرب إلى الشمال قليلا جبل بركاني بارز يشرف على بلدة القحمة القديمة يعرف بجبل الوسم ، وقد أشارت بعض الدراسات القديمة والحديثة إلى طبيعته وجغرافيته^(٥) .

يتبع مركز القحمة العديد من الجزر البحرية ، ومن أهمها : (١) جزيرة كدمبل (كتمبل) : في جنوب غرب بحر القحمة ، جزيرة بركانية ذات رمال ناعمة ، تحيط بها مياه البحر من كل الجهات ، تبلغ مساحتها حوال (٥ كم^٢) وتبعد من الساحل بالقرب العادي حوالي نصف ساعة^(٦) . (٢) جزيرة سمر : غرب المدينة ، ومساحتها حوالي

(١) كانت هذه الرحلة في الفترة من (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨-٢٤/١٠/٢٠٢١م)

(٢) مشاهدات الباحث ورحلته في (١٥، ١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

(٣) مازالت التركيبة الجغرافية والبشرية لمركز القحمة تستحق أن تدرس وتوثق في العديد من الدراسات العلمية التوثيقية ، مع دعمها ببعض الصور الجوية الفوتوغرافية التي توضح أهم معالمها الجغرافية .

(٤) زيارة الباحث لهذا الجبل في (١٦/٣/١٤٤٣هـ) ، ويوجد فيه بعض المطلات والمنتزهات السياحية ، ومازال جديرا بالتطوير والاستثمار الاقتصادي .

(٥) جبل الوسم : يبعد عن الشاطئ في البحر حوالي (٢٣ كم) ، وهو من معالم القحمة الرئيسية ، ويجري حوله حاليا بعض التطويرات السياحية ، ويقع على قمته قاعدة للدفاع الجوي ، وعند أسفله مهبط الطائرات العمودية .

(٦) جزيرة كدمبل من أهم جزر مركز القحمة ، وذكر لي أنها حاليا تستثمر سياحيا ، وهي من المشاريع

(٦ كم ٢) ، وتبعد من الساحل بالقرب حوالي ساعتين . (٣) جزيرة السحل : في الناحية الشمالية الغربية من المدينة ، ومساحتها تقدر ب (٥ كم ٢) ، وفيها العديد من المغارات والكهوف المتنوعة في أحجامها ومساحاتها . (٤) جزيرتا أم القشع ، وأم عقام : غرب ، وشمال غرب المدينة ، وتبعد عن الشاطئ بالقرب أكثر من ساعة ونصف ، وفي أراضيها رمال ناعمة وأشجار متنوعة وبخاصة شجر الحمض . (٥) خور القضبة : يبعد عن بلدة القحمة جنوبا حوالي (٥ كم ٢) ، وتأتي إليه الطيور المهاجرة المتنوعة ، ومعظمها من قارة إفريقيا^(١) .

إن توقفنا مع تركيبة أراضي القحمة البشرية والطبيعية ، فهي جزء من بلاد الساحل والسهول التهامية الممتدة من بلاد الحجاز إلى قمر اليمن التهامي . فالأراضي الساحلية متأثرة بالبحر في جغرافيتها ، وثرواتها الحيوانية والسلمكية والنباتية ، وهي على ترابط وعلاقات حضارية متنوعة مع الأجزاء التهامية الداخلية ، ومع عالم البحر وكائناته الحية ، والشعوب القاطنة على الجانب الآخر من البحر الأحمر^(٢) .

اطلعت على عشرات المصادر الإسلامية ، وتجولت في ربوع تهامة الساحلية والسهلية الداخلية ، فوجدت المصادر الكلاسيكية فقيرة فيما حفظته لنا عن هذه البلاد . أما الآثار المادية السطحية والمدفونة فهي متناثرة في كل ناحية ، والكثير منها اندثرت ، أو انطمرت تحت الأرض ، وتستحق من يفتش عنها ويجمعها ثم يدرسها ويحلل محتوياتها^(٣) .

السياحية المدرجة ضمن استراتيجية عسير . أمل أن نرى هذه الجزيرة وغيرها على ساحل منطقة عسير مستثمرة أحسن استثمار ، وهذا مما يعود بالنفع الكبير على أراضي وسكان منطقة عسير عموما وما جاورها من بلدان السروات وتهامة .

(١) إن الصلات الحضارية بين جانبي البحر الأحمر قديمة جداً ، والذاهب إلى الناحيتين الشرقية والغربية يرى التشابهات الكثيرة في التاريخ والموروثات الحضارية . وهناك بعض الدراسات التي صدرت في هذا الميدان وبخاصة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة وأحيانا الحديثة . لكن هذا الموضوع جدير أن يدرس في عشرات البحوث التاريخية والأثرية عبر أطوار التاريخ .

(٢) هذا ما أكدته الدراسات الأثرية القديمة ، والعديد من المصادر الأجنبية والعربية . والوثائق ، والسجلات ، والتقارير والمخطوطات الحديثة احتوت على شيء من هذه الصلات وبخاصة العلاقات بين شعوب البحر الأحمر الغربية والشرقية . أما المناطق التهامية الداخلية فهي أوطان مأهولة بالحياة البشرية والحيوانية والنباتية منذ عصور التاريخ القديم ، وما زالت حتى اليوم . لكن تاريخها وحضارتها القديمة والإسلامية المبكرة والوسيلة لم تحفظ ، واندثرت مع تعاقب العصور المختلفة .

(٣) التنقيب عن آثار البلاد ، وجمعها ودراستها آمل نتطلع إليها منذ عقود . وقد صدر ونشر دراسات قليلة ومحدودة في هذا الباب ، لكن ما زالت بلاد تهامة بين الحجاز واليمن تحتوي على كنوز كبيرة جدا من التراث والآثار المادية . وأكثرها مدفون في باطن الأرض ، وبعضها موزع في جبالها ، ووهادها وأوديتها . هذا كلام أدونه عن عموم السروات وتهامة منذ مطلع هذا القرن (١٥ هـ / ٢٠ م) ، لكن لا نجد حتى الآن من يدعم هذا المشروع الحضاري العظيم . ونرجو من جامعاتنا المحلية ومن الوزارات الرسمية المعنية أن تلتفت لهذا العمل المهم الذي هو جزء من تاريخ وحضارة وموروث بلادنا العربية العريقة .

وبعض المصادر التاريخية الحجازية واليمينية الإسلامية الوسيطة ، وعدد محدود من الرحالين والجغرافيين المسلمين الأوائل ذكروا بعض محطات طرق الحج والتجارة التي تقع في بلاد تهامة ، وفي مركز القحمة بعضاً من تلك المحطات التي كانت نشطة بتاريخها وحضارتها المادية والمعنوية ^(١).

إنني أوثق السطور السابقة بعد رحلة مضية في صفحات وبطون المصادر التراثية الإسلامية . وعند سيرتي وتنقلي في أرجاء مركزا القحمة وغيرها من تهائم السعودية الممتدة من جازان جنوباً إلى القنفذة والليث شمالاً شاهدت تعدد القبائل والعشائر القحطانية والمضرية العدنانية في هذه الديار . وبعد قراءات وتمحيص وتأمل لهذه الشعوب خرجت بالعديد من الرؤى التي أذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. إن معظم سكان هذه البلاد عرب أفحاح خلص ، فمنهم من جاء إليها من حواضر اليمن الرئيسية ، وآخرون من أجزاء عديدة في غرب وشمال ووسط شبه الجزيرة العربية . وهناك عشائر وقبائل عديدة استوطنوا قمم السروات، أو أجزاءها الغربية وسهولها التهامية ، ومنهم من نزح إلى المناطق الخبتية والساحلية ^(٢).
٢. لا تخلو هذه البلاد من عناصر بشرية جاءوا إليها من خارج شبه الجزيرة العربية، وأقرب الطرق إليها عن طريق البحر. فمنهم من كان يعمل في التجارة الدولية الشمالية والجنوبية، وكانوا يتخذون البحر الأحمر طريقاً لهم ، ومنهم من ينزل على شواطئه الشرقية والغربية ، ومن ثم أثروا وتأثروا ، وبعضهم استقروا في هذه البلاد الساحلية ^(٣). كما أن ظروف الهجرات ، والحروب ، والصراعات السياسية،

(١) من هذه المصادر الكلاسيكية الإسلامية المبكرة والوسيطة. كتب الهمداني، واليعقوبي، وابن خردادبة، والاصطخري، وابن حوقل، والإدريسي، وياقوت الحموي، والبكري، وأبو الفداء، وناصر خسرو، وابن الجاور، وابن فضل الله العمري . كما أن كتب الحجاز واليمن المحلية الإسلامية الوسيطة مثل مؤرخي دولة بني رسول ، ومؤرخي مكة المكرمة أشاروا إلى تنف من تاريخ البلاد الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان ، لكنها مازالت مقتطفات محدودة وقصيرة ، ولا تعطينا صورة واضحة عن هذه الأوطان الساحلية والسهلية التهامية .

(٢) إن الدارس لتاريخ وهجرات قبائل السروات ، يجد فخوداً وعشائر كثيرة ، نزلوا من أعالي الجبال إلى السهول التهامية الواقعة بين الساحل ومناطق الأصدار (سفوح السروات الغربية) ، ثم عاشوا وتناسلوا واستقروا في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن . وعندما نسعى إلى معرفة شيء من تاريخ وحضارة سكان هذه الديار نعجز عن الوصول إلى مبتغانا ، لندرة المصادر وعدم توفرها أساساً ، وهذا لا يعني أن ليس لهم تاريخ ، فآثارهم من الآبار ، والكهوف ، والمقابر ، والأسواق ، والسدود ، ولهجاتهم وأعرافهم وتقاليدهم تؤكد أن لهم تاريخاً وحضارة قديمة جداً ، ومهمة في شتى الجوانب .

(٣) إن الباحثين في حضارات دول العالم الشرقية والغربية منذ آلاف السنين يجد أن الصلات التجارية والحضارية قديمة جداً واستمرت عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي . وهناك كتب وبحوث صدرت في

والأحوال الاجتماعية والاقتصادية وغيرها جعلت الأفراد والجماعات ينتقلون من مكان لآخر ، ومما لاشك فيه أن سواحل البحر الأحمر الشرقية وما يليها من السهول التهامية قد تأثرت بأقوام جاءوا إليها فاستوطنوها عبر عصور التاريخ . ومن السكان الأصليين أيضاً من خرجوا من أوطانهم وذهبوا إلى بلدان عديدة في قارتي إفريقيا وآسيا وغيرها^(١) .

٢. من يسير في مناكب بلاد القحمة وغيرها من بلدان تهامة العربية السعودية اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) يرى مع السكان أجناساً سعودية عربية ، وعرباً غير سعوديين بالجنسية . كما أن هناك أفراداً وجماعات ، ذكورا وإناثاً مسلمين وغير مسلمين ، شرقيين وغربيين شماليين وجنوبيين من الكرة الأرضية ، جميعهم يعملون ويعيشون في أمن وأمان ، فيكسبون أرزاقهم ، ويتعايشون مع بعضهم في سهولة ويسر . وهذه ميزة لم تشهها هذه الأوطان فيما مضى من العصور والأزمان . بل لم تعرف هذه الأراضي وأهلها قديماً حياة هادئة ومستقرة كما تعيش اليوم^(٢) .

هذا الميدان ، لكن موانئ البحر الأحمر السعودية مازالت بحاجة كبيرة إلى من يدرس تاريخها القديم منذ العصور الحجرية إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) •

(١) إن الأمم الإغريقية (اليونانية) ، والرومانية ، والحبشية ، وشعوب الفرس ، والصين ، والهند وغيرها عرفوا سواحل البحر الأحمر الشرقية ، وجابوها ، وتعاملوا مع بعض سكانها الساحليين في عصور ما قبل الإسلام ، وأثناء عصور الإسلام المختلفة حتى عصرنا الحاضر . وهناك الكثير من الكتب والبحوث والدراسات التي ذكرت شيئاً من سياساتهم الحربية والاستعمارية وكذلك الحضارية الاقتصادية . وكان لهم صلات متنوعة مع شعوب الموانئ البحرية ، وأحياناً تمتد علاقاتهم السلبية إلى حواضر وبلدان عديدة في الداخل وأطراف شبه الجزيرة العربية . لكن المناطق الداخلية التهامية من جازان إلى مكة لم تتأثر كثيراً ، بل كان معظم سكانها في عزلة عن بقية الأمم منذ عصر ما قبل الإسلام إلى القرن (١١هـ / ١٧م) ، وبداية القرن (١٢هـ / ١٨م) . هذا الكلام خلاصته قراءات وبحوث تعاملت معها ، ودرستها خلال الأربعين عاماً الماضية .

(٢) كوني أدرس تاريخ وحضارة الأمم في العالم منذ تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وأراقب وأوثق حياة الشعوب داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . فإن البلاد السربية والتهامية كانت في السابق محكومة بقبائلها المتصارعة المتناحرة ، حتى وإن امتدت إليها بعض القوى السياسية الداخلية والخارجية ، لكن طبيعة الأرض وانعزال أهلها وضعوبتهم أحياناً جعلتهم في حياة كروفر وبعد أن وحدت معظم أجزائها شبه الجزيرة العربية تحت حكومة المملكة العربية السعودية ، وزعامة المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود (غفر الله له) تحولت الأرض والإنسان من التقوقع والتشردم إلى بلاد متمدنة متحضرة ، ثم سادها التألف والوحدة فالتقى السهل بالجبل والساحل ، وتداخلت الأسر ، والأفراد ، والقبائل حتى صارت جزءاً من دولة عصرية مترامية الأطراف . وهذا التحول التاريخي والحضاري الحديث لم يدرس دراسة تحليلية عميقة ، مع مقارنة الحاضر مع القديم في شتى الأحوال . وأيم الله إنها نقلة حديثة عصرية تستحق من كل مؤرخ صادق وحيادي ونزيه أن يرصد ويوثق كيف كانت أراضي وشعوب هذه النواحي ، وكيف تطورت وصارت اليوم في وقتنا الحاضر •

ب- لمحات من حضارة مركز القحمة الحديث والمعاصر:

لم تكن بلاد القحمة في معزل عن الأحداث والقوى السياسية التي ظهرت ، أو امتد نفوذها على منطقتي عسير وجازان خلال القرنين (١٣ - ١٤هـ / ١٩ - ٢٠م) ^(١) ، ولأهمية هذه الناحية البحرية ، كونها ميناء تجارياً وحربياً ، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع والوثائق التاريخية ^(٢) .

ونجد ميناء القحمة من الموانئ الرئيسية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، فبعد دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، كان لابد أن يكون لتهامة وسروات هذه البلاد منفذاً نشاطاً على البحر ، وكانت القحمة من أفضل الأمكنة لهذه المهمة ^(٣) . وتشير عشرات الوثائق التاريخية إلى الأدوار المهمة التي لعبها ميناء القنفذة من الأربعينيات إلى الثمانينيات وربما التسعينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ^(٤) .

وتشير الوثائق التاريخية إلى النشاط الاقتصادي والتجاري والحضاري الذي عرفه ميناء القحمة من الخمسينيات إلى الثمانينيات في القرن الهجري الماضي ^(٥) . ولم تخل بلدة القحمة من مؤسسات إدارية سعودية خلال تلك الفترة ، وعند إجراء الكثير من

(١) لن أفضل الحديث عن تاريخ عسير وجازان السياسي والحربي في العصر الحديث ، لأن ذلك موثق ومدروس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة . وما زال التاريخ الحضاري في هذه البلاد يحتاج إلى عناية الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين .

(٢) اطلعت على العديد من المصادر ، والكثير من الوثائق غير المنشورة التي احتوت على تفاصيل متنوعة عن موانئ البحر الأحمر الشرقية من ينبع ورايح وجدة في الشمال إلى جازان والحديدة وعدن في الجنوب . وهناك إشارات جيدة لأهمية ميناء القحمة ، وبعض الأدوار التي قام بها خلال القرنين (١٣ - ١٤هـ / ١٩ - ٢٠م) . وهذا الميناء يستحق أن يكون عنواناً لبحث أو رسالة علمية خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٣) إن الدارس لتاريخ ضم عسير ثم جازان إلى حكومة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يدرك المراحل التي جرت لهذا الضم ، وكيف كانت أوضاع البلاد مضطربة وغير مستقرة في بداية الأمر ، ثم سارت الأمور السياسية والحضارية نحو الإيجابية حتى صارت جميع مناطق السروات وتهامة جزءاً من حكومة الملك عبدالعزيز آل سعود (المملكة العربية السعودية)

(٤) اطلعت على العديد من هذه الوثائق ونشرت أيضاً بعضاً منها في عدد من كتيبي ومؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضية وما زلت أقول إن موانئ القنفذة ، والقحمة ، وجازان لم تخدم حتى الآن بحثياً وتوثيقياً ، ويستحق كل ميناء أن يكون عنواناً لبحث أو رسالة علمية .

(٥) جمعت واطلعت على أكثر من وثيقة غير منشورة تشتمل على تفاصيل إدارية ، وتجارية ، واقتصادية وحضارية عن بلاد القحمة من نهاية الأربعينيات إلى السبعينيات في القرن (١٤هـ / ٢٠م) . وأقترح أن تكون هذه الفترة عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية . أرجو من أساتذة أقسام التاريخ في الجامعات المحلية ، أو طلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام أن يتلفتوا إلى هذه النواحي الصغيرة في سهول وسواحل تهامة من اليمن إلى الحجاز فتكون ضمن اهتماماتهم في بحوثهم ورسائلهم العلمية ، لأنها مازالت أمكنة بكرًا لمن يرغب أن يدرسها ويوثق تاريخها وحضارتها عبر أطوار التاريخ .

التنظيمات الإدارية والتطويرية في جنوب البلاد السعودية صارت معظم المدن والحوضر والبلدان في عموم السراة وتهامة مخدومة ومرعية إدارياً وتموياً وحضارياً^(١).

مكثت يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) أتجول في مركز القحمة، وبخاصة الحاضرة، فوجدتها مدينة متحضرة تشتمل على كل ضروريات الحياة الحضارية الحديثة. ففيها العديد من المؤسسات الإدارية الرسمية مثل: إدارة المركز، وإدارات أو مراكز أو فروع للشرطة، وقيادة حرس الحدود، والشرطة العسكرية، والشؤون البحرية، وإدارة الثروة السمكية، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمستشفى العام، ومركز الرعاية الصحية الأولية، ومكتب خدمات البلدية، ومكتب للبريد، ومركز البيئة والمياه، وإدارة الدفاع الجوي، وعدد من الجمعيات واللجان الأهلية والخيرية. بالإضافة إلى بعض فروع وخدمات البنوك التجارية كالأجراحي والأهلي^(٢). ومن هذه النظر السريعة على بعض إدارات ومؤسسات القحمة الرسمية والأهلية، استطلعت أن أستخلص عدد من النتائج والخلاصات التي أسجلها في النقاط الآتية:

١. إن عدداً من الإدارات الحكومية في القحمة قديم فقد تأسس بعضها من أربعينيات وخمسينيات القرن (١٤/٢٠م)، مثل: إدارة المركز، وتسمى قديماً إمارة^(٣). والمحكمة الشرعية، وإدارة الجوازات والأحوال المدنية، وإدارة الميناء

(١) هذه الأقوال لم تكتب جزافاً أو اعتباطاً، وإنما هي خلاصة دراسات وبحوث ورحلات في عموم التهائم والسرورات، الواقعة بين اليمن والحجاز، منذ نهاية القرن (١٤/٢٠م). والذي أكّد لي أن هذه الأوطان تحتوي على مخزون معرفي وحضاري قديماً جداً، ومتنوع عبر عصور التاريخ منذ العصر الحجري إلى يومنا الحاضر. لكن البلاد منذ أربعينيات القرن (١٤/٢٠م) حتى وقتنا الحالي عاصرت وعرفت تاريخاً حضارياً وتموياً هائلاً، لم يسبق له مثيل. ولحسن الحظ أن تحسنت الأوضاع الاقتصادية، ومن ثم ازدهرت الجوانب الحضارية الأخرى وبخاصة الناحية العلمية والمعرفية والثقافية. وبالتالي فإن على أجيال هذا العصر الحديث والمعاصر مسؤولية عظيمة لحفظ تاريخ وتراث وحضارة بلادهم عبر العصور، وبخاصة الذي مازال مجهولاً أو ضائعاً أو منسياً فتبذل الجهود لدعم وتشجيع من يقوم بجمع وحفظ ودراسة وتوثيق هذا التراث المهم والأصيل.

(٢) إنها جولة قصيرة ومشاهدات محدودة في مدينة القحمة وما حولها، فلم أدون كل ما تحتويه من مؤسسات وخدمات حكومية وأهلية، لكن صبغة الحضارة والتمدن الحديث يغلب على جميع مرافق المدينة وما حولها.

(٣) وجدت عشرات الوثائق التي تشير إلى إمارة القحمة في الخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي، فذكرت أسماء من تولى إمارة هذه الناحية آنذاك، وبعض العاملين معهم وروايتهم. وكانت في بادئ الأمر تراجع إمارة عسير، ثم صارت في عقود تالية تراجع إمارة جازان حتى عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، وأخيراً أصبحت ناحية تابعة لإمارة منطقة عسير، وهي حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) تراجع إمارة عسير مباشرة. وتاريخ بلاد القحمة الإداري والمالي والحضاري من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

والجمارك، وفرع وزارة المالية وغيرها^(١). وهناك إدارات أنشئت مؤخراً منذ عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

٢. كل المؤسسات الإدارية التي شاهدها، والتقطت صوراً لبعضها، وأخرى سمعت أخبارها من بعض رواة وأعلام القحمة^(٢)، تقع في عمارات مسلحة حديثة تتكون من دور واحد إلى ثلاثة أدوار، ومعظمها أبنية مستأجرة، والعمارات الحكومية قليلة جداً، وأغلب الإدارات الرسمية على الطريق العام الذي يربط الدرب والحريضة مع البرك والقنفذة. وبعضها في مجمع إسكان الأمير سلطان الخيري جنوب مدينة القحمة^(٣).

٣. شاهدت أن جميع العاملين في الإدارات الحكومية، ومعظم المؤسسات الأهلية من السعوديين، والنسبة الكبرى من الرجال، ونسب متفاوتة وأحياناً قليلة من السعوديات. وما زال هناك بعض العناصر غير السعودية العاملة في بعض القطاعات الصحية كمستشفى القحمة وغيره، وفي بعض القطاعات الأخرى الاقتصادية الربحية^(٤).

أما الحياة التنموية العمرانية في مركز القحمة، فالسائد العمارة الحديثة المسلحة. والشارع العام الذي يجتاز مدينة القحمة تكتظ جانبيه بالعمارات التجارية وبعض السكنية، وتتراوح طوابقها من غرف محدودة أو طابق واحد إلى ثلاثة طوابق، ونادراً ما ترى أربعة طوابق، ويأتي خلف الشارع العام من الجانبين أحياء وحارات عديدة معظمها مبنية بالعمارات المسلحة الحديثة، وما زال هناك بعض الأبنية الشعبية في بعض أجزاء الحاضرة^(٥). وفي جنوب مدينة القحمة يقع مجمع إسكان الأمير سلطان

(١) لا يوجد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في القحمة محكمة شرعية، ولا إدارة الميناء والجمارك، ولا فرع وزارة المالية. وإنما كانت مؤسسات إدارية في هذه الناحية إلى عهد قريب، ثم ألغى بعضها، ونقل الآخر. وقد زرت مقرات هذه الإدارات في بلدة القحمة القديمة، فوجدت أبنية شعبية صغيرة مبنية بالحجارة والطين، وبعضها مطلية بالجص والنورة من الداخل والخارج.

(٢) التقيت بالعديد من أعلام مركز القحمة وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد علي العبسي الذي تقبل معي مشكوراً في نواحي عديدة من أراضي المركز، وزودني بمعلومات متنوعة عن جغرافية وإنسان هذه البلاد. والأستاذ أحمد من سكان القحمة، علم سنوات عديدة في ميدان التربية والتعليم، فجزاه الله عني كل خير.

(٣) زيارة الباحث للمدينة في (١٦/٣/١٤٤٣هـ)، ومشاهدته العديد من معالمها التاريخية والحضارية الحديثة.

(٤) اطلمت على عدد من التقارير الصادرة من أمانة منطقة عسير تخص تطوير ساحل منطقة عسير من الحريضة إلى سعيذة الصوالة، وتحتوي على تفصيلات متنوعة عن الاستثمار في هذه الناحية وتطويرها اقتصادياً وسياحياً وتتمويها. وإذا تم ذلك في السنوات أو العقود القادمة، فالتركيبة الاجتماعية والإدارية والاقتصادية سوف تكبر وتنوع جغرافياً وبشرياً وتستثمر في هذه البلاد سياحياً واقتصادياً.

(٥) العمارات الشعبية مازالت منتشرة، بكثرة في قرى وأرياف مركز القحمة، وهي بيوت حجرية أو أسمنتية (بلوك + أسمنت + سقوف خشب)، ولا تخلو حاضرة القحمة من بعض هذه البيوت أيضاً، إلا أن معظم عمارات المدينة من الإسمنت والخرسانة المسلحة.

الخيرى ، ويتكون من مئة فلة بمرافقتها ، وفي هذا المجمع العديد من الخدمات المهمة والضرورية مثل المدارس الحكومية ، ومستوصف رعاية أولية ، ومقر إدارة المركز ، ومركز التنمية الاجتماعية ، وجامع كبير يتسع لعشرات المصلين^(١) .

وقفت على بعض أحياء مدينة القحمة ومخططاتها مثل: (١) حي صواحة شرق المدينة ، وفيه الكثير من الأبنية الحديثة وشوارع مسفلتة ذات مسار واحد . (٢) حي أو مخطط (الجربوع) شرق الطريق العام مليء بالعمارات الحديثة من دور إلى ثلاثة أدوار وشوارع فسيحة مزودة بالإسفلت والإنارة ، ويوجد في هذا المخطط أكثر من (٥٠-٧٠) عمارة حديثة . (٣) إلى جانب مخطط الجربوع من الشمال مخطط البلدية ، وشوارعه واسعة ومخدومة بالإنارة والإسفلت ، وفيه عمارات كثيرة من دور إلى ثلاثة أدوار ، ومازال العمران فيه مستمرا . والأجزاء الواقعة على الطريق العام في مخططي الجربوع والبلدية تجارية ، وعليها مشاريع عمرانية حديثة يصل ارتفاع بعضها إلى أربعة طوابق^(٢) .

وفي الناحية الغربية من الطريق العام عدد من الأمكنة والأحياء الحديثة والقديمة . وقد زرت القحمة القديمة ، ورأيت السوق القديم في مساحة محدودة ، ومازال يحيط به بعض الأبنية الصغيرة المتواضعة المبنية بالحجارة والطين ، ومازال حول هذا المكان بعض عيش القش . وإلى جانب السوق القديم أبنية مشيدة بالطين والحجارة ومطلية بالجص والنورة ، وأخبرني بعض الرواة أن هذا المكان الثاني كان امتدادا للسوق القديم . وعلى مقربة من أرض السوق أبنية قديمة ، بعض أبوابها بالخشب ، وأخرى بالحديد ، وسقفها مغطاة بالأخشاب والتراب ، وبعضها بالإسمنت ، وكان بعضها مقرا لبعض الإدارات الحكومية في السابق . وقريبا من هذا كله في عموم الحي المعروف بـ (الخرشة) أبنية حديثة مسلحة وأخرى شعبية ، وهي متداخلة مع بعضها البعض . ومن هذه الجولة في هذه الناحية القديمة أخرج ببعض النتائج والتوصيات ، وأذكر أهمها في البنود الآتية :

١ . أربعون عاما وأنا أسير في مناكب بلاد السراة وتهامة ، فشاهدت قراها ، وحصونها ، وآبارها ، ومساجدها ، ومقابرها ، وكهوفها ، ومدرجاتها الزراعية ، وأحميتها ، وجميع مجالس وعمارات أهلها وأبنيتهم القديمة فوجدتها تعكس تاريخا وحضارة تتم عن عراقة وأصالة هذه الأوطان . ناهيك عن إبداعاتهم وفنونهم ، وأغانيهم

(١) المصدر : مشاهدات الباحث في مركز القحمة يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) استأجرت بضع ساعات في إحدى الأبنية الفندقية الموجودة على الشارع العام في مخطط البلدية ، وفي هذا المخطط العديد من المساجد والجوامع الكبيرة ، وبعض الاستراحات أو قاعات للاحتفالات الاجتماعية الكبيرة . المصدر : مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

وأهازيجهم، ولغاتهم ولهجاتهم وتراثهم المعنوي، فهو أيضاً مجال آخر كبير من التراث والحضارة الإنسانية المحلية^(١).

٢. بلادنا (المملكة العربية السعودية) بدأت منذ عقود توحد وتبني وتشيد الأرض والإنسان في جميع أرجائها . ومن ثم مرت التنمية بمراحل عديدة حتى صارت البلاد، ولله الحمد، من الأوطان المتمدنة المتحضرة في شتى المجالات . لكن التنمية الحديثة تخللها وسار معها بعض السلبيات، وبخاصة ما يتعلق بالتراث المادي العمراني. فكم من ناحية ، أو بلدة ، أو قرية في عموم المملكة العربية السعودية يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام ، أو إلى عصور الإسلام المبكرة والوسيطة ، لكن عجلة التنمية والبناء جاءت عليها فأزالتها ، أو دمرت أشياء كثيرة من تاريخها وحضارتها . والمجتمع السعودي (أفراد وجماعات) ساهموا بنسبة كبيرة جداً في إتلاف هذا التراث الحضاري. فمنذ الثمانينيات في القرن الهجري الماضي، وأنا أشاهد وأسافر في ربوع المملكة وبخاصة جنوبها (سراة وتهامة) ، وأقف وأرى مواطن تاريخية عريقة ، لكن أيدي البشر لم ترحم هذا الموروث من الإتلاف والتدمير، ثم استبداله بعمران حديث لا أصل له ولا عراقية، وهكذا استمر الحال، حتى أصبحنا نشاهد جميع موروثنا وتراثنا العمراني القديم أشباحاً، وأحياناً كثيرة خراباً ومدمراً . نحن بحق سكان شبه الجزيرة العربية أصحاب حضارة وتاريخ قديم ، وإسلامي مبكر ووسيط ، وله الكثير من الإيجابيات عبر العصور وفي شتى المجالات. وأماكن الاستيطان والبناء والتشييد صفحات مشرقة للأباء والأجداد الأولين . والواجب علينا جميعاً على المستويين الأهلي والرسمي أن نتعاون في كل ما يبني ولا يهدم ، وأن نربط تراثنا وتاريخنا وحضارتنا الحديثة بموروثنا القديم الجميل ، وإن فعلنا ذلك كنا من الناجحين المفلحين (بإذن الله تعالى) .

٣. إن ما رأيته ووقفت عليه في بلدة القحمة وغيرها من تراث وتاريخ قديم جعلني أسطر بعض المدونات الأنف توثيقها في سطور سابقة. والدولة السعودية في وقتنا الحاضر تعمل وتجتهد أن تكون بلادنا قبلة سياحية عالمية، وعندنا من التراث والرقي والحضارة العربية والإسلامية الأصيلة، ما يجعلنا فعلاً ننافس غيرنا في

(١) قضيت سنوات من عمري أسافر وأتقل في مدن وبلدان وأحياء أمريكية ، وغربية وشرقية . وفي عدد من دول العرب والمسلمين . فوجدت كل ناحية أو بلاد لها تراث وموروث وتاريخ وحضارة . والتاريخ المادي العمراني من أهم ميادين التراث المرئي والمشاهد والملموس، لهذا فالأهم تتفاوت في الحفاظ على هذا التراث وبخاصة القديم ، لكن من اجتهد وحافظ عليه ، اجتفظ بصفحات جيدة من تاريخ وحضارة بلاده، ومن تقاس وأتلف هذا الكنز الحضاري المهم ضيع جزءاً من تاريخ وطنه .

ميدان الموروث الحضاري والسياحي، لكن يجب العمل والحفاظ على هذا التاريخ والتراث العربي المحلي، ثم خدمته وصيانيته وتطويره حتى يحافظ على قدمه وأصالته وعراقته، وفي الوقت نفسه الأخذ بكل جديد يرفع من قدره وقيمه^(١).

علمت من أهل القحمة أن هناك عشرات القرى التابعة للمركز بعضها ضمن مخطط المدينة، وأخرى متفرقة في أنحاء المركز. ومن تلك القرى القريبة من البحر أو الخط العام من شمال المركز إلى جنوبه. خور الوسم الشمالي، والجريمة، وعُصيرة، وصواحة، والسوق، والخرشة، والعيرج، والعالية، ومغزل، والبراق، والنفاح، والعُشير، والمقطوع، والشروم^(٢). ومن القرى الداخلية الريفية أو البدوية وتقع في الأجزاء الشمالية الشرقية: القرملة، والجواد، وقرن الحمام، والهيجة، والمكملات، والعقدة، وأثلة، والمصيدرة، والعرجاء، والمفجر، وضنكان، والحفق. ومن قرى الشرق أو الجنوب الشرقي: المضارب، والجلة، والضاجع، والمطعن، ومليحة، والمروة، والخشاف، والخشب، والشعيب، والجوز، والمبيهم، وملحة، ومجلي وغيرها^(٣).

كل العمارات التجارية تقع ضمن إطار حاضرة القحمة، فالكثير من التجارات المحدودة والمتوسطة على الشارع العام، كالبوفيهات، وبعض المطاعم والبقالات، وصيانة بعض الأدوات أو المعدات. ورأيت بعض الفنادق والوحدات السكنية على الشارع العام، وبعضها داخل الأحياء القريبة من الطريق العام. ولا تخلو المدينة من بعض الشاليهات الاستثمارية، وبعض ملاكها من أهل القحمة، وآخرون جاءوا من بلدان أخرى وبخاصة من محافظات منطقة عسير السروية والتهامية^(٤). وللقحمة سوق أسبوعي يعقد كل أربعاء، ويقع في شمال المدينة، ومساحة تقدر بـ (١٠٠×١٠٠م) وتصدر إليه الكثير من

(١) هذا الذي أرجوه وأتمناه، وعلى وزارات البلديات، والثقافة، والتعليم، وهيئة السياحة وغيرها أن تتضافر جهودها وتعاونها في خدمة موروثنا الحضاري وحمائته وصيانيته ثم دراسته وتقديمه بلغات عديدة إلى شعوب العالم، حتى يعرفوا عمق حضارتنا وعراقته.

(٢) لم أذكر كل القرى القريبة من البحر أو على جانبي الطريق العام أو قريباً منه، لكنني ذكرت بعضها، وزرت عدداً من هذه الأماكن، والكثير منها تشتمل على عمارات حديثة، ولا تخلو من أبنية شعبية مازالت مسكونة حتى الآن.

(٣) لم أصل إلى هذه القرى، لكن سمعت من سكان مدينة القحمة أن كل طرفها مازالت ترابية، كما أن البيوت الشعبية هي الأكثر انتشاراً فيها، ولا تخلو من بيوت مسلحة من دور واحد، والعمارات ذات الطابقين قليلة جداً. والقرى الشمالية الشرقية لا تبعد كثيراً عن وادي زهران ومركزه التابع لمحافظة البرك والقرى الشرقية والجنوبية الشرقية يحدها من الجنوب والشرق والجنوب الشرقي مركزي الحريضة وبحر أبو سكينه.

(٤) حاضرة القحمة من البلدان الهادية والواحدة باستثمارات اقتصادية جيدة، فأرضها جيدة للعمارة والبناء، وأيضاً موقعها، فهي تصل البحر بالساحل والسهول الداخلية، وتتنوع في تراثها وموروثها التاريخي والحضاري.

السلع الحيوانية والنباتية ، وعلى مقربة منه محلات تجارية يومية دائمة يعرض فيها الكثير من البضائع المستوردة من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها^(١).

وشاهدت بعض المعالم العمرانية الأخرى مثل: سوق السمك على الشارع العام في المدينة في مبنى حكومي حديث شيدته بلدية الساحل في الحريضة التي تتولى الإشراف على القحمة والحريضة . ويتكون من ثمان محلات تجارية واسعة وجيدة التشييد . وزرت أيضاً بعض أسواق المواد الغذائية المتوسطة في مساحاتها ومعروضاتها ، وتحتوي أيضاً على بضائع أخرى متنوعة يحتاجها معظم الناس . وعلى الطريق العام بعض الوكالات التجارية مثل درعة للعطور ، وقطع غيار السيارات وغيرها . وهناك عدد من قصور الأفراح في محيط المدينة ، تتراوح مساحاتها بين (١٠٠×٥٠م) و (٨٠×٨٠م) ، وقد يكون هناك قصور أو استراحات أصغر من هذه المساحات . كما حصرت على الطريق العام من الجنوب إلى الشمال حوالي ست محطات وقود ، ومن مرافق أغلبها ورش أو محلات متفاوتة في مستواها ومساحاتها لخدمة السيارات ، وأحياناً محلات مواد غذائية ، وكافيهات لشرب الشاي والقهوة وغيرها . وعلى الساحل مرسى يشيد حالياً ، وذكر لي بعض أعلام المدينة أن تكلفته بلغت (٢٥) مليون ريالاً سعودياً ، وذكر أن المرحلة الأولى من البناء والتشييد انتهت ، وعند الانتهاء منه سوف يكون معلماً حضارياً وتجارياً جيداً يخدم عموم سكان المركز ، أو من يزورها للسياحة والاستجمام^(٢).

من عمارات القحمة القديمة البيوت والأبنية الحجرية التي مازالت متناثرة في المدينة والقرى والأرياف من أراضي المركز . والغالب على هذه المباني محدودية البناء فلا تزيد طوابقها عن طابقين ، والغالب من طابق أو غرفة أو غرف صغيرة ، ومساحة البناء لكل بيت أو غرف محدودة فلا تزيد عن مترات محدودة . وقد شاهدت في بعض أريافها ضيق ممراتها ، والأزقة التي تسير بين المنازل . وأغلبها خالية من الخدمات الضرورية كدورات المياه وغيرها . وقريباً من بعض المستوطنات البشرية القديمة قامت العمارات الحديثة المختلفة في مساحاتها ، وأدوارها ، وخدماتها ، وهيئة البناء ، والديكورات ، والتخطيط ، والتأثيث وغيرها^(٣).

(١) سوق القحمة الأسبوعي قديم ، وما زال قائماً حتى الآن ، لكن عوامل التراجع ظهرت عليه ، فقلت حركته التجارية مقارنة بعمود ماضية قريبة . وبدأت التجارات الحديثة تتطور وتتزايد ، وقد يستغنى عن هذا السوق الشعبي مثلما استغنى عن أسواق شعبية كثيرة في عموم السروات وتهامه .

(٢) ساحل منطقة عسير ، بل سواحل البحر الأحمر من شمال المملكة إلى جنوبها مناطق حضارية وسياحية من الطراز الأول . أمل أن نراها من البلدان المتطورة في شتى المجالات ، مع الاهتمام والحفاظ على تراثها وتاريخها وحضارتها التي تعود إلى ما قبل الإسلام بمئات السنين .

(٣) ليس هذا الأمر محصوراً على مدينة القحمة أو قرى وأرياف المركز ، وإنما هذه الظاهرة سائدة على جميع مدن وقرى وأحياء وحواضر وأرياف السروات وتهامه من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران .

أما الطرق البرية ، فالطريق العام الذي يخرج من الدرب إلى البرك والقنفذة ثم جدة ، فهو الشريان الرئيسي الذي يجتاز مدينة القحمة ، بل هو القلب النابض للمدينة ، فعليه معظم الحراك والأنشطة التجارية والاقتصادية بشكل عام ، ومنه تتفرع طرق عديدة إلى الشرق والغرب فتصل إلى بعض أجزاء المركز القريبة من قلب المدينة ، وأغلبها اتجاه واحد بعرض (٨ - ١٥ م) . وهناك طريقان مزدوجان بعرض تقريباً (٢٠ م) يتفرعان من الطريق العام شرقاً ، أحدهما يسير إلى جبل الخرماء ، والثاني شمال المدينة يخرج من الشارع الرئيسي إلى مخطط البلدية الذي فيه عدد كبير من الأبنية الحديثة . وطريقان آخران مزدوجان بعرض (٢٠ - ٢٥ م) ، يخرجان من الطريق العام تجاه ساحل البحر في الغرب ، وأحدهما شمال المدينة ، والآخر جنوبها . وفي داخل المدينة الكثير من الشوارع الصغيرة المسفلتة التي يتراوح عرضها من (٥ - ١٥ م) ، وهي شرايين تربط الأحياء والتجمعات السكانية مع بعضها . وأفضلها وأحسنها عمارة وتشبيهاً الموجودة في مخططي الجربوع والبلدية في الناحية الشمالية من المدينة . أما الطرق التي تخرج من المدينة إلى بقية قرى وأرياف المركز في الشرق والشمال أو الجنوب الشرقي فمعظمها مازالت ترابية ، والبلدية تجتهد حالياً في تمهيد وسفلتة بعضها ، وبإذن الله يتحقق ذلك قريباً . ولم أجد طريقاً تخرج من المركز نحو الشرق حتى تربط حاضرة القحمة ببعض المدن أو المراكز أو الحواضر في تهامة منطقة عسير وبخاصة محافظتي محاليل ورجال المع^(١) .

مازال هناك عمارات كثيرة في أنحاء المركز مثل: أبنية المدارس الحكومية ، وهي قليلة ، فأغلب مقرات المدارس مستأجرة ، وبعض الجوامع الكبيرة في مدينة القحمة ، أما المساجد والمصليات الصغيرة فهي كثيرة ومتناثرة داخل الحاضرة وفي القرى والأرياف^(٢) . وشاهدت العديد من المقابر داخل مدينة القنفذة ، ومعظمها محاطة

والعمارة القديمة والحديثة في هذا البلاد تستحق أن تدرس وتوثق منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، أمل أن يقوم العديد من المؤرخين والباحثين في هذه الديار بدراسة هذا الميدان دراسة علمية توثيقية مع دعمها بالصور الفوتوغرافية الملونة .

(١) تحيط أجزاء من محافظات البرك ، ومحاليل عسير ، ورجال المع بمركز القحمة من الجنوب ، والشرق والشمال ، وليس هناك طرق تربط هذه النواحي مع القحمة سوى الطريق العام الذي يسير من الحريضة إلى القنفذة . وأجزاء القحمة الشرقية تستحق أن تربط بطرق مباشرة من مدينة القحمة إلى مدينة محاليل عسير وما جاورها . أمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام .

(٢) من خلال الحديث عن المساجد والمصليات ، كانت ترفع أصوات الأذان والإقامة والصلوات في مساجد المملكة العربية السعودية عن طريق مكبرات الصوت . وهذه طريقة تطبق في المساجد منذ عقود وفي مطلع عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) صدر قرار من وزارة الأوقاف والمساجد برفع الأذان والإقامة فقط في كل المساجد من خلال مكبرات الصوت . أما أداء الصلاة ، فتكون المكبرات مقصورة على المصلين داخل المسجد . وعند

بأسوار من إنجازات البلدية، وما زال هناك مقابر في عموم المركز لم تحط بأسوار، أمل أن يعتني بها وتحفظ بسيارات وجدران خرسانية^(١).

كون القحمة منطقة ساحلية، ولها أخوار وشواطئ بحرية، وقد نالها بعض الاهتمام بتعمير مينائها وبعض مرافقها. واليوم تحظى برعاية أكبر، فإمارة منطقة عسير، وأمانتها تعمل جاهدة لتطوير مرفأ هذه الناحية، وكذلك استثمار وتطوير الجزر البحرية القريبة منها. وهناك مخططات ونوايا حسنة لتطوير عموم شاطئ مدينة القحمة حتى يكون وجهة سياحية عالية المستوى، يؤمها الزوار والسواح من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. كما أن لها معالم جغرافية برية في محيط المدينة وفي البوادي والأرياف جذيرة أن تطور وتستثمر، ولديها المقومات الحضارية القديمة والحديثة التي تساعد في استثمارها والاستفادة من مكوناتها الطبيعية والحضارية الأخرى^(٢).

وأقول إن لبلاد القحمة تاريخ حضاري متنوع فلم تكن خالية قديماً من التعليم والمتعلمين، ووقعها على طريق الحج الساحلي اليمني عبر عصور التاريخ الإسلامي، وكذلك صلات بعض سكانها مع شواطئ البحر الأحمر الغربية ربما ساعد في انتقال

صدور القرار التزم بعض الأئمة والمؤذنين بهذا القرار. ومن خلال رحلاتي وتنقلي في مدن وحواضر وقرى عديدة في السراة وتهامة وبعض حواضر المملكة الأخرى من مطلع هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حتى تدوين هذه السطور مطلع شهر جمادى الأولى من العام نفسه، رأيت الأكثرية ملتزمين بقرار وزارة الأوقاف، وهناك نسب قليلة من الأئمة والمؤذنين يتركون مكبرات الصوت مفتوحة أثناء رفع الأذان، ثم من بداية كل صلاة إلى نهايتها، وعند سؤال بعض من يقوم بهذه التصرفات وعدم الالتزام بقرار الوزارة تجد بعضهم يتهرب من الإجابة، وفريق آخر يقولون هذا الذي عرفناه وتعودنا عليه عشرات السنين، وفئة ثالثة يرون أن هذا القرار غير صائب. وهذا مما شاهدته ولاحظته وأنا أسير من مدينة أبها إلى الدرب، والحريضة، والبرك. وكذلك سمعته ورأيت في أمكنة عديدة من مناطق المملكة العربية السعودية منذ شهر المحرم حتى شهر جمادى الأولى عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(١) من محاسن هذا البلد المبارك (المملكة العربية السعودية) خدمة الإسلام والمسلمين في شتى الجوانب. ومن يستقرئ المصادر والوثائق والسجلات على جهود الحكومة في دعم ورعاية هذا المجال، فإنه سوف يطلع على مئات الكتب والبحوث العلمية العربية والأجنبية، الداخلية والخارجية. حتى الأموات فقد نالهم نصيب من هذه الرعاية، والمقابر في أنحاء البلاد السعودية حظيت بالاهتمام والخدمات المتنوعة من تخصيص أراضي لهذا الشأن، ثم تسويرها بأسوار حديثة جيدة حتى تحفظ من عبث الأحياء سواء كانوا من البشر أو الكائنات الحية الأخرى.

(٢) ليس هذا الكلام مقصوراً على حاضرة القحمة، لكنه صالح لجميع بلدان السروات وتهامة. فقد زرت مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والأجزاء العلوية السروية من وادي رنية وتربة، والطائف، والليث، والقنفذة، ومنطقة الأصدار الممتدة من تهامة الطائف إلى أصدار ومرتفعات جازان فوجدت هذه البلاد تختزل تراث وتاريخ وحضارة يصعب أن نجد لها في مواطن أخرى من شبه الجزيرة العربية. وهذه البلاد بحق ميدان حضاري كبير للدراسات العلمية المتنوعة، وكذلك بيئة استثمارية لمن أراد الاستفادة من تنوعها الجغرافي، وعراقة تراثها وتاريخها الحضاري.

بعض العلوم والمعارف إليها . وقد سألت بعض أعلامها عن بعض أرباب القلم أو المتعلمين فيها خلال القرون الإسلامية الماضية ، فقالوا سمعنا كذا ، وروي لنا كذا ، ويذكرون بعض المسافرين المارة الذين جاءوا إليها من اليمن أو الحجاز وبقوا فيها بعض الوقت ، وكان لهم جهود وبصمات في تعليم أهلها بعض المعارف ^(١) . كما أنني اطلعت على بعض الوثائق التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) وفيها أسماء موظفين وأعلام يقضون حوائج الناس ، ويأمنونهم في الصلوات ، ويعقدون أنكحتهم ، ويقسمون مواريتهم ^(٢) .

في القحمة اليوم العديد من مدارس التعليم العام الحكومي التي يدرس فيها أكثر من (٢٥٠٠) طالبة وطالباً ، ويقوم على تدريسهم والإشراف عليهم أكثر من (٢٠٠) معلماً ومعلمة . ناهيك عن بعض أبناء وبنات هذه الناحية الذين يدرسون في عدد من الجامعات السعودية ، وكليات التقنية ، حتى صار فيهم الكثير ممن يحمل شهادة جامعية ، وآخرون مازالوا يواصلون دراساتهم العليا في تخصصات عديدة . ولا تخلو أراضي المركز من بعض الصحفيين ، والشعراء النبطيين ، كما لا يخلو منزل من متعلم ومتعلمة ^(٣) .

كانت حياة أهل القحمة في الصيد والرعي والزراعة نشطة حتى عقود قريبة ماضية ، ومع تزايد مسيرة التعليم ، والحصول على الوظائف الحكومية والأهلية ، بدأ الناس يتراجعون في ممارسة هذه المهن ، لكنها لم تنقرض ، ومازال هناك من يمارسها ،

(١) سبق أن أصدرت دراسات على أثر الحجاج اليمنيين وغيرهم على السكّان القاطنين في محطات الطرق التجارية السروية والتهامية بين اليمن والحجاز ، ووجدت أن هناك آثاراً إيجابية تعليمية وحضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه والحديثة . كما أن سكان سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية على صلات حضارية متنوعة قبل الإسلام وبعده .

(٢) وجدت حركة التعليم والتعلم في عموم السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام ارتفعت نسبة التعليم في هذه البلاد ، لكن للأسف لم توثق حياتهم العلمية والتعليمية والفكرية والثقافية والمعرفية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه ، والعقود الأولى من العصر الحديث . ومن ثم وجدنا من يقول لم يكن هناك تعلم ولا تعليم ، وهذه مقولة خاطئة ، لأن من يتوقف مع لغاتهم ولهجاتهم ، وأيضاً اتزانهم وثباتهم على منهج الإسلام الوسطي ، وكذلك مآثرهم وآثارهم المادية يثبت ويتأكد له عكس ذلك فقد كانوا أصحاب حضارة ، وثقافة ، وفكر ، وترث . ومن يتتبع آثار وتاريخ بعض رجالهم الذي هاجروا من أوطانهم إلى حواضر الإسلام الكبرى في العالم الإسلامي ، يجد أن بعضهم اشتهروا وبرعوا في معارف متنوعة في مجال الحضارة العربية والإسلامية . أما التاريخ الحديث من القرن (١٢-١٥هـ / ١٨-٢١م) ، فهناك الكثير من المصادر المخطوطة ، أو المطبوعة والمنشورة وفيها تفصيلات عن تراث هذه البلاد العلمي والتعليمي والفكري والحضاري . ومازالت هذه الأوطان تحتاج إلى جهود المؤرخين والباحثين المنصفين الذين يوثقون شيئاً من تراثهم المعرفي .

(٣) إن الدارس لأحوال الناس الحضارية في عموم المملكة العربية السعودية ، وبخاصة بلاد السراة وتهامة يجد حياتهم كانت ضعيفة بسيطة متواضعة في شتى الجوانب حتى تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ومع مطلع هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) قفزت وتيرة التنمية والتطور في شتى المجالات ، ومن ثم تحقق في هذه العقود الأربعة الكثير من تطوير الأرض والإنسان ما لم يتحقق في بلدان شرقية وغربية كثيرة ، وفي مدة زمنية قصيرة .

لكن بنسبة أقل بكثير مما كانت عليه في السابق . وتضاريس مركز القحمة المتنوعة مؤهلة لممارسة هذه النشاطات ، فهناك بواد وأرياف كثيرة صالحة للرعي والصيد ، وقرب المدينة من البحر يدعم الصيد البحري الذي مازال جيداً حتى الآن . كذلك أراضي القحمة تقع على بعض الأودية والجدول المائية ، وتتوفر التربة الجيدة للزراعة في أجزاء من أراضيها الخبتية^(١).

مارس سكان مركز القحمة قديماً العديد من المهن المحلية ، كالصيد البحري وكل ما يتعلق بهذه الحرفة من استعدادات وتعاون في ركوب البحر ، وصناعة القوارب . ونتج عن ذلك موروث حضاري تمثل في مصطلحاتهم اللغوية ، وأغانيهم ، وأهازيجهم ، والصعوبات التي يواجهونها في البحر ، وكيف يتغلبون عليها ، وكيفية مساعدة بعضهم البعض . وكانوا في السابق هم من يقومون بهذه المهنة ، ثم استقدمت مؤخراً العمالة الوافدة من خارج البلاد السعودية ، وصاروا يقومون بحرفة الصيد ، وقد يذهب معهم ملاك القوارب أحياناً ، وجرى الكثير من التغيرات المعنوية والمادية على هذه الحرفة المهمة والرئيسية لسكان الشواطئ . ثم جاءت بعض الشركات التجارية الكبيرة ، وأصبحت تقوم بمهنة الصيد البحري ، وتراجعت هذه الحرفة من قبل الأفراد أو الأسر التي قضت زمناً طويلاً من تاريخها في هذا العمل الاقتصادي^(٢).

والصناعات والحرف الأخرى كثيرة: كالحدادة ، والصباغة ، والجزارة ، والحلاقة ، والبناء والتعمير ، وحرف أخرى عديدة لها علاقة بالزراعة ، والرعي ، والتجارة ، وإعداد الطعام والشراب ، وممارسة تجارات متنوعة ، وحمل الأمتعة والأغراض^(٣) . هكذا كانت هذه المهن وغيرها موجودة عند الأولين ، لكن على نطاق محدود وضيق ، ثم فاض الخير في البلاد ، وتطور الناس في جميع شؤون حياتهم ، وصاروا يحصلون

(١) ليست بلاد القحمة المتفردة فقط بهذه المميزات ، لكن البلاد التهامية الساحلية الممتدة من جازان إلى الليث تتوفر فيها الكثير من المؤهلات الحضارية التي تساعد على قيام مهنة الصيد وحياة زراعية ورعوية جيدة . أرجو أن تجد هذه المهن في وقتنا الحاضر الرعاية والدعم الجيدين حتى تعود إلى سالف عهدها في العقود والقرون الماضية .

(٢) هذا الذي عرفته وسمعته من أهل القحمة ، كما سمعت بالوضع نفسه في مدن بحرية عديدة من جدة إلى جازان خلال السنوات الخمسة الماضية (١٤٣٨-١٤٤٣هـ/٢٠١٧-٢٠٢١م) . وتاريخ الصيد البحري في البلاد الساحلية الممتدة من الشعبة والليث إلى جازان موضوع لم يدرس ويوثق في أعمال علمية أكاديمية رصينة . أرجو من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا أن يخدموا هذا الميدان معرفياً وتوثيقياً .

(٣) هذه حرف ومهن مارسها سكان السراة وتهامة منذ عصور قديمة ، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة ، لكن مع تطور الأرض والإنسان في هذه البلاد تراجع أكثرها ، فلم تعد تمارس بنفس الطرق البدائية القديمة ، وحلت الآلة محل الأيدي العادية ، وصارت تمارس بشكل أوسع وأكبر . وكثير من مصنوعات هذه الحرف أصبحت تستورد من مدن وحواضر كثيرة داخل البلاد السعودية وخارجها .

على ما يرغبون من الأسواق التجارية التي تجلب كل البضائع ويحتاجونها في جميع أمور حياتهم اليومية. كما أصبحت معظم الأيدي العاملة التي تعمل في هذه الحرف مستوردة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية ، وهذا ما عرفته وشاهدته في مدينة القحمة وغيرها من حواضر ومدن المملكة العربية السعودية ^(١).

رابعاً : مشاهدتي في محافظة البرك (١٧-١٨ / ٣ / ١٤٤٣هـ) :

واصلت رحلتي من القحمة إلى محافظة البرك في مغرب يوم الجمعة (١٦/٢/١٤٤٣هـ) ، وقضيت في هذه المحافظة العسيرية التهامية يومي السبت والأحد (١٧-١٨/٣/١٤٤٣هـ) ، ونزلت في ضيافة الصديق الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن علي بن عبده الهلالي ^(٢) . وليست هذه المرة الأولى التي أزور فيها أراضي محافظة البرك ، لكنني أسير من خلالها ذهاباً وإياباً منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن في هيئة مسافر وليس باحثاً . وفي بداية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) زرت الأستاذ عبد الرحمن الهلالي وخرج معي في رحلة علمية قصيرة زرنا فيها محافظة القنفذة ، وبعض البلدان الواقعة بين مدينتي القنفذة شمالاً وبلدتي البرك والقحمة جنوباً . وفي تلك الرحلة كنت أقوم بجمع مادة كتابي : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ - ق ١٥هـ / ق ١٦ - ق ٢١م) ^(٣) . وذهب معي الأستاذ الهلالي وعرفني على مؤرخ القنفذة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه ^(٤) ، الذي هو الآخر ساعدني كثيراً أثناء

(١) نتج عن تمدن المجتمع السعودي الحديث والمعاصر تحولات اجتماعية وحضارية كبيرة . والعمالة الوافدة من بلدان خارجية صارت موجودة بأعداد كبيرة جداً ، وفي كل المجالات الاقتصادية ، ومن ثم ظهر الكثير من العادات الاجتماعية الجديدة في مهن الصناعات ، وأعراف الطعام والشراب ، واللباس والزينة ، واللهجات واللغات والثقافات ، والتعاملات الحضارية المتنوعة وغيرها . وهذه التحولات الحضارية الحديثة تستحق أن يؤسس لها مراكز بحوث ، وأقسام علمية في الجامعات السعودية كي تدرس هذه الميادين الجديدة في أبوابها ، مع الخروج بنتائج وتوصيات علمية وعملية تصب في خدمة هذا الوطن (المملكة العربية السعودية) حضارياً وتعليمياً وتخطيطياً ، وتنمويًا . (والله من وراء القصد) .

(٢) الأستاذ عبد الرحمن من أسرة شيوخ آل عبده الهلاليين ، وهم أمراء ثم شيوخ بلاد البرك منذ زمن بعيد ، ومازالت المشيخة وإدارة المحافظة فيهم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وعبد الرحمن بن عبد الرحيم من أعيان ووجهاء ومثقي محافظة البرك ، فلا يمر على هذه الناحية باحث أو طالب علم أو رب قلم دون أن يلتقي بهذا الرجل ، لأنه أخبر تلك البلاد بتاريخهم وتراثهم وحضارتهم ، وله كتاب عن أرض البرك وسكانها صدر قبل عقدين من الزمان ، بعنوان : من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

(٣) صدرت الطبعة الأولى عام (١٤٢٢هـ/٢٠١١م) ، والطبعة الثانية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٤) الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه علم من أعلام التاريخ والآثار في المملكة العربية السعودية ، صدر له العديد من الكتب والبحوث ومعظمها عن بلاده (القنفذة) . كان الأستاذ (الشيخ) الفقيه على قدر كبير من اللطف وحسن المعشر ، كما كان عالماً وخبيراً بتاريخ وتراث وأثار منطقة القنفذة .

جمع مادة كتاب (القنفذة) ، واستمرت صلاتي الجيدة مع الأستاذين الكريمين حسن الفقيه حتى وفاته (رحمه الله) ، ومازالت اتصالاتي مستمرة مع عبد الرحمن الهاللي (أطل الله في عمره وأحسن عمله) حتى الآن^(١).

كان لبلاد البرك ذكراً مختصراً في كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ...،^(٢) وأشرت إلى شذرات من أحوالها الجغرافية والتاريخية والحضارية^(٣). وفي هذه الرحلة رأيت أن أدون بعض التفاصيل عن تاريخها وتراثها الحديث والمعاصر.

١- لمحة عن الجغرافيا والإنسان :

محافظة البرك اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) محاطة بالعديد من الأراضي والقبائل. فيحدها من الشمال بلاد السعيدة الصوالية التابعة إدارياً وقبلياً لمحافظة محال عسير. ومن الجنوب مركز القحمة الذي يسكنه الكثير من الأجناس البشرية ، وقبائل المنجحة القسم الأكبر والأكثر في هذه الناحية . ومن الغرب ساحل البحر الأحمر . ومن الشرق قبائل ونواحي عديدة في محافظة محال^(٤). وتقدر مساحة هذه المحافظة قرابة خمسة آلاف كيلومتر مربع^(٥). والذاهب في بلاد البرك من القحمة إلى سيدة الصوالية ، يجد الأراضي اليابسة تبعد عن ساحل البحر في أقصى الشمال حوالي (٣ - ٤ كم) ، ثم تتقارب الناحيتان تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً ، وعند مدينة البرك يلتقي البحر باليابسة ، ثم يتباعداً مرة ثانية جنوب المدينة حتى تصل المسافة بينهما إلى (٢،٥ - ٣ كم) عند حدود مركز القحمة الشمالية^(٦).

(١) كان لابد من ذكر هذين العلمين (الفقيه والهاللي) لأنهما أصحاب فضل على أخيهما (ابن جريس) ، شكر الله لهما على ما قدما لخدمة دينهم وبلادهم وأهلهم .

(٢) عندما كنت أجمع مادة هذا الكتاب في السنوات الخمس الأخيرة من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، كانت البرك مركزاً إدارياً تابعاً لمنطقة عسير ، وقبل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) كانت تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة ، ما عدا بلدة سيدة الصوالية ، الواقعة في الطرف الشمالي من مركز (محافظة البرك) ، فهي ناحية بشرية وجغرافية تتبع محافظة محال التابعة لإمارة منطقة عسير . وقد وقعت في بعض الخلط سابقاً ، فظننت أن سيدة الصوالية تتبع إدارياً مركز البرك التابع لمحافظة القنفذة ، ثم محافظة محال عسير مؤخراً ، لكن الصحيح أن هذه الناحية كانت ومازالت تتبع إدارياً لمحافظة محال عسير .

(٣) للمزيد انظر إلى تلك اللوحات في كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٤) إن التركيبة السكانية في تهامة من الدرب والحريضة والقحمة ورجال ألمع جنوباً إلى تهامة الطائف والليث شمالاً متداخلة ومتجاورة ، وكثافة السكان في هذه الأوطان عالية ، وتضاريسها متنوعة ، وتحتوي على موارد طبيعية عديدة . وتستحق الكثير من العناية في التطوير والتنمية . وفي البحث التوثيقي التاريخي ، والأثري ، والتراثي والحضاري .

(٥) سافرت في معظم أجزاء هذه المحافظة ، وتمتد تقريباً من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب أكثر من (٧٠ كم X ٧٠ كم) .

(٦) هذا الذي وقفت عليه ، وتأملته من سيدة الصوالية شمالاً إلى وادي ذهبان ثم أطراف القحمة الشمالية

يغلب على محافظة البرك طابع التضاريس الجبلية البركانية ، وتنوع مواردها الطبيعية ، فقرباً من الساحل وإلى الداخل قليلاً تكثر الأشجار والنباتات البحرية والبرية ، وكلما اتجهنا شرقاً تنوعت التضاريس من هضاب ، وجبال ، وأودية ، وشعاب ، وينتشر فيها الكثير من الحشائش والنباتات الصغيرة والكبيرة الصالحة للممارسة مهنة الرعي^(١).

وفي محافظة البرك العديد من الأودية الصغيرة والكبيرة . ومن أكبرها وأشهرها وادي ذهبان في جنوب المحافظة ، وتأتي مسأله من أعالي حرة بني هلال شرق المحافظة ، وتصب فيه عدد من الفروع مثل وادي ضنكان ، ووادي الباخن ، ووادي أثلة ، ووادي لنكه ، ووادي الذبياني ، ووادي الملصة . ويتصل بهذه الفروع ووادي ذهبان فروع أخرى عديدة تأتي من شرق المحافظة ، ومن جبال ومرتفعات محافظة محاليل . وكون وادي ذهبان أكبر أودية محافظة البرك فقد أنشئ عليه سد عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) للاستفادة من مياه السيول قبل أن تضيع وتصب في البحر^(٢).

وفي المحافظة أودية أخرى عديدة مثل : وادي رAKE في الجهة الشمالية ويصب في ناحية شفقة . ووادي عمق ويتصل به بعض الشعاب والجداول الصغيرة ، كأودية ذرا ، والمرصد ، والحريقة . وإلى جنوب عمق بحوالي (١٥ كم) وادي دبسا وفيه الكثير من أشجار الدوم ، ثم وادي العين في جنوب دبسا بحوالي كيلو ونصف ، ثم واديي الصحين والبرك في محيط مدينة البرك الرئيسية . وجميع هذه الأودية السابق ذكرها تصب في البحر . كما أن هذه الأودية صغيرة في أطوالها ، ومساحاتها إذا قارنتها بالأودية التهامية الكبيرة ،

عند أقصى حدود محافظة البرك من الجنوب . والباحث عن ذكر البرك جغرافياً وتاريخياً في كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط يجد إشارات مختصرة عن هذه الناحية . وفي المراجع والوثائق الحديثة يزداد ذكرها وتوثيق صفحات من تاريخها الجغرافي ، والإداري ، والسياسي ، والحضاري (الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والمعرفي) . حبذا أن تدرس محافظة البرك الحضارية في رسالة علمية أو كتاب تاريخي حضاري توثيقي .

(١) كانت الأجزاء الشرقية في محافظة البرك بوادي وأريافاً ، ومهنة الرعي أكثر الأعمال التي يمارسها سكان هذه الناحية . وفي العصر الحديث والمعاصر مازال هناك من يمارس مهنة رعي الإبل والماعز وغيرها ، لكنها ليست بالدرجة والنشاط الذي كانت عليه في الماضي ، بسبب حياة التمدن التي يعيشها الناس اليوم ، وهجرة أكثرهم من بواديهم وأريافهم إلى المدن والحواضر الكبيرة . وهذه الحالة ليست مقصورة على سكان البرك ، بل جميع البوادي والأرياف في السروات وتهامة يعيشون الحالة نفسها خلال الثلاثين عاماً الأخيرة (١٤١٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ - ٢٠٢١م) .

(٢) لم أزر هذا السد ، لكنني قرأت وسألت عنه فذكر أن طوله يزيد عن (٢٥٠ م) وارتفاعه أكثر من (١٥ م) ، وتبلغ سعة تخزينه أكثر من (٢٠٣٠) مليون متر مكعب . وهو من المشاريع الحيوية المهمة التي خدمت مهنتي الرعي والزراعة في المحافظة . ومن خلال تجوالي في عموم السروات وتهامة خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٨٠ - ٢٠٢١م) شاهدت عشرات السدود الحديثة المتفاوتة في مواقعها وأحجامها ، وتكاليفها المالية ، وتاريخ السدود في هذه البلاد لم يدرس ويوثق ، أمل أن نرى من يدرسها ويوثق تاريخها في عشرات البحوث والكتب .

كوادي قنونا ، ووادي بية ، ووادي حلي ، ووادي عتود وغيرها . فهذه الأودية الأخيرة من فحول الأودية في شبه الجزيرة العربية ، ومذكورة في الكثير من مصادر التراث الإسلامي (التاريخية ، والجغرافية ، واللغوية ، والموسوعية ، والمعجمية ، وغيرها)^(١) .

والثابت أن جميع أودية تهامة تتجه غرباً حتى تصب في البحر ، لكنني سمعت في محافظة البرك ، ومن قبل ذلك في محافظة القنفذة بأن هناك أودية لا تتجه غرباً ، وإنما بعضها يسير في اتجاهات أخرى غير الغرب . وهذه المقولة صحيحة داخل سهول تهامة من محاليل عسير ورجال ألمع إلى تهائم الباحة والطائف ، فقد تجولت في أغلب هذه البلدان ورأيت أودية عديدة في هذه النواحي تأتي مسائلها من بعض مرتفعات وجبال تهامة ثم تسير شمالاً ، أو شرقاً ، أو جنوباً لبعض الوقت ، لكنها لا تستمر على هذا الاتجاه ، وإنما تلتقي في النهاية ببعض الأودية الكبيرة التي تتجمع مياهها وتصب في البحر . ومن خلال التأمل في بعض فروع أودية عتود ، وحلي ، وبية ، وقنونا ، وغيرها وجدت أنها تتصل ببعض الجداول أو الأودية الصغيرة التي تسير في اتجاهات غير الجهة الغربية ، ثم تتدرج مياهها في السير والاتجاهات حتى تلتقي بهذه الأودية الكبيرة^(٢) .

وفي المحافظة الكثير من الجبال المتعددة في ارتفاعاتها ، وأشكالها ، وأحجامها ، ولم أستطع أن أشاهد أو أذكر جميع جبال هذه الناحية ، لكن من أهمها ، ومما عرفت وسمعت . جبل الشقيق قريباً من وادي عمق ، وجبال التيس ، والعرك ، وذرين ، وجميعها تقع في محيط حاضرة البرك من الناحية الغربية . وفي جنوب المدينة أيضاً جبل القشلة ، يطل على المدينة ، وعلى قمته بعض المشاريع التنموية . وذكر لي عدد من المرتفعات في الناحية الشرقية والجنوبية مثل : جبال مغلغة ، والحلا ، والنصباء ، وامعيدة ، وامسحر ، وريسه ، ومقرنة ، وخمران ، وعظمن وغيرها . وجميع هذه الجبال لم أشاهدها وإنما سمعت أسماءها من بعض أعلام البرك . مع أنني سافرت من البرك إلى مدينة محاليل عسير عبر الطريق المسفلت الذي يربط بين المدينتين ، ورأيت عشرات الهضاب ، والجبال الصغيرة والكبيرة والمتنوعة في أشكال صخورها وثرواتها النباتية ،

(١) كل واد من هذه الأودية التهامية الكبيرة يستحق أن يكون عنواناً لكتاب كبير ، فتدرس طبيعته الجغرافية ، وتاريخه السياسي والحضاري ، وكذلك ما يحتوي عليه من آثار مادية سطحية ومدفونة . أمل أن نرى في جامعاتنا المحلية ومن خلال كلياتها وأقسامها التاريخية واللغوية والجغرافية والأثرية من يلتفت إلى دراسة هذه الأودية القديمة والعريقة بتراتها وحضارتها من عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٢) هذه التفصيلات تتصل أكثر بالبحوث والدراسات الجغرافية . وعندنا في عموم السراة وتهامة عشرات الموضوعات الجغرافية التي تستحق أن تكون عناوين لبحوث أو دراسات علمية أكاديمية . والحمد لله أن هناك أقساماً جغرافية لخدمة هذه الأوطان الجنوبية السعودية بحثياً وتوثيقاً .

والكثير منها يقع في أراضي محافظة البرك ، والأخرى تتبع إداريا وحضارياً قبائل محافظة محاليل عسير^(١) .

يوجد في المحافظة الكثير من الأشجار ، ولا يخلو ساحلها البحري من نباتات متنوعة ، وبعض الغابات المكتظة بالأشجار الصغيرة والكبيرة . لكن لوقارنت غابات وخبوت محافظة البرك بمحافظة القنفذة مثلاً فليس هناك وجه مقارنة ، لأن الأخيرة تشتمل على الكثير من الغابات والخبوت الكبيرة والواسعة . وإن توقفنا مثلاً مع وادي حلي فهو عالم فسيح من الأشجار والنباتات الكثيرة جداً ، ناهيك عن مناطق الرعي والثروة الحيوانية الكبيرة في هذا الوادي الكبير والعريق في طبيعته وتاريخه وحضارته^(٢) .

إن التركيبة البشرية القبلية هي السائدة في عموم أنحاء المحافظة . فالسكان من أصول قبائل عربية أصيلة ، استوطنت ديارها منذ عصور قديمة ، ومازالوا حتى اليوم . والأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهاللي فصل الحديث عن قبائل البرك ، وبخاصة قبيلة بني هلال التي ينتسب لها شريحة كبيرة من سكان المحافظة . وأورد الكثير من الشروحات التي قد أتفق معه في بعضها وأختلف ، وليس مجال حديثي في هذا المحور^(٣) . وأيضاً حديث هذا الباحث على أن برك الغماد الوارد ذكره في كتب السنن ، هو البرك المعروف حالياً ، وأن الصحابي الجليل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) قد هاجر إليه في عصر النبوة ، فهذا أيضاً مجال كبير للأخذ والرد . ومازالت الروايات التي أيدت هذا القول ضعيفة وتستحق جهوداً أكبر وأعمق من البحث والدراسة^(٤) .

(١) في الأوطان الواقعة بين حاضرتي البرك ومحاليل عسير الكثير من العشائر ، والقرى ، والمعالم الجغرافية . وهذا الطريق الذي تم فتحه منذ بضع سنوات بين محاليل عسير والبرك يعرض حوالي عشرة أمتار بعد شرياننا رئيسياً لخدمة سكان المحافظتين ومن يرتادهما من منطقة عسير وغيرها . ومازال يستحق التطوير والتوسعة ، أمل أن نراه طريقاً مزدوجاً ، وعليه الخدمات المهمة والضرورية لمن يسلكه ويرتاده .

(٢) قارنت بلاد البرك مع محافظة القنفذة ، ومع وادي حلي تحديداً ، الذي ليس بعيداً عن محافظة البرك . وهناك الكثير من البلدان في تهامة الممتدة من الليث إلى الدرب تستحق أن تكون مجالات جيدة لإصدار عشرات البحوث العلمية . للمزيد عن بلاد القنفذة ووادي حلي ، انظر كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١٥٠٠م - الطبعة الثانية ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) (٥٦٦ صفحة) . انظر (Prof-ghithan.com) .

(٣) للمزيد انظر عبدالرحمن بن عبده . من تاريخ برك الغماد ، ص ٢٨٥ وما بعدها . وجميع قبائل تهامة من مكة إلى جازان ، وبخاصة أنسابها ، وهجراتها ، وحروبها ، وتاريخها مازالت مشاريع بحثية كبيرة تستحق أن تبسط في عشرات الكتب والدراسات العلمية الرصينة .

(٤) عندما نقرأ عن صدر الإسلام ، وبخاصة تاريخ الرسول (ﷺ) ، وعصري النبوة والخلافة الراشدة نجد روايات متناثرة في كتب السير ومصادر التاريخ الإسلامي الأخرى ، فتذكر أن الرسول (ﷺ) جاء إلى أمكة محددة ، وبخاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وأخرى تشير إلى بعض كبار الصحابة الذين وصلوا إلى ناحية كذا ومكان كذا جنوب حاضرتي الطائف ومكة المكرمة ، وأصبحت مثل هذه الأقوال

قد شاهدت بلاد البرك مأهولة بسكان الأرض الأصليين ، وهم عرب صرحاء تعاقبوا عبر العصور في استيطانها . ومن يتأمل في جغرافية المحافظة التي تجمع بين طبيعة البحر واليابسة ، ومن يقرأ عن تاريخ شعوب الجزيرة العربية منذ العصر الحجري إلى وقتنا الحاضر ، فإنه يخرج ببعض الرؤى التي أشير إلى أهمها في النقاط الآتية :

- أ - معظم سكان هذه الأوطان من العرب اليمانية القحطانية والمضرية العدنانية ، ومن المؤكد أنه خالطهم شعوب من أجناس وأقوام أخرى غير العرب ، لكن أعدادهم قد تكون محدودة وقليلة .
- ب - نجد محافظة البرك اليوم أو غيرها من مدن ومحافظة وحواضر السروات وتهامة لا تخلو من أجناس وعناصر عربية سعودية جاءوا إليها خلال العقود والقرون الماضية فأقاموا فيها واستمرت حياتهم مع غيرهم من أهل البلاد ، ومنهم من مكث بها لبعض الوقت ثم رحل إلى مكان آخر .
- ج - لاشك أن بلاد الساحل ، والبرك منها ، عرفت عرباً وغير عرب جاءوا إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وتعاملوا مع أهلها تاريخياً وحضارياً . والدارس لتاريخ ساحل البحر الأحمر الشرقي من عدن جنوباً إلى خليج العقبة شمالاً يعرف أن هناك الكثير من الأمم والشعوب والحضارات التي وصلت إلى هذه البلاد عبر أطوار التاريخ ، ومن المؤكد أنه حصل صلات وربما تقارب وانصهار مع تلك الشعوب والسكان الأصليين في هذا الساحل . وإن بحثنا عن أحوال السكان الداخلين فقد كانوا أكثر انعزالاً وانطواءً على بلادهم وأنفسهم من أهل الساحل .
- د - تغيرت الأوضاع التاريخية والحضارية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، عندما قام الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) بجمع كيان الأراضي والقبائل في هذه الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية) ، ثم أسس لها أنظمة وقوانين عصرية ، تتوافق مع شرع الله - عز وجل - عندئذ دخلت محافظة البرك وغيرها من بلدان السعودية تحت مظلة دولة مترامية الأطراف

والروايات مسلماً بها في عصرنا الحاضر . ويتناقلها الناس ، والمتعلمون وغيرهم ، على أنها حقائق لا لبس فيها . وأقول إن مثل هذه الروايات مازالت ضعيفة إذا وضعناها تحت النقد التاريخي الدقيق والأمين الرصين . فأمل من مؤرخي هذا العصر ، ومن المؤسسات العلمية الأكاديمية المتخصصة أن تلتفت لهذا الأمر الذي ليس سهلاً ، فتروي روايات عن سيرة النبي الكريم (محمد بن عبد الله) عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى صحابته الكبار الكرام ، وهي غير دقيقة وربما تكون غير صحيحة أصلاً .

تحكمها مؤسسات وإدارات رسمية ، وبالتالي تحولت حياة التقزم والفرقة والصراعات التي كنت تعيشها عموم البلاد إلى حياة أمن وتطور واستقرار^(١).

هـ - واكب التطور الاقتصادي الذي تعيشه المملكة منذ الستينيات والسبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) قدوم عناصر عربية وإسلامية وأجنبية إلى محافظة البرك وغيرها من أجل كسب أرزاقهم ، ومن ثم ساهموا في البناء والتطوير والتنمية التي تعيشها البلاد السعودية . والفاحص لهذه الأجناس البشرية وجنسياتها يجدهم من دول عربية عديدة ، وأقطار إسلامية وأجنبية شرقية وغربية . وأثناء سيري في حاضرة البرك في يومي السبت والأحد (١٧ - ١٨ / ٣ / ١٤٤٣هـ) . رأيت بعض المصريين ، والسودانيين ، والشاميين ، والأتراك ، وأعداداً ليست قليلة من الآسيويين ، كالهنود ، والبنجال ، والنيبال ، والفلبين ، والاندونيسيين ، وجميعهم يعملون في قطاعات اقتصادية متنوعة^(٢).

٢- من التاريخ الإداري للمحافظة ومراكزها :

إن بلاد البرك مثلها مثل بلدان السروات وتهامة خلال القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) ، والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . فالقوى السياسية في عسير ، وجازان ، والحجاز كانت تلقي بظلالها على الأحوال السياسية والأمنية والحربية في عموم بلاد تهامة والسراة . كما أن الدولة العثمانية هي الأخرى مدت نفوذها إلى أرض السراة وتهامة ، وخاضت حروباً عديدة مع أهل البلاد ، والقوى السياسية الداخلية في هذه البلاد العربية الجنوبية^(٣).

(١) مهما دُرِسَ وكُتِبَ ورُوِيَ تاريخ هذه الوحدة ، ثم الرقي والتطور الحضاري الذي تمر به (المملكة العربية السعودية) منذ أكثر من مئة عام (١٣١٩ - ١٤٤٣هـ / ١٩٠١ - ٢٠٢١م) ، لن نوفي الموضوع حقه . وعلى أقسام التاريخ والحضارة في البلاد السعودية أن تجتهد وتحرص على توثيق هذا التطور والتنمية الحضارية التي تمر بها البلاد منذ النشأة حتى الآن .

(٢) زرت بعض الأسواق ، والمنتجعات السياحية ، كما ذهبت إلى العديد من المساجد والجوامع ورأيت كل هذه الأجناس التي ورد ذكرها في المتن . وهذه الإشارات المحدودة عن التركيبة السكانية في البرك وغيرها من أراضي السروات وتهامة لا تكفي ولا تفيد لإعطاء صورة عن هذا الموضوع الكبير الذي يستحق أن يدرس من شتى الجوانب ، مع التفصيل عن الآثار والتأثير العام على الأرض والناس من خلال هذا التنوع البشري والاجتماعي ، والثقافي ، والمعرفي ، وحتى الإداري والأمني ، والتنموي .

(٣) هناك عشرات الكتب والبحوث العربية والأجنبية التي شرحت وفصلت مسيرة التاريخ الحديث في عموم السروات وتهامة منذ بدايات القرن (١٢هـ/١٩م) حتى خروج العثمانيين منها في ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ولا أرغب في الإسهاب في هذا الجانب ، ومن أراد الاستزادة فعليه أن يراجع ما كتب ونشر عن تلك الحقبة التاريخية الحديثة .

كانت بلاد البرك على علاقة طيبة مع الإداريسي في صبيبا منذ عشرينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، واستمرت هكذا حتى دخلت أبها وبلاد عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل في نهاية الثلاثينيات من القرن نفسه. ومن ثم صارت أراضي البرك تدريجياً تأتمر بأمر الملك عبدالعزيز والإمارة السعودية في أبها مع مطلع الأربعينيات من القرن الهجري الماضي^(١).

بدأت المؤسسات الإدارية الحديثة في البرك مع بداية الحكم السعودي في عسير في مطلع الأربعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م). واستمرت إمارة البرك في أسرة آل عبده حتى الآن. كانت في بادئ الأمر تراجع أمراء الدولة السعودية في أبها، وبعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة صارت تتبع إدارياً لإمارة مكة حتى عام (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ثم تحول اسمها من إمارة إلى (محافظة)، وبقيت على تبعيتها لمكة حتى عام (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ثم أصبحت تراجع محافظة محايل التابعة لإمارة منطقة عسير باسم (مركز)، وأخيراً صارت محافظة من فئة (ب)، عام (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)^(٢).

وجدت في مكتبتي العلمية العديد من الوثائق التي تشير إلى عدد من المؤسسات الإدارية في بلاد البرك من الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م). ومن تلك الإدارات: السجن، والمالية، والجمرك، والمرافأ، والمحجر الصحي، والمحكمة الشرعية، والبريد، والشرطة، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها. والجميل في هذه المصادر أنها تذكر أسماء من تولى تلك الإدارات آنذاك، وتضيف معلومات قيمة عن أسماء وظائفهم حسب السلم الإداري في الدولة، ورواتبهم سواءً كانت بالقروش أو الريالات وغيرها من التفاصيل التاريخية الحضارية الجيدة^(٣).

(١) في حوزة الباحث العديد من المصادر والوثائق التي تعكس شيئاً من تاريخ أمراء البرك (آل عبده) من القرن (١٣هـ/ ٢٠م) حتى أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م). وقد بدأت علاقاتهم جيدة مع حكومة الملك عبدالعزيز وإمارته في أبها منذ بدايتها، ثم تطورت تلك الصلات، فأجزل لهم الملك عبدالعزيز آل سعود في العطية والتقدير والاحترام. وتاريخ البرك السياسي والإداري والحضاري من بداية القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) موضوع جديد في بابيه يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٢) عندما زرت البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، كان المحافظ من أسرة آل عبده، وحسب ما سمعت أن رجال هذه الأسرة تابعوا في إمارة ثم محافظة بلادهم منذ بداية العهد السعودي الحالي في عسير عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٩م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م). أمل أن يوثق تاريخ هذه الإمارة وأسرة آل عبده في عمل علمي أكاديمي موثق. وفيما يتعلق برفع هذه الناحية من مركز إلى محافظة فئة (ب)، فقد اطلعت على وثيقة (خطاب) من أمير منطقة عسير، الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز بتاريخ (١٦/ ٣/ ١٤٣٤هـ)، وفيه تفاصيل عن القرارات والمواقفات على رفع مستوى (مركز البرك) إلى محافظة فئة (ب)، وترتبط به مراكز (المرصد، وذهبان، عبق). وأكد سمو الأمير على العمل بهذا القرار من تاريخ صدور خطابه. المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (١٥هـ/ ق ٢٠-٢١م)، ج ٢٠٢، ص ٤٤.

(٣) نشرت بعض هذه الوثائق في بعض مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة، وفي مالية عسير، ومركز المحفوظات

زرت المؤسسات الحكومية في البرك منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي حتى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م). ومن الإدارات التي أنشئت في تلك الفترة، (١) مركز اللاسلكي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م). (٢) الأحوال المدنية (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). (٣) مدارس عديدة للأولاد والبنات، وسبق تأسيس مندوبية للبنات عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). (٤) محطة كهرباء البرك عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) وتتبع الشركة السعودية الموحدة للكهرباء في عسير^(١). (٥) إدارة الدفاع المدني عام (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)^(٢).

مما حظيت به ناحية البرك منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) محطة تحلية المياه. وأخبرني بعض أعلام البرك أن أهل بلدة البرك كانوا يعانون من قلة المياه وشحها التي كانوا يحصلون عليها من بعض آبارهم الجوفية. وعندما رفع الأمر إلى إمارة مكة المكرمة، ووزارة الزراعة، والمؤسسة العامة لتحلية المياه تجاوب المسؤولون فيها على خدمة هذه الناحية وتوفير مياه شرب بتحلية مياه البحر. وقد اطلعت على بعض المدونات والسجلات والوثائق التي تعود إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وفيها تفصيلات تشير إلى جهود الدولة ومصرفاتها الكبيرة على محطة تحلية مياه البرك، وافتتحت هذه المحطة عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وحلت مشكلة كبيرة كان يعاني منها البركيون ثم تطور هذا المشروع حتى صار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يقدم خدمات واسعة في محافظة البرك وما جاورها^(٣).

لوثائق عشرات الوثائق التي تؤكد صحة ما ذكرت. وتاريخ البرك وما جاورها من بلدان تهامة عسير خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) تستحق أن تدرس في كتاب أو رسالة علمية، وهناك الكثير من الوثائق المهمة الجديدة التي تفيد في خدمة هذا الموضوع.

(١) تجولت في منطقة الساحل من الشعبية شمالاً إلى الدرب، وعرفت وسمعت عن بدايات تاريخ الكهرباء في هذه البلاد كيف كانت ضعيفة وبسيطة في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم تطورت حتى صارت جميع بلاد تهامة مخدومة بالكهرباء وبمستويات جيدة. تاريخ الإضاءة ثم الكهرباء في بلاد تهامة والسراة من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٢) اطلعت على بعض السجلات والوثائق في بعض المؤسسات الإدارية في جدة وأبها وتشتمل على تفصيلات جيدة عن بلاد الساحل وتهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى الدرب وييش في منطقة جازان. وتاريخ المؤسسات الإدارية الحديثة في عموم السراة وتهامة في عهد الدولة السعودية الحالية مجال كبير لصدور عشرات الكتب والرسائل العلمية.

(٣) السائح في عموم تهامة والسراة اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يشاهد العديد من محطات المياه الكبيرة والمتوسطة، التي تقدم خدمات مهمة لأجزاء كثيرة من هذه البلاد. وما زالت الدولة (وفقها الله) تبذل قصارى جهدها لخدمة كل مدن وحواضر وقرى وأرياف التهاميين والسرويين. المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصراته للكثير من التطورات التنموية في عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية.

رأيت في عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية في حاضرة البرك ومراكزها، ومن تلك الإدارات ما يلي:

أ - إدارة المحافظة : تقع في عمارة حكومية من دور واحد، في وسط مدينة البرك بين المخططين المعماريين القديم والجديد، وقرية من الشارع العام والطريق المتفرع منه شرقاً والممتد إلى مدينة محال عسير . وهذه العمارة متعددة الأجنحة والمرافق، وأمامها من ناحية الغرب مواقف تتسع لعشرات السيارات . ويذكر أنها مشيدة من قبل عام (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ومنذ كانت هذه الناحية تابعة إدارياً لإمارة منطقة مكة^(١).

ب - البلدية : تتكون من مبنى حكومي ثلاثة طوابق، وهي على ربوة مرتفعة في حي البليقة غرب الطريق العام، تطل على جزيرة حصر في البحر، ويحيط بها مواقف متعددة للسيارات، وعدد من الحدائق المتنوعة في نباتاتها، وأشجارها، وهي مفتوحة للتنزه، وتشاهدها من بعد العصر إلى الساعات الأولى من الليل مليئة بالناس الذين يرتادونها للراحة والاستجمام^(٢).

ج - المستشفى العام والمراكز الصحية الأولية : يقع المستشفى في المدينة شرق الطريق العام، ويتكون من دور واحد ومرافقه، وطاقته حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) خمسون سريراً . ومن مرافق المستشفى (إدارة القطاع الصحي للمستشفى والمراكز الصحية الأولية في المحافظة)، وعدد المراكز ثمانية، هي: (١) مركز البرك . (٢) مركز عمق . (٣) مركز ذهبان . (٤) مركز السعيدة . (٥) مركز الفيض . (٦) مركز الجمعة . (٧) مركز ذرا . (٨) مركز راکة . بالإضافة إلى الإشراف على إدارة مكافحة نواقل المرض والأمراض المشتركة^(٣).

(١) المصدر : زيارة الباحث لمحافظة في مكتبه يوم الأحد (١٨/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) أعرف البلاد الممتدة من محافظة الليث شمالاً إلى مدينة جازان جنوباً منذ ثلاثين عاماً، كانت حتى عهد قريب غير مخدمومة بالمتنزهات ومواطن الاستجمام والراحة، وخلال أكثر من عشر سنوات مضت (١٤٣٠-١٤٤٣هـ / ٢٠١٠-٢٠٢١م)، قامت البلديات في كل مدينة أو ناحية ساحلية بجهود طبية، واستصلاح الشواطئ حتى تكون أمكنة سياحية ربحية، وفي الوقت نفسه خدمت الناس أثناء قضاء أوقاتهم في التنزه والترويح والاستجمام . وتاريخ السياحة والترويح في عموم بلاد السراة وتهامة موضوع كبير، ولم يخدم بحثياً وتوثيقياً حتى الآن . أمل أن يكون هذا الموضوع من اهتمامات مراكز البحوث الجامعية والأقسام الأكاديمية في جنوب البلاد السعودية .

(٣) جميع المراكز الصحية المذكورة أعلاه تقع ضمن محافظة البرك، ما عدا مركز سعيد الصوالحة، فهذه الناحية إدارياً تتبع محافظة محال، وتبعية المركز الصحي فيها إلى إدارة القطاع الصحي في البرك بسبب القرب الجغرافي بين مدينة البرك وبلدة سعيد الصوالحة . وكثير من المراكز في محافظة البرك في أبنية حكومية من دور ودورين، وبعضها مازالت في عمارات مستأجرة . والخدمات الصحية في تهامة تطورت بشكل كبير . ومن يقرأ عن حياة الطب والتطبيب في هذه البلاد خلال القرون الماضية، فإنه يجد تردّي أوضاعها الصحية، فقد كانت موطناً للأمراض والأوبئة الكثيرة والمتنوعة .

د- إدارات الدفاع المدني، والنيابة العامة، والمباحث العامة : إدارتا الدفاع المدني، والمباحث العامة تقعان في مخطط البرك العمراني الجديد، وعمارة الدفاع المدني مكونة من ثلاثة أدوار مسلحة، والمباحث في دورين.

هـ- إدارات ومراكز إدارية أخرى : تقع إدارة الشرطة قريباً من الشارع العام في المخطط الجديد، في عمارة مستأجرة من طابقين. وحرس الحدود مبنى حكومي من طابق واحد، غرب الشارع العام وسط المدينة، ويشرف على مراسي البلد، والنهود، وعمق، وسويان^(١). مركز الدوريات الأمنية شرق الطريق العام بجوار المستشفى من الجنوب في عمارة مسلحة من طابقين. وإدارة المساجد والأوقاف على الشاطئ وسط المدينة في مبنى مستأجر من دورين. والبريد على جانب الطريق العام وسط المدينة في مبنى مستأجر من دور واحد. ومكتب المياه في مخطط البرك القديم، في عمارة مستأجرة مكونة من دورين. ويشرف هذا المكتب على توزيع مياه التحلية في قرى البرك الشرقية، وفي مراكز ذهبان، وعمق، والقحمة، والصوالحة^(٢). ومكتب التعليم للبنين والبنات في عمارة مسلحة مستأجرة ضمن مدينة الأمير سلطان الخيرية، ويشرف على التعليم في محافظة البرك، بالإضافة إلى مدارس التعليم في مركزي سعيدة الصوالحة، والقحمة. وفي مدينة البرك العديد من الخدمات الأهلية كجمعية البر في عمارة ملك للجمعية جنوب المحافظة، وفيها العديد من المكاتب والمرافق ومستودع كبير يخزن فيه ما يرد إلى الجمعية من صدقات وزكوات وغيرها.

وفي نفس مبنى جمعية البر، يوجد فرع لجمعية تحفيظ القرآن الكريم، وفرع آخر للجمعية الخيرية. ولا يوجد في البرك فروع للبنوك التجارية، لكن فيها العديد من الصرافات الآلية النقدية التابعة لبنوك الراجحي، والرياض، والعربي، والأهلي. وجميع هذه الصرافات على جانبي الطريق العام في مدينة البرك^(٣).

(١) جميع هذه الأمكنة على ساحل محافظة البرك، ولها مراس بحرية، وفيها العديد من الصيادين مع قواربهم لممارسة مهنة صيد الأسماك. وأيضاً بعض القوارب أو السفن الصغيرة التي تعمل في مهنة السياحة ونقل الزوار أو السواح الذين يرغبون في ركوب البحر والتزهر فيه.

(٢) شاهدت تبانياً في المرجعيات الإدارية للبلاد الممتدة من الحريضة جنوباً حتى الصوالحة شمالاً، فمنها الذي يراجع إمارة عسير كالقحمة، والحريضة محافظة رجال ألمع، وسعيد الصوالحة تراجع إدارياً محافظة محابيل عسير. لكن في البرك العديد من المؤسسات الإدارية، كالصحة، والكهرباء، والتعليم، والمياه وغيرها. التي تمتد أعمالها وخدماتها إلى مركزي القحمة وسعيد الصوالحة. كما أن سكان مركز الحريضة يحصلون على العديد من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية من محافظة الدرب أيضاً.

(٣) هذه المقتطفات التي وثقتها عن الحياة الإدارية المعاصرة في البرك، ليست مستوفاة. وإنما أشرت إلى ما تمكنت من مشاهدته أثناء تجوالي في المحافظة يومي السبت والأحد (١٧/١٨/٢٠١٤هـ).

يتبع حاضرة البرك عدد من المراكز الإدارية الموزعة في المحافظة، بعضها تأسست في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأخرى أنشئت هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وتلك المراكز على النحو الآتي:

١- مركز ذهبان :

هذا المركز، تأسس باسم إمارة عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ويتبع آنذاك إمارة البرك، وحين تحولت الإمارات إلى محافظات في النصف الأول من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، صار يعرف باسم (مركز ذهبان)، ويراجع محافظة القنفذة إدارياً. واسم الإمارة ثم المركز أخذ من اسم وادي ذهبان، وهذا الوادي من أكبر أودية محافظة البرك^(١).

يبعد مركز ذهبان عن مدينة البرك جنوباً حوالي (١٥ كم). يحده من الشمال وادي الداهن، ومن الجنوب وادي نجل، ومن الشرق مركز الفيض، ومن الغرب البحر. ويشرف هذا المركز إدارياً على سكان وادي ذهبان. من أعلاه إلى مصبه في البحر. ويعبر من خلاله الطريق العام الذي يربط بين الدرب والقنفذة. ومن فروع ووادي ذهبان العلوية وواديي ضنكان وأثلة. وهذا الوادي يعد الحد الجغرافي الفاصل بين محافظة البرك ومركز القحمة، ويسكن ضفتي هذا الوادي بعض عشائر بني هلال في الناحية الشمالية، وعشائر أخرى من قبيلة المنجحة على ضفته الجنوبية^(٢). ومن قرى هذا الوادي القديمة والحديثة، قرية الطرق فهي قديمة وما زالت أحد (قرى) المركز حتى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وقرى القوز، والنحس والجوار وهما شرق الطريق العام، والسنة شمال شرق الوادي. وقرية الحباك والصانف، فالأولى غرب الطريق العام وقريبة من البحر، والأخرى شرق الطريق وغرب قرية الطرق، وهما من القرى

وما زال هناك إدارات أخرى ضرورية يجب أن تكون في هذه المحافظة الساحلية المهمة، التي قد يكون لها شأن في التنمية والتطور السياحي، لكن بعد خدمتها بالطرق الفرعية التي تصل بينها وبين مناطق تهامة الداخلية الممتدة من الدرب ورجال ألمع إلى بارق والمجاردة والعرضيات. كما أن التاريخ الإداري الحديث والمعاصر في عموم السروات وتهامة من الموضوعات المهمة والجديدة التي تعكس النمو والتطور لهذه الأوطان أمنياً وإدارياً وحضارياً وتنموياً. أمل أن يكون هذا الميدان من اهتمامات مراكز البحوث الجامعية في جامعات الجنوب السعودي. (والله من وراء القصد).

(١) دراسة جغرافية محافظة البرك، وأيضاً تاريخها السكاني ثم الإداري الحكومي من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوعات جديدة ومهمة تستحق أن تكون عناوين لعدد من البحوث الجغرافية والتاريخية العلمية.

(٢) مشاهدات الباحث لهذا الوادي يوم السبت (١٧/٣/١٤٤٣هـ). للمزيد انظر عبد الرحمن بن عبده. من تاريخ برك الغماد، ص ٦٧-٦٩، ١٦٥-١٦٦. ووادي ذهبان المذكور في بعض المصادر الإسلامية الوسيطة. وهناك مراجع ووثائق حديثة أشارت إليه جغرافياً وبشريا.

القديمة ولهما ذكر في بعض الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة^(١).

تجولت أكثر من ساعتين في قرى وأجزاء من وادي زهبان القريبة من الطريق العام، فرأيت أكثر المنازل في هذا الوادي مازالت بيوتا شعبية مبنية بالبلك ومغطاة أحيانا بالأخشاب والتراب، أو الخرسانة المسلحة، والكثير من أبوابها ونوافذها من الحديد، وقليل منها بالخشب. وهناك أيضاً منازل مسلحة كثيرة ومتناثرة في قرى الطرق، والقوز، والنحس وغيرها، لكنها مختلطة وأحيانا متداخلة مع البيوت الشعبية. وفي القرى القريبة من الشارع العام رأيت طرقاً صغيرة مسفلتة يتراوح عرضها بين (٢×٤م) و (٤×٥م)، والطريق الذي يتفرع من الشارع العام إلى قرى الوادي قد يصل عرضه إلى (٧×٧م) تقريباً. وأغلب الطرق الداخلية مازالت ترابية، وبعضها يجمع بين الترابي والمسفلت أحيانا. وفي بعض قرى المركز مدارس حكومية وأغلب مقراتها مازالت مستأجرة، وهناك أيضاً مركز للرعاية الصحية، ومقر الإدارة المركز. ووادي زهبان مكتظ بالأشجار الصغيرة والكبيرة المتنوعة، ومن أشهرها وأكثرها أشجار النخيل. وقد حاولت الدخول في بعض غابات الوادي، لكنني لم أستطع لكثرتها وتشابكها. وفي الوادي جسر كبير ومسلح يسير من فوقه الطريق العام. كما شاهدت بعض المقابر المتفاوتة في مساحاتها، ومنها مقبرة كبيرة في إحدى قرى المركز الشرقية، ومساحتها تقدر بـ (١٥٠×٢٠٠م) تقريباً. كما أخبرني بعض أعلام المركز بأن هناك بعض الآبار الجوفية، لكنني لم أقف على شيء منها.

٢- مركز عمق :

تأسس هذا المركز باسم إمارة عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وعند صدور نظام المحافظات في الدولة عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) أصبح مركزاً يتبع لمحافظة القنفذة، واليوم هو أحد مراكز محافظة البرك الرئيسية، وتبعد قاعدة قرية عمق عن مدينة البرك شمالاً حوالي (٣٠كم) ويحد المركز من الشمال مركز سعيدة الصوالحة، ومن الجنوب ناحية سوبان، ومن الشرق وادي الحريقة، ومن الغرب البحر. وسمي عمق نسبة إلى قرية عمق وواديها، وهي من أكبر قرى المحافظة بعد مدينة البرك، كانت تعرف باسم (شرم الجارية) وأيضاً (الشوق أو أمشوق)^(٢).

(١) لم آت كل القرى والأحياء في وادي زهبان، فالبعض منها في الأجزاء العلوية من الوادي، ومازالت مأهولة ببعض السكان. وبلدان وقرى ومعالم تهامة منطقة عسير الجغرافية تستحق أن توثق وتدرس في معاجم جغرافية وعلمية.

(٢) للمزيد عن أسباب هذه التسميات وتعدادها انظر، عبد الرحمن بن عبده، من تاريخ برك الغماد، ص ٦٣٠

وسكان المركز خليط من أهل الأرياف والساحل ، ويتكون من عدد من القرى منها: المخلفية ، والقوز ، والجلمين ، والحاجب ، والهزم ، وشيبان ، والدفتة ، ومثعال ، وحاتم فريدة ، والترب ، وجبل أمضرب ، والعرس وغيرها^(١).

زرت مركز عمق يوم الأحد (١٨/٣/١٤٤٣هـ) ، ورأيت الطريق العام يسير من وسط المركز ، وتوجد بعض المحلات والخدمات الاقتصادية على جانبي الطريق في بلدة عمق. ثم دخلت في بعض الأحياء الغربية والشرقية من الطريق العام ، فوجدتها مكتظة بالمنازل الشعبية والمسلحة الحديثة . فالبيوت القديمة بعضها مازال مسكوناً ومستخدماً ، وأكثرها أصبحت مهجورة أما الأبنية المسلحة فهي متفاوتة في مساحاتها ومرافقها ، وأدوارها تتراوح من طابق إلى ثلاثة طوابق . وجميع الطرقات التي تسير بين المنازل والأحياء صغيرة ، يتراوح عرضها من (٣×٣م) إلى (٦×٥م) ، وقليل منها المعبد المسفلت ، والأكثرية مازالت ترابية . وفي بلدة عمق بعض المؤسسات الإدارية كمركز الرعاية الأولية في بناية مسلحة من دورين ومرافقهما .

ومركز التنمية الاجتماعية في طابق واحد ، ومخفر الشرطة في عمارة مسلحة مستأجرة من ثلاثة أدوار . وتكثر الأشجار في عدد من قرى المركز ومعظمها في الناحية الواقعة بين ساحل البحر والطريق العام . وجزء من شاطئ المركز مخدوم ببعض المظلات ، ودورات المياه وجلسات ، وألعاب ترفيهية . وفي جنوب المركز ، شرق الطريق العام مخطط حكومي قامت فيه بعض مدارس التعليم العام للبنين والبنات ، وعدد من العمارات الجديدة التي مازال بعضها في طور البناء والتشييد ، وفي هذا المخطط أكثر من (٧٠) أرضاً محدودة بمساحات تتراوح بين (٢٤٠٠م^٢) إلى (٢٦٠٠م^٢) . وإلى الشمال من المخطط على الناحية الشرقية من الطريق العام تجمع شعبي للأسر المنتجة التي تقدم خبز الخمير مع السمك ، وفي محيطهم أكثر من خمسين عشة بداخلها كراس مصنوعة من الخشب ، يقدم فيها الطعام لزوار تلك الأسر ، ومعظم العاملين من النساء ، ومعهن خادמות وخدم من العمالة الوافدة مثل الهنود ، والبنجال ، وبعض النساء العاملات من إفريقيا كالحبشة والصومال وغيرها^(٢).

(١) لم أستطع الإمام بجميع قرى هذا المركز ، لكن هذا الذي استطعت جمعه أثناء زيارته يوم الأحد (١٨/٣/١٤٤٣هـ) . وكل قرى عمق وبواديها تراجع المركز إدارياً .

(٢) سبق أن زرت هذه الأسر المنتجة منذ بضع سنوات مع الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي ، ورأيت آنذاك معظم زبائنهم من السروات وأجزاء من تهامة عسير والباحة . والأطعمة التي يقدمونها من الأسماك والخبز الخمير ذات مذاق جيد وشهي . لكن إمكاناتهم من حيث الموقع وما يحتاجه الزبائن من خدمات ضرورية بسيطة جداً ، وبعضها غير متوفرة كدورات المياه وغيرها .

٣- مركزا المرصد والفيض :

يبعد الأول عن مدينة البرك حوالي (٣٦ كم) في الجهة الشمالية الشرقية . ويحده من الغرب مركز عمق ، ومن الشرق وادي ذرا وقراه ، ومن الشمال قرى رAKE ، ومن الجنوب الكداء . ومن مستوطنات البشرية : المديد ، والمرسال ، والخرشة وغيرها . ولم أشاهد هذا المركز ، لكن أخبرني بعض الرواة أنها مازالت ناحية ريفية فيها أبنية شعبية وبعض العمارات المسلحة القليلة ، ولا تخلو من مدارس حكومية مستأجرة^(١) .

يبعد مركز الفيض عن وسط مدينة البرك حوالي (٢٣ كم) شرقاً ، وهو أحدث المراكز في المحافظة ، ويحده من الشمال ناحية الحميرة ، ومن الجنوب ضنكان ، ومن الشرق وادي أثلة ، ومن الغرب المدرجة . وفيه مركز صحي ، وبعض المدارس الحكومية المستأجرة . ومن قراه شيرة ، وأثلة ، والمدرجة . ولم أتمكن من زيارة هذه الناحية ، لكنني سمعت من بعض سكان مدينة البرك أن عموم أراضي هذه البلاد ريفية بدوية ، وينقصها الكثير من الخدمات ، وأهمها الطرق المعبدة المسفلطة التي تصل إلى مدينة البرك وإلى الطريق الرئيسي العام^(٢) .

٣- ورقات من التاريخ العمراني التنموي الحديث والمعاصر :

يذكر أن بلدة البرك في النصف الثاني من القرن (١٤هـ / ٢٠م) كانت صغيرة جداً ، وبيوتها شعبية من العشش أو الحجارة والطين . كانت لا تزيد عن خمسة تجمعات سكنية محدودة وهي : الحشتان العليا والسفلى^(٣) ، والقرية ويفصل بينهما الدرب الرئيسي الذي يسير من القنفذة إلى جازان ، وحشة (حارة البليقة) قريباً من شاطئ البحر ، وحشوة المحصنة شمال شرق البلدة^(٤) .

(١) مراكز التمدن والتحضر في محافظة البرك على الطريق العام مثل : مركز ذهبان ، ومدينة البرك الرئيسية وما جاورها من القرى والأحياء ، وأيضاً مركز عمق شمال المحافظة . أما النواحي الشرقية لعموم المحافظة فممازالت أريافاً وبوادي متعددة ، وفيها العديد من القرى المتواضعة في إمكاناتها وعمارتها ، لكنها لا تخلو من بعض الأبنية الحديثة المسلحة . وتتقد هذه الأجزاء الشرقية إلى طرق مسفلطة تربطها مع الحاضرة البرك ، ومع الطريق الرئيسي العام .

(٢) بقيت بلاد البرك (الحاضرة ، والأرياف ، والبوادي) غير مخدمة بشكل جيد خلال عقود مضت ، وذلك لبعدها عن مرجعيتها الإدارية عندما كانت تابعة لإمارة مكة ، ثم بقيت كذلك بعد تبعيةها لإمارة عسير ، وفي العقد والنصف الماضي امتدت إليها حركة التطوير والبناء . وإمارة وأمانة منطقة عسير في وقتنا الحاضر تعملان بجد واجتهاد من أجل تطوير ساحل منطقة عسير ، وقد تحظى محافظة البرك في السنوات القادمة بمشاريع تنمية كبيرة تخدم الأرض والإنسان في شتى المجالات .

(٣) المقصود بـ (الحشة) : أي الحي والحارة ، ويعرف هذا المصطلح عند بعض سكان السراة وتهامة بالناحية أو الجزء الصغير في القرية أو البلدة . ومازالت هذه المفردة تستعمل في مواطن عديدة من بلدان جنوب المملكة العربية السعودية .

(٤) كل هذه الأمكنة أو الحارات صارت جزءاً من مدينة البرك الرئيسية ، بل تعد اليوم وسط

منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، والعقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) تزايد العمران الحديث، وقامت أحياء عديدة في حاضرة البرك مثل: (١) حي الخالدية غرب المدينة والمطل على البحر . (٢) حي العزيزية جنوب شرق المدينة. (٣) حارة القصر شمال البلدة، وجنوب مخطط البرك . (٤) حي (حارة) المنقطعة وسط المدينة، وهي مقر لمعظم أسرة آل عبده الهاليلين (أمراء وشيوخ البرك) . مخطط البرك الجديد شمال مقر المحافظة حالياً^(١). (٥) ناحيتا البيض، والصحين، فالأولى شمال شرق بلدة البرك، وسميت البيض لأن لون تربتها وحجارتها بيضاء أشبه ما تكون بالنورة أو الجير. والثانية (الصحين) شمال مخطط البرك الجديد، ويذكر أن هذا المكان يسمى باسم سكانه الصحانية من بني هلال، الذين كانوا بدوا رحلاً، وقد انتقلوا في عهود سابقة إلى قريتي دبسا والمرصوفة وغيرهما شمال المحافظة^(٢).

من أحياء حاضرة البرك الحديثة أيضاً. حي السليمانية على ضفة وادي البرك من الجنوب مقابل حشة بلد البرك القديمة، ويذكر أنها سميت بهذا الاسم (السليمانية) نسبة إلى أحد أعلامها الذين سكنوها في البداية، ويعرف باسم (أحمد بن سليمان)

المدينة القديمة . وناحيتي البليقة، والقرية تعد من أكثرها تطوراً وتنمية ففيها حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مقر تحلية المياه المالحة، ومقر بلدية البرك ومرسى البرك الذي يوجد فيه الكثير من الصيادين وقواربهم، وبعض الحدائق والمتنزهات الحديثة الجميلة . المصدر : مقابلة وروايات بعض أعلام محافظة البرك في مقدمتهم الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهاللي. انظر أيضاً صوراً فوتوغرافية لبلدة البرك قديماً في كتاب : من تاريخ برك الغماد، لعبد الرحمن بن عبده الهاللي، ص ٥٥-٥٧ .

(١) تم اعتماد هذا المخطط الحديث من قبل عقدين تقريباً، لكن العمارة الحديثة لم تقم فيه وتزايد إلا في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وصار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مكتظاً بالعمارات الحديثة التي تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة أدوار وقليل جداً أن ترى فيه أبنية من أربعة أدوار . ويتخلله العديد من الشوارع المسفلتة الجيدة التي يتراوح عرضها من (٥×٥م) إلى (١٠×١٠م)، وربما بعضها أكبر من ذلك. وأذكر أنني زرت بلاد البرك في بداية عشرينيات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت آنذاك بسيطة في عماراتها وتتميتها الحضارية، ثم زرتها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فوجدتها نمت وتطورت كثيراً، وما زالت عجلة التنمية تتقدم في هذه البلاد بشكل كبير وجيد .

(٢) بلاد دبسا وقراها تقع شمال مدينة البرك بحوالي عشرة أكيال، وهي قريبة من الطريق العام الذي يسير إلى القنفذة والليث وجدة. تعد من القرى القديمة في محافظة البرك، كانت تعرف باسم (العيقة أو أمعيقة) . يحدها من الغرب سبخات البحر، ومن الشرق بعض الحرات الهاللية الجرداء . ويحتاج هذه الناحية وادي باسمها (دبسا) . بدأ فيها شيء من التطور والتنمية من تسعينيات القرن الهجري الماضي. ومن أحيائها أو قراها، قرية المرصوفة التي كانت في السابق هجرة، واليوم صارت بلدة متحضرة بالعمران الحديث، والطرق، والكهرباء، وتقع شمال دبسا بحوالي أربعة أكيال . وقرى أخرى في محيط أراضي دبسا مثل: السدد، والبزلاء، وغبيشة، والحشافة وغيرها. المصدر : زيارة الباحث لنواحي عديدة شمال محافظة البرك مثل عمق ودبسا وغيرها في (١٨/٢/١٤٤٣هـ) .

من عشيرة آل علي الهلالية^(١). وحارة حاجب (برصيدان)^(٢). شرق مدينة البرك على ضفة البوادي من الناحية الجنوبية ، ومعظم سكانها من بني هلال . وحي أو (حشوة) الشواعة وسط مدينة البرك ، سميت بهذا الاسم (الشواعة) لأن معظم سكانها كانوا ، ومازال بعضهم حتى الآن ، من شواعة كنانة . وحشوة (حارة) البدو جنوب حي الشواعة ، سميت بهذا الاسم ، لأن أول من سكنها بدو رحل جاءوا من أرياف المحافظة ، ثم أقاموا فيه واستقروا . وحي (حشوة) الجزيرة في الناحية الشمالية من المدينة^(٣).

وتشير بعض المصادر والوثائق إلى وضع بلاد البرك الديموغرافي خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، فذكرت أن عدد بيوت البلدة عام (١٢٢٩هـ / ١٩١١م) حوال (١٥٠) منزلاً معظمها من الحجارة والطين ، وقليل منها من بيوت القش^(٤) ، ويحيط به سور قديم مندر. وروايات أخرى تشير إلى أن عدد سكان البلدة في منتصف القرن الهجري الماضي حوالي ألف نسمة ، ومنازلها من القش ، والحجر من طابق وطابقين^(٥). وقد اطلعت على العديد من الوثائق المحلية التي تذكر ترايد سكان مدينة البرك وما حولها خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) حتى صاروا يقدرون بالآلاف^(٦).

-
- (١) تجولت في هذه الناحية مع الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي يوم السبت (١٧ / ٣ / ١٤٤٣هـ) .
 (٢) يقصد بحري (بر) أي (ابن) . وهذه كلمة سائدة ومستخدمة في أجزاء عديدة من تهامة منطقة عسير وما جاورها . وعلم اللغة واللهجات في عموم بلاد السراة وتهامة موضوع كبير جداً يستحق أن يبسط ويدرس ويوثق ويحلل في عشرات الكتب والبحوث العلمية . واليوم والحمد لله يوجد في هذه الأوطان عدد من الجامعات السعودية المحلية ، وفيها بعض الكليات والأقسام التاريخية واللغوية التي يجب عليها دراسة مثل هذه المجالات العلمية والثقافية المهمة والضرورية لخدمة أرض وإنسان هذه الأوطان .
 (٣) مشاهدات الباحث وجولاته في محافظة البرك يومي السبت والأحد (١٧ - ١٨ / ٣ / ١٤٤٣هـ) . كما أن الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي مشكوراً سار معي في مناكب بلاده ، ووضح لي الكثير من معالمها ، وشيئاً من تاريخها وراثتها . (فجزاه الله عني كل خير) .
 (٤) كانت بلاد تهامة من مكة واليثة وتهامة الطائف إلى جازان مليئة بالبيوت المشيدة من الأشجار والقش ، ويطلق على كل منزل (عشة) أو (عريش) أو (صبل) وغيرها من المصطلحات . وفي الوقت نفسه كان هناك بيوت حجرية أيضاً . وتاريخ العمارة القديمة في عموم البلاد التهامية خلال القرون الماضية موضوع مهم وكبير فالواجب دراسته في كتب ورسائل وبحوث علمية عديدة .
 (٥) للمزيد انظر ، علي أحمد عيسى عسيري . عسير (١٢٤٩ - ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ - ١٨٧٢م) (دراسة تاريخية) . (مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ص ١٠٣ .
 (٦) هناك العديد من الرحالة الذين أشاروا إلى عدد من بلدان تهامة ، والبرك واحدة منها ، وفي كتبهم ومدوناتهم معلومات قيمة يصعب أن نجدتها في مصادر أخرى . انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون . (الطبعة الثانية) (١٤٤٣هـ / ٢٢ - م) ، ص ١٤٧ - ٢١٠ ، ٢٠٨ - ٢٦٣ ، ٢٠٩ - ٢٥٨ .

وأثناء رحلتي الأخيرة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) في محافظة البرك، شاهدت وسمعت الكثير من التفاصيل التاريخية الحضارية الحديثة عن العمارة والتنمية بشكل عام، ومن ثم خرجت ببعض الخلاصات التي أوثقتها في الصفحات الآتية :

أ- مازالت الحارات ، أو الحشوات ، أو الأحياء ظاهرة على حياة الأرض والإنسان في مدينة البرك وما حولها . فالأسماء القديمة بقيت معروفة عند الناس وبخاصة الذين عاشوا فيها وعاصروها في العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) . بل من يدخل في أحياء المدينة الشعبية يرى بعض المنازل القديمة مازالت قائمة ، ومتداخلة مع المنازل الحديثة ومرافقها . بل رأيت بعضاً من تلك البيوت الحجرية التراثية مستخدمة من بعض السكان المحليين أو العمال الوافدين من خارج البلاد السعودية . ومن سار في ربوع المحافظة (مراكزها ، وأريافها ، وباديها) يرى البيوت الشعبية منتشرة بشكل كبير ونسبة الاستيطان فيها عالية جداً ^(١) .

ب- ليس هناك وجه مقارنة بين العمارة الشعبية، والأبنية المسلحة الحديثة . فمواد العمارات القديمة محلية بامتياز من قش، وحجارة، وأخشاب، وطين وتراب . وأدخل عليها مؤخراً مواد حديثة مستوردة من الأسمنت، والحديد، والخرسانة، والبلاستيك وغيرها . ثم جاءت العمارة الحديثة، فأتسعت مساحاتها، وارتفعت طوابقها ، وتنوعت موادها الحديثة والمستوردة ، وصارت الأيدي العاملة التي تقوم عليها وافدة من خارج البلاد السعودية ^(٢) .

ج- لله در الآباء والأجداد ، كم كانوا جادين مجتهدين، والبعض منهم مبدعين . فمن يسير في عموم السروات وتهامة يرى حضارات وإبداعات في بناء البيوت، وحضر

(١) تجولت خلال العشرين سنة الماضية في مدن ، وحواضر، وقرى ، وأرياف كثيرة في عموم السراة وتهامة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران فوجدت تبايناً كثيراً بين بعض النواحي . فالأوطان السروية صارت العمارات الحديثة هي السائدة والمسكونة ، ومن حولها الكثير من القرى الحجرية أو الطينية المهجورة ، وفيها أعداد كثيرة اندثرت وتهدمت ، ولم تعد مستخدمة إطلاقاً . في حين أن بلاد تهامة مازال فيها قرى كثيرة ومعظم منازلها الشعبية قائمة ومستخدمة . وهناك أيضاً بواد وأرياف تم هجرها فاندثرت .

(٢) لقد خرجت بالكثير من القناعات والتوصيات التي أنادي من خلالها إلى إصدار دراسات ومقارنات عن حياة سكان البلاد السعودية بشكل عام ، وبلاد السروات وتهامة بشكل خاص . وعلى وجه الخصوص التاريخ الحضاري لعامة الناس ، وليس عليتهم ، وفي شتى المجالات . والتاريخ العمراني من أهم المجالات لأنه يعكس كيف كانت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، ثم كيف تطورت ونمت في ميادين عديدة . ثم إن العمارة القديمة تشتمل على فن وراث وتاريخ وحضارة من صنع أهل البلاد . وكما قال المثل (الحاجة أم الاختراع) ، فقد كانوا في حاجة ماسة إلى مساكن تأويهم ، وتعينهم على استمرارية حياتهم ، فلم يكن أمامهم إلا الإبداع والابتكار ثم البناء والبقاء ، وأيضاً العيش والتكيف في حدود قدراتهم وإمكاناتهم المادية والمعنوية .

الآبار، وممارسة مهن الزراعة والرعي والعديد من الصناعات اليدوية التقليدية، كالحدادة، والنجارة، والصباغة، والصياغة، والتعدين، والدباغة، والخرازة، والعمارة والتشييد وغيرها من الحرف المحلية التي هي من صنع وإشراف البشر الأصليين في هذه البلاد. ولم يكن عندهم المال الوفير، أو الإمكانات والمعدات المتطورة، وإنما جهودهم قائمة على تدبرهم وتفكيرهم وابتكاراتهم، ثم سواعدهم وتعاونهم. ومن منن الله، عز وجل، أن أكرم الله هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) بالأمن ثم الأموال والخيرات المتنوعة، فتحولت الأراضي وسكانها إلى تطور وتمدن وتحضر معنوي ومادي حديث ومعاصر^(١).

د- رأيت في محافظة البرك، كما رأيت في غيرها، من حواضر ومدن ومحافظات جنوب المملكة العربية السعودية (سراة وتهامة) عمارات سكنية حديثة متعددة الأدوار والمرافق، وأبنية أخرى تجارية، وسياحية ترفيهية، وملاعب رياضية، وورشات صناعية وتقنية، وشواطئ بحرية مخدومة بالخدمات الترويحية الضرورية، ووحدات سكنية وشاليهات، ومدارس حكومية، وكذلك دورا للعبادة ومساجد وجوامع متعددة^(٢). وأقول أن كل هذه المحاور مهمة أن أوثق تاريخها الحديث والمعاصر الذي وقفت عليه في هذه المحافظة التهامية السعودية العربية^(٣).

(١) يجب علينا أبناء هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) أن لا ننسى حياة الفقر، والجوع، والمرض، ثم الحروب والصراعات القبلية التي عاشها الأوائل في كل مكان. إنها خمسون عاما أقرأ وأكتب التاريخ والحضارة، وعرفت وسمعت عن أمم في مشارق الأرض ومغاربها تحولت بها الأحوال من سيء إلى حسن، أو العكس. وكنا من هذه الشعوب التي تطورت أحوالها في شتى المجالات، وتحسنت أوضاعها المعنوية والمادية. ومن ثم فإن علينا جميعا التقاني والاجتهاد في شكر الله (عز وجل) الذي رزقنا وأكرمنا بكل هذه الفضائل والخيرات، ثم نعمل يدا واحدة من أجل خدمة ديننا وبلادنا وأهلنا بكل الأعمال والأقوال النافعة الصائبة والمفيدة.

(٢) ارتحلت من مدينة الدرب إلى البرك ن وقيل ذلك شاهدت وزرت وتأمليت في أوطان وبلدان أخرى عديدة في أنحاء الأوطان السروية والتهامية. كما سافرت ورأيت تنمية وتطورا في مناطق ومدن أخرى عديدة في المملكة العربية السعودية. فوجدت عموم البلاد تسير في اتجاه جيد من التطوير والتنمية وبخاصة الحياة العمرانية المادية. وهناك أيضا تطورات جيدة في المجالات الحضارية المعنوية. والواجب علينا جميعا الاجتهاد والعمل الدؤوب على التطوير المادي، وفي الوقت نفسه نحصر على هويتنا العربية الإسلامية الوسيطة التي تميزنا على غيرنا، وكيف لا نكون كذلك ونحن سكان الحرمين، قبة المسلمين عامة، وموطن قبر الرسول الكريم (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم). إننا أهل هذه البلاد يجب أن نكون قدوة لأنفسنا، ولأهلنا، ثم لعالمنا العربي والإسلامي العريق.

(٣) مازالت بلاد البرك، بل بلاد تهامة الساحلية والسهلية الداخلية من جنوب مكة المكرمة وأصدار وتهامة محافظة الطائف إلى سهول وسواحل منطقة جازان جديرة أن يصدر عنها مئات الكتب والبحوث الأثرية، والتاريخية واللغوية، والحضارية في شتى الجوانب منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر، ونأمل أن يتحقق ذلك من خلال كليات وأقسام ومراكز بحوث جامعاتنا السعودية الجنوبية المحلية.

لكنني أقتصر فقط على عنصرين فقط ، هما : قطاع التعليم العام ، والمساجد والجوامع .

١- قطاع التعليم العام :

إن يومين في أعراف التوثيق والأبحاث العلمية الجيدة مدة قصيرة لإنجاز دراسة عميقة ورصينة ، وهذا ما لم أقم به في هذه الرحلة ، وإنما دونت شذرات معرفية مما سمعته أو شاهدته عن هذه الناحية الساحلية التهامية (محافظة البرك) . وبلاد البرك ذات فكر وحضارة تعليمية قديمة ، فقد وجدت بعض الوثائق التي تشير إلى بعض العلماء والمعلماء في هذه الناحية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بل إنني عرفت وقابلت بعض القضاة ورجال العلم في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وأخبروني أن بداية حياتهم العلمية الشرعية واللغوية في بلدة البرك والقنفذة وجازان . بل بعضهم بدأوا من البرك ثم ذهبوا إلى بعض المدن اليمنية الساحلية كالحديدة أو زبيد ، أو إلى الحرمين الشريفين للاستزادة من المعارف والعلوم الشرعية ^(١) . ثم وصل التعليم السعودي الحديث إلى هذه الديار في مطلع السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم زاد وارتفع سقفه ، وتكاثرت مدارس جميع مراحل التعليم العام حتى صار عدد الطلاب والطالبات في هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي (١١٣٠١) طالبة وطالب ^(٢) . أما هيئة التدريس فعددهم (١١٩٩) معلماً ومعلمة ، (٦٢١) معلماً ومعلمة في المرحلة الابتدائية ، و (٣٢٨) معلمة ومعلم في المرحلة المتوسطة ، و (٢٥٠) معلمة ومعلم في المرحلة الثانوية ^(٣) .

٢- المساجد والجوامع :

إن الجوامع والمساجد الحديثة في المملكة العربية السعودية من المعالم الرئيسية البارزة التي نشاهدها في كل مكان . فلا أذهب إلى حاضرة ، أو مدينة ، أو قرية ، أو

(١) مازال في مكتبي العلمية العديد من المدونات والوثائق التي جمعتها خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومن ضمنها خطابات ومذكرات وصلتي من رواد في العلم والتعليم والتعلم في عموم السروات وتهامة . أمل أن يرزقني الله الوقت والجهد والحظ فأجمعها وأعلق عليها ثم أصدرها في مجلدين أو ثلاثة مجلدات . (ياذن الله تعالى) .

(٢) وصلتي هذه المعلومات من الأستاذ عبد الرحمن بن عبده الهلالي في (٢٥/٢/١٤٤٣هـ) ، وأخبرني أنه حصل عليها من مكتب التعليم في محافظة البرك . وأشار أن (٥٥٧٢) طالبة وطالب في المرحلة الابتدائية . و (٢٧٥٠) طالبة وطالب في المرحلة المتوسطة . و (٢٦٣٤) طالبة وطالب في المرحلة الثانوية . و (٣٤٥) طالبة وطالب في الروضة .

(٣) مدونة الأستاذ عبد الرحمن بن عبده الهلالي في (٢٥/٢/١٤٤٣هـ) . أما التعليم العالي والجامعي فلم يصل إلى محافظة البرك مع أن جامعة الملك خالد تمتلك أرضاً في المحافظة ، ونأمل أن نرى عليها قريباً بعض الكليات العلمية الجامعية .

بادية إلا ترى المساجد والجوامع المتنوعة في مواقعها، ومساحاتها، ومآذنها، وديكوراتها، ومرافقها . ومنها الذي شيدته الدولة على نفقتها ، وأكثر المساجد والجوامع شيدها محتسبون من رجال الأعمال ، ومن لديهم أموال من النساء والرجال . بل بعض الأفراد (ذكورا وإناثا) يبنون جوامع ومساجد ، من باب الصدقات على الأموات كالوالدين ، أو أحدهما ، أو بعض الإخوان أو الأخوات أو الأبناء والبنات^(١) .

ذكر لي أن محافظة البرك عرفت عدداً من المساجد القديمة ، كمسجد أبي بكر الصديق داخل السور القديم في مدينة البرك ، وهو حالياً مندثر فلم أر إلا بعض أحجاره المتناثرة . وسمعت عن مساجد أخرى داخل أحياء البلدة القديمة ، وأطلق عليها أسماء بعض شيوخ وأعيان أسرة آل عبده (شيوخ البرك) ، وقد هدم أغلبها وشيد مكانها مساجد أو جوامع مسلحة ، وما زالت قائمة حتى وقتنا الحاضر^(٢) . ومن المساجد القديمة تاريخياً ، والكبيرة والحديثة حالياً ، جامع البرك وسط بلدة البرك ، حيث كان تأسيسه في عشرينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) ثم جرى عليه بعض الترميمات والتوسعات ، وهو من الجوامع الرئيسية في المحافظة وتقام فيه الجمع والجماعات . ويذكر أن الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود أمر ببناء تسعة مساجد (جوامع) على نفقته عام (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) في تسع قرى هي: الفيض ، وفارغة الهاد ، وشرفة بن مهاه ، وذرا ، والمرصد ، والأجرع ، والجمة ، وراكة ، والمعقد^(٣) .

(١) إن الذهاب في أرجاء البلاد يجد بعض المساجد القديمة والصغيرة مازالت معمورة ويصلى فيها الناس . لكن الغالب على الجوامع والمساجد اليوم أنها أبنية مسلحة حديثة والذهاب على الطرق العامة والرئيسية في كل مكان من المملكة العربية السعودية يلحظ جوامع كبيرة لإقامة الجمع والجماعات . وكذلك مساجد صغيرة ومتوسطة يصلي فيها المسافرون وعابرو الطريق . ومن نتائج التنمية العمرانية التي تعيشها البلاد ، فقد توسع الناس في منازلهم ، وخروجهم من قراهم الرئيسية مما جعلهم يشيدون مساجد في مواطنهم الحديثة . وأحياناً تشاهد بيتاً واحداً مسلحاً ، وإلى جانبه جامع صغير أو متوسط . وتشاهد أيضاً منزلين أو ثلاثة ، ومن مرافقها مسجد . وقد أحصيت في الحي الواحد ، وبعض القرى المحدودة في مساحتها ومنازلها ، وفيها مساجد عديدة: وبناء المساجد أمر جيد ومحمود ، لكن ليس بهذه الكثرة والتعدد . وقد نجد مسجداً ومساجد عديدة في بعض القرى أو على بعض الطرقات فتراها مقفلة فلا يصلي فيها أحد . وموضوع المساجد والجوامع القديمة والحديثة في أنحاء المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجيدة جداً لإصدار دراسات ورسائل علمية . أرجو من المهندسين المعماريين وأيضاً المؤرخين الجادين أن تتضافر جهودهم ويتعاونوا في إنجاز بعض البحوث العلمية الرصينة في هذا الميدان .

(٢) للمزيد انظر كتاب : من برك القماد (بين الماضي والحاضر) ، لعبد الرحمن بن عبده الهاللي ، ص ٦١ . وذكر لي بعض الرواة الذين التفت بهم أسماء مساجد عديدة في مدينة البرك ومراكزها ، وأيضاً في مركز القحمة ، ومنها في حاضرة البرك : جامع النمو ، وجامع الفاروق ، وجامع البرك ، وجوامع البيض ، والتقوى ، والمرصوفة . ولا يخلو كل مركز من محافظة البرك من جامع كبير وبعض المساجد المتوسطة . وفي مركز القحمة جوامع العقدة ، والمطعن ، والمراغ ، والطرق . ولا أقول أنني ذكرت كل الجوامع في هذه البلاد ، لكنني وثقت بعضها ، وأمل أن نرى من يدرس جوامع تهامة من الدرب إلى البرك في عدد من البحوث والكتب العلمية .

(٣) رحم الله الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود فقد تجولت في نواحي عديدة من السراة وتهامة فوجدت

زرت بعض مساجد وجوامع البرك ، وصليت في بعضها ، مثل جامع البرك القديم ، الذي سبق الإشارة إليه ، وسط البلدة ، وفيه تقام كل الصلوات ، وبنائته حديثة ، وله مرافق عديدة كدورات المياه ، ومواقف سيارات ، ومساحته تقريباً (٢٥×١٨ م) . وجامع الفاروق داخل المدينة أيضاً ، يتكون من دورين ، مساحة الدور الأول (١٧×١٩ م) ، والدور الثاني (١٧×١٠ م) . وجامع البيض شرق المدينة ، وهو من الجوامع الكبيرة في المحافظة ، فمساحته (٢٦×٢٧ م) ، بالإضافة إلى مرافقه الخارجية كمواقف السيارات وغيرها . وجامعا الكورنيش ، والشاطئ الأول غرب مستشفى البرك ، والثاني ضمن مبنى الأوقاف غرب الطريق العام^(١) .

خامساً : صور حضارية عامة من البرك إلى الدرب :

١- التشابهات والاختلافات تاريخياً وحضارياً :

جميع البلاد الممتدة من محافظة البرك إلى محافظة الدرب أراضي تهامية ساحلية وسهلية وجبلية ، تتفاوت في المساحات ، فالبرك أكبرها ، يليها الدرب ، ثم مركز الحريضة ومركز القحمة على التوالي . ويقع فيها جميعاً شواطئ بحرية ، وجبال ، وهضاب ، وأودية متعددة . ومحافظة الدرب قديمة في التنشيط السياحي الشتوي ، فمركز الشقيق كان ومازال الواجهة السياحية لسكان سروات عسير وغيرهم منذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/ ٢٠م)^(٢) . ثم نمت وتطورت الأمكنة الأخرى في الحريضة ، والقحمة ، والبرك حتى أصبحنا نرى على شواطئها منتجعات سياحية متعددة ومتنوعة في إمكاناتها^(٣) .

الكثير من المساجد التي شيدها على نفقته . كما أن له مدناً سكنية خيرية في كل مكان ، منها واحدة ، أشرنا إليها سابقاً ، في مركز القحمة ، وأخرى مئة فلة في مدينة البرك . وجهود الأمير سلطان آل سعود الخيرية في جنوب البلاد السعودية موضوع كبير يستحق أن يدرس في عدد من الرسائل والكتب العلمية ، أمل أن نرى بناته وأبنائه يشجعون ويدعمون بعض الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين فيكتبون أعمالاً علمية توثيقية جيدة . عن هذا الأمير السعودي •

(١) لم أت على كل المساجد ، فقي أطراف مدينة البرك ، وخيرية الأمير سلطان جنوب المحافظة ، وأيضاً المراكز (ذهبان ، وعمق) ، وقرية دبسا وغيرها تشتمل على العديد من المساجد والجوامع المتباينة في مساحاتها ، ومرافقها ، ومواقعها •

(٢) هذا الذي عرفته ورأيت من تسعينيات القرن الهجري الماضي ، ومازال حتى اليوم من الأمكنة السياحية التهامية التي يرتادها سواح السروات وبخاصة في فصل الشتاء .

(٣) الأمكنة السياحية في البرك ، والقحمة ، والحريضة ظهرت وازدادت في العقدين الماضيين من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، وحالياً تقام منتزهات جيدة ومتطورة في الواجهة البحرية بالحريضة ومازالت مستمرة حتى الآن ، وفي شواطئ أخرى من بلاد القحمة والبرك •

يوجد لهذه البلاد (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) عمق جغرافي ريفي داخلي ، متفاوت في الأطوال ، والمعالم الجغرافية الأخرى ، وفي المقومات السياحية . لكن هذه النواحي لم تتطور بعد وتستثمر سياحيا وحضاريا . ولا تخلو بعض الأمكنة من العراقة والقدم التاريخي مثل وادي ضنكان ، وبعض الأودية والقرى التراثية الأخرى ، بهذا أن نرى في قادم الأيام هذه الأوطان مخدومة بالتنمية التي ترفع من مستوى السياحة وتطورها . واتصال الأجزاء الساحلية بالمناطق السهلية والجبلية الداخلية تختلف من مكان لآخر . فالدرب وجزء من الحريضة أفضل حالا ، لخروج طريقين منهما إلى العمق الداخلي ثم إلى المحافظات المجاورة كمحail عسير ورجال ألمع . أما القحمة فلا يوجد فيها طريق بري يربط ساحلها بأريافها وبواديها ، والبرك فيها طريق ريفي محدود العرض والخدمات يربط بين محail عسير ومدينة البرك ، ويستحق التطوير حتى يصبح مزدوجا . والشريان الحيوي الرئيسي الذي يربط هذه النواحي الأربع (البرك ، والقحمة ، والحريضة ، والدرب) ببعضها هو الطريق العام الذي يسير من جازان إلى القنفذة ثم الليث حتى مكة المكرمة أو جدة^(١) .

جميع سكان هذه البلاد الأصليين قبائل عربية قديمة ، استوطنت مواقعها ومازالت ، ثم خالطهم في العقود التاريخية المتأخرة عناصر عربية وغير عربية ، من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، جاءوا للعمل في العديد من الأعمال الحكومية والأهلية^(٢) .

(١) كانت هذه البلاد وعموم تهامة أراض صعبة العيش فيها ، لعدم وجود خدمات ضرورية لحياة الناس . وطرق المواصلات ، والمواصلات نفسها كانت وعرة وقاسية . ثم امتدت إليها عجلة التطوير والتنمية الحديثة فشقت الطرق في كل ناحية ، ومن أهمها هذا الطريق الساحلي العام الذي يربط بين حواضر الحجاز حتى جازان ثم اليمن ، وطريق داخلي آخر يسير من مكة وجدة حتى المظليل ثم يتجه إلى المخواة في تهامة الباحة ، أو العرضيات حتى تهامة عسير وبعض من مدن جازان الرئيسية كالدرج وغيرها . ناهيك عن مجالات التمدن والتحضر الأخرى فتراها موجودة منتشرة في كل مكان . لكن الطرق العرضية التي تربط بين شواطئ البحر الأحمر والأجزاء الداخلية من تهامة حتى سفوح جبال السروات الغربية مازالت قليلة ومحدودة ، وبخاصة في بعض النواحي ، أمل أن تكون من اهتمامات وخطط وزارة النقل المستقبلية ، فتخدم بعض الطرق الموجودة حاليا بالتطوير والتوسعة ، وتشق طرق أخرى جديدة في الأجزاء التي مازالت بحاجة إلى مثل هذه الطرق التنموية المهمة . المصدر : معاصرة الباحث للتاريخ الحضاري التنموي في السروات وتهامة من نهاية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) .

(٢) هذا التشكل والانصهار الاجتماعي لم يحدث إلا في ظل الحكومة السعودية الحديثة ، وهو من ثمار توحيد البلاد تحت راية ومنهج ودستور واحد ، ثم تأسيس مؤسسات حكومية حديثة تتولى الإشراف على البلاد والعباد حتى يعيشوا في أمن وسلام ، تلا ذلك التطوير المادي التنموي الاقتصادي الذي عم أرجاء البلاد السعودية ، ومن ثم صار الناس يسبغون إلى أي مكان أرادوا من أجل الوظيفة والعمل وكسب الأرزاق . وهذا ما نراه في بلاد البرك ، والقحمة ، والحريضة ، والدرب وغيرها من اختلاط الناس ببعضهم في أعمالهم ، وأسواقهم ، ومؤسساتهم الحكومية والأهلية ، ومنتزهاتهم وغيرها . ومازالت أنادي بأهمية توثيق تاريخ التنمية الحديثة التي تعيشها المملكة العربية السعودية منذ ستينيات وسبعينيات القرن (١٤٠٠هـ / ٢٠٠٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وهذا الأمر من مسؤوليات المؤسسات التعليمية والبحثية العالية .

وقد قرأت وسمعت أن قبائل درب بني شعبة ، وقبيلة بني هلال ، وقبائل أخرى عديدة هم من سكن أجزاء من هذه البلاد الممتدة من البرك إلى الدرب منذ قرون بعيدة ، ول بعضهم أقسام وفروع في الأجزاء التهامية الداخلية الممتدة إلى بلاد محاليل عسير ورجال المَع^(١).

ما من شك أن هذه الديار التهامية فيها اليوم آلاف المتعلمين والمتعلمات ، ومعظمهم جامعيون ، وفيهم من يحمل درجات عالية (ماجستير ودكتوراه) في تخصصات عديدة وربما أكثرهم في محافظة الدرب ، ولا تخلو مراكز الحريضة والقحمة ثم البرك من أفراد (ذكورا وإناثا) يحملون مؤهلات عالية . وعندما ارتحلت في أوطانهم وحاولت الالتقاء ببعض متعلميهم التعليم العالي ، وقابلت بعضهم وتحدثت معهم ، لم أجد دراسات أو بحوثا علمية موثقة تعكس صورا من تاريخ بلادهم في الماضي والحاضر . وقد يكون الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي (رحمه الله) الباحث الوحيد الذي اطلعت على بحوثه وجهوده العلمية حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) فقد أشار إلى لمحات مختصرة من التاريخ الحربي والسياسي الذي عاشته منطقة جازان خلال عصور الإسلام المختلفة ، وللدرب وما يليها شمالا حتى البرك والقنفذة ذكر في بعض مؤلفاته المطبوعة والمنشورة^(٢) . كما سألت بعض من قابلت عن هذا الفقر المعرفي والعلمي البحثي ، فكانت إجاباتهم متفاوتة وغير مقنعة . وإذا قارنت بين النواحي الأربع (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) فيما يتعلق بالتاريخ والحضارة عبر عصور التاريخ ، فسوف تجد البرك والدرب قديمة جدا في تاريخها ، وأحيانا القحمة (وادي حمضة) ، وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر اليمنية والحجازية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ولا تخلو بعض كتب الرحلات والرحالة ، والمعاجم اللغوية والجغرافية من إشارات عديدة عن وادي عتود الذي تقع عليه بلدة (مدينة) الدرب ، وعن البرك أيضا . أما القحمة باسمها الحالي فقد أشارت إليها بعض الكتب والوثائق الحديثة في القرنين (١٣ - ١٤هـ / ١٩ - ٢٠م) . أما الحريضة فلم أجد لها ذكرا في المصادر والمراجع المبكرة ، وربما عرفت بهذا الاسم من فترة متأخرة في القرن (١٤هـ / ٢٠م) . وإذا كان لم يصدر عن هذه الأوطان حتى الآن بحوث ودراسات تاريخية وحضارية مستقلة وجيدة ،

(١) لم أفضل الحديث عن أصول وأنساب وتركيبية هذه القبائل العريقة والقديمة . وذلك لأسباب ، منها :
(١) لم أعثر حتى الآن على مصادر تاريخية قديمة موثوقة توضح بداية استيطان هذه القبائل في بلادها الحالية . ثم ما جرى من الأحداث والتغيرات التاريخية عليها منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن .
(٢) سألت بعض العارفين وأعلام هذه البلاد فذكروا لي معلومات وتفصيلات متنوعة ، وعندما سألتهم عن مصادرهم ، قالوا (هذا الذي سمعناه من الآباء والأجداد) ، ومثل هذه الأقوال ربما يشوبها الخلط والخطأ . وهي غير كافية لدراسة وتوثيق تاريخ قديم يعود للوراء آلاف السنين .

(٢) رحمك الله يا محمد العقيلي فقد كنت الإنسان البار بأهلك وبلادك منطقة جازان ، وأجزاء أخرى من تهامة والسراة ، فأرخت لها ، وحفظت شيئا من تاريخ وتراث أهلها .

فذلك لا يعني أن ليس لها تاريخ ، لكنه للأسف لم يحفظ ويوثق . ومن يسير في أرجائها يرى الكثير من معالم التحضر والاستيطان البشري من خلال الكثير من النقوش والآثار السطحية والمدفونة ، وكذلك آثارهم وتراثهم في لهجاتهم ، وأهازيجهم ، وأشعارهم ، وطربهم وفولكلورهم ، وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة^(١).

والحياة الإدارية الحديثة في هذه النواحي الأربع (القحمة ، والحريضة ، والدرب ، والبرك) موجودة منذ عقود وبعضها قديمة بدأت مع دخول بلدان السروات وتهامة تحت الحكم السعودي الحديث في أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، ونجد الرحالة فيلبي وغيره قد أشاروا إلى بعض الإدارات القائمة في خمسينيات القرن نفسه. والدرب ، والقحمة ، والبرك استمرت مخدمة إدارياً وأمنياً وحتى القحمة من منتصف القرن الهجري الماضي ومازالت حتى وقتنا الحاضر ، لكنها تتفاوت في أعداد مؤسساتها ، وطاقاتها البشرية ، ومقراتها . فالدرب في المقدمة من حيث البدايات ثم التطور وتزايد الإدارات الخدمية والتنمية ، يليها البرك . أما الحريضة فهي حديثة في إداراتها الحكومية والأهلية ، وتسير حالياً بخط جيد وقد تتطور أكثر في قادم الأيام مع القحمة فتزيد وتتوسع مؤسساتها وخدماتها المتنوعة^(٢).

ذكرت في صفحات سابقة من هذه الرحلة عدداً من الإدارات الرسمية والأهلية في كل محافظة ومركز ، لكنني لم أفصل التطور التاريخي لكل إدارة ، كما أن محافظة الدرب تعود في مرجعيتها الإدارية إلى إمارة منطقة جازان. أما البرك ، والقحمة ، والحريضة فهي حالياً تستمد قراراتها ومرجعيتها من إمارة منطقة عسير^(٣) ، وكانت بعضها في السابق تراجع

(١) ليست بلاد الدرب إلى البرك هي الوحيدة التي تعاني من فقر في حفظ وتوثيق تراثها وتاريخها وحضارتها ، وإنما عموم بلدان السروات وتهامة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية هي الأخرى تعاني من هذه المشكلة ، لكنها أيضاً متفاوتة من مكان لآخر . فبعض الموانئ والبلدات الساحلية ذكرت بشكل أفضل في المصادر العربية وغير العربية المبكرة والقديمة ، مقارنة ببلدان وأمكنة داخلية في الأجزاء التهامية والسرورية . كما أن بعض المدن التاريخية السروية كالتائف ، وتبالة ، وبيشة ، وجرش ، ونجران وورد ذكرها أيضاً في مصادر متقدمة . والكثير من التهام والسروات عرفت الاستيطان البشري منذ العصور الحجرية وعبر أطوار التاريخ حتى بداية العصر الحديث (ق ١٠هـ/ ١٦م) ، لكننا لا نجد لها تاريخاً مكتوباً واضحاً ومفصلاً ، لأنه لا يوجد في المصادر التراثية التقليدية الكثير من ذلك . والآثار المادية المدفونة والسطحية ما زالت هي الأمل الأخير والوحيد فتعثر على شيء من تاريخ وتراث هذه الأوطان العربية القديمة .

(٢) التاريخ الإداري الحديث خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٢١-٢٠٢١م) ، من الموضوعات الجديدة عن بلاد الدرب حتى البرك ، حبذا أن يتخذ عنواناً لرسالة دكتوراه من قبل أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالجامعات المحلية .

(٣) إنها إجراءات إدارية وأمنية وتنموية عامة وجميع هذه البلدان وغيرها في أرجاء المملكة العربية السعودية محكومة بوزارات وهيئات ومؤسسات عليا تخدم الأرض والإنسان في كل مكان . وأحوال المملكة العربية السعودية منذ عرفت بهذا الاسم في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) تحولت حياة أهلها

إمارتي مكة المكرمة وجازان، لكن إمارة منطقة عسير في عهد أميرها خالد الفيصل آل سعود سعت جاهدة في العقدين الأولين من هذا القرن أن يكون لها مساحة واسعة على شاطئ البحر الأحمر، وتم ذلك في نهاية العقد الثاني من هذا القرن (ق ١٥هـ/ ٢٠-٢١ م) ^(١).

كل المجالات الحضارية والتنمية الأخرى موجود في كل النواحي (الحريضة، والبرك، والدرب، والقحمة)، القرى القديمة والعمارات الحديثة، وبعض الأسواق الشعبية، والأسواق اليومية الحديثة، ومدارس التعليم العام، وكليات التقنية والجامعية فقط في الدرب، والقطاعات الصحية، مستشفيات ثلاثة في الدرب، والقحمة، والبرك ^(٢). ومراكز الرعاية الصحية الأولية في كل مكان. والشواطئ البحرية والمنتجعات السياحية، والوحدات السكنية، أما الفنادق الكبيرة فلا توجد إلا في الدرب والشقيق والحريضة والقحمة. هذا الإطار العام الذي تعيشه هذه البلاد، لكن محافظة الدرب تتقدم على المناطق الأخرى من حيث كبر أسواقها اليومية وتعددتها، بالإضافة إلى وجود سوقين شعبيين مازالا يعملان في مدينتي الدرب والشقيق حتى يومنا الحاضر. وحركة الصناعات والتجارات أكثر وأنشط في مدينتي الشقيق والدرب، ولا تخلو النواحي الأخرى من هذه الأعمال الاقتصادية المتنوعة، لكنها مازالت أقل في المستوى والعدد من مدينة الدرب ^(٣).

- اجتماعياً، وسياسياً، وإدارياً، وحضارياً، وتعليمياً، وتنموياً وغير ذلك. فأصبح هناك حكومة وإدارات رسمية حديثة، يحكم إليها جميع الناس، وتعمل كل المؤسسات في الدولة على توفير الاستقرار، وجمع الكلمة، وحفظ الأمن، وتطوير الإنسان في كل المجالات العامة والخاصة. وأقول إن تاريخ الإدارة والتنمية الحديثة التي تعيشها مناطق، وحواضر، ومدن، وقرى، وأرياف، وبوادي المملكة العربية السعودية جديرة بالدراسة والتوثيق مع دعمها بالوثائق والصور الفوتوغرافية الملونة. أرجو أن يجد هذا النداء استجابة في جامعاتنا وكلياتها وأقسامها الأكاديمية.
- (١) كنت ومازلت معاصراً وباحثاً وموثقاً للكثير من تاريخ بلادنا المحلي المعاصر. وقد جمعت بعض الوثائق والمدونات والخطابات التي تدور في فلك ذلك التغيير الإداري الجيد. وكانت جهود كبيرة وموفقة من الأمير خالد الفيصل أن صار لمنطقة عسير سواحل بحرية تزيد على المئة كيلومتر، وكذلك ما بذله في تأسيس محطة تحلية الشقيق أيضاً. وإمارة عسير في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) تعمل وتجتهد بكل إمكاناتها المادية والمعنوية، والأمير تركي بن طلال آل سعود هو الذي يقود حالياً سفينة البناء والتطوير في هذه البلاد. ومن جهوده وجهود من قبله أن حكومة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، اعتمدت استراتيجية عسير، التي (بإذن الله) سوف يكون لها ثمار إيجابية كبيرة على عموم جنوب المملكة العربية السعودية، وعلى الوطن بشكل عام. وأقول إن فترة إمارة الأمير خالد الفيصل آل سعود من تسعينيات القرن الماضي (١٤هـ/ ٢٠م) إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م) تستحق أن توثق في عشرات البحوث العلمية، مع دعم هذه الدراسات بالوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية.
- (٢) كل المستشفيات الموجودة محدودة في عدد أسرتها، وعليها ضغط كبير من كثرة المراجعين. وقريباً يفتح مستشفى الدرب الجديد والكبير. وقد تقدم خدمات من خلاله لسكان محافظة الدرب، والمراكز القريبة كالحريضة والقحمة وغيرها.
- (٣) كل العناصر المدونة في المتن، أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذا القسم. وتاريخ تهامة جازان وعسير من صبيا وييش إلى مركز سعيدة الصوالحة شمال محافظة البرك بلدان لها تاريخ وتراث، لكنه

٢- وقفات مع الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية المعاصرة :

أ- وقفة مع الحياة الاجتماعية :

إن الحياة الاجتماعية في عموم البلاد المعنية في هذه الرحلة متشابهة كالطعام، والشراب، واللباس، والزينة، والبناء، والعمران، والعادات، والتقاليد، والألعاب الرياضية، والفنون الشعبية. وأقصد بالتشابه هنا، أي في العصر الحاضر، وفي الإطار العام. وإن فحصنا كل مجال بشكل منفرد، فسوف نجد بعض التباينات والاختلافات الجزئية من المدينة، إلى البلدة، فالأرياف، ثم البوادي. ومن ميسوري الحال مادياً، إلى متوسطي الدخل، وأخيراً الفقراء، أو من أوضاعهم المادية متدنية أو ضئيلة جداً. وحياة الناس الاجتماعية في هذه النواحي (البرك، والحريضة، والقحمة، والدرب) تختلف تماماً اليوم عن حياة الأولين في البلاد نفسها. ففي الماضي كان الفقر سائداً على جميع الناس، ولا يخلو المجتمع من بعض المقتردين مادياً واقتصادياً، لكن نسبتهم محدودة جداً. وفي وقتنا الحاضر فاض الخير على كل الناس، فصارت أحوالهم مستورة، ويعيشون في حياة معيشية حسنة، وفيهم نسب كبيرة يمتلكون العقارات والأموال، والوظائف المختلفة التي يقتاتون من خلالها، ويديرون شؤون حياتهم العامة والخاصة^(١). وأثناء ترحالي في هذه الأوطان العربية السعودية التهامية، خرجت ببعض المشاهدات والانطباعات الاجتماعية التي أرصد بعضها في النقاط الآتية :

١. إن المال والتعليم والتحضر الحديث شكل مجتمعات اليوم، وأثر بشكل مباشر ورئيسي في تفكير الناس وثقافتهم، ومن ثم أثروا وتأثروا في جميع أحوالهم المعيشية. وإن توقفنا مثلاً مع حياة الطعام والشراب، أو اللباس والزينة، أو العمارة والبناء. فكل هذه الميادين تأثرت وتبدل الكثير منها عما كان يعيشه الأوائل إلى نهاية القرن الهجري الماضي، ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)^(٢).

لم يدون. وأرباب القلم من هذه الديار عليهم مسؤولية وواجبات تجاه تراث وحضارة أوطانهم فيعملوا على حفظها، ثم جمعها ودراستها وتوثيقها حتى يطلع عليها البنات والأبناء من الأجيال القادمة. وإذا لم يفعلوا ذلك، فقد يضيع هذا الموروث كما ضاعت حضارة وتواريخ أجيال سبقتنا، وربما كان المعاصرون آنذاك معذورين لانتشار الأمية في كل مكان. أما اليوم فليس لدينا عذر إطلاقاً، لتوفر المتعلمين في كل المجالات. (١) ما أشرت إليه في المتن خلاصة مختصرة عن بعض أحوال الناس الحضارية وبخاصة الحياة الاجتماعية. وما زالت عموم بلدان السروات وتهامة تستحق أن تدرس دراسات تفصيلية لتاريخها الاجتماعي منذ بداية القرن (١٤هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، لأن إنسان هذه الأوطان عاصر وشاهد وساهم في التحولات الاجتماعية الكثيرة التي عرفتتها هذه البلاد. كما جرى اتصالات وتداخلات اجتماعية متعددة بين سكان البلاد الأصليين وبين مجتمعات وشعوب كثيرة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. (٢) أرصد هذه التوثيقات، ومتأكد من صحتها، لأنني عاصرت هذه التحولات، ثم درستها ووثقتها في عدد

٢. إذا توقفنا مع عادات، وأعراف، وتقاليد، وتعليم وثقافة، ولهجات، وألعاب وفنون أوطان البرك، والقحمة، والحريضة، والدرب اليوم، ثم قارناها مع حياة السابقين، أو مع حياة بلدان وسكان آخرين في عموم السروات وتهامة في الماضي والحاضر. فإننا سوف نجد تغيرات كثيرة، فهناك عادات وتقاليد قديمة اندثرت، أو قل استخدمها، وحل محلها عادات وأعراف جديدة، نتيجة التطور الاقتصادي والمالي الذي تعيشه البلاد، وأيضاً تقارب البلدان والشعوب داخلياً وخارجياً عن طريق تزايد الأسفار، وتقارب الأقطار، ثم دخول وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي فصار الإنسان في أي مكان يعرف ويطلع على ما يريد من خلال هذه التقنيات الإلكترونية الحديثة، وأصبح النت وعالم الفضاء من أعظم المؤثرات في حياة جميع البشر العامة والخاصة^(١).

٣. إن جميع شرائح المجتمع في سباق وصراع من السير، وأحياناً التكيف بنسب مع الحياة المدنية الحديثة بكل متغيراتها، الإيجابية والسلبية. ومن أدرك حياة الآباء والأجداد، ثم عاش في هذا العصر يتضح له سرعة التغيرات الاجتماعية، وكثير من الجوانب الحضارية الأخرى. والبعض يفصح ويعبر في اللقاءات العامة والخاصة عن هذه التباينات والاختلافات. أما الجيل الحديث الذي بدأ حياته من العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فلا يدرك الفرق الكبير، حتى وإن قرأ أو سمع عن حياة الأولين. ومنذ عقد ونصف تقريباً (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠٠٩-٢٠٢١م)، زادت التحولات الحضارية، وبخاصة الاجتماعية والإعلامية والتقنية الافتراضية، بنسبة كبيرة جداً، وما زالت في طريقها للارتفاع والزيادة^(٢). وطبقات المجتمع

من البحوث العلمية المطبوعة والمنشورة. وليس كلامي مقصوراً على بلاد الدرب، والحريضة، والقحمة، والبرك فحسب، وإنما هذه الأقوال تتسحب على جميع أراضي وسكان المملكة العربية السعودية، وبخاصة من بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). فأينما ذهبت وتأملت في ربوع البلاد السعودية تشهد هذه التغيرات الحضارية الكبيرة وبخاصة في الميادين الثلاثة المذكورة أعلاه (الطعام والشراب، واللباس والزينة، والعمارة والبناء). وهناك الكثير من الأسباب والعوامل التي جعلت الناس يتغيرون وتتحوّل حياتهم في هذه الميادين المختلفة. وأقول إن دراسة هذه الموضوعات في كل منطقة أو ناحية من المملكة العربية السعودية واجب على الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين كما أن مؤسسات التعليم العالي ممثلة في الجامعات ومراكز بحوثها العلمية يجب عليها أن تخدم هذا المجال الحضاري الكبير.

(١) هذا التقارب الحضاري، والابتكارات التقنية، وجعل الفضاء الإلكتروني، أو الافتراضي حاضراً بقوة في حياة الناس عامهم وخاصهم، خلق كما هائلاً من التحولات الحضارية الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، ولم ينح - حسب علمي - أحد من هذا الزخم الثقافي الإعلامي الذي تسلسل إلى كل شيء في حياة الإنسان.

(٢) إن العشرين عاماً الأخيرة (١٤٢٣-١٤٤٣هـ/٢٠٠٢-٢٠٢٢م) جديرة أن تدرس ويكتب تاريخها في عموم البلاد السعودية، وما حدث خلالها من تبدلات وتحولات اجتماعية وحضارية في جوانب كثيرة. مع ذكر الأسباب لهذه التغيرات، والآثار السلبية والإيجابية التي نتجت عن هذا التمدن والحضارة الحديثة. وإن قورنت هذه الفترة مع فترات سابقة فذلك أجمل وأكثر فائدة في ميدان التأصيل والبحث العلمي الموثق.

صغاراً وكباراً ، ذُكُوراً وإناثاً ، بل جميع سكان البلاد السعوديين ، وغير السعوديين من الوافدين عرباً وغير عرب ، مسلمين وغير مسلمين تأثروا واشتركوا في مفاسل الحياة الاجتماعية المعاصرة ، ولم ينج منهم أحد كل حسب وضعه الثقافي ، والجغرافي ، والديني ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والتعليمي التربوي . وترى أهل الحواضر والمدن الكبيرة والمتطورة تنموياً وحضارياً أكثر انخراطاً وتأثراً بالحياة الاجتماعية العصرية ، مقارنة بأهل الأرياف والقرى النائية والبوادي فمازالوا قريبين من حياة بلدانهم الرئيسية التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم ، ومنهم أعداد ليست قليلة يسعون إلى الجمع بين حياة بواديهم وأريافهم وحياة المدن والحواضر القريبة منهم أو التي سافروا إليها وشاهدوا حياة أهلها^(١) .

٤. وإن عرّجت على ميدان التعليم والثقافة في بلدان ساحل منطقة عسير وتهائمها ، أو في أي ناحية من نواحي السروات وتهامة ، فذلك موضوع واسع ومتعدد الفروع . لكن حتى مطلع هذا القرن (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) كان التعليم النظامي العام موجوداً في كثير من المدن ، والقرى ، والأرياف^(٢) . كما بدأ التعليم العالي في مدينة أبها ، عاصمة عسير وما جاورها^(٣) ، في منتصف تسعينيات القرن (١٤٠٠هـ / ٢٠م) ، وكان ذلك بإنشاء كليات جامعية علمية وأدبية ، ثم زادت وكثرت مؤسسات التعليم العالي في حواضر كثيرة من أراضي تهامة والسراة . وفي نهاية العقد الثاني من القرن (١٥٠٠هـ / ٢٠م) أنشئت جامعة الملك خالد في أبها ، وكانت بحق فتحاً كبيراً لعموم

(١) إن جل حديثي في هذه الرحلة عن بلاد البرك ، والقحمة ، والحريضة ، والدرب . لكن ما دونته في المتن ينطبق على هذه الأوطان المقصودة في هذه الورقات ، ويجري أيضاً على كل مدن ، وحواضر ، وقرى ، وأرياف المملكة العربية السعودية . وقد شاهدت ذلك في أمكنة كثيرة من هذا الوطن الكبير ، وكتبت ووثقت شيئاً من ذلك ، في دراسات سابقة ، عن أوطان وبلدان عديدة في جنوب البلاد السعودية من الطائف وجنوب مكة إلى جازان ونجران . وأناذي بوجوب دراسة التاريخ الاجتماعي الحضاري الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ بداية هذا القرن حتى الآن (١٤٠٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٨٠ - ٢٠٢١م) .

(٢) تاريخ التعليم العام النظامي بدأ في بعض مدن السروات وتهامة من منتصف القرن (١٤٠٠هـ / ٢٠م) ، واليوم صار عالمياً واسعاً من البشر والمنجزات الحضارية . لكن للأسف لا أجد دراسات تاريخية توثيقية رصينة حفظت هذا التطور الحضاري الذي أثر إيجاباً على حياة الأرض والناس منذ قرابة مئة عام . أرجو من كليات الآداب ، والعلوم الإنسانية ، واللغة العربية وأدائها ، والتربية ، والشريعة وأصول الدين أن تشجع أساتذتها وطلابها في الدراسات العليا على دراسة هذا الميدان الحضاري المهم ، وإصدار بحوث علمية رصينة في هذا المجال .

(٣) إن لي رحلة طويلة مع حاضرة أبها ، ففي الثلاثين عاماً الماضية أصدرت عدداً من الدراسات عن هذه المدينة التاريخية الحضارية ، التي كانت في وقت سابق عاصمة لمعظم بلدان السروات وتهامة ، واليوم هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير (مرتفعاتها ، وبواديها ، وسهولها ، وسواحلها) . ومازال هذه المدينة تستحق أن يصدر عنها كتب ورسائل علمية عميقة ورصينة .

جنوب البلاد السعودية، فقد خرج من تحت مظلتها عدد من الجامعات الأخرى في جازان، ونجران، وبيشة. وأنشئت أيضاً جامعات في الباحة، والطائف، وهناك فروع جامعية أخرى في القنفذة وتهامة عسير. كل هذا الازدهار المعرفي والتعليم الجامعي في السروات وتهامة جعل كل هذه البلاد بمدنها، وحواضرها، وقراها، وأريافها، وبواديها تعيش في ظل هذا التطور التعليمي العالي. وهذه المؤسسات التعليمية العالية تعمل بجد في أداء رسالتها، وما زال هناك مناطق بحاجة إلى كليات جامعية متنوعة. وبلاد البرك، والقحمة، والحريضة، والدرب من هذه الأوطان المحتاجة لهذه الخدمات الحضارية التنموية الحديثة^(١).

ب- وقفة مع الحياة الاقتصادية :

الاقتصاد مجال واسع، فلن أستطيع الإلمام بتاريخه في بلاد الدرب، والبرك، والقحمة، والحريضة في ورقات معدودة. فهذه البلاد مأهولة بالسكان منذ القدم، وعبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. ولها معالم جغرافية تجمع بين حياة البحر وسواحلها، وسهول تهامة ومرتفعاتها. ويتخللها دروب قديمة، وشوارع معبدة ومسفلتة حديثة. وقام فيها أسواق أسبوعية عديدة، وتشتمل اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) على عشرات الأسواق والمحلات اليومية المتنوعة، والكبيرة والصغيرة. وعمل أهلها قديماً وحديثاً في مهن عديدة كالزراعة، والصناعات والحرف اليدوية، والصيد البحري، وأحياناً الصيد البري، والرعي، والتجارة وغيرها. وجاء إليها في العقود الماضية الأخيرة أيد عاملة كثيرة سعودية وغير سعودية فساهموا وكسبوا من الأعمال الاقتصادية العديدة الحديثة والمعاصرة^(٢).

في هذه الوقفة أشير وأحث فقط إلى دراسة التاريخ الاقتصادي الحديث والمعاصر في بلاد تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى جازان. وبحث هذا الموضوع في بحوث عديدة جيدة لن يكون صعباً لتوفر الوثائق والسجلات اللازمة، وأيضاً وجود الرواة

(١) هذا الذي اتضح لي من خلال رحلتي الأخيرة في بعض محافظات ومدن منطقتي عسير وجازان في الفترة من (١٢-١٨/٢/١٤٤٣هـ). والجامعات المحلية القائمة حالياً في السراة وتهامة عليها واجبات كبيرة تجاه خدمة البحوث العلمية التي تصب في مصلحة الأرض والناس في عموم البلدان التهامة والسروية.

(٢) هذه خلاصة مختصرة عن مسيرة الاقتصاد في بلدان الدرب، والحريضة، والقحمة، والبرك. فقط أشير إليها في سطور معدودة من أجل تنبيه المؤرخين والباحثين المعاصرين في منطقتي جازان ونجران وغيرهما، لأن هذه الأوطان المذكورة في هذه الرحلة، وغيرها من بلدان السروات وتهامة مازالت بحاجة ماسة إلى دراسة تاريخها الاقتصادي عبر عصور التاريخ الإسلامي (١-٧هـ / ٧-٢١م). (والله من وراء القصد)

المعاصرين الذين عرفوا وساهموا في حياة الناس الاقتصادية والحضارية ، وأيضاً رؤية المعالم والمصادر المادية الظاهرة على الأراضي الزراعية المتناثرة في كل مكان ، والأسواق اليومية والأسبوعية المتعددة ، والأنشطة الحرفية والصناعية المختلفة ، ومهن الصيد ، والرعي وغيرها^(١) . وفي الصفحات التالية أقصر توثيقاً على شيء من طرق المواصلات المعاصرة ، بين هذه البلاد وغيرها ، وعلى لمحات من الأسعار والأجور التي شاهدها وجمعت شيئاً عن مادتها ، وهي على النحو الآتي :

١- إن الحديث عن طرق الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك المعاصرة ليست موضوعاً صغيراً ، فهناك طرق رئيسية وفرعية مسفلتة في كل ناحية ، وطرق فرعية داخلية مسفلتة وترايبية ، والترايبية كثيرة في القرى الداخلية لكل ناحية . وكل الطرق الآنف ذكرها خاصة بالسيارات ، وتتراوح أطوالها ، وجودة خدماتها ، وعرضها ، وأهميتها الحضارية والتنمية^(٢) . لكن الطريق الرئيسي العام الذي يسير من جازان إلى القنفذة ثم جدة ومكة المكرمة هو الشريان المهم الذي يمر من البلدان الأربعة (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) ، وله آثار إيجابية كثيرة في تنمية هذه الأوطان وتطويرها في شتى المجالات^(٣) . وفي الجدولين التاليين نوثق بعض الطرق البرية والمسفلتة المعاصرة التي تربط بين الدرب والبرك مع غيرها من الحواضر والمدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية^(٤) .

(١) إن التاريخ الاقتصادي لأي ناحية أو مجتمع ، يعد من التوثيق الحضاري لحياة الناس بجميع شرائحهم وطبقاتهم . ومن يقوم بذلك فإنه سوف يجد المتعة أثناء قراءته وتوثيقاته لحراك المجتمعات في أي ناحية ، أو أي زمن . والكتابة في التاريخ الحضاري المعاصر والعام يجب أن يكون دقيقاً ، فيدونه المؤرخ بكل أمانة ، وصدق ، وشفافية . ولا يتأثر بما قد يعترض طريقه من الأهواء ، والميول ، والرغبات الشخصية ، والموقف من استطاع إنجاز ذلك بكل حيادية ونزاهة .

(٢) أينما ذهبت في عموم السروات وتهامة تجدها مخدومة بطرق رئيسية وفرعية متفاوتة في الأطوال والأهمية . والطرق البرية المعبدة والمسفلتة في أي مكان من بلدان المملكة العربية السعودية من الركائز الأساسية لتطوير وتنمية أي ناحية . وقد التفتت الدولة لأهمية هذا الأمر منذ وقت مبكر ، فخططت واجتهدت ، ثم أنفقت بسخاء على هذا المجال التنموي المهم . وتاريخ طرق المواصلات البرية في أي منطقة أو ناحية من بلاد المملكة العربية السعودية موضوع مهم وجديد لدراسته خلال العصر الحديث (١٣١٩-١٤٤٣هـ/)

(٣) الصلات البرية بين اليمن والحجاز قديمة منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيط ، وبدايات الحديثة حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠) . ثم تغير الحال بعد ذلك وصارت السيارة هي الوسيلة الرئيسية في الثمانين عاماً الماضية . وطرق المواصلات ووسائل النقل في السروات وتهامة عبر عصور التاريخ موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث العلمية .

(٤) اجتهدت في الإشارة إلى بعض الطرق الرئيسية المسفلتة من الدرب والبرك إلى غيرها من مدن المملكة ، وذكرت المسافات بالكيلومترات ، وأكرر توصيتي بأن الطرق البرية الحديثة في المملكة العربية السعودية من ميادين البحث التاريخي المهمة والجيدة ويجب أن تخدم وتوثق من قبل الباحثين والمؤرخين في المملكة العربية السعودية .

جدول رقم (١)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة الدرب وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١-	الدرب - جازان	١٢٥ - ١٣٠ كم	
٢-	الدرب - الطوال	١٩٥ - ١٩٧ كم	
٣-	الدرب - صبيا	٩١ - ٩٣ كم	
٤-	الدرب - بيش	٥٨ - ٦٠ كم	
٥-	الدرب - أبها	٩٣ - ٩٥ كم	
٦-	الدرب - خميس مشيط	١٢٤ - ١٢٧ كم	
٧-	الدرب - نجران	٣٣٣ - ٣٣٥ كم	
٨-	الدرب - بيشة	٣٤٢ - ٣٤٥ كم	
٩-	الدرب - النماص	٢٣٦ - ٢٣٧ كم	
١٠-	الدرب - الباحة	٣٨٦ - ٣٨٨ كم	
١١-	الدرب - الطائف	٥٩٦ - ٥٩٨ كم	
١٢-	الدرب - وادي الدواسر	٤٩٥ - ٤٩٧ كم	
١٣-	الدرب - الخرج	١١١٤ - ١١٢٠ كم	
١٤-	الدرب - الرياض	١٠٣١ - ١٠٣٥ كم	
١٥-	الدرب - الحريضة	٤٠ - ٤٣ كم	
١٦-	الدرب - القحمة	٧٩ - ٨١ كم	
١٧-	الدرب - البرك	١٠٧ - ١١٢ كم	
١٨-	الدرب - القنفذة	٢٣٦ - ٢٣٨ كم	
١٩-	الدرب - الليث	٣٩٨ - ٤٠٠ كم	
٢٠-	الدرب - مكة المكرمة	٥٩٢ - ٥٩٥ كم	
٢١-	الدرب - جدة	٥٩٥ - ٥٩٨ كم	
٢٢-	الدرب - المدينة المنورة	١٠٠٩ - ١١١١ كم	
٢٣-	الدرب - تبوك	١٥٦٢ - ١٥٦٥ كم	
٢٤-	الدرب - عنيزة	١٢٠٩ - ١٢١١ كم	
٢٥-	الدرب - حail	١٤٢٢ - ١٤٢٥ كم	
٢٦-	الدرب - الجوف	١٨١٠ - ١٨١٤ كم	

جدول رقم (٢)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة البرك وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١-	البرك - القحمة	٣١ - ٣٣ كم	
٢-	البرك - الحريضة	٧٢ - ٧٥ كم	
٣-	البرك - الدرب	١٠٧ - ١١٢ كم	
٤-	البرك - بيش	١٥٩ - ١٦٢ كم	
٥-	البرك - صبيا	١٩٢ - ١٩٥ كم	
٦-	البرك - جازان	٢١٨ - ٢٢٠ كم	
٧-	البرك - الطوال	٢٨٥ - ٢٨٨ كم	
٨-	البرك - القنفذة	١٢٩ - ١٣٣ كم	
٩-	البرك - الليث	٢٩٠ - ٢٩٣ كم	
١٠-	البرك - مكة المكرمة	٤٨٠ - ٤٨٥ كم	
١١-	البرك - جدة	٤٩٠ - ٤٩٤ كم	
١٢-	البرك - ينبع	٨١٠ - ٨١٣ كم	
١٣-	البرك - المدينة المنورة	٩٠١ - ٩٠٥ كم	
١٤-	البرك - تبوك	١٤٣٥ - ١٤٥٧ كم	
١٥-	البرك - بريدة	١١٧٢ - ١١٧٥ كم	
١٦-	البرك - عنيزة	١١٢٠ - ١١٢٣ كم	
١٧-	البرك - الجوف	١٧٠٢ - ١٧٠٥ كم	
١٨-	البرك - حائل	١٣١٥ - ١٣١٧ كم	
١٩-	البرك - القريات	١٩٧٥ - ١٩٧٨ كم	
٢٠-	البرك - أبها	١٧٠ - ١٧٣ كم	
٢١-	البرك - النماص	١٨٦ - ١٨٨ كم	
٢٢-	البرك - الباحة	٢٧٩ - ٢٨١ كم	
٢٣-	البرك - الطائف	٤٩٠ - ٤٩٣ كم	
٢٤-	البرك - خميس مشيط	٢٢٨ - ٢٣٠ كم	
٢٥-	البرك - نجران	٤٣٧ - ٤٣٩ كم	
٢٦-	البرك - وادي الدواسر	٥٤٣ - ٥٤٥ كم	

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
٢٧-	البرك - الرياض	١٠٧٢ - ١٠٧٤ كم	
٢٨-	البرك - الدمام	١٤٨٠ - ١٤٨٢ كم	
٢٩-	البرك - الظهران	١٤٨٦ - ١٤٨٨ كم	
٣٠-	البرك - رأس تنورة	١٥١٦ - ١٥١٨ كم	
٣١-	البرك - الخبر	١٤٩٥ - ١٤٩٧ كم	
٣٢-	البرك - الخفجي	١٥٩٠ - ١٥٩٣ كم	

٢- أما الأسعار والأجور فهذا موضوع واسع إذا أردنا دراسته منذ عقود أو قرون. كما أنه صعب إن رجعنا إلى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وما قبلها، لأن المصادر المحفوظة أو المطبوعة لم توثق هذا الجانب، وجل المادة التي نستطيع الوصول إليها في ذلك الزمن تدور حول التاريخ السياسي والحربي. وإن بحثنا عن الوثائق فهي غير متوفرة حالياً، وربما ذكر النفوذ العثماني في عسير (١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٢ - ١٩١٨م) شيئاً من ذلك وبخاصة في الوثائق العثمانية التي مازال معظمها غير منشور، وأغلبها باللغة العثمانية وهي جديرة بالترجمة والتحليل^(١). أما التاريخ الممتد من عام (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) حتى الآن فمصادره ووثائقه موجودة بشكل كبير في وزارة المالية السعودية، وفي مركز محفوظات الوثائق بالرياض، وقد يأتي اليوم الذي يُفرج عنها وتدرس، وفيها تفاصيل كثيرة عن التاريخ الحضاري في عموم بلدان السروات وتهامة^(٢). وفي الفقرات التالية أسجل شيئاً من الأسعار والأجور التي سمعت عنها، ووقفت على بعضها في بلدان البرك، والدرب، والقحمة والحريضة خلال الأيام السبعة التي قضيتها في هذه البلاد من (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨-٢٤/١٠/٢٠٢١م)^(٣).

تتراوح أسعار الأراضي السكنية التي مساحتها من (٤٠٠ - ٦٠٠م^٢)، وربما (٧٠٠م^٢ أو ٨٠٠م^٢)، وفي مخططات معتمدة وأماكن جيدة متحضرة من الدرب إلى البرك من

(١) في دار الوثائق التركية في استنبول عشرات الآلاف من الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية، أمل أن تجمع وترجم ويعلق عليها، ومن المؤكد أن فيها تواريخ متنوعة عن بلاد الجزيرة العربية وسكانها خلال العصر الحديث.

(٢) هذا الذي عرفته وسمعت عنه خلال رحلتي العلمية البحثية في تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ أكثر من أربعين عاماً. أرجو من بناتنا وأبنائنا المؤرخين والباحثين الجادين أن يسعوا إلى حفظ صفحات من تاريخنا الحديث، ومن المصادر الأصلية الموثوقة، والوثائق بدون شك من أهم المصادر الرئيسية لهذا الميدان.

(٣) ربما يقول قائل لا فائدة من هذا التاريخ المعاصر الذي تدونه في وقتنا الحالي، وأقول إن هذا الكلام صحيح للناس في عصرنا الحاضر. لكن مع تقدم الزمن وفي عصور وقرون قادمة سوف تكون مادة مهمة، وتصبح مصادر أساسية وأصلية. وأسأل الله أن تكون كذلك.

(٢٠٠ - ٣٥٠) ألف ريال ، وأحياناً ترتفع إلى (٤٠٠ و ٥٠٠) ألف ريال في محيط المدن الكبيرة وعلى شوارع واسعة وجيدة^(١). والأراضي ذات المساحات المحدودة في القرى والأمكنة البعيدة عن المدن الرئيسية ، والموثقة بحجج وصكوك شرعية لا تزيد أسعارها عن الثمانين والمئة ألف ٠ ويوجد مواقع سكنية قد تكون أقل من هذه الأسعار . وفي حالة الأراضي السكنية التي ليست موثقة بصك أو حجة شرعية ، ومساحتها من (٤٠٠ - ١٠٠٠م^٢) ، فلا تزيد أسعارها في الأرياف والمواطن النائية عن عشرة وعشرين ألف ريال ، ونادراً أن يكون هناك أراضٍ أغلى من ذلك ، إلا إذا كان لها ميزة اقتصادية مهمة ، فتكون قريبة من منتجع أو أماكن سياحية معروفة وجميلة ، أو لها ميزة أخرى حضارية ترفع قيمتها^(٢). وهناك أراضٍ زراعية متفاوتة المساحات ، وعليها بعض الأوراق والصكوك والإثباتات الشرعية فهي غالية نوعاً ما ، فإذا كانت مواقعها جيدة ومساحتها كبيرة فقد تصل أسعارها إلى الخمسمائة ألف ريال. وهناك مزارع تقدر مساحتها بعشرات الآلاف من الأمتار ، وقد تتجاوز نصف كيلومتر في نصف كيلومتر ، أو (١ كم × ١ كم) فأسعارها تدخل في خانة المليون ريال فأكثر^(٣).

(١) هذا الذي وقفت عليه في بعض مكاتب العقار في مدن الدرب ، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك في الفترة من (١٢ - ١٨/٣/١٤٤٣هـ) . ومقارنة الأراضي السكنية في هذه البلاد مع بعض المدن الأخرى الكبيرة في السروات وتهامة مثل القنفذة ، والطائف ، والباحة ، والنماص ، وبيشة ، وأبها ، وخميس مشيط ، ونجران ، وصبيا ، وجازان . فالأراضي في هذه النواحي أغلى في أسعارها من الدرب والبرك وما بينهما ، فقد تصل بعض المواقع السكنية الجيدة في هذه المدن إلى المليون ريال ، وربما زادت عن هذا السعر . ومن يقارن أسعار الأراضي اليوم مع العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة حيث كانت في الماضي رخيصة فلا تتجاوز سعر الأرض الجيدة آنذاك المائتي ألف ريال ، ونادراً ما تصل أرض إلى الثلاثمائة ألف .

(٢) اطلعت على عشرات الوثائق الخاصة بالأراضي السكنية والزراعية في عموم السروات وتهامة . وبعضها تعود إلى الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فكانت أسعار الأراضي الجيدة جداً لا تتجاوز الهلّل أو القروش المعدودة ، وربما بيعت أراضٍ زراعية أو سكنية جيدة بصاع واحد من الذرة أو البر ، أو الشعير . وقس على ذلك فأسعار كل شيء آنذاك كانت ضئيلة جداً ، ثم بدأت الأسعار والأجور ترتفع شيئاً فشيئاً حتى التسعينيات من القرن نفسه ، وفي بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) قفزت الأسعار بشكل كبير ، وما زالت في ارتفاع وازدياد مطرد حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وأقول إن تاريخ الأسعار والأجور في أي منطقة أو مدينة أو حاضرة في بلاد السروات وتهامة من بداية القرن (١٤هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق الدراسة والتوثيق والتحليل ٠

(٣) كانت معظم بلاد السراة وتهامة إما زراعية أو رعوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) والأراضي التجارية والصناعية قليلة جداً . ثم إن الأراضي بشكل عام كانت رخيصة ، وكل إنسان متمسك بأرضه وبخاصة الأراضي الزراعية ، ويرى الناس حينها أنها جزء من أرواحهم وأجسادهم ، وما زال هذا الولاء والحب في قلوب سكان القرى والقبائل والعشائر حتى الآن ، لكن بنسبة أقل مما كان عند الأوائل . ومنذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تراجع اهتمام الناس بالزراعة ، وعملوا في وظائف ومهن أخرى عديدة ، ومن ثم تراجعت مهنة الزراعة ، وزادت نسب الاهتمام بالأراضي السكنية والاقتصادية ، ومن ثم انتشرت القرى والأحياء والمدن

من جولاتي في بعض قرى وأرياف بلدان البرك والدرب وما بينهما شاهدت أراض رعوية وأخرى زراعية، بعضها تخص بعض السكان أو العشائر في تلك النواحي، وأخرى أمكنة مشاعة في محيط بعض الأودية، أو الجبال، أو الشعاب والهضاب. ومعظمها رخيصة الأسعار وبخاصة القريبة من المستوطنات البشرية، أما البعيدة في أماكن وعرة أو نائية فلا أحد يسأل عنها، وربما استوطنها بعض البدو الرحل الذين يبحثون عن الماء والرعي، وأينما وجدوه حلوا حوله^(١).

تخضع أسعار المنازل السكنية الحديثة لمواقعها الجغرافية، فالتى في المدن والحوضر الكبيرة، وعلى شوارع جيدة وفسحة ومخدومة بالإضاءة والأسفلت وغيره. وبعضها في مخططات حكومية معتمدة قامت البلديات على إصلاحها وتهيئتها للبناء، أو مخططات سكنية أخرى خاصة خضعت للأنظمة والقوانين في البلديات ومؤسسات الدولة الأخرى المعنية^(٢). فغالباً سعر الدور الواحد متوسط المساحة مع مرافقه من (٤٠٠ — ٦٠٠) ألف ريال، والعمارات السكنية على الشارع العام الرئيسي الذي يسير وسط المدن (الدرب، والشقيق، والحريضة، والقحمة، والبرك) فأسعار الدور الواحد تكون أكثر من ذلك. وغالبية البيوت السكنية الحديثة في محيط المدن وما حولها. وترتفع أسعار الدورين والثلاثة، فقد تبدأ من (٨٠٠) ألف ريال، ويصل بعضها إلى المليون والنصف والمليونين وربما زادت عن ذلك حسب موقع كل عمارة، وجودة مواد بنائها، وديكوراتها الداخلية والخارجية. وهناك بعض الاستراحات الخاصة الصغيرة والمتوسطة في محافظتي الدرب والبرك، وقريبة من المدن الرئيسية أو في محيطها

الحديثة في كل مكان، وتحولت الكثير من الأراضي الزراعية إلى مقرات سكنية وتجارية وصناعية وسياحية وترفيهية. وأقول إن ما جرى على الأراضي التهامية والسروية من ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يستحق أن يدرس ويوثق مع الإشارة إلى الأسباب التاريخية والحضارية التي جعلت الناس يحولون أراضيهم من مواطن زراعية ورعوية إلى سكنية وتجارية وحضرية أخرى.

(١) إن المشاهد لأراضي المملكة العربية السعودية بشكل عام، وبلاد السراة وتهامة بشكل خاص يرى الكثير من الخيرات التي تمتلكها هذه الديار. فتتوزع الأراضي في تضاريسها ومواردها الطبيعية من العوامل الإيجابية التي تبني الحضارة والاقتصاد. والدولة في الفترة المتأخرة أدركت خيرات أراضيها في كل مكان، فرأت إصدار بعض التنظيمات الإدارية التي تحفظ حقوق الناس وامتلاكهم أراضيهم بطرق نظامية ورسمية، ومن ثم أنشأت منصة باسم (إحكام) ومن خلالها يستطيع كل فرد أو أسرة إثبات حقه وملكيته لأراضيه، ومن يسير حسب القوانين والأنظمة المطلوبة، فإنه في الأخير يحصل على مبتغاه، ومن ثم يتم حصر ملكيات الأراضي في كل مكان، وهذا مما قد يدفع عموم الناس إلى استثمار أراضيهم الخاصة فيما يعود عليهم بفوائد جمة وعلى البلاد بشكل عام.

(٢) شاهدت الكثير من المخططات الخاصة في مركز الحريضة، وأجزاء من محافظة الدرب وبخاصة مركز الشقيق. أما المخططات الحكومية التي عمرتها البلديات فهي قليلة، ويوجد في كل ناحية (الدرب، والحريضة، والقحمة، والبرك) بعضاً من هذه المخططات، وأغلبها صارت مأهولة بالسكان.

فأسعار الاستراحة الواحدة متوسطة المساحة تتراوح من (٢٠٠-٥٠٠) ألف ريال حسب موقعها وجودة تشييدها^(١).

وأسعار الأراضي والعمارات التجارية لا تقارن مع الأراضي والمنازل السكنية. وأثناء ترحالي في مدن البرك، والقحمة، والحريضة، والدرب. وجدت جل الأراضي التجارية تقع على الشوارع الرئيسية في كل مخطط حكومي، وأيضاً على الشارع العام الذي يأتي من مدينة جازان إلى مثلث الدرب، أو من كبري رجال ألمع إلى وسط مدينة الدرب ثم يواصل امتداده إلى البرك. فالمواقع على جانبي الشارع العام الرئيسي صارت مشيدة بأنواع العمارات وبخاصة وسط كل مدينة (البرك، القحمة، الحريضة، الدرب)، وهي مشغولة بالكثير من التجارات المتنوعة في معروضاتها، أو بالمهن الاقتصادية الصناعية والحرفية الأخرى، وقليل جداً جداً المعروض من أراضيها للبيع، وكذلك عماراتها. وأخبرني بعض أصحاب مكاتب العقارات أن أسعار العمارات الحديثة تقدر بالمليون فأكثر حسب حجم كل عمارة وموقعها، وارتفاع طوبقتها، ومدة عمرانها، وقد تصل أسعار العمارات الكبيرة والجديدة عدة ملايين، وربما وجدت أبنية تجارية صغيرة أو قديمة نوعاً ما فأسعارها عادة بمئات الآلاف. أما الأراضي والعمارات البعيدة عن وسط المدن على الشارع العام، وفي تجمعات بشرية كبيرة في المدن والمراكز، أو في المخططات الحكومية والخاصة، فأسعارها بدون شك أقل من الأبنية أو الأراضي التجارية السابق ذكرها. والعمارة وأراضي الساحل التجارية والسياحية من الدرب إلى البرك الواقعة بين الطريق العام وشاطئ البحر في كل حاضرة غالباً تكون غالية، وربما قربت من أسعار الأبنية والمواقع التي على الشارع العام، وبعضها قد تفوقها بنسبة كبيرة حسب مساحتها وموقعها السياحي والاقتصادي^(٢).

(١) لم تعرف عموم السروات وتهامة هذا التطور العمراني الحديث الذي تمر به منذ أربعين عاماً. وإنما كانت بيوت الناس قديماً صغيرة، محدودة المساحة، وتفتقد إلى الخدمات المعمارية والسكنية الضرورية. وكل هذه الأوطان كانت بادية، أو قرى، أو بلدات، وأحياناً مدناً صغيرة ومحدودة في جميع إمكاناتها. وتنوع في مواد بنائها، فمنها المشيد بالحجارة، أو الحجارة والطين، أو الطين، أو القش. ثم بدأ التطور العمراني الحديث تدريجياً من بداية التسعينيات، وبقيت العمارتان (القديمة والحديثة) تسيران جنباً إلى جنب حوالي عقد ونصف وربما أكثر، ثم تقدم العمران الحديث، وتراجعت العمارة القديمة حتى صار الناس اليوم يعيشون في أبنية وعمارات مسلحة حديثة، وهجرت معظم العمارات القديمة، واندرأ أغلبها، ومازال منها نماذج قليلة يسكنها بعض الفقراء، أو العمالة الوافدة من كل الجنسيات، لكن هذه الأبنية في طريقها إلى الزوال، إلا أن يظهر مشروع كبير مدعوم من الدولة وعموم السكان لترميم وصيانة هذا التراث العمراني الأصيل.

(٢) رأيت أراضي عديدة قريبة من شاطئ البحر، بعضها من أملاك الدولة، وأخرى أملاك خاصة لبعض الأفراد أو الأسر. ووقفت على بعضها، ففيها المساحات الصغيرة التي لا تتجاوز الألف متر مربع، وفيها

كما لاحظت كثيراً من الأراضي أو العمارات المستعملة بالعديد من التجارات والصناعات والحرف اليدوية أو الآلية^(١)، فكانت أجورها متفاوتة وتختلف من عمارة أراضٍ لأخرى حسب مساحة الموقع، وتعدد أدوار العمارة الواحدة، وأيضاً نوع المهن أو التجارات الممارسة. فالأسواق الحديثة والكبيرة اليومية تكون أجورها السنوية في مئات الآلاف وربما دخل بعضها في خانة الملايين، وكذلك الفنادق والشقق والشاليهات والوحدات السكنية، وهي في محافظة الدرب أعلى من غيرها من البلدان الأخرى. وقد سألت عن أجره بعض المحلات أو الدكاكين الصغيرة في كل المدن المعنية في هذه الرحلة، فوجدتها تتراوح من عشرات الآلاف سنوياً إلى مئات الآلاف^(٢).

أثناء تنقلي في نواحي محافظة الدرب والبرك، وفي بلدتي القحمة والحريضة زرت بعض الأسواق الشعبية الأسبوعية، واليومية الحديثة فوجدت بعض الملابس والزينة التراثية والمعاصرة، فكانت أسعار الملابس القديمة رخيصة فلا تزيد اللبسة الواحدة عن الريالات وأحياناً العشرات. أما الملابس وأدوات الزينة الحديثة فهي غالية حسب كمية اللباس ونوعه ومصدر صنعه. فاللبسة وأدوات الزينة المستوردة من ماركات أو شركات عالمية فأسعارها بمئات الريالات وأحياناً تدخل خانة الآلاف حسب النوع والحجم والكميات، وهناك البسة وأدوات زينة صينية وغيرها أرخص من السابقة^(٣).

أراضٍ واسعة تصل إلى الألف، بل عشرات الآلاف من الأمتار. وأسعار الصغيرة تقدر بمئات الآلاف، وإن كانت في مواقع استراتيجية وجيدة فقد تدخل خانة الملايين أما الأراضي الكبيرة فأسعارها بالملايين. (١) مثل ورش السيارات، أو دكاكين إصلاح المعدات والآلات الدقيقة، أو الكبيرة، والأسواق اليومية متنوعة المعروضات، أو الفنادق، والشقق والشاليهات، واستراحات أو صالات الأفراح، والملاعب الرياضية، وأعمالاً وحرفاً أخرى عديدة مهنية، وسياحية، وتجارية وغيرها.

(٢) كمحلات الحلّاقين، أو التجميل، والمطاعم والبوفيهات، وأماكن شرب القهوة وغيرها (كافيه شوب)، ومغاسل الملابس، وإصلاح البنّاشر وزيوت السيارات، والبقالات الصغيرة أو المتوسطة، وورش بعض السيارات، أو التقنيات، ومكاتب العقار، وبعض العيادات والمراكز الصحية الصغيرة الخاصة، وغيرها من الأعمال الاقتصادية المختلفة. وكل هذه الأنشطة الاقتصادية الحديثة لم تكن موجودة في هذه البلدان حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وإن وجدت فهي قليلة جداً في مدن الدرب يليها البرك والقحمة. ثم تطورت هذه الأوطان خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حتى صارت مكتظة بكل الأعمال الحضرية التجارية والاقتصادية المتعددة. وتاريخ التجارة والحرف الصناعية من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة والتوثيق في عموم بلدان السروات وتهامة من ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

(٣) تاريخ الألبسة والزينة القديمة والحديثة من حيث أشكالها، وطريقة صنعها، وأهميتها، وأسعارها في أي منطقة من بلاد السراة وتهامة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٢٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) موضوعات تاريخية حضارية حديثة ومعاصرة جديرة أن تدرس وتوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية ٠

وهناك الكثير من التجارات التي سألت عنها وعن أسعارها مثل: أدوات الزراعة، والطبخ، والبناء، والصيد، والرياضة، والنجارة، والتعليم والثقافة، والأواني المنزلية، ومعدات السيارات والآلات، وكذلك أنواع من الأطعمة والأشربة، واللباس والزينة، وسلعا متعددة أخرى، ثم خرجت ببعض الخلاصات العامة التي أدون بعضا منها في البنود الآتية:

١. جميع الأسواق الصغيرة والكبيرة مليئة بكل البضائع المتنوعة، ومعظمها مستوردة من خارج المملكة العربية السعودية، وبعضها وهي قليلة من داخل البلاد. كما أن الأيدي العاملة في هذه الأعمال الاقتصادية مازال أكثرهم غير سعوديين. ومؤخراً بدأت نسبة السعوديات والسعوديين تزيد في هذه الأعمال، لكنها مازالت ضئيلة جداً^(١).

٢. كانت هذه البلاد التي زرتها مؤخراً، الدرب والبرك وما بينهما، وعموم البلاد السعودية متواضعة في إمكاناتها الاقتصادية حتى عقود متأخرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم فاض الخير على الناس وفي كل مكان. والواجب على جميع السعوديين (ذكوراً وإناثاً) أن لا يُفوتوا الاستفادة من هذه الطفرة الحضارية والاقتصادية، ثم يساهموا بالعمل الفعلي من خلال الأعمال التجارية، والحرفية الصناعية، وغيرها من الوظائف اليدوية والتقنية. وهذا الذي تحتاجه بلادنا في الوقت الحاضر وفي كل مكان^(٢).

٣. نحن أمة لنا هوية وطنية وتراث معنوي ومادي عريق. كما أن بلادنا بحاجة في كل الوجوه والميادين. ولا ننكر أننا قطعنا أشواطاً وخطوات كثيرة وإيجابية، لكننا مازلنا نتطلع ونطمح إلى العلو والارتقاء، ولا ننسى العمل الحثيث في الحفاظ على هويتنا وعراقتنا العربية الإسلامية، ومن ثم فلا نعزف، أو نتعالى، أو نتأفف من الاستفادة مما عند الآخرين ويصب في بناء حضارتنا المعنوية والمادية إيجابياً، ونأخذ بالقول (الحكمة ضالة المؤمن أي مكان وجدها أخذها)^(٣).

(١) تعيش البلاد طفرة حضارية واقتصادية كبيرة من تسعينيات القرن الهجري الماضي، ومازال السعوديون حتى الآن يتجنبون الانخراط بشكل كبير في المهن والحرف والتجارات الاقتصادية. مع أنها ميادين ربحية لمن يصبر ويعمل بجِد وإخلاص.

(٢) أرصد وأوصي بهذه الأقوال، لأنني عشت سنين الجوع والفقر والحاجة في ثمانينيات القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، ورأيت الآباء والأجداد كيف كانوا لا يأنفون من العمل في أي مهنة يكسبون من خلالها قوتهم وكسب أرزاقهم. ثم تطور الأمر وتحولت حياة الناس من جوع وفقر إلى غنى ونعمة وترف. والواجب على الجميع أن لا ينسوا ذلك الماضي الصعب الشاق، وأن يستلهموا الصبر والعمل والدروس النافعة من تاريخ الآباء والأجداد.

(٣) هذا الذي يجب أن نسير عليه حكومة وشعباً، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، أغنياء وفقراء، وإن اتخذنا جميعاً الطريق الإيجابي فمن المؤكد أننا سوف نستمر في مسيرتنا نحو البناء والتطور الحضاري المفيد. وأسأل الله أن يجعلنا جميعاً من الذين يقولون القول فيتبعون أحسنه وأفضله. (والله من وراء القصد).

٤. معظم السلع والتجارات والأغراض التي وقفت عليها وسألت عن أسعارها غالبية جداً مقارنة بعقود قريبة ماضية. وفي السنوات العشر الأخيرة (١٤٣٢-١٤٤٣هـ/٢٠١١-٢٠٢١م) ارتفعت الأسعار في كل شيء وبخاصة بعد إضافة الضريبة المضافة (١٥٪). وكثير من البضائع الصغيرة والكبيرة التي كانت تشتري قبل عشرين أو ثلاثين سنة مثلاً بريالات معدودة، أو بعشرات الريالات فلا تشتري اليوم إلا بالمئات. فمثلاً الدجاجة المطبوخة مع الأرز في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت لا تتجاوز عشرة ريالات، واليوم بلغت أربعين ريالاً. كذلك الخروف أو التيس كان لا يتجاوز (٢٠٠-٣٠٠) ريالاً، ونادراً يصل (٤٠٠-٥٠٠) ريال. واليوم لا يقل عن الألف ريال لصغير الحجم، أما كبير الحجم فيصل سعره إلى ألفي ريال، وربما زادت عن ذلك. وقس ذلك على جميع البضائع من ألبسة وزينة، وطعام وشراب، وأدوات البناء، والزراعة، والصيد، وحرف ومهن أخرى كثيرة^(١).

أما الأجور فهي الأخرى مرتفعة أيضاً، فأجرة العامل العادي باليومية (١٢٠-١٥٠) ريالاً، والعامل الفني كالكهربائي، والسباك، والمبيلط، والدهان فأجرته ضعف أجرة العامل العادي. وقد يعمل كل من العامل العادي والفني بالاتفاق العام (القاطوعة) لإنجاز عمل محدد، ويجري الاتفاق بين صاحب العمل والعمال، وغالباً تكون عالية مقارنة بالعقود الأولى في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)^(٢).

وأجور العقارات بشكل عام الأراضي، والفنادق، والشقق المفروشة، والمحلات التجارية والصناعية والحرفية فجميعها مرتفعة، فمنها الذي يقدر بالآلاف للسنة كاملة، وأخرى بعشرات الآلاف، والأجور الكبيرة تدخل في خانة مئات الألوف سنوياً. أما الأجرة باليومية، كاستئجار غرفة أو غرف في فندق، أو شقق مفروشة فأجورها بالمئات من (١٠٠-٥٠٠) ريال، وربما زادت قليلاً في بعض الشاليهات أو المواقع السياحية الجيدة في كل من الدرب، والشقيق، والحريضة، والقحمة، والبرك^(٣).

(١) من يدرس ويتأمل في الأسعار والأجور في أنحاء العالم خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٠-٢٠٢١م) يجدها قفزت قفزات كبيرة جداً، حتى أن أسعار الكثير من البضائع تضاعفت ثلاث وأربع وخمس مرات. وما زالت جميع الأسعار حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في صعود مخيف، ونسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(٢) هذا الذي عرفته وعاصرته من آخر القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فالأجور أيضاً ارتفعت أضعافاً عما كانت عليه. والأجور بشكل عام سادها الارتفاع والزيادات على ارتفاع الأسعار في كل شيء.

(٣) زرت وسكنت في بعض الفنادق والشاليهات في هذه النواحي فكانت أجورها متفاوتة من (٢٠٠-١٠٠٠) ريال حسب الموقع، وجودة العمارة المسكونة، وعدد الغرف أو الأجنحة المستأجرة. والأجور في هذه الأمكنة السياحية تضاعفت في السنوات الأخيرة، وأعتقد أنها في ازدياد بعد تطوير بعض الواجهات البحرية والشواطئ المتعددة من الدرب إلى البرك.

وأجور المواصلات من الدرب والبرك وما بينهما إلى أي مكان في السروات وتهامة ، أو أي مدينة أو حاضرة في المملكة العربية السعودية ، فتتراوح أجرة المسافر من عشرة وعشرين وثلاثين ريالاً للفرد الواحد في البلدان المتقاربة ، مثل الدرب الحريضة أو البرك ، أو البرك محاليل عسير ، أو القحمة القنفذة ، أو الدرب ببش . أما الأمكنة البعيدة فتدخل في أرقام أكبر من العشرات الكثيرة إلى ما فوق المئة ريال وقد تصل إلى مئات الريالات ، وربما أكثر إذا كان المسافر ذهب في سيارة أجرة أو خاصة ومع مسافرين آخرين في نفس السيارة . أما إذا كان المسافر في سيارة مستقلة وطلبية خاصة (مشوار) فالأجرة تتضاعف ثلاث وأربع وخمس مرات حسب طول الطريق ، وصعوبتها ، أو الأغراض الخاصة بالمسافر ، فإذا كانت ثقيلة وكثيرة فحتماً الأجرة تكون أعلى^(١) .

وأجور نقل البضائع ارتفعت اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عن عشرين وثلاثين سنة سابقة . فالسيارة الكبيرة التي تنقل البضائع والسلع داخل المدن المعنية في هذه الرحلة (البرك ، الدرب ، القحمة ، الحريضة) تقدر بالعشرات ومئات الريالات حسب طول المسافة ، ونوعية البضائع المنقولة . أما إذا جلبت أغراض وبضائع من مدن كبيرة في السروات وتهامة كخميس مشيط ، وجازان ، وأبها ، والقنفذة ، والباحة فأجور السيارات الكبيرة تقدر بمئات الريالات ، وأحياناً تتجاوز الألف ريال وبعض العشرات . أما أجور سيارات النقل الصغيرة فهي أقل ، لكنها لا تنزل إلى خانة العشرات ، وإنما تبقى في المئات . والنقل من مدن كبيرة وبعيدة كالرياض ، والدمام ، وجدة وغيرها فالأجور بالآلاف^(٢) .

أما أجور المعدات المحلية كالحراثات ، والشبيلات ، والرافعات ، والخلاطات ، وغيرها من الآلات المستخدمة في مجالات البناء والتشييد للعمليات الخاصة والعامة ، وفي ممارسة بعض المهن الزراعية والصناعية وغيرها . فغالباً تدفع أجرتها بالساعة

(١) عملت في مهنة سياقة التاكسي من عام (١٣٩٧-١٤٠١هـ/١٩٧٧-١٩٨٠م) وسافرت إلى مواطن عديدة في البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، وذهبت أيضاً إلى مدن جدة ، والرياض ، والمدينة المنورة . وكانت أجرة نقل المسافرين آنذاك داخل المدن وخارجها قليلة ومتواضعة ، فقد يذهب المسافر من الدرب أو أبها إلى الطائف بثلاثين وأربعين ريالاً ، أو إلى النماص ، أو القنفذة ، أو ببش وصبيبا وجازان بـ (١٠-١٥) ريالاً للفرد الواحد . وإن ذهب الواحد في سيارة بطلبية خاصة فلا تزيد عن (١٥٠-٢٠٠) ريالاً من الدرب إلى الطائف ، أو من البرك إلى الطوال مثلاً . مع أن الطرق آنذاك صعبة وضيقة وغير مخدمة كما نشاهدها اليوم ، ومع ذلك فأجور المواصلات في وقتنا الحاضر زادت وارتفعت كثيراً عما كانت عليه قبل ثلاثة عقود .

(٢) سألت وشاهدت حركة نقل البضائع في حواضر كثيرة من المملكة العربية السعودية وبخاصة بلدان السروات وتهامة خلال الثلاثين عاماً الماضية ، وقد ارتفعت بعض وسائل النقل أضعافاً عديدة ، وارتفعت أجرة كل شيء .

وتتراوح من (٣٠) و (٤٠) ريالاً إلى (٢٠٠) ريال حسب الآلة المستخدمة . فخلطات الإسمنت الكبيرة والمتطورة تؤجر مع الخرسانة بالمتر المكعب الذي يتراوح من (١٥٠-٢٠٠) ريالاً . أما الحراثات ، والعرجات ، والشيولات فتعمل بالساعة ، وأجرتها لا تخرج عما أشرت إليه أعلاه^(١) .

والحديث عن الأجور والرواتب في القطاعات الحكومية والخاصة موضوع كبير جداً ، لكنها كانت في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) قليلة جداً ، وفي الأربعينيات والخمسينيات من القرن نفسه تدفع بالقروش القليلة ، وأحياناً تعطى آنذاك مواد عينية كالحبوب وغيرها . ثم ارتفعت الرواتب تدريجياً حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وقفزت قمزات كبيرة حتى صارت في خانة الآلاف لجميع العاملين في القطاعين العام والخاص ، ومنهم أعداد كثيرة ، في خانة عشرات الآلاف^(٢) .

ج- وقفة مع الحياة الصحية :

عرف أهل تهامة في القرن الهجري الماضي وما قبله حياة صحية شاقة ، لعدم وجود الخدمات الطبية ، والاعتماد على الله (عز وجل) وعلى موارد طبيعتهم من نباتات وغيرها ، والتطبب ببعضها في علاج أمراضهم المتنوعة . وقد وثقت صفحات من تاريخ الطب في بلدان السروات وتهامة خلال عصور ماضية^(٣) ، كما أشرت إلى معلومات محدودة عن الطب الحديث الذي عرفته هذه البلاد منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٥هـ/٢١م)^(٤) .

(١) كانت حياة الناس في الماضي شاقة وصعبة ، واعتمادهم الكلي على عضلاتهم وعمل أيديهم ، ثم جاءت الآلات الحديثة المتنوعة فخدمت البشر في جميع أعمالهم الحرفية المختلفة . وكانت أجورها في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) معقولة ومتقاربة ، ثم ارتفعت مع ارتفاع الأسعار والأجور الأخرى .

(٢) هذا الذي أطلع عليه في عشرات الوثائق والسجلات . ومع ارتفاع الرواتب في العقود الماضية المتأخرة ارتفعت أيضاً الأسعار والأجور والمعيشة بشكل عام . وتوثيق تاريخ الرواتب ، والأجور والأسعار في شتى الجوانب من عام (١٣٨٠-١٤٤٣هـ/١٩٦٠-٢٠٢١م) من الموضوعات الكبيرة ، حبذا أن نرى باحثين جادين يؤرخون لهذا الميدان الحضاري المهم .

(٣) أقول إن تاريخ الطب والتطبيب في عموم بلاد تهامة والسراة حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق أن يدرس ويوثق بطريقة تفصيلية . وهناك بعض المصادر والمخطوطات والرواة المعاصرين الذين لديهم معارف تفيد في خروج مثل هذه البحوث العلمية . وللمزيد انظر صفحات متفرقة عن الحياة الصحية في جنوب المملكة العربية السعودية في بعض مؤلفاتي عن الحياة الصحية التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية . وفيها بعض المفاتيح والإشارات التي تساعد من يعمل في هذا الميدان المهم .

(٤) حظيت الحياة الصحية في معظم الحواضر ، والمدن ، والحواضر الجنوبية السعودية بتأسيس الكثير من المراكز الصحية ، ثم المستشفيات الكبيرة والصغيرة العامة والخاصة ، ثم جامعات حكومية وكليات خاصة وفيها العديد من الكليات الطبية الصحية المتنوعة في مجالاتها ، وهناك حالياً أيضاً مدن طبية تقام في

وأثناء رحلتي من الدرب إلى البرك في الفترة من (١٢ - ١٨/٣/١٤٤٣هـ) وقفت على عدد من المستشفيات الحكومية الحديثة وفيها تخصصات طبية متعددة ، والكثير من المتخصصين في فروع صحية متنوعة تقوم على خدمة كل الفئات ، الصغار والكبار ، الذكور والإناث ، السعوديين وغير السعوديين . ناهيك عن المقرات لهذه الخدمات ففيها المستشفيات الحكومية الكبيرة ، والمراكز الصحية المتفرقة في نواحي هذه البلاد التهامية ، وفي أبنية تتفاوت في مساحاتها ، وعدد أدوارها ومرافقها ، ومنها المستأجرة ، وأخرى حكومية رسمية^(١) . والقطاع الخاص استثمر وفتحت مراكز صحية عديدة في الدرب ، والشقيق ، والقحمة ، والبرك ، وهي تمارس أعمالها في المجال الصحي ، متعدد الجوانب . وما زالت عموم تهامة من مكة المكرمة إلى جازان تحتاج مزيداً من هذه الخدمات الطبية الخاصة . أمل أن نرى مستشفيات كبيرة خاصة ونوعية في خدماتها بهذه البلاد الشاسعة ، والمكتظة بالسكان المحليين والوافدين^(٢) .

وعن جائحة كورونا (كوفيد - ١٩) التي اجتاحت العالم منذ عامين ، ولم تسلم المملكة العربية السعودية من شرها وآثارها السلبية ، لكن الدولة ممثلة في وزارة الصحة السعودية بذلت قصارى جهودها في محاربة هذا المرض المعاصر ، ومن ثم كانت البلاد السعودية لجميع سكانها (المواطنين والوافدين) من أقل بلدان العالم خسارة في الأرواح^(٣) .

حواضر عديدة . ناهيك عن الكوادر البشرية في هذا القطاع الكبير فهم بالآلاف في كل التخصصات الطبية الجسدية والنفسية وغيرها . والتاريخ الصحي في مناطق المملكة العربية السعودية الجنوبية جدير بالدراسات البحثية العلمية من تسعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . مكثت سبعة أيام أتجول وأشاهد الكثير من الميادين الحضارية والتنمية . وقطاع الصحة من المؤسسات الحكومية التي نالت الكثير من الدعم والرعاية الحكومية . كما أن سكان البلاد ازداد وعيهم الثقافى والصحي ، مقارنة بالأباء والأجداد الذين كانوا محدودى الإمكانيات المادية والمعرفية التعليمية والبحوث المقارنة بين حياة الناس اليوم والأوائل حتى سبعينيات وثمانينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) جديرة أن تتجز من قبل المؤرخين الجادين المنصفين .

(٢) إن الناظر بعين دقيقة وصادقة عن تاريخ الطب والتطبيب في المملكة العربية السعودية من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، فإنه يقف على تطور واسع جداً رأسياً وأفقياً . كما يرى آلاف الطبييبات والأطباء السعوديين الذين ساهموا في كل مجال في هذا القطاع الحيوي ، والكثير منهم تفوقوا وأبدعوا ، وصار لهم منجزات عالمية متنوعة . ناهيك عن المعدات الطبية والمشاريع العمرانية الصحية فهي مجال رحب ومتشعب ولا تكفي عشرات المجلدات البحثية لإلمام بهذا التقدم والتطور الحديث والمعاصر . وأقول إن الجامعات والكليات وأقسامها يجب أن تتحمل المسؤولية وتوثق التنمية التي تعيشها البلاد السعودية خلال الخمسين عاماً الماضية ، وهذا في اعتقادي من واجباتها .

(٣) ذكرت بعض التوثيقات والإرهاصات التي أحدثها هذا المرض في أجزاء سابقة من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وأشارت إلى شيء من أحوال الأرض والسكان في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) . وهذا المرض في العالم ، وفي المملكة العربية السعودية يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث

وفي فترة سيرى في بلدان الدرب ، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك سألت الناس عن آثار هذا المرض على بلادهم وسكانها ، وهل مازال موجودا بينهم . فقال لي بعضهم أنه وصل إلى عدد من مدننا وقرانا وحواضرنا ، ومنهم من فقد حياته بسبب هذا الطاعون لكنهم مازالوا قلة مقارنة بمدن ومناطق أخرى في المملكة . كما أن جميع الناس ، عامهم وخاصهم ، كانوا متجاوبين مع إرشادات وزارة الصحة وتعليماتها من حيث التباعد في الاجتماعات العامة والخاصة ، وفي الصلاة في المسجد ، ولبس الكمائم ، والكثير منهم يحملون معهم سجاداتهم أثناء الصلاة في المساجد ، وهذا مما جعل الإصابات بهذا المرض قليلة ^(١) .

وأثناء سيرى في هذه الرحلة المعنية في هذه الصفحات ، كان مرض كورونا قد تراجع كثيراً ، ورفعت كثير من القيود مثل التباعد الجسدي في الصلاة أو حتى في الاجتماعات العامة . ولبس الكمائم بقي مطلوباً عند دخول الإنسان أي منشأة أو دائرة حكومية ، ومعظم الناس أخذوا جرعتي اللقاح . وفي هذه الأيام ، مطلع شهر جمادى الآخرة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وأنا أدون هذه السطور هناك نداءات كثيرة لأخذ جرعة ثالثة ، وقد تكون إلزامية لكل الناس في الأسابيع القادمة . وتتداول وسائل الإعلام أن هناك فصيلة جديدة من فيروس كورونا بدأت تنتشر في العالم ، وآثارها وصلت بعض مدن المملكة ، ووزارة الصحة تدعو حالياً لأخذ الحذر والحيطه ، والحث على أخذ الجرعة الثالثة من اللقاح . كما أن طالبات وطلاب الجامعات ، والمرحلتين المتوسطة والثانوية عادوا إلى مقاعد الدرس في مدارسهم وكنياتهم ، أما طالبات وطلاب المرحلة الابتدائية فمازالوا يدرسون عن بعد خوفاً من انتشار المرض مرة أخرى . وكل الناس في أنحاء المملكة مثلهم مثل غيرهم مازالوا قلقين وخائفين من هذه الجائحة المرضية المعاصرة ، لما نتج عنها ، من آثار سلبية كثيرة على مستوى العالم ^(٢) .

التوثيق التاريخية . أمل أن نرى بعض المؤرخين والباحثين المعاصرين فيدرسون آثاره في السعودية ، وكيف ثم محاربته ، وما هي نتائجه الإيجابية والسلبية حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) .

(١) إن الناس في عموم المملكة كانوا متقيدين بالتعليمات التي أصدرتها وزارة الصحة منذ البداية ، إلى أوقات الحجر الكلي والجزئي . وربما كان هناك نماذج قليلة غير ملتزمة ، وقد طبقت العقوبات المالية المفروضة على بعضهم . لكن وضع السكان بشكل عام كان جيداً أثناء تعاملهم الداخلي والخارجي مع هذا الوباء .

(٢) من يقرأ التاريخ يعرف أن هناك أمراض فتاكة حلت ببعض بلدان العالم على مر التاريخ . لكن هذا المرض الحديث (كورونا - ١٩) لم يسبق له مثيل من قبل من حيث الانتشار والرعب الذي أصاب جميع سكان العالم . وقد كثرت الأقوال عن أسبابه ، وهل هو بفعل فاعل؟ أم حدوثه كان طبيعياً كأي مرض آخر وحتى الآن لا يعرف الناس في أرجاء الكرة الأرضية عن أسباب حدوثه . والتاريخ سوف يكشف حقيقته بدون شك ، لكن ربما لا يكون في الوقت الحالي ، والذهول مازال جاثماً على كل الناس حتى الآن .

رابعاً : خلاصة آراء ووجهات نظر :

إن شبه الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها ، وعلى وجه التحديد بلدان السروات وتهامة الواقعة بين حواضر الحجاز الرئيسية في الشمال ، وبلدان اليمن الكبيرة في الجنوب من أقل الأوطان التي خدمت توثيقاً وبحثياً في مجالي التاريخ والآثار منذ العصر الحجري إلى القرن (١١هـ / ١٧م)^(١) ، وبعد هذا الزمن حتى وقتنا الحاضر دُرس ووثق صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر ، ومازال هناك الكثير من الحقب ، والموضوعات والميادين التي تستحق أن تدرس في عشرات بل مئات البحوث والكتب والرسائل العلمية^(٢).

والرحالون والرحلات الميدانية من المجالات المهمة والرئيسية في مجال دراسة تاريخ الأراضي والشعوب . وسكان وأراضي شبه الجزيرة العربية ذكرت كثيراً في مدونات الرحالة منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر حقب التاريخ الإسلامي حتى يومنا الحالي . والمحظوظ من المؤرخين والباحثين الذين أدركوا وتعاملوا مع هذا النوع من المصادر ، ففيها علوم ومعارف يصعب أن نجدها في موارد علمية أخرى . ثم إن الموفق من الرحالين من وثق رحلته ابتغاء وجه الله ، ثم التقصي والحرص الشديد على قول الحق والصدق ، والبعد عن التدليس ، أو التضليل ، أو التزييف الذي يضر من كتبه قبل أن ينفع من كتب له أو عنه^(٣).

في هذا القسم اقتصرنا في توثيقات على نوعين من المادة العلمية الأولى رحلة الرحالة الإنجليزي فيلبي (أو الحاج عبد الله فيلبي) الذي اجتاز بلاداً تهامية ساحلية ، من الدرب إلى البرك في بدايات النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ، ووثق

(١) هناك القليل من البحوث المطبوعة والمنشورة التي بحثت بعض العناوين والموضوعات في تلك العصور القديمة ، والإسلامية المبكرة والوسيط ، لكنها مازالت محدودة جداً في مادتها العلمية ، والأزمة والأمكنة التي وثقت شيئاً من تاريخها وتراثها .

(٢) نعم الكثير من الباحثين والمؤرخين والآثاريين وكذلك كليات وأقسام أكاديمية عديدة خدمت هذه القرون الثلاثة والنصف من (١١هـ / ١٧م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، لكن - كما ذكرت أعلاه - مازال هناك الكثير وبخاصة في الميادين الحضارية والأثرية تحتاج إلى خدمة ورعاية أكبر وأكثر من قبل أصحاب التخصص سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات علمية أكاديمية .

(٣) اطلمت خلال رحلتي العلمية التي تجاوزت خمسين عاماً على الكثير من الكتب والمدونات (العربية والأجنبية) التي اعتمدت معلوماتها على ميادين الرحلات وفي علوم وميادين شتى ، ورأيت الكثير منها قام على تقصي الحقائق والمصادقية العالية ، وبعضها كانت أقل من ذلك . كما وقفت على رحلات دُونت لأهداف متعددة ، ولا تخلو من التضليل ، أو التعصب لأمر أو ناحية أو فرد أو شعب ما ، وأحياناً تخرج عن ميدان الاتزان النفسي والعقلي ، ومن ثم يتخللها فقرات ونصوص جارحة ، أو بذيئة ، أو عدائية أو غيرها من العيوب والزلات .

صفحات من تاريخ وحضارة هذه البلاد التهامية السعودية العربية . وتشتمل تلك المدونات على تفصيلات كثيرة يصعب أن نجد لها في أي مصدر آخر . كما أن نسبة الدقة في الرصد والمصادقية عالية جداً ، لكنها أيضاً لم تسلم من بعض الأخطاء الوصفية لعدد من الأمكنة والمعالم الجغرافية . لهذا قمت بإيراد النصوص الرئيسية لفيلبي ، ثم اجتهدت في تصحيح ما استطعت ، ولا أدعي أنني أتيت على كل شيء يحتاج إلى تصويب ، لكن أزعم أنني عالجت وصححت أغلبها مع إيراد تعريفات وتوضيحات أكثر في هوامش الدراسة ^(١) .

أما النوع الثاني من تأليف هذا القسم ، فقد قمت برحلة ميدانية في البلاد التي زارها فيليبى قبل (٨٨) عاماً ، وتجولت في ربوع هذه الأوطان عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وبذلت ما في وسعي لتدوين صفحات من تاريخها وحضارتها المعاصرة ، ولم أقتصر على الروايات أو المقابلات التي أجريتها مع بعض أعلام البلاد ، وإنما ارتحلت وشاهدت ووثقت ما استطعت ، ثم التقطت العديد من الصور الفوتوغرافية لمعالم كثيرة من البلدان الخمسة (الدرب ، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) . ولا أدعي الكمال والتمام فيما وثقته ، لكنني بذلت الاستطاعة ، وأسأل الله الإخلاص في القول والعمل ، كما أسأله (عز وجل) الأجر والثواب ^(٢) .

(*) من التوصيات التي أسجلها في هذا العمل العلمي المتواضع والمحدود ، أذكر شيئاً من ذلك في النقاط الآتية :

١ . إن عموم بلاد السراة وتهامة قد وردت في الكثير من كتب الرحالة العرب والمسلمين وغير المسلمين منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . والواجب على المؤرخين والباحثين أن يتلفتوا إلى هذا النوع من المصادر فتجمع وتدرس وتحقق ويصوب ما بها من أخطاء ، ويضاف عليها ما يمكن من تعليقات وشروحات تصب في خدمة ميادين العلم والمعرفة .

٢ . جاء إلى هذه البلاد (السراة وتهامة) الكثير من العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤرخين ، وبعض العسكريين السياسيين والإداريين وغيرهم . وقد يكون بعضهم

(١) إن فيليبى من الرحالة الكبار الذين عرفتهم تاريخ البشرية خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، والرحالة الغربيون قدموا الكثير في خدمة تراث البشرية وبخاصة تاريخ وحضارة وموروث البلدان العربية والإسلامية . وبعض كتبهم ترجمت إلى العربية والكثير مازال ينتظر الترجمة والتحقيق الجيدين .

(٢) ما من شك أن يظهر في هذا العمل الذي أنجزته عيوياً وزلات ، وآمل من يجد شيء من ذلك أن ينبهني إليه ، حتى أصوبه في طباعات قادمة ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

دون مذكراته ، أو انطباعاته أو مشاهداته عبر عصور التاريخ التي زار فيها هذه الأوطان ، أو أقام فيها وعاش حتى الممات . ومثل هذه المصادر تعد من الكنوز الثمينة التي تعكس شيئاً من تراث وحضارة هذه البلاد العربية الماجدة ، ويجب أن نجتهد في البحث عنها ، وقد نعثر على شيء من ذلك .

٢. عرفت ثم عاصرت الكثير من الأساتذة العرب وغير العرب الذين جاءوا للعمل في عموم السروات وتهامة منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومعظمهم كانوا يعملون في قطاع التعليم ، وكان لبعضهم ذكريات ومذكرات ومقطوعات نثرية وشعرية عن البلاد التي عملوا فيها ، وقد عثرت على نماذج من هذه المدونات ، ومن يبحث في هذا الميدان فمن المؤكد أنه سيجد شيئاً من هذه المصادر التاريخية والحضارية التي بدون شك تحتوي على معلومات وتفاصيل قد لا نجدها في أي مصدر أو مكان آخر^(١).

٤. أحث أساتذة الجامعات ، ومن لديه خبرات وتجارب جيدة تستحق أن يُطلع عليها ويستفاد منها أن يوثقها في مسودات ويحفظها أو يدفعها إلى من يحفظها لعلها تطبع وتشر في قادم الأيام . كما أن حياتنا العصرية الحالية أشغلتنا بأمور ثانوية لا تعود علينا ولا على بلادنا وأهلنا بفائدة ، والواجب على كل رب قلم ، أو من يجد في نفسه القدرة على توثيق شيء من تاريخ عصره ، فالواجب أن يدونه ويحفظه بالكتابة ، وقد يأتي زمن يفيد في توثيق صفحات من حياة هذا العصر^(٢).

(١) انني منذ زمن أنادي المؤرخين والباحثين في بلادنا أن يبحثوا في تراث أساتذة التعليم وأعضاء هيئة التدريس الذين قدموا من خارج المملكة العربية السعودية ، أو بعضهم من داخلها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن ، وسوف يجدون منهم علماء وأساتذة كبارا لهم ذكريات وموروث وتاريخ عن أهلنا وبلادنا ، كانوا قد وثقوه وجمعوه ، لكنه لم ينشر ، وإنما قد يكون في حوزة بعضهم إن كانوا على قيد الحياة ، أو عند ورثتهم أو ربما كان هناك مدونات وتقارير علمية وحضارية من تأليفهم موجودة في أراشيف وزارة التعليم وغيرها من مؤسسات الدولة .

(٢) من تجربتي في البحث والتأليف حوالي أربعة عقود ، وجدت معظم الناس لا يرغبون في توثيق ما يعرفونه ويعيشونه ، وإن طلبت من بعضهم الكتابة أو التوثيق لأمر ما ، أو لتاريخ وأحداث عرفوها أو عاصروها ، فلا تجد من يسمع ويتجاوب معك إطلاقاً ، وإن تجاوب معك أفراد فهم بنسبة ضئيلة جداً .

ملحق الصور الفوتوغرافية
الخاصة برحلي من الدرب إلى البرك
في الفترة من (١٢ - ١٨/٣/١٤٤٣هـ)
والمنشورة في القسم الثالث في كتاب
(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)
الجزء رقم (٢٥)



الصورة رقم (١): جزء من أحد احياء مدينة الدرب



الصورة رقم (٢): مدخل مستشفى الدرب داخل حي أبو السداد



الصورة رقم (٣): أحد أرصفة الطرق الرئيسية داخل مدينة الدرب



الصورة رقم (٤): جزء من السوق الشعبي في مدينة الدرب



الصورة رقم (٥): طرف آخر من السوق الشعبي في محافظة الدرب



الصورة رقم (٦): منظر آخر من السوق الشعبي في الدرب



الصورة رقم (٧): جامع المثلث في مدينة الدرب



الصورة رقم (٨): مقر بلدية الدرب عام (١٤٤٣هـ)



الصورة رقم (٩): بعض حدائق محافظة الدرب على الطريق الرئيسي الى محافظة بيش



الصورة رقم (١٠): حدائق أخرى في الدرب على طريق جازان الرئيسي



الصورة رقم (١١): جزء من الطريق العام في مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٢): بلدية الشقيق عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣): منظر لوادي ريم عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٤): منظر لحديقة المملكة في محافظة الدرب



الصورة رقم (١٥): منظر جمالي في مدخل مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٦): جزء من شاطئ مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٧): منظر آخر لشاطئ مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٨): منظر لمهرجان الدرب الشتوي عام (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)



الصورة رقم (١٩): نموذج من البيوت الحجرية القديمة في محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٠): منظر جوي لطريق أبها المؤدي الى محافظة الدرب



الصورة رقم (٢١): منظر لحي (قرية القائم) وسط حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٢): منظر لسيارات المتنزهين الذي يذهبون من أبها الى محافظة الدرب في فصلي الشتاء والربيع



الصورة رقم (٢٣): سوق المواشي والاعلاف بمحافظة الدرب



الصورة رقم (٢٤): شاطئ السميرات في محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٥): خور السميرات في حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٦): منظر لقرية الدرب القديمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٢٧): وادي عتود في حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٨): منظر آخر لوادي عتود على ضفافه بعض قرى وأحياء محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٩): جامع الوالدين في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٠): مبنى بلدية الحريضة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٣١): منظر لأجزاء من وادي عرمرم في مركز الحريضة



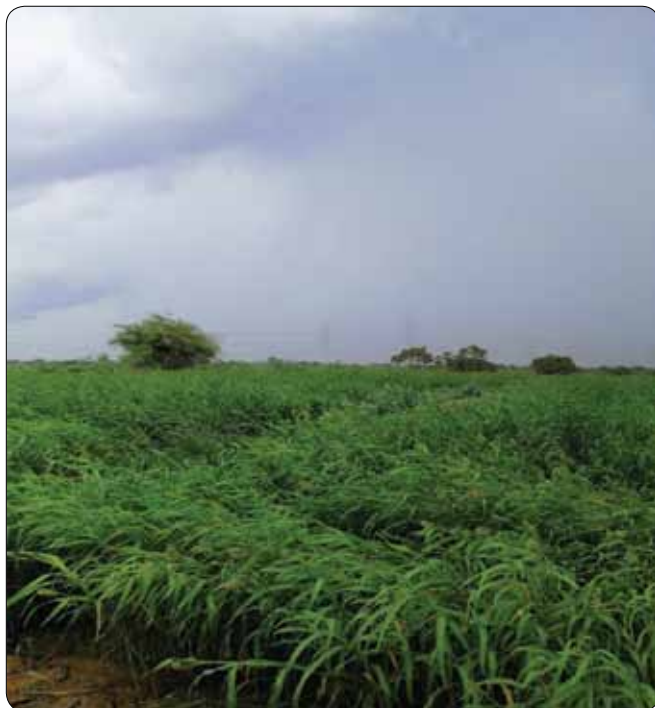
الصورة رقم (٣٢): شعب فريقة جنوب جبال لبيا بمركز الحريضة



الصورة رقم (٣٣): جبل لبيا وماحوله في بلاد الحريضة



الصورة رقم (٣٤): نبتة السكب في بلاد الحريضة وماحولها



الصورة رقم (٣٥): مزارع الذرة في وادي عرمرم بمركز الحريضة



الصورة رقم (٣٦): بعض شجر الدوم في العين الحارة بالحريضة



الصورة رقم (٣٧): جبل حصن بن معوادي في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٨): جبل امحشاي في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٩): منظر لوائي السائلة في بلاد الحريضة



الصورة رقم (٤٠): جزء من وادي نهب في مركز الحريضة



الصورة رقم (٤١): منظر لأحد الشوارع في بلدة القحمة القديمة



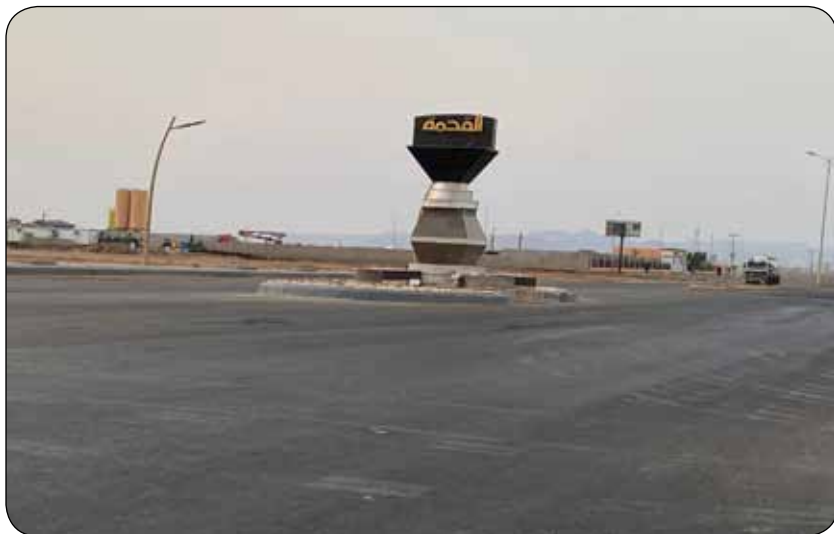
الصورة رقم (٤٢): طرف من البحر وجبل الوسم في مركز القحمة



الصورة رقم (٤٣): أحد أحياء وشوارع مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (٤٤): طرف من سوق مركز القحمة الاسبوعي عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (٤٥): منظر جمالي في مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٦): منظر لأحد الأجزاء القديمة في مركز القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٧): طرف من جبل الخرماء في مركز القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٨): جزء من شاطئ مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٩): حي العالية في مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٠): منظر لجزيرة كدمبل التابعة لمركز القحمة



الصورة رقم (٥١): منظر عام لمدينة البرك عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (٥٢): مقر محافظة البرك عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (٥٣): جزء من البحري في محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٤): منظر آخر لبحر محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٥): إحدى المدارس الحكومية في مركز عمق بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٦): طرف من شاطئ النهود بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٧): خزان ماء في مركز ذهبان بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٨): جزء آخر من شاطئ النهود في محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٩): منظر آخر لبعض العشش في مركز عمق بمحافظة البرك



الصورة رقم (٦٠): منظر لوسط مدينة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦١): أحد الجوامع الرئيسية في حاضرة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦٢): مقبرة على ساحل مدينة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦٣): أحد الأبنية الحكومية في مركز ذهبان بمحافظة البرك
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)

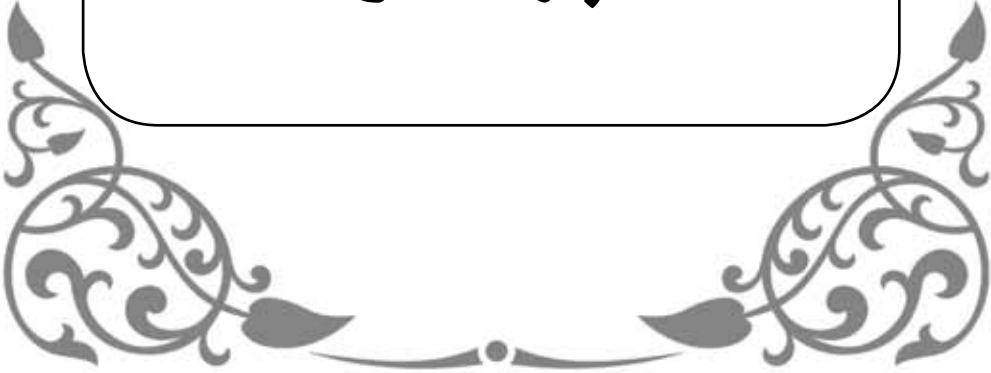


الصورة رقم (٦٤): نماذج من العشش في مركز عمق بمحافظة البرك
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



القسم الرابع

رحلات ومشاهدات في
تهامة والسراة خلال
العصر الحديث والمعاصر
(الجزء الأول)



القسم الرابع

رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول)^(١)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مقدمة .	٣٣٨
ثانياً :	تنومة والنماص في مدونات بعض الرحالة المسلمين في القرن (١٤هـ / ٢٠م) . بقلم . أ . د . غيثان بن علي بن جريس .	٣٤٠
ثالثاً :	رحلتي في محافظات تنومة ، والنماص ، والمجاردة في الفترة من (٦-١١ / ٢ / ١٤٤٣هـ الموافق ١٣-١٨ / ٩ / ٢٠٢١م) . أ . د . غيثان بن علي بن جريس .	٣٦٨
رابعاً :	خلاصة آراء وتوصيات	٤٩٧

أولاً : مقدمة :

إن البلاد السروية والتهامية مترامية الأطراف ، لها موقع استراتيجي يتصل بجنوب شبه الجزيرة العربية وغربها ، وشرقها ، وشمالها . وفيها الكثير من المقومات الحضارية التي جعل الكثير من الناس يستوطنونها عبر العصور . وقد ذكرت بعض أعلامها الجغرافية في المصادر اللاتينية والسريانية وغيرها . وحفظت كتب التراث الإسلامي شيئاً من تراثها وموروثها ، ناهيك عن الآثار المادية والنقوش والرسومات الصخرية فقد ساهمت في ذكر صفحات من تاريخها وحضارتها^(٢) .

(١) هذا العنوان عام ، وكتب في نهايته مصطلح (الجزء الأول) على أمل أن يكون هناك أجزاء أخرى لاحقة .
وجميع الرحلات التي ستدرج في هذا القسم ، أو أقسام أخرى ، أو مجلدات قادمة سوف تكون في محيط بلاد السروات وتهامة من مكة والطائف إلى جازان ونجران في العصر الحديث والمعاصر .

(٢) كل المصادر المذكورة أعلاه وثقتت نتفا من تراث وحضارة هذه البلاد العربية الماجدة ، لكن الذي درس وخرج للقراء والباحثين مازال ضئيلاً ، ونحتاج من يفوص في أعماق هذه المؤلفات الكلاسيكية ، ثم يستخرج ويحلل ويوثق ما يتعلق بهذه الأراضي التهامية والسروية . والواجب على الكليات والأقسام المتخصصة في جامعاتنا المحليين أن تساهم في البحث عن هذا التراث ثم تدرسه وتشره .

وعلماء الرحلات والجغرافيا من العرب والمسلمين الأوائل، ساحوا في مواطن عديدة من شبه الجزيرة العربية، وكتبوا عنها ووثقوا صفحات من تاريخها خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيط. ولم تكن أوطان السروات وتهامة في منأى عن أقلامهم ومدوناتهم، فحفظوا لنا لمحات من تراثها العربي والإسلامي. وإذا كنت قد جمعت شذرات من سجلاتهم وتوثيقاتهم، إلا أنه مازال هناك الشيء الكثير المفقود، وقد يظهر شيء منه في قادم الأيام ^(١).

في هذا القسم أنشر عملين علميين في عالم الرحلات والرحالة عن بلاد تنومة، والنماص، والمجاردة. الأول: تنومة، والنماص، والمجاردة في مدونات بعض الرحالة المسلمين في القرن (١٤٠١هـ/٢٠٢٠م) ^(٢). والثاني: رحلتي وغيري في محافظات تنومة ^(٣)، والنماص، والمجاردة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) الموافق شهر سبتمبر عام (٢٠٢١م).

(١) جمعت صفحات من أقوال ومدونات الرحالة المسلمين الأوائل، كما ارتحلت في الكثير من مناكب هذه البلاد السروية والتهامية، وأمل أن أوصل البحث العلمي وأجد مادة علمية جديدة تكشف شيئاً من تراث هذه الأوطان خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى (١-١٠هـ/٧-١٦م). للمزيد انظر، محمد بن أحمد مَعْبَرٌ. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (٢-١٥هـ/٨-٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (مجلدان) (١١٠٤ صفحات).

(٢) عدد هؤلاء الرحالة خمسة، واحد تركي مسلم هو سليمان شفيق باشا، والأربعة الآخرون عرب، وجميعهم عاشوا في الحجاز وعسير، وهم: (١) الشريف شرف البركاتي. (٢) فؤاد حمزة. (٣) محمد عمر رفيع. (٤) يحيى إبراهيم الألمي. وجميعهم يستحقون أن يصدر عنهم دراسات وبحوث توثيقية ترصد جهودهم وأعمالهم التاريخية والحضارية.

(٣) معظم مادة المحور الثاني، رحلة ميدانية قمت بها في المحافظات الثلاث (تنومة، والنماص، والمجاردة)، وسبب إضافة كلمة (وغيري) في العنوان الرئيسي لهذه الرحلة الميدانية لأنه شاركني في هذه الرحلة شخصان كريمان. الأول: الدكتور عبدالله بن بلقاسم البكري الشهري. والثاني: الأستاذ: علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهري. فالبكري سجل بعض انطباعاته ومشاهداته عن محافظة النماص. وابن سرده وثق شذرات من تاريخ محافظة المجاردة الحديث والمعاصر. لهذا فضلت الاستفادة من هذه المادة العلمية، وتوثيقها، على أمل أن تكون مفاتيح علمية تفيد من قد يدرس هاتين المحافظتين ويوثق تاريخهما وحضارتهما في أعمال علمية مطولة وكاملة. (والله من وراء القصد).

ثانياً: تنومة والنماص في مدونات بعض الرحالة المسلمين في القرن (١٤هـ/ ٢٠م)^(١) . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً: مدخل.		٣٤٠
ثانياً: تنومة والنماص في مذكرات سليمان شفيق باشا .		٣٤٠
ثالثاً: الشريف شرف البركاتي يوثق شذرات من تاريخ تنومة والنماص .		٣٤٦
رابعاً: وقفات مختصرة لفؤاد حمزة عن تنومة والنماص.		٣٥١
خامساً: تنومة والنماص في مدونات محمد عمر رفيع .		٣٥٣
سادساً: تنومة والنماص كما شاهدها يحيى بن إبراهيم الألمي .		٣٥٩

أولاً: مدخل :

حديثي في هذا العنصر مركز على توثيق بعض المعلومات والمدونات لرحالة ، وبعضهم رجال إدارة وسياسية ، جاءوا إلى سروات تنومة والنماص في فترات متفرقة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، وسجلوا بعض مشاهداتهم لشيء من تاريخ الأرض والناس في هذه الأوطان . وعدد هؤلاء الرحالة خمسة ، جميعهم يدينون بالإسلام ، وأربعة منهم من أصول عربية، هم : الشريف البركاتي ، وفؤاد حمزة ، ومحمد عمر رفيع ، ويحيى بن إبراهيم الألمي . والخامس ، وأولهم تاريخياً ، من أصول تركية ، هو سليمان شفيق باشا^(٢) .

ثانياً: تنومة والنماص في مذكرات سليمان شفيق باشا :

سليمان شفيق بن علي كمال باشا ولد في شرق تركيا عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) ، وتخرج ضابطاً في الكلية الحربية في اسطنبول ، ذهب مع والده عندما كان والياً لولاية طرابلس وبنغازي في ليبيا . كما رافق والده في رحلة عمل إلى الحرمين الشريفين عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م) ، ثم أرسل إلى الخدمة العسكرية العثمانية في اليمن في الفترة من (١٣١١-١٣١٢هـ/ ١٨٩٣-١٨٩٥م) . ثم صار متصرفاً للواء إقليم عسير وقائداً للجيش هناك في الفترة من (١٣٢٦-١٣٣٠هـ/ ١٩٠٨-١٩١٢م)^(٣) . ثم نقل إلى قيادة الجيش

(١) ذكرت مصطلح (المسلمين) في هذا العنوان ، لأنني قد أجد مستقبلاً رحالة غير مسلمين وثقوا شيئاً من تاريخ وحضارة بلاد تنومة والنماص ، وإذا حصل ذلك أخرجت دراسة أخرى توثق مدوناتهم ومشاهداتهم .

(٢) سوف أدون شيئاً من سيرهم في صفحات قادمة ، مع أن كل واحد منهم يستحق أن يفرد له بحث أو دراسة مستقلة .

(٣) التاريخ السياسي والعسكري والحضاري في بلاد عسير خلال الحكم العثماني الأخير (١٢٨٨-١٣٢٧هـ/ ١٨٧١-١٩١٨م) يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية مع توخي الدقة والحياد والإنصاف .

العثماني في سوريا، وفي سنة (١٣٣١هـ/١٩١٢م) أصبح والياً على البصرة، وقائداً للفيلق العثماني هناك. ثم أسندت إليه إدارة الوزارة الحربية عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م). وبعد سيطرة كمال أتاتورك على مقاليد الحكم في تركيا صدر بحق الكثير من رجالات الدولة العثمانية حكم الإعدام، وكان سليمان شفيق من ضمن أولئك المحكوم عليهم، فهرب إلى مصر، واستقر بها سنوات عديدة، ثم صدر العفو بحق من صدر في حقهم حكم الإعدام، فعاد سليمان إلى اسطنبول عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، ووافته المنية هناك (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) ^(١).

من آثار سليمان شفيق باشا العلمية أنه دون الكثير من رحلاته ومشاهداته في منطقة عسير، خلال الفترة التي بقي فيها متصرفاً لإقليم عسير (١٣٢٦-١٣٣٠هـ/١٩٠٨-١٩١٢م)، ثم نشرها في حلقات متتالية في جريدة الأهرام المصرية، وبقيت تلك المقالات متفرقة في الجريدة حتى قبض الله الشيخ حمد الجاسر أن يقابل الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ويقترح عليه جمع تلك المدونات أو المقالات في كتاب واحد، فلم يكن على العقيلي إلا الترحيب بالفكرة، وتم جمعها وترتيبها في كتاب بعنوان: مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، وقام نادي أبها الأدبي مشكوراً بطباعة ونشر هذا العمل العلمي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ^(٢).

احتوى الكتاب على مادة علمية جديدة يصعب أن نجد لها في مصدر آخر، وبخاصة عن الأجزاء السروية لمنطقة عسير الممتدة من محافظة النماص إلى بلاد وادعة وقحطان ^(٣). وكثير من مادة الكتاب وثقت من خلال التجارب والمشاهدات والرحلات لسليمان باشا في نواحي عديدة من بلاد عسير. وقد خص بلاد تنومة والنماص بوضع صفحات بعد أن سار إليها، والتقى بأهلها، وشاهد بعض معالمها ^(٤).

(١) كما نعلم أن الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل كان حريصاً ومجتهداً على استقطاب الشخصيات المتعلمة والبارزة في بلدان عربية وإسلامية عديدة، وكان سليمان شفيق باشا من أولئك الرجال، لكنه لم يعد إلى شبه الجزيرة العربية، وفضل الإقامة في مصر، ثم عودته إلى تركيا ووفاته هناك.

(٢) يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً، فهو يحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية عن منطقة عسير في نهاية العشرينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويقع الكتاب في (٢٠٦) صفحة من القطع المتوسط، وقد أجري على هذا السفر بعض الدراسات، وأضيف له بعض الحواشي والتعليقات.

(٣) هذا الكتاب يستحق أن يدرس في هيئة رسالة علمية، أمل أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في أحد أقسام التاريخ بالجامعات المحلية فيكون عنواناً لأطروحته العلمية لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه.

(٤) تجول سليمان شفيق باشا في أجزاء عديدة من سرورات عسير، فذهب إلى معظم المناطق المحيطة بمدينة أبها وخميس مشيط، كما ذهب في سرورات قحطان حتى وصل بلاد وادعة، وخرج من أبها عبر بلاد بلحمر، وبللسمر حتى دخل بلدتي تنومة والنماص. والجميل في مادة هذه المذكرات أنها صدرت من المسؤول الأول في إقليم عسير، ثم إنه على علم جيد باللغة العربية وعادات ومعارف وتقاليد العرب.

كان وصول سليمان شفيق باشا إلى تنومة في آخر سنة له في أبها عام (١٢٣٠هـ/١٩١٢م)، وذكر أن أهالي تنومة وشيوخها كانوا غير موالين للنفوذ العثماني في عسير، وهم موالون للإدرسي في صبيا، لهذا قرر أغلبهم الهروب من حاضرة تنومة عند قدومه إليها، ولهذا اجتهد في إخبار الناس إلى أنه قدم بلادهم ليس لحربهم والنيل منهم، وبعد اتصالات ومراسلات عديدة بين المتصرف سليمان باشا والشيخ شبيلي بن العريف تم اللقاء بينهما، وأجرى القائد سليمان بعض البروتوكولات الإدارية والعسكرية، وأرسل إلى قائم مقام النماص الشيخ عبد الله بن ظافر باشا يخبره وجوده في تنومة، وأنه متوجه إلى النماص قريباً^(١). ومما قال: "أرسلت نجاباً خاصاً إلى بلدة النماص، قاعدة بني شهر التي تبعد عن سوق السبت ثمان ساعات إلى الشمال، ومع النجاب كتاب إلى حاكم بني شهر، وهو الشيخ عبد الله ظافر باشا، أعلمه فيه بمجيئي، واطلب إليه أن يعلن ذلك للأهالي والقبائل، وإنني إنما حضرت لتأليف القلوب، ولا أنوي قط الاعتداء على أحد، وإنني سأحضر إلى بني شهر بعد بضعة أيام، فينبغي أن تتخذ التدابير لنزول الجند فيها"^(٢).

ويذكر المتصرف سليمان باشا بعض التوثيقات الحضارية عن سوق سبت تنومة، ومعالماً أخرى في المحافظة، فيقول: "إن سوق السبت من منازل (بني ثيلة)، أحد أفخاذ بلحارث وشيخ مشايخ بني ثيلة هو شبيلي بن محمد، وهو رجل ذو شخصية بارزة متصف بالشجاعة والنشاط والمروءة، وإنما سميت هذه البلدة (سوق السبت)، لأنه قام فيها في كل يوم سبت سوق عظيمة تقصدها القبائل من جميع الأطراف، لتبيع فيها ما تأتي به من نتاجها، وتشتري ما يعرض فيها من الأقمشة والغاز والبنادق الحربية والرصاص"^(٣).

"وعقبة تنومة الواقعة على مسافة أربعة أكيال من سوق السبت إلى الجنوب الغربي، هي أسهل العقبات للقادم من تهامة إلى جبال عسير، ومن الممكن صعود

(١) مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، جمع وترتيب محمد بن أحمد العقيلي (نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٤. من يستقرئ وضع متصرفية الحكم العثماني في ذلك الزمن، يجد أنها كانت تحرص على ضبط المنطقة فكانت في أيدي أعيانها وشيوخها، ولهذا فالأوضاع كانت مضطربة وغير مستقرة، وهناك حروب وصراعات دائمة بين قبائل الإقليم وجيوش الدولة العثمانية. والتاريخ العسكري في عصر المتصرفية موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرسه دراسة تحليلية توثيقية، أرجو أن نرى مؤرخاً جاداً منصفاً يتولى إنجاز هذا الموضوع.

(٣) للمزيد عن سوق السبت في تنومة، انظر: رشاد عبد الله الطنيزي الشهري. "سوق سبت تنومة في سروات بني شهر في العصر الحديث والمعاصر" بحث منشور في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق ١-ق ١٥هـ/ق ٧-ق ١٦م). ط ١ (١٤٢٨هـ/٢٠١٧م)، و (الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، (الجزء الحادي عشر) ص ١١٤-١٥٨. ووقع المؤلف في خطأ اسم منازل بني (ثيلة)، والصحيح (أثلة).

البغال والأنقال إليها إلا العربات وأمثالها ، وبسبب هذه العقبات كان لسوق السبت أهمية عسكرية ، وإذا لم تكن قبيلة بلحارث وأهالي بني شهر موالين للدولة لا يمكن اجتياز هذه العقبة" (١) .

ويواصل سليمان باشا حديثه عن رحلته في سروات بني شهر ، فيقول: " وبعد أحد عشر يوماً رحلت من تنومة في الصباح فدخلت في وادي عسير (٢) ، وهذا الوادي يمتد باعوجاج من الجنوب إلى الشمال وفيه مياه وزرع ، والجانب الشرقي منه يعلو مقدار مائتين أو ثلاثمائة متراً ارتفاعاً شاقولياً تقريباً (٣) ، وأما الجانب الغربي فإنه ذو ميل تقوم فيه الأشجار وفيه معدن الكبريت وبعض النحاس ، ومن ورائه سلسلة جبال ذات ميل خفيف يبلغ ارتفاعها بين مائة متر وخمسين . ولما وصلنا إلى " عقبة القامة " في نهاية هذا الوادي وجدنا أهالي بني شهر محتفظين بالعقبة بناءً على إشعار سابق مني إليهم " (٤) .

" وعقبة القامة يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة متر ، وفيها طريق ذو التواء يصلح لمرور جميع أنواع الأثقال والأحمال فيه ، فتقدمت أنا فيه مع مشايخ القبائل فصعدنا إلى العقبة ، حيث وجدنا في أعلاها عبد الله ظافر باشا قائمقام بني شهر وأعيانها ومشايخها . ويوجد في رأس العقبة قرية اسمها " البردة " (٥) فدخلناها ولبثنا فيها ننتظر وصول الجنود وما معهم من الأثقال ، وبعد وصولهم تقدمت مع المشايخ وزعماء بني شهر نحو بلدة النماص ، وهي على مسافة ثلاث ساعات من هذه العقبة ، ولما وصلنا إلى النماص لم أنزل في الدار التي أعدها لنا عبد الله ظافر باشا ، بل نزلت في منزل سعيد بك الفائز رغبة مني في إدخال السرور عليه " (٦) .

" بلدة النماص تتألف من ثلاثمائة منزل ، وأما منزل آل الفائز فهو منزل فخم عظيم ، يتألف من عدة مبان كثيرة شامخة تصلح للحصار والدفاع ، ومبنية على رأس

(١) المقصود بهذه العقبة (عقبة ساقين) التي كانت تسلكها بعض الجيوش العثمانية أو الحجازية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ٢٠-٢١م) ، وهذه العقبة تستحق أن تكون موضوعاً لبحث علمي موثق .

(٢) إيراد كلمة (عسير) خطأ ، والمقصود بالوادي عثربين ، وهو أحد أودية ثومة المتوسطة .

(٣) الشاقولي : أي الطولي عكس الأفقي .

(٤) عقبة القامة مازال يطلق عليها الاسم نفسه حتى الآن ، ويسكن معظم أجزائها عشائر وقرى شهرية من قبائل العوامر . كانت صعبة المسالك ، واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) صارت سهلة ، وأصبحت طريقاً مزدوجة تسلكها معظم السيارات الصغيرة والكبيرة .

(٥) مازالت هذه القرية قائمة حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) وتعود في قبيلة بلحارث من بلاد العوامر . وفي أعالي عقبة القامة قرية الميفاء ، وتشرف على العقبة ، وهي أيضاً من قرى بلحارث .

(٦) الشيخان عبد الله بن ظافر ، وسعيد بك الفائز من أعيان قبيلة بني شهر ، وهما من بيت العسالة بالنماص ، شيوخ سلامان بني شهر .

عقبة سنان التي تعلو عن سطح البحر ألفين ومائتي متر^(١) . وهي على مسافة مائة وستين كيلومترا من القنفذة في الشرق ، لطيفة الهواء ، وفي مكان متوسط من بلاد عسير ، ولجميع الأسباب المتقدمة تعد ذات أهمية كبرى من الوجهة العسكرية^(٢) .

" وجميع منازل " النماص " فخمة مبنية بالحجارة ، وهي ذات طبقتين أو ثلاث طبقات، وجدران المنازل مطلية بالكلس " الجير " ، وأهاليها يمتازون عن غيرهم بلباسهم وعاداتهم ، بل بألوانهم وأسلوب معيشتهم . وأستطيع أن أقول أن أهالي بني شهر أعرق أهالي عسير حضارة وتهذيباً^(٣) . والقبائل التي تحيط ببلدة النماص هي قبائل " العوامر " و " شهر سلامين " ^(٤) . وعقبة سنان على طريق المسافر من بني شهر إلى القنفذة ، وفيها صخور الغرانيت على مسافة ثمانمائة وخمسين متراً من رأس العقبة إلى آخرها ، ولا يستطيع اجتيازها غير المشاة . وبعد الانتهاء منها تبدو قرية " الماشي " ^(٥) على مسافة أربع ساعات من العقبة ، ويأتي بعد هذه القرية " وادي خاط " ، ويلتقي به " وادي شري " ^(٦) ، والمرحلة الواقعة عند ملتقى الواديين هي المرحلة الأولى وبعدها مرحلة أخرى في تهامة عند وادي " بيا " بعد اجتياز " جبل ثربان " الذي يبلغ ارتفاعه ألفي متر^(٧) . وليس على هذا الطريق قرى ، وإنما يصادف الإنسان في الطريق قبائل بدوية تسكن الخيام ، ويعد وادي " بيا " يأتي " سوق الجمعة " وهو المرحلة الثالثة وفيه مجمع القبائل كل يوم جمعة ، ومن سوق الجمعة تتغير الوجهة نحو الغرب الشمالي إلى " بني

(١) مازالت بعض قصور آل فائز العسابة ماثلة للعيان ، والمتجول في سروات رجال الحجر ، (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) يلاحظ الكثير من القصور والحصون الكبيرة التي تعود ملكيتها لبعض الأسر والأعيان والشيوخ في هذه البلاد . وتاريخ العمارة القديمة في بلاد السراة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) عقبة سنان من العقبات التي يادر أهالي مدينة النماص وخاط في تهامة بفتحها في بداية هذا القرن . (١٥هـ / ٢٠م) ، وأصبحت في عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) مفتوحة ومسفلتة ، وفي عام (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) بدأ العمل في طريق أخرى تنزل من جنوب مستشفى النماص ، وافتتحت هذا العام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وأطلق عليها اسم (عقبة التوحيد) .

(٣) ليس سليمان شفيق باشا الوحيد الذي ذكر بعض الصفات الجيدة التي يتصفون بها بني شهر ، وإنما هناك رحالة وأرباب قلم زاروا النماص وذكروا العديد من الأوصاف والطبائع الجميلة التي شاهدها عند أهالي بني شهر . أما الحديث عن المنازل والعمارة فذلك موضوع كبير وعموم السروات متنوعة في أبنيتها ومرافق عمارتها تستحق أن تدرس في عمل علمي موثق ومطول مدعوماً بالصور الفوتوغرافية .

(٤) الصحيح تلامين ، أو ثرامين ، وليس (سلامين) .

(٥) الصحيح آل ماشي ، وليس (الماشي) ، وهي إحدى نواحي خاط في تهامة .

(٦) وادي شري : تأتي منابعه من سروات العوامر ، ويسير في تهامة بني شهر حتى يصب في وادي حلي .

(٧) الصحيح (بية) وليس (بيا) ، وهو من الأودية الكبيرة التي تأتي منابعه من جبال السروات ويصب في البحر عند سواحل محافظة القنفذة ، ولا يلتقي خاط مع وادي شري إطلاقاً .

زيد" الواقعة في شرق "القنفذة" وفيها آبار متعددة ، وعلى ذلك فالطريق بين بني شهر و"القنفذة" أربعة أيام ، وفي المرحلة الثالثة من النماص توجد المياه بكثرة في وادي خاط ووادي "يبا" المؤديين إلى سوق الجمعة ، غير أن الصحراء التي بين سوق الجمعة وبني زيد ليس فيها مياه ، وعلى ذلك فخير الطرق من الجبال إلى القنفذة هو طريق النماص^(١) .

"وفي اليوم التالي لوصولي إلى بني شهر استدعيت أبا القاسم شيخ الأجاردة من بني تيم^(٢) . وهو من أهل تهامة ، وطلبت إليه أن يعد لنا الجمال لنقل أشياء عليها من القنفذة ، وعينته مديراً على الأجاردة ، وانتخب خمسين بغلاً من بغالنا لركوب كتيبة عينت لقيادتها البكباشي حسين بك قائد الجندرية ، وأرسلته مع أبي القاسم عن طريق عقبة سنان إلى القنفذة ، فوجدوا فيها سبعة آلاف وخمسمائة جنية ذهباً ، ووجدوا فيها ملابس تكفي لثلاثة آلاف جندي ، وأدوية وعقاقير صيدلية وذخيرة لمدافع^(٣) ، فأخذوا هذه الأشياء كلها ، وأخذوا "بلكا" من جنود المشاة التابعة للأورط الجبلية ، فأركبوا جنود البلوك على الجمال ، وعادوا هم على بغالهم بأمن وسلام حتى بلغوا قرية "الماشي" التي تحت عقبة سنان^(٤) ، وهناط أعدنا جمال تهامة إلى مكانها ، وأخذنا من جمال البلاد الجبلية ما يكفي لنقل هذه الأشياء ، وأرسلناها عن طريق عقبة رشوان التي تستطيع الجمال المحملة أن تجتازها^(٥) ، ومنها إلى عقبة المشهور^(٦) . وأما البغال والنقود فجئنا بها معنا عن طريق عقبة سنان ، ومن هذا العمل برهنت على صدق ما كنت أقوله من إمكان الاتصال مع القنفذة عن طريق النماص ، ولما نجحت في ذلك بادرت في الحال إلى كتابة رسائل قيادة الحجاز وإلى وزارة الحربية قلت لهم فيها : "أنه يكفي أن يرسلوا لنا النقود والمهمات الحربية إلى القنفذة بطريق الحجاز ، ونحن نأتي بها من طريق خاص إلى الجبال ، وبذلك لا حاجة لما كانوا يقترحون من إيجاد خط للتموين للجيش بين القنفذة والجبال عن طريق "محائل" ، وموقع النماص واقع

(١) خرج صاحب الرحلة عن محيط بلاد النماص وسروات بني شهر ، وذكر أمكنة عديدة في البلاد الممتدة من خاط إلى ثربان ، وجمعه ربيعة ، ثم بني زيد أحد مراكز محافظة القنفذة ، ومن أهمها محافظة المجاردة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية .

(٢) الصحيح المجاردة ، وبني التيم ، وليس الأجاردة وبني تيم ، والأول اسم مكان ، والثاني اسم قبيلة .

(٣) كانت القنفذة من المحطات الرئيسية للدولة العثمانية حتى تصل إلى أجزاء عديدة من بلاد جازان وعسير . وصلات القنفذة مع البلاد المجاورة لها من الشرق موضوع جديد لم يدرس خلال القرنين (١٢-١٤هـ/٢٠-٢٠م) ، حذا أن يتخذ باحثاً موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) الصحيح آل ماشي وليس الماشي .

(٥) ربما عقبة رشوان في أسفل صدر العوامر وبخاصة قبائل بلحسين . وقد بحثت عن شرح لها ، فلم أهد إلى ذلك .

(٦) يقصد بـ (المشهور) أي بني مشهور ، وهي إحدى قبائل العوامر جنوب حاضرة النماص .

عند منتصف الطريق بين أبها والحجاز ، والذين يسافرون من النماص إلى الحجاز يَمرون بموقع "كفاف" وكفاف و"حلبة" و"بني عمرو" و"بلقرن" و"شمران" و"خثعم" و"غامد" و"زهران" و"بني مالك" و"ناصره" ثم إلى قبائل بني سعد و"الحارث" ^(١) ، ومن هناك إلى الطائف ، وأما الطريق من النماص إلى الجنوب ، أي إلى أبها ، فيمر بالعوامر ، وبلحارث ، وبللسمر ، وبللحمير ، وبني مالك ، وبني مغيد ، وقد أزمعت في نفسي أن أتخذ بني شهر مركزاً عسكرياً بسبب أهميته التي ذكرتها ، ووجدت هناك مكاناً كانوا يتخذونه في الأزمان القديمة كئنة للجند ، ولكنه الآن خرب فاتخذت الوسائل لترميمه وتعميره ، وتذرت لإنشاء مخافر على عقبة سنان ، وفي بعض الآكام حول النماص ، وكتبت رسالة إلى الشريف فيصل بك قلت له فيها ^(٢) : "أنه لا فائدة في الوقت الحاضر من إقامته في القوز ، واقترح عليه أن يترك "بلوك" الجندرية من الهجانة الحجازية في القنفذة لتأمين المواصلات بواسطته ، وأن يأتي بمن معه من العساكر المشاة إلى الجبال للعمل معاً يداً واحدة ، فورد عليّ منه بالتركية جواب مطول" ^(٣) .

ثالثاً : الشريف شرف البركاتي يوثق شذرات من تاريخ تنومة والنماص .

الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي (١٢٨٨-١٣٥٨هـ/١٨٧١-١٩٢٩م) عمل في إمارة الشريف حسين بن علي في الحجاز ، وبعد زوال ملك الأشراف عمل في دولة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ^(٤) . وقد دون رحلته المعروفة بـ "الرحلة اليمانية" . وهي خلاصة رحلة الشريف حسين بن علي (أمير مكة) عندما خرج من الحجاز إلى أبها عبر بلاد الساحل عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) من أجل فك حصار الإدريسي على أبها ^(٥) . وتقع الرحلة في أكثر من (١٥٠) صفحة توثق النشاط العسكري الذي

(١) كل هذه الأمكنة والقبائل المذكورة تقطن البلاد الممتدة من سروات النماص إلى الطائف ، ومعظمها تسكن بلادها وتسمى أراضيها بأسمائها وحبلى صحيحها (حلباء) ، وما زالت معروفة بهذا الاسم حتى الآن .

(٢) فيصل بن الشريف حسين ، من أشراف مكة ، وصار فيما بعد ملكاً للعراق . وكان له جهود حربية عديدة أثناء حكم الأشراف للحجاز .

(٣) انظر نص هذا الجواب في كتاب المذكرات لسليمان شفيق باشا ص ١٨٩ وما بعدها . وكان سليمان باشا مهتماً بسروات بني شهر ، ويرى أنها من الأمكنة المهمة للاتصال ببلاد القنفذة ، لكن في حكومة الدولة العثمانية بعض المعارضين لآرائه ووجهات نظره .

(٤) للمزيد عن هذا الشريف ورحلته إلى بلاد عسير ، انظر كتاب : الرحلة اليمانية ، تحقيق عاتق بن غيث البلادي (بيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) . انظر أيضاً محمد بن أحمد بن معبر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (٢٠٢-١٥٠هـ/١٤٠٨-٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الأول) . ورحلة البركاتي تشتمل على معلومات عسكرية وسياسية وحضارية يصعب أن نجد لها في مصدر أخرى في نهاية العشرينيات من القرن الهجري الماضي .

(٥) في كتاب مذكرات سليمان شفيق باشا بعض التفصيلات عن ذلك الحصار ، انظر أيضاً محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج ٢ ، ص ٦١٩ ، ٦٦٥ .

شاهده وقام به الشريف وجيشه منذ خروجه من مكة إلى القنفذة، ثم تنومة، حتى أبها. ثم عودة الشريف من عسير عن طريق بلاد شهران وبيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة^(١).

وجل مادة الرحلة ترصد صفحات تاريخية حضارية عن بلاد تهامة، وعندما أصبح الشريف وجيشه في تهامة بني شهر قرر الصعود إلى السروات عن طريق عقبة ساقين، ودون صاحب الرحلة بعض المعلومات عما شاهده وعاصره من أسفل عقبة ساقين حتى خروج الجيش من تنومة إلى بلسمر نحو الجنوب، كما ذكر بعض الخلاصة عن بلاد الحجاز (السراة) وتهامة، ومما وثق عن هذه النواحي في عنوان مستقل سماه "عقبة ساقين"، قوله: "وفي منتهى الساعة الواحدة صباح هذا اليوم^(٢)، ابتدأنا في صعود (العقبة)^(٣)، وهي عقبة عظيمة جداً، ولبثنا جميع يومنا في صعود، ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له: صلبة^(٤)، وهي روضة من رياض العقبة على طرف شلال ماء. وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثلاثاء غرة رجب الفرد واصلنا الصعود مجددين المسير حتى أدركتنا القيلولة، فقلنا في روضة يقال لها: براد^(٥)، تحت أشجار متنوعة الأشكال، ذوات روائح زكية، وبعد القيلولة نهضنا وأخذنا في الصعود إلى أن وصلنا سطح العقبة منتهى الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء ثاني رجب، ونزلنا في واد يسمى: تنومة^(٦)، لبني شهر أهل الحجاز، إذ قبيلة بني شهر بعضها ساكن فوق الجبل المسمى: بالحجاز، ويسمون: بأهل الحجاز، وبعضهم ساكن بتهامة ويقال لهم: أهل تهامة، وقبيلة بني شهر من أعظم قبائل اليمن وعددهم يزيد عن ستين ألف مقاتل^(٧).

"مكثنا هناك إلى اليوم السادس حتى وردت جميع الإبل والدواب الصاعدة بالذخائر مع العساكر النظامية، لأن صعود هذه العقبة شاق جداً، إذ يبلغ ارتفاع وادي تنومة عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً، وبرده في فصل السرطان أقوى من شتاء مكة المكرمة، وهوائه أجود من هواء جبل لبنان الموجود بالشام، وقد أقمت في جبل لبنان صيف عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وكنت أظن في ذلك

(١) للمزيد انظر كتاب الرحلة، ص ١٢ وما بعدها.

(٢) يقصد يوم الإثنين (٢٩/جمادى الآخرة/١٣٢٩هـ).

(٣) المقصود بالعقبة، أي عقبة ساقين، الوارد ذكرها أعلاه.

(٤) صلبة: أحد أجزاء عقبة ساقين، وما زالت معروفة حتى الآن.

(٥) براد: من أجزاء العقبة، وقبل الوصول إلى القمة.

(٦) كانت تنومة بلدة صغيرة أثناء رحلة البركاتي، واليوم هي حاضرة كبيرة، بل محافظة من محافظات منطقة عسير، وفيها الكثير من المؤسسات الإدارية والمؤسسات الخدمية الحكومية والأهلية. انظر تفصيلات أكثر عن تنومة في عام ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م في صفحات تالية من هذا القسم.

(٧) هذه الإحصائية والمعلومات غير دقيقة، وربما من باب التخمين، أو سمعها من أفراد غير دقيقين في أقوالهم. وبلاد تهامة والحجاز (السراة) تشمل المنطقة الممتدة من جنوب مكة والطائف إلى قعر اليمن.

الوقت أنه لا يوجد ما يماثله في جودة الهواء ، فلما رأيت هذا الوادي وجدت فرقاً عظيماً بينهما . وهذا الوادي تابع لقائمةقامية: النماص ، وهي من أقضية لواء عسير ويسمى هناك : بقضاء بني شهر " .

" وفي الوادي المذكور نهر عظيم يتفرع منه جداول تجري فيه من كل جانب ^(١) ، ويزرع في هذا الوادي : الحنطة ، والشعير ، والعدس بكثرة ، وثمرتها عندهم رخيص جداً ، فكل تسعة أمداد من البر بريال ، وكل ثلاثة عشر مداً من الشعير بريالين . وجميع أهل الشرق ونجد وبيشة يفدون على بني شهر القاطنين بجبل الحجاز بالتمر ، والإبل ، والخيول ، ويشترون منهم الحبوب ، والريال المستعمل بينهم هو الريال الفرنسي المسمى : بأبي طيرة ^(٢) . وهو يساوي عشرة قروش مصرية . وجبل الحجاز المذكور يفضل عن غيره بأربعة أشياء : بجودة السمن ، بسبب جودة المرعى ، وغنمه لا يوجد أحسن منها ، وماءؤه من أعظم المياه وأخفها ، وهو شديد البرودة في فصلي الأسد والسنبله ، كأنه مثلج ، أما في أيام الشتاء ، فإن جميع المياه به من غدران ، وأنهار ، وآبار تتجمد من شدة البرد ، وسكان هذا الجبل في غاية القوة وسلامة البدن ^(٣) .

ثم يشير إلى بعض التفاصيل عن السروات (الحجاز) التي تنومة جزء منها ، ولم ينس الحديث عن تهامة أيضاً ، فيقول : " وإنما سمي هذا الجبل بالحجاز ، لأنه هو الحَاجز بين تهامة ونجد ، وأقل ارتفاع فيه عن سطح البحر ألفاً متر ، ومساحته واسعة جداً ، ويحده من جهة الشمال عقبة كري ^(٤) ، التابعة للطائف ، ومن جهة الجنوب جنوب صنعاء بأربعة أيام ، وطولة من الشمال إلى الجنوب إحدى وأربعون مرحلة " ^(٥) ، وكل مرحلة سير من الإبل المحملة ، وهي أربعون كيلومتراً ، وسأذكر لك تفصيل بعضها : فمن الطائف إلى أبها عاصمة عسير خمسة عشر مرحلة ، ومن أبها إلى صنعاء ^(٦) سبع

(١) إطلاق اسم نهر على وادي تنومة مصطلح غير دقيق ، والصحيح أن يطلق عليه اسم (وادي) ، لأنه لا يوجد أنهار في بلاد السراة وتهامة .

(٢) أدركناه يسمى (الفرنساوي) . يطلق عليه عند العامة . (الفرنسية) . (البلادي) .

(٣) معلومات تاريخية حضارية جيدة يصعب أن نجدها في مصادر أخرى .

(٤) الصحيح عقبة كرا ، أو (كرى) .

(٥) هذه السروات أو (الحجاز) الممتد من الطائف إلى بلاد قحطان ووادة من أقل البلاد المخدومة بحثياً ، بل إن كتب التراث الإسلامي المبكر لا تذكر لنا شيئاً واضحاً عن تاريخ وحضارة هذه البلاد ، مع أنها من المستوطنات البشرية القديمة ، وتشتمل على موارد اقتصادية وحضارية كثيرة ومتنوعة . جبل الحجاز : أي السراة : ويقول البركاتي : إحدى وأربعون مرحلة : هو الآن بالأكيال ، ما بين جبل كرا إلى نجران = (٧٥٠) كيلاً ، ومن نجران إلى صنعاء قريباً من (٥٠٠ - ٦٠٠) كيل .

(٦) الصواب : صنعاء (البلادي) .

مراحل ، ومن صعدا إلى شهارة ثمان مراحل ، ومن صنعاء إلى نهاية جبل الحجاز جنوباً أربع مراحل ، وعدد سكان جبل الحجاز على أقل تقدير أربعة ملايين ونصف^(١) ، أما من الشرق إلى الغرب فلا يتجاوز أربع مراحل ، من أي جهة كانت " .

" وتهامة أرض مبسوطة منخفضة عن جبل الحجاز انخفاضاً عظيماً ، وهي واقعة بين جبل الحجاز والبحر الأحمر ، شديدة الحرارة ، كثيرة الأودية ، فلا يبعد الوادي فيها عن الآخر أكثر من ثلاث أو أربع ساعات ، وجميع الأودية تشرب من السيول التي تهبط من جبل الحجاز المذكور^(٢) ، وكافة أودية تهامة جيدة صالحة للزراعة ، وتزرع بماء السيل الذي يأتيها من الجبل ، في السنة ثلاث زراعات . وتهامة : تبتدئ من جهة الشمال بقائمقامية الليث ، التابعة لإمارة مكة ، وفيها أمير مولى من قبل دولة أمير مكة ، ويحدها من الجنوب أزيد من خمسين مرحلة ، وجميعها أهلة بالسكان ، إذ يبلغ عدد أهل تهامة على أقل تقدير خمسة ملايين^(٣) ، وجبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد أهل بالسكان ، وقراءة متصلة ببعضها ، فإذا سافر مسافر من الشمال إلى الجنوب ، فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأشجار وأودية كثيرة المياه والمرعى ، وجميع الجبل بهذا الشكل ، وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ، ودورها من طبقتين إلى ثلاث ، ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة^(٤) . وأما نجد فهي في الجهة الشرقية من جبل الحجاز ، وهي سهل منخفض عن جبل الحجاز بخمسمائة متر فأقل^(٥) .

وفي اليوم الثاني من وصولنا وادي تنومة المذكورة ، وهو يوم الخميس ثالث رجب ، وفد على دولة الأمير قبائل بني شهر تحت رئاسة نجل شيخهم المسمى " فائز " ورئيسهم الأكبر هو : سعيد بن غرم^(٦) والد فائز المذكور لم يحضر لأنه كان محصوراً بأبها ، وهذه القبيلة هي المخلصة للدولة العليا ، ولم تمل للإدريسي أصلاً ، بل رفضت طاعته ، وذلك لكثرة المراسلات بينهم وبين دولة أمير مكة ، حتى إنه صد الإدريسي عن جهتهم . والشيخ سعيد بن غرم المذكور ، أشرف أهالي جبل الحجاز جاهاً ونسباً ، حتى إن سيدنا

(١) هذا رقم مبالغ فيه ، وقول البركاتي من باب التخمين فقط .

(٢) جبل الحجاز : أي جبال السروات .

(٣) أيضاً هذه الإحصائية غير دقيقة ، ولم توثق من مصادر موثوقة .

(٤) بلاد السراة غنية بثرواتها الطبيعية ، ومأهولة بالسكان ، وذات موقع استراتيجية يصل شرق شبه الجزيرة العربية بغربها وشمالها بجنوبها .

(٥) يقصد بـ (نجد) الأراضي الشرقية من جبال السراة والممتدة شرقاً إلى وسط شبه الجزيرة العربية .

(٦) فائز ووالده سعيد بن غرم من أعلام بني شهر ، ومن بيت العسابة ، وكانوا على صلات نسب ومصاهرة مع بعض بيوت الأشراف في مكة .

المرحوم الشريف محمد بن عون^(١) أمير مكة صاهرهم ، فأعقب من هذا البيت دولة سيدنا المرحوم الشريف علي ، والد دولة سيدنا الشريف حسين باشا أمير مكة الحالي^(٢) .

" وبعد صلاة صبح اليوم الثامن من رجب ، حضرت العيون وأخبرت دولة الأمير أن : قوم الإدريسي كامنون في عقبة تسمى : دهماء^(٣) ، تحت قيادة الشيخ محمد بن دليم شيخ قبائل قحطان ، وهذه العقبة من أعسر العقبات ، إذ لا يمكن الصعود إليها إلا فرداً فرداً ، من الطريق العمومي ، وعدد قومه الكامنين خمسة آلاف^(٤) . فأمر دولة الأمير بترتيب الجيش من عرب وغيرهم ، وأمر بتقديم المدافع أمام الجيش ، ولما أقبل الجيش على العقبة اشتبك القتال ، فأمر دولة الأمير بإطلاق المدافع على مكامن العدو ، وقسم الجيش قسمين : قسماً في الجناح الأيمن ، وقسماً في الجناح الأيسر ، وبقي هوي في قلب الجيش ومعه الأشراف " .

" دام القتال أربع ساعات والمقذوفات من المدافع والبنادق متوالية حتى تزلزلت الجبال ، وبعد ذلك انكسر العدو شر كسرة ، وانهزموا تاركين في ساحة الوغى ثمانين قتيلاً ، منهم ثلاثون من قحطان ، وأربعة عشر من قبائل بلحمر ، واثنان عشر من قبائل عسير ، وسبعة من قبيلة بني يثلا بني شهر^(٥) وعشرة من قبائل بلسمر . وتم لنا - ولله الحمد - النصر ، ودخلنا ديار بالسمر^(٦) ، بعد أن جلونا الأعداء عن عقبة دهماء^(٧) ، وعقبة سدوان^(٨) ، وانتشر الجيش في قرى بلسمر لكسب الغنائم ، فغنم من المواشي والحبوب والأثاث شيئاً كثيراً ، فلما رأى أصحاب القرى ذلك ، وفدوا على دولة الأمير ومعهم شيخهم وصاروا يذرفون دموع الندم ، على ما حصل منهم ، من العصيان ، حتى لحقهم ما لحقهم من التلف ، وصاروا يصرخون طالبين العفو والرحمة من دولة الأمير

(١) قوله : محمد بن عون : كذا دأب كثير من المؤرخين على هذا القول ، وإلا فهو ابن عبد المعين بن عون ، ولكن كانت شهرته هكذا (ابن عوين) وكان يقال لكل أحفاد عون : ابن عون ، حتى جاء عهد الحسين فأطلق عليهم اسم الهاشميين ، اعتزازاً ببني هاشم ، وتقرباً للعرب زمن الثورة العربية الكبرى . (البلادي) .

(٢) البركاتي ، الرحلة ، ٧٢ .

(٣) الصحيح الدهناء بدلاً من (دهماء) .

(٤) كان في الدهناء شلال مياه يصب فيه مجمع مياه ، مكوناً سداً صغيراً ، واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) صار من السدود الصغيرة .

(٥) الصحيح أثلة بني شهر .

(٦) هناك من يكتب كلمة بلسمر ، أو بلسمر بهذه الصورة الموجودة في المتن ، والصحيح ما تم تدوينه في الحاشية .

(٧) الصحيح (عقبة الدهناء) .

(٨) بلاد سدوان في الطرف الجنوبي من بلاد بلسمر وهي الحد الفاصل بين تنومة وبلسمر ، ويطل عليها من الجهة الجنوبية جبل شاهق يسمى (الهدار) والخط العام اليوم يأتي من وسط الهدار وسدوان .

فرق لهم قلب دولته وعفا عنهم، وأمر في الحال بإرجاع ما أخذ منهم، وأنعم على شيوخهم بالكساوى. وقد انضم بعضهم إلى الجيش المنصور بعدما اتضح لهم كذب الإدريسي وبهتانه، وكان هؤلاء القوم يحاربوننا معتقدين أننا كفار، وأن جهادهم في طاعة الله بناءً على التعليمات التي أدخلها في أذهانهم الإدريسي، حتى اعتقدوا أن المدة من الهجرة إلى عام ظهور الإدريسي زمن فطرة^(١) وصاروا يسمونه بزمان الجاهلية في جميع أحاديثهم وذلك لبساطتهم المتناهية^(٢). وكان دخولنا بهذا الوادي المسمى بوادي حوراء^(٣).

رابعاً: وقفات مختصرة لفؤاد حمزة عن تنومة والنماص:

فؤاد حمزة لبناني الأصل، سعودي الجنسية، شارك في بناء وسياسية المملكة العربية السعودية، كلفه الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل، بالعديد من المهمات الداخلية والخارجية^(٤). ومنها رئاسة الوفد السعودي الذي التقى بالوفد اليمني في أبها عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، من أجل المشكلة السعودية اليمنية على الحدود^(٥). وعند مجيء فؤاد حمزة في تلك المهمة دون رحلته من الحجاز إلى عسير، وهو العمل العلمي الذي يهمني في هذه الدراسة، فقد أشار إلى بعض المعلومات الخاصة بسروات بني شهر (تنومة والنماص)^(٦).

يحتوي كتاب فؤاد حمزة الأنف الذكر (بلاد عسير) على ثلاثة أقسام، وبعض الخرائط. القسم الأول: بعنوان (أهل الوديان) وتحدث فيه عما شاهده وقرأه عن

(١) يقصد بزمان الفطرة، أي فترة ما بين النبوات.

(٢) من يبحث في كتب التراث يجد أمثلة وتفصيلات كثيرة تدور حول الخرافات والخزعبلات التي كانت عند عرب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعدها. وجميعها أو معظمها تقوم على معلومات مضللة وغير صحيحة ولا دقيقة، وغالباً يعتقد بها العوام من الناس فيصدقون ما جاءت به، ويمارسون الكثير من الأعمال والاعتقادات الخاطئة في ضوء ما جاءت به من أخبار وشروحات.

(٣) وادي حوراء: من أودية سروات بلسمر الشمالية، وقريباً من حدود بلاد تنومة الجنوبية. من الأودية المأهولة بالسكان، ويصب في وادي بيشة، وهو خصب التربة، ومحصولاته من البر والشعير والذرة. وجباله مكسوة بأشجار العرعر، وفيه الكثير من الأشجار المثمرة مثل الحماط (التين)، والعنب، والخوخ، ولا يخلو من ينابيع طبيعية خارجة من بين الصخور. المصدر: زرت هذا الوادي وقرأه خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وشاهدت بعض قراه وجمال طبيعته.

(٤) ولد فؤاد حمزة في جبل لبنان عام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م)، وعمل مدرساً في القدس ودمشق، ثم انتقل لخدمة الملك عبدالعزيز آل سعود، وتقلد مناصب عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، واستمر في خدمة الحكومة السعودية حوالي ربع قرن، ووافته المنية في بيروت عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م). للمزيد انظر خير الدين الزركلي. الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، ج ٥، ص ١٥٩.

(٥) للمزيد من التفصيلات عن مشاكل الحدود بين اليمن والسعودية، انظر محمد أحمد العقيلي، المخلاف السليمانى، ج ٢، ص ١٠٣٥ وما بعدها.

(٦) الكتاب مطبوع ومنشور، ويقع في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط، وهناك كتب أخرى لفؤاد حمزة بعضها منشور وأكثرها مازال مخطوطاً فلم تتشر حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

بعض الأودية الشرقية لجبال السروات الممتدة من الطائف إلى بلاد شهران في منطقة عسير . والقسم الثاني : وثق بعض التفاصيل عن تاريخ الأرض والناس في بلاد السراة الممتدة من بلاد وادعة وقحطان جنوباً إلى بلاد الحجر شمالاً . والقسم الثالث: خصصه لتدوين شيء من جغرافية وتاريخ نجران^(١) .

يبدو أن فؤاد حمزة لم يزر بلاد الحجر (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) التي أورد بعض التفاصيل عن سكانها وقبائلها ، والظاهر أنه نقل معلوماته عن هذه البلاد من بعض الرواة المحليين ، وربما قرأ عنها في بعض الكتب المطبوعة أو المخطوطة . والمتأمل في مدوناته يجدها لا تخلو من الأخطاء والمغالطات العلمية ، لأن من نقل له المعلومات لم يكن دقيقاً ومتأكداً مما رواه . وقد سجل مدونات عديدة عن قبيلة بني شهر وانتشارها في تهامة والسراة ، وذكر أغلب بطونها وفروعها القبلية . وأشار إلى أن بلدة النماص أكبر البلدان في سروات بني شهر التهامية والسروية ، ولم يذكر شيئاً عن تاريخها وجغرافيتها عند زيارته منطقة عسير في منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م)^(٢) .

إنه فقط اكتفى بسرد أسماء بعض العشائر في محافظتي تنومة والنماص ، ثم ذكر أسماء أكثر من مئة قرية في هاتين المحافظتين . ومن يتأمل في أسماء القرى الواردة في كتابه في محيط البلدين النماصية والتنومية وما حولهما يجد أن تدوين أغلبها وردت خطأ ، فالكثير منها مصحفة ، ولم يذكر اسم القرية الصحيح الذي تعارف عليه الناس هناك^(٣) .

ومما دون هذا المؤلف ، ويجوز أن نطلق عليه رحالة ، فقد رصد بعض الأسواق الأسبوعية في بلاد تنومه والنماص . ومن الأسواق التي أشار إليها . (١) سوق تنومة يوم السبت قرية آل صفوان^(٤) . (٢) سوق النماص يوم الثلاثاء في قرية العسابة^(٥) .

-
- (١) انظر كتاب (بلاد عسير) (الرياض: مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) (الطبعة الثانية) .
 (٢) هذا مما يؤكد أنه لم يزر هذه البلاد ، وإنما استقراره في أبيها جعله فقط يسأل عن سكان وأراضي بلاد الحجر بشكل عام ، ثم يدون شيئاً مما سمعه ، واعتقد أنه لوزار حواضر سروات بني شهر مثل تنومة والنماص فإنه ربما زدنا بمعلومات تاريخية وحضارية جديدة ومهمة في بابها .
 (٣) انظر كتاب (بلاد عسير) (الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) . ص ١٥٧-١٦٢ . والفاحص لجميع مادة الكتاب يجدها مليئة بالأخطاء والمدونات غير الدقيقة والصحيحة ، والكتاب يستحق أن يدرس ويحقق ويصوب في كثير من معلوماته . أرجو أن نرى باحثاً جاداً يقوم بذلك .
 (٤) هذا السوق قديم في تاريخه ، ومازال قائماً حتى الآن وسط مدينة تنومة .
 (٥) الصحيح في قرية الكلاثة وليس هناك قرية باسم (العسابة) ، وهذا السوق كان يقام بالتناوب في بلاد الكلاثة وبني بكر المتجاورتين في سروات النماص . واليوم ما زال قائماً في بلاد بني بكر ، ويطلق عليه (سوق الثلاثاء الشعبي) .

(٣) سوق شهرة الأمين في السرو يوم الأربعاء^(١) . (٤) سوق بني التيم في قرية الخضرة^(٢) .

خامساً: تنومة والنماص في مدونات محمد عمر رفيع :

محمد عمر رفيع من مواليد مكة المكرمة خلال العقد الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، من أصول هندية واسمه محمد عمر بن بكر رفيع، اشتغل في بداية حياته بالخط، ثم عمل في عدد من الوظائف الحكومية السعودية، وتوفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م)^(٣). اشتغل بالتعليم، وله مؤلفات عديدة، منها (في ربوع عسير)^(٤). يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، واعتمدت في هذا البحث على الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م). وينقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول: رحلة ميدانية لابن عمر رفيع تتقل فيها بين نواحي عديدة في منطقتي عسير وتهامة، بالإضافة إلى سفره من الطائف إلى بيشة، ثم خميس مشيط، وأبها^(٥) والقسم الثاني: تاريخ عسير في غضون مئة وخمسين سنة^(٦).

(١) ذكره سوق شهرة الأمين غير صحيح إطلاقاً، فلا يوجد هناك أي شيء اسمه (شهرة) وإنما كلمة (شهر) هي الصحيحة نسبة إلى الشهر، ونسبة إلى بني شهر. أما الأمين فلم نجد أي مصطلح بهذا الاسم. والصحيح هو: شهر ثرامين، وهناك من يقول شهر تلامين. وهي البلاد الممتدة من قبائل بني مشهور جنوباً إلى قبائل كعب وبني كريم شمالاً. ويقصد بها تقريباً خمس قبائل في هذه النواحي، هي من الشمال إلى الجنوب (١) بنو جبير. (٢) الكلازمة. (٣) بنو بكر. (٤) بنو قشير. (٥) آل بالرياع. وربما أن الذي جعل فؤاد حمزة يقع في هذا الخطأ أن هناك عقبة اسمها (السرو) تنزل من بلاد العوامر، وبخاصة آل بهيش، وبلحسين إلى تهامة، أما بلاد السرو وقبائلها فتقع في شمال محافظة النماص.

(٢) الصحيح سوق الخميس في الخضراء ببلاد بني التيم. وهذا السوق كان يعقد بالتناوب في مكانين هما: بلدة الخضراء من بلاد آل ليلح، وبلدة العرق من بلاد آل وليد. وآل ليلح وآل وليد من قبائل بني التيم شمال حاضرة النماص. وهذا السوق اندثر حالياً، فلم يعد قائماً. كما أشار فؤاد حمزة لبعض أسواق تهامة في تهامة بني شهر وبني عمرو مثل أسواق المجاردة، وعيس، وأثرب. وأغلب هذه الأسواق الأسبوعية اندثرت، وحل محلها الأسواق اليومية الحديثة. وأقول إن بلاد الحجر (بنو عمرو، وبنو شهر، وبللسمر، وبللحمر) تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٣) للمزيد عن محمد عمر رفيع، انظر: محمد بن أحمد معبر. "محمد عمر رفيع وكتابه في ربوع عسير" بحث منشور في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ط١ (١٤٢٥هـ/٢٠١٤م)، ج٧، ص٢٩٥ وما بعدها. (الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص٢٨٥ وما بعدها. انظر غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص٢٥٥.

(٤) المرجع نفسه. هذا الكتاب طبع عدة مرات، وكانت طبعته الأولى عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) بمكتبة المعارف في الطائف، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

(٥) انظر الكتاب نفسه (في ربوع عسير) ص ١٧١-١.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٧٥ - ٢٦٦. انظر أيضاً محمد معبر، المرجع السابق، ط١، ص (٣٠-٣٥)، ط٢، ص ٢٩١-٢٩٥. انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠١٠م). (٢٠١١م)، ج٣، ص ٣٥٣ (الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ص ٣٠٩.

كان محمد عمر رفيع أديباً ورحالة ، زار الكثير من دول العالم في شرق الكرة الأرضية وغربها . وفي نهاية عام (١٢٥٩هـ / ١٩٣٩م) أرسل إلى بلاد عسير كي يفتح مدرسة رجال ألمع الابتدائية ، ويكون مديراً لها . بقي في هذا العمل عامين ، إلى نهاية عام (١٢٦١هـ / ١٩٤١م) . قام بالعديد من الرحلات في سروات وتهامة منطقة عسير^(١) . خرج في رحلة عام (١٢٦١هـ / ١٩٤١م) من أبها إلى النماص ، فذكر وعورة الطريق السروي عبر هذه البلاد ، وكتب صفحات من تاريخها الحضاري ، وخص سروات بني شهر وبعض تهائمها بنصيب جيد من مشاهداته وشروحاته . وبلاد تنومة والنماص أكثر النواحي ذكراً في مديونات هذا الرحالة وعند الانتهاء من سروات بللسمر وبني شهر من الجنوب سجل عنواناً جانبياً أسماه (بلاد بني شهر) ، قال فيه : " وفي طرف الوادي الشمالي بتنا في أحد المنازل إلى الصبح ثم استأنفنا المسير وبعد أربع ساعات مررنا أثناءها بجبال لا تخلو سفوحها الغربية من اخضرار تسمى بـ (الدهناء) وهي الحد الفاصل بين منازل قبيلة بللسمر وبين قبيلة بني شهر^(٢) . وصلنا قرية آل زخران فجزناه إلى باحة " تنومة " . وفي قرية من قرى الباحة يقال لها قرية " ابن العريف " قيلنا إلى الساعة التاسعة عصراً ثم شهدنا سوق السبت وهو سوق يقام في باحة تنومة كل يوم سبت أكبر أسواق بني شهر ومع ذلك فلم يكن شيئاً بالنسبة لسوق الأحد بالشعبين أو لسوق أبها^(٣) .

" باحة تنومة باحة واسعة تشتمل على عدة قرى والجبال المحيطة بها جرداء إلا ما واجه الغرب ، فلا يخلو من بعض الأشجار ، ومناخها دافئ ، فدرجة الحرارة كانت ظهراً عشرين درجة . وفي طرفها الغربي عقبة تسمى (ساقين) ، بعد أن قضينا حوائجنا من السوق استأنفنا السير مترفقين ، فمررنا بوادي " مليح " وفيه عدة منازل ولم تخل جباله من شجر العرعر لاسيما قرب عقبة القامة ، قطعنا الوادي ورقينا عقبة القامة في نحو ساعة وربع ، ومررنا في سطحها على قرية الظهارة فاجتزناها واجتزنا بعدها قرية " آل مشهور " ، أو بني مشهور ، وفي نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا قرية

(١) يحتوي كتاب محمد عمر رفيع (في ربوع عسير : ذكريات وتاريخ) على معلومات قيمة ، وبخاصة في الجزء الخاص بالرحلة والملاحظات حبذا أن نرى باحثاً جاداً يصدر دراسة عن هذا الكتاب ، مع تحقيق وتصحيح بعض الأخطاء الواردة فيه ، وهي قليلة جداً مقارنة بغيره .

(٢) كان قدوم محمد عمر رفيع من الطريق الجبلي الذي يسير من أبها إلى صبح في بللحمر ، ثم اثنين بللسمر حتى وصل الهدار وسدوان في أقصى سروات بللسمر من الشمال ، ثم دخل بلاد قريش والدهناء أقصى محافظة تنومة من الجهة الجنوبية .

(٣) قرية ابن العريف ، هي سبت تنومة ، ويتضح من حديث هذا الرحالة أن سوق السبت الأسبوعي كان سوقاً نشطاً ، لكن سوقى أبها ، والشعبين في رجال ألمع أكبر وأنشط من هذا السوق . وتاريخ الأسواق القديمة في بلاد تهامة والسرعة جديرة أن تدرس في العديد من البحوث العلمية .

النماص. وكانت طريقنا من باحة تنومة إلى النماص فضة^(١). فكنا نضطر إلى المشي على الأقدام في كثير من الأحيان على أن الطريق جميعه كان وعراً شاقاً، اعترضتنا في أثناءه عدة عقبات كنا نمشيها تحرزاً واحتياطاً من السقوط عن الدواب^(٢). وفي عنوان جانبي آخر دون اسم (النماص) قال فيه: " والنماص باحة تشبه سطح الهدا^(٣). ولكن تزيد عليه في السعة. والقرية كائنة في الطرف الشرقي من الباحة لا تتجاوز بيوتها المائة بل عدتها بيتاً بيتاً فكانت ثمانية وتسعين لا غير^(٤). وأكثر البيوت من ثلاث طبقات، وبيوت العسابة شيوخ بني شهر مجصصة من الداخل والخارج، وجميعها من الحجارة بل بيوت قبائل بللحمر وبللسمر التي مررنا عليها في قراهم من الحجارة أيضاً، عدا بعض بيوت في وادي عبل من منازل بالأحمر، فقد كان نصفها الأسفل من الحجارة ونصفها الأعلى من اللبن^(٥).

"وسكان قرية النماص لا يتجاوزون الخمسمائة على أكثر تقدير معظمهم من الكلاثمة بطن من بني شهر^(٦). والبيوت إلا النادر غير نظيفة من الداخل، ولا تحوي الحجرة سوى نافذة واحدة مربعة لا تتجاوز سعتها ثلث المتر لشدة البرد في النماص، وفي أغلب الأوقات تجد الغرفة ضعيفة الضوء، ويسمون النافذة (بداية)، وليس في البيوت مراحيض، ولا هي مزخرفة من الداخل كبيوت أبها أو رجال بل مليطة بالطين فقط^(٧). ولا يوجد في القرية سوى دكان واحد غير واف بما يحتاجه المرء ولولا أننا

(١) الأرض الفضة: هي الأرض المليئة بالصخور والأحجار متفاوتة الأحجام والأشكال، وبعضها فوق بعض، والمشي عليها وعراً وصعباً.

(٢) أوجز هذا الرحالة الحديث عند خروجه من تنومة إلى النماص، مع أنه شاهد وممر على الكثير من القرى، والأودية والجبال في هذه الناحية. وسوف أشير إلى بعضها في رحلتي الموثقة في صفحات قادمة من هذا القسم.

(٣) الهدا: هو سطح جبل كرى في الطريق الجبلي بين مكة والطائف عليه عدة قرى وبتاتين فيها مختلف الثمار ويكثر فيها شجر الورد. (الناشر لكتاب محمد عمر رفيع عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

(٤) كانت بلدة النماص إلى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يطلق عليها اسم (القرية). بل كبار السن في النماص اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مازالوا يذكرون في مجالسهم واجتماعاتهم هذا المصطلح (القرية) ويقصد به بلدة النماص القديمة.

(٥) تاريخ العمارة القديمة في منطقة عسير (سراة وتهامة) جدير أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية، أمل أن نرى من يقوم بذلك مع دعم الدراسة بالوثائق التاريخية والصورة الفوتوغرافية.

(٦) انظر محمد عمر رفيع، في ربوع عسير، ص ١١٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ١١٠. ربما أن هذا الرحالة لم يكن عنده الوقت الكافي لدخول بيوت كثيرة حتى يشاهد بعضها كان مزخرفاً من الداخل، لكن ليس بنفس الدرجة والمستوى الذي كان في منازل أبها وخميس مشيط. وتاريخ الفنون والديكورات المعمارية القديمة في منطقة عسير موضوع لم يدرس دراسة علمية، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذا العمل مع دعم عمله بالصورة الفوتوغرافية.

صحبنا معنا مقداراً من السكر والشاي لما ذقناه مدة مقامنا بها^(١). واللحم لا يعرفونه إلا مرة في الأسبوع، في القرية سوق صغيرة جداً تقام يوم الثلاثاء من كل أسبوع. وأكثر ما يذبحون يوم السوق، البقر على أن المواشي الأخرى موجودة لديهم لكنهم لا يذبحونها إلا في المواسم والولائم ولضيف عزيز يطرقتهم^(٢).

"وعادات أهل النماص وبني شهر تتقارب وعادات أمثالهم من سكان جبال الحجاز كغامد وزهران وغيرهم^(٣). واستبد ألهم أم بأل قليل جداً في كلامهم أما الجيم فضائفة لا تجد لها أثراً فيقولون يا بدلاً من جاء واليماعة بدلاً من الجماعة. وألوانهم هي الألوان العربية على أن منهم من هو أبيض البشرة وردي الوجنات لبرودة المناخ وارتفاع النماص وعلوها فهي تعلو سطح البحر على ما قيل لنا بألفين وثمانمائة متراً^(٤). ودرجة الحرارة في الأيام الخمسة التي أقمنا فيها لم ترتفع نهاراً عن ثمانية عشر درجة وتهبط ليلاً إلى العاشرة مع أننا كنا في أشهر الربيع. ولباس سكان النماص الثياب البيضاء للرجال والسوداء أو الملونة للنساء مع فارق بالطبع في الشكل فيما يختص بكل جنس. أما التهاميون منهم وهم كثير فلباس الرجل الوزرة على غرار سكان تهامة عسير حتى الرؤوس فإنها حاسرة وافرة الشعر^(٥). أما النساء منهم فيلبسن الثياب ويعتدن لبس الطفشات لشدة الشمس والحرق في تهامة. ولم يتسن لي مشاهدة شيء من ألعابهم وأفراحهم وأخالها لا تختلف كثيراً عن عادات من يجاورهم.

وفي سطح النماص عدة مزارع للحنطة والشعير والعدس والذرة والسيالة وليس بها من أشجار الثمار ومن الخضار ما يستحق الذكر، لكن حول قرية النماص نحو

(١) نعم كانت الحياة التجارية في سروات النماص ضعيفة، والأسواق الأسبوعية هي التجمع التجاري الوحيد لعموم الناس. وقد شاهدت ضعف التجارة في بلدة النماص (القرية) في ثمانينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) وبداية التسعينيات واليوم صارت محافظة النماص تحوي الكثير من الأسواق المتنوعة في معروضاتها وأحجامها ومواقعها.

(٢) حبذا أن محمد عمر رفيع ذكر لنا تفصيلات أكثر عن التعاملات التجارية التي شاهدها في سوقي الثلاثاء والسبت في النماص وتبومة، وأشار أيضاً إلى السلع المعروضة في ذلك السوقين مع تدوين شيء من الأسعار والموازين والمقاييس والمكايل.

(٣) محمد رفيع، ص ١١١. هناك الكثير من التقارب والتشابه، وأيضاً التباين والاختلاف في تقاليد وعادات ولهجات وثقافة سكان السروات وتهامة. وهذا الموضوع حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) لم يدرس في أعمال علمية موثقة ورسنية. أرجو من كليات وأقسام الجامعات المحلية أن تساهم في خدمة هذا الموضوع تأصيلاً وتوثيقاً.

(٤) غفر الله لك يا محمد رفيع فقد أشرت إلى لهجات أهل البلاد، وشيئاً من ألوانهم وأشكالهم الخلقية، وهي عناوين تستحق أن تبسط في بحوث علمية عميقة.

(٥) يبدو أن محمد رفيع شاهد بعض التهاميين الذين يرتادون بلاد السراة وبخاصة أسواقها. وهناك فرق بين ألبسة أهل السراة وأهل تهامة، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عموم بلاد تهامة والسراة ويصدر عنه عدد من الكتب والرسائل الجامعية.

سبع عشرة قرية تتخفص عنها قليلاً يوجد بها كثير من الأشجار المثمرة والخضار بسائر أنواعها وفي بعض بساتين العسالة في قرية النماص توجد بعض شجرات للجوز "القعق" ^(١). "ومن مزروعات قرى بني شهر التهامية الدخان الأخضر والبصل والثوم وهي وافرة لديهم ، يصدرونها إلى من جاورهم من القبائل والقرى ، ولا تخلو صدور جبالهم المواجهة للغرب من أشجار اللبـن ولكنها قلة" ^(٢).

وفي عنوان جانبي باسم (حدود بني شهر) يقول محمد رفيع " وبنو شهر قبيلة وافرة العدد ، تمتد منازلهم شرقاً إلى قبائل شهران ، وغرباً تصل منازل من يرجع فيهم من سكان التهام إلى قرب ثغر القنفذة ، وشمالاً تحدهم قبيلة بني عمرو ، وجنوباً منازل بلسمر ، وممن يصاقبهم من القبائل التهامية مما يلي الغرب أهل وادي الريش وآل موسى والحمدة وربيعة المقاطر" ^(٣). ومن أرفع الأمكنة في بلاد بني شهر جبلان في مواجهة النماص يعرفان بـ "بللحصن" كنا نراها من النماص في الجهة الجنوبية الغربية منه شاهقة الذرى معمرة رؤوسها بقطع السحاب" ^(٤). وأمام عقبة النماص مما يلي الغرب إلى تهامة ثلاثة جبال شاهقات إلا أنها منفصلة عن سلسلة جبال السراة فهي تحسب من جبال تهامة العالية وسكانها يعدون في بني شهر واسم أحد هذه الجبال (ثربان) ، والثاني (نهو) والثالث (ريمان) ، وذرى هذه الجبال على ما قيل لي لا تقل ارتفاعاً عن سطح النماص ^(٥).

ويدون هذا الرحالة عدد من العناوين التي تصب في ذكر شيء من تاريخ الأرض والناس في بلاد بني شهر وبخاصة حاضرة النماص وما جاورها ^(٦)، فيقول: " وبنو شهر

(١) لم يتجول محمد رفيع في عموم محافظة النماص، ولو فعل ذلك ، لرأى صوراً تاريخية حضارية متعددة . وسروات بني شهر كانت من البلاد الغنية في مزارعها وثرواتها النباتية والحيوانية ، وما زالت نوعاً ما حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) هذه حقيقة وقد شاهدت ذلك في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حيث يوجد بعض أشجار الدخان الأخضر ، واللبن في عدد من سفوح السروات الغربية .

(٣) وادي الريش يحد بني شهر من الناحية الجنوبية الغربية . وآل موسى ، وربيعة المقاطرة من الغرب . لم أجد مكاناً باسم (الحمدة) وربما يقصد هذا الرحالة (حميضة) إحدى نواحي محافظة بارق . وهناك بعض بلاد حرب في الطرف الشمالي الغربي ، وهي مجاورة لتهامة بني شهر . المصدر : معاصرة الباحث وجولاته في بلدان تهامة عديدة من مكة إلى جازان خلال الثلاثين عاماً الماضية .

(٤) الصحيح جبال بالحصين في بلاد العوامر قريباً من قرى البردة ، وبالحصين ، والظهارة . وهناك جبال عديدة في هذه الناحية من أهمها جبل لنبيش وغيره .

(٥) هذه الجبال الثلاثة (ثربان ، وتهوي ، وريمان) تقع في تهامة بني شهر ، ويسكنها العديد من القبائل والفخذ ، وهي عالية الارتفاع . فثربان في أقصى تهامة بني شهر من الغرب . وتهوي وريمان متجاوران ، ووسط تهامة بني شهر ويجاورهما بعض القرى والعشائر العمرية ومحمد رفيع ذكر (نهو) والمقصود بذلك جبل (تهوي) .

(٦) انظر محمد عمر رفيع ، في ربوع عسير ، ص ١١٣ - ١١٤ .

ينقسمون إلى قسمين: سلامان واثلة، ويقال لهم، ولبلسمر وبللحمر، "رجال الحجر" أنهم أبناء عمومة يتقاربون في الأصول غير البعيدة. ومع خلو النماص من كثير من الضروريات، فضلاً عن الكماليات، وبعدها وعسر الطريق إليها، فقد سمعت في ليلة من الليالي الست التي قضيتها بها (الراديو) في بيت شيخ بني شهر، وكانت ليلة فريدة تشنفت فيها أسمعنا بصوت بلبله الشرق الأنسة أم كلثوم^(١).

"قضيت مهمتي في النماص، واعتزمت العودة إلى مقري برجال، وفي صباح يوم الجمعة، في نحو الساعة الثانية تقريباً شددنا رحالنا وبارحنا القرية نقصد (تومة)، وبعد أن اجتزنا عقبة القامة تعرض لرفيقي أصهاره وألزمونا بالمبيت لديهم، فلم نر بداً من القبول والاستجابة للدعوة، ولم يقصر مضيفنا، فقد ذبح لنا كبشاً، وذلك يعد في هذه الجهات غاية الإكرام، وقد لاحظت أن طريقتهم مع الضيوف في تقديم الضيافة تختلف عن عادة أهل عسير وطريقتهم، فشهران، وعسير، وألمع يقدمون الطعام ويتروكون الضيف وحده يتصرف كيف شاء، بل يغلقون عليه الحجرة. أما بنو شهر كما شهدته من مضيفنا، فإنهم يشاركون الضيف في الجلوس على المائدة، وبعد أن يحضروا كامل الذبيحة يخرج الضيف قسماً منها لأهل البيت ويسمونه قسم المعزبة، ثم يوزعون الباقي من الذبيحة على الحاضرين من الضيوف، ومن شاركهم الجلوس من أهل البيت على المائدة^(٢).

"بتنا واصبحنا وقدم لنا مضيفنا طبقاً من التمر تناولناه صرفاً على القهوة ثم استأنفنا المسير، وبعد ساعتين وصلنا باحة تومة، وشهدنا قيام سوق السبت مرة ثانية، وظللنا في تومة حوالي أربع ساعات، كنت أراود نفسي خلالها أن لا نعود عن طريق السراة التي قدمنا منها، بل نهبط إلى تهامة، فإن في باحة تومة عقبة تسمى ساقين، توصل إلى قرية تسمى نَعَص^(٣). وقيل لنا أن العقبة رغم طولها فإنها سهلة المسالك، وأن المسافة فيها إلى بعض خمس ساعات، ومن نعص نسير وسط وادٍ إلى محاليل حوالي

(١) كانت حياة الناس فقيرة، وظروف العيش صعبة في الفترة التي زار محمد عمر رفيع النماص وسروات الحجر، لكن هناك بعض الأعيان والوجهاء أفضل حالاً من غيرهم. كما أن بني شهر أهل فن وطرب وفكاهة ومرح، وشهد لهم بذلك عدد من الرحالة والكتاب الذين زاروا بلادهم خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) حبذا أن نرى باحثاً يدرس تاريخ الفنون الشعبية والطربية في سروات وتهامة منطقة عسير منذ بداية القرن (١٢هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) كما أشرت في حاشية سابقة إلى تباين بعض التقاليد والعادات عند سكان السروات وتهامة. وهذا الموضوع كبير ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٣) أسفل عقبة ساقين وادي يسمى "بَقْرَة" والقاصد محاليل يمكن له ألا يعرج على قرية نَعَص، بل يأخذ طريقه من وادي بقره إلى قرية المنظر ومنها إلى قرية حضن التابعة للريش ومنها إلى محاليل، وهو طريق أقصر من طريق قرية نَعَص على ما قيل لي. المصدر: (ناشر كتاب محمد عمر رفيع (في ربوع عسير) حاشية (١) ص ١١٤ .

خمس ساعات أخرى ، ومن محایل إلى رجال عشر ساعات في طريق سهل بالنسبة لطريق السراة التي طالما اضطررنا فيها للمشي على الأقدام ، ولكن لم أتبين في رفيقي الارتياح لهذه الرغبة ، فرأيت رعاية ما يريد وعدنا من حيث جئنا^(١) .

سادسا : تنومة والنماص كما شاهدها يحيى بن إبراهيم الألمي .

يحيى الألمي من مواليد بلدة رجال ألمع عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٥م) ، بدأ تعليمه الأولي في وطنه ومسقط رأسه ، ثم انتقل إلى جدة ، وبدأ موظفاً في وزارة الصحة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ، ثم انتقل إلى إدارة الجوازات ، وعمل في هذه الإدارة بمدن عديدة في منطقة عسير مثل بيشة ، وأبها ، وظهران الجنوب حتى أحيل للتقاعد ، عاش في مدينة أبها حتى وفاته في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) . زاول الكتابة في ميادين عديدة ، ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات السعودية^(٢) . له العديد من المؤلفات المخطوطة مثل: (١) الإيضاح والتيسير في تاريخ عسير . (٢) لمسات وهمسات . (٣) حلو ومر . (٤) عبير من عسير . (ديوان شعر) . (٥) أحاسيس (ديوان شعر) . ومن الكتب المطبوعة : الأمثال الشعبية في عسير ، ورحلات في عسير (نصوص ، وانطباعات ، ووصف ، ومشاهدات)^(٣) . هذا الكتاب الأخير الذي يهمننا في هذا المحور ، يقع في (١٨٥) صفحة من القطع المتوسط ، منها حوالي (١٤٠) صفحة في موضوعات عديدة عن منطقة عسير ، وجميعها رحلات ومشاهدات للأستاذ يحيى بن إبراهيم الألمي^(٤) . وهناك مقالات وتعقيبات ومشاهدات لكتاب آخرين ، قام الألمي بجمعها مع مدوناته في كتابه (رحلات في عسير)^(٥) .

(١) يتضح من هذا الرصد الذي دونه محمد عمر رفيع ذكر معالم جغرافية في بلاد تهامة من رأس عقبة ساقين إلى تهامة رجال الحجر ثم محایل ، ثم رجال ألمع . وهذه الأوطان مأهولة بالسكان ، وتشتمل على موارد طبيعية غنية بثرواتها النباتية والزراعية الحيوانية ، لكنها لم تخدم في مجال البحث والتوثيق . كما أنها لا تخلو من آثار ونقوش ورسومات صخرية ، أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه البلاد ويوثقون صفحات من تاريخها في الماضي والحاضر . كما أن محمد عمر رفيع أشار إلى صعوبة الطريق السروي من أبها إلى تنومة ، وأقول إن الطرق آنذاك (في منتصف القرن الرابع عشر الهجري) كانت جميعها صعبة ووعدة الحزون والمسالك .

(٢) انظر غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) (الطبعة الأولى) ، ص ٢٧٤-٢٧٧ (الطبعة الثانية /١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ج٣ ، ص ٢٢٦-٢٢٨ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) يذكر الأستاذ يحيى الألمي أن معظم مادة هذا الكتاب نشرت في هيئة حلقات في بعض الصحف المحلية خلال الفترة (١٣٧٨-١٣٨٣هـ/١٩٥٨-١٩٦٣م) ، ثم جمعت في هذا الكتاب ونشرت في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وتحديدًا في السنوات الأخيرة من عصر الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود . للمزيد انظر الكتاب (رحلات في عسير) (معلومات النشر بدون) (١٨٥ صفحة) .

والمادة المستهدفة في هذا الكتاب ولها علاقة بناحيتي تنومة والنماص جاءت تحت عنوان : أيام في بلاد الحجر^(١) ، وهي مشاهدات هذا الرحالة الألمعي في سروات رجال الحجر من بللحمر جنوباً إلى النماص وبلاد بني عمرو شمالاً^(٢) . تحدث فيها عن صعوبة الطريق التي تخرج من أبها إلى النماص ، وذكر بعض معالمها ، وبعض الجبال والقرى التي شاهدها^(٣) . كما أشار إلى بعض العشائر والقبائل التي تقطن هذه الأوطان السروية ، لكنه لم يسهب الحديث في هذا الجانب^(٤) ، كما أنه لم يدون معلومات كثيرة عن ديار التتوميين ، وإنما ذكر بعض قرى سروات رجال الحجر ، ثم قال " ومن أهم القرى أيضاً تنومة ، وفيها مركز حكومي أنشئ مؤخراً ، وتحتوي تنومة على عدة قرى ، وهي مدينة تاريخية ذكرها الهمداني ... " ^(٥) .

" أما بلدة النماص (القرية) فقد خصها هذا الرحالة ببضع صفحات دونها من خلال التجوال والرحلة والمشاهدات وبخاصة حاضرة النماص ، بدأ حديثه عنها بعنوان جانبي أسماه (النماص أو القرية) ^(٦) ، قال فيه " بلدة النماص حاضرة بني شهر وبني عمرو واسمها الأساسي (القرية) ، ولا يزال هذا الاسم يطلق عليها حتى الآن ، وقد سألت عن سبب تسميتها بـ (النماص) ، فقل لي أنها كانت مليئة فيما مضى بشجر يسمى (النمص) بفتح النون وتشديدها كما سمعتها من أفواه من حدثني عن ذلك ، وكان يوجد هذا الشجر بكثرة في واديها فسميت هذه البلدة بـ (النمص) نسبة إلى شجر النمص ، ثم حصل تحريف في الكلمة ، فصاروا يطلقون عليها (النماص) بسكون النون مع تشديدها .. وبعضهم يقولونها بالضم ، إلا أن كثيراً ممن يسمى هذه البلدة وخاصة من غير أهل المنطقة ينطقون الكلمة بفتح النون مع تشديدها ، وهناك البعض ينطقونها بالضم ، وفي رأيي أن ذلك أصوب من الضم والكسر إذا صح أن سبب

(١) المرجع نفسه ، ص ٨٥ - ١١٥ .

(٢) تقع هذه المادة العلمية في حوالي (٣١) صفحة من صفحات الكتاب (رحلات في عسير) .

(٣) طريق أبها الطائف من الطرق المهمة ، كانت صعبة المسالك ، ولها تاريخ قبل ظهور السيارات وبعدها حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، تستحق أن يكتب عنها العديد من البحوث العلمية الموثقة .

(٤) يحيى الألمعي ، رحلات في عسير ، ص ٨٥ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه ص ٦٩ . أعتقد أن الألمعي كتب هذا المقال في بداية الثمانينيات بعد افتتاح إمارة في بلدة تنومة عام (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) . أما جمع مادة الكتاب ونشرها في هذا المؤلف ، فكان في بداية التسعينيات من القرن نفسه .

(٦) هناك بعض التوثيقات والمدونات عن بلدة النماص وما حولها ، لكن محافظة النماص بمفهومها الواسع ، مازالت تحتاج إلى دراسة موسعة تاريخية ، وأثرية ، وحضارية عبر عصور التاريخ . أمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يتولى هذا الموضوع بالبحث والتأصيل العميق والرصين .

التسمية كان نسبة لشجر النمص . وقد بحثت عن مادة (نمص) في المعاجم ، فوجدت أن النمص بفتح النون مع تشديدها ، اسم لأول ما يبدو من النبات الرقيق الدقيق ، وقيل هورقة الشعر ودقته حتى تراه كالزغب ، وقيل هو ضرب من (الأسل) لين يعمل منه الأطباق ، والأسل : نبات دقيق الأغصان ، ومن هذا يتضح بأن فتح النون في النماص هو الصواب في تسميتها ^(١) .

" تعتبر النماص - المركز الرئيسي - في منطقة بني شهر وبني عمرو ، إذ توجد فيها مجموعة من فروع المصالح الحكومية ، ومنها الإمارة والمحكمة الشرعية والبلدية والزراعة والصحة والتعليم وغير ذلك من المصالح الحكومية الأخرى ، وتتبع هذه المنطقة في أعمالها لإمارة مقاطعة أبها ^(٢) . كان يوجد بالنماص في الزمان الغابر فرقة من الأتراك ، وكان عبد الله بن ظافر العسلي هو قائم تلك الفرقة ، وترتبط آنذاك بقيادة أبها ، ومعنى هذا أن النماص كانت مركزاً رئيسياً منذ القدم ، وتقع النماص في مرتفع عال من جبال السروات في بلاد الحجر ، يقدر ارتفاعها عن سطح البحر بحوالي (٧٠٠) قدم ، وهي شبيهة بأبها من حيث المناخ ، إلا أن الضباب الكثيف يعم النماص والقرى المجاورة لها في فصل الشتاء من العصر حتى الصباح ، ولا يكاد ينقشع عنها إلا في نادر الأيام ، وهذا ما دعا السكان هناك إلى تسميته بالعمى لأنه يحجبهم عن الاستمتاع بالنظر ^(٣) .

يحيط بالنماص حوالي (٣٠) قرية أبعدا لا تزيد مسافتها عن ساعة واحدة ، ويلاحظ وجود قلاع وحصون منيعة في معظم القرى الواقعة في منطقة النماص ، يقال أنها كانت تستعمل أثناء الحرب في العصور السابقة ، أما الآن وبعد أن هيا الله هذا العهد الزاهر ، عهد الأمن والرخاء والاستقرار ، عهد آل سعود الأمجاد ، فإن هذه القلاع والحصون أصبحت عبارة عن مخازن للحبوب والقصب ، وبعضها خال من هذا أو ذاك ^(٤) . وطريقة البناء في كل المنطقة بالحجارة فلا ترى بيتا بالبن أو بالطوب ،

(١) أسماء الأمكنة في عموم السروات وتهامة من الموضوعات التي لم تدرس في بحوث لغوية وجغرافية علمية ، مع أن معظم الأعلام الجغرافية تسمى باسم جبل ، أو واد ، أو قرية ، أو نبات ، أو حدث تاريخي أو حضاري . ولا يستغرب أن اسم النماص جاء من اسم نبات النمص الذي كان منتشرا في نواحيها . أما ضم الكلمة أو كسرهما ، فلم أسمع أحد ينطقها بهذه الصورة ، وإنما تنطق فقط بفتح النون وتشديدها ، وهذا في اعتقادي الصواب (والله أعلم) .

(٢) للمزيد عن التاريخ الإداري لمحافظة ، أو مدينة النماص خلال العصر الحديث والمعاصر . انظر غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ج ١ ، ص ١٢٥ - ١٦٨ . للمؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م) ، ص ٩٩ - ١٧٨ . للمؤلف نفسه ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٢ - ١٤ هـ) (الطبعة الرابعة) (١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م) ، ص ١٨٧ - ٢٣٩ .

(٣) أهل البلاد يطلقون على الضباب (العماء) وليس العمى ، كما أشار إليه هذا الرحالة .

(٤) تاريخ الحصون والقصور والقرى القديمة في بلاد السروات من الطوائف إلى أبها موضوع مهم وجديد يستحق أن يوثق ويدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

بل جميع هذه الحجارة ماعدا بعض البيوت الواقعة في بلاد بني الأحمر فإن أسفلها بالحجارة وأعلاها باللبن ، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القرى مدهشة وعجيبة في نفس الوقت ، إذ أنهم يستعملون في بنائها صخورا كبيرة قل أن يحمل الصخرة الواحدة خمسة من الرجال ، بل ربما كانت أكثر قوة وصلابة وحجما ، وتبدو قوة البناء ومتانته في القصور الخاصة بآل العسيلي ، فهي آية في القوة والمتانة وسمك البناء ، لقد ذرعت بعض الصخور التي وضعت في إحدى هذه القصور فوجدت عرضها لا يقل عن متر وطولها حوالي مترين ، ولا تسل عن سمكها وصلابتها ، كما أنني لاحظت أن سمك البناء في بعض تلك القصور يزيد عن المترين وإن قل فمتر ونصف ، وتتألف هذه القصور من عدة حجرات وغرف واسعة ، ويبلغ ارتفاع بعض هذه القصور حوالي عشرة أمتار إذ تتألف من أربعة وخمسة أدوار ، هذا إلى جانب متانة أخشاب النوافذ والأبواب التي أبهرني منظرها وهالني ما رأيته من قوتها وضخامتها وشدة صلابتها ، بيد أن لديهم طريقة خاصة في تصميم هذه النوافذ والأبواب ، استرعت انتباهي ، هذه الطريقة هي عدم توسعة مساحة الأبواب والنوافذ حتى أن الشخص المتوسط لا يكاد يدخل مع الباب إلا منحنيًا^(١) . وهذا بالنسبة للأبواب الداخلية التي تقع داخل المبنى ، بعد العبور من باب الحوش الذي يكون عادة متسعا وينفذ على مساحة كبيرة ، أما النوافذ فإنه بالإضافة إلى ضيقها وصغر حجمها ، لا يوجد في الأغلب الأعم إلا نافذة واحدة في كل غرفة ، وقل أن تجد نافذتين في غرفة واحدة . يبلغ عدد بيوت بلدة النماص حوالي (١٥٠) بيتا ، ومن أبرزها بيوت العسيلة التي يرجع تاريخ إنشائها إلى ما قبل مائتي سنة^(٢) . والمرافق الحكومية الموجودة في بلدة النماص ، مدرسة ابتدائية كبيرة يؤمها أكثر من أربعمئة طالب ، إذ يفد إليها أبناء القرى المجاورة لبلدة النماص ، وقد قيل لي أن الطلاب البعيدين عن مقر هذه المدرسة يتكبدون مشقة في سبيل الوصول إلى المدرسة باعتبارهم بعيدين عنها ، إذ يقضون أكثر من ساعة وساعتين مشيا على الأقدام^(٣) . وهذه ملاحظة نرجو أن تهتم بها وزارة المعارف فتعمل على إيجاد

(١) الرحالة يحيى الأملعي تأمل في قصور وحصون بلدة النماص وبخاصة منازل العسيلة ، ولو جال في عموم سروات رجال الحجر فإنه سوف يشاهد قصورا وحصونا واسعة وكبيرة في نفس مستوى حصون وقصور بلدة النماص . وما زالت العمارة القديمة في منطقة عسير ، وبخاصة الأجزاء السروية من بلاد قحطان وواعدة جنوبا إلى بلاد بلقرن شمالا تستحق أن توثق بالصور الفوتوغرافية ، وتدرس دراسات علمية عميقة ، وكذلك القرى والأبنية التراثية القديمة .

(٢) معلومات هذا الرحالة غير دقيقة ، لا في عدد بيوت بلدة النماص ، ولا في التاريخ الزمني لتأسيس بيوت العسيلة . وإنما هي تخمينات لا تخضع لدقة في مصادرها .

(٣) عند بداية التعليم النظامي في سروات بني شهر انظر رسائل ومدونات محمد أحمد أنور ، أول من افتتح المدرسة السعودية في بلدة النماص عام (١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م) . غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ - ١٩٦٦م) (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ، ج ١ ، ص ٦١ ، ٦٢ . وللاستاذ أنور مذكورة مكتوبة بخط اليد في صفحة دون فيها تفصيلات كثيرة عن بلدة النماص جغرافيا ، وتاريخيا ، وتعليميا ، وحضاريا .

المدارس اللازمة لمثل هؤلاء الطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة ، ولا سيما إذا كان العدد المطلوب متوفراً ، حتى تخف عنهم مشقة الذهاب والإياب ، ومادمت قد وجهت هذا الرجاء لوزارة المعارف الجليلة ، فإنني أمل أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة إيجاد العدد الكافي من المدارس الابتدائية والمتوسطة والمعاهد في منطقة بلاد رجال الحجر بوجه عام ، إذ أن المنطقة لاتزال بحاجة إلى الكثير من ذلك بالرغم من أنه يوجد الآن في بلاد بني شهر وبني عمر ثلاثة عشر مدرسة ابتدائية ، هذا عدا الموجود في بلاد بللسمر وبللحمر ، التي يوجد فيها حسبما سمعت بضع مدارس ، وهذا طبعاً قليل في حق هذه المنطقة الواسعة التي يتلهف أبناؤها لطلب العلم ، وبالنسبة لبلاد بني الأسمر وبني الأحمر ، فإننا نجدها مهضومة . إذ لم يفتح فيها إلا القليل من المدارس . وعلى أية حال فإن الموضوع بحاجة إلى عناية من وزارة العلم والمعرفة وما إخالها إلا حريصة ومهتمة بنشر التعليم في جميع أرجاء هذه المملكة ، كي يشمل كافة ربوعها ويعم القريب والبعيد وفقاً لسياسة الحكومة الرشيدة التي يهتما كثيراً نشر العلم وتعميمه في كل أنحاء البلاد ^(١) .

" نعود الآن إلى ذكر ما بقي من المرافق الحكومية الموجودة في النماص ، وهي إدارة البريد ، وقد علمت بأن هذه الإدارة ستتطور قريباً حيث يزمع إيجاد مركز لاسلكي في النماص باسم المنطقة ، وتطوير مكتب البريد عما هو عليه الآن . ويوجد في النماص معهد للمعلمين ، ولوحظ حصول الإقبال عليه من عدد كبير من الطلاب ، كما توجد في النماص مدرسة ليلية لمكافحة الأمية ، وفي الأسبوع الذي كنت موجوداً أثناءه بالنماص افتتحت مدرسة للبنات . وقد سجل الآن أسماء ما يزيد عن مائة طالبة . وينتظر أن يكون الإقبال على هذه المدرسة كثيراً ، ويوجد في بلدة النماص مسجد عتيق مضى على تأسيسه أكثر من مائتي عام ، إلا أنه للأسف صغير وأبوابه ضيقة جداً ، وله مئذنة صغيرة مربعة كبعض القلاع الصغيرة التي كانت تستعمل أيام الحرب ^(٢) .

" بلغني بأنه يوجد في قرية بني (روق) التي تقع بالقرب من النماص - بركة - أثرية ذات أسرار غريبة وروايات عجيب ، مثال أنها كانت تستعمل أيام الحروب في

(١) غفر الله لك يا يحيى الألمي فقد أشار إلى صعوبة المواصلات بين القرى والمدارس النظامية في النماص ، وقد عاصرت شيئاً من ذلك في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤٠هـ/٢٠م) ، كما ذكر عدم وجود المدارس وبعض المؤسسات الحكومية في بلاد بللسمر وبللحمر ، ويطلب من بعض الوزارات الالتفات لهذا الأمر . وللأسف إن بلاد بللسمر وبللحمر مازالت حتى الآن بحاجة إلى تنمية وتطوير أكثر ، كما أن تاريخها وموروثها الحضاري غير مدون ، وعلى الباحثين والمؤرخين فيها مسؤولية تجاه حفظ موروثهم وتراثهم التاريخي والحضاري .

(٢) رحمك الله يا يحيى بن إبراهيم الألمي فقد دونت بعض المعلومات الحضارية عن بلدة النماص في بداية الثمانينيات من القرن (١٤٠هـ/٢٠م) . وكنت أتمنى أنه حصل على بعض الصور الفوتوغرافية لبعض الأبنية القديمة في البلدة مثل المسجد العتيق الذي أشار إليه ، وغيره من المعالم العمرانية في تلك الناحية .

العصور السابقة عصور النهب والسلب والخوف وعدم الاستقرار^(١) . وفي بلدة النماص سوق أسبوعي يقام يوم الثلاثاء ويحضره المجاورون من أبناء القرية من النماص ، ونفر قليل من أبناء تهامة بني شهر ، حيث يجلبون إليه بعض منتجاتهم من السمن والعسل والأغنام وبعض الفواكه وخاصة (الموز) ، وقد تصل إلى هذا السوق بعض السيارات القادمة من الحجاز وبيشة وبلاد بللسمر وأبها وهي محملة بالبضائع المختلفة ، ولعل من العجيب أن هذا السوق يقام في مكانين من النماص يبعد كل منهما عن الآخر بحوالي نصف كيلو ، وذلك لأنه مجزأ بين فخذين من بني شهر ، هما الكلاثمة وبنو بكر ، فيقام السوق عند كل فخذ منهما مدة شهر واحد ، وهكذا يتأرجح السوق بين القبيلتين^(٢) .

" لا يوجد في بلدة النماص إلا مركز صحي صغير ، كان يديره إلى ما قبل وصولي بأسبوع ممرض عادي واحد ، يتولى معالجة المرضى والكشف عليهم وصرف العلاج لهم (على الهامش) ، إلا أن مندوبية وزارة الصحة بأبها تفضلت أخيراً فبعثت طبيباً خاصاً لبلدة النماص ، لكنه لم يقدر وحده على مواجهة هذا العبء الكبير ، فقد صرح لي بأن نسبة المراجعين له يومياً تزيد عن مائتي شخص ، كما صرح لي أيضاً بأنه لاحظ انتشار مرض السل بكثرة هائلة في جهة النماص ، فيما رأي وزارة الصحة ومندوبيتها في أبها حيال هذا الموضوع ، إن الحالة تستلزم اهتماماً وعناية ، كما أن الضرورة تستدعي وجود أكثر من طبيب لا للنماص فحسب ، وإنما لكل من بلاد بني شهر وبنو عمرو وبنو الأسمر وبنو الأحمر ، وذلك لأن بلاد رجال الحجر واسعة ، إذ أن كل جزء من هذه الأجزاء الأربعة تشكل منطقة كاملة . إننا نرجو من وزارة الصحة ومندوبيتها بأبها الاهتمام بهذه المنطقة ، والمناطق المماثلة الأخرى التي تنقصها الرعاية الصحية المطلوبة ومنها (منطقة رجال ألمع) التي تكاد تتساوى مع ابنة عمها بلاد الحجر وذلك في عدم توفر الرعاية الصحية لهما ، لكنني أرجو أن لا يطول الأمد على تزويد هاتين المنطقتين الكبيرتين بالمستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية ، وأن يؤمن لهما العدد اللازم من الأطباء والممرضين والقبالات وعسى أن يكون ذلك قريباً ، خصوصاً وأن اللجنة المكونة من معظم الوزارات المنتدبة لدراسة أحوال بعض المناطق في إقليم عسير ، قد زارت هذه

(١) قرية بني روق ، إحدى قرى قبيلة الكلاثمة ، وتبعد عن بلدة النماص شرقاً بضعة أكيال . وكنت أرجو أنه دون تفصيلات أكثر عن هذه البركة التي أشار إليها . وفي سروات بلاد الحجر معالم جغرافية عديدة لها أحداث تاريخية وحضارية عديدة ، والناس يتناقلون أخبارها ، لكنهم لم يدونوها .

(٢) عاصرت نشاط هذا السوق الذي ذكره يحيى الألمي عندما كنت طالباً في مدارس النماص في الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤/٢٠م) ، وكان فعلاً يعقد بالتناوب عند الكلاثمة وبنو بكر ، وتعرض فيه الكثير من البضائع التي تجلب إليه من داخل سروات بني شهر وبنو عمرو ، أو من بلدان مجاورة في تهامة والسرارة . وحسب علمي أن هذا السوق لم يدرس في عمل علمي توثيقي . أمل أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في جامعتي الملك خالد أو بيشة فيدرسه ويوثق تاريخه في رسالة أو بحث علمي رصين .

المناطق وشاهدت الكثير من احتياجاتها ومستلزماتها الضرورية التي تقتقر إليها ^(١) .

منذ بضعة شهور تقريباً أوجد في بلدة النماص فرع للبلدية يتبع أبها في المراجعة، وقد بحثت عن نشاط هذا الفرع فلم أجد له أي نشاط استحق الذكر؟ والواقع إن إيجاد فرع للبلدية بالنماص في الوقت الحاضر - يعتبر سابقاً لأوانه - ذلك أن البلدة بحاجة إلى ما هو أهم من البلدية ومنها ما سبق أن أشرت إليه آنفاً ، أضف إلى ذلك فإن البلدية لا تجد الآن أي مجال للعمل فيه ، من أجل تنظيم البلدة وتحسين أوضاعها كتوسعة الشوارع ونحوه، إذ أن كل ما قامت به البلدية منذ تأسيسها حتى الآن هو وضع بضعة أتاريك في بعض الطرقات داخل البلدة ، أما ما عدا ذلك فإنه لا يوجد هناك مجال يمكن البلدية أن تعمل فيه لتثبيت وجودها ، ذلك أن للبلدة وأهلها وضعاً خاصاً يختلف عن وضع الجهات التي توجد فيها بلديات ، بصرف النظر عن كون هذه البلدة صغيرة وواقعة بالقرب من قرى تشابهها من حيث الوضع والحالة ، مع أن الأراضي الزراعية تحيط بالبلدة من كل مكان ، بالإضافة إلى أن بيوتها متداخلة وبحالة بدائية يصعب تعديل شيء منها ، كما أنني لم أشاهد بالقرب من البلدة أي أرض حكومية يمكن البلدية أن تستغلها فتعمل على تخطيطها ، إذا ما هي الفائدة من وجود هذه البلدية ، مادام الحال ماذكر ، إنني لا أقصد بهذا - التقليل من مكانة النماص فهو جدير بالاهتمام . لكن فيما عدا البلدية ^(٢) .

والبلديات لا تكون عادة إلا في المدن الكبيرة ، وفي المدن التي قطعت شوطاً في توسيع العمران وكثرة الحركة التجارية وغير ذلك من أنواع النشاط الحضاري ، إنني أعرف مدناً أهم بكثير من بلدة النماص وأجدر منها بإيجاد البلدية ، بل لقد كانت تستحق وجود هذا المرفق منذ سنوات طويلة ، ومع هذا لم ينشأ فيها بلدية ، لقد كان الأجدر بأن يحل محل البلدية مستشفى أو مركز لاسلكي أو فرع للجوازات أو مدرسة متوسطة أو مركز لصيانة الطرق وفتحها أو غير ذلك من المرافق الضرورية الأخرى ، إنها كلمة حق أقولها دون أن أخشى في ذلك لومة لائم . وأعتقد بأن الكثيرين من أهل البلدة نفسها

(١) كان يحيى الألمي (غفر الله له) لا يحمل هم نفسه ، وإنما كان يسير في بلاده ، ويشاهد معاناة بعض السكان وبخاصة في ميادين الصحة والتعليم والتنمية وغيرها ، ثم ينقل مشاهداته مكتوبة إلى المؤسسات الحكومية والمسؤولين ويحثهم على الاعتناء بالأرض والإنسان في نواحي عديدة من منطقة عسير ، ومن المؤكد أن نداءاته وتوصياته قد أثمرت ، وتحققت بعض الإنجازات التنموية لخدمة البشرية .

(٢) يتضح من طرح هذا الرحالة وضوحه وحسن منطقة ، إذا كان في عصره خدمات ضرورية يجب توفرها قبل نشأة البلدية . ثم إن البلديات حتى اليوم مازالت تعاني كثيراً في المدن والحوضر والبلدات الكبيرة ، وذلك لطبيعة الاستيطان البشري قديماً فلم يكن مخططاً له ، وبالتالي فإقامة أي مشروع حديث في القرى والأحياء السكنية القديمة يقابله الكثير من الصعوبات العمرانية والجغرافية التاريخية والقديمة .

يؤيدونني في هذا الرأي ، لأن البلدية لم يحن وقت إيجادها ^(١) . إذ أنها لاتزال بحاجة إلى الكثير من الضروريات ، وبعد ذلك يأتي دور البلدية ، إن طبيعة بلدة النماص في الوقت الحاضر لا تساعد على وجود البلدية ، ومع هذا أرجو أن تبقى البلدية لمدة عام أو عامين لتتأمل ماذا تصنع خلال هذه الفترة ، وماذا يمكن أن تفعله ، إنني متأكد بأنها ستظل جامدة لا تعرف كيف تتصرف حتى ولو زاد عدد العاملين مثلها " .

" وإدارة الشرطة في النماص ، رغم قدمها ومضي فترة طويلة على تأسيسها ، ينقصها الوسائل السريعة لتلافي الحوادث ، كما أن مظهر الإدارة غير مشرف ، إذ لا يوجد فيها شيء من الأثاث والمباني والدواليب ، وكذلك الحال في بعض فروع المصالح الحكومية الموجودة في النماص كالإمارة والصحة ، ولقد كان للأخ الملازم أول فهد بن فحاس رئيس الشرطة في النماص فضل في تنظيم الإدارة وتنسيقها ، لكن إمكانياته لا تساعد على إعطاء التنظيم المطلوب ^(٢) . والشرطة وكل الإدارات في النماص تتبع أبها ما عدا المدارس فإنها تابعة لمنطقة بيشة " ^(٣) .

" هناك أسواق أخرى في المنطقة من أهمها (سبت تنومة) ، و(اثنين العوامر) ، وأرباء السرور ، وخميس كفاف - وهو مجزأ أيضاً بين فخذين كما هو الحال في سوق النماص - شهر في قرية العرق ، وشهر في قرية الخضراء ، ومن الأسواق أيضاً (اثنين حلبا) ^(٤) .

" يبلغ مجموع قرى بني شهر وبني عمرو في السراة (٢٧٣) قرية ^(٥) ، توجد حوالي (٧) قرى بادية ، ومن عاداتهم الكرم والتعاون والمساعدة ، ولا تختلف تقاليدهم عن التقاليد والعادات في أبها ، ورجال ألمع ، ومن منتوجات هذه المنطقة الحنطة والشعير والذرة والعدس ، ومن الفواكه العنب والرمان والموز والخوخ والتفاح والتين الشوكي والتين الأسود ، ومن الخضروات البطاطا والبصل والقرع والطماطم والفاصوليا ، وتشتهر المنطقة بخصوبتها ووفرة مياهها ، وتسقى المزارع هناك بالسواقي ، وبدأت

(١) مازلت أدعو الله أن لا يحرم الأستاذ يحيى الألمي أجر ما وثق قبل أكثر من ستين عاماً ، لأنه يتضح للقارئ المصادقية ، والحيادية ، والشفافية فيما سجله في هذه السطور . وأسأل الله - عز وجل - أن يرزقنا الصدق والإخلاص في جميع أقوالنا وأعمالنا ، إنه على كل شيء قدير .

(٢) ذكر هذا الرحالة الملازم فهد بن فحاس ، واسمه الصحيح سعيد بن فحاس ، وهو من سروات بلسمر ، ومازال له ذرية في بلسمر وأبها ومدن عديدة من المملكة العربية السعودية .

(٣) نعم مدارس النماص كانت تابعة لإدارة تعليم بيشة حتى افتتحت إدارة تعليم النماص في بداية هذا القرن (١٥/٢٠م) .

(٤) جميع هذه الأسواق اندثرت ما عدا سوق سبت تنومة ما زال يقام كل سبت ، لكنه تراجع كثيراً جداً عما كان عليه في الماضي .

(٥) أعتقد أن هذه الإحصائية غير دقيقة ، وربما سمعها من بعض الرواة في سروات بني شهر .

الطريقة الحديثة في الري تستعمل نادراً في بعض القرى وبالأخص في بلدة النماص^(١).

"لقد أنجبت بلاد الحجر رجالاً أصبحوا اليوم من المشاهير، ومنهم الزعيم سعيد العمري ويشغل الآن منصب قائد منطقة الخرج، والعقيد فائز الأسمرى، والعقيد المتقاعد علي عبدالله بن سعير، والقائد محمد عبدالله الشهري ويشغل الآن منصب رئيس حرس القصور الملكية، والأستاذ الأديب حسين الأشول ويشغل الآن منصب مدير إدارة الميزانية بوزارة الزراعة، والأستاذ الأديب علي عبد الخالق الشهري مدير المكتب الزراعي في بني الأسمر وبني الأحمر، وغير هؤلاء كثيرون، ومعظمهم يعمل الآن بالجيش المظفر وقد بلغوا شأواً عظيماً في الرتب^(٢)، وتعتبر أسرة آل العسبلي من مشاهير الأسر في المنطقة، ولهم تاريخ حافل بالبطولات والسؤدد، وأذكر منهم الشيخ علي بن عبد الرحمن العسبلي عمدة بلدة النماص حالياً^(٣)، وقد تعاون معنا كثيراً في هذه الرحلة، وقدم لنا الكثير مما نحتاجه من معلومات عن المنطقة، فله جزيل الشكر، وكذا المشائخ للكلازمة فراج بن شاكر وتركي بن شاكر، ويوجد في النماص واد جميل اسمه (العنب) يقع شرقي النماص وكان يشتهر بكثرة العنب فيما مضى^(٤).

(١) حبذا أن هذا الرحالة فصل الحديث عن التاريخ الزراعي في سروات بني شهر في ثمانينيات القرن الهجري الماضي، فقد كانت الزراعة هي المهنة الرئيسية عند أهل البلاد.

(٢) رحمك الله يا هذا الرحالة الأملعي العسيري، فكنت جاداً في قولك مع توخي الحيادية والإنصاف. وأقول نعم بلاد الحجر، بل عموم بلاد السراة وتهامة عرفت رجالاً أفاضوا على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر. وهذه البلاد تستحق أن توثق سير رجالها وأعلامها منذ ظهور الإسلام إلى الآن، ومن يفعل ذلك، ويكون مخلصاً ومنصفاً بعيداً عن الأهواء والعواطف، فإنه سوف يجد مادة علمية تذكر تاريخ وأمجاد الكثير من رموز وأعلام هذه البلاد العربية الماجدة.

(٣) وإيم الله لقد قلت الصدق والحق يا يحيى بن إبراهيم الأملعي عن هذا الرجل الهمام (الشيخ علي بن عبد الرحمن العسبلي). فقد سمعت ذكر هذا الرجل منذ كنت طفلاً، ثم كبرت وقابلته، وسمعت أقوال الناس عنه، بل بعضهم دون شذرات عن نبلة وطيب نفسه، وهو يحق من أشهر أعلام بني شهر في العصر الحديث، ويأتي في المقدمة حسب المعايير العلمية لتدوين التراجم والسير ليس بماله، ولا نسبه، ولا تعليمه، لكن بفضل، ونبلة، وتواضع، وخلقه، وحبه لفعل الخير لكل من عرف أو لم يعرف. إن أخباره الماجدة كثيرة. وهناك أعلام كثيرون تعاملوا معه، ويشهدون له بذلك، وبعضهم ماتوا، وآخرون مازالوا على قيد الحياة. أمل أن نرى باحثاً ومؤرخاً جاداً ومنصفاً وحيادياً فيكتب سيرته وجهوده وأعماله لخدمة دينه، وأهله، وبلادهم. وقد يظهر من بنات أو أبناء بني شهر بشكل عام، أو قبيلة الكلازمة بوجه خاص من يوثق شيئاً من حياة وتاريخ هذا الرجل النبيل الماجد. (غفر الله له).

(٤) أنا ابن محافظة النماص، ولا أعرف هذا الوادي الذي ذكر هذا الرحالة، وربما يكون في بلاد آل بالرياع، أو وادي الدحض، شرق النماص المشهور بالعديد من الفواكه، ومنها العنب، وكنت أشاهد، وأنا صغير، أهل تلك البلاد وهم يذهبون إلى الأسواق الأسبوعية في المنطقة، ومعهم العديد من الجمال المحملة بالفواكه المحلية المطلوبة من بلادهم ومزارعهم.

ثالثاً: رحلتي وغيري في محافظات تنومة، والنماص، والمجاردة في الفترة من (٦- ١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣- ١٨/٩/٢٠٢١م). بقلم أ. د. غيثان بن علي بن جريس

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد .	٣٦٨
ثانياً:	محافظة تنومة .	٣٧٥
	١- جغرافية تنومة وسكانها.	٣٧٥
	٢- من التاريخ الإداري والعمراني .	٣٨٦
ثالثاً:	محافظة النماص .	٣٩٧
	١- الجغرافيا والسكان .	٣٩٧
	٢- من التاريخ الإداري لمحافظة النماص ومراكزها.	٤٠٩
	٣- صفحات من تاريخ العمران .	٤٢٨
	٤- مشاهدات وانطباعات على محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م). بقلم . د. عبدالله بلقاسم البكري الشهري .	٤٤٠
رابعاً:	محافظة المجاردة.	٤٥٣
	١- مدخل .	٤٥٣
	٢- بعض مشاهداتي وتوثيقاتي على محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) .	٤٥٧
	٣- محافظة المجاردة (شذرات من تاريخها الحديث والمعاصر). بقلم . أ. علي بن عبدالرحمن بن سرده الشهري .	٤٦٤
خامساً:	صفحات من تاريخ الناس في المحافظات الثلاث.	٤٧٠
	١- من التاريخ الاجتماعي .	٤٧١
	٢- لمحات من التاريخ الإداري ، والثقافي والتعليمي .	٤٧٦
	٣- نبذ من التاريخ الاقتصادي، والصحي، والرياضي، والسياحي .	٤٨١

أولاً: تمهيد :

إن بلاد تهامة والسراة ذات عمق تاريخي وحضاري طويل ومتشعب . هذا ما عرفته وتأكد لي من خلال البحث والدراسة والتوثيق خلال الأربعين عاماً الماضية . والذي زاد تعلقي بتراث وموروث هذه الأوطان هو السير في مناكبها ، والوقوف على الكثير من أطلالها ومعالمها الجغرافية والتاريخية ، وأيضاً مشاهدتي آلاف النقوش والرسومات الصخرية . ناهيك عن تراثها المعنوي من قيم ، وأعراف ، وعادات ، وتقاليد ، وشيم ،

ومروءات ، ولغات ، ولهجات ، وأدب ، وفكر ، وعلم ، وثقافة ، وفنون وغيرها^(١) .

هذه البلاد العربية الأصيلة (تهامة والسراة) ميدان ثري ومهم وبكر - إن صح التعبير - لمن يرغب دراسة تاريخها وأحداثها وحضارتها عبر أطوار التاريخ ، وهذا أمر لن يكون سهلاً لندرة مادون عنها ، لكنها مازالت تشتمل على تراث وأثار سطحية ومدفونة كثيرة جداً ، وتحتاج إلى عزيمة قوية ، وبخاصة من أصحاب القرار في البلاد (المملكة العربية السعودية) ثم توفر الكوادر البشرية البارعة والمتخصصة التي تبحث وتتقب عن هذا الموروث . وقبل هذا وبعده لابد من توفر الدعم المادي الاقتصادي الكبير الذي يساعد الباحثين والمتخصصين على إنجاز أعمالهم بنجاح واقتدار^(٢) .

ما سبق الإشارة إليه في الفقرات السابقة ، جوانب علمية تشغلني منذ سن الشباب ، ولابد من الإشارة إليها في بعض بحوثي بين الفينة والأخرى ، وذلك لعلها تجد من يدعمها ويتبناها حتى تكون منجزاً حقيقياً على أرض الواقع^(٣) . وبلادنا تستحق منا الجهد والاجتهاد والتفاني في خدمة أرضها وسكانها ، كل في مجال عمله وتخصصه ، وبخاصة الباحثين والمؤرخين وأساتذة الجامعات فهم من عليهم المسؤولية الكبرى لدراسة وتحليل وتوثيق موروثها الحضاري .

(١) هذه الحقيقة ، فالبلاد الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز (تهامة وسراة) لها تراث وتاريخ حضاري قديم ووسيط وحديث ومعاصر . لكنها للأسف لم تخدم عند مدوني التراث الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى القرن (١٢هـ/١٨م) ، وإن ذكرت في بعض المؤلفات والمخطوطات خلال تلك القرون ، فذكرها جاء مختصراً جداً ، وأحياناً يشار إليها في كلمات ، أو جمل ، أو فقرات قليلة ومحدودة ، فلا يستطيع القارئ والباحث أن يخرجاً بصورة شبه تقريبية عن تاريخ وحضارة هذه البلاد خلال تلك العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . وإذا بحثنا عن حياة الأرض والناس في العصور المتعاقبة قبل الإسلام ، فالأمر أشد صعوبة وغموضاً . ومما لاشك فيه أن هذه البلاد السروية والتهامية مواطن استيطان بشري منذ العصر الحجري ، ولها صلات داخلية وحضارية قبل ميلاد المسيح وبعده حتى ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي .

(٢) من خلال عملي أستاذاً في الجامعة أكثر من (٤٤) عاماً ، فالجامعات المحلية لا تقدر على تحقيق هذه الأمنيات ، ربما لانشغالها بأعمالها الأكاديمية والإدارية الرئيسية . ثم عدم توفر المال الكافي لإنجاز مشاريع كبيرة وبخاصة في ميدان البحث والتنقيب الأثري . وأناذي منذ عدة عقود بإنشاء مراكز بحوث علمية أثرية وحضارية متخصصة لدراسة الأرض والناس في عموم السروات ، ويكون همها البحث عن تراث وموروث هذه الأوطان منذ العصور الحجرية إلى القرن (١١هـ/١٧م) ، وهذا الذي نحتاجه ونبحث عنه ، ومازلنا نجهل معظمه . حيداً أن نرى هذه الأمنية تصبح واقعاً . وقد يتحقق ذلك في قادم الأيام .

(٣) ليس كل ما يتمناه الفرد يتحقق ، لكن من يستقرئ تاريخ وحضارة بلادنا (المملكة العربية السعودية) منذ ثمانين عاماً يجد أموراً كثيرة جداً في ميدان العلم والبحث والمعرفة والتطور الحضاري قد تحققت في وقتنا الحاضر ، وكنا نراها في الماضي من المستحيلات . وما ذكرته في المتن عن الدراسة والتنقيب لآثار وتراث وحضارة بلادنا قبل الإسلام وبعده قد يتحقق ويصبح حقيقة (بإذن الله تعالى) .

والعصر الحديث والمعاصر ليس أقل أهمية من العصور السابقة ، لكن الحياة أصبحت سهلة في شتى الجوانب ، والبحث العلمي صار مخدوماً مالياً ، وعلمياً ، وأكاديمياً وحتى تقنياً وحضارياً . لكن انفتاح العالم على بعضه ، وانشغال الناس بأمور عصرية كثيرة صرفت الغالبية من الباحثين والأكاديميين عن الأمور العلمية والبحثية الجادة . وأوطاننا بحاجة شديدة لنا معاشر الباحثين والمؤرخين ، فالواجب أن نعمل بجد ومثابرة على حفظ تاريخنا وحضارتنا المحلية المعاصرة ، ثم الاجتهاد على ربطها بموروثنا الحضاري القديم الجميل ^(١) . وذلك من أجل أن يطلع على هذا التراث العربي الأصيل أبناءنا وأحفادنا وأجيال المستقبل ^(٢) .

هذه الرحلة الموثقة في هذا القسم لم أقم بها عبثاً ، أو فقط رص سطور وصفحات في هذا العمل التوثيقي ، وإنما هي إحساس بالمسؤولية تجاه أهلي وبلادي (السراة وتهامة) ، فأدون شيئاً من تاريخها وتراثها المعاصر ^(٣) . وليست الرحلة الأولى في مسيرتي العلمية التي زادت عن خمسة عقود ، وإنما طبعت ونشرت مئات الصفحات من الرحلات في عموم السروات وتهامة ^(٤) .

لقد حصرت هذه الرحلة في ثلاث مناطق (محافظات) في السراة وتهامة ، وتحديداً في منطقة عسير . إنها أوطان تنومة ، والنماص ، والمجاردة . وتعرف هذه البلاد أيضاً باسم (بلاد بني شهر وبني عمرو) ^(٥) . ولم أخصها بهذه الرحلة تمييزاً ،

(١) نعم تاريخنا وموروثنا القديم جميل بكل ما تعنيه هذه العبارة ، حتى وإن كان هناك جوع وفقير ومرض وقلة ذات اليد ، لكن الفاحص لحياة الآباء والأجداد في القرون الماضية يجدها مليئة بالمثل ، والقيم ، والشيم والحب ، والتعاون ، والتعاطف ، والتكاتف ، والتكافل المثمر والجميل . كما أن الحياة الاقتصادية ، والعلمية ، والأدبية ، والمعرفية ، والتكيف مع الحياة الاجتماعية في شتى الجوانب كانت هي الأخرى تراث وتاريخ وحضارة تستحق التأمل والاستفادة من إيجابياتها .

(٢) للأسف إن العصر الذي نعيشه حالياً مليء بالسلبيات التي تحارب ماضيها وتراث آبائها وأجدادها . وعلى مؤسسات التعليم العام والعالي ، والإعلام ، والناس أفراداً وجماعات أن يحرصوا على ربط ماضيهم بحاضرهم ، حتى تكون هويتهم ذات عمق وأصالة . ولا يمنع أن نستفيد من كل جديد يفيدنا في حياتنا العامة والخاصة ، لكن لا ننسى وتنسلخ من الارتباط بتراثنا وموروثنا الحضاري الإيجابي والمفيد .

(٣) لا أتمنى أن يسدل الستار على تراث وموروث هذه البلاد في العصر الحديث والمعاصر تدويناً وتوثيقاً . ومن ثم يضيع الكثير من تاريخها وحضارتها ، كما جرى لها ولأهلها منذ العصور الحجرية إلى بدايات العصر الحديث في القرنين (١٠-١١هـ / ١٦-١٧م) .

(٤) للمزيد انظر محمد بن أحمد معبر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (٢٠٢٢-١٥هـ / ٢١-٢٢م) (الرياض : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م) (مجلدان) (١١٠٤ صفحة) . كما انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٥ مجلد) ، وانظر مؤلفات أخرى صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية ، وهي مطبوعة ورقياً ، وأيضاً إلكترونياً على الرابط الآتي : (prof-ghithan.com) .

(٥) مسيرتي مع هذه البلاد ، أنني ولدت وتربيت وتعلمت تعليمي المبكر في أحد أجزائها ، ثم إنني درست ووثقت

أو تعصباً ، فقد شاهدت وارتحلت في غيرها ، ومازلت أسير في ارتحالي وتجوالي في بلدان عديدة في تهامة والسراة وبقية مدن ومناطق وحواضر المملكة العربية السعودية ^(١) .

إنها فقط ستة أيام تجولت خلالها في محافظات تنومة ، والنماص ، والمجاردة ^(٢) . ولا أقول أنني أتيت في تدويني وتوثيقي على كل شيء في هذه النواحي الثلاث . لكنني رصدت صوراً تاريخية وحضارية حديثة ومعاصرة . أرجو أن تكون خطوات أولية لبعض الباحثين والمؤرخين المستقبليين الذين قد يفصلون ويوثقون تاريخ وحضارة هذه البلاد وما جاورها من أراضي السروات وتهامة . كما أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يصحح ما أخطأت فيه ، ويستكمل ما عجزت عن تحقيقه ، ويشرح ما غمض أو يصعب فهمه ^(٣) .

إنني ابن هذه البلاد التي كانت ميداناً واسعاً لهذه الرحلة القصيرة ، ولولم أجد العون والمساندة من بعض أعلامها ، لما كنت حققت هذا العمل العلمي المحدود . إن الذين ساعدوني ووقفوا معي في رحلتي كثيرون ، ويصعب أن آتي عليهم جميعاً ^(٤) ، لكنني أذكر أهمهم من وجهة نظري ، ومما حظيت به من دعم ورعاية ، وهم على النحو الآتي :

١ . عند وصولي مدينة تنومة وجدت الدعم والرعاية والتوجيه من الأخ الأستاذ الكريم عبد الله بن علي بن محمد الطنيني الشهري وابنه الأكبر رشاد بن عبد الله فلهما مني جزيل الشكر والعرفان ^(٥) .

تاريخها وحضارتها في العديد من الدراسات والبحوث المطبوعة والمنشورة ، ولا أدعي أنني أتيت على كل شيء في تراثها وموروثها ، لكنني أزعم أنني ساهمت ببعض الشيء الذي أرجو أن يكون حجة لي لا حجة علي يوم العرض الأكبر أمام رب الأرباب ، رب السماوات والأرض .

(١) إن أي ناحية من نواحي بلاد (المملكة العربية السعودية) اعتبرها موطنياً أصلياً ، وأهلها أهلي . لذا فقد قمت بالعديد من الرحلات في عموم بلاد السروات وتهامة . ومازال هناك بعض النواحي التي أرغب أن أوثق شيئاً من تاريخها وحضارتها الإسلامية المبكرة ، والوسيط، والحديثة ، والمعاصرة . كما أنني أتمنى أن يطيل الله في العمر - على مرضاته - وأرتحل في بعض مناطق ومدن المملكة العربية السعودية الأخرى . والمدينة المنورة ومكة المكرمة من أوائل تلك البلدان التي أطلع إلى توثيق صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر ، أسأل الله أن يوفقني إلى تحقيق ذلك في القريب العاجل .

(٢) في الفترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣-١٨/٩/٢٠٢١م) .

(٣) هذه مهنة الباحث أو الباحثين المنصفين الحياديين الذين لا يأفنون من تصويب الأخطاء العلمية ، وشرح الغامض ، وإضافة جديد . وبلادنا (السراة وتهامة) تحتوي على كل جديد لمن أراد دراسة تاريخها وتراثها وموروثها الحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٤) أسأل الله العلي القدير أن يوفق من ساعدني في هذه الرحلة القصيرة ، وأن يرزقهم من فضله ، وأن يجعل عملي وأعمالهم ، وقولي وأقوالهم خالصة لوجهه الكريم .

(٥) أوردت ترجمة مختصرة للأستاذ عبد الله الطنيني في صفحة تالية من هذه الرحلة ، كما أوردت ترجمة لابنه الدكتور رشاد وذكرت مكانها في عدد من مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة .

٢. كان الأستاذ علي بن محمد بن فائز العسيلي ممن ساعدني في محافظة النماص، فلم يقصر في تقديم ما استطاع، فله مني جزيل الشكر والعرفان^(١). كما أن الإخوة الكرام الشيخ فهد بن دعبش الشهري، والأستاذين حسن بن حنش العمري، وصقر بن عبد الله العمري قد تعاونوا معي كثيراً في توضيح وتصويب الكثير من المعلومات الخاصة بأوطانهم السروية الممتدة من بلاد بني التيم الشهرية إلى ديار بني رافع العمرية فجزاهم الله عني خير الجزاء^(٢).

٣. وجدت الدعم والرعاية من بعض أعلام تهامة وبخاصة محافظة المجاردة وما جاورهم، ومن أهمهم الأبْن حسن بن فيصل بن محمد الشهري^(٣)، والأساتذة محمد بن محسن الشهري، وعبد الله بن معيض الشهري، وعلي بن زاهر الشهري. الذين تعاونوا معي كثيراً، وقدموا لي الكثير من التفصيلات عن أوطانهم التي تقع ضمن محافظة المجاردة فلهم جزيل الشكر والتقدير^(٤).

٤. لقد حظيت بالتعاون المثمر من علمين كريمين، إنهما: الدكتور عبد الله بلقاسم البكري الشهري، والأستاذ علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهري. فكتب الأول بضع صفحات عن محافظة النماص. ودون الثاني أيضاً صفحات محدودة عن محافظة المجاردة. وكان عليّ أن أترك مدونتيهما على وضعهما الذي وصلتني عليه، وأنشرهما باسميهما مع إضافة بعض التعليقات في الحواشي، فشكر الله لهما، وجزاهما كل خير^(٥).

٥. وفقت بأستاذين كريمين هما: (١) عبد الله بن جاري بن محمد البكري الشهري. (٢) عبد السلام بن عثمان بن ظافر آل الشيخ العمري. اللذان لم يألوا جهداً

(١) الأستاذ علي العسيلي من أعيان محافظة النماص، وله مساهمات كثيرة في خدمة أهله وبلاده. وقد أشرت إلى شيء من سيرته الذاتية في عدد من مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٢) الإخوة الفضلاء الشيخ فهد بن دعبش، والأستاذان حسن بن حنش العمري، وصقر العمري من أعيان ووجهاء بلادهم، ولهم العديد من البصمات الجيدة في خدمة أهلهم وبلادهم.

(٣) الابن حسن بن فيصل من طلابي النجباء، وهو يعمل حالياً في مهنة التدريس، ويقوم في هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بكتابة رسالة الدكتوراه، وقريباً سيحصل على الدرجة (بإذن الله تعالى). دونت له ترجمة في (الجزء الحادي عشر) من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). وقد ساعدني في نواحي عديدة من مدينة المجاردة وبعض مراكزها.

(٤) الأستاذ محمد بن محسن الشهري تعاون معي مشكوراً فيما يتعلق بمركز عيس. كما اتصل بالأخوين الفاضلين عبد الله بن معيض الشهري، وعلي بن زاهر الشهري اللذين زوداني ببعض التفصيلات عن بلادهم (مركز ختية) فلهم جميعاً خالص الحب والتقدير ونسأل الله جميعاً أن يخلص لنا الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير.

(٥) سبق لهذين العلمين أن شاركا معي في بعض مؤلفاتي السابقة، ولهما تراجم فالبكري في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثاني) طبعتان أولى وثانية). وابن سرده في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٢-١٤هـ/١٠-٢٠م). الطبعتان (الثانية، والثالثة، والرابعة).

في دعم هذا العمل العلمي بالصور الفوتوغرافية الملونة . فالأول (ابن جاري) ساعدني بكل الصور المنشورة عن المحافظات الثلاث ، مع أنني حاولت التقاط صور لبعض المعالم في كل محافظة ، لكنها لم تكن ذات مستوى جيد ، عندئذ ذهبت إلى الأستاذ عبد الله وذكرت له مهمتي ، ورجوته أن يساعدي ، لعلمي أنه مصور محترف ، وعنده عشرات الآلاف من الصور الفوتوغرافية^(١) ، فلم أجد منه إلا حسن الاستقبال ، وبشاشة المحيا ، وتلبية طلبتي (فجزاه الله كل خير)^(٢) .

أما العلم الآخر فهو الأستاذ عبد السلام بن عثمان العمري ، عرفته منذ ثلاث سنوات (٢٠١٨ م) . أنه من الشباب النابهين المبدعين وبخاصة في علم التقنية والحاسب الآلي . فهو الذي خدمني على رفع مؤلفاتي وبحوثي على الموقع الإلكتروني (Prof-ghithan.com) . وكانت رغبتي وأمنيته جعل جميع أعماله العلمية المطبوعة والمنشورة ، لمدة أربعة عقود ، وقفاً لله (عز وجل) على موقع تقني حتى تعم فائدتها ويستفيد منها طلاب العلم والباحثات والباحثون . وقد تحقق ذلك ، بفضل الله عز

(١) إنني أسمع عن هذا الرجل منذ عشرين سنة ، وشاهدته عن بعد قبل عدة سنوات من تدوين هذه السطور . وأخبرني الكثير من الناس أنه مصور محترف وبارع ، وله إسهامات ونشاطات عديدة في هذا الميدان ، وكنت أرغب في الالتقاء به ، ثم طلبه تزويدي ببعض الصور . لكن قال لي من حدثني عنه أنه لا يعطي أحد شيئاً ، وإن طلبته فلن يتعاون معك . وبقيت سنوات أحمل هذا الانطباع ، لكنني لم أجرب حتى رحلتي الأخيرة (١٤٤٣/٢/١١هـ) ، ثم قابلته وبينت له ماذا أريد ، فكان رده إيجابياً ، ولم يدخر جهداً في مساعدتي . وأخبرته عند أول مقابلة إن حقه العلمي محفوظ ، وهذا أقل شيء أقدمه له . والرجل (جزاه الله كل خير) متعاون جداً ، لكنه لا يرغب ولا يتمنى نسيان أو ضياع حقوقه الفكرية .

(٢) الأستاذ عبد الله بن جاري من قبيلة بني بكر الشهرية ، من مواليد (١١/شوال/١٣٩١هـ) في بلدة قرية بني بكر بالنماص . تعلم مراحل تعليمه العام في مدينة النماص . ثم التحق بكلية الملك فهد الأمنية عام (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) . وهو حالياً برتبة عقيد ، مدير إدارة الدفاع المدني بالنماص . يذكر عن نفسه أنه " كان هاوياً للتصوير الفوتوغرافي منذ صغره ، امتلك أول كاميرا عام (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ثم صار يمارس تصوير المناسبات الاجتماعية والمناظر الطبيعية ، كما زاد اهتمامه بجمع الصور التراثية القديمة لبعض حواضر بلاد بني شهر وبني عمرو . وفي عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) توسعت دائرة اهتماماته لتشمل منطقة عسير وحواضر ونواحي عديدة في عموم المملكة العربية السعودية حتى صار عنده في الوقت الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) أرشيف ضخم يضم أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف صورة قديمة وحديثة " . شارك الأستاذ عبد الله في عدد من المشاركات الداخلية والخارجية ، ومنها : (١) معرض كوريا الجنوبية أثناء زيارة ولي العهد لبيكين عام (٢٠١٩م) ، كان ضمن برنامج (جسور إلى سيؤول) . (٢) شارك في مجال التصوير ، وعرض بعض مقتنياته من الصور في مهرجان الجنادرية الوطني لمدة خمسة مواسم متفرقة (٣) شارك في العديد من الكتب ، والمطبوعات والصحف المحلية المختلفة مثل كتاب (تنومة رحلة بصرية) . وكتاب (بني شهر همم وقمم) . وكتاب (النماص موطن النمر العربي) . (٤) شارك أيضاً في برامج التثقيف السياحي في محافظتي تنومة والنماص ولعدة مواسم . كما حصل على جائزة الأمير سلطان بن سلمان للمصورين الرواد عام (٢٠١٧م) . أرجو من الأستاذ عبد الله أن يتعاون مع بعض الباحثين الجادين لنشر ما عنده من ثروة علمية مادتها الرئيسية الصورة الفوتوغرافية . (ابن جريس) .

وجل ، ثم بفضل إخوة وأبناء أكارم ساهموا معي في تحقيق هذا المشروع . والأستاذ عبد السلام في مقدمة هؤلاء الأعلام النبلاء ^(١) . (فجزاهم الله عني كل خير) .

وفي الختام ، أسأل الله عز وجل ، أن يخلص لنا جميع أعمالنا وأقوالنا ، ويجعلنا من الذين يقولون القول فيتبعون أحسنه ، وأن لا يحرمنا الأجر والثواب ، وأن يسخرنا لكل عمل مفيد وصالح لنا في الدنيا والآخرة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين . (١/٥/١٤٤٣ هـ الموافق ١٢/٥/٢٠٢١ م) .

(١) الأستاذ عبد السلام بن عثمان العمري من مواليد قرية ذات العلب في بلاد عمرو الشام عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) . تلقى تعليمه العام في منطقة عسير ، حصل على درجة البكالوريوس في علم الحاسبات، تحليل النظم من جامعة الملك عبد العزيز عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . حصل على عدد من الدورات مثل: الأمن السيبراني ، المهارات الاستقصائية للمعلم ، التعليم الإلكتروني ، مهارات تدريسية، مناهج الحاسب المطورة ، التحول الرقمي والتطبيقات الحاسوبية ، تقنيات التعليم ، الاختبارات الدولية ، دمج التقنية بالتعليم ، أدوات القياس والتقويم ، الذكاءات المتعددة ، التخطيط الاستراتيجي، كما عمل أميناً للجنة الخطة التشغيلية المدرسية ، ومنسق الجودة والأداء المدرسي ، ورائد النشاط الطلابي ، وعضو لجنة الاختبارات ومنسق الإعلام المدرسي . وهو عضو في المنصة الوطنية للعمل التطوعي . شارك في عدد من المؤتمرات واللقاءات مثل: (١) برنامج خدمة المجتمع عام (٢٠١٦م) . (٢) مؤتمر (STEM) في مدينة أبها عام (٢٠١٧م) . (٣) مؤتمر تطوير مناهج الحاسب الآلي في مدينة أبها عام (٢٠١٨م) . (٤) ملتقى الإشراف التربوي عام (٢٠١٩م) . ومن إنجازاته ما يلي : (أ) تصميم ثم الإشراف على موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس . (ب) إجراء تحليل مناهج مادة الحاسب لمرحلة الثانوية عام (٢٠٠٩م) . (ج) منسق قسم الحاسب بتعليم النماص للقطاع الشمالي لمدة خمس سنوات . (د) حقق المركز الأول في أولمبياد الحاسب الآلي على مستوى تعليم النماص عام (٢٠١٧م) . (هـ) حقق المركز الأول في أولمبياد الحاسب وتطبيقات الجوال على مستوى وزارة التعليم عام (٢٠١٧م) . والأستاذ عبد السلام على قدر كبير من الدماثة ، ولطف المعشر ، وحسن الخلق . (ابن جريس) .

ثانياً: محافظة تنومة؛

بلاد تنومة معروفة ومذكورة في بعض المصادر التاريخية منذ عصور ما قبل الإسلام ، وورد ذكرها في بعض مصادر التراث الإسلامي المبكر والوسيط ^(١) . أما في العصر الحديث والمعاصر فلها تاريخ واسع في الوثائق والمخطوطات والمراجع المطبوعة والمنشورة ^(٢) .

في هذا البحث لن أسهب في الحديث أو النقل من المصادر والمراجع المطبوعة والمنشورة عن محافظة تنومة ، ومن أراد الرجوع إلى ما كتب عنها ووثق فإنه سيجد بغيته ضمن محتويات المكتبة العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ^(٣) . وإنما حديثي يتركز على محافظة تنومة في بدايات عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وقد أدون في الحواشي بعض الشروح والتفصيلات التي تخدم مادة هذه الرحلة .

١- جغرافية تنومة وسكانها :

(*) شذرات من الجغرافيا :

تقع محافظة تنومة في شمال منطقة عسير ^(٤) ، لها سروات وبواد ، ومنحدرات سرورية تهامية . ويحدها من الجنوب سروات مركز بلسمر ، والشمال الظهارة وأجزاء من بلاد

(١) هناك مصادر أجنبية قديمة وحديثة ذكرت بلاد السراة ، ومن ضمنها أوطان تنومة وما جاورها . ومثل هذه المصادر جديرة بالجمع والترجمة ثم الطباعة والنشر . أما الآثار المدفونة والسطحية القديمة في أراضي تنومة وغيرها من بلاد السراة وتهامة فهي من المصادر القديمة والمهمة التي تحتوي على شيء من تاريخ وحضارة بلادنا وبخاصة السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة ونجران . والمصادر الإسلامية المبكرة والوسيلة لا تخلو من إشارات متفرقة عن بلدان السروات ، وتنومة واحدة منها .

(٢) من يبحث عن تاريخ وحضارة أرض وسكان بلاد تنومة في العصر الحديث والمعاصر فإنه يجد الكثير من الوثائق العربية والأجنبية غير المنشورة وفيها تفصيلات عن جوانب عديدة لإقليم عسير بمفهومه الواسع ، ولتنومة ذكر جيد في هذه المصادر والمراجع .

(٣) هناك عشرات البحوث والدراسات المنشورة وغير المنشورة التي صدرت خلال الخمسين عاماً الماضية ، ولبلاذ تنومية ذكر فيها ، ويتفاوت هذا الذكر من دراسة لأخرى . كما أن هناك بعض الدراسات الأجنبية التي لا تخلو من إشارات متفرقة ومتفاوتة لأرض وسكان محافظة تنومة . والدكتور صالح أبوعراد أصدر مؤخراً دراسة بعنوان : تنومة زهراء السروات (دراسة جغرافية حضارية) (١٤٤١هـ / ٢٠٢١م) أورد فيها أسماء الكثير من المصادر والمراجع التي حفظت شيئاً من تاريخ وحضارة محافظة تنومة ، وجل مادة الكتاب تدور في فلك التاريخ الحديث والمعاصر .

(٤) بلدة تنومة قديمة في تاريخها واستيطانها البشري ، كانت القبائل العربية التي تسكنها منذ القدم تدير شؤونها الإدارية والحضارية ، كما اتصل شيوخ تلك القبائل ببعض القوى السياسية التي ظهرت في الحجاز أو عسير خلال العصر الحديث . لكن منذ مجيء الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل وتأسيس المملكة العربية السعودية صارت هذه الناحية جزء من دولة ابن سعود ، وتأسست فيها بعض المؤسسات الإدارية من بداية الثلاثينيات في القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ثم صارت مركزاً إدارياً في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، وفي منتصف الثلاثينيات أصبحت إحدى محافظات منطقة عسير .

العوامر التابعة لمحافظة النماص، ومن الشرق أجزاء من محافظة بيشة، ومن الغرب أجزاء من محافظتي المجاردة وبارق^(١). وأطوالها من الشمال إلى الجنوب تتراوح بين (٢٠.١٧ كم). ومن الشرق إلى الغرب حوالي (٧٠ - ٧٥ كم). ومساحتها تتراوح بين (١١٩٠ - ١٥٠٠ م^٢). وترتفع أراضي المحافظة عن سطح البحر بين (٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ م)، وربما زادت عن ذلك عند قمم جبالها العالية والكبيرة^(٢).

"والناظر في محافظة تنومة وكثافة مستوطناتها البشرية يجدها في سهل منبسط يمتد من الجنوب إلى الشمال^(٣). وتحيط بها الجبال من كل النواحي وبخاصة من الجهتين الشرقية والغربية. وهناك تضاريس أخرى مختلفة للمحافظة ممثلة فيما يعرف بـ (الأشعاف، ومفردها شعف)^(٤). والأصدار، وهي منحدرات السروات الغربية^(٥)، والأجزاء البدوية الممتدة إلى مركز منصبة شرق المحافظة^(٦). والغالب على

(١) يحيط بمحافظة تنومة محافظات عديدة، وجميعها تتبع إمارة منطقة عسير. ويتضح موقع هذه المحافظة الاستراتيجي، وصلاتها الحضارية مع بلدان ومحافظات مهمة ورئيسية في المنطقة. المصدر: مشاهدات الباحث، فهو يتحول في ربوع هذه المحافظات منذ تسعينيات القرن (١٤/هـ - ٢٠ م).

(٢) اطلعت على مراجع عديدة تحدثت عن مساحة المحافظة، فلم تكن ثابتة على رقم محدد، وإنما تراوحت الروايات في هذا الجانب من (١١٠٠ - ٢٠٠٠ كم^٢)، وقد قست طولها من الشمال إلى الجنوب فكانت كما ذكرت أعلاه حسب نقطة البداية والنهاية من أطراف الحد الجنوبي إلى نهاية المحافظة في الأطراف الشمالية.

(٣) هذا التباين في ارتفاعها عن سطح البحر يخضع لمستوى الارتفاع على أرض تنومة، فالأراضي السهلية والمنبسطة في المحافظة أو الأجزاء الشرقية تختلف عن المرتفعات وقمم الجبال العالية المتناثرة في عموم المحافظة. فمثلاً قمة جبل منعاء يختلف عن مستوى وسط المدينة أو في بعض أغوارها الشرقية والغربية. وهذا المقياس تقريبي وقد يأتي باحث آخر فيخالفني الرأي، ويكون لديه أسباب ومبررات أخرى.

(٤) يعرف هذا السهل عند السكان المحليين بـ (وسط تنومة) أو (سهل تنومة)، أو (مدينة تنومة). هذا ما سمعته من أكثر من شخص أثناء تجوالي في ربوع المحافظة يوم الإثنين (١٤٤٢/٢/٦ هـ).

(٥) الأشعاف تمتد من الشمال إلى الجنوب، ومما أخبرني به بعض التنوميين شعف آل سودة، وشعف آل معافا، وشعف آل صفوان، وربما هناك أشعاف أخرى عديدة لم يذكرها لي، لكن الذاهب على رؤوس الجبال الغربية يلحظ بلدانا وقرى عديدة متفاوتة في كثافة سكانها ومواردها الطبيعية، وجميعها ضمن منطقة الأشعاف.

(٦) إن الذاهب من سروات الطائف إلى ظهران الجنوب يجد سفوح السروات الغربية يطلق عليها اسم (الأصدار)، وسكان هذه النواحي عادة فروع من القبائل السروية الممتدة من بلاد وادعة وقحطان إلى الطائف، وهي مرتادة من قبلهم أثناء رعي مواشيهم، أو جمع الحطب، أو ممارسة مهنة الصيد. وغالبا يكون في هذه الأصدار حلل صغيرة، أو تجمعات وبيوت سكنية مخدومة ينزل السرويون إليها في مواسم الشتاء للدفاء ورعي مواشيهم. وقد شاهدت الكثير من هذه الحلل التابعة لبعض القبائل في محافظتي تنومة والنماص، ولها مسميات، وما زال بعضها قائما حتى الآن، لكنها لم تعد مستخدمة كما كانت في السابق. حبذا أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ هذه الحلل، أو (الحلال) التي كانت مستخدمة بكثرة حتى بدايات هذا القرن (١٥/هـ - ٢٠ م).

(٧) منصبة موطن بعض قبائل بني أثلة، ويذكر أنها من أوائل النواحي التي جاءت إليها السيارات عن طريق بيشة حتى وصلت سروات تنومة في بداية السبعينيات من القرن (١٤/هـ - ٢٠ م). ومنصبة المركز الوحيد التابع لمحافظة تنومة ويصب فيها عدد من الأودية مثل: وادي الدم الأبيض، ووادي الدم الأحمر اللذان ينبعان من سروات تنومة وبللسمر. ووادي الصحن وثار من مرتفعات بللسمر. وتقع منصبة على وادي بيشة، ومساحتها تقريبا (٢٠ كم^٢)، وعدد سكانها حاليا تقريبا (٢٠٠٠ - ٥٠٠٠) نسمة. وفيها

تضاريس تنومة تعدد جبالها وتنوعها . فالمدينة محاطة بالكثير من الجبال والهضاب المتفاوتة في ارتفاعاتها ، ومساحاتها ، ومواردها الطبيعية . ولا تخلو أجزاء المحافظة الغربية والشرقية . من جبال ومرتفعات أخرى^(١) . ومن أهم الجبال في هذه المحافظة وبخاصة القريبة من الحاضرة ، ما سوف نوثقه في الصفحات الآتية :

أ. جبال منعاء :

ربما سميت بهذا الاسم لارتفاعها وصعوبة تضاريسها ، فهي جبال شاهقة شرق سهل حاضرة تنومة ، وتمتد من الجنوب إلى الشمال ، وربما ارتفاعها عن سطح البحر يزيد عن (٢٥٠٠ م) وهي جبال متقاودة ومتباينة في حزونها وتضاريسها ، ويغلب عليها اسم (منعاء) وتبدو للمشاهد جبال عديدة . وفي قممها العديد من القرى^(٢) . التي يسكنها الكثير من السكان ، ويمارسون مهنة الزراعة ، والصيد ، وبعض الحرف الاقتصادية الأخرى^(٣) . ويذكر بعض سكان هذه القرى أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعانون من صعوبة التضاريس لممارسة حياتهم المعيشية ، وبخاصة إذا رغبوا النزول إلى سهول تنومة وجلب ما يحتاجونه لاستمرار حياتهم المعيشية^(٤) .

إدارة المركز في عمارة مستأجرة تتبع للمحافظة ، ومستوصف ، ومركز خدمات للبلدية ، وجميع أبنيتها مستأجرة . وجميع مدارس التعليم العام للبنات والبنين من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية ، وجميع المدارس أبنية حكومية تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة . لم أذهب إليها في رحلتي الحالية لكن هذا ما أخبرني به الأستاذان عبدالله الطنيني الشهري وهاجد بن مروان الشهري يوم الجمعة (١٠ / ٢ / ١٤٤٣ هـ) .

(١) من الصعب حصر كل الجبال والهضاب الموجودة في محافظة تنومة من أطرافها الغربية إلى نواحيها الشرقية في بلاد منصبة ، فذلك موضوع يحتاج أن يبسط في عشرات الصفحات . بل جبال السروات من الطائف إلى نجران تحتاج أن تدرس وتوثق في عدد من المجلدات ، أمل أن نرى كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية يقومون على خدمة هذا الموضوع وتوثيقه بالشرح والصورة .

(٢) وجدت من أسماء القرى في أعالي جبال تنومة قرى آل سيارة ، وعتمة ، وآل رزيق وغيرها . والغريب أنني وجدت سكان قرية آل رزيق القاطنين في هذا الجبل هم أساساً من قرية والدي (آل رزيق) التي تقع في وادي رديحة شمال مدينة النماص ، وذكر لي بعض أفراد هذه القرية أن أجدادهم نزحوا من قريتهم الأصل منذ قرنين تقريباً واستقروا مع غيرهم في رأس جبال منعاء ، وهم وغيرهم يمتلكون الكثير من الأراضي والدور والعقارات حتى الآن (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٠ م) .

(٣) سبق أن زرت قمم جبال منعاء قبل عشرين عاماً ثم زرتها في زمن هذه الرحلة المدونة في هذه الورقات ورأيت بيوت السكان القديمة مبنية بالحجر والطين ، وبعضها يرتفع إلى أكثر من طابق ، وعندهم الكثير من الأراضي الزراعية العثرية والمسقوية ، ويوجد في بلادهم أباراً عديدة منقورة بعضها في الصخور . وتلك البيوت الحجرية صار بعضها مهجوراً ، وأحياناً مستخدمة بشكل بسيط ، وأصبحت المنازل المسلحة بالأسمنت والحديد هي المستخدمة حالياً وأدوارها تتراوح من طابق إلى ثلاثة طوابق ، ولأغلب البيوت الحديثة مرافق وأحواش ، وجميعها مخدومة بالكهرباء ، ودورات المياه ، ووصول المياه إليها عن طريق مكائن على الآبار القريبة من أماكن الاستيطان . وقد شاهدت مثل حياة هؤلاء الناس في بعض مرتفعات عسير الأخرى ، وجازان ، والباحة . ومثل هذه الأماكن الاستيطانية جديدة أن يدرس تاريخها عبر عصور التاريخ .

(٤) نشاهد اليوم طريقاً سهلاً ومسفلتاً بعرض (١٢-١٥ م) تقريباً ، يصعد من جنوب جبال منعاء إلى القمة ثم يعود

ب- جبل عكران :

هذا الجبل جزء من سلسلة جبال منعاء ، والكثير من الناس يطلق عليه اسم (منعاء) وهو مجاور لبلاد منعاء من الجهة الشمالية ، ومتصل مع بعضها * وآخرون يذكرونه باسمه (عكران) ، ولا يعدونه جزء من جبال منعاء ^(١) . وارتفاعه يزيد قليلا عن ارتفاع جبل منعاء ، السابق ذكره . وهو أشد وعورة من سابقه ، وخاليا من الاستيطان البشري .

ج- جبال لنبش وغلالة :

كلاهما يقعان شمال محافظة تنومة ، وهما متجاوران ، فغلالة إلى الشمال ، ويجاوره من الجنوب جبل لنبش ^(٢) ، وارتفاعهما يزيدان عن (٢٥٠٠ م) . ويأتي عند سفوحهما من الجنوب والغرب بعض قرى محافظة تنومة ، وأعاليهما والأجزاء المرتفعة منهما خالية من الاستيطان البشري ، ولا يوجد فيهما طرق للسيارة لصعوبة تضاريسهما ^(٣) .

د- جبال قریش :

جبال عديدة مترابطة في الجهة الجنوبية من محافظة تنومة ، وهي مأهولة بالسكان ، ففيها العديد من القرى القديمة والحديثة ، وغنية بأراضيها الزراعية ، ومياهها الجوفية العذبة . ويصل بينها وبين الطريق العام طريق مسفلت بعرض عشرة أمتار تقريبا . ولا تخلو أرضها من نباتات وأشجار متنوعة ومتباينة في أحجامها وأشكالها ^(٤) .

هـ- جبال بعطان ، وعبدالله ، وعيسى وآل سودة وغيرها :

إن الذهاب في مناكب محافظة تنومة الغربية يلحظ العديد من الجبال الصغيرة والكبيرة ، المتفاوتة في أشكالها وغطائها النباتي . وهذه الجبال المذكورة أعلاه وغيرها تقع في الناحية الغربية الممتدة من وسط مدينة تنومة إلى شمال المحافظة . وهي تتفاوت في ارتفاعها ، ومعظمها مأهول بالسكان ، وتعد بعض أجزائها وما يحيط بها من أجمل

من الجهة الشمالية حتى ينزل المنطقة المركزية في مدينة تنومة . وهذا الطريق سهل الكثير من الأمور المعيشية لخدمة وتنمية جميع القرى والسكان الذين يستوطنون فيها . وأثناء تجوالي في بعض القرى والأجزاء من قمة الجبل رأيت سكان هذه الناحية يعيشون حياة سهلة وينعمون بجميع مميزات الحياة الحضرية الحديثة التي يعيشها سكان المدينة والقرى في السهول التنومية . وتاريخ التطور والتنمية الذي تمر به جميع بلاد تهامة والسرعة منذ بداية هذا القرن (١٥ هـ / ٢٠ م) موضوع جديد يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية .

(١) التصاق الجبال ببعضها ، ثم تشابه ألوانها ، ومكوناتها هي التي جعلت أكثر الناس يطلق عليها اسم (منعاء) دون تفريق .

(٢) ليس هذان الجبلان بعيدين في تقاربهما وتلاصقهما عما شاهدناه وذكرناه عن جبلي منعاء وعكران * والغالب على بعض جبال تنومة الشرقية الكبيرة ترابطها مع بعضها وتلاصقها وتشابها في التضاريس ومواردها الطبيعية .

(٣) مشاهدات الباحث يومي الإثنين والثلاثاء (٦ - ٧ / ٢ / ١٤٤٣ هـ) .

(٤) المصدر نفسه .

بلاد تنومة لوفرة أشجارها وتنوعها ^(١).

و- جبلا عبدا أو (العابد) ومومة :

الأول صغير أو متوسط الارتفاع وسط مدينة تنومة وقريباً من الخط العام الذي يربط أبها مع الطائف . وقد يصل ارتفاعه إلى (١٥٠٠ - ١٨٠٠ م) عن سطح البحر ، ويذكر أنه كان أحد المحطات الرئيسية للمسافرين والحجاج والتجار . وربما سمي عبداً أو (العابد) لأنه كان محطة للحجاج اليمنيين الذين كانوا ينزلون فيه حتى يتزودون من سوق السبت الأسبوعي بما يحتاجونه من زاد وأغلاف لبهائمهم أثناء ذهابهم أو عودتهم من رحلة الحج ^(٢).

أما جبل مومة فيقع في الناحية الشمالية الغربية من محافظة تنومة ، وارتفاعه يزيد عن (٢٧٠٠ م) ، ويوجد فيه بعض المستوطنات البشرية ، وفيه العديد من القرى المليئة بالمنازل القديمة والحديثة ، وكذلك الأراضي الزراعية ، ويطل على منطقة الأصدار من الناحية الغربية وعلى بعض أودية وأراضي تنومة من الشرق . ويصل هذا الجبل وما حوله طريق مسفلت متفرع من الطريق العام بمسافة تقدر بأربعة أو خمسة كيلومترات ^(٣). وهذه الجبال تتصل ببعض الجبال الشمالية المعروفة باسم (جبال شري) التابعة لمحافظة النماص .

أما الأودية التي شاهدها وسمعت عنها في محافظة تنومة ، فهي على النحو الآتي :

١- وادي تريس أو (ترجس) ^(٤).

من كبار الأودية في محافظة تنومة ، يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من أرض المحافظة ، تأتي منابعه من سروات تنومة الجنوبية ، ويسير شرقاً ، وترفده عدد من الأودية

(١) عند تجوالي في حاضرة تنومة ومقابلتي بعض أعلامها ذكروا لي الكثير من المعالم الجغرافية وبخاصة الجبال ، ولم أستطع أن أدون كل ما سمعته من أسماء الجبال أو الأعلام الجغرافية الأخرى ، لكنني أقول إن محافظة تنومة وبخاصة الحاضرة مليئة بالجبال التي لها ذكر ولا تخلو من أحداث تاريخية وحضارية ، وهي جديرة أن تدرس في كتاب أو بحث علمي .

(٢) كان هناك طريق مسلوک من اليمن وبلاد عسير عبر أعالي السروات حتى الحجاز ، والمسافرون والحجاج اليمنيون كانوا كثيراً ما يسلكون هذا الطريق ، حتى إن بعض أجزاء هذا الطريق من بلاد قحطان إلى الطائف يطلق عليها طريق (العصبه) نسبة إلى اليمنيين العصبه الذين كانوا يرتادونه . وتاريخ طريق العصبه موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في كتاب أو رسالة .

(٣) منذ صغري كنت أسمع ذكر جبل مومة ، حتى أن الإنسان في بلادنا آنذاك إذا أراد أن يدعو على أحد يقول له " رجموا بك في مومة " ، أو (خذوه ياهل مومة) وأحياناً يقولون (حرفة) بدلاً من مصطلح (مومة) وذلك اعتقاداً أنها من مواطن الجن . وهذه من الخرافات التي كانت تصدر من بعض العامة ويعتقدون فيها .

(٤) اسم الوادي ترجس ، لكن في اللغة المحلية يقلبون الجيم ياء فيطلق عليه اسم (تريس) . ودراسة لهجات سروات بلاد الحجر من الموضوعات الجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في كتاب أو بحث علمي مطول .

المحلية الأخرى حتى يصب في وادي الجوف ثم وادي ترج الذي يصب في وادي بيشة^(١).

٢- وادي تنومة والمطعن :

وادي تنومة ، يطلق الاسم على حاضرة تنومة ، ويسير من وسط مدينة تنومة نحو الجنوب والجنوب الشرقي ، ويرفده بعض الأودية المحلية الصغيرة حتى يصب في وادي ترجس (تريس) . ويوجد على جانبيه الكثير من الأراضي الزراعية العثرية والمسقوية^(٢). ووادي المطعن من الأودية التنومية الكبيرة يبدأ من غرب جبال منعاء ، ويسير شمالاً ، ويلتقي مع وادي تنومة في مصب واحد ، والواديان من روافد وادي ترجس الذي يصب في وادي ترج . وهو في مستوى وادي تنومة من حيث الاستيطان البشري وغناه بالمزروعات المختلفة .

٣- أودية الغر ، ومليح ، وبني لام ، وقنطان :

جميعها شمال محافظة تنومة ، فمنابع وادي الغر تأتي من بعض بلاد العوامر التابعة لمحافظة النماص ، وتحديدًا من مرتفعات عقبة القامة وجبال لنبش ويتجه شرقًا مع غيره من الأودية حتى يصب في وادي ترج . كان هذا الوادي غزير المياه ، والأشجار الطبيعية والمثمرة ، بالإضافة إلى غنى أراضيه الزراعية بالعديد من المحاصيل^(٣). وادي مليح يقع إلى الجنوب من وادي الغر ، ويلتقي معه وغيره من أودية عقبة القامة ، وتسير شرقًا حتى تصب في ترج . وهذا الوادي لا يخلو أيضًا من أشجار متنوعة ومزروعات مختلفة ، لكنه ليس في مستوى وادي الغر من حيث غزارة المياه وكثافة الغطاء النباتي . أما وادي بني لام ، فاسمه جاء من اسم سكان الوادي ، وتأتي منابعه من سروات شعف

(١) هناك الكثير من التفصيلات عن وادي بيشة قديماً وحديثاً . ووادي ترج الرئيسي الذي تعتبر أراضيه اليوم جزء من محافظة بيشة مذكور في الكثير من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة . وكثير من أودية سروات بني شهر تصب في وادي ترج . وقد قمت برحلة في أجزاء من منطقة عسير في الفترة من (١٠-١٣/١٢/١٤٤١هـ) ووصلت في تلك الجولة إلى وادي ترج الرئيسي ، ودونت شيئاً من جغرافيته وتاريخه وحضارته . وهذا الوادي ما زال يستحق أن يفرد له دراسة مطولة يدون فيها أهميته التاريخية والجغرافية والحضارية . أمل من جامعة بيشة وكلياتها وأقسامها النظرية وبخاصة قسمي التاريخ والجغرافيا أن تلتفت لدراسة هذا الوادي الشهير . انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (١٤٤٢هـ/٢٠١٩م) ج ٢١، ص ٣٩١ وما بعدها .

(٢) عرفت هذا الوادي منذ تسعينيات القرن (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م) ، عندما كنا نذهب في رحلات مدرسية من النماص إلى شلال الدهناء . كما رأيت كثرة الأراضي الزراعية والمزروعات المختلفة على ضفافه عندما كنت أجتاز بلاد تنومة ذهاباً وإياباً أيام دراسة البكالوريوس في كلية التربية في أبها (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/١٩٧٦م-١٩٨٠م) . والمشاهد لهذا الوادي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد الزراعة تراجعت فيه كثيراً ، وتحولت الكثير من أراضيه إلى مخططات عمرانية ومستوطنات بشرية .

(٣) شاهدت جمال هذا الوادي وغزارة مياه وتنوع أشجاره ومزروعات منذ تسعينيات القرن (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م) إلى عشرينيات هذا القرن (١٤٠٥هـ/٢٠٠٠م) . واليوم تراجعت الحياة الزراعية فيه ، ولحق غطاءه النباتي الكثير من التلف والتراجع .

آل سودة ، ويقع إلى الجنوب من وادي مليح ، ويسير شمالاً حتى يلتقي مع وادي الغر ومليح . ووادي قطنان يقع في الناحية الشمالية الغربية من محافظة تنومة ومن وادي الغر ، ويسير شرقاً حتى يلتقي بالأودية الثلاثة السابقة التي تصب جميعها في وادي ترج^(١) . وهناك أودية أخرى عديدة في حاضرة تنومة وبواديها مثل: وادي عثربين ، ووادي سعدين ، ووادي القذال ، ووادي المركبة ، ووادي العوصاء ، ووادي الحصون ، ووادي الدهناء ، ووادي الدم الأبيض والأحمر في بادية تنومة وغيرها وجميعها تتجه شرقاً حتى تصب في وادي ترج ثم وادي بيشة^(٢) .

٤- أودية ساقين ، والدغنة ، وأوال :

جميع هذه الأودية غرب محافظة تنومة ، ومنابعها تأتي من أعالي السروات أو منطقة الأصدار وتتجه غرباً حتى تصب في وادي بقرة (وادي الخير حالياً) . وهذه الأودية مأهولة بالسكان الذين كانوا ومازال بعضهم يمارس مهنتي الزراعة والرعي . وهي تتفاوت في مساحاتها وإمكاناتها الطبيعية^(٣) .

تعد محافظة تنومة من أغنى السروات في تنوع نباتاتها وغاباتها . ومن خلال جولاتي في أرجائها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، ثم رحلتي هذا العام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) في بعض مناكبها ، ومقابلتي بعض أعلامها ، وجدت أنها مليئة بالنباتات والأشجار المتفاوتة في أشكالها ، وفوائدها ، وأنواعها . وقد قابلت الأستاذ عبد الله بن علي الطنيني الشهري ، أحد شعراء تنومة وأعلامها^(٤) . وسألته عن بعض النباتات في سروات وبوادي وتهامة المحافظة ، فزودني بقائمة طويلة تحتوي على الكثير من أسماء النبات في محافظة تنومة وما جاورها من بلاد تهامة والسراة^(٥) . وللفادة

(١) لم أفصل الحديث عن طبيعة هذه الأودية المذكورة أعلاه ، ولا الأحداث التاريخية التي جرت على أرضها خلال العصر الحديث . وهي جديرة أن تدرس تاريخياً وجغرافياً دراسة مستفيضة .

(٢) لا أقول إن حديثي شمل جميع الأودية السروية والشرقية لتنومة ، لكنني ذكرت معظمها وأكبرها . وتاريخ الأودية في بلاد السراة من الطائف إلى نجران تستحق أن تدرس في عدد من الكتب العلمية . مع أن هناك بحوث ورسائل علمية تحوي الكثير من التفاصيل عن الأودية الكبيرة في هذه البلاد المتجه إلى الشرق والغرب .

(٣) تجولت خلال الأربعين عاماً الماضية في عموم الأجزاء النهامية والسروية ، ووجدت منطقة الأصدار (سفوح السروات الغربية) ، والبلدان التي تقع عند أسافل السروات الغربية من أقل الأوطان التي لها ذكر في الدراسات القديمة والحديثة . مع أنها مكتظة بالسكان وفيها الكثير من المقومات الطبيعية الجيدة ، لكن انزواء هذه البلاد وانعزالها من أهم الأسباب التي جعلت التوثيق عنها نادراً أو فقيراً .

(٤) عبد الله الطنيني من مواليد تنومة بني شهر عام (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م) . عمل في مهنة التدريس سنوات طويلة ، عضو في عدد من الجمعيات واللجان الأهلية ، يمارس حالياً العديد من أعماله الخاصة . من شعراء سروات بني شهر في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية ، وله عدد من الدواوين الشعرية في الشعر الشعبي ، بعضها مطبوع ومنشور ، وأخرى مازالت مخطوطة .

(٥) بلاد السروات والأصدار الممتدة من الطائف إلى جبال اليمن وجازان وسرواتها مليئة بالأشجار والنباتات

رأيت إدراجها في هذه الدراسة^(١). وقد قسمها على النحو الآتي :

١- الأشجار البرية المعمرة :

(١) العرعر . (٢) السدر . (٣) الطلح ويعرف محلياً باسم (الشوك) . (٤) الضهيان . (٥) القرص . (٦) السمر . (٧) القتاد . (٨) الغرب . (٩) العتم . (١٠) الكثي (الكثاء) . (١١) الضرو . (١٢) النشم . (١٣) القسيّا . (١٤) الرقّاع . (١٥) الشبارق . (١٦) التنعمان . (١٧) الزرح . (١٨) الصرة . (١٩) الغرف . (٢٠) الغرب . (٢١) الغبرية . (٢٢) القاعة . (٢٣) العرج . (عرج القروود) . (٢٤) الثعابة . (٢٥) الأبرة (البرا) . (٢٦) القطف . (٢٧) التألب . (٢٨) اللبخ . (٢٩) الرديف (الأراك) . (٣٠) العفار . (٣١) القفلة . (٣٢) الشاف . (٣٣) السيال . (٣٤) الأثب . (٣٥) التلهاد . (٣٦) الشدن . (٣٧) الأثبير . (٣٨) العصار^(٢).

٢- بعض النباتات الصغيرة البرية والمزروعة :

(١) العرقة ، والمسك (نبات عطري بري) . (٢) الخروع . (٣) الحبطة . (٤) الخردل . (٥) الخريطا . (٦) السعد . (٧) القطبة . (٨) الربلة . (٩) الصفاري . (١٠) الأليف . (١١) العندبة . (١٢) البرسيم (القضب) . (١٣) الحلية . (١٤) الشبرم . (١٥) الشخصة . (١٦) الحل . (١٧) بعض النباتات العطرية مثل: البرك ، والريحان ، والبردقوش ، والحبق ، والنعناع ، والمرمية ، والضيمران ، وإكليل الجبل^(٣).

المتنوعة . ونجد أبا حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) دون مصدراً مهماً بعنوان (كتاب النبات) يقع في عدة مجلدات بعضها وصلتنا والبعض الآخر مازالت مفقودة . ومن خلال الاطلاع على الأجزاء التي نشرت نجد أن معظم النباتات المذكورة في هذا السفر موجودة في بلاد تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز ، ومازال معظمها معروفاً حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) . أمل من كليات وأقسام جامعاتنا المحلية أن تدعم دراسة النباتات في هذه البلاد مع توثيق أسمائها ومصطلحاتها العلمية .

(١) تم إدراج أسماء النباتات والأشجار فقط ، مع أن كل نبات يحتاج إلى وصف مع ذكر فوائده وأضراره ، وأماكن وجوده ، والأستاذ الطنيني ذكر أنه يعمل على بعض التعريفات لهذه الأشجار . لكنها بحاجة إلى دراسة علمية تحليلية تفصيلية وعميقة . أرجو أن نرى من أساتذة جامعة الملك خالد من يتولى ذلك ، وبخاصة أعضاء هيئة تدريس في كليات الصيدلة ، والطب ، وقسم علوم الحياة في كلية العلوم .

(٢) المصدر: مذكورة في عدة صفحات من تدوين عبد الله بن علي الطنيني الشهري ، بدون تاريخ ، توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث . وهذه نماذج من النباتات البرية المتأثرة في عموم السروات وبخاصة منطقة الأصدار . ومن خلال تجوالي في محافظة تنومة وغيرها من محافظات السروات الممتدة من أبها إلى الطائف ، رأيت بعض الأشجار المتسلقة على كثير من الأشجار المذكورة أعلاه . ومن تلك الأشجار المتسلقة: (١) الهدال . (٢) العليقا . (٣) المغدة . (٤) العصبة . (٥) الكتنة وغيرها . وهذه النباتات جديرة بالدراسة فيوثق وصف دقيق لها مع شرح أضرارها وفوائدها على الحياة النباتية وغيرها .

(٣) كنا خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) نذهب للتنزهة في بعض جبال وأودية تنومة فنجد هذه النباتات بكميات كبيرة . وعند جولتي في ربوع تنومة هذا العام (١٤٤٣هـ) ، وجدت الكثير منها انقرض .

٣- بعض الشجيرات :

- (١) السعور. (الإستعير). (٢) الأركوض. (٣) العثرب. (٤) النيم. (٥) العبال.
(٦) الشث. (٧) الضرم. (٨) الطباقي. (٩) العرفج. (١٠) اللبينا. (١١) الحرباء.
(١٢) اللصفا. (١٣) الحدق. (١٤) اليار (الجار) . (١٥) الثفنة (الثفلة) ^(١).

٤- الأشجار المثمرة ومزروعات أخرى :

- (أ) الفرسك (الفركس) . (ب) العنب . (ج) المشمش . (د) الخوخ . (هـ)
الجوافة. (و) الكمثرى. (ز) التفاح . (ح) الرمان . (ط) الليمون . (ي) التين الشوكي
(البرشومي) . (ك) التين (الحماط) . (ل) البخاري ^(٢).

- ومن المزروعات التي يزرعها بعض التوميين وغيرهم من السريين في منطقة عسير.
(١) البر. (الحنطة ، أو القمح) . (٢) الذرة . (٣) الشعير. (٤) العدس (البلسن) .
(٥) الطماطم. (٦) البازاليا . (٧) الفاصوليا . (٨) الكرنب (الزهرة) . (٩) الملفوف.
(١٠) الخيار. (١١) الكوسة . (١٢) الجزر . (١٣) البطاطس . (١٤) القثاء . (١٥) الدباء.
(١٦) الفلفل الحار والبارد . (١٧) البقدونس . (١٨) الكزبرة . (١٩) الشبت . (٢٠)
البصل . (٢١) الحبيب (البطيخ) . (٢٢) الخربز (الشام) ^(٣) .

تتميز تنوعة بكثرة الغابات والمنتزهات الطبيعية ، ومن أهمها : الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من المحافظة يوجد فيها عدد من الغابات مثل غابات أودية قيطان ، ومومة ، والغر ، وعقبة القامة ومعظم أشجارها العرعر ونباتات وشجيرات أخرى عديدة . وغابات شعف آل سودة ، والوادي الذي يقع شرق الطريق العام الممتد من بلاد مليح .

(١) هذه الشجيرات مازالت معروفة ، وكانت في الماضي موجودة بكثرة في عموم بلاد تهامة والسراة ، وهذه الأسماء محلية ، فقد يكون لها أسماء أخرى في نواحي أخرى من الأراضي التهامية والسروية مع أن البيئة والطبيعة الجغرافية واحدة . وأقول إن جميع نباتات جنوب المملكة العربية السعودية جديرة بدراسات علمية رصينة . أرجو من الأقسام العلمية في الجامعات المحلية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع المهم .

(٢) بعض هذه الأشجار لم تكن معروفة ومزروعة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، لكنه تم استيرادها مؤخراً من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها وزرعت في الكثير من بلدان السراة وتهامة ونجحت زراعتها وفاضت ثمار بعضها حتى صارت تصدر إلى الأسواق الأسبوعية واليومية في مناطق جنوب المملكة وغيرها .

(٣) جميع هذه المزروعات والخضروات تزرع في نواحي عديدة من محافظة تنومة ، وبعضها تصدر إلى أسواق عديدة في منطقة عسير مثل الطماطم ، والعنب ، والبطاطس ، وخضروات عديدة . ومن خلال تجوالي في عموم السروات وتهامة وجدت أن هذه المزروعات تزرع في نواحي كثيرة من هذه البلاد ، وربما تراجعت زراعة الحبوب مثل الشعير والذرة والقمح ، لكن باقي المزروعات الأخرى تزرع بكثرة ، وتصدر إلى كثير من الأسواق في جنوب البلاد السعودية وغيرها . المصدر : مشاهدات الباحث ورحلاته في بلاد تهامة والسراة منذ بدايات هذا القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) .

شمالاً حتى أسافل سفوح جبال منعاء الغربية . ولا تخلو أعالي جبال منعاء من بعض الغابات والمتنزهات الجميلة . وفي غرب الطريق العام حتى الأشعاف يأتي عدد من الغابات الكثيفة ، وهي من الجنوب إلى الشمال غابات آل بهيش ، والحيفة ، والقذال ونازلة وجميعها في جنوب غرب المحافظة . وغابات الشرف ، والمحفار ، والأربوعة وبعض الأشعاف الأخرى ثم منحدرات جبال السروات الغربية وبخاصة في عقبتى برمة وساقين ^(١) .

ومناخ محافظة تنومة معتدل الحرارة في الصيف ، وأصبحت الحرارة مرتفعة في الأزمنة الأخيرة ، ربما بسبب كثرة السكان والمساكن ، وزيادة السيارات والآلات ، وارتفاع نسبة التلوث . أما في فصل الشتاء فهناك بعض البرودة ، لكنها ليست شديدة مقارنة بمحافظات النماص في الشمال وبلاد بللسمر وبللحمر في الجنوب . وربما انخفاض أرض تنومة ، وإحاطتها بالجبال من الأسباب الرئيسية في عدم شدة البرودة . ولا تخلو أحيانا مرتفعاتها الغربية من برد شديد في فصل الشتاء . كما يسود المحافظة أحيانا موجة ضباب وبخاصة على الأجزاء الغربية وسهل تنومة ، أما الأجزاء الشرقية من المحافظة فتادراً يظهر فيها الضباب ^(٢) .

(*) لمحة عن التركيبة السكانية :

جميع سكان المحافظة الرئيسين قبائل شهرية استوطنت أراضيها منذ زمن بعيد ، ومعظم القبائل تنومية أثلية وسلامانية ، لهم شيوخ ونواب يديرون شؤون قبائلهم ، ويكونون حلقة وصل بين عشائرتهم ومؤسسات الدولة المختلفة ^(٣) .

وأثناء سيرى في مناكب المحافظة وجدت القبائل وأراضيها مازالت في مواطنها ، لكن البلاد أصبحت وحدة واحدة يسودها التقارب ، والترابط ، والتداخل ، والتشارك

(١) الحديث عن غابات محافظة تنومة يحتاج إلى تفصيل في عشرات الصفحات . والسائح في ربوع المحافظة يجدها من أجمل بقاع جنوب المملكة العربية السعودية مناخاً وتضاريس وموارد طبيعية . عرفت هذه البلاد منذ نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وكانت آنذاك أجمل بكثير لوفرة مياهها ومزارعها ونباتاتها وأشجارها المتنوعة . ومع التطور العمراني والحضاري الذي تمر به البلاد منذ أربعين عاماً جرى التوسع في فتح الطرقات وبناء الكثير من المشاريع العمرانية ، وهذا مما أثر سلباً على الغطاء النباتي . وأقول إن دراسة الحفاظ على الأشجار والنباتات موضوع مهم يجب أن تلتفت له بعض الأقسام والكليات العلمية في جامعاتنا المحلية .

(٢) عامل الضباب من المؤثرات المناخية القوية التي تسود بعض بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى أبها ، وغالباً في فترات من فصول الصيف والخريف والشتاء . ومناطق الباحة ، والنماص ، وسروات بللسمر وبللحمر أكثر البلاد التي يظهر فيها الضباب ويخيم على أرضها لفترة أطول وبكثافة عالية .

(٣) أصبحت بلاد المملكة العربية السعودية ، والحمد لله ، تخضع لمؤسسات إدارية حديثة مختلفة تشرف عليها الدولة ، ومن أعظم مهماتها حفظ الأمن والاستقرار في أنحاء البلاد . وذلك بخلاف أوضاع البلاد في قرون ماضية ، حيث كانت القبيلة هي صاحبة الأمر والنهي في بلادها . وشيوخ القبائل وأعيانها آنذاك هم من يديرون شؤون بلادهم وقبائلهم في كل شيء . ومع هذا فالأمن لم يكن حاضراً ، والنزاعات والحروب القبلية كانت السائدة . وبعد توحيد المملكة العربية السعودية تغير حال الناس إلى الأفضل ، وصارت الوحدة وتوفير الأمن والاستقرار هو ديدن الدولة وجميع مؤسساتها ومرافقها ، وقد حققت نجاحات كثيرة وكبيرة في شتى المجالات الحضارية .

في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والعلمية والتعليمية والإدارية وغيرها ^(١) . ولم تكن التركيبة السكانية محصورة في سكان القبائل التنومية فقط، وإنما يعيش على أرضها أفراد وجماعات سعودية وفدت إليها من بلدان عديدة في المملكة العربية السعودية ، وصاروا جميعهم من نسيج المجتمع التنومي ، ومنهم من يعمل في مجالات حكومية وروسية ، وآخرون في قطاعات خاصة أهلية واستثمارية ^(٢) .

وغالبية الاندماج والانصهار السكاني الذي شاهده في حاضرة تنومة الممتدة من حدود سدوان بلسمر جنوباً إلى عقبة القامة شمالاً . وإذا اتجهنا إلى بوادي تنومة في مركز منصبة وما حوله ، أو سفوح السروات الغربية فإن معظم الناس في هذه الأجزاء الشرقية والغربية أهل البلاد الأصليين ، أما الوافدون إلى بلادهم فقليل جداً ^(٣) .

كون محافظة تنومة من البلدان النشطة اقتصادياً وحضارياً ، وفيها الكثير من الأعمال والفرص المعيشية ، فقد استقدم إليها العديد من العناصر البشرية غير السعودية . وعند تنقلي في ربوعها السروية ، والتهامية ، والشرقية شأدت الكثير من العناصر العربية الرجالية وبخاصة المصريين ، والسودانيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، واليمنيين ، وأحياناً من المغاربة . كما رأيت نسبة ليست قليلة من البنجاليين ، والهنود ، والباكستانيين ، والنيباليين وبعض الأفغان ، ولا تخلو المحافظة من أجناس إفريقية أخرى مثل الأحباش وغيرهم . وجميعهم يعملون في قطاعات ومهن متعددة ^(٤) .

(١) تاريخ الناس الحضاري المتمدن في محافظة تنومة اليوم جدير بالدراسة والتوثيق في عدد من البحوث العلمية .
(٢) هذا ما عرفته ورأيتُه فقد قابلت بعض موظفي الدولة في بعض الإدارات الحكومية في تنومة ومنهم من جاء من بلدان عديدة في المملكة العربية السعودية . كما وجدت الكثير من الأفراد والأسر الذين جاءوا إلى تنومة منذ سنوات بعيدة واستقروا فيها ، وملكوا الدور والعقارات ، وتزوجوا وصاهروا بعض الأسر التنومية ، وصاروا من المجتمع التنومي الفعلي حتى وإن كان أبائهم وأجدادهم من أوطان أخرى في تهامة والسراة ، أو من بلدان ونواحي متفرقة في المملكة العربية السعودية . وأقول إن دراسة التركيبة السكانية لمحافظة تنومة خلال الثلاثمائة سنة الماضية حديرة أن تدرس في هيئة كتاب أو رسالة عملية . أمل من مؤرخي محافظة تنومة أن يتولوا هذا الموضوع بالدراسة والتأصيل .

(٣) ربما انعزال هذه البلاد في القرون الماضية ، وصعوبة تضاريسها ، وقلة مواردها الاقتصادية من الأسباب التي جعلت الوافدين إلى تنومة لا يرتادونها ، وإنما فضلوا البقاء في حاضرة تنومة وما جاورها . ونجد الوضع اليوم أصبح مختلفاً ، فعند توافر المواصلات الجيدة ، والطرق المعبدة ، وتحسين أحوال الناس صار البعض لا يتراجع أن يذهب إلى أي ناحية في المحافظة أو غيرها للإقامة ، وأحياناً شراء بعض العقارات وممارسة بعض الأعمال الاقتصادية والحضارية الأخرى .

(٤) رحلتي في محافظة تنومة كانت محدودة وقصيرة فلم تتجاوز يوماً ونصف يوم تنقلت خلالها في شوارع المدينة ، وأسواقها ، ومطاعمها ، واستراحاتها ، ومزارعها . وزرت بعض الشاليهات والمتنزهات ، وسألت عن التركيبة السكانية في البوادي ، وبعض الأجزاء التهامية في عقبة برمة وساقين . كما إنني ابن بلاد السراة الممتدة من أبها إلى الطائف . وعاصرت الكثير من الأجناس البشرية العربية ، وغير العربية ، التي ارتادت هذه الأوطان من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، وشأدت قديماً المعلمين العرب غير السعوديين الذين كانوا موجودين بكثرة في هذه النواحي ، وأيضاً

وضمن تركيبة المجتمع التنومي نساء غير سعوديات ، فقد شاهدت بعض النساء الطبييات وعضوات هيئة تدريس في كلية العلوم والآداب للبنات ومعظمهن مصريات وسودانيات ، وذكر لي أن هناك نساء هنديات وباكستانيات يعملن في التعليم العالي . ويوجد بعض النسوة في الخدمة المنزلية وغالبهن من بعض الدول الإفريقية كالحبشة ، وتشاد ، والمغرب ، والصومال . كما يوجد أجناس فلبينية (نساء ورجال) يعملون في بعض الأعمال الخدمية أو التقنية^(١) .

٢- من التاريخ الإداري والعمراني :

(*) التاريخ الإداري :

عرفت بلاد تنومة النظام الإداري الحديث منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكانت إحدى النواحي التابعة إدارياً لإمارة النماص ، ومنذ أوائل الثمانينيات في القرن نفسه صار فيها إمارة ، ثم تحولت في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى مركز ، وفي عام (١٤٢٥هـ/٢٠١٤م) أصبحت إحدى محافظات منطقة عسير^(٢) . وأثناء زيارتي محافظة تنومة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وجدت فيها معظم المؤسسات الإدارية الحديثة ، ومن الإدارات الرسمية والأهلية التي شاهدها ما يلي :

أ- المحافظة ، والبلدية ، والمحكمة ، والمستشفى :

جميع هذه الإدارات تقع في المنطقة المركزية وسط مدينة تنومة عند أسفل جبل منعاء من الناحية الغربية . ومبنى المحافظة على الشارع العام ، في عمارة مسلحة من دور واحد ، ومساحتها مع مرافقها تقريباً (٨٠ × ١٠٠م) . وإلى جانبها مبنى البلدية

العمال والفنيين غير العرب مثل الكوريين والغربيين وغيرهم الذين جاءوا لإنجاز بعض المشاريع العمرانية والحضارية من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكانوا يحتكون بالمجتمع المحلي ، ويرتادون أسواقهم ، وبعضهم يحضر مناسباتهم الاجتماعية والحضارية الأخرى . وأقول إن هذا الموضوع جديد في بابه يستحق أن يدرس ويوثق في بحث علمي رصين .

(١) إن الحديث عن طبقات المجتمع التنومي وعناصره يحتاج أن يفصل في بحوث وكتب عديدة ، لكنني أشرت إلى شذرات من هذا الباب ، لعله أن يأتي في المستقبل من يدرس هذا الموضوع دراسة مطولة ورصينة . والمتأمل والمعاصر للحراك المجتمعي الذي عاشته البلاد من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر يجد الكثير من التبدلات والتحولات الاجتماعية والسكانية ، وذلك خاضع لظروف سياسية ، وإدارية ، واقتصادية ، وعلمية وثقافية ، وسياحية ، وتنموية وغيرها . وهذا الوضع نفسه جرى على جميع أنحاء البلاد السعودية في العصر الحديث والمعاصر . وأقول إن دراسة التاريخ الاجتماعي والحضاري في جميع مناطق المملكة ، وفي كل الجوانب من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) موضوع كبير ومهم جداً يجب الحرص والاهتمام بدراسته وتوثيقه من خلال مؤسسات التعليم العالي ومراكز بحثها العلمية .

(٢) التاريخ الإداري في سروات بلاد الحجر من بللحمر جنوباً إلى بني عمرو شمالاً من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس في عمل علمي ، أمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً يدرسه في هيئة كتاب أو رسالة علمية منذ منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

ويتكون من ثلاثة أداور، ومقر البلدية بناية حديثة، وتعد أحسن مقرات المؤسسات الحكومية في المحافظة^(١). أما المحكمة الشرعية فتقع في حي المحافظة والبلدية وإلى الشمال منها، وعمارتها مستأجرة مكونة من أربعة أدوار مع مرافقها^(٢)، وتقع إلى جوار مستشفى تنومة العام ومبنى المستشفى حكومي يتكون من دور ودورين وله مرافق عديدة من ضمنها مركز غسيل الكلى وما زال هذا المركز حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تحت الإنشاء^(٣). وأثناء تنقلي في المحافظة رأيت وسمعت عن خمسة مراكز للرعاية الصحية الأولية بعضها في مباني حكومية وأخرى في مقرات مستأجرة. ومن تلك المراكز . (١) مركز الرعاية الصحية الأولية في الحي المركزي، في مبنى حكومي بجوار المستشفى يتكون من طابقين، ومركز آخر في سهل تنومة بقرية آل دحمان، وهذان المركزان أكبر مراكز تنومة مساحته، وأكثرها خدمة للناس . (٢) ثلاثة مراكز أخرى بفرعة قريش، وفي وادي ترج، ومنصبه^(٤).

ب- مؤسسات إدارية حكومية وأهلية أخرى :

مركز الشرطة في عمارة مستأجرة تتكون من ثلاثة أدوار على الشارع العام وسط المدينة^(٥). ومركز الدفاع المدني في مبنى مستأجر، وهناك مبنى حكومي على

(١) يذكر أن بلدية تنومة تأسست عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). ومن خلال جولتي خلال السنوات العشر الأخيرة في عموم بلاد السرعة وتهامة وجدت وزارة البلدية اهتمت بمقراتها، فأنشأت أبنية حديثة وكبيرة وفاخرة، وبالتالي أصبحت مباني البلديات معالم بارزة ورئيسية في كل مدينة وحاضرة، في المملكة العربية السعودية. ويتبع بلدية تنومة مركزي خدمات، الأول في وادي ترج، والثاني في مركز منصبة، وكلاهما في مباني مستأجرة تتكون من دور واحد ومرافقه. وهذان المركزان يقومان على خدمة نواحي منصبة وترج من حيث التنظيف ومراقبة وخدمة الناس فيما يختص بأعمال البلدية .

(٢) تأسست المحكمة الشرعية في تنومة عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، وكانت كتابة العدل مع المحكمة الشرعية، ثم فصلت، وصارت إدارة مستقلة من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وشاهدت كتابة العدل في مبنى مستأجر مكون من دورين بجوار مبنى المحافظة .

(٣) تأسس مستشفى تنومة عام (١٤٢٣هـ/٢٠١٣م)، وكان في المحافظة بعض المستوصفات قبل نشأة المستشفى، وأول مستوصف تأسس في المدينة عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) .

(٤) يعد المركز الموجود حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في الحي المركزي، أول مستوصف تنومة الذي تأسس في ثمانينيات القرن الهجري الماضي، وكان في السابق صغيراً ومتواضعاً، واليوم صار مخدوماً بالكوادر البشرية اللازمة، ومعظم المستلزمات الصحية والطبية. أما مركز سهل تنومة في قرية آل دحمان فكانت بدايته عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ومركز فرعة قريش عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ومركز وادي ترج (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ومركز منصبة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). كما شاهدت في حاضرة تنومة ثلاثة مستوصفات أهلية تشتمل على العديد من الخدمات والتخصصات الطبية. وتاريخ الحياة الصحية، أو الطب والتطبيب في محافظة تنومة، موضوع جديد في بابي، حبذا أن يُدرس ويُوثق في عمل علمي رصين من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(٥) كان هذا المركز سابقاً صغيراً ومحدوداً، ويعرف باسم (مخفر)، واليوم أصبح مركزاً، وكانت بدايته عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .

وشك الانتهاء قريباً من مبنى المحافظة^(١)، والمكتب الزراعي شمال المدينة في مبنى مستأجر من ثلاثة طوابق^(٢). وإدارة البرق والهاتف في مبنى حكومي يتكون من دورين^(٣). ومراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهلال الأحمر، والبريد^(٤). وإدارات السجون والمرور، والأوقاف والمساجد^(٥)، ومكاتب وفروع الغرفة التجارية، وبعض البنوك التجارية، ولجان وجمعيات اجتماعية وخيرية وتوعوية^(٦)، أما مؤسسات التعليم العام والعالي. فأول مدرسة نظامية تأسست في تنومة كانت مدرسة سبت تنومة عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ثم تلاها مدرسة الفيصلية في وسط تنومة أيضاً عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)^(٧). ثم أنشئ مكتب للتربية والتعليم عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ويقع حالياً في مبنى مستأجر يتكون من دورين ومرافقهما وسط مدينة تنومة، ويتولى الإشراف على سبع مدارس ابتدائية للبنين يدرس فيها (٦٣٧) طالباً، وسبع مدارس متوسط وعدد طلابها (٤٠٨) طالباً، وأربع ثانويات بعد ضم المعهد العلمي لها مطلع

(١) تأسس عام (١٩٨١هـ/١٤٠١م) .

(٢) كانت نشأته عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

(٣) تأسس هذه الإدارة عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

(٤) أنشئت إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وهي حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في مبنى حكومي يتكون من دورين مسلحين وسط مدينة تنومة. وتأسس الهلال الأحمر عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ويقع في مبنى مستأجر من دورين في جنوب المدينة على مدخل طريق العوصاء. والبريد كان قديماً مع الهاتف والبرق في إدارة واحدة، وقد تأسس عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ويوجد اليوم في مبنى مستأجر من طابقين على الشارع العام وسط المدينة .

(٥) تأسست إدارة السجون عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وتقع في الحي المركزي في مبنى مستأجر مكون من دور يحتوي على مرافق وغرف عديدة. وأنشئت إدارة المرور عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، وتقع في عمارة مستأجرة من دورين على الطريق العام وسط المدينة. وإدارة الأوقاف والمساجد أنشئت عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م)، وتقع حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في عمارة مستأجرة تتكون من ثلاثة أدوار شمال حاضرة تنومة .

(٦) مكتب الغرفة التجارية تأسس عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وهو اليوم في مبنى ملحق بعمارة البلدية. كما شاهدت بنكين تجاريين، هما: الأهلي الذي أنشئ عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ويقع حالياً على الشارع العام في عمارة مستأجرة مكونة من دورين، وبنك الراجحي أيضاً على الشارع العام قريباً من الحي المركزي، تأسس عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ويقع اليوم في عمارة دورين ملك لشركة الراجحي. وجمعية البر الخيرية التي تأسست عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، تقع في سوق السبت وسط المدينة في عمارة ملك للجمعية. وجمعيتا تحفيظ القرآن الكريم (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ورعاية الأيتام (آباء) (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، وكلاهما على الشارع العام في عمارتين مستأجرتين من دورين وملاحقهما. والمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ولجنة التنمية الاجتماعية (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) في عمارتين مستأجرتين وسط المدينة. المصدر: مشاهدات الباحث لهذه المقرات يومي الإثنين والثلاثاء (٦-٧/٢/١٤٤٣هـ) .

(٧) انظر غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)، ج ١، ص ٦٥، ٦٧. وسروات بنى شهر وبني عمرو كانت تتبع إدارة تعليم بيشة حتى تأسست إدارة تعليم النماص، وما زالت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وتاريخ التعليم في سروات بلاد الحجر موضوع جديد يستحق أن يفرد له دراسة علمية مستقلة ومطولة .

هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ويدرس فيها (٣٨٩) طالباً^(١) . أما مدارس البنات فهناك ثلاث مدارس صفوف طفولة مبكرة، وعدد طالباتها وطلابها (٢٥٥) طالبة وطالباً^(٢) . والابتدائية ثمان مدارس في عموم المحافظة يدرس فيها (٦١٦) طالبة . وخمس ثانويات يدرس فيها (٤٦٢) طالبة^(٣) .

تجولت في أنحاء تنومة ورأيت جميع مقرات مدارس التعليم العام (بنين وبنات) حكومية ، وتتفاوت في أدوارها ، ومساحاتها ، ومواقعها ، ومرافقها . لكنها جميعها مسلحة وحديثة وشاهدت في حاضرة تنومة أربع روضات ، وجميع مواقعها مستأجرة . ولا يوجد في المحافظة مدارس خاصة^(٤) . أما التعليم العالي فهو حديث النشأة ، فبنات وأبناء المحافظة كانوا يذهبون لمواصلة تعليمهم العالي في كليات النماص ، وأبها ، ومدن المملكة العربية السعودية الكبرى في المناطق الغربية ، والوسطى ، والشرقية^(٥) . وفي

(١) أقول إن تاريخ المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ تأسيسها في القرن الهجري الماضي حتى عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جدير بالدراسة والتوثيق ، ولهذه المعاهد تاريخ مجيد ، فقد خرجت آلاف الطلاب البارعين النابهين الذين خدموا بلادهم ودينهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . أمل أن نرى باحثة أو باحثاً جاداً يدرس ويوثق تاريخ المعاهد العلمية في بلاد تهامة والسراة منذ بداياتها حتى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ومن يفعل ذلك فإنه يقدم لنا عملاً علمياً مهماً عن تاريخ وحضارة بلادنا في العصر الحديث والمعاصر .

(٢) صارت الصفوف الأولية من السنة الأولى إلى الثالثة يدرس فيها الطالبات والطلاب في فصل واحد ، ويقوم على تدريسهم معلمات المصدر: معاصرة الباحث ومشاهداته منذ عام (١٤٤٢-١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) وصلتني هذه المعلومات من طالبنا العزيز الدكتور/ رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري أثناء رحلتنا في محافظة تنومة في (٦/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) أسافر في بلدان السراوات وتهامة منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وشاهدت تطور وقفزات التعليم العام ثم العالي في هذه البلاد . بل درست ووثقت صفحات محدودة من تاريخ هذا القطاع المهم . واليوم يوجد في هذه البلاد جامعات عديدة وعشرات الكليات والأقسام ومئات عضوات وأعضاء هيئة التدريس . وأقول إن عليهم جميعاً مسؤولية كبيرة فيعملوا على توثيق تاريخ التعليم العام والعالي في هذه البلاد العربية السعودية الجنوبية ، وإن فعل بعضهم ذلك فسوف يخدمون أهلنا وبلادنا بحفظ شيء من تراثها وموروثها الحضاري الحديث والمعاصر .

(٥) إن تاريخ التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية مر بمراحل عديدة ، فالتاليات والطلاب الذين يرغبون مواصلة دراساتهم الجامعية يذهبون إلى خارج جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة مدن الرياض ، والدمام ، والظهران ، وجدة ، ومكة . ومنذ تسعينيات القرن الهجري الماضي افتتحت كليات عالية في أبها ، ثم تزايدت الكليات الجامعية في مناطق الجنوب السعودي ، وفي نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) تأسست جامعة الملك خالد في أبها ، ثم قامت بمسؤولياتها على أكمل وجه فافتتحت الكليات ونشرت التعليم العالي في مدن وحواضر مناطق عسير وجازان ونجران ، ولم يأت نهاية العشرينيات من القرن نفسه إلا وقد صار هناك عشرات الكليات والأقسام الجامعية في هذه البلاد السعودية الجنوبية ، ونشاهد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أكثر من خمس جامعات حكومية سعودية من الطائفت وجنوب مكة إلى بلاد جازان ونجران . وأقول إن التاريخ الجامعي في هذه الأوطان جدير بالدراسة والتوثيق .

ثلاثينيات القرن (١٥هـ/٢١م) كان لرجل الأعمال الأستاذ علي بن سليمان الشهري فضل على محافظته ومسقط رأسه عندما عزم على بناء مقر للكلية التقنية في تنومة ، وقد أنجز ما وعد به أهله وبلاده وشيد عمارة كبيرة بمرافقتها المتعددة في جنوب المحافظة على أن تكون مقراً لكلية التقنية ، لكن المؤسسة العامة للتعليم الفني شيدت كلية على أرض خاصة وانتقلت ملكية مبنى ابن سليمان إلى جامعة الملك خالد ، ومن ثم أنشئت كلية العلوم والآداب في تنومة عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، وصار المبنى الذي شيده الأستاذ علي بن سليمان مقراً لهذه الكلية (شطر الطلاب) ^(١) وفي عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) افتتحت الجامعة عدة أقسام تابعة لكلية العلوم والآداب خاصة بالطالبات ، وأصبحت عمارة حكومية وسط المدينة ، كانت تابعة لمدارس تحفيظ القرآن الكريم ، مقراً لفرع الكلية (شطر الطالبات) . وقد وقفت على هذا المبنى وشاهدت بعض مرافقه وطواقمه ، وهو عمارة جيدة وواسعة ^(٢) .

تأسست الكلية التقنية في تنومة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، وتقع شرق المحافظة في قرية الحصون ، وتبعد عن الشارع العام حوالي سبعة كيلومترات . ومساحتها الإجمالية حوالي أربعين ألف متر مربع ، تتكون من مباني إدارية ، وورش ، وصالة متعددة الأغراض ، وغرف للحراسات الأمنية والمستودع ومواقف لسيارات الموظفين والمتدربين ^(٣) . وتقدم الكلية برنامج الدبلوم في تخصصين : المحاسبة المالية ، وشبكات الحاسب الآلي ^(٤) .

(١) زرت هذا المبنى الحديث الكبير متعدد الطوابق والمرافق ، وذكرت شيئاً من تاريخه في دراسة سابقة . وأقول إن تاريخ التعليم العالي في محافظة تنومة جدير أن يدرس في بحث علمي موثق . كما أن الأستاذ علي بن سليمان الشهري يستحق أن يكتب عنه رسالة أو كتاب علمي يوثق فيه مآثر هذا الرجل لخدمة دينه وبلاده وبخاصة ما قدم من جهود تذكر فتشكر لبلاد تنومة وسكانها . أرجو أن نرى أحد الباحثين المنصفين الأوفياء فيوثق شيئاً من جهود هذا الرجل الذي قدم الكثير لأهله ووطنه . وأثناء عملي حوالي ثلاث سنوات في تأليف كتاب تاريخ (جامعة الملك خالد ١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م) ، اطلعت على وثائق وسجلات عديدة تشير إلى الخطوات التي سلكتها الجامعة حتى تم افتتاح كلية العلوم والآداب في تنومة ، وما قدم الأستاذ علي بن سليمان من جهود وتبرعات مادية ومعنوية لقيام هذه الكلية . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (من قبل الإسلام - ق ١٥هـ/ق ١- ق ٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء العشرون) ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) مازلت أنادي بأهمية دراسة وتوثيق تاريخ التعليم العام والعالي في سروات بني شهر وبني عمرو ، أو بلاد الحجر ، أو عموم السروات وتهامة . فهذا الموضوع لم يخدم بشكل علمي ، ومن يعمل في توثيق هذه الموضوعات فلن يجد صعوبة لتوفر المصادر والمراجع المكتوبة ، وأيضاً الإعلام البشرية التي خدمت في هذا القطاع الرئيسي والمهم . هذه النبذة زودني بها الأستاذ عبد الله بن زايد العمري في (١٢/٢/١٤٤٣هـ) . وزرت موقع الكلية في (٦/٢/١٤٤٣هـ) . وأعمل منذ زمن على دراسة تتعلق بالتعليم العالي والتقني في منطقة عسير ، أرجو أن يرى النور قريباً .

(٤) أعضاء هيئة التدريس في الكلية (٢٤) مدرباً ، منهم خمسة يحملون درجة الماجستير ، و(١٩) يحملون درجة البكالوريوس . أما عدد الموظفين فهم (٣٥) موظفاً . وأقول إن تاريخ التعليم العام والعالي والتقني في محافظة تنومة يستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي ، أمل أن نرى باحثاً أو باحثاً من حاضرة تنومة فيقوم بهذا العمل العلمي التوثيقي .

(*) صفحات من التاريخ العمراني :

بلاد تنومة أراض سرورية جبلية تتوفر فيها مواد البناء قديماً مثل الحجارة الصغيرة والكبيرة الصالحة للمشاريع العمرانية، وكذلك الأخشاب المتنوعة التي تجلت من غابات المحافظة، والتربة الصالحة لتشييد المرافق المعمارية المختلفة. وأثناء سيري في أراضي المحافظة التنومية شاهدت بعض القرى القديمة المندثرة، والكثير من المنازل، والحصون، والمدرجات الزراعية وغيرها وجميع مواردها كانت محلية^(١).

كما شاهدت بعض الطرق، والأسواق، والآبار، والمقابر القديمة وجميعها مبنية بالحجارة والطين، والذين شيدها من أهل البلاد. وقد سألت بعض رجالات تنومة، من متوسطي الأعمار، فذكروا لي أسماء بعض الرجال الذين كانوا مشهورين ببناء القرى والمنازل والحصون وغيرها. كما ذكروا لي مصطلحات بعض أدوات البناء المستخدمة قديماً، وبعضهم أشار إلى مصطلحات أجزاء المنزل، أو الحصن، أو القصر، أو مرافق معمارية أخرى^(٢).

والعمارة الحديثة، التي مواد بنائها الأسمنت والحديد والخرسانة أصبحت هي السائدة في أنحاء البلاد، وصارت العمارة القديمة المبنية بالحجر والطين من التاريخ^(٣) وتراجع

- (١) حصرت أكثر من قرية، وقصر أو حصن، ومدرج زراعي في المحافظة من جنوبها إلى شمالها، ورأيت جميع تلك الأبنية متهاكة، وبعضها مندثرة تماماً. وهناك قرى قليلة محدودة مازالت معالمها بارزة مثل المنازل المتفاوتة في مساحاتها ومرافقها، وأزقتها الصغيرة والضيقة، وبعض أجزائها الأخرى كالمساجد الحجرية، وغرف متعددة كانت تستخدم لسكن المواشي، وأحياناً للناس، أو مستودعات لبعض الأعلاف وأغراض أخرى لضروريات حياة الناس قديماً. كما أخبرني بعض التنوميين بأسماء بعض القرى القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان، وذكروا لي بعض الأحداث التاريخية التي جرت على أراضيها. ومن خلال سيري في مناكب السروات وتهامة من نهاية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) شاهدت مئات القرى وبعضها ذات تاريخ سياسي وحضاري متعدد الجوانب. وأقول إن هذه القرى جزء من تاريخنا العريق، والواجب الحفاظ على هذا الموروث المعماري ما أمكن، كما يجب على الباحثين وأرباب القلم أن يدرسوا تاريخ هذا المجال المهم، مع توثيق دراساتهم بالوثيقة التاريخية والصور الفوتوغرافية الملونة.
- (٢) اتضح لي مما سمعت ورأيت أن لنا تراثاً مادياً ومعنوياً رصينا، عرفه ومارسه الآباء والأجداد عبر العصور، لكن للأسف أصبح من التاريخ المهمل والمنسي. وإن لم تلتفت الجامعات ومؤسساتها الأكاديمية إلى هذا الموروث الحضاري، فتقوم على صيانتته وحفظه وتوثيقه، وإلا سوف يضيع ويفقد أبنائنا وحفدتنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة أسلافهم.

- (٣) كانت العمارة القديمة هي جزءاً من حياة الناس حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم ظهرت العمارة الحديثة، وتوسعت وزادت، وأخيراً حلت محل الأبنية القديمة. ولم يأت العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا والعمارة الحديثة صاحبة الحظ الأوفر في البلاد، وأصبحت معظم الأبنية القديمة بين متهاك ومنسي وزايل. وإجراء دراسة مقارنة بين العمارة القديمة والحديثة من الموضوعات الجديدة التي لم تبحث وتوثق في أعمال علمية جيدة ورصينة. أمل من المؤرخين والباحثين في بلاد السروات وتهامة أن يلتفتوا إلى هذا الميدان الحضاري، ويكون له نصيب في دراساتهم وبحوثهم العلمية.

ثم زوال العمارة القديمة أخذ بعض الوقت في الصمود أمام العمارة الحديثة ، فبدأ الناس في استخدام الأسمنت ثم البلك ثم الزنك قبل أن يطغى استخدام الأسمنت والخرسانة والحديد ، الذي مازال هو المألوف والسائد حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ^(١) .

أثناء سيري في تنومة ، شاهدت معظم الاستيطان البشري في سهل المحافظة ، وعند سفوح الجبال الغربية والشرقية ، وأحياناً في أجزاء متفرقة من المرتفعات ^(٢) . وجميع هذه النواحي قرى ومازالت معروفة بأسمائها القديمة ^(٣) . ومع التمدد والتطور العمراني أزيلت أو هجرت القرى القديمة وحل مكانها أو قريباً منها قرى وأحياء عمرانية جديدة . بل إن معظم قرى حاضرة تنومة تداخلت في المواقع ، وصارت قرى أو حاضرة كبيرة متصلة بعضها ببعض ^(٤) .

لم أر في محافظة تنومة مخططات حديثة تتوفر فيها شروط التخطيط العمراني الحديث . وذلك ربما يعود إلى ضيق الأراضي ، وازدحامها بالقرى القديمة ، وكذلك تداخل الأراضي الزراعية والأماكن الخاصة في كل قرية ، وفي عموم الحاضرة . وبعد افتتاح الطرق المعبدة في أنحاء المحافظة ، تشكلت مدينة تنومة الحالية التي يبدو عليها

(١) عاصرت صمود الأبنية القديمة أمام زحف العمارة الحديثة منذ تسعينيات القرن (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م) . وأسباب هذه التحولات العمرانية هو تطور الناس مادياً وأمنياً وثقافياً وحضارياً . وهذا مما جعلهم يهجرون العمارة القديمة التي يغلب عليها محدودية الحجم والمساحة ، وأيضاً صعوبة المواقع ، وقلة المرافق والخدمات ، أو عدم وجودها أصلاً . ومن ثم بدأ الناس يبنون مبانيهم ومرافقهم المعمارية ، الخاصة والعامة ، السكنية والتجارية على أراض أكبر وأفضل وأوسع . وكان ومازال يجب عليهم أن يتطوروا ويتوسعوا في عماراتهم الحديثة ، لكن لا ينسون الحفاظ على أبنية آبائهم وأجدادهم التي هي جزء من تراثهم وتاريخهم وحضارتهم . وقد سافرت إلى بلدان ودول عديدة في العالم ، ورأيت بعض تلك الأقطار تعمل ما في وسعها للحفاظ على تراثهم وموروثهم المعماري . بل هناك مؤسسات حكومية وأهلية تتعاون في خدمة هذا المجال وصيانته والحفاظ عليه . وأشاهد الدولة (المملكة العربية السعودية) حالياً تعمل على صيانة شيء من التراث العمراني القديم ، لكن العمل كبير وفوق طاقة المؤسسات المعنية بهذا الجانب . ويجب على القطاعات الخاصة الأهلية والحكومية أن تتعاون وتتضافر جهودها في خدمة هذا الموروث المادي والحفاظ عليه حتى يطلع عليه أجيال الأمة في الحاضر والمستقبل .

(٢) هناك استيطان بشري محدود في الأجزاء الشرقية (البوادي) وفي منطقة الأصدار ، والكثافة السكانية العالية في حاضرة تنومة الممتدة من حدود مركز بللسمر جنوباً إلى عقبة القامة شمالاً .

(٣) اطلعت على قائمة طويلة بأسماء قرى تنومة القديمة . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه القرى منذ العصور الإسلامية الوسيطة إلى وقتنا الحاضر .

(٤) شاهدت هذه الظاهرة في جميع مدن وحواضر وبلدات بلاد السروات وتهامة ، من مكة والطائف إلى جازان ونجران . وهذه التحولات الجغرافية والديموغرافية بدأت منذ تسعينيات القرن (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م) بعد توفر الأموال في أيدي الناس ، وافتتاح صندوق التنمية العقاري الذي ساعد السكان بالقروض المالية ، وكذلك دور البلديات التي أشرفت على البناء والتخطيط في أنحاء البلاد . وهذه التبدلات التنموية والمعمارية جديرة بالتوثيق في كتاب علمي رصين من عام (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) ، أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في عموم تهامة والسراة ، أو في مناطق الباحة ، أو عسير ، أو جازان ، أو نجران .

العشوائية في البناء والتخطيط^(١) .

والعمارة الحديثة متنوعة في أهدافها وأنماطها العمرانية . فالأبنية السكنية تتراوح مساحاتها بين (١٠×١٠م) و(١٥×٢٠م) ، و (٢٠×٢٠م) ، وأحياناً (٢٠×٢٠م) و(٣٠×٣٠م) وربما أكثر من ذلك . وتتدرج ارتفاعاتها من طابق واحد إلى أربعة وربما خمسة طوابق . وأنواع وأسماء مرافق العمارة السكنية تكون شقة ، أو دور ، أو فيلا . وغالباً يراعى في هذه الأنواع الثلاثة المداخل الرئيسية ، في البناية الواحدة ، وقد يكون هناك أكثر من عمارة في حوش واحد له بوابة كبيرة لدخول السيارات ، وبوابات صغيرة لدخول الأشخاص . وكل فيلا ، أو شقة ، أو دور فيها مجالس للرجال ، وأخرى للنساء ، وغرف للنوم ، وحمامات ، ومطبخ ، وأحياناً مستودعات . وقد يكون في الدور الأرضي من هذه الأبنية الثلاثة مرافق زائدة كالأحواش التابعة لكل بناء ، أو مواقف للسيارة ، أو مستودعات خارجية . أما الأدوار العلوية فهي محصورة بالمرافق السابق ذكرها ، وفي بعضها (بلكنات) تطل على الأراضي أو الشوارع المجاورة .

وفي الحاضرة لا يمكن تشييد أي بناء (عام أو خاص) إلا بترخيص من البلدية ، بعد تقديم المخططات والأوراق والحجج المتعلقة بالأرض التي يراد استخدامها مكاناً للبناء^(٢) . وغالباً يراعى في كل عمارة الهندسة المعمارية من التأسيس والبناء إلى تمديدات مجاري المياه ، والكهرباء ، ثم التزويق والديكورات^(٣) . ويراعى في ذلك أيضاً الأراضي المجاورة لكل عمارة ، من أجل حفظ حقوق كل الناس ، وكذلك الطرقات والشوارع التي تصل إلى كل بناية^(٤) .

(١) عندما تطل على حاضرة تنومة من إحدى الجبال العالية المحيطة بها تشاهد التجمعات العمرانية الممتدة من سدوان إلى عقبة القامة ، وهي نفس القرى القديمة ، اللهم إلا أنها تكاثرت وتمددت في النمط المعماري الحديث . وكثير من الأزقة القديمة تحولت إلى ممرات وطرق مسفلتة صغيرة تصل بين كل قرية وأخرى ، وترتبط جميعها بالخط العام الذي يربط أبها بالطائف ويعبر من وسط المدينة . وقد ذكر لي بعض التوميين أسماء أحياء حديثة متفرقة في المحافظة ، لكنها لم تكن ظاهرة ومعروفة لعامة الناس من أهل البلاد ، أو من يأتي من خارجها . وبإحدى أن تترك كل قرية أو ناحية بأسمائها التاريخية القديمة ، وهذا أفضل وأصلح لتاريخ البلاد وحضارتها .

(٢) قد لا تطلب هذه الأوراق في بعض الأجزاء الريفية أو البوادي ومناطق الأصدار ، وبخاصة إذا كانت خارج خدمات البلديات وفروعها .

(٣) في كل مدينة أو حاضرة ، أو بلدة مكاتب هندسية تجارية تقوم على خدمة الناس وتوفير طلباتهم من المخططات والأوراق اللازمة للعمارة والبناء الحديث .

(٤) إن الصراعات بين الناس على الأملاك والعقارات الزراعية والسكنية وغيرها من أكثر المشاكل التي عرفها سكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن . والدولة الحديثة أسست مؤسسات إدارية رسمية تشرف على حياة الناس ، وتساعدهم في حل مشاكلهم ، والفصل بين خصوماتهم . ودراسة صلات الناس ببعضهم (سلباً

وأغلب العمارات الحديثة سكنية ، وتختلف مواقعها من مكان لآخر ، فبعضها على الشوارع الكبيرة والرئيسية . وهذا النوع من العمران يجمع بين الأهداف السكنية والتجارية ، فالأدوار الأرضية المطلّة على الشارع تكون غالباً لأعمال تجارية متعددة . والأجزاء العلوية ، سواء كانت أدواراً ، أو شققاً ، أو غرفاً في فنادق فجميعها تستخدم للسكن . أما الأبنية السكنية داخل القرى ، والأحياء فهي تستخدم للسكن فقط . ومعظم محافظة تنومة مزدهمة بالأبنية السكنية المنتشرة في كل ناحية^(١) .

لا تخلو منطقة الأصدار من بعض البيوت (الحلال ومفردها حلة) الصغيرة التي يملكها بعض التوأمين ، وينزلون إليها أوقات البرد ، وفي بعض أيام السنة للاستجمام . كما يوجد بعض الاستراحات العائلية الخاصة في سُرّوات تنومة أو شرقها ، للاستخدامات الخاصة . وهناك بعض الأغنياء والمقتدرين مادياً يمتلكون بعض المزارع ، أو المنتجعات لاستخداماتهم الشخصية^(٢) .

أما العمارة التجارية فهي كثيرة ومتنوعة ، والمتأمل في الشارع العام الذي يجتاز وسط تنومة ، يلاحظ عليه عشرات العمارات الحديثة الاقتصادية مثل: محطات البنزين ، والمطاعم ، والأسواق الكبيرة والصغيرة المتنوعة في أهدافها ومعمولاتها ، والفنادق ، والشقق المفروشة ، وصالات الأفراح ، والبقالات الصغيرة ، وأماكن الحلاقة ، وبيع أدوات السباكة والبناء ، وعمائر مستأجرة من بعض المؤسسات الحكومية ، والأهلية ، أو التجارية ، وبعض محلات الأثاث ، والأدوات المنزلية ، والكهربائية ، والتقنية وغيرها . كما يوجد داخل القرى والأحياء ، وعلى الطرق المؤدية إلى جبال منعاء ، أو الأشعاف ، وإلى مركز منصبة بعض المقرات الاقتصادية متعددة الأغراض^(٣) .

وإيجاباً (في عموم السُرّوات وتهماة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس منذ العصر الجاهلي حتى الآن . ومن يدرس هذا الموضوع وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر فإنه سوف يجد مصادر ووثائق وسجلات تدعم بحثه ، حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع في عدد من البحوث والرسائل العلمية .

(١) جميع قرى تنومة القديمة وما حولها بقيت حتى الآن ، (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) مقرات المستوطنات البشرية الحديثة ، والكثير من العمارات الجديدة شيدت في أملاك الناس الخاصة ، وبعضهم من أهل تنومة وغيرهم اشتروا أراضي جديدة وشيدوا عليها بيوتهم الخاصة .

(٢) شاهدت بعض هذه الحلال ، والاستراحات والمزارع في محافظة تنومة أثناء رحلتي فيها في (٦-٧/٢/١٤٤٣هـ) . والحلال قديماً كانت مشغولة من أصحابها بضعة شهور من كل عام . أما الاستراحات والمزارع الخاصة فهي حديثة التاريخ ، وبخاصة منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) .

(٣) من الصعب حصر كل الأبنية التجارية في محافظة تنومة في عصرنا الحالي ، لكنني أشرت إليها باختصار ، وقد يأتي في المستقبل من يدرس تاريخ وحضارة المحافظة في العصر الحديث والمعاصر ويفصل الحديث عن تاريخ العمارة الحديثة والقديمة في هذه البلاد . وعموم السُرّوات وتهماة تستحق أن يدرس تاريخ العمران فيها من بداية القرن (٢٠هـ / ٢٠م) إلى وقتنا الحاضر ، أمل أن نرى باحثين جادين يقومون بهذا العمل العلمي المهم والكبير .

وتتراوح أدوار الأبنية التجارية من غرفة وغرفتين إلى شقة ، أو دور ، أو أدوار عديدة . كما تتفاوت مساحاتها ومرافقها من مبنى لآخر . لكن الموقع وأهميته الاقتصادية من أهم المحفزات لإنشاء عمل تجاري^(١) .

والعمارة الحكومية والمستأجرة من الأبنية الحديثة التي عرفتها بلاد تنومة . وقد أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذه الرحلة . ومن أكثرها وأهمها مقرات التعليم العام والعالي فجميعها حكومية ، وذات أدوار ومرافق متعددة . أما أبنية المؤسسات الإدارية الأخرى (الحكومي والمستأجر) فغالبا تتراوح بين طابق وأربعة طوابق^(٢) .

وفي محافظة تنومة عمارات أخرى عديدة مثل المقابر ، فلا تخلو قرية أو قريتان من مقبرة محفوظة بأسوار يصل ارتفاعها إلى متر ونصف ومترين . وبعض الآبار الجوفية القديمة التي طويت جدرانها بالأسمنت ، وأحيانا بالحجارة والأسمنت ، ثم غطيت فوهاتها . أما المساجد والجوامع فهي متناثرة في كل قرية أو ناحية . وعلى الطريق العام العديد من الجوامع ، وأحدثها جامع الأوقاف على مدخل سبت تنومة الذي تم إعادة تشييده على نفقة الأستاذ علي بن سليمان الشهري ، وهناك جوامع أخرى عديدة تم تعميرها على نفقة بعض المحسنين^(٣) .

وتعد الطرق الحديثة من أهم المجالات الحضارية التي أثرت على نمو وتطور محافظة تنومة . ومن أهمها طريق أبها الطائف ، فقد كان طريقا وعرا وصعبا إلى نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م) . ومن أهم أجزائه الوعرة عقبة القامة التي تصل بين بلاد تنومة في الجنوب وقبائل العوامر الشهرية في الشمال . وكذلك بعض الحزون في سهل تنومة ، وأيضا عقبة الدهناء جنوب المحافظة^(٤) . وعند الانتهاء من فتح هذا الطريق وسفلتته في تسعينيات القرن الهجري الماضي ، بدأت بلاد تنومة تدخل عصرا حديثا من النمو والتطور . وهذا الطريق ، والحمد لله ، أصبح اليوم شارعا مزدوجا بعرض (٦٠م) تقريبا ، وصار من أسهل وأفضل الطرق في منطقة عسير^(٥) .

(١) تاريخ التجارة في محافظة تنومة ، أو سرورات بني شهر خلال العصر الحديث (١٤ق - ١٥ق / ٢٠ق - ٢١م) موضوع مهم وجديد يستحق أن يكون عنوانا للكتاب أو رسالة علمية .

(٢) تاريخ العمارة الحكومية والمستأجرة في محافظة تنومة موضوع مهم وجديد ، حبذا أن نرى باحثا جادا يدرسها في هيئة بحث علمي موثق بالشرح والصورة .

(٣) تاريخ المساجد والجوامع في محافظة تنومة خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٢٠ - ٢٠٢١م) موضوع جديد لم يدرس . أرجو أن يعكف عليه أحد المؤرخين الجادين فيدرسه في كتاب أو رسالة علمية .

(٤) شاهدت هذا الطريق في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) وكانت هذه الأجزاء والعقبات صعبة المسالك ، وتقضي السيارات القوية فيها ساعات عديدة حتى تجتازها . وقرأت عن هذا الطريق في العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي فكانت طريقا شائكة وصعبة جدا .

(٥) تاريخ طريق الطائف - أبها له تاريخ طويل ، ووقع عليه أحداث تاريخية متعددة ومتنوعة ، يستحق أن يدرس

من الطريق العام في تنومة يخرج عدد من الشوارع الكبيرة (شرقاً وغرباً) ، ومعظمها ذات مسار واحد بعرض (١٢-١٥ م) ، ومن أهمها من الجنوب إلى الشمال . طرق تنومة - منصبة ، وآل الصعدي ، والحصون ، ومنعاء ، وترج . وجميعها تخرج من الشارع العام تجاه الشرق ، وتتفاوت في أطوالها ، وعرضها ، وجودتها^(١) . وطرق قريش ، والقذال ، وعدد من الشوارع وسط المدينة ، وأفضلها شارع ظرفان من سبت تنومة إلى الأربعة ، وطرق الشرف ، والمحفار ، ومومة ، وآل سودة . وجميعها تتجه من الشارع العام غرباً حتى تصل نواحي عديدة في الأشعاف . ولها مسالك متعددة حتى تتصل بعقبتي ساقين والأربع اللتين تسيران في الأصدار حتى تتلقيان بوادي الخير (بقرة سابقاً) في سهول تهامة^(٢) .

في هيئة كتاب من بداية القرن (١٣هـ / ١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، أمل أن يقوم مؤرخ جاد بدراسة هذا الموضوع في رسالة أو كتاب علمي .

(١) ذهبت في معظم هذه الطرق ، وجميعها مسفلتة ، لكن الأسفلت في طريق تنومة منصبة متهاك ويحتاج إلى إصلاحات وخدمة أفضل .

(٢) تجولت في معظم هذه الطرق ، وجميعها ذات مستوى جيد ، وعرض معظمها يتراوح بين (١٢-١٥ م) . وعقبة ساقين لا تخلو مسالكها من الوعورة مع أنها طريق مسفلتة ذات مستوى متواضع . أما عقبة برمة فهي جيدة وسهلة العبور ، وما زالت تحتاج إلى خدمة وصيانة أفضل حتى تخدم محافظة تنومة بشكل ممتاز .

ثالثاً: محافظة النماص :

١- الجغرافيا والسكان :

أ- الجغرافيا :

تقع محافظة النماص في بلاد السراة ، وهي إلى أبها أقرب من مدينة الطائف ^(١) . وهي محافظة من فئة (أ) تتبع لإمارة منطقة عسير ^(٢) . ويحدها من الشمال محافظة بلقرن ، ومن الجنوب محافظة تنومة ، ومن الشرق محافظة بيشة ، ومن الغرب محافظتي المجاردة وبارق . ومساحتها تتراوح تقريباً بين (٢٥٠٠ - ٢٨٠٠ كم^٢) ^(٣) .

تنقسم محافظة النماص في تضاريسها إلى ثلاثة أقسام . المرتفعات ، أو السراة وهي أكثر الأقسام استيطاناً بشرياً ، وتمتد من بلاد بني رافع المجاورة لمحافظة بلقرن شمالاً إلى بلاد العوامر ، أو رأس عقبة القامة جنوباً . وهذا الجزء يقع في الوسط بين القسمين الآخرين ، سفوح جبال السروات الغربية المطلة على سهول تهامة ، والمعروفة باسم (الأصدار) ، والهضاب الشرقية التي تتحدر تدريجياً شرقاً حتى تلتقي ببعض الأمكنة والبوادي في محافظتي بيشة وخميس مشيط ^(٤) .

(*) يتخلل هذه المحافظة العديد من الجبال ، والأودية ، والهضاب . ومن أهم

جبالها من الجنوب إلى الشمال :

١- جبل لبنش :

يقع جنوب الظهارة ، يطل على وادي الغر ، ويقع بين محافظتي تنومة والنماص ، وارتفاعه عن سطح البحر حوالي (٢٥٠٠ م) ، ومعظم القاطنين فيه من قبائل العوامر .

٢- جبل البردة :

في بلاد بلحصين غرب الطريق العام ، وارتفاعه يقارب (٢٥٠٠ م) ، ويتصل به عدد من الجبال الأخرى ، وجميعها تطل على سفوح السروات الغربية (الأصدار) ^(٥) .

(١) تبعد عن مدينة أبها (١٤٠-١٥٠ كم) ، وعن مدينة الطائف (٤١٠-٤٢٠ كم) . وذلك حسب المكان إذا كان من الوسط إلى الوسط في كل مدينة أو من أطراف كل مدينة .

(٢) بلدة النماص قديمة في تاريخها ، لها ذكر في الكثير من الوثائق الحديثة والمعاصرة ، كانت في فترات سابقة حاضرة بلاد الحجر . هذا أن تدرس في بحث علمي مطول خلال القرنين (١٢-١٤ هـ/١٩-٢٠ م) .

(٣) مشاهدات الباحث في (٨٧/٢/١٤٤٣ هـ) .

(٤) جولات الباحث في محافظة النماص في يومي (٨٧/٢/١٤٤٣ هـ) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤ هـ/١٩-٢٠ م) . (الطبعة الرابعة /١٤٤١ هـ/٢٠٢٠ م) ، ص ٢٨ . انظر أيضاً علي العسيلي ، وظافر حبيب . النماص: مسيرة التعليم والتنمية (١٤١٩ هـ) ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٥) المتجول في بلاد العوامر من بني مشهور شمالاً إلى رأس عقبة القامة يشاهد العديد من الجبال شرق الخط العام وغربه ، وتتفاوت في الارتفاعات ولها أسماء عديدة ، وبعضها تسمى باسم القبائل أو العشائر التي تستوطنها .

٣- جبال شَعِير، وشُحر، ومَرِير وغيرها^(١) :

في المنطقة الممتدة من جنوب مدينة النماص إلى شمالها بحوالي (١٥ كم) . الأول : يقع في سروات قبيلة بني بكر ، وارتفاعه حوالي (٢٦٠٠ م) . وجبل شجر بين قبائل الكلاثمة وبني جبير ، وهو في الجهة الغربية من الطريق العام ، وارتفاعه حوالي (٢٤٠٠ م) ، يوجد في أعلاه أعمدة اتصالات، وبعض المنشآت التابعة لبلدية النماص. وجبل مرير شمال مدينة النماص، وارتفاعه حوالي (٢٧٠٠ م) ، ويسكن قرياً منه عدد من القرى العمرية والشهرية^(٢) .

٤ - الجبل الأبيض ، أو القرن الأبيض :

يقع في فرعة سلمان^(٣) ، ويبعد عن مدينة النماص في الجهة الشرقية حوالي (٦ م)^(٤) ، وارتفاعه يتراوح بين (١٦٠٠ - ١٧٠٠ م) . وهناك العديد من الجبال المتفاوتة في الارتفاعات شرق حاضرة النماص^(٥) .

٥- جبل المطلا :

في بلاد عمر الشام ، على الطريق العام الذي يربط أبها بالطائف . وارتفاعه حوالي (٢٧٠٠ - ٢٨٠٠ م) عن سطح البحر . كان في الماضي من الطرق الوعرة التي تعطل فيه الكثير

(١) هناك أيضاً مرتفعات وجبال عديدة قريبة من هذه الجبال المذكورة أعلاه ، وجميعها أجزاء من جبال السروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن .

(٢) هذا الجبل من أعلى جبال محافظة النماص ، ويطل على تهامة وتحيط به من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية العديد من القرى الشهرية والعمرية . وله غطاء نباتي كثيف ، وأغلب أشجاره العرعر والطلح ونباتات صغيرة وكبيرة أخرى : مشاهدات الباحث يوم الأربعاء (٨/ صفر / ١٤٤٣ هـ) .

(٣) كان سكان هذه الناحية بواد يتبعون لقبائل الكلاثمة وبني بكر ، ثم جرى توطينهم في النصف الثاني من القرن (١٤ هـ / ٢٠ م) ، وصار هناك فرعتين شمالية ويتبع سكانها لقبائل بني بكر ، وجنوبية ويعودون في قبيلة الكلاثمة . ذهبت إلى هذه البلاد في (٨/ ٢/ ١٤٤٣ هـ) فوجدتها مكتظة بالسكان ، وفيها نشاط عمراني وحضاري جيد ، وتحتوي على العديد من المدارس والمؤسسات الحكومية والأهلية ، والمخططات العمرانية الحديثة . وأهلها أصحاب نشاط وحيوية ، والفرعة الشمالية أكثر تحضراً من الفرعة الجنوبية .

(٤) تبعد الفرعة التي يقع فيها الجبل الأبيض اليوم (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م) فقط ستة كيلومترات بعد فتح الطريق المسفلت الذي يخرج من النماص إلى الفرعة. وفي السابق عشرين كيلاً عن طريق قريتي الحتار وعاكسه في بلاد كعب العمرية شمال مدينة النماص .

(٥) ذهبت إلى البلاد الممتدة من سرة بني بكر والكلاثمة في حاضرة النماص إلى أوطان بني قشير، وآل بالرياع ، والفرعه ، والفضول ، وبدوة في الأجزاء الشرقية من المحافظة ، ورأيت الكثير من الجبال والهضاب المترابطة أحياناً ، وبعضها متفرقة . وتفاوتت في ارتفاعاتها ، وفي حزونها، وغطائها النباتي . وأغلبها غير مسكونة ، ولا تخلو من بعض الرعاة الذين يرعون أغنامهم في بعض مناكبها . جداً أن نرى مؤرخاً أو جغرافياً يقوم بدراسة وتوثيق جبال بلاد الحجر ، أو منطقة عسير تهامة وسراة . ومن يفعل ذلك فقد بطلنا على تفصيلات حضارية عن هذه المعالم الجغرافية في جنوب المملكة العربية السعودية .

من السيارات ، لصعوبة مسالكه ، ورخاوة تربته ، ولا تجتازه السيارة إلا بصعوبة شديدة . ووقع فيه بعض الأحداث التاريخية التي يرويها بعض الرواة ، وبخاصة في الصراعات بين أهل البلاد والجيوش العثمانية التي كانت في ذهاب وإياب بين اليمن والحجاز^(١) .

٦- جبل حرفة :

أحد الجبال المشهورة في بلاد عمرو الشام ، في بلاد بني رافع ، إحدى قبائل عمرو الشام . ويظهر هذا الجبل على هيئة كتلة صخرية كبيرة ، ، صعبة المرتقى . يرتفع عن سطح البحر حوالي (٢٥٠٠ - ٢٦٠٠ م) . تحيط به القرى من كل جانب ، ويقع قريبا منه بعض الغابات التي معظم أشجارها العرعر والطلح . وما زال هذا الجبل من العلامات البارزة في أوطان عمرو الشام . ويذكر عنه بعض القصص والأحداث ، وربما بعضها يسودها المبالغة من بعض الرواة قديماً وحديثاً^(٢) .

٧ - جبل الظور :

هذا الجبل جبلان ، صغير وكبير ، يقعان شرق الخط العام في بلاد بلحارث وعمرو الشام . وارتفاع الكبير يزيد عن الألفي متر عن سطح البحر ، والصغير دون ذلك والجبلان متصلان ، وغطاؤهما النباتي قليل جدا ، وتقع بعض القرى المأهولة بالسكان عند سفحيهما من الغرب والشمال والجنوب ويقع سد بني عمرو في الناحية الجنوبية للظور الكبير . وذكر لي أنه يوجد فيه بعض المعادن ، وآثار للتعدين ، حسب أقوال بعض الرواة ، ولم أصعده ، لكنني شاهدته من أماكن عديدة في تلك الناحية^(٣) .

٨ - قمم سروات محافظة النماص :

معظم الجبال الآنف ذكرها جزء من جبال السروات الممتد من الحجاز إلى اليمن . لكن أعالي السروات في محافظة النماص تتحدر انحدارا شديدا تجاه الغرب ، مكونة

(١) مازال هذا الجبل يسمى (المطل) وأصبح اليوم يسكنه العديد من القرى العمرية ، وعند سفحه الشمالي تقع قرية آل الشيخ ، مقر أسرة آل عثمان شيوخ تميم من بني عمرو ، كما يوجد هناك مركز بني عمرو الإداري والعديد من المؤسسات الإدارية الأخرى ويعبره اليوم الطريق العام المزدوج بعرض (٦٠) تقريبا .
(٢) أعرف بلاد عمرو الشام منذ نهاية القرن (١٤ هـ / ٢٠ م) ، ثم زادت معرفتي بهم بعد أن صاهرتهم وتزوجت من بلادهم فتوطدت العلاقة معهم . والكثير من أبنائهم من طلابي في الجامعة . وقد جلست في مجالس عديدة عندهم ، وسمعت روايات متعددة عن أصوات وأخبار الجن في هذا الجبل ، وبعض تلك الروايات مخيفة في قصصها ، وقد تكون حقيقية ، أو مبالغاً فيها .

(٣) ذكرت نماذج من الجبال الكبيرة في محافظة النماص ، ولم يشمل حديثي كل الجبال ، والذاهب في أرجاء البلاد يشاهد الكثير من الجبال الصغيرة والكبيرة غرب الطريق العام وشرقه . ومعظم الاستيطان البشري في المحافظة قريبا من الخط الرئيسي الذي يربط بين أبها الطائف .

منطقة (الأصدار) التي هي جزء من جغرافية محافظة النماص . وفي بلاد الأصدار جبال كثيرة ، لها أسماء معروفة ، ومتفاوتة في أطوالها ومساحتها ، وأيضاً في ملكيتها ، فالكثير من القبائل السروية في المحافظة لها أصدار وبوادي ، وبعضها لها أصدار بدون بوادي ، أو العكس^(١) .

(*) يجتاز المحافظة أيضاً العديد من الأودية التي تسير شرقاً أو غرباً ، ومن أهم تلك الأودية من الجنوب إلى الشمال مايلي :

- ١ . أودية عثربين ، والدحض ، والعرسين ، وسروم وتأتي منابعها من بلاد العوامر ، وآل بالرياع ، والفرعة . وتتجه شرقاً حتى تصب في وادي ترج . أحد روافد وادي بيشة^(٢) .
 - ٢ . أودية نحيان ، ونشيان ، والنماص ، ورديحه ومسائلها من سروات الظهار ، وبني مشهور ، وحاضرة النماص ، وبني جبير وتسير شرقاً ، وتلتقي مع بعض الأودية الأخرى حتى تصب في وادي ترج^(٣) .
 - ٣ . أودية صديرد ، وآل زيدان ، وحضر ، جميعها من روافد وادي بدوة في الشرق ، ومنه إلى وادي ترج^(٤) .
 - ٤ . في البلاد الممتدة من جبل مرير جنوباً إلى شمال جبل المطل يسيل منها عدد من الأودية الشرقية مثل : وادي زيد ، ووادي الغرة ، ووادي حلباء ، ووادي السرو وكلها تصب في وادي بدوة أحد روافد وادي ترج^(٥) .
 - ٥ . واديا عياش ورنما ، والحصباء ، ويقعان في بلاد عمرو الشام ، ويتصلان بوادي العطف الذي يسير إلى أعالي وادي ترج في القوباء^(٦) .
- يتضح لنا أن وادي ترج يبتلع معظم الأودية التي تسير من محافظة النماص شرقاً . وبدايات هذا الوادي يأتي من شرق محافظة تنومة ويتجه في الجهة الشمالية الشرقية ، ويصب فيه معظم أودية تنومة والنماص حتى يصل بلدة الحيفة جنوب مدينة بيشة ،

(١) أقول إن جبال الأصدار ، والسراة ، والبوادي في محافظة النماص ، بل في منطقتي عسير والباحة موضوع لم يدرس دراسة علمية ، بهذا أن نرى باحثين جادين يدرسونها مع دعم دراساتهم بالصور الفوتوغرافية الملونة .

(٢) مقابلة مع الأستاذ علي بن محمد العسيلي في منزله يوم الثلاثاء (١٤٤٣/٢/٧ هـ) .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) تجولت في هذه البلاد يومي (١٤٤٣/٢/٨ هـ) ووقفت على بعض الأودية المذكورة أعلاه .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) تجولت في هذه البلاد أكثر من مرة ، ووقفت على بعض معالمها كالجبال والأودية وغيرها .

و يبلغ طوله من بدايته إلى نهايته حوالي (١٧٠ كم) ^(١) .

ومن أعالي السروات في النماص، أو منطقة الأشعاف تسيل بعض الأودية والشعاب الصغيرة التي تتجه غرباً، وتسقط في بلاد الأصدار مكونة مجاري مائية حتى تتصل ببعض الأودية الأخرى الكبيرة في السهول التهامية حتى تصب في البحر ^(٢) . تجولت في بلاد الأشعاف في محافظة النماص من عقبة القامة جنوباً إلى بلاد بني رافع العمرية، وآل سلمة القرنية شمالاً، فوجدت أصدار وأشعاف بلاد العوامر تصب في وادي شري أحد روافد حلي. وأشعاف وأصدار حاضرة النماص وما صاقبها شمالاً حتى جبل مريز تتحدر مياهها غرباً حتى تصب في وادي خاط، ومنه إلى وادي بية. أما أشعاف البلاد الممتدة من جبل مريز جنوباً إلى بلاد بني رافع من عمرو الشام فجميع مياه هذه الناحية تصب في وادي عبس، أحد روافد وادي بية. كما شاهدت عدداً من الأودية في محافظة المجاردة مثل: وادي خاط، ووادي الضمو، ووادي جريا، ووادي ختبه وجميعها تأتي مسائلها من أعالي السروات بمحافظة النماص ^(٣) .

ومناخ محافظة النماص معتدل صيفاً، بارد شتاءً وتسقط الأمطار على البلاد في بعض شهور العام وبخاصة في فصلي الشتاء والصيف. والضباب المعروف محلياً باسم (العماء) من العقبات المناخية التي تخيم على سروات المحافظة عدة شهور من فصلي الشتاء والربيع. وأحياناً تزيد كثافة الضباب وتنتشر على أجزاء المحافظة السروية، والشرقية، وسفوح السروات الغربية. بالإضافة إلى شدة البرد الذي يخيم على عموم المحافظة ^(٤) . والضباب والبرد جعل معظم سكان البلاد يهجرون بلادهم، ويذهبون

(١) وادي ترج بفروعه ومجره الرئيسي في أعالي محافظة بيشة له ذكر وتاريخ في كتب التراث الإسلامي. كما أنه مليء بالنقوش والآثار السطحية والمدفونة، ومكتظ بالسكان، وغني بثروته النباتية والحيوانية، ويستحق أن يدرس جغرافياً، وتاريخياً، وأثرياً وحضارياً. أمل أن نرى باحثاً أو قسماً علمياً في جامعة بيشة يتولى جمع تراثه وأثاره وتاريخه ثم تحليلها وتوثيقها ونشرها .

(٢) إن الذهاب في سهول تهامة من القنفذة شمالاً إلى البرك والقحمة جنوباً يرى أودية كبيرة تتلج أودية الأصدار والأجزاء التهامية الداخلية. ومن أهم تلك الأودية وأكبرها قنونا، وبية، وحلي. وهذه الأودية الفحول الثلاثة هي التي تصب فيها مياه السروات الغربية من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى بلاد عسير جنوباً. وكل هذه الأودية لها تاريخ وذكر واسع في كتب التراث الإسلامي .

(٣) شاهدت معظم هذه المعالم الجغرافية خلال رحلتي التي قمت بها في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). واعلم أنني قد أوجزت الحديث عن هذه الأمكنة الجغرافية، لكنني حرصت أن أذكرها وأوثق بعض الشيء عنها. ولعل من يأتي بعدي يصحح ما وقعت فيه من أخطاء، أو يستكمل ما لم أستطع توثيقه ورصده .

(٤) غالباً يتزامن وقت الضباب والبرد في فصلي الشتاء والربيع. إلا أن البرد قد يسود البلاد في هذه الفترة بدون وجود الضباب. والضباب قد يغطي البلاد أيضاً وقت الصيف. والناس قد يتحملون مشكلة البرد، لكن الضباب مشكلة كبيرة وبخاصة بعد كثرة السكان ووجود الطرق المعبدة المسفلتة، وكثرة السيارات التي ينتج عنها الكثير من حوادث السير أثناء تغطية الضباب (العماء) للبلاد. المصدر: معاصرة الباحث لهذه المشاكل منذ بداية حياته إلى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

إلى تهامة ، أو بعض المدن والحوضر الأخرى في المملكة العربية السعودية^(١) .

تعد محافظة النماص من البلاد السروية ذات الغطاء النباتي الكثيف ، وبخاصة مرتفعاتها ، وسفوحها الغربية . كانت ومازالت تشتمل على عشرات الأنواع من الأشجار والنباتات البرية والمزروعة . وقد أشرت إلى أسماء كثير من تلك النباتات في القسم الخاص بمحافظه تنومة . وتلك الأشجار ، والشجيرات ، والنباتات ، والمزروعات في بلاد تنومة هي نفسها في معظم بلاد النماص بأقسامها الثلاثة (السروية ، والشرقية ، والغربية)^(٢) .

أما ثروات المحافظة الحيوانية ففيها الحيوانات الأليفة مثل الإبل ، والأبقار ، والأغنام . وأعدادها اليوم أقل بكثير من السابق بل إن بعض هذه الحيوانات تجلب إلى المحافظة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها^(٣) . وبعض الطيور في المنازل مثل الدجاج ، والحمام ، والبطة^(٤) . كما لا تخلو البلاد ، وبخاصة في الماضي من الكلاب المنزلية ، والقطط ، والحمير ، وربما بعض الأحصنة^(٥) .

(١) عاصرت حياة الناس في هذه البلاد منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانوا في السابق يذهب البعض منهم بمواشيهم إلى بعض حلالهم (مستوطناتهم) في الأصدار هروبا من البرد والضباب ، وأيضا رعي مواشيه . وبعد تحسن أوضاع الناس الاقتصادية ، وتطور أحوالهم الحضارية في شتى الجوانب ، أصبح الكثير منهم يشترون أو يستأجرون بعض العقارات في الأجزاء النهامية مثل الأراضي أو البيوت أو الشقق من أجل الانتقال إليها وقت البرد والضباب . ومنهم من يذهب إلى مدن مكة المكرمة ، أو جدة ، أو أبها وخميس مشيط وغيرها للجلوس هناك مع أقاربهم كالبناات والأولاد المتزوجين ، ثم يعودون إلى قراهم ومواطنهم الرئيسية وقت الصيف . ونلاحظ تناقص أعداد السكان في المحافظة وقت البرد ، وازدحامها في فصل الصيف . وهذه مشكلة عامة على البلاد السروية الممتدة من الطائف إلى بلاد وادعة وقحطان . ونلاحظ بلاد تهامة من مكة إلى جازان تزدهم وتنشط حضاريا واقتصاديا في فصلي الشتاء والربيع . وأقول إن هذا الموضوع يستحق أن يدرس من شتى الجوانب ، ويوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) تلك النباتات والأشجار المتنوعة التي أشرت إليها سابقا ، أثناء توثيقي شذرات عن محافظة تنومة تكاد تكون نفسها في عموم البلاد النهامية والسروية الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية . وربما اختلفت أسماء تلك النباتات المحلية من مكان لآخر في الأوطان الواسعة ، لكنها مازالت بحاجة إلى من يدرسها دراسة علمية مع الحرص على توثيق أسماء النباتات العلمية ، ووصف أشكالها ، وأحجامها ، وأضرارها وفوائدها ، وما يمكن أن يكتب عنها ، ويكون ذا قيمة علمية .

(٣) عاصرت سروات وتهامة مناطق عسير ، والباحة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت الثروات الحيوانية المحلية كثيرة جدا ، بل كانت مهنة رئيسية يعيش عليها الكثير من السكان . وبعد أن زادت نسبة الوظائف الحكومية في البلاد ، وتوفر المال عند الناس تراجعت مهنة الرعي وتربية الحيوانات ، وتحول سكان البوادي الذين كانوا يمارسون الرعي إلى أعمال اقتصادية أخرى . وصار بعض الأفراد والأسر يمتلكون مزارع يربون فيها بعض الحيوانات مثل الإبل والمواشي الأخرى ، ثم صاروا يجلبون عمالا من الخارج حتى يتولوا رعايتها والإشراف عليها .

(٤) الوضع نفسه الذي جرى مع الحيوانات الأليفة جرى مع تربية الطيور ، وصار هناك من يشتري الطيور للمتعة والتسلية . ومنهم من يجلب بعض الطيور الأليفة وتربي مع الحيوانات الأخرى في المزارع الخاصة .

(٥) شاهدت كل هذه الحيوانات في الماضي حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فالحمير والكلاب كانت موجودة بنسبة كبيرة ، واليوم صارت نادرة جدا ، إلا في بعض البوادي والأرياف البعيدة عن القرى والمدن المتحضرة . أما القطط فتشاهد بعضها ، وهي قليلة ، في القرى وبعض الأمكنة من المحافظة . أما الأحصنة فلا يملكها في

أما الحيوانات والطيور البرية فكانت كثيرة في كل ناحية من المحافظة وبخاصة في البوادي ، والغابات في عموم السروات ، ومنطقة الأصدار . ومنها الأسود ، والنمور ، والضباع ، والذئاب ، والثعالب ، والقروء ، والنيص ، والأرانب . وبعض الطيور كالحجل ، والقهاى ، والغربان ، والصقور ، والنسور ، والحدأة وغيرها . جميع هذه الكائنات الحية كانت موجودة بنسبة كبيرة إلى العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم بدأت تنقص حتى أصبح بعضها نادر الوجود ، بسبب زيادة السيارات والآلات ، والأضواء ، والضوضاء والإزعاج من البشر . بل بعضها مثل الضباع ، والنمور ، والأسود صارت لا تعيش إلا في منطقة الأصدار وبخاصة في الأماكن الوعرة . وبعض هذه الحيوانات مثل القروء ، والذئاب ، والثعالب مازالت موجودة في مواطن عديدة من سروات و بوادي المحافظة ، لكنها بنسبة أقل بكثير عما كانت عليه في السابق^(١) .

كما أن الزواحف والحشرات الضارة والنافعة كانت موجودة بكثرة إلى عهد قريب ، فترى الكثير منها في جحور المنازل والطرق داخل القرى والبوادي والأرياف ، وتكثر في الأودية والجبال والغابات . ثم تراجع أعدادها مع شق الدروب ، وبناء المشاريع العمرانية المختلفة . وصار الكثير منها نادراً أن تراه ، وإن رأيت بعضها في أماكن متفرقة من المحافظة ، فهي خائفة ، وسريعة الهروب والاختفاء^(٢) .

والمياه من المصادر الطبيعية التي عرفتها محافظة النماص . ففي السابق كانت الآبار الجوفية هي المصدر الرئيسي لجلب المياه إلى المنازل ، ورعى بعض المزارع ، وسقي الحيوانات الأليفة^(٣) . كما أن الأمطار كانت تسقط بكميات كبيرة ، فتجري الأودية

السابق وحتى الآن إلا الأغنياء والمقتدرون ، وقليل جداً من يملك بعض الأحصنة في بيته ومزرعته .

(١) ضريبة التمدن والتحضر توفر أشياء ، وتدهور أشياء أخرى . فالذهاب في أرجاء بلاد السروات وتهامة من العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يرى تطور الإنسان وتمدنه في أشياء كثيرة مادية ومعنوية ، وخاصة وعامة . لكن الحياة الطبيعية في البلاد من غطاء نباتي ، وثروات حيوانية ومائية وجغرافية طبيعية أصابها الكثير من التدهور والتراجع عما كانت عليه في القرون الماضية . وهذه التحولات التي جرت للأرض والإنسان في عموم المملكة العربية السعودية خلال الستين سنة الماضية (١٣٨٠-١٤٤٣هـ/١٩٦٠-٢٠٢١م) جديرة بالدراسة والتوثيق مع دعم كل البحوث العلمية بالصور الفوتوغرافية الملونة ، وهي مصادر قريبة العهد والحصول عليها مازال ميسوراً .

(٢) أدون في هذه الورقات مشاهداتي وتجاربي خلال ستين عاماً . وقد اجتهدت أثناء ارتحالي في بعض محافظات منطقة عسير هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، لعلي أن أرى بعض الزواحف أو الحشرات التي كنت أراها في مزارعنا وقرانا و بواديها في بلاد بني شهروبي عمرو منذ نهاية السبعينيات إلى نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، لكنني لم أشاهد شيئاً يذكر ، وتأكد لي التدهور الذي أصاب الحياة الفطرية في بلادنا (سراة وتهامة) التي كانت مكتظة بهذه الكائنات الحية إلى عهد قريب من عصرنا .

(٣) سرت مشاهداً ومسافراً في البلاد الممتدة من عمرو الشام إلى بلاد العوامر وعقبة القامة في جنوب محافظة النماص منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ورأيت تلك البلاد في الماضي كيف كانت ممطرة طوال العام ، وكيف كانت جبالها ووهادها ومزارعه مكتسية باللون الأخضر ، لما تحتوي عليه

الصغيرة والكبيرة ، وتتشكل العيون والجداول المائية المتعددة في أطوالها ، وأحجامها ، ومواقعها . ومن ثم فالأراضي كانت مورقة ومزدهرة والمزارع تغطي معظم بلاد السراة الممتدة من عقبة القامة ، إلى بلاد بني رافع في شمال المحافظة .^{١٠} والوضع نفسه الذي جرى للكائنات الحية من النباتات والحيوانات وغيرها أثر أيضاً على مصادر المياه ، فغارت الكثير من الآبار وجفت ، وقلت الأمطار ، فلم نعد نرى أودية أو عيوناً أو جداول جارية ، وإنما جفت وأصاب القحط أغلبها ، وساد البلاد نسبة عالية من الجفاف والتصحر . وأثناء تنقلي في ربوع محافظتي تنومة والنماص هذا العام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، قارنت الحياة الجغرافية الطبيعية في السابق ، وكيف صار وضعها في الوقت الحالي ، ومن ثم عرفت أن الحياة الجغرافية في البلاد تراجعت في كثير من مكوناتها الطبيعية^(١١) .

من جغرافية المحافظة الغابات والمنتزهات . فالبلاد في الماضي كانت معظم جبالها ووهادها وأوديتها وقرائها ومزارعها مكتظة بالنباتات البرية والمزروعة . والناس في الماضي يبذلون قصارى جهودهم في أعمال الزراعة ، وحماية قراهم ، وأراضيهم الخاصة والعامة ، وبالتالي كانت الحشائش وجميع النباتات متوفرة في كل مكان . ثم بدأ العمران الحديث منذ التسعينيات ، وجرى الاعتداء على الغطاء النباتي والأراضي الزراعية فتراجعت مساحات النباتات والزروع . ولم تسلم الجبال والغابات والأودية من اعتداء البشر على غطائها النباتي . وتأسست البلديات وصارت تشرف على أراضي المحافظة ، وتنشئ الحدائق والمنتزهات . كما اجتهدت وزارة الزراعة في الحفاظ على الغابات وعدم الاعتداء عليها . ونشاهد اليوم الكثير من الأمكنة المخصصة للنتزه والترفيه . ومنطقة الأشعاف في قمم السروات الممتدة من العوامر وعقبة القامة إلى بلاد خشرم والعقيقة والخضراء . وأيضاً بعض الأشعاف من بلاد حلباء والسرو إلى بلاد بني رافع في عمرو الشام . أصبحت جميعها منتزهات تشرف عليها البلدية ، ومزودة

من النباتات المختلفة . وشاهدت في وقتنا الحاضر كيف تحولت الجبال والمزارع إلى قرى ومستوطنات بشرية ، وما جرى للغطاء النباتي والأراضي المسقوية والعثرية من تجريف وتغيير في تربتها ومعالمها الطبيعية . وأقول إن أجرى دراسة على طبيعة الأرض ومواردها منذ منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى وقتنا المعاصر موضوع مهم جدير بالدراسة والتوثيق ، مع الحرص على دراسة الأسباب والظروف والعوامل التي سببت التدهور للطبيعة ، وكيف يمكن تلافي تدهورها ، وإصلاح ما جرى لها من البشر والتحويلات الطبيعية الجغرافية .

(١) ليست هذه الحالة محصورة فقط على محافظة النماص وإنما شاهدت ذلك في معظم بلدان السراة وتهامة ، وفي مناطق عديدة من المملكة العربية السعودية . وتلك ضريبة الحياة المدنية التي يعيشها الناس منذ بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، وأيضاً عدم وعي الناس بأهمية الطبيعة ومواردها ، والاجتهاد في الحفاظ عليها . والواجب على جميع الأفراد والجماعات ، وعلى المؤسسات الحكومية والأهلية ، وعلى المدارس والجامعات أن تتضافر جهودها لنشر الوعي والثقافة التي تصب في الحفاظ على البيئة الطبيعية في شتى الجوانب . وهذه مسؤولية تهم الجميع ، وليست الوزارات أو المؤسسات المعنية فقط ، وإنما الجميع عليهم مسؤولية ، ويجب أن يكونوا مدركين ذلك ، ومجتهدين متضافرين فيما يعود بالنفع والفائدة على طبيعة الأرض وجمالها .

بالإضاءة ، وبعض الجلسات والحدائق ، وألعاب الأطفال ، والحمامات والمظلات. والذي أكسبها جمالا ومتعة هو إحاطتها بغابات بالعرعر وغيرها من النباتات. وتصل إليها طريق مسفلت مزدوج في بعض أجزائه ، وذات اتجاه واحد في أجزاء أخرى ^(١) .

والذاهب في محيط حاضرة النماص ، وحلباء ، وبلاد عمرو الشام ، وأودية شعبان ، والفرعة ، وبدوة . ووادي ترج ، وسد بني عمرو وغيرها يجد العديد من الأمكنة الصالحة للتنزه ^(٢) . ويجد إلى جوار بعضها الغابات ، والأمكنة البرية التي يزورها الناس أفرادا وجماعات ويقضون فيها أوقات للاسترخاء والمتعة ^(٣) .

ب- السكان :

جميع سكان محافظة النماص قبائل عربية أزدية ، لها أسماء معروفة منذ القدم ، وما زالت تحمل الأسماء نفسها حتى الآن . ومعظم سكان المحافظة يقطنون قريبا من الخط العام الذي يربط أبها بالطائف. وحاضرة المحافظة مدينة النماص ، وكل البلاد تعرف بأسماء قراها . وأثناء تجوالي في هذه المحافظة في الفترة من (٧-٩ / صفر / ١٤٤٣ هـ) زرت عشرات القرى في هذه الناحية ^(٤) ، ومن القرى التي شاهدها وسمعت عنها ابتداءً من الجنوب إلى الشمال كانت على النحو الآتي :

(*) من عقبة القامة إلى جنوب حاضرة النماص شرق الخط العام وغربه .

- (١) رؤوس شري . (٢) البردة . (٣) آل علاء . (٤) الميفاء . (٥) آل بهيش . (٦) مرو .
- (٧) الوهدة . (٨) النبيه . (٩) آل معمع ، وآل مشني ، وآل ثلعة ، والعماسية . (١٠) المهدي .
- (١١) العرق . (١٢) آل عفرأ ، وآل يسعد . (١٣) آل بن جرادة ، وآل إيدي ، وبني مشهور .

(١) تجولت في هذه المتنزهات يومي (٧-٨ / ٢ / ١٤٤٣ هـ) ، ووجدتها تزدان بالجلسات والمرافق الضرورية. ومعظمها تطل على تهامة ، وتحيط بها الغابات من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية . وكثافة الغابات وكثرة الأشجار في محافظة النماص في هذه الأراضي الشفضية . كما يوجد قريبا من بعضها بعض المنتجعات والتجمعات السكنية . المتفاوتة في مساحاتها ، وأعدادها ، وأحجامها . وعلى مقربة من بعض الأمكنة في هذه المنطقة قرى سكنية ، وأحيانا أراضي زراعية . والمقرات والمتنزهات السياحية والغابات في بلاد الحجر تستحق أن تدرس في كتاب أو رسالة .

(٢) كل هذه الأمكنة معالم جغرافية معروفة ، وبعضها مذكورة في المصادر والمراجع التاريخية والحضارية .

(٣) بعض هذه الأمكنة تستخدم للرحلة والتنزه منذ كنت طالبا في مرحلتي المتوسطة والثانوية . وكانت آنذاك أراضي بكر لم تمتد إليها يد الإنسان بالتجريف والبناء . أما اليوم صار فيها بعض المرافق السياحية المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها .

(٤) معظم القرى المذكورة في هذه الورقات قديمة ، فالبعض منها يعود تاريخها إلى عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة . حتى مع التوسع العمراني الحديث ما زالت تعرف بأسمائها القديمة ، ويجب الحفاظ على ذلك وعدم استبدالها بأسماء حديثة ، لأنها تعكس صفحة من تاريخ وحضارة البلاد .

(١٤) الفرعة ، وآل حلس ، وآل ثابت ، وآل التيس^(١) .

(*) من شمال بني مشهور جنوباً إلى جنوب حلباء :

هذه البلاد حاضرة النماص وما جاورها ، ومن القرى التي شاهدها ، وعرفت معظمها منذ سن الطفولة والشباب . (١) القرية . أو النماص^(٢) . وسكانه الكلاثمة ويتكونون من عدة قرى مثل بلدة النماص نفسها ، وآل عمر ، وآل سلامة ، وبني روق ، وآل الشنطوف ، وبادية الموادة في الفرعة الجنوبية . (٢) بني بكر وهم عدة قرى وأحياء جنوب شرق النماص ، ومن قراهم أيضاً الفضول والفرعة الشمالية في الناحيتين الشرقية والشمالية الشرقية من مدينة النماص . (٣) آل فويس ، وآل هيه ، والشهوم ، والعامشة ، وآل زينب ، والدحض ، وجميع هذه القرى تقع شرق مدينة النماص ، ويتفاوت بعدها وقربها من الخط العام ، وأبعدها شرقاً قرية الدحض . (٤) الحذب والخاضرة ، وآل رزيق ، وآل معوطة^(٣) ، وآل وليد ، والحتار ، وآل ضاوي ، وعاكسة ، وآل مقبول^(٤) ، وشعبان ، وآل ملوح ، وآل كرع ، وبدوة ، ومخدرة ، ولشعب ، وآل بوحبال ، والصريف ، وصديرد ، وآل سكوت ، وآل غيهب ، والحلقة ، وآل غوالة ، والقيم ، والريامة ، وآل ساعد ، وآل طارق ، وذا المظر ، وآل هلاله ، وآل سلطان ، وآل حشيش^(٥) . (٥) لحبي ، وآل قحطان ، والفرش ، وأبو قرنين ، وأبو قبيس ، ومسلمة ،

(١) هذه أسماء بعض القرى التي شاهدها وزرت معظمها في بلاد العوامر من جنوب مدينة النماص إلى رأس عقبة القادمة . وجميعها على جانبي الطريق العام ، وتتفاوت في مسافات بعدها وقربها منه . ولم أت على كل القرى وبخاصة مع العمران الحديث فقد تداخلت الكثير من البلدان والقرى ، وأصبح هناك صعوبة في تمييز كل قرية من أخرى . وجميع هذه القرى المذكورة أعلاه تعود لقبائل وعشائرها في بلاد العوامر الشهيرة السروية .

(٢) النماص ، أو القرية مقر المؤسسات الإدارية الرسمية منذ زمن بعيد . كانت متواضعة في مساحتها ومنازلها . ووسط القرية يطلق عليه قديماً المحلل ، أو المنداة ، ثم عرفت مؤخراً بالمنشية كونها مقراً لبعض المؤسسات التجارية . وكان قريباً منها بعض الأمكنة مثل الرهو في الناحية الشمالية ، وبدعة في الناحية الغربية ، وحي سكني في الجهة الجنوبية الشرقية . واذكر في التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أن هذا الحي كان حارة تحتوي على عمائر كبيرة من عدة طوابق ، وذات ألوان مختلفة (زرقاء ، وحمراء ، وبيضاء وغيرها) ، وهي تعكس جودة بنائها ، وربما غنى أهلها ويسر أحوالهم الاقتصادية والمادية . ومعظم سكانها آنذاك من سروات قحطان ، جاءوا إلى بلاد النماص في قرون ماضية ، واستقروا فيها ، وصاروا من نسيج المجتمع النماصي . وأولادهم وأحفادهم اليوم من بني شهر ، فقد صاهروا الكثير من الأسر . وقد رأيت أمثالهم كثيراً في بلاد السراة الممتدة من أبها حتى الطائف . وموضوع هجرة بعض القحاطين من بلادهم واستقرارهم في بلاد عديدة من خميس مشيط إلى الطائف موضوع جيد فيكون عنواناً لكتاب علمي أو رسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٣) هذه القرى الأربع تتبع قبيلة بني جبير التي ينتمي لها المؤلف ، وقرية آل رزيق موطن والده وأجداده لأبيه .

(٤) قرية آل مقبول المكان الذي ولد فيه المؤلف ، وهي قرية أجداده لأمه ، إحدى قرى بني كريم العمرية .

(٥) كان هناك عقبة كؤود في بلاد آل حشيش ، وصارت اليوم سهلة العبور وجزءاً من الطريق العام . وجميع القرى الواردة في الرقم (٤) تقع شمال وشمال شرق مدينة النماص ، وهي خليط من القرى العمرية والشهرية ، والذاهب في أرجائها يصعب عليه التمييز ومعرفة القرية الشهيرة من العمرية لشدة التداخل في الجبال والمزارع ومرافق القرى .

وآل رحال ، وآل عضية ، وآل رحمة ، وآل الحبشي ، وآل جميرة ، وآل غران ، وآل زهراء ، وبني مليح ، وآل ناشر ، وآل طوير ، والمرحب ، وخشرم ، والخضراء ، والعرق^(١) .

(*) من حلباء جنوباً إلى السهوة شمالاً :

(١) المدانة ، وآل مستور ، وآل زفين ، والغرة ، والدقائق ، والشبارق . (٢) القرية ، وآل نشوان ، وآل عليان ، والقبل ، وذرنا ، وآل الميسري ، وآل عريف ، وآل نبهان ، والرهوة ، وآل مكيمل . (٣) ربوع السرو ، والعدوة ، وأكرم ، وآل نبيح ، وآل جعيد ، والسهوة ، والأصفاء^(٢) .

(*) من الأصفاء وما حولها جنوباً إلى بلاد بني رافع شمالاً :

(١) آل عطيفة ، وآل الشاعر ، وآل الهيفة ، وآل سعد ، وآل حسيكة . (٢) الجحور ، وآل غثران ، ولزمة ، وآل جاهل ، وآل عمار ، والكنهيلة ، وذات العلب . (٣) آل مفرج ، وآل طلحة ، والعاسرة ، وآل فقير ، وآل الشيخ ، وآل جرار (يرار) ، وآل سودان ، وآل سلطان ، وآل خزيم . (٤) آل بسام ، والحصباء^(٣) ، وآل مشنية ، وآل شيبان ، وآل غزالة^(٤) .

(*) من خلال تجوالي في محافظة النماص من جنوبها إلى شمالها ، ومن شرقها

إلى غربها ، خرجت ببعض الرؤى عن تركيبتها البشرية ، وأذكرها في النقاط الآتية :

١. إن جميع السكان الأصليين من القبائل العربية الماجدة ، ومعظمهم من الأزد ، وأكثر تجمع لهم في البلاد السروية الممتدة من عقبة القامة وبلاد العوامر جنوباً إلى حدود محافظة بلقرن من الناحية الجنوبية . ولهم أحلاف وصلات نسبية وقبلية مع بعض العشائر الأخرى في تهامة ، وفي الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى محافظتي خميس مشيط وبيشة شرقاً^(٥) .

٢. الغالب على التركيبة السكانية الوضع القبلي ، فكل قبيلة أو عشيرة في بلادها ، تتكون

(١) معظم هذه القرى تعود في قبائل بني التيم الشهرية ، وفيها قرى قليلة ومحدودة تعود في قبائل بني عمرو .

(٢) هناك الكثير من القرى والمنازل المتناثرة ، وبعضها عمرية وأخرى شهرية ، ولم أتمكن من ذكر كل القرى في هذه البلاد ، لكنني أجتهد في ذكر بعضها . وقد يأتي بعدي من يصحح ما أخطأت فيه ، ويستكمل ما لم أستطع تدوينه .

(٣) الحصباء مكان واسع في شمال محافظة النماص ، ويسكن في هذه البلاد مجموعة من القرى العمرية وبخاصة في بلاد بني رافع .

(٤) كل القرى المذكورة في المحور المدون أعلاه تنتسب في بلاد بني عمرو ، ولم أستطع الوقوف أو حصر كل القرى في هذه الناحية فهي كثيرة وبعضها صغيرة وأخرى كبيرة .

(٥) من يسير في هذه البلاد شرقاً وغرباً يجد صحة ما ذكرت أعلاه . ومن يطلع على بعض الوثائق والصلوات الحضارية القديمة يجد البعض من سراة محافظة النماص ذهبوا إلى تهامة أو البوادي الشرقية واستقروا فيها ، وخالطوا عشائر وقبائل أخرى عديدة . بل يجد بعضهم في أقصى جنوب وشمال المحافظة متدخين مع القبائل المجاورة في محافظتي تنومة وبلقرن .

من قرى كبيرة وصغيرة. ولبعضها مستوطنات سكنية وبشرية في البوادي الشرقية ، وفي أمكنة عديدة من السفوح الغربية لجبال السراة وبخاصة في منطقة الأصدار . وذكرى أسماء بعض القرى يؤكد على أن الأسر ثم القرى هي العمود الفقري الذي تشكلت منه القبائل والعشائر . والقرى السابق ذكرها وغيرها تتفاوت في مساحاتها ، وعدد سكانها ، وتاريخها . فأغلبها قرى قديمة ، والذاهب في أرجائها يلحظ قدم أبارها ، ومنازلها ، وحصونها ، ومدرجاتها الزراعية ، وكذلك الكثير من عاداتها ، ولهجاتها ، وأعرافها الاجتماعية . ناهيك عن طرقها ، وأسواقها ، ومقابرها فهي الأخرى قديمة وبعضها يعود إلى العصر الجاهلي و صدر الإسلام ^(١) .

٢. في رحلتي الأخيرة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) رأيت العديد من الأجناس العربية وغير العربية التي جاءت إلى المحافظة من أجل العمل في ميادين اقتصادية واجتماعية ، وصحية ، وتعليمية وغيرها . فمن الدول العربية المصريون ، واليمنيون ، والسودانيون ، وبعض دول الشام ، ودول شمال إفريقيا ، وربما وسطها وشرقها وغربها . ومعظمهم يعملون في مجالات اقتصادية متنوعة . ومنهم (نساء ورجالاً) يعملون في التعليم العالي وبعض القطاعات الصحية الحكومية والأهلية ^(٢) . وفي البلاد أيضا عناصر غير عربية ، وفيهم المسلم وغير المسلم (أمثال : الهنود ، والباكستانيون ، والأفغان ، والبنجاليين ، والنيباليين ، والأحباش ، والإثيوبيين . وقليل من الفلبينيين ، وندرا أن نشاهد أجناسا أوربية أو غربية ^(٣) .

٤. دراسة أوضاع السكان في محافظة النماص ، وما جرى عليها من تحولات حضارية خلال العصر الحديث والمعاصر . من الموضوعات الجديدة في ميدان البحث والتوثيق . وللحياة السياسية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والتعليمية ثم التنمية دور

(١) أرصد هذه الأقوال ، لأتني متأكد مما ذكرت ، فقد شاهدت الكثير من هذه المعالم الجغرافية . ومحافظة النماص ليست إلا جزء صغير من بلاد تهامة والسراة ، الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز ، فهذه البلاد بمفهومها الواسع مستوطنات قبلية قديمة ، ولكل قبيلة ومكان تاريخ وحضارة ، لكن للأسف لا نجد لها الذكر الكبير والواسع في المصادر الكلاسيكية الأجنبية ، وكتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة لا تذكر الشيء الكثير عنها . وأملنا في معرفة تاريخها وحضارتها القديمة من خلال الدراسات الأثرية المعنوية والمادية السطحية والمدفونة ، فأرجو من مؤسسات التعليم العالي في هذه البلاد أن تؤسس مراكز بحوث متخصصة تهتم بهذا الميدان المعرفي المهم .

(٢) زرت مستشفى النماص ، وبعض المستوصفات الأهلية ، وكليتي البنات والأولاد في المدينة ، وبعض الأسواق الصغيرة والكبيرة ، وعددا من الورش الصناعية والتقنية وشاهدت الكثير من العناصر العربية المذكورة أعلاه .

(٣) مشاهدات الباحث في الفترة من (٧-٩/٢/١٤٤٣هـ) . وفي نهاية القرن الهجري الماضي وبداية القرن (١٥هـ / ٢٠م) حتى العشرينيات منه كنت أشاهد أجناسا غربية ، من أوروبا وأمريكا ، وعناصر كورية أو صينية وجميعهم يعملون في المشاريع المعمارية كالطرق ، والجسور ، وفي شركة الكهرباء وغيرها .

كبير في تشكيل حياة الناس ، وتكاثرهم ، وصلاتهم ببعضهم أو بغيرهم^(١) .

٢- من التاريخ الإداري لمحافظة النماص ومراكزها .

أ- حاضرة النماص ومؤسساتها الإدارية :

تؤكد الوثائق التاريخية أن بلدة النماص كانت المقر الرئيسي لعدد من المؤسسات الإدارية الحكومية التي يمتد عملها ونفوذها إلى المجاردة في تهامة وبلاد بني عمرو السروية شمالاً ، وتنومة جنوباً^(٢) . واذكر بعض المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية التي شاهدها في النماص عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ومن أهمها ما يلي:

١- المحافظة (الإمارة سابقاً) :

تأسست المحافظة (الإمارة سابقاً) عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، كان مقرها في مبنى حكومي وسط بلدة النماص (القرية) ، تتكون من ثلاثة أدوار . وتعاقب عليها العديد من الأمراء ثم المحافظين^(٣) . وهي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) توجد في مبنى حكومي مكون من دور واحد ومرافقه في مجمع الدوائر الحكومية شرق المدينة ، وإلى جواره أبنية حكومية أخرى . ومقابل المبنى من الغرب مساحة تزيد مساحتها عن (٧٠×٧٠م) تستخدم للاحتفالات والمناسبات الرسمية في المحافظة .

٢- المحكمة وكتابة العدل :

تأسست محكمة النماص الشرعية عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٢م) ، وسط بلدة القرية ، ثم تعاقب عليها العديد من القضاة^(٤) . وفيها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عدد من القضاة ،

(١) هذا الأمر ليس محصوراً في محافظة محددة مثل النماص ، لكن عموم حواضر ، ومدن ، ومحافظات ، ونواحي السروات وتهامة جرى عليها تغيرات حضارية كثيرة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر . وهذه البلاد تستحق أن تدرس ويوثق تاريخها الحضاري في المئة سنة الماضية . وهذه مسؤوليات الجامعات المحلية من خلال كلياتها ، وأقسامها ، ومراكز بحوثها ، وأعضاء هيئة تدريسها .

(٢) الباحث في التاريخ الإداري لبلدة النماص منذ القرن (١٣هـ/١٩م) حتى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن معظم المؤسسات الإدارية المسؤولة عن بلاد بني شهر وبني عمرو (سرعة وتهامة) كان مقرها بالنماص ، ثم أنشئت إمارة المجاردة عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) ، وانفصلت عن النماص ، تلاها إمارة تنومة عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) . انظر علي العسيلي وظافر حبيب ، النماص ، ص ٢٥٠ . ويوجد عند الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد المعلومات المدونة أعلاه .

(٣) للمزيد عن تاريخ المحافظة ، وأسماء الأمراء ثم المحافظين الذين تعاقبوا عليها إلى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) . انظر: غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) ، (الطبعة الرابعة) ، ص ٢٠٣-٢١٣ .

(٤) للمزيد عن تاريخ المحكمة الشرعية وكتابة العدل انظر غيثان بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الرابعة) ، ص ٢١٣-٢١٥ علي محمد العسيلي ، النماص ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

وتعمل في عمارة مستأجرة مكونة من خمسة أدوار على الشارع العام جنوب المدينة . ويشاركها في نفس المبنى كتابة العدل التي يعمل فيها قاضيان . وتشغل كتابة العدل الطابق الثاني وجزء من الطابق الأول . أما المحكمة فتعمل في جزء من الدور الأول ، والأدوار الأخرى من الثالث إلى الخامس^(١) .

٣- الشرطة ، والمرور ، والسجون ، والدفاع المدني :

تأسست الشرطة عام (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م) ، كانت مسؤولياتها تمتد من صبح بلاد بللحمر جنوباً إلى آخر محافظة بلقنر شمالاً ، ثم استقلت بعض النواحي بمراكز أو إدارات شرطة^(٢) . وتقع إدارة شرطة النماص حالياً في عمارة مستأجرة مكونة من ثلاثة أدوار جنوب المدينة على الشارع العام . ويتبع الإدارة ثلاثة مخافر في مراكز بني عمرو ، والسرح ، ووادي زيد^(٣) .

كانت الشرطة تباشر الحوادث المرورية في النماص ، ثم أنشئت وحدة مرور النماص عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)^(٤) . وتقع إدارة المرور حالياً إلى الجنوب من مبنى إدارة الشرطة ، في عمارة مستأجرة مكونة من ثلاثة أدوار^(٥) . ووحدة السجون كانت مرتبطة بالإمارة منذ تأسست إمارة النماص ، ثم صارت مرتبطة بالشرطة ، وأخيراً أصبحت تراجع الإدارة العامة للسجون في منطقة عسير . وتقع اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) في مبنى مستأجر مكون من دورين شرق المدينة ، قريباً من مبنى المحافظة^(٦) .

تأسس مركز الدفاع المدني عام (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ثم تحول إلى إدارة عام (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) تشرف على عدد من المراكز من بني عمرو إلى بللحمر . وفي عام (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) انفصلت مراكز بللحمر ، وبللسمر ، وتثومة . وبقيت مراكز النماص ، وبني عمرو ، والسرح ، وأخيراً الفرعة وجميعها تراجع إدارة الدفاع المدني بالنماص . والمراكز في عمائر مستأجرة ، أما الإدارة فتقع في عمارة حكومية مكونة من دورين

(١) مشاهدات الباحث في (٨/٢/١٤٤٣هـ) . وتاريخ المحاكم في منطقة عسير خلال العصر الحديث والمعاصر موضوع جديد يستحق أن يدرس في هيئة كتاب .

(٢) للمزيد عن تاريخ الشرطة في النماص انظر علي محمد العسيلي ، النماص ، ٢٦٥ . غيثان بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في سرة محافظة النماص في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) علي العسيلي ، النماص ، ص ٢٦٦ .

(٥) لمزيد من التفصيلات عن بداية المرور وما جرى عليه من تطوير انظر: غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤ ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٦) مشاهدات الباحث في (٨/٢/١٤٤٣هـ) ، للمزيد انظر علي العسيلي ، النماص ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

ومرافقها على الشارع العام شمال مستشفى النماص. ويعمل في الإدارة والمراكز حوالي (٢٠٠) فرداً من رتبة جندي إلى عميد ، بالإضافة إلى موظفين مدنيين ، وهم قلة^(١) .

٤- البلدية :

أسس فرع لبلدية أبها في النماص في أوائل الثمانينيات من القرن (١٤/٢٠م) ، كانت خدماته محدودة جداً^(٢) . ثم أسست بلدية النماص عام (١٣٩٤-١٣٩٥هـ/٧٤-١٩٧٥م) ، وتعاقدت على إدارتها العديد من المديرين والمهندسين حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)^(٣) . لها مبنى حكومي ضخم على الطراز الحديث في مجمع الدوائر الحكومية مجاور للمحافظة من الجهة الجنوبية . يقع في خمسة طوابق جميعها مستخدمة من قبل موظفي البلدية^(٤) . ومساحة المبنى (٩٢٠٠م^٢) ، ومن مرافقه مواقف تتسع لعشرات السيارات ، ومبنى طوارئ ، وغرفة حراسة . وهناك مقرات أخرى متفرقة للبلدية ، ومنها: (١) استراحة البلدية بالظاهرة ومساحتها (٩٣٠٠م^٢) ، ومن مرافقها مدرجات وغرفة حراسة ، ومواقف للسيارات . (٢) مبنى الضيافة بخفي ومساحته (٩٠٠م^٢) ، ومن أهم مرافقه مواقف للسيارات. (٣) ساحة البلدية بالفرعة الشمالية ، ومساحتها (١١٥٠م^٢) ، ومن مرافقها مبنى ضيافة ودورات مياه ، وملاعب كرة قدم ، وكرة السلة ، ومدرجات للساحة وبوفيه ومواقف للسيارات^(٥) .

كما اطلعت في شهر صيف من عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) على سجل في بلدية النماص يوضح حوالي (٤٠) موقعا تحتوي على أراضي ومباني تابعة للبلدية ، ومنها: (١) حدائق المجمع الحكومي ، والسحاب ، والمملك عبدالله ، والمطل ، والمدانة ، وممشى التحلية الجديدة ، والمملك خالد ، وأكثر من حديقة في الظاهرة ببلاد العوامر. (٢) عدد من المباني ، والساحات ، والاستراحات ، مثل: مبنى البلدية القديمة بجوار المحافظة من الشمال ، ومسلك البلدية ، ومبنى ساحة الظاهرة ، والمركز الحضاري وساحته ، وساحة المجمع الحكومي ، وساحات الفرعتين الشمالية والجنوبية ، ومصلى العيد بالفرعة الشمالية ، واستراحتي البلدية في جبل شحر وفي بني مشهور ، ومجمع سوق الأقبال . (٣) مواقع أخرى ، مثل بعض الملاعب الرياضية ، ومشتل البلدية ، وبعض المواقع المستثمرة في الفرعة ، والشعب ، وشعبان .

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤ ، ص ٢٣١٠ علي العسيلي ، النماص ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

(٢) علي العسيلي ، النماص ، ص ٢٧٤ .

(٣) المرجع نفسه ، انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) مشاهدات الباحث وزياراته لبلدية النماص في (١٤٤٣/٢/٨هـ) .

(٥) هذا الذي سمعته من بعض المسؤولين في البلدية في (١٤٤٣/٢/٨هـ) ، وزودوني بالعديد من الخرائط والوثائق مثل: (١) صيانة حديقة المطل . (٢) صيانة حديقة المجمع الحكومي . (٣) صيانة بعض الشوارع بالمحافظة . (٤) سفلة وصلات ترابية في ثلاثين قرية في المحافظة .

وهناك حوالي (١٢) موقع لأبراج الاتصالات ، وجميعها مستأجرة من قبل البلدية ^(١) .

٥- الإدارات الصحية :

نجد في بعض المراجع، ونسمع من بعض الرواة صعوبة الحياة الصحية في بلاد النماص خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، وأول مستوصف صحي حكومي تأسس في بلدة النماص كان عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) ، كانت قدراته قليلة ومتواضعة ، ثم تطورت القطاعات الصحية في المحافظة بعد افتتاح مستشفى النماص عام (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، وافتتح عدد من المستوصفات الصحية في نواحي عديدة من سروات بني شهر وبني عمرو ^(٢) .

عند جولتي في المحافظة في (٨/٢/١٤٤٣هـ) . وجدت مستشفى النماص يقع على ربوة مرتفعة على الطريق العام جنوب المدينة . يتكون من دورين مع عدد من المرافق الأخرى . ومساحة الأرض تزيد عن تسعة آلاف متر مربع ، ويحتوي المستشفى على معظم التخصصات الطبية ، ويعمل فيه أكثر من (٢٠٠) فرد من الرجال والنساء ، موظفين وموظفات ، وأطباء وطبيبات ، وفنيين في أقسام الأشعة والمختبرات وغيرها .

كما يوجد فيه مركز لغسيل الكلى ، وآخر لطب الأسنان ، ومركز ترفيهي ، وسوبرماركت ، ويحيط به بعض الحدائق الصغيرة المحدودة في مساحاتها ونباتاتها . وضمن مرافق المستشفى مهبط لطائرة (الهليكوبتر) التي تقوم بإخلاء بعض المرضى من النماص إلى مستشفيات كبرى داخل المملكة العربية السعودية . وخدمات المستشفى تغطي محافظة النماص وما جاورها ، وسعته (١٠٠) سرير . وذكر لي أنه ربما تتم توسعته في المستقبل القريب ^(٣) .

يتبع المستشفى حالياً (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) تسعة مراكز صحية متفرقة في عموم

(١) يعمل في البلدية عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) حوالي (١٥٠) موظفة وموظفاً فنياً وإدارياً . بالإضافة إلى بعض العمالة الهندية والبنجالية الذين يخدمون في مكاتب الموظفين . وتاريخ البلديات في عموم السروات وتهامه موضوع جديد لم يدرس منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر ، مع أن هناك الكثير من الوثائق والمصادر التي تصب في خدمة هذا المجال ، أرجو أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا العنوان في أكثر من كتاب أو رسالة علمية .

(٢) كان هناك العديد من الأمراض التي تفتك بالناس، وعند السكان بعض الوسائل الشعبية البسيطة التي يتداوون بها . وبعد افتتاح بعض المراكز الصحية ، زاد الوعي عند أهل البلاد ، وكثرت الخدمات الطبية التي تعود بالفوائد الكبيرة على حياة البشر . تاريخ الطب والتطبيب في منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية .

(٣) للمزيد عن تاريخ الخدمات الصحية في النماص انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤ ، ص ٢٢٦-٢٢٨ ، علي العسيلي ، النماص ، ص ٢٩٩-٣٠٠ . وتاريخ الخدمات الصحية الحديثة في محافظة النماص لم يوثق ، حبذا أن يكون عنواناً لبحث علمي خلال العقود الخمسة الماضية .

المحافظة^(١)، وجميعها تقوم على خدمة الناس طبياً، وتخفف الضغط على المستشفى، ومن هذه المراكز ما يلي:

أ- مركز النماص الصحي:

أقدم مؤسسة طبية في بلدة النماص، بدأت من سبعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م). ويقع المستوصف حالياً في عمارة حكومية من دورين، شمال مبنى محافظة النماص. ويعمل فيه عدد جيد من الموظفين والأطباء والفنيين. وعليه حالياً ضغط كبير وبخاصة مع أحداث جائحة كورونا كوفيد ١٩ (CoronaCovid-19)، وقد تم اختياره من إدارة الشؤون الصحية في عسير على أن يكون مقراً للتحويل الوظيفي الذي تسعى وزارة الصحة إلى تنفيذه. وهذا المركز من أفضل أربعة مراكز أخرى على مستوى منطقة عسير^(٢).

ب- مراكز الظهارة، وآل ثابت، ونشيان:

وجميعها تقع في بلاد العوامر، وفي مقرات حكومية، مزودة بالاحتياجات اللازمة من الأجهزة، والمعدات والموظفين والفنيين وغيرهم. والأول في دور واحد بقرية الظهارة، والثاني في دورين مسلحين بقرية آل ثابت، والثالث في وادي نشيان ببني مشهور ويقع في دورين^(٣).

ج- مركزا عاكسة، والفرعة:

مركز عاكس في قرية عاكسة ببلاد كعب، من المراكز القديمة، تأسس منذ نهاية القرن (١٤/هـ/٢٠م)، ويتولى رعاية العديد من القرى في ناحيته. وتم تحويله في جائحة كورونا إلى عيادات تطمئن، لأخذ مسحات فيروس كورونا، وقد يعود إلى عمله الرئيسي إذا انقشعت مشكلة كورونا، يقع في مقر حكومي يتكون من دورين مسلحين ومرافقهما. ومركز الفرعة يتكون من دورين في مبنى حكومي في الفرعة الشمالية، ويقدم خدماته الصحية لجميع سكان تلك الناحية^(٤).

(١) منذ عدة سنوات كان في المحافظة أكثر من (١٥) مركزاً صحياً، وأغلبها في أبنية مستأجرة، ثم دمج بعضها في بعض، وصارت اليوم (٩) مراكز جميعها في مقرات حكومية، وتفاوتت في طاقاتها البشرية، والقرى والنواحي التي تخدمها، لكنها حالياً تقوم بواجباتها بشكل جيد. وتاريخ المراكز الصحية في عموم منطقة عسير من الموضوعات الجديدة في ميدان البحث العلمي، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بجمع المادة التاريخية لهذه المؤسسات ثم يوثق تاريخها من خمسينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢/هـ/٢٠٢١م).

(٢) هذا الذي سمعته من بعض الموظفين في مستشفى النماص ومركز النماص الصحي في (١٤٤٣/٢/٨هـ).

(٣) وقف الباحث على مقرات بعضها، وسمع عن الأخرى من الموظفين الإداريين في مستشفى النماص. وجرى تحويل مركز نشيان في جائحة كورونا إلى مركز لقاحات، وما زال يمارس هذا العمل حتى الآن (شهر صفر/١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

(٤) كوني ابن محافظة النماص، وأتجول في بلادها وغيرها من بلدان السراة وتهامة منذ زمن بعيد، أجد الخدمات الصحية تطورت كثيراً عما كانت عليه البلاد في نهاية القرن (١٤/هـ/٢٠م) والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م).

د- مراكز وادي زيد ، وحلباء ، وربوع السرو :

تمارس هذه المراكز خدماتها الصحية في مقرات حكومية تتكون من دور أو دورين مسلحين . فالأول في ناحية خشرم من وادي زيد ، يتولى رعاية سكان تلك البلاد من أعالي الجبال إلى بوادي وسروات قبائل بني التيم في وادي زيد . والثاني في قرية الغرة ببلاد حلباء ، ضمن نطاق مركز السرح . ويؤدي عمله كغيره من المراكز السابق ذكرها . والمركز الثالث في بلاد السرو شمال بلاد حلباء ، في قرية ربوع السرو في عمارة حكومية مكونة من دورين مسلحين^(١) .

وفي بلاد عمرو الشام التابعة لمحافظة النماص كان يوجد ثلاثة مراكز صحية في بني عمرو قريباً من قرية آل الشيخ ، وفي الأصفاء ، وفي الحصباء . وجميعها تتبع إدارياً ومالياً لمستشفى محافظة بلقرن الذي يراجع مديرية الشؤون الصحية في بيشة . وحالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) تم إلغاء مركزي الأصفاء والحصباء . وجمعت إمكاناتها وموظفيها في مركز بني عمرو الشام من بلاد السهوة والمطلا جنوباً إلى بني رافع شمالاً ومازال يتبع إدارياً مستشفى بلقرن في العلاية حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)^(٢) .

ومركز السكري التابع حالياً لمستشفى النماص يقع في شعف الخاضرة قريباً من جبل شحر ، ويتولى رعاية مرضى السكري والغدد الصماء وغيرها ، يقع في مبنى مسلح مكون من دورين مسلحين وهذا المكان كان سابقاً وحدة صحية تتبع وزارة التربية والتعليم (التعليم حالياً) ، وعند إلغاء الوحدات الصحية ، ضم المبنى إلى وزارة الصحة وصار مقراً لخدمة مرضى السكري ومن هو في حكمهم^(٣) .

أما الكادر البشري فأغلب الموظفين والموظفات في القطاعات الصحية في سروات بني شهر وبني عمرو من السعوديين والسعوديات ، ولا تخلو بعض الأقسام أو الإدارات من موظفين غير سعوديين ، ونسبتهم قليلة جداً . أما الفنيون من الأطباء والطبيبات والمرضين والممرضات ، والعاملين في الأشعة والمختبرات ففيهم أعداد جيدة من السعوديين وبخاصة في مهنة التمريض والعلوم الطبية الأخرى . أما الأطباء (نساء

(١) زار الباحث بعض هذه المراكز ، وسمع عن الأخرى من أهالي وادي زيد وحلباء والسرو . وهذه البلاد صارت اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) تنعم بالكثير من الخدمات التنموية الحديثة . المصدر : مشاهدات الباحث وجولاته في محافظة النماص في (١٤٤٣/٢/٩هـ) .

(٢) وقف الباحث على مقر المركز في بني عمرو في (١٤٤٣/٢/٩هـ) ، وسمع هذه الأقوال من بعض رجال عمرو الشام وبخاصة من قريتي ذات العلب وآل الشيخ .

(٣) لا أدعي أنني وثقت كل ما يجب توثيقه عن تاريخ الصحة المعاصر في محافظة النماص ، لكنني أعتقد أنني ذكرت بعض النقاط المهمة التي قد تكون مفاتيح جيدة لإجراء دراسة أطول وأعمق عن تاريخ الطب والتطبيب في عموم منطقة عسير (سراة وتهامة) .

ورجال) فما زال معظمهم غير سعوديين . وهم من بلدان عربية عديدة مثل: مصر ، والسودان ، وبلاد الشام ، وقليل من دول إفريقيا ، ومن الهند ، والباكستان وغيرها^(١) .

٦- مؤسسات التعليم العام ، والعالي ، والتقني :

لم تكن محافظة النماص (سراة وبادية) وما جاورها خالية من الفكر والثقافة والعلوم منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه وبدايات العصر الحديث^(٢) . ونجد الكثير من المصادر والوثائق التي تعكس شيئاً من نشاطات هذه البلاد وما جاورها من أراضى السروات منذ بدايات القرن (١٢هـ/١٩م) حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)^(٣) . ومن خمسينيات القرن الهجري الماضي بدأت المدارس النظامية الحديثة في بلدة النماص وعدد من بلدان السروات وتهامة ، ثم تزايدت ، وزادت أعداد المتعلمين والمتعلمات حتى صارت اليوم مليئة بالآلاف المدارس ، والمعاهد ، والمراكز العلمية ، والجامعات ، والكليات والأقسام العلمية النظرية وتخرج فيها الآلاف من الطالبات والطلاب^(٤) .

(١) زرت مستشفى النماص وبعض المراكز الصحية في (٩٨/ ٢/ ١٤٤٢هـ) ، وشاهدت أجناساً غير سعودية وبخاصة من الأطباء وبعض المرضى والمرضات . وأعرف مستشفى النماص منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكان أعداد السعوديين في الماضي قليلة وأحياناً نادرة أما اليوم فالكثير من المرضى والعاملين في المختبرات والعلاج الطبيعي والأشعة أغلبهم من السعوديين .

(٢) الباحث في كتب التراث الإسلامي يجد أن عموم السروات كانت لا تخلو من معارف وثقافات متعددة منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي . ففي الجاهلية ظهر فيها بعض الشعراء البارعين ، ناهيك عن أصحاب الأقوال السديدة والأخبار الحضارية الأخرى . وبعد ظهور الإسلام تعلموا شرائع الإسلام ، وخرج منهم رجال كثيرون ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها . والمتجول في أرجائها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد الكثير من آثارها ونقوشها ومعالمها المادية التي تعكس تاريخ وحضارة أهلها . وفي العصر الحديث وصلت إلى بلادها العديد من القوى السياسية ، فأثرت وتأثرت ثقافياً ومعرفياً وحضارياً . ثم جاءت الدولة السعودية الحديثة فرعت الأرض والإنسان في شتى مناحي الحياة . وتَجَوَّل في عموم السراة وتهامة منذ خمسين عاماً وهي بلاد تستحق الخدمة العلمية والبحثية ، لما تحتويه أراضيتها من كنوز معنوية ومعرفية جديرة بالدراسة والتوثيق . والميدان التعليمي ، والمعرفي والثقافي والفكري من الموضوعات المهمة ، حذا أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يدرسون هذا المجال منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٣) من يتأمل في تاريخ السروات وتهامة منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى أربعينيات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) يجدها مرت بالعديد من التحولات السياسية والعسكرية والحضارية . وهناك الكثير من البحوث العلمية التي صدرت في هذا الباب ، وما زال هناك جوانب أخرى عديدة تستحق الدراسة والتوثيق .

(٤) أرصد هذه الأقوال ، متأكداً من صحتها ، لأنني عاصرت مسيرة التعليم والتعلم منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وما زلت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ثم إنني الفت آلاف الصفحات عن تاريخ وحضارة الأرض والناس ليس في سروات بني شهر وبني عمرو (محافظة النماص وما جاورها) ، ولكن في عموم السراة وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران . وأقول أن هذه البلاد حظيت بالخدمة والرعاية الكبيرة جداً سياسياً ومالياً وتمويهاً وحضارياً ، لكنها مازالت بحاجة إلى توثيق تاريخها وموروثها الحضاري عبر عصور التاريخ ، أرجو أن يتحقق ذلك من خلال الجامعات والكليات والأقسام الموجودة حالياً في هذه الأوطان .

وأثناء رحلتي الأخيرة في النماص (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) شاهدت الكثير من مدارس التعليم العام للبنات والبنين ، وجميعها مقرات حكومية ، يدرس فيها آلاف الطالبات والطلاب . ويعمل فيها مئات المعلمات والمعلمين ، وجميعهم سعوديون^(١) . كما وقفت على بعض المقرات الكبيرة والمتوسطة التابعة لإدارة التعليم في النماص ، وسعيت إلى معرفة بعض الشيء عن هذه الأبنية ، وأخيراً التقيت بأحد طلابي الجادين من عام (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ، إنه الدكتور غرمان بن عبد الله بن غصاب الشهري^(٢) ، الذي عمل في مهنة التدريس والإدارة بمحافظة النماص أكثر من سبعة وعشرين عاماً (١٤١٣ - ١٤٤٠هـ / ١٩٩٣ - ٢٠١٨م) ، فزودني بمدونة مختصرة عن أهم فقرات التعليم العام في مدينة النماص ، وبخاصة إدارة التعليم ومرافقها ، واحتواء هذه المذكرة على تفصيلات جديدة وجيدة ، وجديرة بالتوثيق ، أوردتها كما وصلتني من صاحبها ، مع إجراء بعض الإضافات والتعليقات التي تزيد من قيمتها العلمية ، وهي على النحو الآتي :

" هناك مبان ومرافق تابعة لإدارة التعليم بمحافظة النماص ، التي تشرف في الوقت الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) على التعليم العام للبنين والبنات ، وهذه المرافق تتميز بأنها حكومية بنيت على نفقة الدولة ، ويقع أكثرها في مكان متوسط من مدينة النماص ، ومعظمها مجاور للمقرات الخاصة بالإدارات الحكومية الأخرى كالمحافظة والبلدية من الجهة الشرقية ، وأبرز هذه المباني المقر الرئيسي لإدارة التعليم ، الذي يقع إلى الشرق من الطريق العام الذي يخترق مدينة النماص ، بني على مساحة من الأرض تصل إلى (٥٠٠٠م^٢) ، وتحيط بها الشوارع المرصوفة من أربع جهات ، يتكون من أربعة أدوار تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ولها جناح باتجاه الشرق ، ويضم بداخله مكاتب العاملين ، وصالات إدارية ، ومكتبة ومصل ، وبه مكتب مدير التعليم ومساعدته للشؤون المدرسية ومستشاريه وإدارة الموارد البشرية وإدارة المباني والشؤون المالية ، وبعض الإدارات والأقسام المساندة ، ويعمل به أكثر من (٢٠٠ موظف)^(٣) . ويوجد بفناء

(١) خلال يومي (١٤٤٣/٢/٩هـ) تنقلت في ربوع محافظة النماص من رأس عقبة القامة إلى بني رافع في بلاد عمرو الشام ، وذهبت شرقاً إلى بلاد الفرعة وبدوة والفرش ، ورأيت عشرات المدارس الحكومية التي تتراوح أدوارها من طابق إلى ثلاثة ، كما تتفاوت في مساحاتها ومرافقها . والتقيت ببعض المدرسين والمديرين للمدارس وأخبروني أن أعداد المدارس والطلاب تنقلص في محافظة النماص ، ولم يذكروا الأسباب . لكن هجرة السكان من المحافظة أحد أسباب هذا التراجع . أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع مع ذكر السلبيات والإيجابيات ثم الخروج بتوصيات تصب في خدمة المحافظة .

(٢) الدكتور غرمان بن غصاب من قبيلة آل وليد من بني التيم الشهرية ، يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد ، إنه على قدر كبير من الأدب ، واللفظ ، وحسن الخلق . أرجو أن أراه مؤرخاً وباحثاً مثمراً لخدمة دينه ووطنه وأهله .

(٣) الذي دون هذه المدونة (ابن غصاب) الذي صار حالياً أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد ، وما زال له صلات بالموظفين والعاملين في إدارة تعليم النماص . كما أن

المبنى المذكور قاعة للندوات والاحتفالات على شكل مدرج يتسع لحوالي (٤٠٠ شخص)، وبها مسرح نفذ بطريقة عمرانية رائعة وتجهيزات صوتية متقدمة ، وقد أطلق عليها اسم : قاعة ظافر بن حبيب الثقافية ^(١)، وهو أحد مديري التعليم السابقين الذي كان له جهوداً بارزة في خدمة التعليم بالمنطقة لأكثر من ثلاثة عقود

هناك مبنى آخر يقع إلى الغرب من طريق الملك فيصل العام ، على ربوة مرتفعة تطل على مدينة النماص من الغرب، وهو عبارة عن بنائتين كبيرتين محلاة من الخارج بصفائح الألمنيوم الملونة (الكلاذج) المتناسقة الرائعة الجمال، ويتكون كل منها من أربعة أدوار وبه مكتب مساعدة مدير التعليم للشؤون التعليمية (بنات) ، والإدارات والأقسام التابعة لها ، وبعض الأقسام النسائية المساندة . وكل مبنى له مداخله المستقلة وأفنيته ومرافقه وفي وسط هاتين البنائتين مسرح كبير جداً على شكل مدرج يتسع لأكثر من (٣٠٠ شخص) ، والمبنى المذكور يقع على مساحة من الأرض تقدر بحوالي (٢١٠٠٠٠ م^٢) ، تحيط بها الشوارع المرصوفة من أربع جهات ويعمل بها أكثر من (٢٥٠ موظف وموظفة) ، ويقع في مكان سياحي تغطية أشجار العرعر والنباتات المتنوعة ، ويتميز بأجوائه الباردة وسمائه المبلدة بالغيوم، التي لا تخلو من الضباب في بعض شهور السنة ^(٢) .

هناك مبنى للصحة المدرسية على بعد يسير من الطريق العام ، باتجاه الغرب ، مكون من طابقين صممت بما يناسب تقديم الخدمات الصحية المدرسية ^(٣)، ومبنى آخر على الطريق العام جنوب مدينة النماص صمم على شكل صالات كبيرة ليكون مستودعات عامة للتعليم العام ، وبه بعض المكاتب لإدارة المستودع وإدارة المخزون ^(٤) .

الباحث زار مدينة النماص في (١٤٤٣/٢/٩هـ) ، وتأكد له صحة ما تم تدوينه أعلاه . المصدر : مدونة في صفحات من إعداد الدكتور غرمان غصاب الشهري ، بمكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (١٥٥هـ/٢٠-٢١م) ، ج٢٠٢ ، ص ٣٢-٣٣ .

(١) ظافر بن حبيب العمري من قبائل بني رافع في بلاد عمرو الشام ، خدم في التعليم العام مدة عمله الحكومي، وتولى إدارة تعليم النماص سنوات عديدة ، وتاريخ التعليم في سروات بني شهر وبني عمرو موضوع لم يدرس حتى الآن ، هذا أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) الموقع الذي تقع فيه هذه الأبنية ضمن أراض قبيلة المؤلف (بنو جبير) ، كانت في السابق وهاداً وهضاباً وجبالاً مكسوة بالنباتات والأشجار المختلفة . واليوم أصبحت هذه الناحية وما جاورها من أشعاف بني جبير وغيرهم مواقع سياحية جميلة ، مكتظة بالحدائق ، وملاعب للأطفال ، وبعض المرافق الترفيهية الأخرى . المصدر : معاصرة الباحث ومعرفته لهذه البلاد منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) بعد إلغاء الوحدات الصحية في وزارة التعليم ، صار المبنى تابعاً لوزارة الصحة ، وهو الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مركز السكري والغدد الصماء .

(٤) هذا المبنى في الظهارة من بلاد العوامر قريباً من الطريق العام ومازال مستخدماً للأغراض نفسها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

استفاد التعليم العام في النماص من بعض المباني المدرسية الحكومية الزائدة عن الحاجة مثل مبنى مدرسة النهضة الابتدائية الذي خصص لقسم ومركز رعاية المهووبين من الطلاب ، ودور من مبنى المدرسة السعودية بوسط مدينة النماص الذي خصص لمركز التدريب التربوي والنمو المهني للمعلمين ، ومبنى مدرسة البنات في قرية لشعب شمال مدينة النماص الذي خصص لإدارة الحركة ، وبعض المرافق والصالات بفناء مدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية بالخاضرة شمال مدينة النماص خصص كمركز للتدريب الطلابي وفعاليات النشاط العلمي ، كما خصص جزء من مبنى ابتدائية النماص الأولى للبنات بوسط النماص لمركز اختبارات قياس^(١) .

مبنى في قمة الروعة ، واسطة العقد في المباني الحكومية التابعة لتعليم النماص ، يقع إلى الشرق من مبنى إدارة التعليم الرئيسي ، ويبعد عنه بحوالي (١٥٠ م) ، ويطلق عليه مبنى بيت الطالب ، ومساحته تقدر بـ (٢١٠٠٠ م) ، يتكون من أربعة أدوار ، الدور الأرضي ، مجلس كبير فاخر وصالات طعام وصالات تدريب وصالة لياقة صحية مجهزة ، والدور الثاني قاعات اجتماعات ومصلى واسع ومركز مصادر تعلم وثمانية أجنحة سكنية فندقية فاخرة ، وفي الدورين الثالث والرابع ما يقارب أربعين جناحاً فندقياً مجهزة بالأثاث الفاخر ، تكفي لسكن (١٤٠ شخصاً) من ضيوف التعليم من مسؤولين وطلاب ، وهناك أفنية خارجية بها ملاعب ومسبح وصالة ألعاب مغلقة وديوانية ومواقف للسيارات ، وكل ذلك في تناسق معماري رائع وتجهيزات متكاملة في غاية الجودة^(٢) .

عرفت محافظة النماص الكلية المتوسطة منذ العقد الثاني في القرن (١٥ هـ / ٢٠ م) ، ثم تطورت تحت إشراف الرئاسة العامة لتعليم البنات إلى كلية للتربية تمنح درجة البكالوريوس في أقسام عديدة نظرية وعلمية^(٣) . وفي عام (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ألحقت تلك الكلية بجامعة الملك خالد ، وتحول اسمها إلى كلية العلوم والآداب للبنات ، كما

(١) جميع هذه الأبنية تقع في سروات المحافظة الممتدة من شمال مدينة النماص حتى بلاد الظهارة . المصدر : معاصرة الباحث ومشاهداته هذه المقرات (٩٨ - ١٤٤٣ هـ) .

(٢) تجولت في العديد من محافظات السراة وتهامة خلال الثلاثين سنة الماضية . ووجدت بعض إدارات التعليم في هذه البلاد تملك الكثير من المقرات الضخمة والفارهة . وما ذكر عن محافظة النماص ليس إلا أنموذجاً من تلك العمارات الحديثة . وفي الوقت نفسه هناك بعض المحافظات مازالت تحتاج إلى رعاية وخدمة أكثر في مقراتها وإمكاناتها المعمارية . المصدر : جولات الباحث ومشاهدته للكثير من مؤسسات التعليم العام في مناطق عديدة جنوب البلاد السعودية .

(٣) تاريخ تعليم البنات الجامعي في محافظة النماص من العقد الثاني في القرن (١٥ هـ / ٢٠ م) حتى عام (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) يستحق أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية .

افتتحت كلية المجتمع للبنين^(١). وعند إنشاء جامعة بيشة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) صارت كليات التعليم العالي في محافظة النماص تتبع جامعة بيشة إدارياً وأكاديمياً ومالياً. وأثناء زيارتي محافظة النماص في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) وقفت على ثلاث كليات. (١) كلية العلوم والآداب لشطري الطلاب والطالبات. (٢) كلية المجتمع (طلاب وطالبات). (٣) كلية العلوم الصحية للبنات^(٢) وكليتي العلوم والآداب، والمجتمع للطلاب تقع في مبنى مستأجر في سد العتمة جنوب المدينة، شرق مستشفى النماص والخط العام بحوالي كيلومتر. وتتكون من ثلاثة طوابق وعدد من المرافق، وفناء واسع يتسع لوقوف عشرات السيارات^(٣).

وذكر لي أن عدد الأقسام الأكاديمية الرجالية ستة: (١) نظم معلومات. (٢) إدارة أعمال. (٣) لغة إنجليزية. (٤) ترميز (افتتح عام ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). (٥) إدارة أعمال. (٦) السفر والسياحة. والأقسام الأربعة الأولى تمنح الطالب درجة البكالوريوس، والقسمان الأخيران يمنحان درجة الدبلوم. ويدرس في هذه الأقسام عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) (٣٨٢) طالباً^(٤).

أما شطر الطالبات في كليتي العلوم والآداب والمجتمع، وكلية العلوم الصحية فتقع جنوب مدينة النماص في أبنية حكومية متجاورة جنوب قرية بني مشهور، غرب الطريق العام بحوالي نصف كيلومتر. وكل هذه الأبنية تتراوح طوابقها بين الطابقين والثلاثة، وهي متلاصقة مع بعضها، ولها مرافق عديدة كالمستودعات، وقاعات واسعة، ومصلى، ومواقف محدودة للسيارات. وفي كلية العلوم الصحية فقط قسم التمريض. وفي كليتي العلوم والآداب والمجتمع أربعة عشر قسمًا، منها (١١) قسمًا تمنح درجة البكالوريوس، هي: (١) إدارة الأعمال. (٢) نظم المعلومات. (٣) لغة إنجليزية. (٤) لغة عربية. (٥) دراسات إسلامية. (٦) كيمياء. (٧) فيزياء. (٨) رياضيات. (٩) الاقتصاد المنزلي. (١٠) علوم الأغذية. (١١) تصميم أزياء. وثلاثة أقسام أخرى

(١) الكليات الجامعية في النماص تحت إشراف جامعة الملك خالد (١٤٢٨-١٤٣٥هـ/٢٠٠٧-٢٠١٤م) موضوع جديد لم يدرس حيداً أن نرى مؤرخاً جاداً يدرسه في بحث علمي موثق.

(٢) هناك أقسام عديدة معتمدة من مجلس التعليم العالي، لكن الذي يعمل منذ بضع سنوات قسم التمريض للبنات. وهذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) افتتح قسم التمريض للأولاد، ويدرس في هذين القسمين حوالي (٢٥٠) طالبة وطالبة. المصدر: بعض موظفي وإدارة الكليات في النماص في (٩/٢/١٤٤٣هـ).

(٣) مقرات كليات البنين مستأجرة، وتقع ضمن بلاد قبيلة بني بكر، وهذه الكليات تستحق أن تكون في مقرات حكومية، أرجو أن يتحقق ذلك قريباً.

(٤) هذه المعلومات أخذها الباحث من بعض المسؤولين في الكلية في يوم (٩/٢/١٤٤٣هـ).

تمنح الدبلوم: إدارة أعمال ، نظم معلومات ، سفر وسياحة ، ويدرس في جميع الأقسام عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٠م) لدرجتي البكالوريوس والدبلوم (١٨٥٨) طالبة^(١).

يعمل في كليات النماص (٤٦) موظفاً وموظفة ، منهم (١٦) من الرجال، و (٣٠) من الإناث . وأعضاء هيئة التدريس (١٦٠) عضوة وعضوا . النساء (١٠٣) عضوة ، والرجال (٥٧) عضواً. وعدد السعوديات والسعوديين (١٠٧) عضواً وعضوة . وجنسيات غير السعوديين من دول عربية وغير عربية، مثل: مصر، واليمن ، والأردن، والسودان، وتونس ، وبنجلاديش ، وموريتانيا ، والجزائر ، والهند^(٢) . وجميع أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم يحملون الدرجات العلمية العالية من البكالوريوس إلى الدكتوراه^(٣).

في عام (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) افتتح مركز التدريب المهني في مقر حكومي شمال مدينة النماص بشعف الخاضرة^(٤) ، ثم تطور إلى المعهد الثانوي الصناعي ، ونقل إلى مباني أخرى حديثة شرق قريتي آل قحطان ولحبي في وادي زيد^(٥) . ثم ألغي المعهد الثانوي الصناعي بعد افتتاح الكلية التقنية للبنين عام (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) .

(١) من خلال دراساتي لتاريخ التربية والتعليم العام والعالي في منطقة عسير ، وجدت أن كلية العلوم والآداب للبنات في الجامعات المحلية في جنوب البلاد السعودية لا تختلف كثيراً عن خطط كلية التربية القديمة ، مع إضافة أقسام محدودة في الحاسب الآلي وبعض العلوم الأخرى . والكليات الطرفية في المحافظات في عموم السراة وتهامة تحتاج إلى إعادة هيكلة تحتوي على أقسام أكثر في العدد والنوع ، وحذا أن يطلق عليها الكليات الجامعية ، وليس (كليات المحافظات) . المصدر : مشاهداتي أثناء تجوالي في مناطق عسير ، وجازان ، ونجران خلال السنوات السبع الماضية (١٤٣٥-١٤٤٣هـ/ ٢٠١٤-٢٠٢١م) .

(٢) لم أت على كل التفاصيل عن التعليم الجامعي في محافظة النماص ، لكنني رصدت لمحات من هذا المجال خلال شهر صفر عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) . وتاريخ التعليم العالي في عموم منطقة عسير يستحق أن يدرس ويوثق في كتب وبحوث عديدة .

(٣) اتصلت بأكثر من مسؤول في كليات النماص ، ومنهم عمداء حاليون وسابقون ، ومسؤولون آخرون وزودوني بمعلومات متنوعة ، لكن يظهر على بعض الإحصائيات اختلافات طفيفة من شخص لآخر . وكليات النماص بحاجة إلى تطور أكبر وأشمل في المقررات ، والبرامج ، وأعداد الموظفين وأعضاء وعضوات هيئة التدريس ، وهذا ما لمست من خلال زيارة الكليات .

(٤) مازالت الأرض التي افتتح فيها مركز التدريب المهني عام (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ملكاً لمؤسسة التدريب التقني والمهني، ويشيد عليها اليوم (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) عدد من الأبنية الخاصة بالتعليم الفني في المحافظة مثل سكن المدربات ، وصلات ومرافق أخرى عديدة . وقد زرت هذا المكان في (١٤٤٣هـ/ ٢/٨) فرأيت العمل جارياً في تلك الأبنية ، وهي متعددة الأدوار والمرافق ، وواسعة المساحات . المصدر : مشاهدات الباحث في شهر صفر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) . انظر أيضاً غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (ط٤) ، ص ٢٣٦-٢٣٧ .

(٥) تقع هذه الأبنية الجديدة على جبل مرتفع يطل على بعض قرى وادي زيد ، وهي إلى الشرق من الشارع العام بحوالي كيلومتر ، ويمر قريباً منها الخط الفرعي الذي يربط قرية آل مسلمة بالخط العام . المصدر : مشاهدات الباحث للمكان في بداية شهر صفر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) .

زرت مقر الكلية التقنية فوجدت تسعة مباني كبيرة بمرافقتها في حوش واحد على مساحة تزيد عن خمسة عشر ألف متر مربع^(١)، ومن حولها فضاءات واسعة، ومواقف سيارات تتسع لعشرات السيارات. وهذه الأبنية كلية التقنية للبنات، انتهى تشييدها منذ زمن، وتدرس الطالبات فيها، وأبنية المعهد الثانوي الصناعي الذي أقفل حديثاً ويدرس فيه حالياً طلاب كلية التقنية. وهناك عمارة أخرى مازال البناء فيها جارياً، وذكر لي أنها سوف تكون مبنى كلية التقنية للأولاد^(٢).

في كلية التقنية للبنين قسمان: الدعم الفني للحاسب الآلي، وإدارة مكتبية، ويدرس فيهما حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي (٦٢٠) طالباً. أما كلية البنات فهي حديثة النشأة ويدرس فيها الآن (١٥٠) طالبة في قسمي التأمين، ودعم الشبكات^(٣). وعدد الموظفين والموظفين حوالي ستين موظفاً وموظفة، عدد الرجال منهم (٤٥) موظفاً. أما عدد أعضاء هيئة التدريس، فالرجال (٢٦) مدرساً، والنساء (٨) مدربات. ونسبة السعوديين في الرجال تقريباً (١٠٠٪)، أما النساء فمازال هناك بعض المتعاقبات، وتقدر نسبتهن بـ (٢٥-٣٠٪)، ومعظمهن من مصر، وبلاد الشام^(٤).

٧- مؤسسات إدارية حكومية وأهلية أخرى :

يوجد في محافظة النماص وبخاصة الحاضرة مؤسسات حكومية أخرى عديدة مثل : (١) البريد . (٢) الاتصالات . (٣) الأحوال المدنية . (٤) الضمان الاجتماعي . (٥) هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٦) الجوازات . (٧) مركز الهلال الأحمر .

(١) تتكون هذه الأبنية من مرافق الكليات وأقسامها العلمية، والمسجد، والمسرح، وإدارة النشاط، وقاعات التدريب والحاسب الآلي، والعمادة، وإدارة القبول والتسجيل، ومرافق أخرى متعددة الأهداف. مشاهدات الباحث لهذه الأبنية في (١٤٤٣هـ/٢/٨) .

(٢) زيارة مقر كليتي التقنية للبنات والبنين شمال مدينة النماص بحوالي (١٠كم) في (١٤٤٣هـ/٢/٩). وأخبرني بعض المسؤولين في كلية التقنية للبنين أن شركة أمريكية تولت الإشراف عليها من عام (١٤٢٨-١٤٤٠هـ/٢٠١٧-٢٠١٩م) لكنها لم تنجح، فعاد الإشراف عليها إلى مؤسسة التدريب التقني والمهني .

(٣) يحصل الطالب والطالبة على مكافأة شهرية تقدر بـ (١٠٠٠) ريال للأقسام العلمية، و (٨٥٠) للأقسام الأدبية. وإذا تخرج الطالب بدرجة امتياز يعطى مكافأة تشجيعية قدرها (٢٠٠٠) ريال. ولا يوجد سكن ولا تغذية، مع أن مؤسسات التعليم العالي كانت تمنح طلاب الجامعة سكناً بالمجان، وتغذية بأسعار مخفضة حتى نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ثم ألغيت هذه المميزات. المصدر: معاصرة الباحث للتعليم العالي من (١٢٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م) .

(٤) من خلال جولاتي في عموم بلاد السراة وتهامة وجدت انتشار الكليات التقنية (رجالاً ونساءً) في كل مكان، بالإضافة إلى بعض المعاهد والثانويات التقنية والمهنية في بعض المدن والحوضر. وهذه المؤسسات التعليمية التقنية تستحق أن يوثق تاريخها وجهودها في خدمة الأرض والناس منذ العقود الأخيرة في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). أمل أن نرى باحثين مؤرخين جادين يتولون هذا المجال بالرعاية البحثية الجادة .

(٨) وحدة الكهرباء . (٨) فرع الزراعة والبيئة . (٩) إدارة الأوقاف والدعوة والإرشاد . (١٠) نادي السروات الرياضي^(١) .

وهناك مؤسسات أهلية أخرى مثل: الجمعيات التعاونية ، والخيرية ، والزراعية ، وآباء لرعاية الأيتام ، وتحفيظ القرآن الكريم ، ومركز التنمية الاجتماعية . وفي حاضرة النماص عدد من البنوك التجارية كالراجحي ، والعربي ، والرياض ، والأهلي ، والبلاد . وأغلب مقرات هذه المؤسسات على الشارع العام في المدينة ، وقليل منها في أحياء أو أمكنة داخل القرى والمدينة ، وأكثر من (٩٦٪) في أبنية مستأجرة^(٢) .

ب. مراكز محافظة النماص :

يتبع حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) محافظة النماص ثلاثة مراكز ، وهي على النحو الآتي :

١- مركز بني عمرو :

يقع في أقصى محافظة النماص من الشمال ، في عمارة حكومية مسلحة بقرية آل الشيخ علي الطريق العام^(٣) . تمتد خدماته اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) من قرية آل عطيفة جنوباً إلى الحصباء شمالاً ، ومن الحدود الغربية لمركز البهيم التابع لمحافظة بيشة في الشرق ، إلى أطراف مركز عبس الشرقية في تهامة^(٤) .

من خلال زيارتي لمركز بني عمرو في (٩/٢/١٤٤٣هـ) ، ومقابلة بعض الوجهاء والأعيان هناك ، اتضح لي وجود بعض المؤسسات الإدارية والأهلية في المركز ، وأغلبها في

(١) وقفت على معظم مقرات هذه المؤسسات في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) ، ووجدتها تقع في محيط مدينة النماص ، ما عدا وحدة الكهرباء في بلاد العوامر . وأغلبها تقع على الشارع العام ، وفي مقرات مستأجرة تتراوح أداؤها من طابق واحد إلى دورين وأحياناً ثلاثة . وموظفوها يتفاوتون في العدد ، وحجم العمل في كل مؤسسة إدارية . للمزيد عن تاريخ هذه الإدارات انظر: غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني مرو خلال القرنين (١٢-١٤هـ) (الطبعة الرابعة) ، ص ٢٢٦ وما بعدها . انظر أيضاً على العسيلي ، النماص ، ص ٢٦٤ وما بعدها .

(٢) انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة ، وقد شاهدت معظم مقرات هذه المؤسسات ، والعاملين فيها من السعوديين ، وقليلاً ترى عناصر غير سعودية تعمل فيها . وكوني ابن محافظة النماص فقد كانت هذه الناحية متواضعة في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، مع أن فيها آنذاك معظم المؤسسات الحكومية الرئيسية . أما اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، فهي ناحية مخدمومة بأغلب الخدمات الحكومية والأهلية ، وما زالت تحتاج دعماً أكثر وبخاصة في خدمات التعليم العالي وغيره .

(٣) تأسس مركز بني عمرو عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ، وكانت تمتد مسؤولياته من حلباء ، جنوباً إلى الحصباء في بلاد بني رافع شمالاً ، ثم تقلصت بعد افتتاح مركز السرح . ومقر المركز اليوم حكومي يتكون من طابقين ومرافقتهما . وحوله مواقف تتسع لعشرات السيارات .

(٤) مركز عبس يتبع لمحافظة المجاردة ، ويقع عند سفوح السروات الغربية ، وتتصل بعض نواحيه . بالأصداً التابعة لسروات بني شهر وبني عمرو . المصدر : مشاهدات الباحث في (٩/١٠/١٤٤٣هـ) .

قرى آل الشيخ، والعاسرة، وآل يرار (جرار) في وادي عياش. ومن هذه الإدارات المركز الإداري، والبلدية، والشرطة، ووحدة الدفاع المدني، ومركز الرعاية الأولية وغيرها^(١).

وفي مدونة وصلتني من الأستاذ حسن بن حنش العمري رصد فيها نبذة عن بداية التعليم العام في بلاد عمرو الشام، وأشار إلى أسماء المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وسنوات افتتاحها^(٢). ولا يستغرب من ابن حنش عندما فصل الحديث عن مسيرة التعليم العام في بلاده، فقد قضى زهرة حياته في مهنة التربية والتعليم ومعظمها في بلاد عمرو الشام^(٣). وأثناء سيره في منابك هذا المركز زرت بعض المدارس في تلك الناحية، ووجدت وزارة التعليم أقفلت حديثاً عدداً من المدارس، بعد أن جمعت بعضها في مدارس محددة. ووجدت في قرية آل الشيخ، وهي القرية الرئيسية لشيوخ بني عمرو (آل عثمان)، ابتدائية ومتوسطة الغزالي، ومدرسة ابن القيم لتحفيظ القرآن الكريم، وثانوية زيد بن الخطاب^(٤)، وجميعها للذكور. وللبنات مجمع آل الشيخ (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي). وفي قرية الأصفاء إلى الجنوب من قرية آل الشيخ ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية الأمير سلطان للبنين^(٥).

وعند سؤالني عن بعض المعالم الجغرافية في مركز بني عمرو، زودني الأستاذ حسن بن حنش ببضع صفحات رصد فيها حوالي (٨٣) قرية، فذكر اسم كل قرية، وبعدها عن المركز، فكانت أقرب القرى في حدود كيلو وكيلو ونصف مثل قرية آل روضان، وجزء من قريتي العاسرة، وآل طلحة. وأبعدها حوالي (١١) كيلاً مثل قريتي آل محفوظ وآل عطيفة في أقصى الناحية الجنوبية للمركز^(٦).

(١) مقابلة مع الأستاذ حسن بن حنش العمري في (١٤٤٣/٢/٩هـ)، وقد زودني ببعض المدونات عن أودية وقرى المركز، ومعلومات جيدة سوف أشير إلى بعضها في سطور قادمة. وذكر أنه كان هناك بعض الإدارات مثل المحكمة الشرعية وغيرها ثم أقفلت وصار أهل المركز يراجعون بعض الإدارات في مدينة النماص.

(٢) صورة من هذه المذكرة ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، ج٢٠٢، ص ١٩-٢٠.

(٣) المصدر نفسه. أرجو من الأستاذ حسن بن حنش العمري أن يدون ذكرياته ومذكراته عن الأرض والناس في وطنه الأصلي. (بلاد عمرو الشام)، وإن فعل ذلك فقد يوثق شيئاً من تاريخ وحضارة هذه الأوطان، وهذا مما سوف يطلع عليه الأبناء والأحفاد في قادم الأيام.

(٤) مشاهدات الباحث في بلاد عمرو الشام في (١٤٤٣/٢/٩هـ).

(٥) لا أعلم ماهي الأسباب في تقليص المدارس هناك، لكن تناقص أعداد الطلاب والطالبات قد تكون من الأسباب الرئيسية. وهذا الأمر ليس مقصوراً على بلاد بني عمرو، لكن الذهاب في السروات من شمال أبها إلى قرب الطائف يجد الهجرة كبيرة في هذه البلاد، وهذا مما أثر على حجم السكان وتناقص أعدادهم، وهذه الهجرة ليست وليدة الساعة، لكنها بدأت منذ عقود عديدة، وما زالت مستمرة حتى الآن. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية.

(٦) مذكرة حسن بن حنش العمري ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)،

ومما لاحظته وسمعتة أسماء أودية عديدة صغيرة وكبيرة في مركز بني عمرو ، وذكر لي حوالي (١٨) وادياً ، من أهمها: أودية عياش ، وآل غثران ، ونابط ، والكنهيلة / ويطحان ، والعطف ، والقحيف ، والحصباء وغيرها وجميعها تسيل من أعالي السراة وتتجه شرقاً أو شمالاً أو جنوباً^(١). وهناك حوالي (١٣) بادية في بوادي عمرو الشام جميعها تتبع المركز الإداري، ومنها: شبارق، وأبومدر، والهداة، والفجير، وشعبة الجمل، ووادي العرين^(٢). وتم حصر حوالي (٢٧) حلة في إصدار تهامة مركز بني عمرو، ومنها: الأمرح، والطف، والخيالة، والجورة، والقريضة، والقرن^(٣). وجميعها تقع في أمكنة محددة ، بأسماء معلومة عند أهل البلاد^(٤).

والأوطان التابعة لمركز بني عمرو قديمة في مسمياتها ، ولها تاريخ وأحداث حضارية يتناقلها الرواة ، لكنها غير مدونة ، وتقع على طريق الحاج والمسافر السروي . وكان أهلها يعيشون في الماضي عيشة اكتفاء ذاتي لما يملكونه من زروع وعقار ، وثروات حيوانية ونباتية . وبعد فتح الطريقة المعبد والمسفلت الذي يربط الطائف بأبها تحسنت أوضاع الناس حضارياً واقتصادياً ، وهم اليوم يعيشون في نعمة كبيرة ، مثلهم مثل غيرهم من أهل السراة وتهامة . ومازالوا يتطلعون إلى المزيد من التطوير والتنمية الإدارية ، والتنمية^(٥).

٢- مركز السرح :

تأسس مركز السرح عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، يقع بين مدينة النماص جنوباً ، ومركز بني عمرو شمالاً ، ويبعد عن الأولى حوالي (٢٧) كيلا ، ويمر من خلاله الطريق العام الذي يربط أبها بالطائف . ويحده من الجنوب مركز وادي زيد ، ومن الشمال مركز بني عمرو ، ومن الشرق مركز القوباء التابع لمحافظة بيشة ، ومن الغرب سفوح

ج٢٠٢، ص ٧٨-٨٠ وقرى وجبال وأودية السراة من الطائف إلى أبها تستحق أن توثق في معجم جغرافي تاريخي ، أمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذا العمل العلمي الجديد في بابهِ ومحتواه .

(١) هذا الذي سمعته من بعض أهالي عمرو الشام في (٩/٢/١٤٤٢هـ) .

(٢) المصدر : مذكرة حسن بن حنش العمري ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (١٥٥هـ/٢٠-٢١م) ، ج٢٠٢، ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢٠٢، ص ١٢ .

(٤) هذا ما سمعته من بعض أعلام مركز بني عمرو ولم أشاهد هذه الحلال .

(٥) أثناء مجالسة بعض أعلامهم ومتقفيهم ذكروا لي العديد من المطالب والنواقص التي يتطلعون إلى توفيرها في بلادهم ، وهذا من حقهم . وإن استمروا في مطالباتهم فالدولة والجهات الرسمية لن تخذلهم ، وسوف تسعى إلى رعايتهم وخدمتهم أرضاً وسكاناً . أما الطريق الرئيسي الذي يسير من أبها إلى الطائف عبر جبال السروات فهو قديم ، وله ذكر في العديد من مصادر التاريخ الحديث . ومن العقود الوسطي في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ العمل فيه حتى يكون طريقاً للسيارة ، ولم يأت نهاية القرن نفسه إلا وصار مسلوكة بجميع السيارات .

جبال السروات الغربية ومركز عبس التابع لمحافظة المجاردة^(١). وأطلق عليه اسم (السرح) لأنه يقع بين ناحيتي السرو وحلباء ، فسمي بهذا الاسم^(٢) .

يوجد في المراكز العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية مثل: مركز الدفاع المدني، ومخفر للشرطة ، ومركزين للرعاية الصحية . وفيه أكثر من ثلاثين مدرسة للتعليم العام بنين وبنات ، وجمعيتين تعاونيتين ، وفرع لجمعية البر ، وفرع للبنك الأهلي^(٣) . كان في هذه الناحية أربعة أسواق أسبوعية ، هي : (١) سوق الأحد بقرية الغرة . (٢) سوق الإثنين بقرية آل جميل . (٣) سوق الأربعاء بقرية السرو . (٤) سوق الجمعة بقرية آل جميل . وجميعها توقفت ، ما عدا سوق الجمعة فما زال يقام كل يوم جمعة . ويلاحظ أن مقرات الأسواق المتوقفة مازالت قائمة ، لكنها غير مستخدمة^(٤) .

خلال تجوالي في ربوع هذا المركز في (١٤٤٣/٢/٩هـ) شاهدت الكثير من المؤسسات التجارية على الشارع العام من قرية الغرة جنوباً إلى ربوع السرو شمالاً ، ولا تخلو من أسواق تجارية يومية ، ووحدات سكنية ، وشقق مفروشة وفنادق . ومن وسط المركز يتجه خط مسفلت إلى بيشة ، ذهب فيه فوجدته يربط بين بيشة وسروات النماص . ولا تخلو البلاد من قرى تراثية قديمة ، وعمران حديث منتشر في كل مكان . ومما لفت نظري عدد من الجوامع الكبيرة في المركز مثل: جامع الملك فهد ، وجامع الأمير سلطان ، وجوامع قرى القبل ، والسرو ، والغرة . وجميعها على الطراز الحديث وتتسع للكثير من المصلين^(٥) . وأيضاً مدينة الإسكان شرق الخط العام في المركز ، وفيها الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) أكثر من (٣٥٠) عمارة وأراضي سكنية . وعند توزيعها ، سوف تحل مشكلة السكن للكثير من الأسر والأفراد في محافظة النماص وما جاورها^(٦) .

(١) زرت مركز السرح في (١٤٤٣/٢/٩هـ) . كما وصلني مذكرة مختصرة من الأستاذ صفر بن عبد الله العمري ، وتوجد ضمن أوراق الباحث (غير مرقمة) .

(٢) هذا الذي سمعته من بعض أعلام مركز السرح في (١٤٤٣/٢/٩هـ)

(٣) مشاهدات الباحث لهذه المؤسسات في (١٤٤٣/٢/٩هـ) .

(٤) المصدر نفسه . أعرف هذه الأسواق منذ بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، وتسوقت في بعضها ، وشاهدت نشاطها التجاري قبل عقدين من الزمان ، وهي اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) مهجورة ، فلا يستفاد منها .

(٥) إن تاريخ المساجد القديمة والحديثة في عموم بلاد السرة وتهامة موضوع واسع يستحق أن يدرس في عشرات البحوث. أرجو من كليات وأقسام التاريخ في جامعات الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة ، والباحة ، والطائف أن تلتفت لهذا الميدان المهم فتدرس وتوثق في بحوث علمية عميقة .

(٦) طبيعة الأرض في مركز السرح أفضل من مركزي بني عمرو ووادي زيد المجاورين لانبساط أرضه واتصاله. بيشة شرقاً ، ثم التقائه بالطريق العام الذي يصل بين أبها والطائف .

٣- مركز وادي زيد :

افتتح مركز وادي زيد في بلدة خميس العرق بمحافظة النماص في (١٤/٤/١٤٣١هـ) ، يقع على الشارع العام الذي يربط أبها بالطائف . ويحده من الشمال مركز السرح ، ومن الجنوب حاضرة النماص ، ومن الشرق قرى بدوة وما جاورها من القرى التابعة لمدينة النماص ، ومن الغرب الأجزاء الغربية من مركزي عبس وختبة التابعتين لمحافظة المجاردة ، ومساحة المركز حوالي (٧٥ كم^٢) ^(١) . ويخدم المركز عدداً من عشائر بني شهر ، وبعض القرى العمرية الواقعة في محيطه الجغرافي ^(٢) .

تمتاز أراضي المركز بموقع جيد ، فهي تقع على جانبي الشارع العام ، وتخرج عقبة تلاع من غرب المركز إلى الأصدار وأجزاء تهامية أخرى ، وهي سهلة الاستخدام مقارنة بغيرها من العقبات الموجودة في سروات بلاد الحجر . وتتصل بمركز عبس في تهامة ، ثم المجاردة حتى ترتبط بالطريق العام الذي يخرج من محاليل إلى المخواة ، ثم إلى مدينة الباحة في سروات غامد وزهران ، أو إلى مكة المكرمة عبر الطريق الساحلي الدولي ^(٣) .

يشتمل المركز على بعض المؤسسات الإدارية مثل: كليتي التقنية للبنين والبنات ، ومكتب بريد ، ومركز صحي ، وست مدارس حكومية ، هي: (١) ثانوية عثمان بن عفان للبنين . (٢) متوسطة عمار بن ياسر للبنين . (٣) متوسطة وابتدائية أبو ذر الغفاري للبنين . (٤) متوسطة وثانوية وادي زيد للبنات . (٥) ابتدائية وادي زيد للبنات . (٦) ابتدائية وادي زيد لتحفيظ القرآن (بنات) ^(٤) . وهناك العديد من القرى التابعة لوادي زيد ومنها : بلدة خميس العرق ، مقر المركز ، وبلدة الخضراء ، وقرى خشرم ، وآل جميرة ، وآل حبشي ، والفرش ، وآل مسلمة ، وأبو قبيس ، والعقيقة ، وآل قحطان ، وآل عضية ، وآل رحمة ، وآل غران ، وآل الطوير ، وآل مرزوق ، وآل مستور ، وآل ناشر ، وبني مليح ، والمدانة ^(٥) .

(١) المصدر : مذكرة وصلتي من الشيخ فهد بن ظاهر بن دعيش في (١٥/٢/١٤٤٣هـ) . كما تجولت في ربوع هذا المركز في (٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) ذهبت في هذه العقبة مرات عديدة ، وهي سهلة إلى حد ما ، تنزل وتصعد معها معظم السيارات ، وهي من إنجازات وزارة النقل ، حبذا أن تخدم بتوسعات وخدمات أفضل ، وإن تم ذلك فسوف تكون سهلة جدا ، وتسلكها جميع السيارات الصغيرة والكبيرة . المصدر : مشاهدات الباحث في (٩-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) مذكرة الشيخ فهد بن ظاهر بن دعيش توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، (٢٠-٢١هـ/م) ، ج٢٠٢ ، ص ٢-١ .

(٥) لم أت على كل القرى التابعة للمركز ، وأغلب القرى المذكورة أعلاه تعود في قبائل شهرية . حبذا أن نرى مؤرخاً أو جغرافياً جاداً يصدر معجماً جغرافياً لمعالم بلاد الحجر الجغرافية (سراة وتهامة) .

وضمن مركز وادي زيد العديد من الأعلام الجغرافية مثل: جبل مرير ببلاد آل قحطان وآل مرزوق ، وجبل شوحطة بخميس العرق ، وجبل عصية ببلدة الخضراء ، وجبل المحرق بقرية آل مسلمة . وفي أراضي المركز بعض المتنزهات الجميلة ذات الغطاء النباتي الكثيف ، وأغلبها في منطقة الأشعاف . وهناك آثار عقبات قديمة ، كانت مستخدمة في الماضي بالدواب والسير على الأقدام ، ومن تلك الطرقات عقبة غمام التي تنزل من قرية آل رحمة ، في الناحية الجنوبية الغربية من المركز ، تنزل إلى أصدار آل حبشي وبني مليح حتى تصل مركز ختبة في تهامة . وعقبة أخرى تتحدر من قرية لحبي حتى تصل وادي الغيل ثم مركز خاط في تهامة^(١) .

وادي زيد الذي سمي به المركز من أكبر أودية تلك الناحية ، تأتي منابعه من سروات آل رحمة ، والعقيقة ، وآل خشرم ، والخضراء يتجه شرقاً ، وتلتقي به أودية أخرى ، ويواصل سيره نحو الشمال الشرقي حتى يصب في سد حلباء شرق مركز السرح . ويقع على جنبات هذا الوادي العديد من الغدران التي تعرف بأسماء معلومة عند أهل البلاد^(٢) .

ووادي المرحب في قمم السروات ، تبدأ منابعه من قرى آل غران ، وآل جميرة ، وشعف العقيقة ثم يتجه غرباً نحو منطقة الأصدار حتى يلتقي ببعض الأودية التهامية في مركزي عبس وختبة حتى وادي خاط^(٣) .

(١) شاهدت آثار هاتين العقبتين في الفترة من (١٤٤٢/٢/١١-٩هـ) ، وهي مندثرة اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وغير مستخدمة . والذهاب في عموم السروات من الطائف إلى بلاد وادعة وقحطان يشاهد الكثير من الدروب القديمة التي تربط بين أعالي السراة وتهامة ، وكانت مستخدمة في السابق مشياً على الأقدام ، وتسلكها بعض الدواب مثل الحمير والأغنام والأبقار . وهذه الطرق (العقبات) نماذج من تاريخ وحضارة الآباء والأجداد ، حبذا أن تحصر تلك الطرق ثم تدرس بداية كل عقبة وماذا جرى لها من تطور أو اندثار حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، مع ذكر محطاتها ، وماتماز به كل عقبة ، وذكر الصعوبات التي كانت تقابل مرتاديها في الماضي .

(٢) تنقلت في أجزاء من هذا الوادي من أعالي السروات في العقيقة وآل رحمة وخشرم إلى قرى الخضراء والعرق وآل مسلمة ، وآل رحال وغيرها . كان في السابق وادياً غزير المياه ، وفيه الكثير من الأشجار والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها ، وتقع على جانبية الكثير من الأراضي الزراعية الجيدة في تربتها ومزروعاتها .

(٣) يتخلل منطقة الأصدار من الطائف إلى بلاد قحطان عشرات الأودية الصغيرة والمتوسطة التي تسير غرباً حتى تتصل بالأودية الكبرى في تهامة ، وأخيراً تصب في البحر . وبلاد الأصدار والأوطان الواقعة عند أسفل سفوح السروات من الغرب ، لم تكن في الماضي في معزل عما حولها ، لأنها مأهولة بالسكان ، وتشتمل على الكثير من الثروات الحيوانية والنباتية ، لكن صعوبة أرضها هي التي جعلتها غير مذكورة في كتب التراث العربي والإسلامي ، وإن ذكرت بعض معالمها فلم ترد بشكل واضح . وإنما فقط أسماء أمكنة متفرقة في هذه البلاد الواسعة . واليوم - ولله الحمد - أصبحت معروفة عند معظم الناس ، وتجتازها عقبات معبدة ومسفلتة ، وهي تستحق أن يدرس تاريخها ، وتجمع أخبارها وآثارها في دراسات عديدة ، أمل أن تقوم الكليات والأقسام العلمية في الجامعات السعودية المحلية ، بهذا العمل العلمي المفيد والمهم .

لا يوجد في مركز وادي زيد نشاط تجاري وحضاري كبير مقارنة بحاضرة النماص، أو مركزي بني عمرو والسرحد. وربما حدثت تأسيس هذا المركز أحد أسباب هذا التوضع، ثم أرضه ضيقة فالجبال تحيط بقرى وبلدات المركز من كل ناحية، ومن الصعب إنشاء مخططات عمرانية، أو مشاريع اقتصادية كبيرة. ومعظم أراضي المركز أملاك زراعية خاصة. وهناك بعض الأنشطة الاقتصادية القليلة على جانبي الطريق العام الممتد من قريتي لحبي وآل قحطان جنوباً إلى بلدة العرق شمالاً^(١).

٣- صفحات من تاريخ العمران :

تأتي حاضرة النماص من أفضل المواقع عمرانياً في سروات بلاد الحجر^(٢)، فالمنازل الخاصة تتراوح ارتفاعاتها حالياً (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) من طابق إلى ثلاثة طوابق، وهناك عمارات قليلة قد تزيد أدوارها إلى الأربعة والخمسة. ولا تخلو القرى ومراكز المحافظة من عمائر كبيرة تضاهي العمارات الموجودة في الحاضرة^(٣).

وأثناء سيري في أنحاء محافظة النماص رأيت العمران الحديث هو السائد في عموم البلاد. والعمارة والقرى القديمة تراجع وجودها، فصارت أبنية ومستوطنات مهجورة، ونال الكثير منها الهدم والاندثار، وحل قريباً منها الأبنية الإسمنتية الحديثة^(٤). وعند التأمل والمقارنة بين العمارات القديمة والحديثة تبين لي الكثير من الفوارق والاختلافات، وأذكر بعضاً منها في النقاط الآتية :

(١) أعرف هذه البلاد منذ خمسين عاماً (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٧٠-٢٠٢١م)، كانت في السابق صعبة المسالك، غنية بالمياه والمزروعات، وبعد افتتاح الطريق العام وتوسعته حظيت بالكثير من التنمية العمرانية، وبعض الأنشطة الاقتصادية والحضارية الأخرى.

(٢) مدينة النماص قديمة في تاريخها، وتعد المركز الإداري الرئيسي لبلاد بني شهر وبني عمرو منذ القرن (١٢هـ-١٨م)، وربما من قبل هذا التاريخ. وهذه الحاضرة تستحق أن يوثق تاريخها السياسي والحضاري خلال العصر الحديث والمعاصر.

(٣) هذا الذي شاهدته أثناء رحلتي في سروات بني شهر وبني عمرو في (٨-٩/ ٢/ ١٤٤٣هـ). والمتأمل في العمارات القديمة في هذه البلاد يجد في بلدة النماص العديد من القصور والبيوت القديمة والكبيرة. كما يشاهد بعض المنازل والقصور التراثية مازالت قائمة في البلاد الممتدة من بلاد العوامر إلى بلاد الحصباء وبني رافع شمالاً. والعمارة القديمة في هذه البلاد تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من البحوث العلمية مع دعمها ببعض الصور الفوتوغرافية الملونة، ومن يقوم بهذا العمل فقد يساهم في حفظ صفحات من التاريخ العمراني الحضاري في هذه البلاد العربية الماجدة.

(٤) هذا الوضع هو السائد في عموم بلاد السراة وتهامة، ومن يتجول في ربوع المملكة العربية السعودية يجد الوضع نفسه في كل منطقة وناحية، مع اختلافات طفيفة في طبيعة الأرض، وربما مواد البناء. لكن الأبنية القديمة في كل مكان تركت، وهجرها أهلها، واستبدلوها بأمكنة وعمارات حديثة مختلفة في هياكلها ومواد بنائها وطرق تشييدها واستخداماتها.

١. شيدت المنازل والقرى قديماً بطرق عشوائية فلا يراعى فيها التخطيط السليم، ولا سعة المكان وتعدد مرافق المنزل وخدماته. والأهم من ذلك توفر سكن في مكان حصين ضمن إطار سكان القرية أو العشيرة أو القبيلة حتى يكونون متقاربين متعاضدين متعاونين للعيش بأمن وسلام، والوقوف في وجه كل ما يهدد حياتهم وأمنهم^(١). وفي العصر الحديث والمعاصر توفر الأمن في البلاد، وزاد المال والخير في أيدي الناس، وعملت مؤسسات الدولة على الإشراف وإدارة حياة الناس، فصار عندهم منازل مملوكة بحجج ووثائق شرعية، وصاروا في ركاب التمدن والحداثة، فشيّدوا بيوتا واسعة في أراضيها، ومرافقها، وخدماتها، وتوفرت لهم مواد البناء والعمران الحديثة التي لم تتوفر للأوائل^(٢).

٢. عاصرت العمارة القديمة والحديثة. فالأوائل كانوا يبنون بيوتهم وقراهم بأنفسهم، فمنهم البناؤون وجميع الأيدي العاملة التي تشيد كل الأبنية القديمة. والنساء يعملن جنباً إلى جنب لخدمة من يقوم بالبناء، فيوفرن الطعام والشراب، وأحياناً جلب الماء من الآبار وغير ذلك^(٣). أما العمارة الحديثة فأصبح هناك أيدي عاملة محلية، وأكثرهم وافدون من خارج البلاد، فهم الذين يتولون أعمال البناء والتشييد من البداية إلى النهاية^(٤).

(١) الناظر إلى جميع المنازل والقرى القديمة في عموم تهامة والسراة يتأكد له محدودية مساحاتها ومرافقها. بل يرى القرية الواحدة متداخلة ومتلاصقة منازلها وأزقتها وجميع مرافقها، وذلك لعدم وفرة الأموال عند الناس، وأيضاً فقدان الأمن والعيش بسلام. وقد وقفت على قرى قديمة في بلاد العوامر، وقرى بني بكر والكلاثة، وفي وادي زيد، وبلاد عمرو الشام فرايت قرى عديدة قديمة يغلب عليها ضيق المكان، وأحياناً صعوبته، فقد تكون في جبال، أو هضاب، أو أودية وعرة الطبيعة، وضيقة المسالك والدروب. وأقول إن قرى تهامة والسراة القديمة تحتاج إلى من يحصرها ثم يدرس تركيبها العمرانية، وصفحات من تاريخها الحضاري خلال القرون الماضية. وهذا العمل من واجبات الكليات والأقسام العلمية الموجودة في الجامعات السعودية المحلية.

(٢) حبذا أن نرى باحثين جادين فيدرسون تاريخ العمارة القديمة والحديثة في سراة وتهامة منطقة عسير، مع الحرص على استخدام المنهج المقارن، ثم دعم العمل بالوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية.

(٣) للمزيد انظر غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ / ١٦٨٨-١٩٨٠م). (جدة، ١٤١٥هـ / ١٩٨٤م)، ص ٣٧ وما بعدها. للمؤلف نفسه. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)، الجزء الثالث والعشرون، ص ١٨٧ وما بعدها.

(٤) لم يتحول الناس فجأة من نظام العمارة القديمة إلى الحديثة، وإنما حدث ذلك بالتدرج، والمحرك الرئيسي في ذلك توفر المال، وأثر الوعي والثقافة والتعليم، فالتطور الاقتصادي بدأ في ازدياد من ثمانينيات القرن (١٤٠٠هـ / ٢٠م)، بالإضافة إلى التعليم والحصول على وظائف حكومية جديدة، وكذلك مشاهدة الغير في أنحاء المملكة العربية السعودية، ثم جهود الدولة في تطوير الإنسان مادياً ومعنوياً، وبالتالي بدأ الناس من العقود الأخيرة في القرن الهجري الماضي يشيدون منازل قديمة، ويستخدمون بعض مواد البناء الحديثة كالإسمنت والبلوك ثم الحديد، وفي الفترة نفسها هناك من شيد غرماً أو منازل من الزنك، ومنذ العقود الأولى في هذا القرن (١٤٠٥هـ / ٢٠م)، فاض المال والخير على البشر، فساروا بشكل أسرع وأكبر نحو البناء والتشييد للعمارات الحديثة، وتركوا قراهم ومنازلهم القديمة، ولم نصل إلى نهاية العشرينيات من هذا

ما من شك أن العمارة الحديثة أفضل من الأبنية والمنازل القديمة من حيث سهولة المواقع ، ثم خدمتها بالطرق ووسائل المواصلات والاتصالات الحديثة ، وتنوع وتعدد أجزاء البيت الواحد ومرافقه . ولبلديات ومؤسسات حكومية أخرى تأثيراً كبيراً وإيجابياً في تشييد العمارات الحديثة وتنظيمها . والناظر اليوم في أي مجمع سكني حديث ، في المدن والقرى ، ثم مقارنته مع هيئة وتركيبه القرى القديمة ، فلن يجد هناك تقارباً وتشابهاً بين الموقعين . ولكل منهما ظروفه وزمنه ، لكن المال والأمن والاستقرار من أهم العوامل التي خلقت هذا التباين والاختلاف .

ليست منازل الناس الخاصة ومرافقها الوحيدة في محافظة النماص ، وإنما هناك أفراد وجماعات يمتلكون أبنية للاستخدام الشخصي أو للترفيه ، أو للتجارة . ومما رأيت في عموم المحافظة الأبنية التجارية ، والطريق العام الممتد من عقبة القامة إلى بلاد عمرو الشام مكتظ بالمحلات التجارية المختلفة ، وأكثرها في التجمعات السكنية الكبيرة كحاضرة النماص ، ومراكز وادي زيد ، والسرْح ، وبني عمرو . ومن العمارات الاقتصادية التي رأيتهَا على الشارع الرئيسي أو وقفت عند بعضها في المحافظة أسواق تجارية كبيرة وصغيرة ^(١) ، ومحطات بترولية ، وفنادق وشقق مفروشة ، وورش ودكاكين تقنية وصناعية وحرفية ، وبعض الاستراحات وصالات الأفراح متفاوتة في مساحاتها ، ومرافقها . وكل هذه الأبنية تختلف في تعدد طوابقها ، فمنها الصغيرة والمحدودة ، وأخرى واسعة وأحياناً مرتفعة الأدوار فقد تصل بعض عمارات الفنادق والشقق المفروشة إلى أربعة وخمسة طوابق ^(٢) .

والأبنية الحكومية في النماص جزء من العمارة الحديثة ، وقد أشرت إلى كثير من تلك العمارات في صفحات سابقة من هذه الرحلة ، وأهمها وأكثرها مقرات التعليم العام والعالي والتقني ، والمحافظة ، والبلدية ، والمستشفى وغيرها وجميعها رسمية حكومية . أما المقرات الحكومية المستأجرة فهي الأخرى كثيرة ومتفرقة في أنحاء المحافظة ^(٣) .

القرن (١٥هـ/ ٢٠م) إلا والعمارة الحديثة أصبحت السائدة في كل مكان . ودراسة هذا التحول المادي وأثره على حياة الناس ، وبداية جلب الأيدي العاملة من الخارج وتزايدهم ، وآثارهم الإيجابية والسلبية على الأرض والناس موضوعات علمية جديدة وهي من اختصاصات الجامعات المحلية ، فالواجب تبنيها ودعمها .

(١) من الأسواق الكبيرة سوق العثيم ، وسوق ابن سلام ، وسوق العسيري وغيرها ، وهي متفرقة في مدينة النماص .
(٢) لم يشمل حديثي كل العمارات الرئيسية أو حتى الثانوية في محافظة النماص . لكنني أشرت إلى نماذج منها ، وهي أبنية حديثة ، ومواد بنائها مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . والذي أشرف على بنائها وتشبيدها مؤسسات تجارية تعمل في مهن المقاولات والبناء ، وجميع الأيدي العاملة من الأجناس العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية .

(٣) رأيت عدداً من المؤسسات الإدارية في مدينة النماص في عمارات مستأجرة ، وأخبرني بعض أعلام المدينة أن بعضها مقرات حكومية ، والعمل جارٍ في تشييدها مثل مركز الهلال الأحمر ، وإدارة الشرطة وغيرهما .

وكل هذه الأبنية (الحكومية والمستأجرة) متفاوتة في مواقعها، ومساحاتها، وطوابقها. لكنها تتراوح من طابق واحد إلى أربعة ونادراً خمسة طوابق، بالإضافة إلى أحواشها ومواقفها، ومرافقها الداخلية والخارجية^(١).

رأيت العديد من الجوامع الكبيرة والمساجد المتوسطة والصغيرة في أنحاء المحافظة. ومن الجوامع التي توقفت عندها وصليت في بعضها. (١) جامع الملك عبدالعزيز ببلاد العوامر في الظهارة، ويقع على الشارع العام، ويتكون من عدة طوابق. (٢) جامع المنادة داخل مدينة النماص، كان في السابق مسجداً صغيراً، ثم أعيد تشييده، وتقام فيه صلاة الجمعة والجماعات. (٣) جامع بني بكر، في قرية بني بكر الرئيسية، وقد أعيد توسعته وتشييده. (٤) الجامع الكبير في مدينة النماص، كان في السابق ضيقاً، ثم أعادت الوزارة توسعته وتشييده، ومن مرافقه مغسلة للأموات، وتقام فيه صلاة الجمعة، والصلاة على الجناز^(٢). (٥) جامع بلال شمال مدينة النماص، على الطريق العام. كان يتكون من دورين، ومتوسط المساحة، ثم أعيد بنائه وتوسعته، وما زال العمل فيه جارياً حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). (٦) جامع صدر يد في قرية صدر يد العمرية على الشارع العام شمال مدينة النماص. بحوالي (٦-٧ كم)، وهو جامع كبير يتسع للكثير من المصلين، وفي الدخول إلى مواقفه والخروج منها صعوبة وخطورة لقربه من الطريق العام الذي يصل بين أبها والطائف. (٧) وفي بلدات الخضراء، وحلباء، والسرو، وبني عمرو الشام، والفرعة الشمالية والجنوبية جوامع كبيرة تتراوح مساحاتها بين (٢٠×٢٠م) إلى (٣٠×٣٠م) وربما أكثر من ذلك.

معظم الجوامع الأنف ذكرها قام بنائها فاعلو خير من التجار والمقتدرين مادياً، وبعضهم من أهل الجنوب السعودي، وآخرون من مناطق ومدن أخرى في المملكة العربية السعودية. وجميعها حديثة العمران، ومواد بنائها متنوعة في النوعية والجودة. وتتفاوت في مواقعها، ومساحاتها، ومرافقها. وجوامع الظهارة، والجامع الكبير في النماص، وجامع بلال، وجامع صدر يد تعد من أكبر المساجد في المحافظة، وجميعها على الطريق العام، ما عدا الجامع الكبير يقع إلى الداخل قليلاً، وعلى طريق رئيسي داخل المدينة^(٣).

(١) التاريخ الإداري في منطقة عسير، أو أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي موضوع جديد ومهم، حبذا أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يدرسون هذا الميدان في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/١٩٢٠-٢٠٢٠م).

(٢) كان هذا المسجد محدوداً وصغيراً منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم جري عليه توسعات عديدة، وهو اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جامع كبير يتسع لمئات المصلين، وتراه يومياً ممثلاً بالمصلين الذين يفدون إليه لصلاة الفريضة والصلاة على الأموات.

(٣) المصدر: رحلة الباحث ومشاهداته في (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

الحديث عن فتح دروب السيارات التي تصل محافظة النماص بغيرها تستحق أن تدرس في بحث كبير ومطول، لأن سروات بني شهر لم تعرف طرق السيارات إلا في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ^(١) وأهمها الطريق الرئيسي الذي يربط الطائف بأبها عن طريق بيشة أو الباحة. وقد مر بمراحل عديدة منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ^(٢) لكن منذ بداية الثمانينيات في القرن نفسه بدأت الدولة في فتح الطريق الذي يربط بين النماص وأبها، ولم يأت عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، إلا وهذا الطريق قد أصبح مسلوكة بأغلب السيارات الصغيرة والمتوسطة ^(٣)، أما الشاحنات الكبيرة، فكانت تواجه صعوبات شديدة أثناء السير فيه ^(٤).

لن أخوض في البدايات ثم التطور التاريخي للطرق التي تربط بين محافظة النماص وغيرها، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى إسهاب وتفصيلات كثيرة لكل طريق يربط الشمال بالجنوب وغرب سروات بني عمرو وبني شهر بشرقها ^(٥) وإنما أدون لمحات عن الطرق التي شاهدتها أثناء رحلتي عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وإذا لزم الرجوع إلى عقود قريبة ماضية فسوف أذكر ذلك في حواشي الدراسة.

قبل خمس سنوات تقريباً كان الطريق العام في مدينة النماص يسير في اتجاهين، ويتفرع منه طرق ذات اتجاه واحد، وقليل جداً ذات اتجاهين. ثم جاء رئيساً جديداً

(١) هناك محاولات عديدة من بعض الرجال في بني شهر وبني عمرو منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، تسعى إلى الوصول بالسيارة من بيشة إلى النماص وتثومة. وبعضهم جاءوا من بلدة ضمخ في أرض شهران، وآخرون جاءوا عن طريق بيشة وسبت العلاية. وقد حققوا بعض النجاحات، وكان للعديد من أعلام سروات الحجر، وبخاصة قبائل بني عمرو وبني شهر دور إيجابي في تلك الإنجازات. ومنذ أربعين عاماً أسمع روايات متعددة عن أسماء بعض الرجال الشهيدين والعمرين الذين قادوا السيارات من بيشة إلى النماص وتثومة. وآخرون من أعيان البلاد ووجهائها كانوا من الداعمين والمجتهدين في فتح طرق من بيشة إلى بوادي بلقرن وبني عمرو وبني شهر ثم الوصول إلى سبت العلاية والنماص وتثومة. وفتح طرق للسيارات في عموم السروات وتهامه من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد في بابه يستحق أن يوثق في أعمال علمية عديدة. أمل أن نرى بعض طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد وغيرها فيقوموا بدراسة هذا الموضوع في عدد من البحوث والرسائل العلمية.

(٢) وصلت السيارة من الطائف إلى بيشة في نهاية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم إلى سروات بلقرن في السبعينيات. وجاءت عن طريق الباحة إلى سبت العلاية في سنوات تالية من القرن الهجري الماضي. لم تكن تلك الطرق سهلة العبور، بل شديدة الوعورة، ولا يسلكها إلا السيارات القوية جداً، وقد عاصرت شيئاً من هذه الصعوبات في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) عاصرت بداية العمل في طريق أبها من منتصف الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات، وبعد فتحه بقيت أجزاء عديدة فيه شديدة الوعورة، وغير مسفلتة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٤) معاصرة الباحث لهذا الطريق من عام (١٣٨٧-١٤٠٠هـ/١٩٦٧-١٩٨٠م).

(٥) أشرت إلى هذه المعلومات حتى أنه الباحث والقارئ والمؤرخ بأن الطرق التي نراها مسفلتة مسلوكة في عموم السروات وتهامه، لم تتحقق وتصل إلى وضعها الحالي إلا بعد نضال وجهود عظيمة بذلتها الدولة، وتعاون معها أهل البلاد في كل مكان. فله الحمد والشكر على ما أنعم به الله - عز وجل - علينا من فضائل لا تعد ولا تحصى.

بلدية النماص ، لا أعرفه ، ويقال إن اسمه يحيى بن خلفه القحطاني ، فاجتهد وبذل قصارى جهوده في تغيير اتجاه الدخول والخروج إلى وسط المدينة ، فصار الطريق العام اتجاه واحد من شمال المدينة إلى جنوبها ، والداخل إلى المدينة من جهة الجنوب يضطر السير في طريق آخر يجتاز وسط المدينة حتى يلتقي بالطريق العام في شمالها . وعند بدايته في التنفيذ قابله العديد من العقبات والصعوبات ، لكن بحزم الرئيس وحصوله على الدعم الإداري والفني والمالي من أمانة عسير تحقق المشروع ، وصار الدخول إلى وسط المدينة والخروج سهلاً وميسراً ، مقارنة بوضعها في السابق ^(١) .

لم يتوقف رئيس البلدية الأستاذ / يحيى بن خلوقة عند عمله التخطيطي السابق ، وإنما سعى إلى فتح طرق رئيسية تتفرع من الطريق العام في مدينة النماص إلى نواحي عديدة في المحافظة ^(٢) ، ومن تلك الطرق :

١. طريق الملك سلمان في جنوب المدينة ، يخرج من الشارع العام ، ويسير شرقاً في أراضي قبيلة بني بكر حتى يصل ديار بني قشير وناحية الدحض في بلاد آل بالرياع . وأجزاء منه مزدوجة بعرض حوالي (٢٥ م) .
٢. طريق التعاون يخرج من وسط المدينة نحو الشرق حتى يصل الفرعة في بوادي المحافظة ، وهو أيضاً طريق مزدوج بعرض (٣٠ م) تقريباً .
٣. طريق مزدوج يخرج من المنشية وسط المدينة تجاه الشرق ، ويتصل بالعديد من القرى شرق المحافظة .
٤. طريق بلال مزدوج بعرض (٢٥ - ٣٠ م) يخرج من الشارع العام في طرف المدينة الشمالي ، ويسير شرقاً إلى مسلخ النماص ، وأسواق الخضار والأغنام شرق المدينة ^(٣) .
٥. طريق مزدوج بعرض (٢٠ م) شمال المدينة ، يتفرع من الشارع العام ويسير شرقاً حوالي (٢-٢) كيلاً في بلاد قبيلة بني جبير حتى مدرسة محمد عبد الوهاب وما جاورها ^(٤) .

جميع الطرق الآنف ذكرها تتجه شرقاً في محيط مدينة النماص ، وهناك طرق أخرى عديدة تتفرع من الطريق العام شرقاً وغرباً ، وبعضها قديمة يعود تاريخها إلى

(١) هذا الذي سمعته ، وأيضاً شاهدته ، ومازلت أشاهد هذا التطور والتنمية حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) .

(٢) هذه المشاريع التي نفذها رئيس البلدية المذكور أعلاه ، لم تكن وليدة الساعة ، وإنما هناك رؤساء بلدية قبله كان لهم دور إيجابي في دراستها والرفع بها إلى الجهات العليا في الدولة . لكن هذا الرئيس كان محظوظاً فتحقق في عصره .

(٣) هذا الذي شاهدته ووقفت عليه أثناء رحلتي في شهر صفر (١٤٤٣هـ) . كما سمعت الكثير من الأخبار والروايات عن فتح هذه المشاريع قبل أربع أو خمس سنوات من وقتنا الحاضر .

(٤) مشاهدة الباحث ، وهذا الطريق يسير في بلاد قبيلة المؤلف ، المعروفة باسم (قبيلة بني جبير) ومن قراها آل رزيق ، والخاصرة ، وآل معوطة .

عقد وعقدين وربما أكثر، وأخرى حديثة خلال السنوات الست أو السبع الماضية^(١).
والذاهب على طول الطريق العام من الجنوب إلى الشمال يجد العديد من الطرق
المسفلتة بعرض (٨-٥م) وبعضها أكبر، والمتفرعة من الطريق الرئيسي شرقاً وغرباً،
وأحياناً تخرج من الطريق العام ثم تتجه شمالاً أو جنوباً^(٢)، ومنها:

١. جنوب المحافظة في بلاد العوامر طريق ذي الحلة، وطريق المحلب، وطريق البردة،
وطرق آل ثابت، وآل التيس، وآل فويس، ويتراوح أطوالها بين (١٠-١٥ كم)^(٣).
٢. هناك طريق جديد مزدوج بعرض تقريباً (٢٠م) في بلاد بني مشهور شمال مدينة
النماص، يخرج من الشارع العام نحو الغرب، ويتصل بعدد من قرى الأشعاف في
تلك الناحية^(٤).

٣. من شمال مدينة النماص إلى بلاد عمرو الشام طرق عديدة متفرعة من الشارع
العام غرباً وشرقاً مثل: طريق الحتار وعاكسة وبدوة^(٥)، وطريقاً لشعب، وآل
سكوت والصريف، وطريق قفصة، وآل هلاله، وآل طارق، وطريق مسلمة وآل
رحال والفرش^(٦)، وطريق العقيقة التي تتصل بعقبة تلاع التي تنحدر إلى بلاد
عبس في محافظة المجاردة، وطريق بحائل المدانة، وطريق حلباء القبل، وطريق
حلباء القوباء حتى مراكز البهيم (ترج)، مهر، والحازمي في محافظة بيشة، وطرق
يانف، وآل عطيفة، والسهوة، والأصفاء، وسد بني عمرو، وبني رافع^(٧).

وإذا نظرنا في المتنزهات والمواقع السياحية وجدنا الكثير منها مخدومة بالدروب
المتفاوتة في أطوالها وخدماتها. ومن أهمها وأطولها الطريق السياحي الذي يسير من

(١) حظيت محافظة النماص بخدمات جيدة في الطرق. وتاريخ الطرق في هذه المحافظة خلال الأربعين سنة
الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ / ١٩٨٠-٢٠٢١م) يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية.

(٢) يطلق على هذه الدروب طرق القرى، أو الطرق الزراعية، وقد بدأت وزارة المواصلات (النقل حالياً) في
شقها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وتزايدت حتى صارت كل ناحية أو قرية في المحافظة متصلة
بطريق مسفلت، ويتفاوت عرضها، وأطوالها من قرية لأخرى ومن مكان لآخر. المصدر: مشاهدات
الباحث في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(٣) مشاهدة الباحث في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ).

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) المرجع نفسه.

(٧) جميع هذه الطرق تتفرع من الطريق العام شرقاً وغرباً لخدمة القرى والبلاد في سروات المحافظة من
عقبة القامة إلى الحصباء قريباً من حدود محافظة بلقرن الجنوبية. ولم أت على كل الطرق الفرعية،
فهي أكثر مما دونت. وكل ناحية وقرية يوجد فيها طرق مسفلتة ومتعددة ومتنوعة الطول والعرض.
والبلاد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعيش في عصر تنموي مزدهر في جميع دروبها الصغيرة والكبيرة.

أشعاف بلاد العوامر جنوباً إلى جبل مريرو ووادي زيد شمالاً. وطريق آخر يسير من جبل المطل غرباً حتى الحصباء في بلاد بني رافع أقصى قبائل عمرو الشام. وهذان الطريقان حديثا العهد، ومزدوجان في بعض أجزائهما، وذا اتجاه واحد في مواضع أخرى، ويوجد على جانبيهما بعض الخدمات كالمطلات، والجلسات، والحدائق، وألعاب أطفال، وبعض الأمكنة الصالحة لرياضة المشي^(١).

إن علاقة السرويين بالتهاميين قديمة جداً، فالكثير من قبائل السروات لها صلات حسب ونسب مع العديد من القبائل القاطنة عند سفوح السروات الغربية، بل متشابهين في الكثير من السمات الخلقية والخلقية، ناهيك عن الأعراف والتقاليد وبعض المعارف والثقافات فهم متقاربون وأحياناً متداخلون في أغلبها^(٢).

ومحافظة النماص، أو سروات بلاد الحجر جزء من السروات^(٣)، لها طرق قديمة تصل بين أعالي السراة وسهول تهامة، وقد شاهدت بعضها، وسرت في عدد منها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وجميع تلك الدروب مسالك صغيرة وصعبة، فلا يسلكها إلا المشاة، وأحياناً الدواب مثل الحمير والأغنام ونادراً الأبقار والجمال^(٤).

(١) أتردد على محافظة النماص في العام مرتين أو ثلاثاً، وأشاهد هذه الطرق السياحية منذ ثلاث أو أربع سنوات، لكنني لم أتأملها بعين الراغب في التدوين والتوثيق. وفي هذه الرحلة الأخيرة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تأكد لي أنها مشاريع حديثة وكبيرة، وما زالت البلدية تبذل قصارى جهودها لدفع عجلة التنمية بشكل أفضل وأسرع، وصارت محافظة النماص اليوم تحتضن الكثير من الخدمات الجاذبة للزوار، وهذه الطرق السياحية إحدى المشروعات الجيدة والناجحة في تطوير المحافظة وارتياحها بأعداد أكثر وأكبر من السواح.

(٢) أرصد هذه الأقوال بعد السير في مناكب السراة وتهامة، من مكة والطائف إلى جازان ونجران، حوالي خمسين عاماً. ثم البحث في تراث هذه البلاد فتأكد لي صحة ما تم تدوينه أعلاه. والسائر في مناكب هذه الأوطان يجد الصلات والتقارب بين التهاميين والسرويين أصبح أوسع وأكثر مما كان عليه الأوائل، بسبب توفر الاتصالات والمواصلات الحديثة، وسهولة الحياة عند عموم الناس في هذه البلاد. وما زلت، وسوف أستمّر، أبحث على دراسة جميع أحوال الأرض والناس في هذه البلاد العربية السعودية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. والأمر - ولله الحمد - أصبح سهلاً وميسراً لتوفر مؤسسات التعليم العالي التي تحتضن عشرات الكليات، ومئات الأقسام العلمية، وآلاف الطلاب ومنهم طالبات وطلاب الدراسات العليا الذين يجب عليهم دراسة أوطانهم من شتى الجوانب، وهذا ما سوف يحدث - بإذن الله تعالى - . (والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل)

(٣) سروات الحجر من الجنوب إلى الشمال (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو). تستحق أن تدرس تاريخياً وأثرياً وبخاصة البلاد الأحمرية والأسمرية فما زالت فقيرة في ميدان البحث العلمي. أمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً منصفاً يدرس تاريخ وموروث هذه البلاد العربية الأزديّة الماجدة.

(٤) الكثير من قبائل السروات من الطائف إلى وادعة وقحطان في منطقة عسير، لها طرق (عقبات) قديمة تربط بين مواطنهم في السروات وبعض مستوطناتهم (الحلال ومفردها حلة) الصغيرة والمحدودة في منطقة الأصدار. وتلك الدروب تواصل غرباً حتى تتصل بالمستوطنات البشرية في سهول تهامة وسواحلها.

وفي العصر الحديث استبدلت بعض الطرق البدائية القديمة بطرق للسيارات^(١). ونشاهد اليوم عدة عقبات في محافظة النماص صارت مطروقة بطرق ترابية أو مسفلتة، وتسير فيها معظم السيارات الصغيرة والمتوسطة، وهي من جنوب المحافظة إلى شمالها على النحو الآتي :

١- عقبة السرو:

تقع في سروات العوامر، تبعد عن مدينة النماص جنوباً بحوالي (٨ - ٩) كيلاً، تتفرع من الطريق العام غرباً، وتتحدر في أصدار بعض قبائل العوامر. كانت في السابق عقبة صغيرة يسير فيها الناس مشياً على الأقدام، وفي العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تعاون سكان بلاد العوامر بفتحها وإصلاح أجزائها حتى تسلكها السيارات، وساهمت إدارة الطرق في أبها، وبلدية النماص، والمجمع القروي ثم بلدية المجاردة في فتحها من أعالي السراة إلى بلدة خاط ومدينة المجاردة. وما زالت حتى الآن ترابية، وتسلكها بعض السيارات، ولها مطالبات وجهود في سفلتها، أرجو أن يكون ذلك قريباً، وطولها من السراة إلى خاط حوالي (١٥ كم)^(٢).

٢- عقبة سنان :

كانت هذه العقبة مطروقة قديماً بالأقدام، تبدأ من غرب مدينة النماص حتى تصل خاط، وطولها حوالي (١٢-١٣ كم). سميت عقبة سنان نسبة إلى أحد القادة العثمانيين الذي صعد من خلالها إلى مدينة النماص في القرن (١٣هـ/١٩م)^(٣). ولصعوبة الطريق

والذاهب في الأجزاء التهامية من جنوب مكة المكرمة إلى جازان يجدها مليئة بالمستوطنات السكنية التي يعود تاريخ بعضها إلى العصر الحجري وعصور ما قبل الإسلام أو القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة، وإذا كانت اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مدناً وقرى ومحافظات وحواضر حديثة، فليست وليدة العصر الحالي، وإنما بعضها قديم جداً، ولأهلها وأرضها تاريخ قديم ومتنوع سياسياً وحضارياً.

(١) جبال السروات، من المناطق الصعبة والوعرة، وفي عصر التطور والتنمية الذي بدأت المملكة العربية السعودية. وما زالت مستمرة فيه، كان من أكبر العقبات في طريق التنمية شق طرق للسيارات تصل الأجزاء الشرقية أو التهامية بأعالي السروات. وقد تحققت ذلك خلال السبعين عاماً الماضية، وصار هناك اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عشرات الطرق السهلة التي تربط بين أجزاء السراة وتهامة ثم تتصل بغيرها من مدن وحواضر المملكة العربية السعودية. ولكل طريق نراها سهلة العبور في وقتنا الحاضر تاريخ وعقبات كثيرة ثم التغلب عليها حتى أصبحت شبكة المواصلات في هذه البلاد سهلة وميسرة ومتطورة.

(٢) رأيت هذه العقبة، ووقفت في أعلاها ببلاد بالحسين من قبائل العوامر في (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وهذه العقبة تستحق أن تدرس في بحث علمي موثق.

(٣) يتناقل الناس في محافظة النماص رواية أن سنان باشا صعد من أسفل هذه العقبة، وعندما جاء إلى مكان صعب ووعر أجرى عليه بعض التعديلات والإصلاحات حتى يسهل صعود العقبة، وأطلق على هذا المكان الذي جرى فيه التعديل اسم (عقبة سنان) ومع مرور الزمن أطلق الاسم على العقبة كاملة من خاط إلى النماص.

وارتيادها بشكل كبير من التهاميين والسرويين تضافرت الجهود بين بعض الأعلام في النماص وخاط ورغبوا في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) في فتحها لتكون طريقا تسلكها بعض السيارات . وتعاونت بعض قبائل بني شهر وبني عمرو وفي مقدمتهم قبيلة الكلازمة وبخاصة أهل القرية (النماص) على فتحها ، وساهم معهم مادياً بعض رجالات الدولة ، كما ساهمت وزارة المواصلات وبلدية النماص والمجمع القروي بالمجاردة وبعض الشركات ومؤسسات المقاولات المحلية على فتحها ، ولم يأت عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٣م) إلا صارت مسلوكة بالسيارات القوية وبخاصة ذات الدفع الرباعي ، وفي عام (١٤٠٥-١٤٠٦هـ/١٩٨٥-١٩٨٦م) أصبح معظمها مسفلت ، واستمر استعمالها بشكل كبير حتى بداية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ثم خف استخدامها بعد افتتاح عقبة التوحيد مطلع هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ^(١) .

٣- عقبة التوحيد :

تقع هذه العقبة إلى الجنوب من عقبة سنان بحوالي كيلين ، وتبدأ من جنوب مستشفى النماص ، وتتحدر في الأصدار التي تسير فيها عقبة سنان حتى تصل مركز خاط ثم المجاردة . بدأ التخطيط ثم التفكير في فتحها في بداية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن لم يبدأ العمل فيها إلا نهاية العقد نفسه ، وبداية العشرينيات (١٤٢٠-١٤٢١هـ/١٩٩٩-٢٠٠٠م) ، وطولها حوالي (١٩ كم) ، وعرضها حوالي عشرة أمتار ^(٢) .

لم يكن اسم هذه الطريق عند البداية (التوحيد) ، وإنما الهدف من فتحها أن تكون بديلة لعقبة سنان الوعرة في مسالكها وحزونها الجغرافية . وربما فكر أهل البلاد في تسميتها أثناء العمل والتنفيذ ، لكن لم تكن شغلهم الرئيسي ^(٣) ، المهم أن يتم تنفيذها .

(١) عقبة سنان من العقبات القديمة ، ولها تاريخ ، ووقعت حولها أحداث حضارية وسياسية عديدة ، كما ورد ذكرها في بعض الوثائق والمصادر الحديثة . وبعد فتحها وعبور السيارات من خلالها حلت مشاكل كثيرة كانت تواجه سكان بني شهر وبني عمرو في السراة وتهامة ، وصاروا يستخدمونها بشكل كبير . وربط الناس والبلاد (تهامة وسراة) ببعضها ، وعادت بفوائد حضارية واقتصادية عديدة على عموم الناس في هذه الأوطان . أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه العقبة في هيئة كتاب أو رسالة علمية من القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) نزلت وصعدت في هذه العقبة في رحلتي الأخيرة (٩-١١/٢/١٤٤٣هـ) ، وهي سهلة جداً ، لكنها تقع ضمن منحدرات عالية ووعرة ، وقد تسقط بعض الأتربة والأحجار وبخاصة أثناء نزول الأمطار ، وهذه من أكبر العقبات في هذا الطريق الحيوي لمجتمعات كبيرة ومتعددة في السراة وتهامة . وتاريخ هذه العقبة جدير بالدراسة والتوثيق منذ كانت فكرة ، ثم بداية المشروع في عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، وما جرى عليه من صعوبات وتوقفات ثم مواصلة العمل من عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، واستمراره أكثر من عشرين سنة حتى الافتتاح عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ويجب الحرص على تدوين الفوائد والإيجابيات التي سوف تتحقق من فتح هذه العقبة (الطريق) المهمة .

(٣) يبدو أن هذه العقبة كانت قديمة جداً ، فقد أشار إليها الهمداني في القرن (٤هـ/١٠م) .

وفي بداية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جاء أمير منطقة عسير الأمير تركي بن طلال آل سعود ومعه وزير النقل إلى محافظة النماص، وأعلن افتتاحها، وأعلن تسميتها أيضاً باسم (عقبة التوحيد)، وكان له كلمة خطابية حول هذه العقبة. وخلاصة كلمته أن بلادنا (المملكة العربية السعودية) قامت على عقيدة التوحيد، والملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) بذل الغالي والرخيص من أجل توحيد شتات القبائل والبلاد على منهج واحد دستوره القرآن والسنة النبوية، وتوحيد الأوطان والقلوب على عبادة رب العباد (عز وجل) • وكان الأمير تركي بن طلال ومن شارك معه في هذه التسمية موفقين، فالبلاد في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعيش حياة موحدة ومستقرة (بفضل الله عز وجل) ^(١).

٤- عقبة تلاع :

تقع شمال المحافظة، وتبعد عن مدين النماص حوالي (١٧ — ٢٠) كيلاً، يتم الوصول إليها، من الطريق المتفرع غرباً في بلدة الخضراء بوادي زيد إلى رأس العقبة في العقبة، ثم تتحدر في إصدار قبائل بني التيم ^(٢) • حتى تصل مركزي عبس وخبطة التابعين لمحافظة المجاردة ^(٣) •

كان الناس يسلكون هذه الطريق قديماً شيئاً على الأقدام ^(٤) • ثم تكاتف بعض

وعند البداية فيها عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) كان ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ويشرف على شؤون الدولة ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود، بسبب مرض الملك فهد بن عبدالعزيز، ثم موته عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، والعمل مازال جارياً في هذه الطريق، عندئذ اقترح بعض سكان محافظة النماص تسميتها عقبة الملك عبد الله، وبقي الأمر هكذا حتى جاء افتتاحها، ثم تسميتها بهذا الاسم المهم والجيد الذي يدل على توحيد البلاد وتوحيد الله (عز وجل) على منهج واحد هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) •

(١) من يقرأ أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الحديثة يدرك الخوف والرعب وعدم توفر الأمن في البلاد. ثم تحول الوضع في عهد الملك عبد العزيز الفيصل وأبنائه (غفر الله لهم جميعاً) إلى حياة أمن ونمو واستقرار لجميع أجزاء البلاد والعباد (قلله الحمد والشكر). كما أخبرني أهل النماص في رحلتي الأخيرة (١٤٤٢/٢/١١هـ) إن عقبة سنان تم إيقافها لمدة أسبوع بعد افتتاح عقبة التوحيد. ثم فتحت مرة ثانية، حتى تكون رديفاً لعقبة التوحيد لو جرى فيها بعض الخراب والهدم. والعقبان (سنان، والتوحيد) مفتوحتان حالياً، ويرتاذاها الكثير من الناس ذهاباً وإياباً، والطريقان تلتقيان في أعالي مركز خا، ومنه إلى مدينة المجاردة •

(٢) قبائل بني التيم السروية مجموعة من القبائل الشهيرة شمال محافظة النماص، ويتبعون حالياً مركز وادي زيد الإداري الذي مقره قرية العرق على الطريق العام.

(٣) للمزيد انظر توصيلات أكثر في صفحات تالية عن مركزي عبس وخبطة، وهما من مراكز محافظة المجاردة في تهامة بني شهر وبني عمرو. وعقبة تلاع سهلة التضاريس، وتسلكها سيارات عديدة ومتنوعة في أحجامها وأنواعها. المصدر: مشاهدة الباحث ونزوله وصعوده فيها خلال رحلته في سروات بني شهر وبني عمرو (١٤٤٣/٢/١١هـ) •

(٤) هناك عقبات قديمة قريباً من عقبة تلاع مثل: عقبة غمام تنزل من شفق آل رحمة إلى وادي عبس، وعقبة لحبي من سروات قريتي لحبي وآل قحطان إلى وادي الغيل في مركز خا. والباحث وقف عند بداية هاتين

أعلام وادي زيد ، وطالبوا قبائلهم والدولة بفتحها طريقاً تسلكها السيارات ، وأثمرت جهودهم ، وتم افتتاحها بالجهود الأهلية عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) . وبدأت وزارة المواصلات ، بشكل رسمي ، في فتحها عام (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، وبذلت جهوداً تذكر فتشكر حتى انتهت منها في نهاية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، ويبلغ طولها حالياً (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) حوالي عشرين كيلاً ، وعرضها من (٨-١٠ م) ^(١) .

٥- عقبة بني عمرو :

تقع شمال مدينة النماص بحوالي (٢٨-٤٠ كم) ، وتتنزل من أشعاف عمرو الشام حتى تلتقي مع عقبة تلالع في مركز عبس . بدأ تنفيذها في عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) بتعاون قبائل بني عمرو ومشاركة بعض قبائل بني شهر وبلقرن ، وتم الانتهاء منها في نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ / ٢٠م) . وطولها حوالي (١٢ كم) وعرضها يتراوح من (٥-٧ م) . كما قامت وزارة المواصلات (النقل حالياً) بعمل بعض الصيانة لأجزاء فيها ، وإنشاء مصدات لبعض المواقع . وهي عقبة صعبة ، والكثير من تضاريسها وعرة ، فلا يسير فيها إلا السيارات الصغيرة والمتوسطة القوة ، وتحتاج إلى خدمة أكبر وصيانة أفضل حتى تسلكها السيارات بسهولة ^(٢) .

في النماص مرافق عمرانية أخرى كالآبار القديمة فقد شيدت جدران معظمها بالإسمنت ، وهناك آبار أخرى عديدة ارتوازية ^(٣) . وفي المحافظة بعض السدود مثل :

- ١ . سد وادي ترج على بعد (٣٠ كم) شرق مدينة النماص ، ويتسع لعشرة ملايين متر مكعب .
- ٢ . سد وادي شعبان المعروف أيضاً بسد بدوة وسعته مليوني متر مكعب .
- ٣ . سدود أخرى كسد وادي حضر ، وسد شرق حلباء ، وسد بني عمرو . وجميعها متفاوتة في أحجامها ، وأزمانها التاريخية ، وأغلبها تحتوي على نسب جيدة من المياه ^(٤) .

ومياه التحلية جلبت من أبها إلى محافظة النماص ، وشيدت خزانات مياه كبيرة في جبل شعير في بلاد قبيلة بني بكر بمدينة النماص ، وفي بحائل مركز وادي زيد . وقد حلت هذه

العقبتين في السراة ومازال بعض الناس يطرقونها مشياً على الأقدام من باب الترفيه والنزهة .

(١) هذا الطريق من العقبات المهمة التي يسلكها أناس كثيرون لسهولة ، وربطها بين نواحي رئيسية في تهامة والسراة . وتستحق أن تدرس وتوثق في عمل علمي رصين .

(٢) لم أشاهد هذه العقبة لكن سمعت أخبارها عند بعض أعلام عمرو الشام .

(٣) بعض الآبار القديمة لها تاريخ ، وقد اندثر بعضها ، ومازال البعض الآخر يحتوي على مياه محدودة . وآبار الارتواز منتشرة في عموم المحافظة ، لكن الكثير منها لا تعمل بسبب الجفاف ، وقلة المياه .

(٤) تاريخ السدود في سروات وتهامة بلاد الحجر (بلحمر ، وبلسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) جديرة بالدراسة والتوثيق مع دعم هذه البحوث بالصور الفوتوغرافية الملونة .

المشاريع المائية مشكلة كبيرة عند سكان المحافظة، ومازال هناك خزانات جديدة يراد استكمالها في شمال المحافظة^(١) . وذكر لي أن هناك ثلاثة مشاريع لتقنية مياه السدود، وهي:

١. مشروع سد بدوة، وانتهى العمل فيه .
٢. مشروع سد بني عمرو ويذكر أنه على وشك الانتهاء .
٣. مشروع ترج وهو حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تحت الإنشاء^(٢) .

الناظر في بعض المدرجات الزراعية يلاحظ أنها مبنية بأحجار قديمة، لكن بعض السكان قاموا بتغطية هذه المدرجات بالأسمنت حتى تزيد من قوتها واستمراريتها . وآخرون أزالوا الأحجار واستبدلوها بالبلك والإسمنت . كما شاهدت جميع المقابر في المحافظة محاطة بأسوار مسلحة من عمل البلديات، وتم إصلاح ورصف بعض جوانب الطرق الرئيسية والفرعية، وفي بعض الأماكن تم تشييد جدران استنادية مسلحة حتى تمنع سقوط الأحجار والأتربة. نفذت بعض هذه المنجزات العمرانية في أجزاء من الطريق العام الرابط بين أبها والطائف، وفي بعض العقبات مثل التوحيد، وسانان، وتلاع، وبني عمرو^(٣) .

٤- مشاهدات وانطباعات على محافظة النماص في التاريخ المعاصر . بقلم .

د. عبدالله بلقاسم البكري الشهري^(٤) .

أ- توطئة :

ذهبت في رحلة في بعض المحافظات العسيرية السروية والتهامية، وعندما وصلت مدينة النماص في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) التقيت بالأخ العزيز الدكتور عبدالله بن بلقاسم البكري الشهري فأخبرته أنني في رحلة ميدانية من تنومة إلى المجاردة، ولمعرفتي قدرته على تدوين بعض مشاهداته عن محافظة النماص وما جاورها طلبت والحيت في الطلب على أن يكتب بعض انطباعاته الحديثة والمعاصرة عن محافظات تنومة، والنماص، والمجاردة . وبعد اصراري الشديد، وكون الرجل على قدر كبير من الحياء والأخلاق وعدني بما طلبته منه . وعند عودتي إلى أبها بقيت على اتصال مستمر أحته

(١) مشاهدة الباحث وزيارته لهذه الخزانات في (٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) مقابلة الباحث لعدد من أعلام محافظة النماص الذين زودوه ببعض المعلومات عن هذه السدود .

(٣) مشاهدات الباحث أثناء سيره في المحافظة في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) عبدالله بن بلقاسم البكري الشهري من مواليد مدينة النماص . يحمل درجة الدكتوراه في علم الإدارة التربوية، عمل في مهنة التعليم، وتقلد العديد من الأعمال الإدارية، وهو عضو في عدد من اللجان والجمعيات المحلية . يعيش حالياً في النماص، وتقاعد عن العمل منذ عدة سنوات . للمزيد عن سيرته الذاتية، انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠١١م)، ج٢، ص ٣١٥-٣٢٠ (الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ٣٠٨-٣١٩ (ابن جريس) .

وأسأله عما فعل ، وكل مرة يقول قريباً (بإذن الله تعالى) . وبدأ فعلاً في الكتابة عن حاضرة النماص ، وحتى يتخلص من سؤالي وإلحاحي المستمر أرسل لي عدة صفحات ، وكأن لسان حاله يقول : لا تثقل عليّ بكثرة الاتصال والسؤال ، عندئذ توقفت بعض الوقت ، ثم عدت للاستفسار والطلب بإرسال ما وعد به . وبعد حوالي ثلاثة أسابيع أخبرني بأنه لا يستطيع الكتابة عن محافظتي المجاردة وتنومة ، وسوف يرسل لي ما تم إنجازه عن النماص ، عندئذ استسلمت لقراره ، وقلت له ، جزاكم الله كل خير ، أرسل العمل الجاهز ، فأرسل لي هذه الورقات التي أوثقتها في هذا الكتاب تحت اسم : مشاهدات وانطباعات الأستاذ الكريم على محافظة النماص في التاريخ المعاصر . أدون هذا العنوان وأنا مقتنع وأعلم بأن الدكتور عبد الله بن بلقاسم علم من أعلام السروات^(١) ، وذلك بعلمه ، وأدبه ، وأخلاقه ، وحبه لفعل الخير . وفي الصفحات التالية أترك هذا الأستاذ الكريم يروي ما عاصره وشاهده في بلاده (محافظة النماص) .

ب- مشاهدات وانطباعات على محافظة النماص في التاريخ المعاصر^(٢) :

التقيت أستاذنا المؤرخ الدكتور غيثان بن علي بن جريس من جديد ، وحدثني عن رحلته الأخيرة إلى كل من النماص وتنومة والمجاردة ، وطلب إلي المشاركة عما أعرفه عن هذه المحافظات وبحيويته الدائمة وشغفه المشتغل يبعث في محدثه الرغبة للكتابة ، وبحث عن مدخل يمكن أن يكون إضافة للموضوع ، فوقع في خاطري أن أقوم بجولة موازية ورحلة لهذه المحافظات^(٣) ، أتقل فيها بروح الرحالة وعيون المؤرخ ، وجاء السؤال الصعب . ما الذي يمكن أن يكتب الرحالة أو الأديب أو المؤرخ في زمن الصورة حيث يوثق الناس أدق تفاصيل حياتهم وجزئيات معاشهم وينقلون المشاهد من مدنهم وأحيائهم وشوارعهم وحيطانهم وأثاث منازلهم يتشاركونه مع كل العالم عبر الفضاء الإلكتروني؟^(٤) ، ما الذي أبقوه للرحالة

(١) كوني أدرس وأوثق وأجمع تراث بلاد السروات وتهامة من أكثر من أربعين عاماً . أقول إن هذه البلاد عرفت رموزاً وأعلاماً كثيرين على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر . أتمنى أن نرى باحثين جادين يجمعون سير أعلام هذه البلاد ثم تطبع وتشر حتى يستفيد منها أجيال الحاضر والمستقبل . (ابن جريس) .

(٢) وصلتني مدونة الدكتور ابن القاسم بدون عنوان ، مع أنه أرسلها على الواتس في الهاتف النقال باسم (رحلة في النماص) عندئذ غيرت العنوان إلى ما تم رصده أعلاه . لأن حديث الكاتب شمل أجزاء في عموم المحافظة . (ابن جريس) .

(٣) الدكتور عبد الله وعد أن يدون مشاهداته على المحافظات الثلاث ، لكن بعد أن دون صفحات محدودة عن النماص ، رأى عدم قدرته ، وربما عدم رغبته الكتابة عن محافظتي تنومة والمجاردة ، ونقول له شكراً على ما تم رصده عن ديرته (محافظة النماص) . (ابن جريس) .

(٤) البحث العلمي يحتاج إلى عمق وصبر وجدل لتدوين معلومات صحيحة وحيادية ، أما وسائل التواصل المختلفة اليوم ، ففيها الكثير من الخلط المعرفي ، وعدم الدقة في تدوين الصحيح والحقيقة . (ابن جريس) .

ليدهشهم أو يثريهم أو يضيف إليهم، ما الجديد في زمن (google map) حيث الخرائط وصور المدن ثلاثية الأبعاد والمباني والصور والمقاطع تكتظ بها الانترنت؟

ولاح لي أنه بقي الكثير الكثير، فالرحالة والمؤرخ والأديب ليسوا مجرد كاميرات فوتوغرافية ناقلة بل هم جزء من المشهد، يسكبون ألوانهم في لوحة المكان، فتبدو شيئاً مكتظاً بالحياة والحركة وأبعاد الماضي والحاضر والمستقبل. وتخللت بعد مائة عام حين يقرأ الناس هذه الرحلة التي لا تخبرهم عن هذه المدن فحسب، بل تحدثهم عن الإنسان في روح الكاتب، وكيف نظر إلى مدينته وقريته في ساعة من التاريخ، وكيف وصفها وعبر عنها، فالكتابة تأريخ للغة للمشاعر للثقافة للارتباط بين الإنسان والمكان، وكل هذه المواد المصورة والمسجلة عبر الشبكات، تبدو قابلة للضياع والنسيان، غير قادرة على الصمود لعقود طويلة أو قرون، بخلاف الكتابة والكتاب^(١).

بدأت رحلتي في النماص المدينة التي عشت فيها أكثر عمري وأعرفها كما أعرف بيتنا، قررت أن أرتحل فيها من جديد، أزورها هذه المرة بعيون رحالة، وعقل مؤرخ، ومسؤولية ناقل. بدأت من جنوبها وارتقيت قمة عالية تشرف على كل المدينة، لأحتضن صورة كاملة لها، وبجواني في هذه القمة كانت خزانات مياه التحلية الضخمة التي تأتي مياهها من البحر الأحمر تغذي المدينة وقرأها^(٢)، تذكرني بسعادة الناس قبل سنوات قليلة بتدفق المياه إليهم، لتهني قللاً مؤلماً من أزمت المياه، ومخاوف من شحها، وغور المياه في آبارها الجوفية^(٣)، لقد كان نقل مياه التحلية للجبال مشروعاً مثالياً تم إنجازه خلف المدن فلم يسمعو له ضجيجاً ولم يرهقهم الانتظار وألم تأخر المشروعات، ولم يشعروا إلا وصهاريج مياه التحلية تجول في المدينة وتسكب الماء العذب في بيوتهم، ومن وجهة نظري أن هذا المشروع أحد المشاريع التحويلية الأربع الكبرى التي نقلت النماص إلى عصر جديد^(٤). أولها طريق الطائف أبها، وثانياً التعليم، وثالثها الصحة بافتتاح المستشفى، ورابعها وصول المياه.... وتأمين الأمن المائي^(٥).

(١) غفر الله لك يا ابن بلقاسم إن أدركت ذلك، واستشعرته، ثم وثقته ضمن هذه المدونة التاريخية المعاصرة، التي سوف يطلع عليها الأبناء والأحفاد في قادم الأيام. (ابن جريس) *

(٢) تاريخ المياه ومصادرها في القرون والعقود السابقة موضوع جديد في بابه، يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس) *

(٣) مازال هناك أناس وأمكنة في عموم السروات بحاجة إلى هذه الخدمة الضرورية، أمل أن نرى عموم السراة وتهامة مخدومة بتحلية المياه، والدولة وفقها الله لا تألو جهداً في تحقيق ذلك. (ابن جريس) *

(٤) وأيم الله أن هذه الحقيقة، فتراني في ذهاب وإياب بين أبها والنماص، ولم أشاهد هذا المشروع منذ البداية حتى النهاية. نعم أسمع عنه في مجالس الناس العامة والخاصة، لكن لا أعرف الخطوات والمراحل المتبعة في تنفيذه حتى الانتهاء منه *

(٥) أخي عبد الله أشرت إلى موضوعات عديدة ومهمة (طريق أبها الطائف والتعليم، والخدمات الصحية

ومن ذات المكان ألتفت إلى الغرب إلى حركة السيارات القادمة من الغور التهامي، من طريق التوحيد، المشروع الذي كان حلم الناس في السراة وتهامة، الذي افتتح للتو قبل نحو شهر من كتابة هذه الرحلة، ليصل النماص بالمجاردة لم يكن طريق التوحيد مجرد شريان بين مكانين، بل كان كما قال القصيبي في جسر الملك فهد:

درب من العشق لا درب من الحجر هذا الذي طار بالوحدات للجزر

ولئن كان الجسر إلى البحرين قد طار بالوحدات إلى الجزر، فقد حمل طريق التوحيد السهل إلى الجبل. فالارتباط بين النماص والمجاردة ومراكزها وقراها ارتباط تاريخي عميق ونسيج قبلي واحد، ومنظومة اجتماعية واقتصادية منذ قرون، ورغم عوائق التضاريس ووعورة الجبال، لم تنفصل السراة عن تهامة يوماً^(١)، وظل الإنسان يكابد مشقة الطريق وخطورته نزولاً وصعوداً، وكان افتتاح عقبة (سنان) الأهلية للسيارات قبل أربعين عاماً تحولاً كبيراً رغم شدة وعورتها، فقد أنساب أهل السراة إلى السهل التهامي الواسع، وأضافوا إلى حياتهم خياراً مناخياً دافئاً في شهور شتائهم الباردة، في بيئة يعرفونها ويألفونها وهي امتداد لقبائلهم وأنسابهم، ولما كانت إقامتهم تمتد لأشهر تحولت إقامتهم المؤقتة إلى إقامة شبه دائمة فبنى الكثيرون بيوتاً واتخذوا بساتين، وشاركوا في التجارة، ونظراً لطبيعة السراة الجبلية فلم تكن خياراتها واسعة كسهل تهامة المضياف المتسع، فكان أهل تهامة يكتفون في الغالب بإقامة مؤقتة في أشهر الصيف^(٢).

مع مرور الأيام زاد عمق الارتباط بين النماص والمجاردة واشتدت أشواق الناس لطريق حضاري ومشروع حكومي يسهل انتقالهم بين المحافظتين وإلى ما وراءهما، وكانوا على موعد مع ذلك، بالبداية في مشروع (طريق التوحيد) الذي واجه الكثير من العوائق

ممثلة في مستشفى النماص). وهذه المشروعات الكبيرة أضافت لسروات بني عمرو وبني شهر مميزات كثيرة، وخدمت الأرض والناس. أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه الميادين الثلاثة في ثلاثة بحوث أو ثلاث رسائل علمية منذ منتصف القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣/هـ/٢٠٢١م). (ابن جريس) .

(١) أشرت إلى طريق التوحيد، الطريق الجديدة التي تربط السراة بتهامة. ومن يقرأ في كتب التراث وبخاصة الأنساب والأحداث التاريخية والحضارية التي عاشتها بلدان السراة وتهامة منذ العصر الحجري إلى الآن، يجد أن العلاقات بين الطرفين قديمة متجذرة، لكن هذه الصلات لم تدرس بعد دراسات علمية مؤقتة، أمل أن نرى علماء التاريخ والآثار والأنساب يساهمون في إثراء هذا الجانب علمياً وبحثاً. (ابن جريس) .

(٢) الطرق (العقبات) التي سلكها الناس قديماً في الذهاب والإياب بين بلاد السراة وتهامة. وكذلك التداخل الحضاري الذي عاشوه في الماضي، ويعيشونه اليوم موضوع ثري بأحداثه وأخباره التاريخية والحضارية. ولم أر حتى الآن (١٤٤٣/هـ/٢٠٢١م) باحثاً أو باحثين أو مؤسسة علمية أكاديمية تخدم هذا الموضوع في دراسات عميقة ورصينة، والذهاب في حزون وأجزاء السروات الغربية حتى سهول تهامة يلحظ الكثير من المؤهلات الحضارية التي خلقت مجتمعات بشرية وحيوانية وكائنات نباتية متنوعة. (ابن جريس) .

والتأخير، على مدى أكثر من (٢٠) عاما، ظل حديثا للمجالس، ومادة للسمار، والناس يلاحقون أخبار الطريق الواعد بالأشواق، ويتشوفون لكل جديد عنه، ويبشر بعضهم بعضا بأي تطور في الطريق، حتى كان موعدهم مع الافتتاح، الذي كان تعبيرهم عن الفرح به لا يحتاج إلى حروف ولا كلمات، بل بتدفق المركبات فيها، حيث اكتظ الطريق النازل والصاعد بالسيارات من أوله إلى آخره لعدة أيام، وبعضهم يصعده وينزل في اليوم أكثر من مرة لحجم سعادته به، ويتوقف الكثيرون على جنباته، فتحول لمنزله بطول الطريق^(١)، لقد كان ميلادا لمرحلة جديدة اختصرت المحافظتين في محافظة واحدة، كأنما تنتقل عبره من حي إلى حي، عشرون دقيقة فقط وتسعة عشر كيلومترا في طريق تعبره السيارات الصغيرة بلا مشقة أو عناء، يجد الإنسان نفسه في الصيف قد انتقل من لفح الأربعين درجة مئوية إلى نسيمات باردة في (٢٠) درجة مئوية بينما لم يبرد فنجان الشاي الذي معه ولم ينسكب أيضا باهتزاز مركبته، وحين سيأتي الشتاء ينتقل الإنسان من الصقيع اللاسع إلى الدفء في غضون تلك الدقائق، لقد فتح الطريق الخيارات والتفضيلات (بفضل الله) أمام الناس بلا حدود، وسيكون له آثار اقتصادية واسعة، وسيؤثر بشكل واضح على اقتصاد المحافظتين والمحافظات المجاورة، إذا من المتوقع أن يكون بديلا وخيارا مفضلا للراغبين في السفر إلى مكة وجدة، وسيكون الخيار المفضل للمصطافين أيضا من المحافظات الساحلية وسهل تهامة، وسيجعل كل إضافة اقتصادية أو تنمية لأي من المحافظتين فكأنما هي للمحافظة الأخرى، ومن ميزات الطريق أنه شق في أرض مكتظة بالتاريخ والتراث، ومواطني أقدام السابقين^(٢)، فكل منعطف فيه معروف اسمه، ومزدحم بالقصص والروايات، والآثار، والحلل (الأحياء القديمة) المتأثرة على سفوح الجبال في الطريق مما يوفر مادة للسياحة التاريخية، كما يوفر الطريق القدرة على التنقل بين ثقافات متنوعة وعادات مختلفة ولهجات في بيئات متقاربة وأطباق وموائد^(٣)،

(١) نزلت مع هذا الطريق أثناء رحلتي لجمع مادة علمية عن محافظتي النماص والمجاردة، وهي طريق سهلة، لكنها تقع في عروض منحدرات السراة الشديدة، وقد ينجم عنها سقوط الأتربة والصخور التي قد تؤذي المارة، أرجو أن يكون هناك بعض الجهود لبناء مصدات خرسانية، أو أي عمل يقلل مخاطر هذه المشكلة. (ابن جريس) •

(٢) للأسف الكثير من الناس، وبخاصة المؤرخين والباحثين، لا يدركون ذلك. وهذا الذي جرى لبلاد السراة وتهامة. فكتاب التراث والمؤلفين الأوائل لم يعيروها اهتماما في بحوثهم وأعمالهم العلمية القديمة، والجامعات ومراكز البحوث الحديثة لا تلتفت أيضا لهذا الأمر، ومن ثم لم يحفظ تراثها وموروثها عبر العصور. أمل أن نرى في مؤسساتنا العلمية المعاصرة من يتنبه لهذا الأمر، ثم يحفظ شيئا من تراث وحضارة هذه الأوطان العربية المجادة • (ابن جريس) •

(٣) من يذهب في عموم بلاد السراة وتهامة بعين الباحث والمتأمل فإنه يجد التنوع الثقافي والحضاري المعرفي الذي تنعم به البلدان التهامة والسروية، وهي ميادين خصبة في مجال الدراسات التاريخية والأثرية والحضارية. (ابن جريس) •

يمنحك ثراء في رحلتك ٠ وأقول: إن طريق التوحيد سيكون نقطة فاصلة بين زمنين تنموين في المحافظتين، وسيفتح آفاقاً في كل المجالات (بإذن الله تعالى)، ولا زال الزمن مبكراً لمشاهدة الآثار العميقة التي سيحدثها افتتاح هذا الدرب^(١).

سأدع (طريق التوحيد) الآن وألقت إلى الشمال إلى قلب مدينة النماص حيث بدت المدينة متجددة كما لم تكن قبل ست سنوات، ولأن كاتب الرحلة، كان معاصراً للتحول في السنوات الست الماضية، فستكون فرصة لتوثيق بعض أخبار هذا التحول، فرغم أن المدينة عتيقة ولها تراث قديم، وبدأت أهميتها مبكراً بعد توحيد المملكة العربية السعودية^(٢)، وتوفرت لها الكثير من الخدمات لكنها لم تتوسع بقدر صوحيباتها من المدن التي بدأ تاريخها التمدد معها في نفس الوقت أو قريباً منه في المنطقة، وربما هناك عوامل أدت إلى ذلك، كانت المحافظة بحاجة ماسة للتخطيط الحضري، إذ يلاحظ أن المدينة تكبر بطريقة تقليدية وفق التجمعات السكنية القديمة مما كساها سمة العشوائية، التي أدت إلى تعويق التمدد الحضري والتخطيط العمراني المنظم^(٣)، وقبل ستة أعوام تم تعيين رئيس بلدية جديد في المحافظة هو الأستاذ / يحيى بن خلوفا القحطاني، ومع أنه في خواتيم خدمته الوظيفية لكنه كان مهتماً بالحماس والرغبة في الإنجاز، والتقى بالمجلس البلدي وعبر في أول لقاء له معهم عن تشخيصه لأهم مشكلات المدينة، وأنه لاحظ خلال تجوله فيها أنها قرى منفصلة بينها شوارع ضيقة، ولحل هذه المشكلة لا بد من شق طرق رئيسية تعطيها الشكل الحضري اللائق بها. ومن توفيق الله أن المجلس البلدي السابق قد أقر شبكة طرق وتم اعتمادها من الجهات المختصة، لكن تنفيذها يحتاج إلى جهد كبير جداً، وتعاون بين جهات كثيرة، وشعر المجلس البلدي أنه أمام رئيس بلدية متحمس وكفاءة إدارية قادرة على تغيير جوهر في شكل المدينة، فانضم المجلس بكل طاقته للمساعدة في تحقيق هذا الهدف، وبدأت رحلة التغيير التي

(١) ما من شك أن سهولة الدروب التي تصل السراة بتهامة تعود بأثار إيجابية كثيرة على عموم الناس السرييين والتهاميين. وقد قرأنا ثم شاهدنا الآثار الجيدة التي وفرتها عقبات الهدى بين مكة وجدة، والطائف، وعقبات المخواة، وشعار، وضلع على سكان السراة وتهامة من بلاد اليمن إلى الحجاز. وكل هذه الشرائين الحضارية جديرة أن تدرس وتوثق في أعمال علمية بحثية كبيرة. (ابن جريس) ٠

(٢) بلدة النماص (مدينة النماص) وما جاورها قديمة جداً، تعود إلى الوراثة مئات السنين. والذهاب في أرجاء محافظة النماص ونقوشها ورسوماتها الصخرية يتأكد له صحة عراقية هذه البلاد، وقدم تاريخها وحضارتها. (ابن جريس) ٠

(٣) الذهاب في أرجاء مدن وحواضر تهامة والسراة من مكة والطائف إلى نجران وجازان يلحظ العشوائية طاغية على هذه البلدان، وإن استحدثت مواقع ومخططات حديثة، إلا أن الأمكنة القديمة مازالت تشكل عقبة كبيرة لوزارة ومؤسسات البناء والتخطيط في عموم المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) ٠

بدا للجميع أنه حان وقتها بالتفكير في اتجاهات مسارات الطرق داخل المدينة، إذ كان في المحافظة شارع رئيسي واحد هو طريق الملك فيصل، وأصبح الطريق يعاني من الاختناقات المرورية خاصة في فصل الصيف، مع وجود العديد من الإشارات الضوئية عليه، مما يعيق الحركة، ويجعل المدينة مجرد محطة طريق للقادمين من أبها إلى الطائف، بدون عمق حضري في الشرق والغرب، فاقترح رئيس البلدية توحيد المسارات بطريقة تلغي الإشارات الضوئية وتضيف طريقاً آخر للمتجهين شمالاً، بحيث يكون اتجاه طريق الملك فيصل القائم للمتجهين جنوباً فقط، مما يساعد في فك الاختناقات المرورية، مع تغيير في مسارات الشوارع التي تربط بين الاتجاهين وبالتشاور مع المجلس ولجنة التنسيق المرورية، وموافقة الجهات المختصة ودعم إمارة وأمانة المنطقة، بدأ تنفيذ المقترح، الذي كان كأي تغيير كبير يمس جميع المواطنين فقد صار مادة للنقاش وحديث المجتمع، ومع ما لقيه من قبول واسع، كان هناك بعض الملاحظات والاعتراضات من البعض الآخر^(١)، وعبروا عن وجهة نظرهم في داخل المجلس البلدي بطريقة متحضرة، وشرحوا بعض السلبيات المترتبة واقترحوا بعض التعديلات، ومضى التغيير وغير شكل المدينة، وبالانتهاء من التنفيذ بدأت تظهر إيجابيات جديدة، وتختفي بعض العوائق وبدأ كأن النماص تغير ثيابها •

بدأت المرحلة الأهم وهي فتح محاور جديدة في المدينة، وكان شارع بلال قد بدأ العمل فيه من قبل، فتم تسريع العمل فيه وإنجازه ليكون أول شارع بمفهومه الحضري الصحيح يصل بين شرق المحافظة وغربها ومعه نشط سوق الخضار والماشية، وبدأت الأنشطة التجارية على الشارع، واتصلت أحياء شرق المدينة بوسطها • ولما كان شارع بلال قد بدئ العمل فيه، فقد كان إتمامه أسهل، من ابتداء محاور جديدة بالكلية، كشوارع التعاون الذي يربط أحياء المدينة الشرقية ببقية أجزائها، ويحتاج إلى تضافر جهود البلدية والمجلس والمجتمع، وبتوفيق من الله، ومع وجود العوائق الكبرى والصعبة المادية والمعنوية فقد تم إنجاز المشروع وكأنما تدفق شريان من الحياة وتجددت الحركة من الشرق إلى الغرب والعكس، وتعمقت المدينة وتحولت من مجرد قرى على ضفاف الطريق إلى مدينة أعمق، وبعد شارع التعاون وبشكل مواز بدأ العمل في عدة شوارع كشوارع الملك سلمان، والتحلية، والمنشية، والخاضرة، وشحر، وشارع ولي العهد، والحزم، وكلها شوارع معتمدة في الشبكة المحلية، لكنها انتقلت من الأوراق إلى الأرض^(٢) •

(١) إن كل عمل جديد يقابله مؤيدون ومعارضون، وقد جلست في مجالس عديدة، وسمعت اختلاف وجهات النظر في هذا التخطيط الجديد الذي دعمه رئيس البلدية ثم نفذ. ووضع المدينة اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه سابقاً، فجزى الله هذا الرئيس خير الجزاء، وجزى الله من ساعده وأيده على تنفيذ خطته • (ابن جريس) •

(٢) من المؤكد أن هذه المشاريع كانت مدروسة ومخططة على الورق منذ سنوات، لكن عندما توفرت القيادة الناجحة

من العوامل الكبرى التي ساهمت في إحداث هذا التغيير التنموي هو ما يسمى بالجهد الذاتي للبلديات، الذي توظف فيه البلدية معداتها وعمالها لإنجاز الأعمال التي لا تتوفر لها بنود كافية من الميزانية، فقد تمكن الرئيس الجديد الأستاذ يحيى بن خلوفا القحطاني من تفعيل هذا العامل بشكل كبير، وبشخصية إدارية متميزة تمكن من بث الحماس في فريق العمل معه، مع إشرافه الدائم وحضوره المستمر، وشخصيته الكاريزمية .

وللمسؤولية التاريخية حين أكتب هذه الأسطر فإن المجتمع شعر بنقلة تنموية جيدة في هذه السنوات الست توازي عدة عقود، وللإنصاف فإن هذه النقلة بعد فضل الله - عز وجل - ثم إنفاق الحكومة السخي، تمت بثلاث عوامل هي :

١. رئيس البلدية الأستاذ يحيى بن خلوفا القحطاني ، وأتعمد التنويه باسمه مرة بعد مرة، لأنه جزء من واجب التاريخ أن يحفظ حقوق المنجزين ، ويسجل شهادة على عملهم، فقد امتاز هذا الرئيس بقدرة على فهم واقع المدينة واحتياجها مع شخصية عملية متفانية تحب عملها وتتحمس له، وقدرة على بناء فريق العمل، وبث الحماس فيه، مع المتابعة المستمرة، والشجاعة الأدبية التي تتحمل أعباء التغيير ومصاعبه، وحين يشاد به فإنه في الوقت نفسه يشاد بمن كانوا معه وأعانوه من فريق العمل في البلدية، وكل من لم يظهر اسمه في كتاب أو ورقة فإن الله تعالى لا يضيع أجر العاملين^(١) .

٢. المجتمع المحلي الذي كان على درجة عالية من الوعي والتحضر والمدنية والمشاركة الإيجابية، والتضحية، والمرونة الكبيرة مع البلدية والمجلس البلدي، والإسهام المباشر في تذليل الصعوبات والعقبات^(٢) .

٣. المجلس البلدي : رغم دوره الرقابي والاستشاري إلا إن أعضائه كانوا مشاركين في التخطيط والتنفيذ مساندين لرئيس البلدية وفريق عمله في الواقع، والاتصال

المخلصة ممثلة في رئيس البلدية ، الأستاذ يحيى بن خلوفا ، ومن حوله بعض الجادين المخلصين تحققت هذه النجاحات ، وهذه التطورات العمرانية التخطيطية التي عادت بالفائدة والنفع لعموم الناس . (ابن جريس)

(١) شكر الله لك يا دكتور عبد الله بلقاسم على حفظ لمحات من جهود هذا الرجل الذي بذل قصارى جهوده في الارتقاء بمدينة النماص حضارياً وتنموياً . وأقول غفر الله له ولمن كان عوناً له في تحقيق هذه الخدمات والمشاريع النافعة والمثمرة لعموم سكان المحافظة ، أو من زارها أو سار من خلالها . (ابن جريس)

(٢) هذا أنت يا عبد الله بلقاسم تذكرهم بخير، وهناك الكثير أمثالك يذكرونهم ويدعون لهم بكل خير . والله - عز وجل - لن يضيع أجورهم (بإذنه تعالى) ، أما من حاول تأخير أو تعطيل هذه المشاريع النافعة للبشرية ، فقد غيبيهم التاريخ ، والله - عز وجل - يطلع على قلوبهم ونياتهم ، وهو الحكم بين عباده . (ابن جريس)

بالمواطنين، وحل المشكلات، والتواصل مع الجهات العليا^(١).

هذا مقتضى الإنصاف من وجهة نظري، وقد يوجد بعض الآراء التي تحب أن تمنح الإنجاز لعامل واحد، وللحقيقة هذا التغيير البلدي لم يكن ليحدث لولا توفيق الله تعالى، ثم تضافر هذه العوامل الثلاثة معاً، وربما يكون بعض هذه العوامل أكثر تأثيراً من غيرها، وهذا يحتاج إلى دراسة مفصلة ومعايير عادلة لبيان ذلك، لكن المؤكد أنه من المستحيل حدوث هذا الأمر بفقدان أحد هذه العوامل، مهما كان تأثير العاملين الآخرين. ورغم هذا التغيير فإنه يظل خطوة في طريق التنمية الطويل، فالنماص مدينة مزدهمة بمعاني الجمال والجاذبية، وبيئة واعدة لكل آفاق التنمية الاقتصادية والتنمية والسياحية والتراثية والاثنية، وقد تركز التغيير في وسط المدينة ولا زال جنوبها وشمالها بحاجة لتغيير كبير كالذي حدث في مركزها^(٢).

تنزل إلى النماص حيث نعيش هذين العامين كما يعيش العالم الوباء الذي يسمونه (كوفيد ١٩) أو (كورونا)، وهو أول وباء منذ عشرات السنين، وربما هو أول وباء يشهده الجيل المعاصر، ولم يبق ممن شهد أوبئة أخرى سابقة إلا القليل من المعمرين، ونحن الآن في أيامه الأخيرة إن شاء الله، حيث وصل إلى بلادنا في رجب من سنة (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) وقد عم العالم في العامين الماضيين، وتسبب في أحوال جديدة لم يعرفها الناس من قبل مثل الحجر الصحي، والإلزام بالبقاء في المنازل، وفرض حظر التجول في أوج الوباء، وهو وباء تنفسي يسببه فيروس يشبه فيروس الأنفلونزا كما يقول الأطباء، لكنه أخطر منه وخاصة على كبار السن وذوي الأمراض المزمنة، ولم يعد غريباً أن ترى جميع الناس في الأسواق والجوامع والمساجد وعلى وجوههم الأقنعة، ولا يكاد يعرف بعضهم بعضاً، وقد أحزن الناس ما سببه ذروة الوباء من إغلاق المساجد والجمعات، وتباعدهم بعد فتح المساجد بحيث يصلون متفرقين جماعة، بين المصلي والمصلي متر ونصف أو متران وصلوا تراويح العام الأول من المرض في بيوتهم، وأغلقت المدارس واتضح أثر الوعي والتعليم على تعامل الناس مع الحدث المحزن من التزام بالاحترافات والمحاذير، وتحريمهم لما ينبغي لتقليل آثار هذه الجائحة، وقد فقد كثيرون أحببتهم في آلاف من الذين ماتوا منه على مستوى البلاد، وملايين في العالم، ثم فتح الله على عباده باكتشاف اللقاحات التي تقوي مناعة الناس من الوباء، ويسر الله الحصول

(١) إن رئيس البلدية (ابن خلوفة) لا أعرفه، ومع صدقه وإخلاصه في عمله، لكنه لو لم يجد رجالاً مخلصين يرجون المصلحة العامة لمدينتهم ومحافظتهم، لما كان تحقق هذا الإنجاز النافع للجميع. وأسأل الله - عز وجل - أن يوفق كل مخلص محب لخدمة دينه، وأهله وبلاده، والله الهادي إلى سواء السبيل. (ابن جريس)

(٢) ما زالت المحافظة بحاجة إلى طرق كبيرة تربط أجزاءها ببعضها، مع الحرص في الحفاظ على البيئة والغطاء النباتي، حتى تكون بلاد جاذبة للزوار والسواح من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها. (ابن جريس)

عليها في بلادنا بحمد الله بسهولة ويسر^(١). أثرت الجائحة على كثير من وجوه الحياة، لكن كما قيل: مصائب قوم عند قوم فوائد. فحين أدت الجائحة إلى إغلاق المطارات والدول في العالم، احتاج الناس في السياحة أن يأتوا إلى المدن السياحية ومنها النماص، وحصل انتعاش ملحوظ في عدد السياح في العام الماضي، مع عوائق السفر للخارج وتحفظات الدول على الزائرين، بالإضافة إلى تحسن الخدمات في النماص وغيرها .

تأخذنا الرحلة إلى شرق النماص نحو معلم حضاري ، ظل عبر التاريخ من محاور التحضر وعمران المدن، وهو سد ترج، وهو بحيرة كبيرة يصل طولها إلى أربعة كيلومترات، وعرضها نصف كيلومتر، مع ارتفاع يصل إلى (٢٥) متراً، مشكلاً سطحاً مائياً واسعاً يصلح أن يكون نقطة حضارية ، أو وجهة سياحية، في هذا الوادي التاريخي القديم الذي كان مأسدة، لايجرؤ على السير فيها إلا فرسان الرجال وشجعانها، حتى قالت العرب: أجراً من ماش بترج، ولم يعد الأمر كذلك فقد صار المشي في ترج آمناً للناس جميعاً ، والحمد لله، وماؤه خلف بحيرة السد متاح للجميع، وليس لحاجز الأزدي وحده كما قالت أخته:

أحي حاجز أم ليس حيا فيسلك بين جندف والبهم
ويشرب شربة من ماء ترج فيصدر مشية السبع الكليم

هناك طريق معبد تم إنجاز أكثره يوصل إلى السد، وهو جزء من حلم الأهالي بمتابعته إلى محافظة بيشة ليكتمل مربع الوصول إلى المدينة من جهاتها الأربع ويختصر طريق الوصول إلى بيشة والرياض، وحول السد بيئة وجبال مختلفة عن قمم الجبال المشرفة على تهامة، جبال يسكنها الصمت، حيث تبعد عن صخب المدينة، في أجواء هادئة تمتد منخفضة نحو أغوار نجد، في سلاسل من الجبال المتتابعة، وبينها الشعاب والوديان، وأكثر دفئاً من وسط النماص^(٢).

المتحدث عن النماص لا ينبغي له أن يجاوز الحديث عن التعليم فيها، لأن الكاتب كان معاصراً ومعاشياً لواقع التغيير في التعليم في العقدين الماضيين فإن من الإنصاف القول بأن العام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) كانت بداية مرحلة مختلفة للتعليم في النماص

(١) جائحة كورونا في المملكة العربية السعودية بشكل عام ، وفي بلاد السروات وتهامة أثرت على الحياة العامة والخاصة . وتستحق أن تدرس أحداثها ، وأثارها . أمل من جامعاتنا المحلية أن تساهم في توثيق شيء من تاريخ هذا المرض القاتل . (ابن جريس) .

(٢) ترج كواد وبلاد متنوعة التضاريس له تاريخ وذكر في كتب الأدب واللغة والتاريخ ، يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية . حبذا أن نرى أقسام التاريخ واللغة في جامعتي الملك خالد وبيشة تشجع طلابها وأساتذتها لدراسة هذه البلاد في بحوث علمية رصينة . (ابن جريس) .

وتنومة، وذلك للتغيير الجوهرى الذي حدث في إدارة التعليم فيهما، فقد كانت الإدارة منذ تأسيسها إلى ذلك العام في مرحلة يمكن أن يطلق عليها مرحلة التأسيس، تعاقب علي إدارتها فضلاء، لهم اجتهادهم الإداري الخاص بهم، وأترك لمعاصريهم ومن عمل معهم الحكم على الحقبة الإدارية التي عاصروها^(١)، أما ما شاهدته عن قرب فكان بدءاً من (١٤١٧-١٤٣٢هـ/ ١٩٩٦-٢٠١١م) وذلك بتكليف الدكتور ظافر بن سعيد بن حبيب مديراً للتربية والتعليم، والمجتمع المحلي لا تزال ذاكرته مليئة بالذكرى الحسنة لإدارته، لكن هذه الأسطر تحاول الكشف عن أسرار وعوامل النجاح والتطوير الذي وافق هذه الفترة وما بعدها، ويأتي في مقدمتها شخصية المدير الجديد الذي جاء بفهم عميق لكل مصاعب وعوائق الإدارات السابقة، فقد عاصرها بنفسه وتدرج في سلم التعليم معلماً ومديراً ومشرفاً تربوياً وموجهاً ورئيساً للإشراف وشاهد الصعوبات التي واجهها سلفه وطريقة تعاملهم معها، مما كون لديه رؤية شمولية للمشهد التعليمي وأزمته وفرص النجاح فيه، يغذي هذا الفهم شخصية تواقة للنجاح محبة للعمل، صاغ من خلالها قيادة يمكن أن نسميها قيادة الفرسان الذين يصرون على الالتزام بالأخلاق والفضيلة والعدل في ممارساتهم الإدارية اليومية^(٢). ورافق هذا التغيير تحول في وزارة التربية بقيادة الوزير الدكتور محمد الرشيد (رحمه الله) الذي دفع باتجاه منح الصلاحيات لمديري التعليم ليتمكنوا من التعامل مع مشكلاتهم بفعالية أكثر، فكان التعليم في النماص وتنومة على موعد مع قدرهم الطيب من الله تعالى، وكما قال جرير مع التصرف في بيته

جاء الإدارة إذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

شرع بالاهتمام بالمباني المدرسية وذلك بالتوسع في بناء المدارس والمنشآت التعليمية وتحسين المباني وتطوير بيئة العمل، حدث في إدارته بناء الإدارتين البنين والبنات (سابقاً)، وعشرات المدارس، بل تحولت المدارس بالكامل إلى مدارس حكومية، وتم الاستغناء عن المدارس المستأجرة، وتحسنت المباني المدرسية، وتوفرت المرافق والوسائل

(١) تاريخ الحياة العلمية والثقافية والفكرية واللغوية والأدبية في محافظة النماص وعموم السروات من نجران إلى الطائف ميدان كبير يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث ليس في العصر الحديث، لكن منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر. وأقسام التاريخ في جامعات الباحة، وبيشة، والملك خالد، ونجران عليها مسؤوليات كبيرة تجاه هذا الموضوع المهم فتدرس أعلامه، وبيدياته ثم إحدائه. وإذا تأملنا في العصر الحديث من القرن (١٢هـ/ ١٨م) حتى الآن فإننا نجد الكثير من المصادر والوثائق والسجلات التي تفيد في خدمة هذا الجانب الكبير. (ابن جريس) *

(٢) حبذا يا دكتور عبد الله أنك دونت لنا بعض اللحظات التاريخية عن مسيرة التعليم العام في النماص منذ بداية هذا القرن ٢٠هـ/ ٢٠م)، فهناك أعلام كان لهم دور ريادي في بناء التعليم وتطويرة. (ابن جريس) *

التعليمية بشكل كبير^(١). وحصلت الإدارة ذات العدد المحدود من الطلاب، التي تأتي في فئة أقل الإدارات طلابا وطالبات على جوائز ومراكز متقدمة، وكثيرا ما تكون مشاركتها فعالة ومتميزة، ونظرا لشخصية المدير المنفتحة على الجديد والمرنة في التعااطي معه، فقد كانت الإدارة تسبق كثيرا من الإدارات الكبيرة الأخرى على مستوى المملكة في تبني التقنية ونظم المعلومات، ومع بعدها عن المدن التجارية التي توفر الأجهزة والمعدات اللازمة والبرامج، لكنه كان موفقا في معرفة الكفاءات وتعيين الخبرات فاستقطب في كل تخصص ألمع الكفاءات المخصصة المتوفرة، مما جعلهم يتبنون مفهوم الإدارة الإلكترونية منذ وقت مبكر. وأذكر في هذا الإطار أنه تبنى برنامجا من تطوير القطاع الخاص لنظام الاختبارات وتدريب المدارس على ذلك في وقت مبكر قبل أن تتبنى الوزارة نظام (معارف)، وكان مقتنعا بضرورة التدريب للتطوير المهني للمعلمين والعاملين في هذا المجال شهد العقدان الماضيان تحولا جذريا لمفهوم التدريب، فقد فتح كل ما يمكنه أمام المعلمين والإداريين للارتقاء بذواتهم، بإكمال دراستهم الجامعية أو الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه، وذلك لهم الصعاب، وأبدى غاية المرونة في مساعدتهم، وفي الوقت نفسه شجع على الالتحاق بالدورات التدريبية في الوزارة ومعهد الإدارة. كما طور التدريب في الإدارة ببناء مراكز التدريب وتطويرها وتجويد مخرجاتها، فكانت بعض مراكز التدريب تفوق تجهيزات بعض الجامعات^(٢).

وطور العلاقة بين المشرف التربوي والمعلم ومدير المدرسة والمعلم ببناء مفهوم جديد يقوم على التكامل وتبادل الخبرات والتعاون بينهما وأنهى فكرة التصيد والمتابعة وملاحقة الأخطاء، وأدرك أنه ليتشارك الجميع في أهداف التعليم لا بد أن يكونوا شركاء في القرار، فكان يوسع دائرة التشاور مع زملائه حتى يكاد لا يترك أحدا، دون أن يكون شريكا في كثير من القرارات.

ومن عوامل النجاح لمدير التعليم أنه انفتح على المجتمع المحلي مصفيا لهم متفهما لكل معاناة تتعلق بالمدارس والطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات، محاولا قدر الإمكان تغييرها أو التخفيف منها، كما طور الجهاز الإداري وحين أتاحت الدولة فرصة التوظيف والترسيم وتحسين الوضع الوظيفي، كان يتابع بنفسه للحصول على أقصى ما يمكن من

(١) حبذا أنك فصلت الحديث عن هذه المدارس والمقرات المعمارية، كيف تم الحصول على أماكنها، وكيف شيدت مع ذكر العقبات التي واجهت عمارتها. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا ابن بلقاسم على توثيق هذه المعلومات عن مدير التعليم، وكنت أتمنى أن تذكر أهم الرجال والنساء الذين كانوا سنداً وعونا كبيرا حتى تحققت هذه النجاحات الجيدة (ابن جريس).

ذلك للإدارة مع نزاهة ظاهرة في سلوكه، في تحري العدل والبعد عن الاستئثار بأي مزايا وظيفية. ومن الأشياء المهمة التي يجب الوقوف عندها، وأعتقد (شخصياً) أنها كانت جزءاً من عوامل توفيقه، هي قدرته على استيعاب الآخرين وأخطائهم وترفعه عن الحقد والكيد لهم مهما كانت إساءاتهم وصدق الذي قال:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

في هذين العقدين كانت هناك تحولات جذرية كبرى على مستوى المملكة منها دمج تعليم البنين والبنات، مما جعله يواجه مهمة الدمج الصعبة بما فيها من إلغاء لمراكز إدارية وأقسام، والتعامل مع منظومة عمل جديدة، وقد نجحت الإدارة في ذلك نجاحاً كبيراً وسريعاً، واحتوت الآثار الناجمة عن التغيير، وكل هذه النجاحات لا يمكن تجييرها لمدير التعليم وحده، فقد ساهم كل فريق العمل معه، لكن القيادة التربوية المتميزة وترسيخ مفهوم القيادة الأخلاقية وفرن بيئة قابلة للنجاح، والاستمرار وقد واصل بعده الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم وفريق العمل مع النجاح أيضاً حتى تقاعده^(١).

(١) غفر الله لك يا عبد الله بلقاسم، فقد وثقت وقفات جيدة ونافعة (بإذن الله تعالى) ، لكن كنت أتمنى أنك أسهبت الحديث عن تاريخ الناس في محافظة النماص كما عاصرته ومازلت تعاصره خلال السنوات الست التي أشرت إليها في حديثك ، مع ذكر بعض التحولات الاجتماعية والثقافية والمعرفية التي وفدت إلى المحافظة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وإشارتك إلى عالم التقنية ، فهي الأخرى لها آثار إيجابية وسلبية على حياة الفرد والأسرة والمجتمع وكنت أمل أنك وثقت شيئاً من ذلك . (ابن جريس) .

رابعاً: محافظة المجاردة :

١- مدخل :

تقع محافظة المجاردة في الشمال الغربي من منطقة عسير ، ومساحتها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تقريباً (٤٠ كم × ٦٥ إلى ٧٠ كم)^(١) يحدها من الجنوب محافظة بارق ، ومن الشمال محافظة العرضيات (العرضية الجنوبية تحديداً) ومن الغرب محافظة القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة ، ومن الشرق سفوح السروات الغربية ، ومن بعدها محافظة النماص في السراة^(٢) .

أثناء رحلتي في مناكب محافظة المجاردة في الفترة (١٠ - ١١/٢/١٤٤٣هـ) ، شاهدت الكثير من تاريخها المعاصر، وسوف أشير إلى لمحات من ذلك في صفحات تالية من هذا المحور . لكن لي مع عموم بلاد المجاردة بحوث ودراسات ورحلات سابقة ، ولا أريد أن أكرر ما سبق تدوينه وطباعته ونشره خلال الثلاثين سنة الماضية ، وإنما أشير إلى معظم الأعمال العلمية المنشورة لمن يرغب الاطلاع والاستزادة عن هذه المحافظة التهامية ، وهي على النحو الآتي :

أ- رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٢/٩/١٤١٣هـ) :

هذه رحلة ميدانية قمت بها في بعض أجزاء المجاردة قبل ثلاثين عاماً (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، وسجلت صفحات تاريخية حضارية عديدة عن هذه البلاد ، ونشرت في أكثر من وعاء علمي ، ولمحافظة المجاردة ذكر حسن في مادة هذه الرحلة^(٣) .

(١) هذه مساحة تقديرية طويتها بالسيارة ، وقد تزيد أو تنقص قليلاً حاولت جاهداً أن أجد المساحة الدقيقة من بلدية المجاردة لكنني لم أصل إلى مبتغاي . (ابن جريس) .

(٢) هذا الذي شاهدته ووقفت عليه في رحلتي الأخيرة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ) . (ابن جريس) .

(٣) وثقت في هذه الرحلة جوانب حضارية عديدة شاهدها في مدينتي المجاردة وخاط عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) . انظر غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢ ، ص ٤٤٥-٤٥٦ . الطبعة الثانية (مطبوعات جامعة الملك خالد) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٤٢٧-٤٣٦ . والرحلة نفسها نشرها محمد بن أحمد معبر في كتابه: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (٢-١٥هـ/٨ق-٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، (الجزء الثاني) ص ٦١٨ - ٦٢٦ انظر المراجع وهذه الرحلة في موقعنا الإلكتروني (Prof- ghithan.com) .

ب- تصويبات وإضافات على كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين**(١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) (الطبعة الأولى) (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) :**

احتوت هذه التصويبات على ثلاث دراسات لثلاثة أساتذة من محافظة المجاردة ، دونوها نهاية عام (١٤٢٧هـ) وبداية عام (١٤٢٨هـ) (٢٠٠٧م) ^(١) ومعظم إضافاتهم وتصويباتهم على الكتاب المذكور أعلاه ركزت على الجزء التهامي في بلاد بني شهر وبني عمرو (محافظة المجاردة) . ومن يقرأ الكتاب الذي صوبوه وراجعوه في طبعته الأولى عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) يجد جل مادته ركزت على البلاد الشهرية والعمرية السروية ، خلال قرنين من الزمان (١٣- ١٤هـ/ ١٩-٢٠م) ، ولم تتل الأجزاء التهامية التابعة لهاتين القبيلتين (بني شهر وبني عمرو) نصيباً جيداً من مادة الكتاب في الطبعة الأولى . وبالتالي جاء هؤلاء الباحثون الثلاثة فدونوا تفصيلات مهمة وجيدة عن محافظة المجاردة ، ثم نشرت مشاركاتهم في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/ ١٩- ٢٠م) ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ^(٢) وأسماء ومشاركات الباحثين الثلاثة على النحو الآتي :

(*) محمد علي آل الحجيني الشهري :

الأستاذ محمد (الدكتور حالياً) في التاريخ الحديث ، من طلابي وأصدقائي المميزين الجادين دون إضافاته وتصويباته في (٣٣) صفحة فصّح بعض الأخطاء التي وقعت فيها في الأجزاء التهامية من بلاد بني شهر وبني عمرو (محافظة المجاردة حالياً) ، ثم أضاف تفصيلات كثيرة عن الغطاء النباتي ، والتركيبية السكانية ، وصفحات أخرى في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتعليمية ، والجميل أن جميع مادته العلمية موثقة بـ (٨٧) حاشية دونها في خمس صفحات في نهاية دراسته ، كما أشار إلى العديد من المصادر والمراجع التي تصب في خدمة عمله العلمي عن محافظة المجاردة وما جاورها ^(٣) .

(١) كانت بلاد بارق في ذلك التاريخ تتبع محافظة المجاردة ، وفيما بعد استقلت بارق بمحافظة تتبعها بعض المراكز ، وانحصرت محافظة المجاردة في خمسة مراكز إدارية ، سوف أذكرها في صفحات تالية من هذا القسم . وبلاد بارق الواقعة بين محافظتي محاليل عسير والمجاردة تستحق أن يوثق تاريخها وحضارتها الحديث في بحث مستقل . (ابن جريس) .

(٢) طبعت هذه الطبعة في مطابع الحميضي بالرياض (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ، ومشاركات الباحثين الثلاثة غطت عشرات الصفحات من هذه الطبعة ، ص ٣١٩- ٣٩٥ . ثم طبع الكتاب نفسه طبعة ثالثة عام (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) ، وطبعة رابعة (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) ، ص ٢٦٢ وما بعدها . انظر الطبعتين الأخيرتين (الثالثة والرابعة) في موقعي الإلكتروني (Prof-ghithan .com) . (ابن جريس) .

(٣) انظر الدراسة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/ ١٩- ٢٠م) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٢٠- ٣٥٣ . (ابن جريس) وصدر من الكتاب حتى الآن أربع طبعات . (ابن جريس) .

(*) مفرح بن حبسان العمري ^(١) :

الأستاذ مفرح من العاملين في مجال التعليم العام ، ومن سكان مركز خايط ، أهم مراكز محافظة المجاردة ، والمادة التي شارك بها جديدة في مادتها العلمية ، ومستقاة من مصادر محلية جمعت بين خبرة الباحث ومعرفته لبلاده خايط ، وأيضاً مصدر: الرواية ومقابلته لبعض أعلام ورموز مركز خايط . وجميع المادة الموثقة في دراسة ابن حبسان محصورة على أرض وسكان مركز خايط ، ومتنوعة في ميادينها من جغرافية إلى التركيبة السكانية ، وشملت بعض المجالات الاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية والتعليمية . وهذه المدونة قد تكون لبنة رئيسية لأحد المؤرخين أو الباحثين الذين يدرسون تاريخ وحضارة مركز خايط بمحافظة المجاردة في قادم الأيام ^(٢) .

(*) علي بن عبدالرحمن بن سرده الشهري :

الأستاذ علي كان من منسوبي التعليم العام في محافظة المجاردة ^(٣) ، وثق مادة جيدة جداً عن مدينة المجاردة بشكل خاص ، وعن المحافظة على وجه العموم فذكر لمحة من تاريخها وتركيباتها الجغرافية والبشرية ، ثم دون جوانب عديدة عن الحياة الإدارية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتعليمية ، والتنمية والسياحية ^(٤) . والجميل عن التاريخ المدون أنه صدر من رجل يعيش في المحافظة منذ طفولته حتى تاريخ مشاركته في (٢٩ / ١ / ١٤٢٨ هـ) ^(٥) .

(*) وسبب الإشارة إلى هذه الخلاصات عن هذه المشاركات الثلاث يعود لبعضالأسباب التي أدرج أهمها في النقاط الآتية :

١ . إن التاريخ الحديث الموثق في البحوث الثلاثة جاء بناءً على خطاب أرسلته إلى كل واحد من الباحثين قبل إعادة طباعة كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ - ١٤ هـ / ١٩ - ٢٠ م) ^(٦) . (الطبعة الثانية) ، وطلبت منهم قراءة الطبعة الأولى من

(١) انظر نبذة من سيرته في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية) ، ص ٣٥٤ .

(٢) انظر دراسة مفرح بن حبسان العمري في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية) ص ٣٥٤ - ٣٦٩ .

(٣) انظر نبذة من سيرته في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ - ١٤ هـ / ١٩ - ٢٠ م) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٦٩ .

(٤) ما تم تدوينه جيد ومختصر ، وربما يصبح من الموضوعات الجديدة لطالب دراسات عليا فيتوسع في توثيقه ودراسته وتحليلية عن محافظة تهامة تشتمل على الكثير من المؤهلات التاريخية والحضارية الحديثة والمعاصرة .

(٥) انظر هذا التاريخ في نهاية مشاركته المدونة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ - ١٤ هـ) ، (الطبعة الثانية) ، ص ٣٩٤ .

(٦) أرسلت خطاباً إلى العديد من أعلام بلاد بني شهر وبني عمرو وطلبتهم قراءة الكتاب في طبعته الأولى ثم تصويب الأخطاء أو إضافة ما يروونه . وكان الأستاذة محمد الجحيني ، ومفرح بن حبسان ، وعلي بن سرده من أولئك

الكتاب وإضافة وتصويب ما يفيد البحث ويخدم الأرض والناس في أوطان بني شهر وبني عمرو ، وتعمدت أن يكون هؤلاء الأساتذة الثلاثة من الأجزاء التهامية في هذه البلاد المعنية في الكتاب. وقد تجاوزوا (الجحيني ، وابن حيسان ، وابن سرده) مشكورين فدونا معلومات قيمة شملت محافظة المجاردة في جوانب تاريخية وحضارية عديدة ^(١).

٢. ارتحالي في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جعلني أشاهد تطورات تاريخية عصرية وحديثة ، وسوف أذكر شيئاً منها في سطور تالية من هذا المحور . وارسلت واتصلت ببعض الأساتذة الثلاثة الذين دونوا صفحات من تاريخ حضارة بلاد المجاردة قبل عقد ونصف ، وطلبت منهم أن يساهموا معي في هذه الرحلة الحديثة ببعض العلوم والمعارف المعاصرة في بلادهم ، وقد اعتذروا ما عدا الأستاذ علي بن عبد الرحمن بن سرده شارك بصفحات عديدة ، سوف أنشرها في صفحات قادمة من هذا القسم ^(٢).

٣. الهدف من الإشارة إلى أعمال هؤلاء الباحثين الثلاثة عن محافظة المجاردة ، إشعار الباحثين والمؤرخين عن تاريخ محافظة المجاردة في العصر الحديث ، لمن أراد قراءة أو معرفة شيء من تراثها وحضارتها . وأيضاً عدم التعمق في رحلتي الحالية (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فأكرر شيئاً مما ذكره هؤلاء المشاركين ^(٣).

ج - بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث :

هذا البحث رسالة ماجستير لطالبي النبيل الأستاذ حسن بن فيصل بن محمد الشهري من محافظة المجاردة ^(٤). فصل الحديث عن بعض الأسواق الأسبوعية في المجاردة ، وكيف صار وضعها في وقتنا الحاضر. وأشار إلى العديد من الأسواق الحديثة اليومية ، وتعاملاتها التجارية ، كما وثق آثار الأسواق الأسبوعية واليومية على حياة الناس ^(٥).

الأعلام ، وجميعهم يعيشون في محافظة المجاردة . وللمزيد انظر صور من هذه الخطابات في ملحق (٢٥ ، ٢٦) من كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعة الثانية) ، ص ٤٩٦-٤٩٨ .

(١) انظر الدراسات الثلاثة في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية) ، وتقع في حوالي (٥٧) صفحة ، ص ٣١٩-٣٩٤ .

(٢) أشكر الأخ الأستاذ علي بن سرده الذي تجاوب معي في تدوين لمحات من تاريخ المجاردة المعاصر. وعموم بلاد تهامة من مكة المكرمة إلى جازان وما جاورها لم تزل حقها من البحث والتوثيق . أمل أن نرى جامعاتنا المحلية وكلياتها وأقسامها وأساتذتها فيساهموا في خدمة عموم السراة وتهامة معرفياً وبحثياً في شتى المجالات العلمية والأكاديمية . (ابن جريس) .

(٣) لا أدعي الكمال فيما وثقت في هذه الرحلة ، ولا في المادة المدونة من المشاركين الثلاثة ، لكنني أزعم أن هناك صفحات تاريخية جديدة حديثة ومعاصرة عن هذه المحافظة التهامية . وأمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً جاداً يدرس تاريخها بشكل أعمق وأطول خلال قرن من الزمان (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/١٩٢١-٢٠٢١م) .

(٤) انظر نبذة عن سيرته ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الطبعة الأولى) (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ج ١١ ، ص ٧٨ . (الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٧٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ج ١١ ، ص ٧٨-١١٣ .

هـ - من بارق إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءة في بعض الكتب ، والوثائق ، والبحوث) .

أصل هذه المادة رحلة قمت بها شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ) الموافق شهر يناير (٢٠١٧م) في بلدان عديدة من تهامة بدأت من محافظة بارق جنوباً إلى محافظة قلوة في تهامة منطقة الباحة . وتجولت في أجزاء من محافظة المجاردة ودونت صفحات عديدة من تاريخها الحديث^(١) . وأقول إن بحث الأستاذ حسن بن فيصل ورحلتي ومدونتي عن بلاد المجاردة شملت معلومات جديدة في بابها ، وقد تفتح آفاقاً أوسع لدراسات أشمل وأعم عن هذه المحافظة^(٢) .

٢- بعض مشاهداتي وتوثيقاتي على محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) :

مدينة المجاردة المركز الرئيسي للمحافظة ، فيها العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية والاقتصادية: مثل المحافظة ، والمحكمة ، والشرطة ، والدفاع المدني ، والضمان الاجتماعي ، وكتابة العدل ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمستشفى العام ، ومركزان للرعاية الصحية ، وإدارة البيئة والمياه ، ومركز الاتصالات ، وإدارة السجون ، ومركز الهلال الأحمر ، ومكتب التعليم ، وكلية العلوم والآداب للبنات ، والبلدية ، ووحدة الكهرباء ، والبريد ، وإدارة الأوقاف والمساجد ، وإدارة الأحوال المدنية ، والعديد من مدارس التعليم العام ، وفرع جمعية التنمية الاجتماعية ، وبنكان تجاريان (الراجحي ، والأهلي) ، وخمسة مستوصفات أهلية ، اثنان عامان ، وثلاثة طب أسنان^(٣) .

معظم سكان مدينة المجاردة فخوذ عربية أصيلة ، وخالفهم الكثير من العناصر العربية وغير العربية الذين جاءوا إلى المدينة خلال الخمسين عاماً الماضية من أجل

(١) ذكرت نبذة عن أرضها وإنسانها ، ولا أقول إنني شملت كل شيء ، لكنني سجلت صوراً من تاريخها الحضاري الحديث ، وقد يأتي بعدي من يصوب أخطائي ، أو يستكمل ما لم أستطع رصده وتدوينه . انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٢ ، ص ٢٦٠ .

(٢) إن وجود هذه المحافظة عند سفوح السروات الغربية ، وانزواها عن الطرق التجارية التي تصل بين اليمن والحجاز عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث جعلها في عزلة عن غيرها ، وهذا مما أثر على توثيق تاريخها وحضارتها . مع أن المتجول في أرجائها يشاهد الكثير من المعالم الحضارية الجديرة بالجمع والدراسة والتوثيق . كما أنها لا تخلو من آثار مادية سطحية ومدفونة تستحق التنقيب والدراسة .

(٣) مشاهداتي أثناء تجوالي في المدينة في (١٠/٢/١٤٤٣هـ) ، ولا أدعي أنني وقفت على كل مؤسسة حكومية وأهلية ، لكن حاضرة المجاردة تشتمل على معظم الإدارات المهمة والضرورية لخدمة الناس . والتاريخ الإداري لمعوم المحافظة موضوع جديد لم يدرس ، فقد بدأت الإمارة (المحافظة) في مدينة المجاردة من بداية الستينيات (ق١٤هـ/٢٠م) ، ثم المؤسسات الإدارية الأخرى . ومازالت المدينة بحاجة إلى بعض الإدارات الخدماتية مثل كليات جامعية أكثر ، ومراكز صحية طبية وغيرها .

العمل في مهن وحرف اقتصادية واجتماعية متنوعة^(١) والمدينة مقسمة إلى أحياء أو قرى قديمة وما زالت تعرف بتلك الأسماء حتى الآن مثل : الخطوة^(٢) ، والسودة ، وخوكة ، وقرن الميفاء ، والمرصد ، والحديبة ، والحواجر ، والقابل ، وسوق الإثنين ، والقدح ، والموظفين ، والشرف وقضيمة ، وآل فصيل ، وتريبة وغيرها^(٣) .

لا يوجد في المدينة مخططات حديثة كثيرة ، وأكبر مخططاتها الفيصلية رقم (٢+١) ، يقع وسط المدينة ، ويفصل شارع بدر ، الواصل بين المجاردة وخاط ، إلى قسمين ، وهو مملوء بالعمارات الحديثة (سكنية وتجارية) وتتراوح أدوارها من طابق واحد إلى أربعة وخمسة طوابق . ومعظم سكانه من قرى وقبائل محافظة المجاردة ، ويشاركهم مواطنون آخرون من بلاد السراة وبعض المدن والمحافظات التهامية الأخرى . ويقع في هذا المخطط ، وعلى شارع بدر الأنف ذكره معظم المؤسسات الحكومية والأهلية^(٤) .

تشتمل المدينة على الكثير من الشوارع المسفلطة المتفاوتة في أطوالها وعرضها وجودة تشييدها وأهمها وأكبرها :

- ١ . شارع بدر يبدأ من وسط المدينة حتى مركز خاط ، طريق مزدوج عرضه حوالي (٢٥م) . يتفرع منه في الوسط شارع مزدوج بعرض (٢٥م) يصل إلى سوق الإثنين الأسبوعي .
- ٢ . شارع حطين الذي يخرج من وسط المدينة إلى مركزي ختبة وحيد عبس ، وبدائته مزدوجة ، ثم يسير في مسار واحد عرضه حوالي (١٥م) .
- ٣ . شارع الشهداء يخرج من وسط المدينة حتى يتصل بالطريق الرئيسي الذي يخرج من محاليل وبارق حتى العرضيات ، عرضه حوالي (٤٠م) مزدوج ، وعلى الجزء الذي يخرج من المدينة الكثير من العمارات التجارية والسكنية ، وسوف يكون من أنشط الشوارع وأكثرها ازدحاماً في قادم الأيام^(٥) .

-
- (١) تاريخ التركيبة السكانية والجغرافية في مدينة المجاردة موضوع مهم يستحق أن يدرس في بحث مستقل . ومساحة المدينة حالياً تقريبا (١٠ كم × ١٠ كم) .
 - (٢) قرية الخطوة: وسط مدينة المجاردة ، كانت قديماً المقر الرئيسي لبعض المؤسسات الإدارية الحديثة ، وما زالت حتى اليوم معروفة بهذا الاسم ، وبيوتها خليط من العمارة القديمة والحديثة ، ويستوطنها بعض السكان في وقتنا الحاضر . المصدر : جولة الباحث في هذه القرية في (١٠/٢/١٤٤٣هـ) .
 - (٣) لم أذكر كل القرى في مدينة المجاردة وما حولها ، فهي كثيرة ومتفاوتة في مساحاتها ، ومواقعها ، وما زال يعيش فيها أهلها حتى الآن . ومع التمدن الحديث في المدينة اتصلت القرى (الأحياء) بعضها ببعض ، وتسمى أغلب القرى بأسماء عشائرها أو قبائلها .
 - (٤) يوجد على هذا الشارع الكثير من المحلات التجارية والحرفية والاقتصادية الأخرى ، بالإضافة إلى العديد من المطاعم ووحدات الشقق المفروشة . المصدر : مشاهدات الباحث في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .
 - (٥) مشاهدات الباحث في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

٤. شارع أحد الذي يخرج من وسط المدينة تجاه الغرب مروراً بناحية قضيمة يتصل بطريق محاليل العرضيات مزدوج وعرضه حوالي (٣٠ م). ومعظم الشوارع الأخرى داخل المدينة يتراوح عرضها من (٥-١٢ م)، وبعضها أكبر من ذلك، وهناك طرق فرعية مازالت ترابية^(١).

في المدينة معالم عمرانية أخرى عديدة مثل: شارع الفن وسط المدينة، يتكون من حديقة للمشاة، ومسرح يتسع لمئات البشر. وفي بعض جوانبه ألعاب للأطفال، وأماكن للأسر المنتجة. وتعد فيه بعض الاحتفالات والمهرجانات الوطنية، كاليوم الوطني، والاحتفالات والمهرجانات الشتوية. وحالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يوجد فيه مركز لقاحات كورونا^(٢).

في المدينة مساجد وجوامع عديدة تتفاوت في مواقعها ومساحاتها. والجوامع التي وقفت عندها، أو صليت في بعضها: (١) جامع المقر في قرية آل فصيل، مساحته حوالي (٢٥×٣٠ م). (٢) جامع عقبة بن نافع في حي الفيصلية، مساحته تقريباً (٣٠×٣٠ م). (٣) جامع بن سرور على شارع بدر وسط المدينة، مساحته حوالي (٣٠×٢٥ م). (٤) جامع المرصد على طريق سوق الإثنين الأسبوعي، مساحته حوالي (٣٠×٣٠ م). (٥) جامع المستشفى بجوار مستشفى المجاردة العام، مساحته حوالي (٣٠×٢٥ م). وهناك جامع جديد يجري تشييده حالياً جنوب المستشفى العام^(٣).

لاتخلو المدينة والمحافظة من أماكن للترفيه والتنزه. فحديقة البلدية غرب مدينة المجاردة، قريباً من مبنى البلدية، مساحتها تقريباً تزيد عن (٢٠٠×١٠٠ م) مسطحات خضراء فيها بعض الأشجار وألعاب الأطفال، وجلسات للأفراد والأسر، ومن مرافقها مسجد صغير يتسع لـ (٦٠-٨٠) مصلياً^(٤). وحديقة أخرى جنوب شارع الفن وسط المدينة على شارع الحزام، مساحتها تقريباً (١٥٠×١٥٠ م) وفيها بعض الأشجار الجمالية، ومسطحات خضراء وبعض الجلسات^(٥). وإذا تجولت في المدينة وبعض أجزاء المحافظة ترى العديد من المتنزهات البرية عند سفوح الجبال أو على ضفاف بعض الأودية. ومازالت عموم المحافظة تحتاج إلى خدمة وتطوير في مجال السياحة والترفيه^(٦).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه. في صفحات تالية من هذا القسم سوف أتحدث عن آثار جائحة كورونا على أرض وسكان المحافظات الثلاث (تومة، والنماص، والمجاردة).

(٣) تاريخ المساجد والجوامع في محافظة المجاردة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٤) مشاهدات الباحث في (١١/٢/١٤٤٣هـ).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) المرجع نفسه. تشتمل محافظة المجاردة على تضاريس متنوعة من سهول، وجبال، وهضاب، وأودية، والكثير منها صالحة لتعمير بعض المتنزهات والمراكز الترويحية.

(*) يتبع المحافظة خمسة مراكز إدارية، موزعة في أماكن عديدة، وهي على

النحو الآتي :

أ- مركز خايط :

سمي المركز باسم وادي خايط الذي تأتي منابعه من أعالي جبال السروات ويسير غرباً حتى يتصل بوادي بية^(١) . يقع في أقصى محافظة المجاردة من الناحية الجنوبية الشرقية، عند سفوح سروات حاضرة النماص الغربية . يرتبط حالياً بمدينة النماص من خلال عقبتى سنان ، والتوحيد ، يبعد عن مدينة المجاردة حوالي (١٥-٢٠ كم) ، مساحته تقريباً (٢٠×١٠ كم) ، وسكانه وقراه تعود في قبيلتي بني عمرو وبني شهر . ومن قراه القديمة : حيمة ، ووادي الغيل ، وآل شعناء ، وغية ، وآل شغيب القف ، والأفقامة وآل صميد (الرهوة)^(٢) . يتخلل المركز العديد من الطرق المسفلتة المحدودة في أطوالها وعرضها . والمركز حالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) متحضر في مرافقه المعمارية ، فيه العديد من المحلات التجارية ، والمدارس الحكومية للبنات والبنين ، ويتصل بمدينة المجاردة عن طريق مسفلت مزدوج عرضه حوالي (٢٥ م)^(٣) .

ب- مركز عبس :

يعرف هذا المركز باسم (عبس) أو حيد عبس^(٤) ، تأسس عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، يقع في أقصى الشمال الشرقي من المحافظة ، ويبعد عن المدينة من (٣٠ - ٣٥ كم) ، يحده من الغرب والشمال محافظة العرضيات ، وبلاد آل سلمة من محافظة بلقرن في السراة ، ومن الشرق سروات مركزي السرح ووادي زيد ، ومن الجنوب مركز ختبة . ومساحته تقريباً (٧ كم × ١٠ كم)^(٥) وفي المركز عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) بعض المؤسسات الإدارية مثل : إدارة المركز ، ومركز للشرطة ، ومركز للرعاية الصحية^(٦) ، وعدد من مدارس

(١) خايط ، أو وادي خايط معروف بهذا الاسم من قبل الإسلام ، صار مركزاً إدارياً تابعاً لمحافظة المجاردة من عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) .

(٢) هذه القرى اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) مهجورة من السكان ، واستوطن أهلها أمكنة أخرى في مركز خايط وغيره . وسبب هجرة هذه المواطن بسبب صعوبات تضاريسها ، وعدم توفر الخدمات اللازمة فيها . مشاهدات الباحث في يومي (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٣) للمزيد عن هذا المركز قراه ، قبائله ، جباله ، أوديته ، وصفحات من تاريخه الحضاري الحديث انظر دراسة الأستاذ مفرح بن حيسان العمري المنشورة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (الطبعة الثانية) (١٠-١١هـ / ٢٠٠٨م) ، ص ٣٥٤-٣٦٩ .

(٤) نسبة إلى قبيلة الحيد ، إحدى قبائل المركز الرئيسية وهذا ما عرفته وسمعتة منذ أربعين عاماً .

(٥) مشاهدة الباحث وجولته في المركز في (١١/٢/١٤٤٣هـ) . بالإضافة إلى مدونة مكتوبة وصلتني من الأستاذ محمد بن محسن الغزواني الشهري في منتصف شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) .

(٦) هذا المركز تم تأسيسه في مطلع تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

التعليم العام بنات وبنين ، من الروضة إلى الثانوية ، ومكتب للبريد ، ومكتب خدمات البلدية . وتحيط الجبال بالمركز من الجهات الجنوبية ، والشرقية ، والشمالية ، وأشهرها جبلي الصياب والقوس من الغرب ، وجبل شيبان من الجنوب ، وجبل كرفوس من الجهة الشمالية الشرقية . ومن أودية المركز المرحب ، وحمر ، وشيبان ، وبشما ، وساقين ، والظفراء ، والدخول ، والعنقة ، وكثفاء ، والبيضاء . وجميع هذه الأودية تأتي من أعالي السروات ، أو من منطقة الأصدار وتتصل بغيرها في سهول تهامة حتى تصب في البحر^(١) .

قرية حيد عبس أهم قرى المركز ، فيها جميع المؤسسات الإدارية ، وتربطها الطريق المسفلت الذي يصل إلى مدينة المجاردة ، وعرضه حوالي (١٥ م) ، كما تتصل بالسراة عن طريق عقبة تلال التي تصعد إلى سروات وادي زيد . ومن القرية نفسها تخرج الطريق التي تتصل بعقبة بني عمرو ، وفي المركز العديد من القرى الأخرى مثل قرية العروص ، وقرية الدخول ، وقرية الحضن وغيرها^(٢) .

ج- مركز ختبة :

هذا المركز يجاور مركز عبس من الجنوب ، يبعد عن مدينة المجاردة من (١٥ - ٢٠ كم) ، تحد حاضرة المجاردة من الغرب ، وسروات وأصدار وادي زيد من الشرق ، ومركز خايط من الجنوب ، وأجزاء من محافظة العرضيات ومركز عبس من الشمال^(٣) . تم تأسيس المركز في عام (١٤٢١هـ / ٢٠١٠م) . يشتمل على بعض المؤسسات الإدارية ، كإدارة المركز ، ومركز الرعاية الصحية ، ومجموعة مدارس حكومية للبنات والبنين ، من الروضة إلى مرحلة الثانوية^(٤) .

ختبة حالياً (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) بلدة جمعت عدد من القرى القريبة ، وتمتد إدارة المركز على قرى أخرى عديدة مثل: قرى جبل ريمان ، وبطحة بني حسين ، وآل مغلف ، وقرى بني زهير ، وآل حسن ، وآل فارس ، والأصدار وغيرها^(٥) .

(١) رحلة الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ ، ومدونة الأستاذ محمد بن محسن الغزواني الشهري . للمزيد انظر أيضاً رحلتي في أجزاء من تهامة الممتدة من بارق إلى قنوة عام (١٤٢٨هـ / ٢٠١٧م) ، كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٢ ، ص ٢٦٠ .

(٢) مشاهدات الباحث في (١١/٢/١٤٤٣هـ) . ومعظم القرى القديمة ، مازالت ماثلة للعيان ، وتختلط معها الأبنية الحديثة المتفاوتة في مساحاتها ، وطوايقها ، ومرافقها . وتحيط بأراضي المركز القطع الزراعية العثرية والمسقوية المتنوعة في مواقعها ومساحاتها ومحاصيلها .

(٣) مشاهدات الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) المصدر : مشاهدة الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) . ومدونة وصلتني ، عن طريق محمد بن محسن الغزواني الشهري ، مدونة من قبل الأستاذين عبد الله بن معيض الشهري ، وعلي بن زاهر الشهري يوم السبت (١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ٩/٢٠٢١م) .

(٥) لم أت على ذكر جميع قرى المركز ، وإنما أشرت إلى بعضها ، وجميعها مشيدة قديماً ، بالحجارة والطين . وحالياً

من معالم المركز أجزاء من جبال ريمان ، وعيران ، والقرن ، وشيبان ، وسمعية ، والقوس ، وقشبة ، وبعض المرتفعات والهضاب المتفاوتة في ارتفاعاتها ومساحاتها^(١) ، ووادي ختبة أهم أودية المركز ، يسير في الوسط ، ويقسم المركز إلى قسمين شمالي على ضفافه حاضرة ختبة الحديثة ، وعلى جنوبه العديد من القرى القديمة التراثية ، وبعض القلاع والحصون الحجرية . ويصب في هذا الوادي العديد من الروافد الصغيرة ، ويتجه من الشرق إلى الغرب حتى يلتقي مع وادي صيوي ، ويتشكل منهما وادي العقص الذي يصب في وادي جرية في الجزء الشمالي الغربي من المركز^(٢) .

د- مركزا ثربان ، وأحد ثربان^(٣) :

هذان المركزان يقعان غرب الطريق العام الذي يسير من محایل وبارق إلى القنفذة والعرضيات . الأول : يسمى مركز ثربان ، ويبعد عن مدينة المجاردة حوالي (٢٥ كم) ، تأسس عام (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) . يوجد فيه بعض المؤسسات الإدارية مثل مخفر الشرطة ، ومركز للرعاية الصحية . وعدد من مدارس التعليم العام ، كمدرسة حذيفة بن اليمان الابتدائية ، ومتوسطة الأجيال ، وثانوية البخاري . وابتدائية الطلائع للبنات^(٤) ، ومتوسطة وثانوية .

تري العمارات الحديثة منتشرة في كل مكان . وما زال في الكثير من القرى بعض المنازل القديمة المستخدمة من قبل الناس لأغراض عديدة . المصدر : مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(١) محافظة المجاردة محاطة بالكثير من الجبال الكبيرة والصغيرة . ولم أفضل الحديث عن تضاريس هذه البلاد ومعالمها الجغرافية . لكنها مع غيرها من بلاد تهامة الممتدة من قنوة والمخوة شمالاً إلى بيش وصبيا وضمد وفيفاء وبني مالك جنوباً تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية . وهذه مسؤولية أقسام الجغرافيا والتاريخ في كليات الجامعات المحلية في مناطق الباحة ، وعسير ، وجازان .

(٢) مشاهدات الباحث لمحافظة المجاردة يومي (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) . ومدونة الأستاذين عبدالله بن معيض الشهري ، وعلي بن زاهر الشهري ويوجد منها صورة ضمن مكتب د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق ١٥هـ / ٢٠-٢١م) ، ج ٢٠٢ . والمتأمل في موقع مركزي عبس وختبة يجده استراتيجياً في تضاريسه ، ومكوناته الجغرافية ، وإطلالته على بلدان تهامية عديدة في محافظات العرضيات ، والمجاردة ، وبارق وغيرها . مشاهدات الباحث في (١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٣) اسم ثربان يطلق على جبل ، أو جبال ثربان في الجزء الغربي من محافظة المجاردة . وهذه الناحية سلسلة جبلية يسير من خلالها ، أو حولها عدد من الأودية مثل: وادي يبة ، ووادي الأحسرين الشرقي والغربي ، ووادي مغلوث وغيرها . ويقطنها العديد من العشائر التي تعود في أحلافها ونسبها إلى قبيلة بني شهر الحجرية . المصدر : مشاهدة الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في يومي (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٧٤-٣٧٥ .

(٤) الطلائع إحدى القبائل الرئيسية في مركز ثربان ، كانوا في السابق يسكنون المرتفعات في جبال ثربان ، وفي الثلاثين عاما الماضية ، تركوا قمم الجبال ونزلوا إلى السهل وتمدّدوا في كثير من حياتهم العامة والخاصة . ويخالط الطلائع ويجاورهم عشائر أخرى عديدة ، وهم اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) يسكنون في قرى عديدة في المركز ، ومعظم منازلهم ومرافقها حديثة العمران . مشاهدات الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

وسكان مركز ثربان في الوقت الحاضر هجروا أماكنهم القديمة ، وبعض المهن السابقة كالرعي وتربية المواشي بشكل رئيسي ، والتحقوا بالوظائف ومؤسسات التعليم المختلفة . بل الكثير منهم تركوا مواطنهم الرئيسية وانتقلوا إلى المدن والحوضر الكبرى في المملكة العربية السعودية ، وبعضهم ، وبخاصة الطالبات والطلاب ترقوا في سلم المعرفة حتى حصلوا على درجات جامعية متنوعة^(١) .

أما مركز أحد ثربان ، تأسس عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ويقع في أقصى غرب المحافظة ، ويبعد عن مدينة المجاردة حوالي (٤٥ — ٥٠ كم) ، ويجاور مركز خميس حرب ، التابع لمحافظة القنفذة ، من الجهة الشرقية^(٢) . فيه بعض المؤسسات الإدارية والأهلية كمركز الشرطة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومركز للرعاية الصحية ، وفرع جمعية البر الخيرية ، وعدد من المدارس مثل مدرستي المعالي والليث بن سعد الابتدائيتين للبنين ، ومدرسة ابن حيان المتوسطة والثانوية (بنين) . ومدرستي البنات الابتدائيتين بمغلوث وآل مجامد^(٣) ، ومدرستين أخريين متوسطة وثانوية (بنات)^(٤) .

(١) مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) . وحياة التمدن والتطوير الحضاري ليس مقصوراً على سكان جبال ثربان ، وإنما شاهدت أثناء تجوالي في عموم السراة وتهامة خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م) الكثير من الأمكنة ، والقرى والنواحي التي كان أهلها متواضعين جداً في حياتهم التعليمية والاقتصادية والحضارية ثم امتد التطور والتمدن إلى أوطانهم ، فصاروا هم وبلادهم اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يعيشون حياة نعمة ورفاهية وتحضر في شتى الميادين ، وهذا بفضل الله - عز وجل - ثم جهود هذه الدولة (المباركة) المملكة العربية السعودية التي سعت ومازالت تسعى إلى توفير سبل الراحة لكل إنسان في هذه البلاد العربية السعودية الماجدة .

(٢) مشاهدات الباحث أثناء رحلته في محافظة القنفذة في شهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وفي رحلته الحالية في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) . للمزيد عن رحلة المؤلف في القنفذة ، انظر كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (١٠ق-١٥ق/١٦ق-٢١قم) . (الطبعة الثانية ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م) ، ص ٣١١-٣٥٩ .

(٣) مغلوث وآل مجامد أسماء أمكنة وفروع سكانية تقطن مركز أحد ثربان . ينسب المكان إلى سوق الأحد الأسبوعي ، وهو من الأسواق النشطة تجارياً واقتصادياً حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٤) لا أدعي أنني دونت كل الجوانب الحضارية في مركزي ثربان وأحد ثربان ، لكنني وثقت جوانب تاريخية مهمة . أم أن يأتي في المستقبل باحث أو مؤرخ جاد فيدرس محافظة المجاردة ومراكزها من شتى الجوانب .

٣. محافظة المجاردة (شذرات من تاريخها الحديث والمعاصر) عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ^(١) ؛ بقلم . أ. علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهرلي ^(٢) ؛

محافظة المجاردة حاضرة تهامة وعروسها بوابة منطقة عسير من الجهة الشمالية، يتبعها عدد (٥) مراكز إدارية: عبس، وختبة، وخاط، وثربان، وأحد ثربان. تتربع على مساحة جغرافية ذات ميزة تضاريسية خلابة تجمع بين الجبل والسهل والوادي، بها قمم جبال تهوى وريمان ومسلمن وامبكرتين تتحدر من خلالها أودية عبس وختبة وجرية والضمو وخاطة تتلاقى في وادي بية الذي يصب في البحر الأحمر.

تعامل الإنسان مع هذه الطبيعة بكل حب وعشق وولاء حسب إمكانياته فتحت الصخر وشق الأرض وشيد البناء وانتج وابدع لسد حاجته ومتطلبات يومه وليلته بهمة ونشاط وتكامل الأدوار بين فئات المجتمع رجالاً ونساءً وشباباً فظهرت حضارة خلدها التاريخ عبر صفحاته بمداد من ذهب ^(٣) . وقد حضيت محافظة المجاردة في العصر الحديث بالرعاية الكريمة من حكومتنا الرشيدة التي ساهمت في النهضة التنموية في مختلف المجالات، ولنا وقفات مع هذا التغير الكبير الذي شهده المكان والانسان خلال العشر سنوات الأخيرة نوجزها فيما يلي:

أ - التنمية الإدارية :

اكتمال عقد المؤسسات الحكومية الخدمية في المحافظة.. بل أصبحت معظم الإدارات ذات مباني حكومية في طراز معماري حديث.. المحافظة.. مكتب التعليم.. المستشفى العام.. البلدية.. الضمان الاجتماعي.. الدفاع المدني.. الشرطة.. ومركز الرعاية الصحية.. وجميعها تؤدي دورها على مدار العام لكل مواطن ومقيم على أرض المجاردة ^(٤) .

ب - الحركة الاقتصادية :

نلاحظ تزايد الحركة التجارية وفتح فروع شركات كبرى مثل العثيم، والراية، والنهضة، وتوفير المستهلك، وبرج الوسام.. وأنشئت العديد من المصانع المحلية

(١) أرسلت لي هذه النبذة من صاحبها (ابن سرده) فوضعت لها العنوان المدون أعلاه (ابن جريس) .
(٢) الأستاذ علي بن سرده من مواليد محافظة المجاردة ومن سكانها ، عمل في ميدان التربية والتعليم عقوداً عديدة ، وما زال يعيش في مدينة المجاردة حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . انظر المزيد عن سيرته الذاتية في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٢-١٤هـ) ، لغيثان بن جريس ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) ، ص ٣٦٩ . (ابن جريس) .

(٣) من يتجول اليوم في محافظة المجاردة يتأكد صحة عرافة تاريخ هذه البلاد من خلال تراثها العمراني ، وآثارها المادية والمعنوية ، وما تحتوي عليه البلاد من موروث حضاري متنوع . (ابن جريس) .

(٤) صاحب هذه المشاهدات اختصر حديثه عن المؤسسات الإدارية في محافظة المجاردة اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) حبذا أنه فصل التدوين في هذا الجانب . وتاريخ الحياة الإدارية في هذه المحافظة يستحق أن يوثق في كتاب خلال المئة سنة الماضية . (ابن جريس) .

للمياه الصالحة للشرب التي تنتج ملايين العبوات لسد احتياج المحافظة ومراكزها من مياه الشرب النقيه والتوزيع الي عدة مدن داخل المنطقة وخارجها مثل: مصنع ينبوع المجاردة ، ومصنع نقاء ، ومصنع روبن ، ومصنع ينايع تهامة ، وشركة بن ثالبة لمزارع الدجاج وإنتاج وبيع السيراميك ، وشركة عكاظ بن سرور القابضة لمواد البناء والخرسانة وغيرها من المؤسسات المحلية . التي ساهمت بفاعلية في دعم الاقتصاد داخل المحافظة . ولاننس الأسواق الشعبية الأسبوعية ودورها الريادي في النمو الاقتصادي ، كسوق الاثنين المجاردة . وسوق الأحد في أحد ثربان . وسوق خميس خاط . وسوق خميس ثربان الطلاليع . وسوق المواشي والعلف الذي افتتح مؤخرًا على طريق المجاردة سفيان . والبنوك (الاهلي والراجحي) والبنك العقاري ، والتنمية الاجتماعية .

لهذه المؤسسات والأنشطة الاقتصادية والبنوك التجارية دور بارز في دفع عجلة التنمية إلى الأمام بعد أن فتحت مجال تقديم القروض والتسهيلات البنكية للمواطنين لبناء المحلات التجارية والمساكن الحديثة ، حيث تشهد المحافظة نهضة عمرانية كبيرة جدا على اثرها نجد ان الأحياء السكنية في ازدياد .. وآخرها حي العبير السكني الذي تم توزيع أراضيه على المواطنين المستحقين للدعم الحكومي أرض وقرض ، وكذلك زاد من نمو الحركة الاقتصادية توفر وحدات أجهزة الصراف الآلي في المجاردة ومراكزها ونقاط البيع والشراء عبر الشبكة الإلكترونية التي اعتمدت في جميع المحلات التجارية ، بل تم الوصول إلى الشراء من الأسواق العالمية عبر الإنترنت ، كما سعت الشركات الخدمية في تأمين وسائل نقل البضائع من وإلى المحافظة يوميا ، وفتح فروع لها مثل: (زاجل .. سمسا .. أرامكس .. ناقل .. واصل .. البريد السعودي) بهدف توصيل الطلبات من الأسواق العالمية إلى العملاء في المحافظة ومراكزها^(١) .

ج- التعليم والثقافة :

يقدم مكتب التعليم في محافظة المجاردة خدماته التعليمية والإدارية لحوالي (١٠٠) مدرسة بنين وبنات بها أكثر من (١٠) آلاف طالب وطالبة ، وافتتحت كلية العلوم والآداب للبنات في مبنى حكومي حديث كلبنة أولى للتعليم الجامعي ، واعتمد افتتاح مركز دائم لاختبارات القياس والتقويم للبنين والبنات في محافظة المجاردة . وفي الجانب الثقافي

(١) اشكر يا أستاذ علي بن سرده فقد لخصت جوانب عديدة من الحراك الاقتصادي والتجاري في محافظة المجاردة وأشرت إلى الخدمات الاقتصادية والحضارية التي وصلت إلى أرض وسكان البلاد . وكنت أمل أن تفصل أكثر عن هذا التطور الحديث الذي تمر به المحافظة في عصرنا الحديث والمعاصر . وهذا الموضوع يستحق أن يبسط في بحوث عديدة أو في كتاب علمي تفصيلي توثيقي مع الحرص على دعمه بالصور الفوتوغرافية . (ابن جريس) .

تم اعتماد لجنة ثقافية في المحافظة تتبع للنادي الأدبي بأبها لإثراء الحركة الأدبية والثقافية ، فشكلت رافداً قويا ظهرت من خلالها إبداعات الشعراء والأدباء من أبناء محافظة المجاردة في الأمسيات والندوات والحفلات داخل المجاردة وعلى مستوى منطقة عسير^(١) . ولا ننس الصحافة الإلكترونية التي قامت بدورها الصحفي والإخباري اليومي لنشر كل ما يدور في المحافظة من مناشط وفعاليات رسمية وخاصة ، صحيفة المجاردة ، وصحيفة خاط ، وصحيفة ثريان ، والوطن نيوز حيث برزت من خلالها أقلام صحفية محلية تطرح قضايا المجتمع وحاجاته بين يدي المسؤول والرأي العام^(٢) .

د - الرياضة والشباب :

اعتمد نادي الفاروق الرياضي بمحافظة المجاردة رسمياً لرعاية الشباب وصقل مواهبهم الرياضية ومشاركتهم في مختلف الألعاب: القدم، والطائرة، والسلة، والسباحة ، وغيرها على مستوى المنطقة والمملكة. كان للقطاع الخاص مشاركة فاعلة في مجال الرياضة والشباب بإنشاء ملاعب خاصة مزروعة على أحدث طراز تؤجر بالساعة لمزاولة كرة القدم (معشوقة الملايين) . وأنشئت مراكز اللياقة البدنية لمختلف الفئات العمرية من الرجال والنساء ، والاشتراك بمبالغ رمزية شهرية أو سنوية لمزاولة التمارين الرياضية وألعاب القوى والسباحة والعلاج الطبيعي للمسنين ، وغيرها من الخدمات لشغل وقت الفراغ بما يفيد ويعزز الصحة^(٣) .

هـ. المجتمع المحلي في محافظة المجاردة..

يشهد تطورا ملحوظا ومتسارعا تنافسا مع ما تشهده المملكة العربية السعودية من تطور ونماء وفق رؤية المملكة (٢٠٣٠) فقد تسهلت السبل في التعليم والتوظيف والتواصل الاجتماعي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت الشغل الشاغل للصغير والكبير في الجد والهزل ، لما فيها من تنوع معرفي وثقافي وترفيهي أسهمت

(١) اختصرت كثيراً يا أستاذ علي في حديثك عن التعليم والثقافة في محافظة المجاردة ، كنت أتمنى أن تسهب في هذا الجانب ، لقربك من هذا الميدان وملكك فيه سنوات عديدة . أمل أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في جامعة الملك خالد فيدرس تاريخ التعليم والثقافة في تهامة عسير منذ منتصف القرن (٢٠/هـ - ٢٠/م) حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(٢) الإشارة إلى الصحافة الإلكترونية وكذلك التعليم الإلكتروني (العام والعالي ، الحكومي والخاص ، التجاري والتطوعي) كل هذه المجالات حديثة العهد ولها آثار إيجابية كثيرة جداً ، ولا تغلو من الآثار السلبية على الأرض والناس في عموم بلاد تهامة والسراة . حيذا أن تقوم كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية بدراسة هذه الموضوعات في عدد من الدراسات والكتب والرسائل العلمية . (ابن جريس) .

(٣) هذه الإشارات يا ابن سرده جيدة جداً ، حيذا أنك فصلت الشرح على ما تم الإشارة إليه . وتاريخ الرياضة القديم والحديث في محافظات منطقة عسير التهامية أو عموم بلاد تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى جازان موضوع مهم وجديد في بابها حيذا أن يدرس في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٢١ - ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

بصورة واضحة في تحقيق وإنجاز مطالب الفرد والمجتمع الشخصية والرسمية عبر برامج الخدمات الالكترونية مثل: أبشر، توكلنا، ناجز، إحكام^(١) وسهلت الكثير من التعاملات الرسمية للوزارات ذات العلاقة. وهنا نقف وقفة شكر وتقدير لحكومتنا الرشيدة لما قدمته لنا كمجتمع سعودي في الظرف الطارئ الذي نعيشه منذ عامين. (جائحة كورونا) فقد كان للمجتمع السعودي السابق في مجال التقنية من خلال منصة التعلم الإلكتروني عن بعد للطلاب والطالبات حيث تعامل معها بكل كفاءة واقتدار خلال الأعوام الدراسية (١٤٤١هـ، ١٤٤٢هـ، ١٤٤٣هـ)^(٢) ومجتمع محافظة المجاردة جزء من هذا الكيان السعودي الكبير، وشهد المجتمع نقلة نوعية عالية بقيادة المرأة للسيارة، ومنحها الهوية الوطنية باستقلالية في إدارة شؤونها الخاصة والعامة، والتنقل من مدينة الي أخرى بكل يسر وسهولة وفق الأنظمة والضوابط الشرعية. فحمد الله ونشكره على ما نحن فيه من خير ونعمة لا نحصي عددها^(٣).

و- الخدمات الصحية :

يقدم مستشفى محافظة المجاردة العام خدمات كبيرة للمرضى داخل المحافظة والمحولين من خارجها، وتطلع إلى إنشاء المستشفى الجديد المعتمد (٢٠٠) سرير قريباً ان شاء الله تعالى. والقطاع الخاص له دور بارز في توفير الخدمات الصحية، فقد تم افتتاح برج الدواء الطبي بكامل التخصصات، ومجمع دار الشفاء الطبي، ومجمع الشمال الطبي، ومراكز لطب الأسنان، كالصقر، وابن حبتر، وقمر الجنوب، والكثير من الصيدليات المنتشرة داخل المحافظة ومراكزها^(٤).

(١) أشكرك الشكر الجزيل يا أستاذ علي على إشارتك إلى هذه الخدمات الإلكترونية الحديثة (أبشر، وتوكلنا، وناجز، وإحكام) فكل هذه الخدمات الأربع سهلت على الناس الكثير من أعمالهم. بل صارت أساسيات في الحياة البشرية اليومية على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع. وسوف تكون مجالات كبيرة وواسعة لإصدار الكثير من الدراسات العلمية، فتدرسها وتوثق تاريخها وتطورها وأثارها الإيجابية على المستوى المحلي والإقليمي. (ابن جريس).

(٢) أما جائحة كورونا وأثارها السلبية وكذلك الإيجابية على المجتمع السعودي بشكل عام أو على بلاد تهامة والسراة فهي موضوع كبير، والواجب على الباحثين والمؤرخين والجامعات المحلية وكياناتها وأقسامها أن تؤرخ لهذه الجائحة العالمية، وما جلبت أو عاصرها من تحولات تاريخية. (ابن جريس).

(٣) تاريخ قيادة المرأة للسيارة موضوع قديم، فقد جرى الحديث عليه منذ عقود، وكان في المجتمع معارضين ومؤيدين حتى تاريخ (١٤٢٩/١/٦هـ الموافق ٢٠١٧/٩/٢٦م) عندما أصدر الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود بياناً بالسماح للمرأة السعودية بالقيادة على أن يكون التنفيذ في (١٠/١٠/١٤٢٩هـ الموافق ٢٠١٨/٦/٢٤م)، وتم العمل بذلك في التاريخ المحدد، وصار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هناك عشرات المدارس الحكومية والخاصة التي تقوم بتعليم المرأة قيادة السيارة. وتاريخ قيادة النساء للسيارة في المملكة العربية السعودية موضوع جديد في بابه، حبذا أن يقوم بعض المؤرخين والباحثين الجادين بدراسة وتوثيق هذا الموضوع بطريقة شفافه وحيادية. (ابن جريس).

(٤) تاريخ الطب والتطبيب في محافظة المجاردة أو تهامة عسير موضوع جدير بالبحث في عدد من البحوث والرسائل العلمية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). (ابن جريس).

ز- السياحة في محافظة المجاردة :

ليست وليدة اللحظة بل لها تاريخ عريق يمتد لقراءة (٤٠) عاما فقد كنت عضوا لأول لجنة سياحية في المجاردة عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وتم إصدار أول كتيب سياحي عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ومع مرور الزمن تطورت الخدمات السياحية في محافظة المجاردة، وأصبحت ذات طابع شبه يومي، بعد أن توفرت أماكن السياحة من حدائق ومنتزهات وأماكن تسوق وقرى ومساكن قديمة وقريّة غنيّة في جبل تهوي أنموذج، والمهرجان الشتوي السنوي الذي تقدم من خلاله فعاليات ومناشط عديدة تستمر لمدة (٣) أشهر في فصل الشتاء، ومهرجان العسل السنوي، وشارع الفن أكبر شاهد على تميز السياحة في المجاردة، فقد حظيت برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة، وتغطية إعلامية جعلت من المكان مزارا لكل فئات المجتمع من داخل المجاردة وخارجها، وافتتحت مطاعم وأماكن للأسر المنتجة، ومقاهي شعبية وأقسام ذات طابع حضاري متقدم في أكثر من موقع يرتادها الجميع من الرجال والنساء، وزادت وحدات (الكوفي شوب) للمشروبات الساخنة والباردة والوجبات السريعة في أغلب الشوارع والميادين، ومقهى وادي الغيل بمركز خاط أنموذج، وظهرت عربات ترك فوود للشباب السعودي التي أصبحت مصدر رزق يومي لهم ولأسرهم، وللقطاع الخاص دور بارز في المشاركة الفعالة لدعم التنمية السياحية في إنشاء أماكن للتراث الشعبي على هيئة متاحف أهلية يطلع من خلالها الزائر على تراث وتاريخ المحافظة ومراكزها مثل: قرية ربوع بلادي في وسط مدينة المجاردة، ومتحف تركي الغيلاني، ومتحف بن دحمان بمركز الطلاليع ثربان، ومتحف بن خضير ببني زهير. كما تحتضن المجاردة أكبر إناء عسل في العالم التابع لمحل عسل تهامة الذي سجل في مجموعة جينس للأرقام القياسية، وإنشاء الوحدات السكنية المفروشة، والاستراحات والشاليهات السكنية والترفيهية، ومنتجع النخيل، ومون لايت، والشلال، وأحلى مساء، وفندق أرض العسل. كل هذه الخدمات هيئت من أجل راحة واستمتاع الزائر للمحافظة ومراكزها^(١).

ح مشاريع تنموية حديثة، ومعاصرة :

نالت محافظة المجاردة الكثير من الرعاية والاهتمام التنموي، والكثير منها أصبح موجوداً وواقعاً، وبعضها ما زالت في طريق البناء والاكتمال، ومن هذه المشروعات

(١) أشرت يا أستاذ علي في محور (السياحة في محافظة المجاردة) إلى العديد من النقاط الجيدة التي يستحق كل واحد منها أن يدرس في بحث مستقل. وما يحدث في محافظة المجاردة ترى ما يشابهه في محافظات منطقة عسير (تهامة وسراة) بل في عموم البلاد السروية والتهامية وهذه الظفرة الحضارية الحديثة بدأت من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) واستمرت في التطور خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م). واليوم يوجد في هذه البلاد العديد من الجامعات المحلية التي تشتمل على عشرات الكليات والأقسام ومئات الأساتذة وعليهم جميعاً مسؤولية خدمة الأرض والناس في جنوب المملكة العربية السعودية من خلال البحوث والأعمال العلمية الأكاديمية التوثيقية التي تحفظ موروث هذه البلاد وحضارتها. (ابن جريس) *

الحديثة والمعاصرة ما يلي^(١) :

- ١- افتتاح عقبة التوحيد التي تربط بين النماص والمجاردة حيث أصبحت همزة وصل بين طريق أبها والطائف السياحي في السراة وطريق جدة جيران على ساحل البحر الأحمر .
- ٢- مشروع توصيل شبكة المياه المحلاة من محطة الشقيق الي محافظة المجاردة مروراً بمحائل وبارق، وخلال السنتين القادمتين سيبدأ التشغيل ان شاء الله تعالى.
- ٣- مشروع شبكة الصرف الصحي الذي بدأ تشغيله في كافة الأحياء السكنية داخل مدينة المجاردة.
- ٤- مشروع إعادة تأهيل المباني القديمة في قرية الخطوة التاريخية وسط المدينة التي كانت مركز المجاردة وقلبها النابض وأساس حضارتها ..
- ٥- مشروع إعادة بناء سوق الاثنين الأسبوعي المركز الاقتصادي منذ عشرات السنين حيث أصبح ذا مبنى مميز على أحدث طراز يرتاده الناس كل أحد واثنين محتفظاً بمكانته الاقتصادية والتاريخية.
- ٦- مشروع مبنى بنك الراجحي يقع في قلب المدينة حلة جمالية تسر الناظر وأعطت إضافة حضارية للنهضة العمرانية في محافظة المجاردة.
- ٧- مشروع قرية ربوع بلادي التراثية في وسط مدينة المجاردة لصاحبها الأستاذ محمد عبد الله الفاوي جمع فيها تاريخ وتراث المنطقة ومزج بين الماضي والحاضر.
- ٨- مشروع مستشفى المجاردة الجديد (٢٠٠) سرير تم تسليم الأرض واعتمدت له ميزانية من وزارة المالية بحوالي (٢٥٠) مليون ريال وسينفذ قريباً ان شاء الله تعالى.
- ٩- سد وادي بية الذي أنشئ بمبلغ يفوق (١٢٠) مليون ريال ويعتبر من أكبر السدود في المنطقة، حيث يقع بين سدي وادي قنونا شمالاً، ووادي حلي جنوباً، بالإضافة الي سد وادي مليحة بمركز ختبة، وسد بني قيس، وسد الافاقمة بمركز خاط.
- ١٠- شبكة الطرق التي بدأ العمل فيها ستكون قريباً مزدوجة ذات طاقة استيعابية عالية من المجاردة إلى المخوة شمالاً وإلى محائل جنوباً ، وتم فتح طريق المجاردة القنفذة على ساحل البحر الأحمر مروراً بمراكز ثربان، وخميس حرب، وجمعة ربيعة، والقوز . وأقول إن محافظة المجاردة واسطة العقد في هذه الشبكة من الطرق المعبدة حيث أضافت قيمة إيجابية للمكان والإنسان في سهولة التنقل من وإلى المجاردة ٠ (السبت ١٠/ربيع الأول/١٤٤٣هـ)^(٢) .

(١) جميع هذه المشروعات الموثقة في هذا المحور أخذ بعضها سنوات عديدة حتى تم إنجازها ، وصرف عليها مليارات الريالات ، وكل نقطة أو موضوع يستحق أن يدرس في بحث علمي موثق ورضين . (ابن جريس) ٠

(٢) أشكر يا علي بن سرده على هذه الخلاصة الموجزة الجيدة ، التي أمل أن يجد فيها بعض طلاب البحث العلمي مفاتيح تساعدكم لإجراء دراسات أطول وأعمق . مع أنها تحتوي على عناوين مهمة ، وكل عنوان يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية منذ منتصف القرن (١٤/هـ ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣/هـ ٢٠٢١م) . (ابن جريس) ٠

خامساً : صفحات من تاريخ الناس في المحافظات الثلاث :

تتفاوت تضاريس المحافظات الثلاث ، وهذا مما أثر في المناخ فالنماص وتومة باردة شتاءً ، معتدلة الحرارة صيفاً ، بعكس المجاردة الحارة في الصيف والمعتدلة في الشتاء . والمناخ أيضاً أثر على الحياة النباتية والحيوانية ، ففي المرتفعات السروية نباتات وحيوانات تعيش في السراة ، وأخرى لا توجد إلا في الأجزاء التهامية لحرارة الجو في الصيف واعتداله في الشتاء . كذلك الإنسان التهامي يفضل غالباً العيش في أرض حارة أو دافئة ، وأيضاً السرويون ، بخاصة وقت الشتاء ، يخرج أغلبهم من بلادهم إلى أوطان معتدلة المناخ ، ورأيت معظم سكان تومة والنماص ينزلون في فصل الشتاء إلى محافظة المجاردة ، أو نواحي أخرى تمتاز بدفء الجو^(١) .

والناظر في الطبيعة الجغرافية في المحافظات الثلاث (تومة ، والنماص ، والمجاردة) يجد أن المحافظتين السرويتين تمتازان بمناظر طبيعية خلابة وبخاصة منطقة الأشعاف الممتدة من مركز بللسمر جنوباً إلى حدود محافظة بلقرن شمالاً . ففي هذه الناحية مواقع سياحية مكتظة بالنباتات والغابات الكثيفة ، والذي زادها جمالاً فتح طرق (عقبات) تتحدر من سفوح السروات الغربية إلى محافظة المجاردة^(٢) . كما أن محافظة المجاردة لا تخلو من نباتات وغطاء نباتي لا بأس به ، وفيها بعض الأودية الكبيرة ، مثل وادي خاط وغيره ، التي تحتاج إلى خدمة وتطوير يصب في خدمة الحياة السياحية والترفيهية^(٣) .

الذاهب اليوم في أرجاء محافظات المجاردة ، والنماص ، وتومة ، أو أي ناحية سروية وتهامية لا يصدق ما تمر به هذه البلاد من نمو وتطور . وبخاصة إذا كان يعرف أو عاش في هذه الأوطان في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) فقد كانت حياة الناس بسيطة ومتواضعة في كل شيء ، وقبل

(١) هذا الذي يعيشه عموم سكان السراة اليوم من الطائف إلى سراة وادعة وقحطان فهم يتركون بلادهم أوقات البرد ، ويذهبون إلى مناطق دافئة . وتهامة من جازان إلى مكة قبلة معظمهم وقت الشتاء ، ومنهم الكثير الذين يملكون الدور والعقار في الأجزاء التهامية . والتهاميون لا يفعلون كالسرويين ، فنادراً ترى إنساناً تهامياً يصعد إلى السراة ، ويمتلك الأراضي والعقار ، وبعضهم يعملون في بعض المؤسسات الإدارية الحكومية أو الأهلية في البلاد السروية الممتدة من الطائف إلى نجران ثم يستأجرون سكناً ، أو يشترون بيوتاً مدة إقامتهم ، وعند الانتهاء يعودون إلى بلادهم في تهامة . أما السرويون فهم أكثر الناس امتلاكاً للعقار والتجارات في عموم الأجزاء التهامية ، ولم يكونوا كذلك في القرون الماضية لفقرهم وقلة ذات اليد ، لكن عندما توفر المال وتحسنت أوضاعهم الاقتصادية والحضارية بهم الكثير منهم وجهه للعيش والاستثمار في البلاد التهامية .

(٢) هذه العقبات تمر على مواقع ومنحدرات جميلة في طبيعتها ، وبعضها لا تخلو من الأشجار والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها وفوائدها .

(٣) يوجد في بلاد المجاردة أمكنة طبيعية بكرًا تحتاج إلى التطوير تنموياً وسياًحياً ، وإن تم ذلك فسوف تنعم المحافظة بالكثير من الأنشطة الترفيهية والسياحية الجميلة .

ذلك الزمن كانت أكثر تواضعاً وفقراً . ثم تتابع بناء الأرض والإنسان على مدار خمسين عاماً حتى صارت أوطاناً حضرية متمدنة في كل شيء^(١) .

١- من التاريخ الاجتماعي:

يعيش الفرد والأسرة والمجتمع اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) في انفتاح على كل شيء ، في السكن ، واللباس ، والطعام والشراب ، والتعليم والاتصال بالآخرين ، والفكر ، والثقافة ، والفنون ، والكثير من الأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، وحتى في دقائق الأمور العامة والخاصة . وهذا الانفتاح سلاح ذو حدين ، ففيه الفوائد الكثيرة ، ويتخلله أضرار كثيرة أيضاً . وأقول إن على المجتمع ، ثم الأسرة ، ثم الفرد أن يتيقظ لهذه التحولات الاجتماعية المحلية ، والإقليمية ، والعالمية ، فلا يكون سلبياً فيعيش في عزلة عمن حوله ، ولا يكون مندفعاً فيأخذ من كل غث وسمين ، وإنما يتذكر أن الدين الذي تؤمن به البلاد وأهلها هو دين التوحيد ، الدين الإسلامي الوسطي، فلا إفراط ولا تفريط ، وإنما الاعتدال هو سبيل الفوز والنجاح ، ثم العمل على التطوير الإيجابي في شتى مناحي الحياة ، مع الحرص الشديد على التمسك بالثوابت في ديننا الحنيف . وهذا لا يتم إلا بتضافر جهود جميع مؤسسات وأفراد المجتمع الرسمية والأهلية ، العامة والخاصة . كما يجب التذكر أن هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) هي أرض الحرمين ، والواجب أن تكون كذلك ، فتكون متميزة على غيرها من بلدان العالم ، لما اختصها الله به من توحيد العبادة لله ، - عز وجل - ثم تمكينها من حماية الحرمين وخدمتهما . وليست محافظات تنومة ، والنماص ، والمجاردة إلا جزء صغير جداً من هذا الكيان العربي الإسلامي العظيم^(٢) .

سرت في رحلتي من حاضرة تنومة إلى مدينة المجاردة ، فكانت العمارة الحديثة المسلحة هي الطاغية والمنتشرة في كل مكان من المدينة إلى القرية إلى البادية إلى سهول تهامة . أبنية عامة وخاصة ، حكومية وأهلية ، تجارية وسكنية ، متعددة في الطوابق والمرافق والمساحات ، متقاربة في التخطيط والتصميم من الداخل والخارج ، مزودة بكل الخدمات

(١) أدون هذه السطور ، وهي خلاصة ما عرفته وعاصرته في عموم المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد السراة وتهامة من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) . وهذه التنمية والتطور الذي تمر به المملكة يحتاج إلى أن يوثق بالنصي والصورة الفوتوغرافية في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

(٢) يجب على كل فرد في عموم البلاد مسؤولاً صغيراً أو كبيراً ، ذكراً وأنثى ، أن يراقب الله - عز وجل - في الأقوال والأفعال والنوايا ، وأن يكون على قدر عال من الوطنية والمسؤولية . فبلادنا (المملكة العربية السعودية) محسودة ومحاربة من كل مكان . وإذا لم ندرك ونستشعر نحن أهل البلاد ، ثم نعمل جميعاً على دفع الشرور والأضرار ، مع الحرص الشديد على الالتزام بكل فضيلة والعمل الإيجابي الذي يخدم الدين الإسلامي الوسطي أولاً ، ثم يخدم الأرض والإنسان في كل مكان ، وإلا فقد تتكالب علينا الأعداء ، ونخسر ديننا أولاً ، ثم بلادنا وأعراضنا وأرواحنا .

(كهرباء ، ودورات مياه ، وأثاث ورياش متنوعة) . كما شاهدت إلى جوار هذا العمران الحديث أو قريب منه بعض الأبنية السكنية الحجرية التراثية القديمة ، وأغلبها مهجورة ، ومندثرة ، وبعضها في مراكز المحافظات الثلاث مازالت مستخدمة يسكن فيها بعض أهلها ، أو بعض العمال الوافدين من خارج المملكة ، والعاملين في حرف ومهن اقتصادية متعددة^(١) .

رأيت الشارع العام من تنومة إلى عمرو الشام ، ومن خاط إلى قلب المجاردة ، ووسط مدن النماص ، وتنومة ، والمجاردة فكانت مليئة بالمطاعم وأمكنة الأكل والشرب المتفاوتة في مساحاتها ، ومعروضاتها المتنوعة من الطعام والشراب . ودخلت بعضها واطلعت على قوائمها وما تقدمه لزبائنهم من مأكولات نباتية وحيوانية وبحرية . ودخلت ضيفا إلى منازل بعض السرييين والتهاميين ، فهم الآخرون يقدمون في بيوتهم الكثير من الأشربة والأطعمة . وإن ذهبت إلى متاجر بيع الأغذية والمشروبات رأيت مئات الأنواع من المواد الغذائية وجميعها مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وتوقفت أيضاً في بعض الأسواق الشعبية الأسبوعية في محافظتي النماص والمجاردة فوجدت الكثير من الفواكه والخضروات وأحياناً الحبوب المزروعة محلياً . ومعظم العاملين في المطاعم وبعض الأسواق مازالوا غير سعوديين ، وبعض المواقع يعمل فيها شباب سعودي جنباً إلى جنب مع الوافدين^(٢) .

وإن تأملت في ألبسة الناس وزينتهم ، عرفت ذلك من خلال أسواق الملابس ، ومن محلات الخياطة الرجالية والنسائية . وزرت بعضاً من هذه الأسواق والمحلات داخل مدن تنومة ، والنماص ، والمجاردة ، وشاهدت أيضاً ألبسة بعض الرجال والنساء والأطفال في الشوارع وبعض الأمكنة العامة فوجدت مئات الأشكال والأنواع والموديلات

(١) هذه المظاهر العمرانية التي رأيته ، ووقفت عند أكثرها في محافظات تنومة والنماص والمجاردة في الفترة من (١٤٤٢/٢/١١-٦هـ) شاهدت مثلها في عموم بلاد تهامة والسرارة . وأحياناً تختلف وتتفاوت في مواد البناء ، أو طبيعة الأرض ، أو تأثيرات التضاريس والمناخ ، لكن عموم البلاد تعيش نهضة عمرانية حديثة جيدة ، وهي جزء من باقي مناطق وحواضر ومدن وقرى المملكة العربية السعودية . والعمارة القديمة في كل مكان أصابها الخراب والدمار ، وهي جزء من تاريخ وحضارة البلاد في القرون والعقود الماضية . والواجب الحفاظ عليها وصيانتها ، وعلى الجامعات ومراكز البحوث العلمية أن تدرس تاريخ العمران الحديث والقديم وتوثقه نصاً وتصويراً فوتوغرافياً ، وإن فعلت ذلك فهي تحفظ البلاد في الماضي والحاضر .

(٢) هذه خلاصة رحلة محدودة في ستة أيام في نواحي محدودة من بلاد تهامة والسرارة ، ولم أفصل الحديث عن أماكن الطعام والشراب التجارية الحديثة ، ولا متاجر بيع الأشربة والأغذية ، ولا طرق الطهي ، أو المواد المستخدمة ، ولا الأيدي العاملة في المنازل الخاصة أو الأماكن العامة . ولم أذكر الأطعمة والأشربة الحديثة ، أو القديمة التي عرفها الآباء والأجداد ، ولا حياة الناس قديماً وحديثاً في المأكول والمشارب . وكل هذه المحاور مهمة للدراسة مع مقارنة الماضي مع الحاضر . وما يعيشه أهل محافظات تنومة والمجاردة والنماص يكاد يكون الوضع نفسه في عموم قرى ومدن وحواضر ومناطق ومحافظات بلاد السرارة وتهامة . وإشارتي إلى هذه النقاط باختصار لعلها تكون مفاتيح بحث علمي لكتب أو رسائل علمية في إحدى كليات أو أقسام الجامعات السعودية المحلية .

لألبسة الرأس ، والجسد ، والقدم . وهناك أيضاً الألبسة الداخلية المتنوعة ، ناهيك عن أدوات الزينة فالأسواق مليئة بالعطور ، وأدوات التجميل . وفي المدن الثلاث محلات تجارية عديدة لبيع الذهب ، والألماس ، والأحجار الكريمة^(١) .

اللباس السعودي ، الثوب والفترة ، والعقال ، للرجال مازال هو السائد في عموم المحافظات الثلاث ، لكن هناك من السعوديين صغاراً وكباراً من يلبس البنطال والقميص ، ويسير ورأسه حاسر . وكذلك النساء يحرصن على لبس العباءة والنقاب في خارج البيت ، لكنهن يلبسن أنواعاً كثيرة من الموديلات الحديثة داخل المنازل . والذهاب إلى أسواق الملابس يشاهد مئات الأنواع المستوردة من الألبسة وأدوات الزينة وأغلبها خاصة بالنساء والأطفال ، وبعضها من ألبسة الرجال والشباب^(٢) . ومازال بعض كبار وكبار السن من النساء والرجال ، وهم قليل ، يلبسون بعض الألبسة القديمة للرأس والجسد الخارجي^(٣) .

وإذا راقبت حياة الناس الاجتماعية العامة ، وأحياناً الخاصة مثل صلات الأفراد أو الأسر أو القرى أو الأحياء مع بعضها وجدتهم يعيشون في تداخل سلمي كبير عن طريق الزمالة في الأعمال العامة والخاصة ، أو السكن في القرى أو الأحياء ، وينتج عن ذلك تعارفات ومساعدات ولقاءات في المساجد أثناء أداء الصلوات ، أو في الأعياد ، والاحتفالات الاجتماعية المتنوعة . وإذا قارنت أوضاع الناس اليوم مع الأوائل وجدتهم الآن أكثر اتصالاً وانفتاحاً على بعضهم . أما في السابق فكانت معظم العلاقات والصلوات محصورة على أبناء القرية أو العشيرة الواحدة . والسبب في هذا التوسع الحديث يعود إلى عدة أسباب ، أهمها :

١ . توفر الأمن والاستقرار الاجتماعي والإداري والسياسي في البلاد . وانعكس ذلك إيجاباً على حياة الفرد والجماعة . وفقدان الأمن والخوف قديماً كان عائقاً في تداخل أفراد المجتمع وتقاربهم .

(١) تاريخ اللباس والزينة في العصر الحديث في أي منطقة أو محافظة أو مدينة من مدن المملكة العربية السعودية ، أو في بلاد السراة وتهامة موضوع جديد ، لم يدرس حسب علمي ، في أعمال علمية رصينة وموثقة . أمل أن نرى باحثين يهتمون بهذا الميدان التاريخي الحضاري المهم .

(٢) لم أسهب في الحديث عن أنواع الألبسة الحديثة وأدوات الزينة التي سمعت عنها وشاهدتها في هذه المحافظات الثلاث (المجاردة ، وتبومة ، والنماص) ، مع أن وضع المناخ يؤثر في نوعية الألبسة المستخدمة في كل فصل من فصول السنة . فاللبسة أهل المجاردة في فصل الشتاء ، ليست الملابس نفسها عند أهل تبومة والنماص ، فالأوائل يلبسون ألبسة خفيفة ، لها أشكال وأسماء مختلفة عن ألبسة أهل السراة المتينة والثقيلة التي تساعد على التدفئة ومحاربة البرد . كما أن كل لباس ، أو مناسبة اجتماعية ، أو جزء في الجسد له لباس معين يختلف في الشكل والتفصيل .

(٣) لم أتحدث عن الألبسة القديمة التي عرفها أهل البلاد في ماضي الأيام ، لكن كبار السن مازالوا يعرفونها وبعضهم يمتلكها ويلبسها . كما أن الأسواق الشعبية والمتاحف التاريخية في عموم بلاد السراة وتهامة تحتوي على نماذج من أدوات الزينة وألبسة الأوائل .

٢. توفر المال والخير عند الناس ، وتحسن أوضاعهم الاقتصادية ، ثم حرص الدولة على نشر الوعي والتعليم والثقافة بين السكان كان لذلك آثار جيدة في توحيد الأرض والناس تحت راية ونظام واحد ، دستور الكتاب والسنة ، وهذا ما جعل أجزاء المملكة العربية السعودية تتحد وتحتكم لدستور وقانون واحد .

٣. إنشاء المؤسسات الحكومية الرسمية التي تركز على الوحدة وجمع الكلمة ، ومعالجة مشاكل المجتمع بطرق شرعية ورسمية . وأي مجتمع يظهر فيه عوائق وسلبيات ، لكن الوعي والوحدة وتوفر الإدارات الرسمية ساعدت في حل معظم المشاكل ، ومساعدة الناس على الحياة بطريقة حضارية متمدنة وأمنة .

والذاهب في الأماكن العامة ، أو إلى بعض الإدارات الشرعية ، والأمنية ، والإعلامية ، والاجتماعية وغيرها يشاهد أو يسمع بعض الأحداث السلبية نتيجة اتساع رقعة الحضارة والتمدن وانفتاح البلاد بعضها على بعض داخليا وخارجيا . وهذه الأمور تقع لا محالة ، فمن يستقرئ حضارة الأمم من قديم الزمان حتى اليوم يجد أن أي تطور أو توسع حضاري ينتج عنه آثار إيجابية وأخرى سلبية . لكن الأفراد والمجتمعات الواعية ، وبخاصة الإسلامية المؤمنة الصادقة ، تستطيع أن تتكيف مع كل حديث وجديد مع الحرص على عدم المساومة أو التنازل عن الثوابت ، ومعظمها موثقة في كتاب الله ، عز وجل ، وسنة الرسول الكريم محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلوات والسلام) .

ونسلم ونقرأ عند الأوائل ارتفاع نسبة التعاون ، والتكافل والترابط والتأخي ، ومساعدة الضعفاء والفقراء المحتاجين ، ونصرة المظلوم وغيرها من القيم الجميلة التي حث عليها الإسلام ، ومارسها الآباء في محافظات المجاردة ، وتتومة ، والنماص وغيرها من بلدان السراة وتهامة . وأقول إن الكثير من هذه العادات الجميلة مازالت موجودة ، ويمارسها الكثير مع زملائهم وإخوانهم وجيرانهم وعشائرتهم وقبائلهم ، لكن اتساع رقعة البلاد تنمويًا وحضاريًا جعلت الكثير من هذه الأعراف تتراجع ، ولا يدركها الإنسان ، كما كانت عند السابقين ، وربما ذلك قصور في مؤسسات الإعلام والتعليم والمجتمع فلا تنقل هذه القيم الجيدة إلى أجيال اليوم من الذكور والإناث ، ثم إن التقنية بجميع وسائلها أثرت كثيرا في جلب عادات وأعراف حديثة ومستوردة ، فصار جيل الشباب (ذكورا وإناثا) يعيش حياة فضائية افتراضية مع هذا الغزو الثقافي الكبير الذي يحمل في طياته الكثير من السلبيات والقيم التي تحارب كل قديم وأصيل^(١) .

(١) غزو بلاد العرب والمسلمين ليس حديث الساعة وإنما بدأ مع كل الأديان السماوية ، وبخاصة دين الإسلام الذي ظهر في جزيرة العرب قبل أكثر من خمسة عشر قرنا ، ومازال مستمرا حتى الآن . ونجد كتب

وفي رحلتي الأخيرة في بعض محافظات منطقة عسير التهامية والسروية سألت وشاهدت بعض التحولات التي جرت على عادات الزواج ، والأعياد ، والمآتم وغيرها ، فوجدتها مازالت سارية بين الناس ، ومازال هناك أعراف ووثائق مدونة بين أفراد بعض القرى أو القبائل في سروات وتهامة قبائل بني شهر وبني عمرو ، وفيها شرح بعض البنود والخطوات المتبعة مع كل عادة اجتماعية^(١) . لكنه حصل بعض المبالغات في إنفاق الأموال والأطعمة في عادة الزواج ، وجرى محاربة بعض العادات السلبية في عادة العزاء والمآتم . أما الأعياد فلم تعد بتلك النكهة والطعم الذي كان يعيشه الأوائل ، وإنما تراجعت بعض العادات الجميلة التي كانت تمارس في مناسبة عيدي الفطر والأضحى ، واستبدلت ببعض السلوكيات والعادات التي أفقدت جمال ومتعة أيام العيد قديماً^(٢) . كما ظهر عادات جديدة على مستوى الأفراد والأسر ، أو النساء والرجال ، وهي ليست من عادات أهل البلاد ، وإنما جاءت من أماكن داخلية وخارجية^(٣) .

عند أهل المجاردة ، وتنومة ، والنماص ألعاب شعبية قديمة وجميلة مثل: (١) لعرضة. (٢) المدقال . (٣) لعب الدمة . (٤) اللعب الشهري . (٥) الربخة . (٦) الخطوة . (٧) الردشة . (٨) الطرّق ، وغيرها^(٤) . كل هذه الفنون من التراث الحضاري المحلي الذي عرفته بلدان عديدة في السراة وتهامة . وكانت إلى قبل عقدين من الزمان

التاريخ توثق آلاف الصفحات عن أعداء الدين الإسلامي ، وما فعلوا وجربوا في حرب المسلمين وأوطانهم بكل الوسائل والسبل . وما يفعلون اليوم من تسخير التقنية و (الت) ليس إلا مرحلة من مراحل الصراع الثقافي والفكري بين المسلمين وغيرهم . والواجب على كل دول العرب والإسلام أن تعمل جاهدة على الاستفادة من كل ما تحمله التقنية من علوم وإيجابيات، وتحارب كل ما يأتي من خلالها بالعلم والوعي والعمل الجاد لخدمة الإسلام وأتباعه في كل مكان .

(١) البعض من هذه الوثائق والاتفاقات قديمة في تواريخها ، لكنه تم تجديدها ، وحذف من القديم بعض البنود ، وأضيف نقاط جديدة تواكب العصر الحديث . يوجد لدى الباحث مئات الوثائق القديمة والحديثة التي توضح كيفية التعامل والتوافق بين أفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة على ممارسة بعض عاداتها مثل الزواج ، والأعياد ، وغير ذلك .

(٢) العيد قديماً كان يبدأ بالفرحة والسرور من قبل شروق يوم العيد ، ويستمر الناس في فرح وسرور طول الأيام الثلاثة . أما العيد اليوم فالكثير من الناس ينامون الصباح ، وفي آخر النهار يلتقون في منازلهم أو استراحات ، وكأنهم يعيشون أيامهم العادية ، وليست أيام عيد مبارك

(٣) من هذه العادات الدخيلة تجمع النساء في الاستراحات ، أو بعض الديوانيات . وتبادل الهدايا في مناسبات اجتماعية دخيلة مثل عيد الميلاد ، أو رأس السنة الميلادية ، أو مناسبة طلاق وغير ذلك . وأقول أنه من الصعب حصر كل العادات الدخيلة علينا في طعامنا وشرابنا ، وألبستنا ، وإقامة ولائمتنا ، وأسفارنا ، وإقامتنا . وهذا الموضوع جدير بالدراسة والتوثيق ، ثم الخروج بالنتائج والتوصيات التي تعالج هذه المشكلات الاجتماعية الحديثة .

(٤) هذه الفنون لها طقوس ، وحركات تعارف عليها من يمارسها ، وهي من ألعاب الرجال ، ويتزامن معها ضرب الطبول ، وقول الأشعار وبعض الفنون الأدبية الشعبية ، ولها شعراء موهوبون ومتدربون على قرض قصائدهم وأشعارهم التي تشجع اللاعبين على الاستمرار في ممارستها .

تمارس على نطاق واسع في معظم الزواجات ، واستقبال الضيوف ، والأعياد وغيرها ، ثم بدأت تتراجع ، ويخف وهجها ، وحل محلها ألعاب وفنون دخيلة جاءت من مدن أخرى في شبه الجزيرة العربية ، وأخرى وفدت من بلدان عربية وغير عربية ^(١) . كما أصبح الشعراء الذين يظهرون في هذا الألعاب دون المستوى الذي كان عليه الشعراء الأوائل ، لا في ثقافتهم ، أو إتقانهم فنون الأداء والأشعار التي تتزامن مع كل فن أو لعبة ^(٢) .

التقيت ببعض كبار السن وبعض الشعراء القدماء في محافظتي النماص وتومة وسألتهم عن هذه الفنون قديماً وحديثاً ، فكانوا جميعهم يتشوفون ويحنون لأيام الماضي ، وما تخللها من مناسبات اجتماعية شارك فيها الكثير من الأوائل بفنونهم الشعبية ، وأشعارهم النبطية . بل بعضهم أطلعوني على فيديوهات مصورة عن بعض اللقاءات الاجتماعية التي عقدت في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومارس فيها الكثير من رجال البلاد ألعاب العرضة ، والدمة ، والخطوة ، واللعب الشهري ^(٣) .

وللنساء والأطفال قديماً فنون اجتماعية لها ذوق ومتعة جميلة ، لكنها تلاشت ، وحل محلها أيضاً موسيقى وفنون غنائية دخيلة ، لا صلة لها بترائنا وثقافتنا المحلية . وصار الشباب والشابات والنساء أيضاً يجهلون موروث الآباء والأجداد ، ويعيشون مع فنون عربية وأجنبية ^(٤) .

٢- لمحات من التاريخ الإداري ، والثقافي والتعليمي :

تتوفر في المحافظات الثلاث مؤسسات إدارية رسمية تشرف على حراك الناس واستمرارية عيشهم . ومحافظلة النماص أقدم المحافظات التي بدأت فيها الإدارات الحكومية ، يليها المجاردة ، ثم تومة . ومن خلال السير في أرجاء هذه النواحي الثلاث وجدت

(١) دخل مع هذه الفنون الدخيلة أنواع من الموسيقى العربية والغربية ، وبعض الألعاب والحركات التي يغلب عليها الهزال والسطحية في الأداء ، وفي الفناء والشعر الذي يصاحبها . بل بعض الفنون تجلب في أسطوانة مسجلة ، كما استخدمت التقنية في جلب بعض الفنون والألعاب الجديدة على أهلنا ومجتمعاتنا العربية السعودية ، أو السروية والتهامية .

(٢) عرفت بعض الشعراء الأوائل منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وقرأت وسمعت عن شعراء قبل ذلك فكانوا قامات شامخة في أشعارهم وحكمهم وأقوالهم . وهذه الفنون والشعراء الشعبيين في بلاد تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحقون أن يوثق تاريخهم وفنونهم الشعبية .

(٣) هناك بعض الأشرطة ، والفيديوهات القديمة التي تحتوي على مادة علمية عن بعض الفنون الشعبية في عموم السراة وتهامة من عام (١٢٨٠هـ - ١٤٢٠هـ/١٩٦٠ - ٢٠٠٠م) حبذا أن تجمع وتقرع ثم تدرس في هيئة كتب ورسائل علمية .

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بإجراء دراسة علمية مقارنة بين الألعاب والفنون الشعبية الحديثة والقديمة في منطقة عسير ، أو عموم السراة وتهامة ، مع دعم الدراسة بالصور الفوتوغرافية ، ثم الخروج بنتائج وتوصيات تصب في دعم وتشجيع الفن والأدب الشعبي المحلي .

المجاردة والنماص تتقاربان في عدد مؤسساتها الإدارية الرسمية والأهلية ، مع أن النماص تزيد قليلا في العدد داخل المدينة ، إلا أن محافظة المجاردة يتبعها خمسة مراكز إدارية (عبس ، وختبة ، وخاط ، وثربان ، وأحد ثربان) ، ويتبع النماص ثلاثة مراكز فقط (بنوعمر ، والسرح ، ووادي زيد) . والمحافظتان ليستا متباعدتين كثيرا في المساحة الجغرافية ، وإعداد السكان . أما محافظة تنومة فهي أقل من المحافظتين السابقتين من حيث عدد مراكزها ، فلا يتبعها إلا مركز واحد في منصبه ، وكذلك مساحتها الجغرافية وعدد سكانها^(١) .

من خلال ترددي على المحافظات الثلاث منذ تسعينيات القرن (١٤٠١هـ / ٢٠٠٠م) إلى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، كانت المؤسسات الإدارية قديما متواضعة في مقراتها ، وعدد موظفيها ، وإمكاناتها . بل إن الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية كانت تحوي موظفين غير سعوديين ، وأكثرهم من دول عربية من مصر والشام وأحيانا السودان وشمال إفريقيا . ومع نمو البلاد وتطورها خلال الثلاثة عقود الماضية (١٤١٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ - ٢٠٢١م) زادت مقرات الإدارات وتوسعت ، وصارت جميعها اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) في أبنية (حكومية أو مستأجرة) مسلحة ، يتبعها العديد من المرافق ، كالمستودعات ، ومواقف السيارات ، وغرف للحراسة وغيرها^(٢) . والموظفون والكوادر البشرية العاملة حاليا في المؤسسات والإدارات الحكومية والأهلي جميعهم سعوديون وسعوديات^(٣) ، ونادرا ما ترى عاملين غير سعوديين في مؤسسات المحافظات الثلاث ، اللهم إلا بعض العمال التابعين لبعض المؤسسات والشركات الخاصة ، الذين يقومون بعمليات الغسيل أو التنظيف للمكاتب والمقرات ومرافقها^(٤) .

(١) تشير الوثائق والمصادر إلى أن بلدة النماص كانت المقر الإداري الرئيسي لعموم بلاد بني شهر وبني عمرو (تهامة وسراة) منذ بداية القرن (١٢هـ / ١٩م) ، واستمرت حتى أنشئت فيها مؤسسات إدارية حديثة في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ثم تزايدت الإدارات الحكومية فيها خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي والعقود الماضية من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠ - ٢١م) . كما بدأت المؤسسات الإدارية الحديثة في المجاردة منذ الستينيات في القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وفي تنومة من الثمانينيات في القرن نفسه . واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) نجد المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) تشتمل على الكثير من المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية .

(٢) مشاهدات الباحث ومعاصرته للتاريخ الإداري والتنمية في منطقة عسير وما جاورها من عام (١٣٩٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ - ٢٠٢١م) .

(٣) منذ أربع سنوات تقريبا منحت المرأة السعودية فرصا أوسع وأكثر للعمل في قطاعات حكومية وأهلية متعددة . ونشهد زيادة أعدادهن في الكثير من الوزارات والإدارات بالمدن والحوضر الكبيرة ، وأصبحن يعملن أيضا في مؤسسات المحافظات والمراكز ، لكن أعدادهن مازالت أقل . وقد شاهدت عددا من الموظفات السعوديات في إدارات عديدة (حكومية وأهلية) في المحافظات الثلاث (النماص ، والمجاردة ، وتنومة) .

(٤) الناظر في الطاقة البشرية للإدارات الرسمية والأهلية خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٤٠٠ - ١٤٢٠هـ / ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م) يشاهد موظفين كثيرين غير سعوديين في مؤسسات التعليم العام ، والإدارات الخدمية الأخرى كالبديلة ، والطرق ، والبريد والاتصالات ، والكهرباء وغيرها . واليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) جميع هذه

منذ بداية التعليم الحديث في بلدة النماص في نهاية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، بدأت عجلة الثقافة والتعليم الحديث يسير في البلاد ، وفي العقود الثمانية الماضية (١٣٦٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٤٠-٢٠٢١م) انتشر التعليم العام ثم العالي في هذه المحافظات الثلاث (النماص ، وتومة ، والمجاردة) حتى صار في كل ناحية ، وقرية ، وبيت ^(١) .

(*) وأثناء جولتي في هذه المحافظات خرجت ببعض الخلاصات التي تدور في فلك الحياة العلمية والتعليمية والثقافية ، وهي على النحو الآتي :

- ١- يوجد في مدينة النماص إدارة تعليم تشرف على عشرات المدارس للبنات والبنين في محافظتي تومة والنماص ، يدرس فيها آلاف الطالبات والطلاب ، ويعمل في الإدارة والمدارس أيضاً آلاف المعلمات والمعلمين والموظفات والموظفين . وجميع مقرات التعليم في هذه البلاد أبنية حكومية تتفاوت في مساحاتها ، وطوابقها ، ومرافقها الداخلية والخارجية ^(٢) .
- ٢- كان للمعلمين والمعلمات الأوائل ، وأكثرهم من المتعاقدين ، فضل كبير في نشر التعليم العام رأسياً وأفقياً ، من خلال نشاطاتهم الصفية واللاصفية . وأذكر بعض الرواد والقيادات التربوية في أداء رسالتها التعليمية ، فتراهم في عمل دائم مع طالباتهم وطلابهم توجيهاً ، وتنقيفاً ، وتعليماً ، وتدريباً ، ومن ثم أثمرت تلك الجهود في بناء أجيال متعلمة ترقى في سلم الحياة (وظيفياً ، وتعليمياً ، وثقافياً ، وتنويراً) ^(٣) .

المؤسسات ، وكذلك المؤسسات التجارية والاقتصادية صارت تدار بأيدٍ سعودية (نساءً ورجالاً) ، ما عدا بعض المراكز الصحية ، ومؤسسات التعليم العالي ، وأيضاً شركة الكهرباء مازال فيها موظفين كثيرين من أجناس عربية وغير عربية . المصدر : مشاهدات الباحث أثناء رحلته في تومة والنماص والمجاردة من (١١-٦/٢/١٤٤٣هـ) .

(١) تاريخ التعليم العام والعالي ، والحياة الثقافية والعلمية في هذه المحافظات الثلاث (تومة ، والنماص ، والمجاردة) أو في منطقة عسير (سراة وتهامة) موضوع جديد ومهم يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث من أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٠م) .

(٢) عاصرت التعليم العام في بلدة النماص منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، واستمرت أشاهد الحراك والتطور الثقافي والتعليمي في عموم منطقة عسير ، فكانت المدارس قديماً مشغولة بالمعلمين والمعلمين الوافدين من بلدان عربية ، وأحياناً أجنبية لتدريس اللغة الإنجليزية ، واستمرت المعاهد والكليات والجامعات السعودية تخرج عشرات المدرسين والمدرسات الوطنيين ، ولم نصل نهاية العشرينيات من القرن (١٥هـ/ ٢١م) إلا ومعظم الهيئات التدريسية (معلمين ومعلمات) من السعوديين والسعوديات . واليوم (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) جميعهم من أبناء وبنات الوطن (المملكة العربية السعودية) . ومقرات التعليم العام المستأجرة ، والمعلمين والمعلمات المتعاقدين في محافظات النماص ، وتومة ، والمجاردة من (١٣٦٠-١٤٢٥هـ/ ١٩٤٠-٢٠٠٤م) من العناوين الجديدة في بابها ، وهي جديرة أن تدرس دراسة علمية توثيقية في هيئة كتاب أو رسالة علمية لدرجة الدكتوراه .

(٣) أوثق هذه الأقوال والانطباعات من خلال ما عرفته وشاهدته في ربوع المحافظات الثلاث ، أو عموم بلاد تهامة والسراة من العقدين الأخيرين في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) . ومما سمعت ، وكتبت ، وشاهدت وأنا أتقل في أرجاء منطقة (نجران ، وعسير ، وجازان ، والباحة) فهناك رائدات ورواد للتعليم من سكان هذه الأوطان أفنوا حياتهم في تعليم أبناء وبنات هذه البلاد السريوة والتهامية منذ

٣- من ثمار التعليم العام إنشاء مؤسسات تعليم عالية، وبدأت أول هذه المؤسسات بكليات علمية ونظرية في مدينة أبها منذ منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وتزايدت الكليات (للذكور والإناث) في حاضرة أبها، ثم امتدت إلى محافظات منطقة عسير، وكان للنماص، والمجاردة، وتنومة نصيب من التعليم الجامعي، وبخاصة للعنصر النسائي، وفي العشرينيات ثم الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) كان لجامعة الملك خالد الدور الريادي في التأسيس، ثم التخطيط والهيكله للكليات الجامعية الموجودة في المحافظات الثلاث (النماص، وتنومة، والمجاردة)، وجاءت جامعة بيشة فواصلت مسيرة جامعة الملك خالد مع مؤسسات التعليم العالي في النماص، وبقيت كليات محافظتي تنومة والمجاردة تتبع جامعة الملك خالد أكاديمياً وإدارياً ومالياً^(١).

٤- أثناء رحلتي في المحافظات الثلاث من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ) زرت إدارة التعليم في النماص، ومكتبي التعليم في تنومة والمجاردة. كما زرت كليات العلوم والآداب في النماص، وتنومة، والمجاردة فوجدت العمل العلمي والتعليمي فيها قائماً، وتؤكد لي، كما أشرت سابقاً، أن المواطنة والمواطن السعودي هم من يشرفون بنسبة (١٠٠٪) على التعليم العام. أما التعليم الجامعي فالتقيدات في الكليات وبعض عضوات وأعضاء هيئة التدريس من السعوديات والسعوديين، ومنهم من يحمل درجة الدكتوراه، وآخرون بالمجستير. لكن مازال هناك نسب كبيرة في أعضاء هيئة التدريس من المتقاعدين والمتقاعدين^(٢). أما مقرات التعليم العالي فهناك أبنية من أملاك الجامعة في محافظة تنومة^(٣)، وفي النماص أبنية حكومية مستأجرة للبنين،

خمسنيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن حقهم على طالباتهم وطلابهم، وكثير منهم اليوم يحملون درجات عالية في التعليم، أن يوثقوا أعمالهم وجهودهم المباركة في بناء إنسان هذه البلاد تعليمياً وثقافياً وتربوياً. وإن لم يستطيعوا فعل ذلك، فيروونها لمن يدرسها ويوثقها من الباحثين والمؤرخين الجادين المنصفين.

(١) لخصت مسيرة التعليم العالي بشكل مختصر جداً في منطقة عسير، ابتداءً من أبها، وامتداداً إلى بعض المحافظات، وهذا الموضوع كبير جداً والواجب أن يدرس في كتب ورسائل علمية عديدة. وقد أخرجت عدداً من البحوث عن تاريخ التعليم العالي في عسير منذ بدايته عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). لكن كل حاضرة، أو محافظة في المنطقة، وبداية وتطور جامعتي الملك خالد وبيشة وأثارهما الإيجابية على البلاد تستحق أن تبسط في بحوث عديدة، أمل أن نرى من أساتذة الجامعتين وبخاصة المؤرخين من يقوم بهذا العمل خدمة لأرض وإنسان هذا الوطن العظيم.

(٢) تاريخ التعليم العالي والتقني والمهني (للبنين والبنات) في المحافظات الثلاث موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي توثيقي. أمل أن نرى مؤرخاً جاداً يقوم بإنجاز هذا المشروع خدمة للعلم، والأرض وسكان المحافظات المعنية في هذا المحور.

(٣) والفضل يعود لله عز وجل - ثم للأستاذ علي بن سليمان الشهري الذي شيد كلية العلوم والآداب للبنين، ويعد من معالم محافظة تنومة الكبيرة والمميزة، فجزاه الله خير الجزاء.

وحكومية لكليات وأقسام البنات . وفي المجاردة مبنى حكومي لكلية البنات فقط^(١) .

(*) نتج عن مسيرة التعليم العام ثم العالي في منطقة عسير بشكل عام ، وفي المحافظات الثلاث على وجه الخصوص العديد من الآثار الإيجابية على البلاد وأهلها ، وأذكر أهمها في النقاط الآتية :

أ- انتشار العلم والوعي والثقافة بين الناس ، فلا يخلو بيت في كل محافظة من متعلمات ومتعلمين تعليماً جامعياً ، وأحياناً عالياً . وحملة الماجستير والدكتوراه في المحافظات الثلاث يقدرها اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) بالمئات . أما حملة درجة البكالوريوس والدبلوم العالي فأعدادهم بالآلاف . والمتأمل في شريحة المتعلمين داخل المحافظات يجدهم يقودون مجتمعاتهم إدارياً وحضارياً في شتى الجوانب . وإن بحثنا عنهم في جميع أنحاء البلاد (المملكة العربية السعودية) وجدناهم في كل وزارة ، وإدارة ، ومؤسسة حكومية وأهلية ، ومنهم من يعمل في مراكز قيادية عليا (مدنياً وعسكرياً) ، ولا يخلو القطاع الخاص من إسهاماتهم المتنوعة^(٢) .

ب- لا تخلو أي محافظة من علماء ومبدعين في مجال تخصصاتهم . وإن بدأنا بالمؤسسات التعليمية والصحية والإدارية في كل محافظة وجدنا أفراداً (نساءً ورجالاً) حازوا على درجات جامعية أو عالية ، ولهم بصماتهم الإيجابية الواضحة في مواقعهم من خلال علومهم ومعارفهم . فهناك المتخصصون في مجالات الشريعة واللغة وعلوم إنسانية أخرى . وآخرون في علوم طبية ، وعلمية وتقنية وغيرها . وإذا بحثنا عن بنات وأبناء المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) في مدن ومناطق المملكة العربية السعودية ، وأحياناً في السفارات والقنصليات السعودية الخارجية وجدنا الكثير من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان في تخصصاتهم العلمية ، وفي مساهماتهم وإبداعاتهم الحضارية في خدمة دينهم وأهلهم وبلادهم (المملكة العربية السعودية)^(٣) .

(١) لا يوجد في محافظة المجاردة كلية للأولاد ، وذلك لقرب فرع جامعة الملك خالد بين محافظتي بارق ومحابل . وأقول إن فرع جامعة الملك خالد في تهامة يستحق أن يوثق في عمل علمي مفصل . المصدر: مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) إن طبقة المتعلمين التعليم الجامعي والعالي في المحافظات الثلاث موضوع مهم وجديد . حبذا أن نرى باحثاً جاداً وحيادياً منصفاً يقوم بحصرهم إحصائياً ، ثم يوثق سير المنتجين والمؤثرين في بيئاتهم ومجتمعاتهم داخل المحافظة وخارجها . ومن يفعل ذلك فسوف يجد أعلاماً لهم ثقلهم التنموي والحضاري والإبداعي خلال مسيراتهم التعليمية والوظيفية والعملية .

(٣) أتجول في أرجاء بلاد (المملكة العربية السعودية) وأقرأ عن تاريخها وتراثها ورجالها منذ أربعين عاماً . وعرفت وسمعت عن رموز من منطقة عسير ، وتحديدًا من النماص وتنومة والمجاردة وهم قامات كبيرة في خدمة بلادهم معرفياً ، وإدارياً ، وحضارياً . كما سمعت أن هناك من يرغب تدوين تراجم أعلام هذه

- ج- قرأت وسمعت عن بعض الأطباء ، والمهندسين ، والفنيين ، والإداريين ، وأساتذة الجامعات وغيرهم في هذه المحافظات فكان لبعضهم آثار علمية واضحة وكبيرة ، فقد حققوا اختراعات وبراءات علمية في تخصصاتهم العلمية الدقيقة ، ومنهم جراحين أو علماء في مجالات هندسية ، أو طبية ، أو تقنية ، ولهم في هذه المجالات آثار معروفة ومنشورة في مراكز بحوث ومجلات علمية عالمية^(١) . وهناك أيضاً علماء في علوم نظرية وإنسانية ، ولهم أيضاً إسهامات معرفية مطبوعة ومنشورة . ناهيك عن أعلام مميزين في الأنشطة الأدبية واللغوية والثقافية والإعلامية المختلفة^(٢) .
- د- تعيش البلاد والعالم عالماً تقنياً في الكثير من مفاصل الحياة . ومن بنات وأبناء المحافظات الثلاث (النماص ، والمجاردة ، وتتومة) من حقق نجاحات كبيرة في هذا العلم ، بل بعضهم أساتذة في الجامعات أو الوزارات ، أو الشركات الصغيرة والكبيرة ، العامة والخاصة ، الداخلية والخارجية وهم حجة ومصادر علمية يستفاد منهم في مجالات فنية وتقنية عديدة^(٣) .

٣- نبذ من التاريخ الاقتصادي، والصحي، والرياضي، والسياحي :

تعيش محافظات تتومة والنماص والمجاردة حياة اقتصادية متنوعة . فالرعي لم يعد نشاطاً كما كان في السابق . والبعض ، وهم قلة ، يربون المواشي ، والأغنام والماعز والأبقار وأحياناً الإبل ، فيضعونها في حظائر ويقومون على خدمتها إعاشة وسقاية وتنظيفاً . ولم أشاهد من يذهب بأغنامه ومواشيه إلى أماكن المراعي في الأودية والجبال والهضاب ، واخبرني بعض الرواة أن بعض الأسر والأفراد يمارسون هذه المهنة ، وغالباً من يقوم على مهنة الرعي أو خدمة الأنعام في الزرائب وأحياناً في المرعى عمالة وافدة

النواحي في العصر الحديث والمعاصر ، أرجو ممن يقوم بهذا العمل أن يضع له معايير علمية ومنصفة وحيادية لبحته ، وإن فعل ذلك قد يدون عملاً علمياً جيداً .

(١) من يبحث عن هؤلاء الأعلام في الأقسام ، والكليات والجامعات المحلية ، والإقليمية ، والعالمية فسوف يجد البعض منهم يتصدرون غيرهم في تخصصاتهم ومجالاتهم العلمية .

(٢) لا أقول هذا الكلام من فراغ ، لأن من يزور الجامعات السعودية ، والنادي الأدبية ، والمهرجانات المختلفة ، أو من يحضر العديد من الندوات ، واللقاءات ، والمؤتمرات الداخلية والخارجية فإنه يشاهد بعض الرموز البارعة المتعلمة المنتمة إلى مدن وقرى وقبائل النماص ، وتتومة ، والمجاردة .

(٣) لا أستطيع حصر الآثار الإيجابية للتعليم والتعلم الذي بدأ صغيراً في بعض قرى المحافظات قبل أكثر من ثمانين عاماً ، واليوم أصبحت فوائده المثمرة لا تعد ولا تحصى . وأقول إن على أبناء وبنات هذه المحافظات بل المملكة العربية السعودية أن يردوا الجميل لحكومتهم ، وبلادهم ، وأهلهم فيسخرُوا معارفهم وعلومهم في خدمة أرضهم ، وعمل كل ما يعود بالفوائد الإيجابية لخدمة الدين والوطن .

من مصر ، واليمن ، والهند ، والسودان ، وإثيوبيا وغيرها^(١) .

أثناء رحلتي في المحافظات الثلاث رأيت بعض الأفراد الذين يصدر عن مواشيهم ، وبخاصة الأغنام والماعز ، إلى الأسواق الأسبوعية . وسألت بعضهم عن أماكنها الرئيسية فقالوا : يتم جلب بعضها من بعض القرى والنواحي الريفية في المحافظات المعنية في هذا القسم ، أو من بعض المناطق المجاورة في السراة وتهامة مثل بلاد شهران من ببشة إلى خميس مشيط ، أو من محافظة القنفذة ، أو بعض المحافظات التهامة في منطقة الباحة^(٢) .

مما لفت نظري في بعض الأجزاء الشرقية من محافظتي النماص وتبومة ، وفي حاضرة المجاردة وأريافها انتشار بعض الحيوانات السائبة مثل الكلاب والحمير ، والقطط . وشاهدت الكثير من القروء في أمكنة عديدة من سروات وتهائم المحافظات الثلاثة^(٣) . وبعض هذه الحيوانات ، كالكلاب كانت قديما تستخدم في حراسة المنازل ومصاحبة الرعاة أثناء رعي مواشيهم . وتسخر الحمير في خدمة الناس فتقلعهم من مكان لآخر ، أو يحمل على ظهورها بعض الأثقال والأغراض^(٤) .

(١) كانت حرفة الرعي قديما من الأعمال الرئيسية عند سكان السروات وتهامة . بل البعض منهم ، وبخاصة المناطق الشرقية البدوية ، تعد تربية المواشي ورعيها المهنة الوحيدة التي يمارسونها . بخلاف أهل القرى والحواسر في الأجزاء السروية والتهامة فكانوا يجمعون بين مهنتي الزراعة والرعي . وأفراد وأسرة معدودة ومحدودة بمتنهم التجارة أو بعض الصناعات والحرف التقليدية . وقد نشرت العديد من البحوث عن الحياة الاقتصادية في جنوب البلاد السعودية (سراة وتهامة) في عدد من مؤلفاتي وبخاصة (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٥) مجلدا . انظرها ورقيا في معظم المكتبات المركزية والعامة . وانظرها إلكترونيا على الرابط (Prof-ghithan.com) .

(٢) زرت معظم هذه البلاد ووثقت صفحات من تاريخها خلال القرون الإسلامية المختلفة ، وشاهدت فيها ثروة حيوانية جيدة ، ومنها أعداد كثيرة تصدر إلى مدن وحواسر أخرى كبيرة في أنحاء المملكة العربية السعودية . وبعض الأفراد والأسر تصدر أغنامها إلى مدن وحواسر أخرى كبيرة في أنحاء المملكة العربية السعودية .

(٣) كانت القروء قديما تعيش في منطقة الأصدار والأماكن الوعرة ، أما اليوم فصارت لا تخاف لا من الآلات ولا الناس ، بل تخالطهم في قراهم وطرفاتهم ، وأحيانا تدخل إلى أطراف المدن الرئيسية في عموم السروات . المصدر : مشاهدات الباحث لهذه الظاهرة في مناطق عسير والباحة والطائف منذ ثلاثين عاما (١٤١٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ - ٢٠٢١م) .

(٤) في بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) كانت الكلاب والحمير موجودة بكثرة في كل مكان . ومع تحسن أحوال الناس المالية والاقتصادية ، ثم توفر الآلات كالسيارات ، والدراجات النارية وذهب أكثر الناس إلى الوظائف الحكومية ، والأعمال الاقتصادية الأخرى ، هجروا مهن الرعي والزراعة وغيرها ، ثم تركوا الحمير وكلاب الرعي والحراسة تهيم على وجوهها في الأرض عندئذ تعرض أغلبها لدعس السيارات ، وتسبب بعضها في وفاة الكثير من البشر نتيجة للحوادث المرورية . واستمر هذا الوضع تقريبا إلى منتصف أو نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، ثم اختفت هذه الظاهرة ، . وأثناء رحلتي الأخيرة في تبومة والنماص والمجاردة من (١١ - ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) ، شاهدت الظاهرة نفسها تعود مرة ثانية ، لكن بأعداد قليلة مقارنة بالفترة السابقة . وقد أخبرت بعض المسؤولين في إدارات البلديات والمحافظات والمراكز ، أرجو أن ينتبهوا إلى خطورة هذه الحيوانات السائبة على أرواح الناس وممتلكاتهم .

كانت الزراعة هي العمل الأهم والأكثر انتشاراً عند سكان النماص والمجاردة وتنومة . والناظر في هذه الأوطان اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد الأراضي الزراعية (العثرية والمسقوية) مازال أكثرها باق ومهجور من الحرث والزراعة ، وبعضها تحولت إلى مخططات ، وأحياء ، وتجمعات سكنية أو تجارية وصناعية ^(١) . وكل القطع الزراعية وملحقاتها معروفة بأسمائها وحدودها ومواقعها في كل قرية أو ناحية ^(٢) . وقد اطلعت على عشرات الصكوك والحجج الشرعية وبعض الأوراق والاتفاقيات القبلية والفردية الموجودة في المحاكم الشرعية ، وعند بعض الأسر والبيوتات المحلية . ومن كتب هذه الوثائق ذكروا أسماء الكثير من الأراضي الزراعية وأصحابها ، وأطوالها ، وكل ما يثبت ملكيتها لأصحابها ^(٣) .

(١) تقلت في هذه المحافظات الثلاث ، مع أنني أسير في منابها منذ خمسين عاماً ، وأعرف أنها كانت أراضي زراعية بامتياز ، لكنها اليوم لم تعد على ذلك الوضع القديم ، فالكثير من العمران الحديث زحف وانتشر على أراض زراعية كثيرة ، وبقي هناك أفراد قلائل يمارسون بعض الزراعات المتنوعة ، والأيدي العاملة الوافدة هي التي تقوم على هذه المهنة حالياً ، أما النسبة الكبرى من البلاد الزراعية فأصبحت غير مكدومة فلا يستفاد منها ، واشتغل أهلها بأعمال حكومية وأهلية متعددة ، بل الكثير من ملاك هذه المزارع هاجروا من قراهم وبلدانهم واستقروا في مدن وحواضر ومناطق أخرى عديدة في المملكة العربية السعودية . وأقول إن تاريخ الزراعة في السابق واللاحق ، وهجر السكان لأراضيهم وقراهم ومزارعهم والكثير من المهن القديمة موضوعات مهمة وجديدة ، حبذا أن تبحث وتوثق في عموم بلاد السراة وتهامة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومن يقوم بهذا العمل فسوف يجد الكثير من المادة الوثائقية المدونة عند عامة الناس وفي بعض الأرشيف الحكومية المحلية . وأيضاً يسمع ويقابل الكثير من الرواة الذين عاصروا هذه التحولات الحضارية خلال الخمسين عاماً الماضية .

(٢) من يعرف هذه المعلومات هم أصحاب الأرض وجيرانهم في الأرض وفي كل ناحية أو قرية توجد فيها هذه العقارات . والذاهب في أرجال السروات وتهامة اليوم يجد أن كل قطعة معروفة باسم عند صاحبها ، أو الأسرة أو الفخذ الذي يملكها ، ولا يوجد أي أرض أو مزرعة بدون اسم . والناس يتوارثون هذه العقارات ، وتنتقل الموارث من السلف إلى الخلف ، والأسماء لا تتغير إلا نادراً ، أو لظروف عمرانية أو تخطيطية تستوجب ذلك . وتاريخ تسمية كل أرض أو قطعة زراعية تستحق أن تدرس تاريخياً وحضارياً ولغوياً وحتى اجتماعياً ونفسياً عند أصحابها من المزارعين وسكان القرى والنواحي المختلفة .

(٣) إن إثبات ملكية الأراضي الزراعية لأصحابها موجودة عند سكان شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام ، لكن بعد ظهور الإسلام ، وإثبات الملكيات العامة والخاصة ، وطريقة الموارث ، وفرض الزكاة على ما تثبت الأرض أو ما يوجد بداخلها من معادن وركاز وغير ذلك زاد الاهتمام بامتلاك الأراضي وخدمتها زراعياً ، لما تعود به من فوائد معيشية واقتصادية على الأفراد والمجتمعات . بل إن الإنسان نفسه حرص أن يكون له موطن يستقر فيه ، وينتمي إليه ، ويتصل به عقلياً ، وجسدياً ، وفكرياً ، وروحياً . والوطن أو أماكن الاستيطان بما فيها الأراضي الزراعية من الأمور التي جاهد واجتهد سكان السروات وتهامة على امتلاكها وخدمتها والدود عنها .

تزامن مع هذه الرحلة التي قمت بها في أجزاء من سروات بني شهر وبني عمرو (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) تفاعل الناس في هذه النواحي مع القرار الرسمي الذي أصدرته الدولة منذ قرابة عام، وهو وجوب إثبات تملك الأراضي الزراعية وغير الزراعية في أنحاء البلاد (المملكة العربية السعودية) ومنحت جميع المواطنين فرصة عام واحد تنتهي في (١٤٤٣/٥/٥هـ) حتى تثبت كل أسرة، أو فرد أو أفراد ملكيتهم وثائقيا لمزارعهم وما يملكونه من الأراضي بالشراء، أو الوراثة، أو الهبة أو غير ذلك. وهذا القرار الحكومي له جوانب إيجابية كثيرة على مستوى الدولة، والمنطقة، والقبيلة، والأسرة، والفرد، ومن أهمها :

١- الفائدة التنظيمية والاقتصادية والأمنية العامة ذات المدى البعيد . والتقنية ساعدت في ذلك حتى تحصر جميع أراضي البلاد الزراعية وغير الزراعية ، ومعرفة أصحابها ، والتي ليس لها ملاك ، فتصبح من عقارات الدولة ^(١) . والذاهب في ربوع البلاد يشاهد أراضي شاسعة وكثيرة بعضها زراعية أو سكنية خاصة ، وأخرى تجارية أو سياحية أو حكومية أو غير ذلك . والكثير منها مهجورة وغير مستفاد منها في خدمة البلاد والعباد . وبعد فرزها وتحديد مواقعها ، وأصحابها ، ثم إثبات ملكيتها الخاصة والعامة يصبح الانتفاع بها ميسرا حتى تكون موردا اقتصاديا مهما يعود بالفائدة على الأرض والناس ، حكومة وأفراداً ^(٢) .

٢- هذا التصرف الحكومي أجبر الناس على الاجتهاد والسباق في عمل كل ما يقدرون عليه ، من خلال اللوائح والأنظمة التي أقرتها الدولة ، حتى يثبتوا ملكيتهم لأراضيهم ، والحصول على الوثائق والإثباتات المطلوبة . ومن لا يستطيع تحقيق ذلك ، فقد يفقد أحقيته فيما يسعى إلى إثباته وتملكه . والدولة لا تسعى إلى أخذ حق أحد إطلاقاً ،

(١) أرى أن هذا القرار من أشجع القرارات وأفضلها على مستوى البلاد (المملكة العربية السعودية) لأنه يحفظ حقوق الناس أولاً ، ويمنع الفوضى العقارية التي كانت سارية في كل مكان ، فهناك من يملك مئات الآلاف من المترات أو عشرات الكيلومترات ، وآخرون لا يملكون متراً واحداً . وأيضاً إيقاف التجاوزات والتعدييات على أملاك الغير ، أو على الأراضي العامة التي ليست ملكاً لأحد .

(٢) من يدرس الحياة الاقتصادية في العقود الأولى من تأسيس المملكة العربية السعودية يجد أن الحاصلات الزراعية والثروات الحيوانية كانت المصادر الأولى والرئيسية في مساعدة الدولة وتزويدها باحتياجاتها الأساسية أثناء التوحيد وبناء الدولة الحديثة . وكانت بلاد تهامة والسرارة من مكة والطائف إلى نجران وجزان أهم البلدان التي وفرت هذه الموارد الاقتصادية الرئيسية والمهمة . وقد اطلعت على آلاف السجلات والوثائق في أرشيف ماليات الجنوب السعودي وهي تؤكد ما أشرت إليه أعلاه . ونشرت أيضاً مئات الوثائق والدراسات التي وثقت الكثير من الأموال التي دخلت صناديق وزارة المالية ، وكان معظمها من الثروات الحيوانية والزراعية في جنوب البلاد السعودية . انظر الكثير من هذه الكتب والدراسات المطبوعة ورقياً ، وأيضاً إلكترونياً على الرابط (Prof-ghithan.com) .

لكنها فقط أوجدت قواعد وأنظمة حكومية رسمية من أجل حفظ حقوق مواطنيها، وإيقاف التلاعبات العقارية التي كانت غير خالية من الفوضى والعشوائية. ومن خلال هذه الأنظمة الجديدة خدمت الناس في امتلاك أراضيهم بوثائق حكومية شرعية رسمية، وأيضاً استفادت في توفير موارد مالية لخزينة الدولة من خلال هذه الخدمات المقدمة لكل مواطن^(١). ثم إنها في المستقبل قد تفرض رسوماً على كل أرض لا يستفاد منها، وإنما اسمها فقط أرض زراعية أو سكنية أو تجارية بدون فائدة. ومن ثم فالواجب على كل صاحب أرض أن يخدم أرضه بالعمل أو الحرفة التي تناسبها ومن ثم يستفيد منها أولاً، ويفيد أيضاً خزينة الدولة بما يؤخذ عليها من زكاة، أو رسم، أو ضريبة^(٢).

٣- هذه الأيام الستة (١١٦٠/٥/١٤٤٣هـ) التي قضيتها في محافظات تنومة والنماص والمجاردة شهدت جميع سكان هذه البلاد يعملون مثل غيرهم في عموم البلاد السعودية، فتراهم في سعي حثيث بين المكاتب الهندسية المعتمدة، والبلديات، والمنصة المعروفة باسم (إحكام) التي من خلالها يتم رفع الأوراق من أجل إثبات تملك عقاراتهم الزراعية والسكنية، ولم تسلم المحاكم الشرعية وكتابات العدل وغيرها من هذا الحراك المجتمعي والتنظيمي^(٣). ومن العجيب أن بعض الأفراد لم يأتوا إلى قراهم ومساقط رؤوسهم منذ ثلاثين أو أربعين سنة، وإنما يعيشون في مدن وحواضر أخرى بالمملكة العربية السعودية، وبعد صدور هذا القرار، وإعطاء الناس مهلة عام واحد ينتهي في (٥/٥/١٤٤٣هـ) تراهم عادوا إلى أوطانهم الرئيسية من أجل استكمال طلباتهم وأوراقهم ورفعها على منصة (إحكام) قبل التاريخ المحدد^(٤).

(١) قرأت بعض الأنظمة واللوائح الخاص بهذا القرار، ثم تجولت في ربوع تهامة والسراة، وزرت بعض البلديات، والمكاتب الهندسية، وقابلت بعض المواطنين. فوجدت أن الواجب على كل من لديه أرض زراعية، أو سكنية، أو تجارية أو غيرها أن يجتهد في الحصول على وثيقة تثبت ملكيته لها. وأوجدت الدولة منصة إلكترونية يتم التقديم من خلالها واعتمد في كل مدينة أو حاضرة مكاتب هندسية تقوم على خدمة المواطنين. والمواطن يدفع مبالغ محدودة من خلال المنصة تودع في خزينة الدولة. والمكاتب الهندسية تحصل على أجزائها مقابل رفع الأوراق المطلوبة لكل مواطن على المنصة ومتابعتها.

(٢) اعتمدت الدولة خلال الثمانين سنة الماضية على سلعة البترول، وقد يأتي يوم ينضب فيه البترول، ولا يشكل مورداً اقتصادياً رئيسياً للبلاد. وبالتالي لابد من إيجاد بدائل، والمملكة العربية السعودية، والحمد لله، عندها من الموارد ما يجعلها دولة اقتصادية وصناعية كبيرة. والزراعة والأراضي الزراعية من أهم المصادر التي يجب الاستفادة منها وتفعيلها في خدمة لبلاد والعباد اقتصادياً. وقد يكون هذا القرار وما سوف يليه من قرارات في قادم الأيام يصب في خدمة هذه المهنة (الزراعة) حتى تعود إلى سالف عهدها المتألق في القرون الماضية.

(٣) زرت بعض هذه المؤسسات الإدارية في المدن الثلاث (النماص، والمجاردة، وتنومة) فوجدت من أكثر أعمالها خدمة المواطنين الذين يريدون إثبات ملكياتهم لأراضيهم عن طريق المنصة المحدثة من الدولة (إحكام).

(٤) أثناء تنقلي في أرجاء المحافظات الثلاث واجهت عشرات الأفراد، وأحياناً معهم نساء يشتركن معهم

٤- من العجائب أنني سمعت وقيل لي أن البعض من الأفراد في محافظة تنومة والنماص والمجاردة عند عودتهم من بعض المدن والحوضر في المملكة إلى قراهم وأماكن استيطانهم الأساسية كانوا يجهلون الأماكن الصحيحة والدقيقة لأراضيهم الزراعية، والكثير منهم عانوا في البحث والسؤال عما يرشدتهم إلى كل أرض وقطعة زراعية، والأصعب من ذلك معرفة أطوال الحدود وأسماء الجيران لكل أرض^(١). وقد التقيت ببعض الأشخاص الذين عانوا من هذه المشكلة، فقالوا: لقد هجرنا ديارنا منذ سنوات طويلة، والأوائل من الآباء والأجداد توفاهم الله (عز وجل)، وهجرت الأراضي الزراعية ومهن الزراعة، وتقادم الزمن على هذه الأملاك العقارية، حتى إن الأحياء من الأقارب كالإخوان، والأخوات، وأبناء العمومة نسوا الكثير من معالم أراضينا الزراعية التي آلت إلينا بالوراثة، وبعضهم مازالوا يعيشون في القرى والأوطان الرئيسية، أو يترددون على زياراتها باستمرار^(٢).

ويتضح لي مما شاهدته وتأكد لي إيجابية قرار الدولة بخصوص إلزامية الناس بالعمل على إثبات أملاكهم وأراضيهم الزراعية والسكنية وغيرها، وبالتالي تعميق ربط الإنسان السعودي ببلاده وأرضه سواء كان في موطنه الأول ومسقط رأسه، أو في أي مكان أقام فيه وامتلك العقار وبخاصة الأراضي. ثم إن كل أرض أو ناحية في الوطن إذا أصبحت مثبتة بوثائق رسمية، وعرف أصحابها فسوف تتراجع الخصومات والصراعات بين الناس، وتشغل المحاكم الشرعية والمؤسسات الإدارية الأخرى بأعمال تصب في خدمة وتطوير الأرض والإنسان في كل مكان من أرجاء البلاد^(٣).

في الإرث الشرعي، وجميعهم مشغولون بجمع كل الشروط والأوراق المطلوبة لإثبات حقوقهم الزراعية والسكنية، وأعترف بعضهم، وسألت آخرين فوجدتهم لم يزوروا قراهم وأوطانهم، حسب أقوالهم، منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، والذي دفعهم للعودة هو القرار الحكومي الصادر يوجب امتلاك عقاراتهم بأوراق وثبوتات رسمية.

(١) هذه الأمور من أهم الشروط التي يجب توفرها في منصة (إحكام) أو في المحاكم الشرعية وكتابة العدل، ولا يمكن استكمال الأوراق والإثباتات إلا بهذه الشروط. ولم يكن الأمر مقصوراً على سكان النماص وتنومة والمجاردة، وإنما هي مشكلة ظهرت في جميع مناطق المملكة وبلاد السروات وتهامة من أكثر الأوطان التي فيها عقارات زراعية وسكنية وغيرها.

(٢) التقيت في رحلتي في المحافظات الثلاث في الفترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ) بأكثر من ثلاثين فرداً، وأغلبهم قالوا ما أشرت إليه أعلاه، وهناك أشخاص آخرون يعرفون مواقع أملاكهم الزراعية التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم، لكن تطور العمران والتمدن في البلاد غير الكثير من معالم الأرض، فقابلوا بعض الصعوبات حتى عرفوا أملاكهم التي عملوا على إثبات ملكيتها ورفعها على منصة (إحكام).

(٣) أرصد هذه الأقوال لعرفتي التامة بأن أكثر المشاكل والخصومات بين الناس في عموم بلاد السراة وتهامة تدور على الأراضي الزراعية والسكنية وغيرها من الأملاك العقارية. ومن يطلع على أراشيف المحاكم الشرعية، والبلديات، والشرطة، والإمارات والمحافظ والمراكز في عموم جنوب المملكة العربية السعودية

والمحافظات الثلاث مليئة بالأعمال الحرفية والصناعية ممثلة في مهن الحدادة ، وخدمات السيارات والآلات والتقنيات بأنواعها ، وكل ما يتعلق بالعمارة والعمران العام والخاص ، والحرف الفردية والجماعية كالبيع والشراء ، وخدمات الأراضي الزراعية والسكنية والتجارية ، وممارسة أعمال الحلاقة ، والصياغة ، والصباغة ، والنجارة ، وحرف أخرى متنوعة تتصل بالكثير من المجالات الحضارية التعليمية ، والصحية ، والسياحية ، والإدارية ، والثقافية ، والاجتماعية وغيرها^(١) .

أما مجال التجارة فهو قطاع مهم وكبير ، ويتصدر أعمال شريحة كبيرة من الناس . وأثناء سيري في أرجاء هذه المحافظات المعنية في هذا القسم ، رأيت مئات الأسواق المتنوعة في معروضاتها ، وأسعارها ، والأيدي العاملة فيها . ومما ساعد على ممارسة الأعمال التجارية بشكل جيد سهولة الطرق الموجودة داخل كل محافظة ، وكذلك الدروب التي تربط كل محافظة مع غيرها ، وقد أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذه الدراسة ، وأذكر في الجداول التالية كل محافظة والطرق التي تربطها بما حولها .

يتأكد له صحة ما دونته . وأعرف ذلك من خلال زياراتي المتعددة لهذه المؤسسات الإدارية ، ، وأيضاً اطلاعي وامتلاكي آلاف الوثائق التي تبين كثرة الخصومات في هذا الجانب . بل إن أثارها السلبية تمتد إلى انتشار القطيعة والبغضاء بين الأقارب والجيران وغيرهم في عموم البلاد .

(١) إن الحديث عن الصناعات والحرف التقليدية القديمة والحديثة في بلاد السراة وتهامة موضوع كبير يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية . أمل أن يجري على هذا القطاع تطويرات وتنظيمات حكومية رسمية ، وذلك بعد التخطيط والدراسة المستفيضة ، التي تصب في مصلحة البلاد من خلال تفعيل هذا القطاع الحيوي الاقتصادي المهم .

جدول رقم (١)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة تنومة وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين تنومة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١-	تنومة - مركز منصبة	٧١ كم
٢-	تنومة - النماص	٢٥ كم
٣-	تنومة - المجاردة	٦٦ كم
٤-	تنومة - بارق	٤٤ كم
٥-	تنومة - محایل عسير	٨٠ كم
٦-	تنومة - رجال المع	١٥٣ كم
٧-	تنومة - أبها	١٢٠ كم
٨-	تنومة - خميس مشيط	١٤٦ كم
٩-	تنومة - نجران	٣٧٠ كم
١٠-	تنومة - جازان	٣١٩ كم
١١-	تنومة - بيشة	٢٠٤ كم
١٢-	تنومة - الباحة	٢١٦ كم
١٣-	تنومة - القنفذة	١٩٢ كم
١٤-	تنومة - الليث	٣٢٥ كم
١٥-	تنومة - الطائف	٤٣٢ كم
١٦-	تنومة - مكة المكرمة	٥٣١ كم
١٧-	تنومة - جدة	٥٣٧ كم
١٨-	تنومة - المدينة المنورة	٨٨٤ كم
١٩-	تنومة - الرياض	٩٠٠ كم
٢٠-	تنومة - الدمام	١٣١٠ كم
٢١-	تنومة - القصيم	١٠٦٢ كم
٢٢-	تنومة - تبوك	١٤٨٩ كم

جدول رقم (٢)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة النماص وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين النماص وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١-	النماص - مركز بني عمرو	٤٢ كم
٢-	النماص - مركز السرح	٣٠ كم
٣-	النماص - مركز وادي زيد	١٧ كم
٤-	النماص - تنومة	٢٥ كم
٥-	النماص - المجاردة	٥٠ كم
٦-	النماص - أبها	١٥٠ كم
٧-	النماص - خميس مشيط	١٦٠ كم
٨-	النماص - بارق	٧٤ كم
٩-	النماص - محاليل عسير	١٠٠ كم
١٠-	النماص - رجال ألمع	١٨٨ كم
١١-	النماص - جازان	٣٥٠ كم
١٢-	النماص - نجران	٤٠٠ كم
١٣-	النماص - بيشة	١٧٩ كم
١٤-	النماص - الباحة	١٩٢ كم
١٥-	النماص - الطائف	٤٠٨ كم
١٦-	النماص - القنفذة	١٧٤ كم
١٧-	النماص - الليث	٣١٨ كم
١٨-	النماص - مكة المكرمة	٤٩١ كم
١٩-	النماص - جدة	٥١٨ كم
٢٠-	النماص - المدينة المنورة	٨٦٠ كم
٢١-	النماص - الرياض	٨٧٦ كم
٢٢-	النماص - الدمام	١٢٨٤ كم
٢٣-	النماص - القصيم	١٠٣٧ كم
٢٤-	النماص - تبوك	١٤٨٢ كم

جدول رقم (٣)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة المجاردة وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين المجاردة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١-	المجاردة - مركز عيس	٣٣ كم
٢-	المجاردة - مركز ختبة	١٦ كم
٣-	المجاردة - مركز خايط	١٨ كم
٤-	المجاردة - مركز ثريان	٢٣ كم
٥-	المجاردة - مركز أحد ثريان	٥٠ كم
٦-	المجاردة - النماص	٥٠ كم
٧-	المجاردة - تنومة	٦٦ كم
٨-	المجاردة - بارق	٣٣ كم
٩-	المجاردة - محاليل عسير	٧٩ كم
١٠-	المجاردة - رجال المع	١٦٧ كم
١١-	المجاردة - أبها	١٧٠ كم
١٢-	المجاردة - خميس مشيط	١٩٢ كم
١٣-	المجاردة - نجران	٤١٣ كم
١٤-	المجاردة - جازان	٣٢٤ كم
١٥-	المجاردة - بيشة	١٩٥ كم
١٦-	المجاردة - الباحة	١٧٨ كم
١٧-	المجاردة - الطائف	٣٩٤ كم
١٨-	المجاردة - القنفذة	١٢٥ كم
١٩-	المجاردة - الليث	٢٧٢ كم
٢٠-	المجاردة - مكة المكرمة	٤٦٦ كم
٢١-	المجاردة - جدة	٤٧٢ كم
٢٢-	المجاردة - المدينة المنورة	٨٧٩ كم
٢٣-	المجاردة - الرياض	٨٩١ كم
٢٤-	المجاردة - الدمام	١٣٠٠ كم
٢٥-	المجاردة - الظهران	١٢٩٩ كم
٢٦-	المجاردة - القصيم	١٠٧٣ كم
٢٧-	المجاردة - حائل	١٢٦٩ كم
٢٨-	المجاردة - الجوف	١٧٩١ كم
٢٩-	المجاردة - عرعر	١٨٤٧ كم
٣٠-	المجاردة - تبوك	١٤٣٦ كم

وإن توقفت مع بعض التعاملات التجارية فالعملة السعودية العربية الورقية والمعدنية هي المستخدمة في كل مكان^(١)، وهناك بنوك تجارية تملك بعض العملات الأخرى العربية والأجنبية، وتخدم السعوديين وغير السعوديين في التحويلات المالية والصرافة لمن يبحث عن هذه الخدمات^(٢). أما الأوزان والمكاييل فالطن للمواد الثقيلة كالحديد، والخرسانة، والأسمنت وغيرها. والكيلو جرام، والجرام من الأوزان الأكثر استخداماً وانتشاراً في البلاد، وما زال هناك أوزان بالأوقية. وتقاس المسافات بالأمطار والكيلومترات ونادراً يستخدم الميل، مع أنه معروف لدى بعض الوزارات والمؤسسات والمكاتب الهندسية التي تستخدمه أحياناً. والصاع، والمد بأنواعه ومقاساته يستخدم في كيل الحبوب والمواد الغذائية الأخرى كالأرز والسكر وغيرها^(٣).

سألت وسمعت وشاهدت شيئاً من الأسعار والأجور. فالأراضي متوسطة المساحة من (٥٠٠ - ١٠٠٠ م^٢) داخل مدن النماص، وتتومة، والمجاردة تتراوح أسعار السكنية من (٢٥٠) إلى (٧٠٠) ألف ريال. وهناك أراض لا تزيد أسعارها عن مئة أو مئة وخمسين ألف ريال. أما الأراضي التجارية داخل المدينة وبخاصة الواقعة على الشارع الرئيسي الذي يصل من أبها إلى الطائف عبر مدينتي تتومة والنماص، أو طريقي بدر والشهداء في المجاردة، أو الطريق الذي يسير من بارق إلى العرضيات عبر محافظة المجاردة فجميعها غالية، وغالباً تكون قريباً من المليون ريال، أو تزيد، وأحياناً تدخل في خانة المليونين والثلاثة إذا كانت المساحات واسعة. أما البيوت السكنية في النواحي الثلاث، فالبيت داخل الأحياء السكنية المكون من دور أو دورين أو ثلاثة تتراوح أسعاره من (٣٠٠) ألف إلى المليون ريال. وهناك منازل جديدة، ومواقعها السكنية جيدة ومواد بنائها وديكوراتها من الداخل والخارج مميزة، فأسعارها عالية، وغالباً تكون في خانة

(١) تاريخ العملة السعودية درست في عدد من الكتب والرسائل العلمية منذ بداية عصر المملكة العربية السعودية حتى وقتنا الحاضر. وما زال هناك جوانب عديدة في هذا الموضوع لم توثق في أعمال علمية، أرجو من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن تلتفت لهذا الميدان فيخدم من خلال البحوث والرسائل الجامعية.

(٢) أعيش وأدرس أحوال سكان المناطق الجنوبية السعودية منذ بداية هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م)، وشاهدت وعاصرت التطور الاقتصادي والمالي في هذه النواحي، حيث كان بسيطاً ومتواضعاً في العقود الأخيرة من القرن (١٤/هـ/٢٠م) ثم بدأ يتطور ويتوسع حتى أصبحنا نشاهد اليوم (١٤٤٣/هـ/٢٠٢١م) الكثير من المؤسسات المالية والبنوك التجارية المنتشرة في كل مكان وجميعها تقدم خدماتها بشكل جيد على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس ويوثق تاريخ مؤسسة النقد العربي السعودي في منطقة عسير، والبنوك التجارية منذ ثمانينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٣) إنني فقط أوثق معلومات مختصرة عن بعض الصور الحضارية الاقتصادية التي شاهدها أثناء رحلتي في محافظات النماص وتتومة والمجاردة، بل رأيتهما أيضاً في مدن وحواضر أخرى من البلاد العربية السعودية. وهذه العناصر المذكورة أعلاه تستحق أن تدرس ويكتب عنها كتابات علمية توثيقية منذ تأسيس الدولة السعودية الحديثة حتى وقتنا الحاضر. أرجو من كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية أن يلتفتوا إلى هذه المحاور المهمة والجيدة في ميادين التوثيق والبحوث التاريخية.

المليون وزيادة ، وربما يصل بعضها إلى المليونين . والأراضي التجارية والأبنية التجارية أغلى بكثير من السكنية ، فالوقعة على الشوارع الأنفة الذكر في المدن الثلاث تتراوح أسعارها من المليون إلى عدة ملايين حسب مساحة الأرض وعدد الطوابق لكل عمارة . ولا تخلو المحافظات من استراحات وصالات أفراح ، تتفاوت أسعارها حسب مواقعها ، ومساحتها ، وجودة بنائها . والاستراحات أو القاعات الكبيرة غالية ، أرضاً وعمراً ، وغالباً تكون في خانة المليون ، وبعضها يصل سعرها إلى المليونين والثلاثة ملايين ريال^(١) .

أما أسعار الطعام والشراب ، فكيلو اللحم من الأغنام والأبقار والإبل يتراوح من (٥٠-٧٠) ريالاً . والمطبوخ يتجاوز المئة ريال وفي بعض المنادي والمطاعم يصل إلى (١٦٠ و ١٧٠) ريالاً . والذبيحة من الماعز والأغنام من (١٠٠٠-٢٠٠٠) ريال ، والأبقار من (٣٠٠٠-٥٠٠٠) ريال للحسيل أو الثور متوسط الحجم . والإبل من (٤٠٠٠-٨٠٠٠) ريال حسب السن والحجم . ووجبة الدجاج مع الأرز من (٣٥-٤٥) ريالاً والدجاجة النيئة من (١٢-١٧) ريال حسب الحجم والنوع . والوجبة في المطاعم للفرد الواحد المكونة من نصف دجاجة مع الأرز وقارورة ماء صغيرة ، أو مشروب غازي تتراوح من (١٤-٢٥) ريالاً حسب جودة المطعم ، أما الوجبة من اللحم المندي أو السمك فتكون أغلى ، وغالباً بين (٤٠-٧٠) ريالاً . أما صحن الإدام الصغير ، أو السلطة ، أو الخبز ففي خانة الريالات من (٤-١٠) . وكوب الشاي بريال أو ريالين . هناك مقاهي (كوفي شوب) على الشوارع تخدم المارة بالسيارات ، أو من يريد الجلوس ، والمشروب والحلوى للفرد الواحد يتراوح سعرها من (١٥-٦٠) ريالاً ، والفواكه والخضروات : كيلو الطماطم من (٨-٤) حسب الندرة أو الوفرة ، وكيло الفاصوليا ، والكوسة ، والباذنجان ، والفلفل البارد ، والفلفل الحار من (٤ و ٥) ريالاً إلى العشرة . أما البامية فالكيلو الجيد منها (١٠-٢٠) ريالاً حسب القلة والكثرة . والورقيات مثل : البصل الأخضر ، والخس ، والجرجير ، والكزبرة ، والنعناع ، والحبق ، والكراث وغيرها الحزمة الصغيرة الواحد وأحياناً الثنتان بريال ، وهناك من يبيع الثلاث حزم بريالين . أما الملوخية فالحزمة قبضة اليد الواحدة من ريالين إلى أربعة ريالاً حسب وفرتها في الأسواق^(٢) .

أما الفواكه فالكيلو من الموز والبرتقال من (٥-٨) ريالاً . وكيло العنب ، والتفاح (الأخضر والأحمر) ، واليوسفي ، والعنب ، والخوخ ، والمشمش ، والبخاري ، والكمثرى

(١) تاريخ أسعار الأراضي والعمارات السكنية والتجارية والسياحية والرياضية في منطقة عسير موضوع جديد لم يدرس ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسه ويوثقه تاريخياً من عام (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) .
(٢) كل هذه الأسعار في أسواق الخضار ، والمحلات التجارية الكبيرة ، وأحياناً تكون هذه السلع في أسواق صغيرة فتكون أغلى قليلاً .

والليمون، وغيرها تتراوح أسعارها من (١٠-٢٠) ريالاً حسب كمياتها، ومواسمها، ووفرته٠ والكيلو من الحبيب من ريالين إلى أربعة ريالات. والشمام بين (٥-١٥) ريال حسب الوفرة. وكيلو البلح أو التمر من (١٠-٣٠) ريالاً، وربما زاد سعر كيلو التمر الجيد والمميز. وإذا توفر الرمان، والشمام (الخربز) ترخص أسعارها فقد يباع الصندوق الذي يزن عشرة أو عشرين كيلو من الرمان بمئة ريال. وربما أقل من ذلك، وإذا كان المعروض قليلاً فالأسعار تزيد. ومد الحب من الذرة، أو القمح، أو الشعير، وأحياناً السمسم في تهامة يتراوح من (١٠-٤٠) ريالاً، حسب جودة النوع، ووفرته، وقيمتة الغذائية.

من يزور أسواق الأغذية الكبيرة والصغيرة فإنه يقف أمام عشرات الأشربة والأطعمة، وكلها مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وأسعارها تتفاوت حسب نوعها، وأوزانها، وأماكن تصديرها. لكنها تتراوح من الريال والريالين إلى عشرات الريالات للمقادير والكميات القليلة والمحدودة. أما الكميات الكبيرة فقد تدخل في خانة المئات^(١).

وإن اجتهدنا في توثيق أسعار الألبسة وأدوات الزينة في وقتنا الحاضر فليس الأمر بعيداً عن الأشربة والأطعمة. حيث فاض الخير على الناس، وامتلات الأسواق بألاف الأنواع من اللباس وأدوات التزين للرجال والنساء، الصغار والكبار، الذكور والإناث. وعند تنقلي في مدن المجاردة، والنماص، وتثومة، ثم زيارتي لبعض أسواق الألبسة الكبيرة يقف الإنسان حائراً على كثرتها، وجميعها مستوردة من خارج المملكة العربية السعودية وبخاصة من الصين التي أغرقت الأسواق بسلعها وفي مقدمتها الأقمشة والألبسة الداخلية والخارجية، وفئات النساء والأطفال يتصدرون كل سوق في كثرة ملابسهم وأدوات زينتهم. ولا تخلو الأسواق أيضاً من البسة وأدوات زينة محلية، وأماكنها غالباً في الأسواق الشعبية. وهناك البسة أخرى خارجية تم استيرادها من بلدان غربية وشرقية غير بلاد الصين^(٢).

أما الأجور اليوم فهي مرتفعة جداً مقارنة بالقرن الهجري الماضي أو العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). فالمسافر سابقاً من النماص أو المجاردة، أو تثومة

(١) تاريخ الأشربة والأغذية الحديثة والمعاصرة لا يقارن مع أطعمة وأشربة الأوائل. ففي السابق كان محدوداً ومحلياً. أما اليوم فيصعب على الإنسان حصر ما تمتلئ به الأسواق والمنازل من طعام وشراب معظمها مستورد من أمكنة وبلدان عديدة في العالم. حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ الأشربة والأطعمة الحديثة والقديمة. في مناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. والجامعات المحلية وأقسامها الأكاديمية عليها مسؤوليات كبيرة لخدمة أي بحث علمي يصب في مصلحة أرض وإنسان هذه الأوطان.

(٢) إجراء دراسة مقارنة على أدوات الزينة والألبسة الحديثة والقديمة من الموضوعات الحضارية الجديدة التي تصلح أن تكون عناوين لبحوث وكتب ورسائل علمية. وكل ناحية كبيرة في عموم السراة وتهامة تستحق أن تخدم في هذا الجانب، مع توثيق الأسماء والألفاظ التي تطلق على كل لباس في الماضي والحاضر.

إلى أبها ، أو الطائف ، أو مكة ، أو حتى الرياض لا تتجاوز أجرة ركوبه في سيارة صغيرة أو كبيرة الرياضات ، وأحياناً العشرات التي تصل إلى الأربعين والخمسين ريالاً لأبعد المسافات . أما الآن فقد تضاعفت هذه الأجور ثلاث وأربع مرات حسب نوع السيارة ، والمسافة من مكان لآخر . كذلك الآلات والمعدات المستخدمة في خدمة الأرض عمرانياً أو سكنياً ، وزراعياً ، صارت الساعة الواحدة بالعشرات ، وبعضها تدخل خانة المئات حسب الزمن وحجم العمل . أما الأيدي العاملة العادية ، فالأجرة اليومية للفرد تتراوح من (١٥٠ — ٢٠٠) ريال ، وأحياناً تكون أقل إذا كانت هذه الأيدي من العمالة السائبة التي لا تعيش في البلاد بطريقة نظامية^(١) . أما الأيدي العاملة الفنية ، أو المدربة وتتضمن بعض المهن المهمة مثل الكهرباء ، والسباكة ، والبناء ، والدهانات ، وعمل ديكور الجبس ، وتركيب الرخام ، وأعمال تقنية ومهنية أخرى عديدة فغالباً تكون أسعارها عالية سواءً كانت بالمتري ، أو اليوم ، أو الاتفاق الشامل المعروف محلياً بـ (القاطوعة) . وللأسف إن معظم الأيدي العاملة التي تعمل في هذه المهن معظمها وربما جميعها غير سعودية ، ونادراً أن نرى عاملاً وطنياً يخدم في هذه الحرف الاقتصادية المربحة^(٢) .

والحديث عن الرواتب والأجور للنساء والرجال السعوديين والسعوديات . في القطاعين العام والخاص موضوع مهم وكبير ، وحسب علمي لم يدرس حتى الآن في بحوث علمية موثقة . مع أن المادة العلمية لهذا الميدان متوفرة وبخاصة في الأربعين أو الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠ - ١٤٤٣هـ / ١٩٧٠ - ٢٠٢١م) ، أرجو أن نرى من طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريخ ، والاجتماع ، والجغرافيا ، والاقتصاد من يدرس هذا المجال الحضاري المهم^(٣) .

إن الخدمات الصحية في محافظات النماص وتبومة والمجاردة جيدة ، فلا تخلو المدن الكبار من مستشفيات ومراكز صحية حكومية . ومستوصفات ومقرات طبية خاصة ، ناهيك عن الصيدليات المنتشرة في كل حاضرة وعلى الشوارع الرئيسية التي تربط المحافظات

(١) أتجول في عموم السروات وتهامة من بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، والعمالة السائبة موجودة بكثرة ، ومازالت ، وأغلبهم من الأحباش ، والصوماليين ، واليمنيين ، وربما بعض العمال الهاربين من مؤسساتهم أو كفلائهم ، ومنهم عرب وغير عرب من بلدان عديدة في شرق آسيا وغيرها . وموضوع العمالة السائبة (غير النظامية) في جنوب البلاد السعودية من مكة والطائف إلى جازان ونجران من العناوين المهمة التي يجب إجراء دراسات عليها مع الحرص على الحيادية والشفافية في التدوين ثم الخروج بتوصيات ونتائج شفافة . أرجو أن نرى معاهد متخصصة تعلم وتدعم أبناءنا على هذه المهن ثم تدعمهم وتشجعهم حتى يعملوا فيها بشكل جاد وعملي .

(٢) وثقت وطبعت ونشرت عدداً من الدراسات التي تشير إلى بعض الرواتب والأجور للسعوديين من الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) . وإذا أجريت دراسة على رواتب الموظفين اليوم ، ثم مقارنتها مع أجور الموظفين في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ، فسوف نجد البون الشاسع والفرق الكبير في مقادير هذه الأجور في الماضي والحاضر . وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

الثلاث بغيرها . وإن بحثنا عن الكوادر البشرية الطبية السعودية فلا تخلو مستشفيات ومراكز هذه النواحي من أعداد طبية^(١) . ومن بنات وأبناء سرورات بني شهر وبني عمرو عشرات الأطباء والممرضات والممرضين والفنيين الطبيين الذين يعملون في وزارات وجامعات وكليات وقطاعات عديدة في طول البلاد (المملكة العربية السعودية) وعرضها ، ولهم إسهامات وصلات مع قراهم ومدنهم وأهلهم في محافظات تنومة والمجاردة والنماص ، ولا يتأخرون في تقديم أي خدمة صحية أو طبية تطلب منهم سواء كانوا بين أهلهم في المحافظات المذكورة أو في مقرات أعمالهم في أنحاء البلاد السعودية^(٢) .

وفي هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) والعامين المنصرمين (١٤٤١-١٤٤٢هـ/٢٠١٩-٢٠٢١م) مر العالم ، والمملكة العربية السعودية . بجميع مناطقها ، ومدنها ، ومحافظاتها بجائحة عالمية ، هي مرض كورونا (كوفيد ١٩) . وقد أشرت في بحوث سابقة إلى لمحات مختصرة عن هذا المرض وأثاره الإيجابية والسلبية على بلدان السراة وتهامة ، وعلى منطقة عسير تحديداً^(٣) . وعند زيارتي الأخيرة لمحافظات المجاردة ، والنماص ، وتنومة رأيت بعض آثاره مازالت سارية بين الناس . فلبس الكمائم والتباعد في المساجد ، والمجالس ، والمؤسسات الحكومية والأهلية مازال مطبقاً ، والكثير من الناس ملتزم بذلك ، وآخرون مقصرون في بعض الانتباهات والاحترازمات الصحية^(٤) . وفي هذه الأيام الأولى من شهر بيع الأول (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وأنا أكتب رحلتي عن محافظات تنومة والنماص والمجاردة أقرأ وأشاهد تراجع الآثار السلبية لفيروس كورونا ، حيث صارت الأعداد المصابة في عموم البلاد (المملكة العربية السعودية) قليلة جداً ، فلا

(١) أكتب هذه التوثيقات في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) نتيجة لما شاهدته في المحافظات الثلاث . وهذه الخدمات الطبية المعاصرة تدار من قبل موظفين فنيين وغير فنيين سعوديين وغير سعوديين . وإذا قرأنا وضع الحياة الطبية اليوم في عموم بلدان السراة وتهامة ، بما فيها النماص والمجاردة وتنومة ، مع عقود ماضية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة على الإطلاق لتواضع الخدمات الصحية في الماضي ، وتقدمها وتطورها في عصرنا الحاضر . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية الرصينة .

(٢) من يقوم بعمل إحصائية عن بنات وأبناء المحافظات الثلاث الذين درسوا وتخصصوا في مجالات صحية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها فسوف يعثر على أعداد كثيرة تدخل في خانة المئات ، وربما تزيد . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسة هذا العنوان في عمل علمي موثق .

(٣) انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، الأجزاء من (١٩-٢٥) ، ففيها بعض الصفحات التي توثق شيئاً من سلبات وإيجابيات مرض كورونا من (١٤٤١-١٤٤٣هـ/٢٠١٩-٢٠٢١م) .

(٤) قضية الاحترازمات من مرض كورونا موضوع كبير في عموم العالم ، والمملكة العربية السعودية . وقد نشر عن هذا المرض الكثير من البحوث والدراسات العلمية في معظم بلدان العالم . وأرى أنه من الموضوعات التاريخية الحديثة والمعاصرة التي يجب أن تصدر عنه توثيقات مطولة ، وهي من مسؤوليات المؤرخين وأقسام التاريخ ، وعلى جامعاتنا المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تدعم طلابها وأساتذتها على إنجاز مثل هذه الأعمال العلمية في إطار حدودها الجغرافية الممتدة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران .

تزيد عن العشرات، ومما يقال ويعلن في بعض وسائل التواصل حالياً إن الاحترازاات الإلزامية من كمادات وتباعد سوف تلغى في غضون عشرة أيام إلى أسبوعين ، أي في نهاية شهر ربيع الأول (١٤٤٣هـ) الموافق نهاية شهر أكتوبر (٢٠٢١م) ، أمل أن تكون هذه الأخبار صحيحة ، وإن حدث ذلك ، فهناك إشارة إلى تراجع هذا المرض الخطير (كوفيد ١٩) . ومما قيل إن جميع المراحل التعليمية سوف تستأنف عملها حضوريا وليس عن بعد ^(١) أرجو أن يتحقق ذلك ، وأن تكون هذه الأخبار التي يتناقلها الناس صحيحة .

ونشاهد المجال الرياضي مرعياً من الدولة ، فهناك أندية رياضية رسمية في كل محافظة ، ولها مقرات معروفة ، ومدعومة بميزانيات محددة ، ولها نشاطات رياضية متنوعة ، وأحيانا تقدم بعض الأنشطة الثقافية والعلمية والمعرفية والترفيهية . والقائمون عليها والمستفيدون منها شباب المحافظات (النماص ، وتنومة ، والمجاردة) . وشاهدت أيضا العديد من الملاعب الرياضية التجارية التي تدعم أنشطة الشباب ، وأغلبها تخدم لعبة كرة القدم . كما لا تخلو البلاد من أنشطة حديثة وصلت إليها مؤخرا ، مثل رياضة تسلق الجبال ، وتمتاز المحافظات الثلاث بالكثير من المرتفعات والجبال الصالحة للممارسة هذه الرياضة ^(٢) .

أما السياحة والأمكنة الترفيهية السياحية في عموم المحافظات الثلاث ، فهي متوفرة وتنوع تضاريس هذه البلاد ، وكثافة غطاءها النباتي جعلها من البلدان السياحية الجيدة بامتياز ، والمؤسسات الرسمية المحلية ، ووزارة السياحة اليوم تبذل قصارى جهودها لتطوير إنسان وأرض هذه المحافظات ، وهي تستحق ذلك . أرجو أن نراها في قادم الأيام من المناطق السياحية الإقليمية والعالمية ، لكنها مازالت تحتاج إلى جهود تنمية وتطوير كبير حتى تحقق هذه الدرجة المتقدمة والرفيعة ^(٣) .

(١) عانى الناس كثيراً من هذه الجائحة الصحية ، وبخاصة قطاع التعليم العام والعالي ، فقد تحول التعليم إلى نظام إلكتروني ، عن بعد . وهو الآن مازال هناك مراحل تعليمية ، وبخاصة الصفوف الأولى والابتدائية تواصل تعليمها عن بعد ، ويذكر أنهم سوف يعودون إلى مدارسهم (حضورياً) نهاية شهر أكتوبر (٢٠٢١م) ، أمل أن يتحقق ذلك على أرض الواقع .

(٢) لم أفصل الحديث عن تاريخ الرياضة الحديث والمعاصر في هذه المحافظات الثلاث ، لكنها عرفت الرياضات القديمة والحديثة منذ قرون عديدة . وهذا المجال يستحق أن يدرس دراسة علمية توثيقية في عدد من الكتب والبحوث العلمية ، أرجو أن نرى من يقوم بذلك مع دعم العمل العلمي بالصورتوغرافية الملونة .

(٣) أقول هذا القول ، وأدون هذه السطور في بدايات عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وأنا على أمل ويقين أن هذه المحافظات الثلاث وغيرها من مناطق عسير ، وربما عموم بلاد السراة وتهامة سوف تكون من البلدان المشهورة سياحياً على مستوى العالم . والدولة حالياً (وفقها الله) أقرت استراتيجية عسير التي من أهم أهدافها تسخير أرض وموارد وإنسان هذه البلاد لكل عمل مثمر وإيجابي يخدم عموم الوطن (المملكة العربية السعودية) اقتصادياً ومعرفياً وثقافياً . أرجو من القائمين على هذه الاستراتيجية أن يعملوا جادين مخلصين لتحقيق هذا الهدف العظيم ، مع الحرص على حفظ هوية هذه الأوطان العربية الماجدة عريقة ، وثقافة ، وفكر ، وحضارة ، ومروءة ، وشهامة ، وقيما ، وتقاليد ، وأعرافا تصب في خدمة الأرض والناس بكل ما هو هادف ورفيع في مبناه ومعناه (والله من وراء القصد) .

رابعاً: خلاصة آراء وتوصيات :

احتوى هذا القسم على مادة علمية في علم الرحلات ، وعلى بلاد سرورية تهامية ضمن منطقة عسير (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) . الجزء الأول لخمس رحلة زاروا النماص خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) ووثقوا صفحات من تاريخها الحضاري . ثم قمت برحلة حديثة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) ، وسجلت لمحات من تاريخها التنموي المعاصر . وفي الوقت نفسه أشركت معي أستاذين كريمين ، أحدهما في السراة ، والآخر في تهامة فكتبنا لي شيئاً من مشاهداتهما وانطباعاتهما . الأول عن محافظة النماص ، والآخر عن محافظة المجاردة ^(١) .

إنني أسعى من خلال هذا العمل التوثيقي إلى حفظ شيء من تاريخ وتراث بلادنا الحديث والمعاصر ، ولا أتمنى أن يندثر ويضيع كما ضاع موروث عربي أصيل قديم عن عموم السروات وتهامة ، التي إذا بحثنا في تاريخها السياسي، والعسكري ، والإداري ، وجوانب حضارية أخرى عديدة قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وجزء كبير من العصور الحديثة فإننا لا نجد ما نسعى إلى معرفته والاطلاع عليه ، وذلك لضياعه واندثاره ، مع أن هذه الأوطان ذات تاريخ عريق وقديم ، وأكبر مثال على ذلك أن معالمها الطبيعية بما تحتوي عليه من موارد اقتصادية وأثار تاريخية سطحية ومدفونة تؤكد ما أشرنا إليه . وما زال الأمل كبيراً في أن تقوم جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والثقافية والبحثية بأعمال أكاديمية وحضارية حقيقية يسودها التعاون ، ثم الدعم المعنوي والمادي والتخطيط الجاد لدراسة تاريخ وحضارة الأرض والناس منذ العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر . ولا أنادي وأصر على هذا القول باستمرار في كل أعمالنا العلمية المطبوعة والمنشورة ، إلا بعد أن شاهدت ورحلت عقوداً عديدة في ربوع هذه الديار العربية القديمة في عراقها وتراثها . فوجدتها كنوزاً معرفية متنوعة في شتى الجوانب المعنوية والمادية ، بل إنها ذات موقع جغرافي عظيم يربط بين العديد من الشعوب الأصيلة ، ناهيك عن الطبيعة الجغرافية التي تحيط بها من كل مكان ، فهي الأخرى ذات حضارة قديمة ومتعددة الأعراف والحضارات ^(٢) .

ووثقت هذه المادة المنشورة في هذا القسم ، رغباً ومتطلعاً أن تشتمل على مفاتيح أولية ليس على محافظات (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) ، لكن على جميع الحواضر ، والمدن ، والمحافظات في جنوب البلاد العربية السعودية من جنوب مكة والطائف إلى جازان

(١) إنهما الدكتور عبد الله بلقاسم البكري الشهري ، والأستاذ علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهري . كانا من العاملين في ميدان التربية والتعليم لعدة عقود . انظر مشاركتهما في صفحات سابقة من هذا القسم .

(٢) البلدان المجاورة لتهامة والسراة من كل الجهات ، حتى البحر الأحمر من الغرب وما يأتي بعده من بلدان إفريقية جميعها ذات تاريخ طويل ، ولها صلات قديمة وقوية مع عموم السراة وتهامة ، وهذا ما نرغب في العثور عليه ، ثم دراسته وتحليله ثم طباعته ونشره .

ونجران ، فتجد من ينقب ويبحث عن تاريخها وحضارتها عبر العصور ، وهذه الأمنيات سوف تكون واقعا (بإذن الله) ، وذلك بهمة نسائها ورجالها من المؤرخين والمؤرخات والآثريين ، ثم بدعم وتشجيع هذه الحكومة الرشيدة (المملكة العربية السعودية) التي لا تدخر جهدا في تطوير الأرض والناس في جميع أجزاء بلادها ومدنها وحواضرها ^(١) .

لا أدعي الكمال والشمولية فيما تم رصده وتوثيقه ، لكنني على يقين أن هناك جديداً ، ولا يخلو هذا العمل من الرؤى التي قد تفتح آفاقاً لمؤرخين وباحثين حيادين ومنصفين فيستكملوا ما لم أستطع عمله ، أو يصححوا ما وقعت فيه من أخطاء ، أو غموض ، أو لبس . أو يظهر في محافظات ، أو بلدان ، أو حواضر أخرى من ينهج نفس المنهج الذي اتبعت ثم يطوره ، ويستحدث طرقاً ومدارس حديثة يدرس من خلالها بعض الأراضي والشعوب في أي ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية أو غيرها ^(٢) .

ما من شك أن يظهر في قادم الأيام من يوافق معي فيما طرحت ، وآخرون يكون لهم رؤى واقتراحات ووجهات نظر مخالفة . وهذا الأمر في اعتقادي ظاهرة جيدة ينتج عنها التطوير والابتكار . ونحن معاصر الباحثين في العلوم الإنسانية والنظرية نقول ، أحيانا ، ما هو الجديد الذي نستطيع خلقه واستحدثه ، وأقول إن الدراسات الإنسانية وفي مقدمتها أبو العلوم (علم التاريخ) هي الأساس في بناء الحضارات وسقوطها ، فلا يمكن أن يدرس أي شيء في الحياة وترسم خططه الأولية إلا بالدراسات التاريخية الحضارية (الاجتماعية ، والسياسية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والثقافية والتعليمية ، والفكرية وغيرها) . وهذه القاعدة رئيسية وأساسية في بناء أي أمة ، أو شعب ، أو أرض منذ خلق الله السماوات والأرض حتى تقوم الساعة . وإذا استشعرنا هذه الأهمية للعلوم الإنسانية ، فلا بد أن نكون على قدر المسؤولية ، وبخاصة المتخصصين والمنخرطين في ميادين الدراسات النظرية الإنسانية بكل فروعها وميادينها ^(٣) .

(١) إنها عين الحقيقة ، فقد رأيت وعاصرت كيف كانت أحوال الأرض والناس ضعيفة ومتواضعة وبسيطة منذ عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ، وتدرجياً جرت التنمية والتطوير في كل مكان ، حتى صارت هذه البلاد (السراة وتهامة) مليئة بكل الفضائل والخيرات ، مدارس ، وكليات وجامعات ، وعقول بشرية منتجة ومبدعة ومتألقة .

(٢) نحن معاصر المؤرخين ندرس ونطالع الكثير من الدراسات القديمة والحديثة ، ويظهر الاختلاف والتباين بين كل دراسة وأخرى . لكن الأهم الاستفادة من كل عمل بناء ومفيد ، ثم الابتكار والمساهمة بما نستطيع خدمة للعلم وطلابه ، وأسأل الله الإخلاص والقبول .

(٣) نشاهد عشرات الكليات والأقسام العلمية في بلادنا ، ويعمل فيها آلاف الطلاب ، ومئات الأساتذة المتخصصين . لكن الدراسة التقليدية في مدارسنا ، وجامعاتنا ، وبحوثنا العلمية هي الغالبة . والذي نطمح وننتزع إليه هو الإبداع والابتكار والحرص على الإتيان بالجديد في علومنا ومعارفنا ودراساتنا البحثية العلمية والنظرية . لقد قضيت عدة سنوات في بعض الجامعات الغربية أثناء دراستي درجتي الماجستير والدكتوراه ، ثم استمررت متابعا وحاضرا في العديد من الندوات والمؤتمرات واللقاءات الداخلية والخارجية . وشاهدت الكثير من طالباتنا وطلابنا الذين أبدعوا وتميزوا في علومهم وتخصصاتهم . لكن الذي أريده هو الاجتهاد في وضع خطط ومناهج علمية عملية تساعد الطلاب على الإبداع والابتكار والتفكير .

ملحق الصور الفوتوغرافية
الخاصة برحلي في محافظات
تنومة ، والنماص ، والمجاردة
في الفترة من (٦ - ١١/٢/١٤٤٣هـ)
والمنشورة في القسم الرابع في كتاب
(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)

الجزء رقم (٢٥)
وجميعها من أرشيف الأستاذ عبد الله
بن جاري البكري الشهري



الصورة رقم (١): منتزه غدانة أحد أهم المتنزهات في محافظة تنومة



الصورة رقم (٢): وسط مدينة تنومة وتظهر قرية القرية في مقدمة الصورة



الصورة رقم (٣): ناحية الأربوعة غرب مدينة تنومه عند الغروب



الصورة رقم (٤): قرية آل عمر القديمة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٥): انتشار الفنادق الحديثة في مدينة تنومة حيث تعد من أهم مصائف المملكة



الصورة رقم (٦): الزراعة أهم نشاطات السكان في محافظة تنومة وتنتشر في أغلب القرى



الصورة رقم (٧): وادي الغروقرية المركبة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٨): ناحية الأربوعة غرب محافظة تنومة وتشتهر بالزراعة
وجمال الطبيعة



الصورة رقم (٩): أحد البيوت القديمة بقرية غالبية أحد قرى شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٠): قرية القرية من أهم القرى التراثية في محافظة تنومة والتي تم إعادة تأهيلها مؤخراً



الصورة رقم (١١): الطريق المؤدي إلى جبل منعاء ويظهر جبل خبيب في محافظة تنومة



الصورة رقم (١٢): قرية الرهوة القديمة وتشتهر محافظة تنومة بكثرة القرى التراثية



الصورة رقم (١٣): جبل عبد الله أحد أشهر جبال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٤): قرية مليح شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٥): وسط مدينة تنومة وقد أنتشر العمراني الحديث في أرجاء المحافظة



الصورة رقم (١٦): قرية المركبة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٧): قرية الدهناء جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (١٨): شجرة الرقاع المعمرة في قرية ال سودة شمال غرب محافظة تنومة



الصورة رقم (١٩) : وسط مدينة تنومة ويظهر جبل عبدة



الصورة رقم (٢٠) : قرية آل مرحب وسط حاضرة تنومة من القرى القديمة المميزة



الصورة رقم (٢١): غزارة الأمطار أدت إلى جريان السيول في أحد الأودية جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٢): القطع الزراعية جنوب محافظة تنومة بعد امتلاؤها بمياه الأمطار



الصورة رقم (٢٣): شلال وادي الدهنا الشهير جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٤): جبال سيال غرب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٥): مبنى بلدية محافظة تنومة من المباني الحديثة



الصورة رقم (٢٦): سوق السبت القديم وسط مدينة تنومة بعد تطويره
من قبل البلدية



الصورة رقم (٢٧): مبنى شرطة محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٨): طريق الملك فيصل وسط محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٩): التعليم الجامعي في محافظة تنومة ومبنى كلية العلوم والآداب للبنات



الصورة رقم (٣٠): مبنى محافظة تنومة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٣١): إحدى القرى القديمة بمنتزه المحفار في محافظة تنومة



الصورة رقم (٣٢): وسط محافظة تنومة وازدحامه بالعمران الحديث



الصورة رقم (٣٣): وسط حاضرة تنومة من زاوية أخرى ويظهر الطريق المؤدي إلى جبل منعاء



الصورة رقم (٣٤): فرع جامعة الملك خالد بمحافظة تنومة



الصورة رقم (٣٥): قرية الدهناء الأثرية من أشهر وأميز القرى التراثية في محافظة تنومة



الصورة رقم (٣٦): وادي مليح في محافظة تنومة أثناء نزول السيل



الصورة رقم (٣٧): أحد المساجد القديمة بقرية آل دحمان في وسط مدينة تنومة



الصورة رقم (٣٨): وسط محافظة تنومة ويظهر طريق الملك فيصل الذي يمتد من الطائف إلى أبها



الصورة رقم (٣٩): وسط مدينة تنومة بعد يوم ممطر



الصورة رقم (٤٠): لقطة من وسط مدينة تنومة ويظهر الطريق القديم المؤدي إلى جبل منعاء



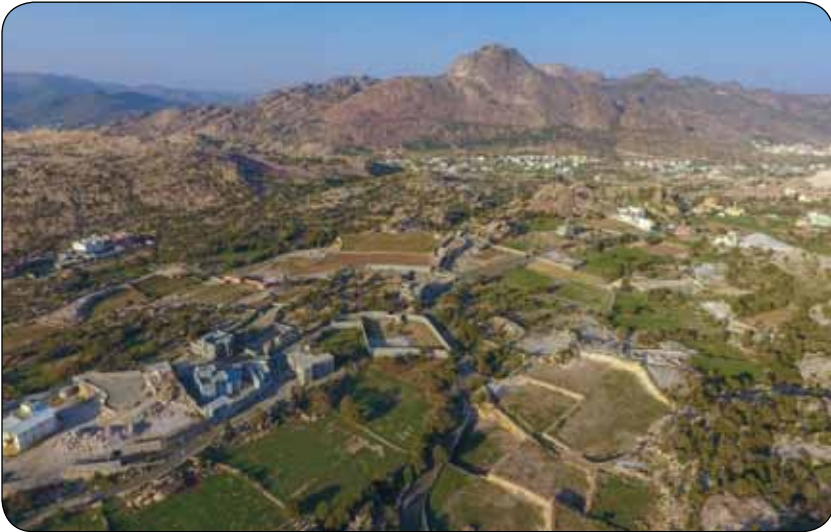
الصورة رقم (٤١): بلاد الأربوعة في محافظة تنومة ويظهر الطريق المؤدي إلى طريقها (عقبتها)



الصورة رقم (٤٢): وادي قنطان في محافظة تنومة من البلاد الخصبة زراعياً وتتميز أرضه بكثرة مدرجاتها الزراعية



الصورة رقم (٤٣): قرية قديمة في شعف آل سودة بمحافظة تنومة والمشيدة على قمة جبل



الصورة رقم (٤٤): لقطة جوية لجزء من شمال محافظة تنومة ويظهر في الصورة

جبل عكران



الصورة رقم (٤٥): لقطة جوية لجزء من قرى المحفار في محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٦): لقطة جوية من شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٧): لقطة جوية لجزء من قرى شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٨): لقطة جوية لوسط حاضرة تنومة



الصورة رقم (٤٩): لقطة جوية من وادي سعوان في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٠): مباني أثرية بالقرية القديمة بالمحفار في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥١): وادي سعوان من أعظم أودية محافظة تنومة يصب من غربها ويتجه شرقاً



الصورة رقم (٥٢): منطقة رحل وتقع شمال شرق محافظة تنومة وهي منطقة بكر
ويذكر أن بها قبر مفرج بن سلامان



الصورة رقم (٥٣): مستشفى محافظة تنومة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٤): وسط مدينة تنومة وتظهر خريطة المملكة على أحد الجبال التي صارت علامة مميزة للمحافظة



الصورة رقم (٥٥): لقطة يظهر فيها جبل لبنش وعلامة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٦): عقبة القامة التي تربط محافظة تنومة مع محافظة النماص



الصورة رقم (٥٧): عدد من مزارع البر شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٨): منتزه الشرف من المتنزهات الرئيسية في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٩): جبل بعطان الواقع بين الشرف والأربوعة في محافظة تنومة



الصورة رقم (٦٠): إحدى مزارع الرمان والعنب بوادي آل خضاري شمال محافظة تنومه



الصورة رقم (٦١): قرية ترج شمال شرق محافظة تنومة ومنها يبدأ وادي ترج العظيم



الصورة رقم (٦٢): المدرجات الزراعية في وادي قنطان بمحافظة تنومة



الصورة رقم (٦٣): بلاد الأربوعة وتظهر بداية الطريق التي تربط محافظة تنومة بتهامة



الصورة رقم (٦٤): وادي ترج الذي يبدأ من قرية ترج شمال شرق محافظة تنومة



الصورة رقم (٦٥): مبنى بلدية محافظة النماص وهو من المباني ذات الطراز الحديث



الصورة رقم (٦٦): وسط مركز بني عمرو أحد المراكز التابعة لمحافظة النماص



الصورة رقم (٦٧): أحد الفنادق الحديثة بمحافظة النماص وتعتبر سروات النماص من المحافظات السياحية في المملكة



الصورة رقم (٦٨): قصر ثربان الأثري أحد أهم معالم محافظة النماص الذي تم ترميمه مؤخراً



الصورة رقم (٦٩): سوق الثلاثاء الشعبي بمحافظة النماص بعد تطويره وكان من أشهر الأسواق الأسبوعية قديماً



الصورة رقم (٧٠): نقش أثري قديم شرق محافظة النماص وتكثر في هذه الناحية النقوش والرسومات الصخرية



الصورة رقم (٧١): عقبة التوحيد التي تربط حاضرة النماص بتهامة أثناء العمل في تنفيذها



الصورة رقم (٧٢): لقطة من مركز وادي زيد التابع لمحافظة النماص



الصورة رقم (٧٣): قرية المدانة شمال غرب محافظة النماص



الصورة رقم (٧٤): الضباب يعانق جبال السراة بمتنزهات محافظة النماص



الصورة رقم (٧٥): أمطار فصل الربيع في محافظة النماص وغالباً تكون غزيرة



الصورة رقم (٧٦): قرية لحبي في محافظة النماص من القرى القديمة التي مازالت تحتفظ بطابعها القديم



الصورة رقم (٧٧): وادي المحضر شرق محافظة النماص أحد روافد وادي ترج العظيم



الصورة رقم (٧٨): رعي الأغنام في محافظة النماص من المهن التي مازال الأهالي يحافظون عليها



الصورة رقم (٧٩): جزء من حصون قرية الجهوة التاريخية بمحافظة النماص



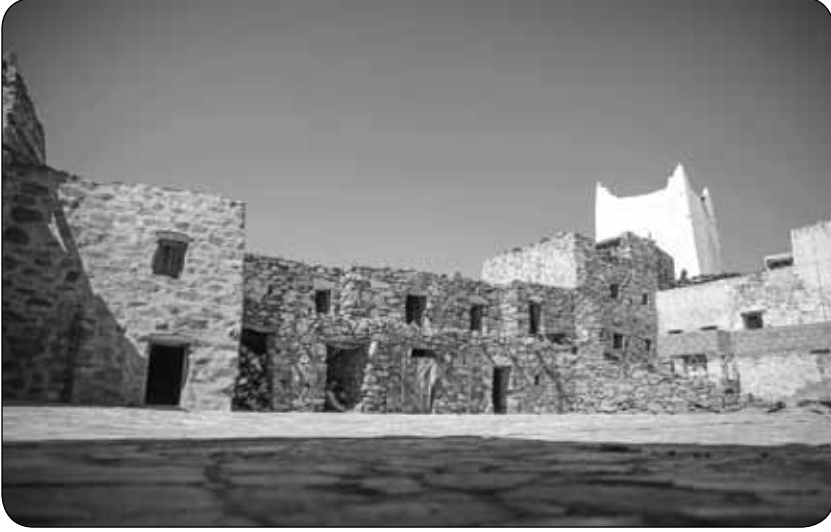
الصورة رقم (٨٠): عقبة سنان أول عقبة في محافظة النماص سلكتها السيارات رغم صعوبتها



الصورة رقم (٨١): منتزه شعف آل وليد أحد أهم متنزهات محافظة النماص



الصورة رقم (٨٢): بقايا أحد الحصون بقرية الجهوة التاريخية
في محافظة النماص



الصورة رقم (٨٣): قرية آل النبيح من القرى التراثية في محافظة النماص والمجاورة لقرية الجهوة



الصورة رقم (٨٤): قرية العقيقة شمال غرب محافظة النماص



الصورة رقم (٨٥): مبنى محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٦): مبنى إدارة التعليم بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٧): مبنى المركز الحضاري بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٨): مدخل عقبة التوحيد بمحافظة النماص التي تربط السراة
بتهامة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٩): مبنى كلية العلوم والآداب للبنات بمحافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٠): مبنى الرعاية الصحية الأولية بنحيان في محافظة النماص الذي تم تخصيصه لإعطاء لقاحات كورونا عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩١): مبنى محكمة محافظة النماص وكتابة العدل
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٢): خزانات تحلية المياه بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٣): مبنى الدفاع المدني بمحافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٤): وادي الدحض شرق محافظة النماص



الصورة رقم (٩٥): أحد الحدائق التي قامت البلدية بإنشائها شرق محافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٦): مخطط الفرعة الشمالية من المخططات الحديثة بمحافظة النماص



الصورة رقم (٩٧): إحدى قرى مركز بني عمرو بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



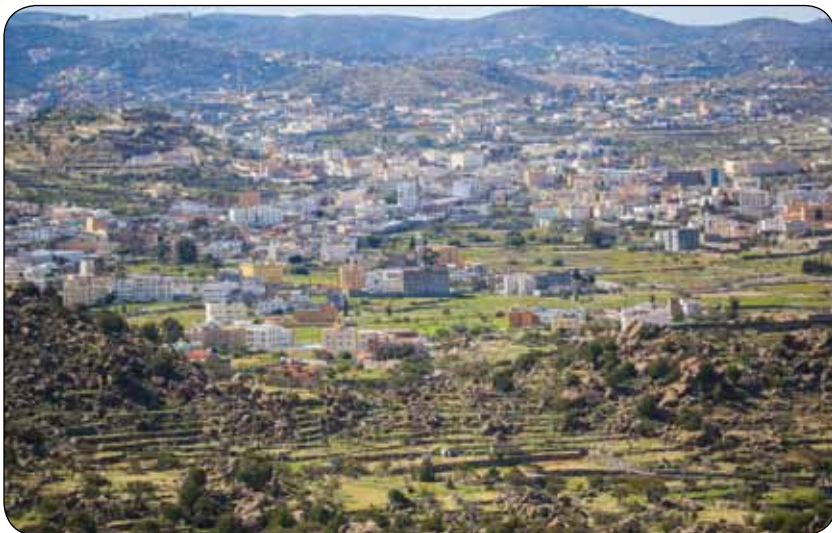
الصورة رقم (٩٨): قرية آل رحمة شمال غرب محافظة النماص



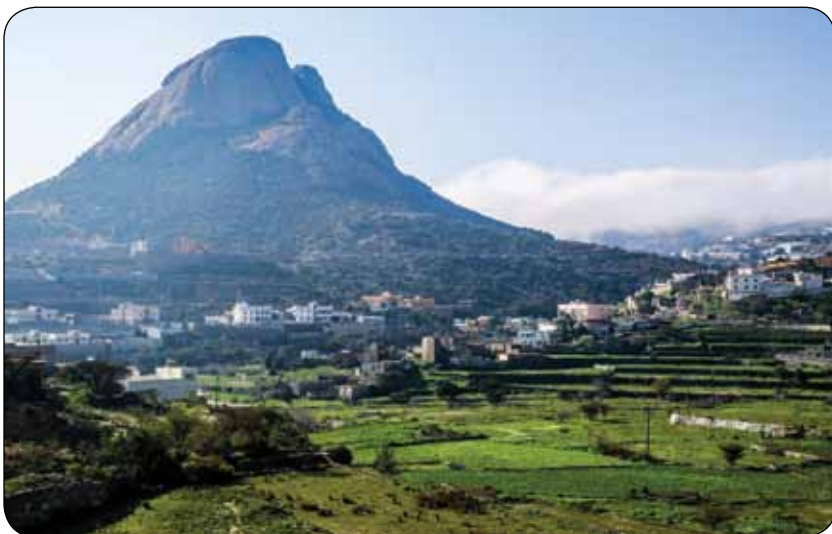
الصورة رقم (٩٩): السحاب يغطي وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٠): قصر المقر للحضارات أحد أهم معالم محافظة النماص



الصورة رقم (١٠١): وسط حاضرة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٠٢): جبل حرفة في سروات عمرو الشام بمحاغة النماص



الصورة رقم (١٠٣): وادي عياش وسط مركز بني عمرو بمحافظة النماص



الصورة رقم (١٠٤): جبل مرير وقرية آل سلطان شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٥): مقر الكلية التقنية شمال محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٠٦): سد وادي بدوة شرق محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٧): قرية صدريد التاريخية بمحافظة النماص ويظهر جامع صدريد يسار الصورة



الصورة رقم (١٠٨): قرية آل مقبول شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٩): القرية القديمة وسط محافظة النماص ويظهر قصر ثربان



الصورة رقم (١١٠): جبل المطلّى الواقع بمركز بني عمرو شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١١١): دوار طريق الملك سلمان وسط محافظة النماص من الطرق التي تم شقها حديثاً



الصورة رقم (١١٢): طريق رئيسي بمركز السرح التابع لمحافظة النماص



الصورة رقم (١١٣): طريق التعاون الذي يربط وسط محافظة النماص بشرقها



الصورة رقم (١١٤): لقطة جوية لطريق الملك فيصل وسط محافظة النماص
عام (١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١١٥): لقطة جوية لوسط محافظة النماص بعد شق عدد من الطرق مؤخراً



الصورة رقم (١١٦): لقطة جوية لوسط محافظة النماص ويظهر سوق الثلاثاء الشعبي وكذلك طريق الملك سلمان



الصورة رقم (١١٧): نقطة جوية لأحدى القرى شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١١٨): قرية البزواء بمحافظة النماص التي قامت على أنقاض قرية
رنامة التاريخية



الصورة رقم (١١٩): عدد من القرى بمركز وادي زيد شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٠): جبل مريّر من أعلى القمم في المملكة شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٢١): وسط مدينة النماص ويظهر الجامع الكبير وسط الصورة



الصورة رقم (١٢٢): طريق أبو بكر أحد اهم الطرق وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٣): بداية عقبة القامة جنوب محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٤): قرية آل يسعد جنوب محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٥): قرية قفعة شمال شرق محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٦): قرية آل نبيح الأثرية وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٧): سد وادي ترج شرق محافظة النماص عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٢٨): سوق المواشي بمحافظة النماص عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٢٩): قرية آل عليان بمركز السرح في محافظة نماص



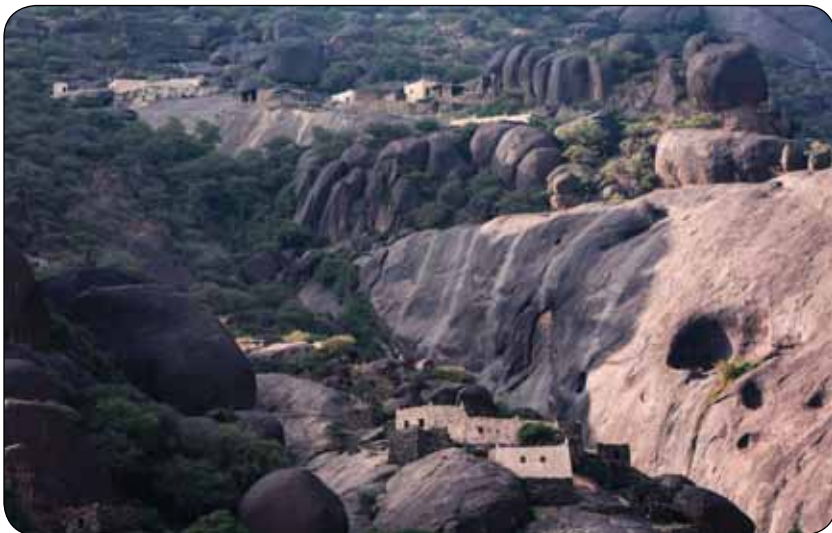
الصورة رقم (١٣٠): قرية آل عطيفة الواقعة بين مركزي السرح وبني عمرو شمال في محافظة النماص



الصورة رقم (١٣١): صورة من حياة الزراعة بالبقر قديما في محافظة النماص



الصورة رقم (١٣٢): مركز خايط التابع لمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٣): إحدى القرى القديمة على تل صخري بجبل تهوي في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٤): المدرجات الزراعية من الناحية الشمالية لجبل تهوي في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٥): جبل ريمان كما يظهر من أعلى رهوة آل صميد في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٦): وادي ختبة في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١٣٧): مركز خايط في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٨): وسط محافظة المجاردة باتجاه الجنوب عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٩): وسط محافظة المجاردة والمباني الحديثة تنتشر في كل الاتجاهات



الصورة رقم (١٤٠): وسط محافظة المجاردة باتجاه الغرب عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١٤١): زراعة النخيل في وادي خاط بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١٤٢): إحدى القرى القديمة وسط محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٣): أحد الشوارع الحديثة وسط مركز خايط بمحافظة البحارة
عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٤٤): نموذج من المزارع في مركز خايط بمحافظة البحارة



الصورة رقم (١٤٥): جبل تهوي من أعظم الجبال في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٦): أحد المواقع بين مدينتي المجاردة وخاط وتشرف عليه جبال السراة



الصورة رقم (١٤٧): أحد الجبال شمال سوق الأثنين وسط محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٨): انتشار العمران في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٩): الطريق المؤدية إلى سوق الأثنين القديم بمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٥٠): جزء من سوق الأثنين الأسبوعي بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١٥١): جزء من المنازل الحديثة بالقرب من سوق الأثنين في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (١٥٢): سوق الأثنين الشعبي بمحافظة المجاردة كما يظهر بعد تطويره



الصورة رقم (١٥٣): أحد المساجد الحديثة وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٥٤): أحد مراكز الرعاية الصحية في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٥٥): وسط محافظة المجرادة وتظهر فيه ساحة الاحتفالات



الصورة رقم (١٥٦): وسط محافظة المجرادة وتظهر صورة المستشفى العام



الصورة رقم (١٥٧): جزء من وسط محافظة المزاردة باتجاه الجنوب الغربي



الصورة رقم (١٥٨): قرية آل الدهيس بمحافظة المزاردة المشهورة بزراعة البن والموز



الصورة رقم (١٥٩): إحدى القرى شمال جبل ريمان في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٠): إحدى القرى القديمة بمركز ختبة في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦١): جزء من المنازل أعلى قرية ختبة في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٦٢): مبنى مركز ختبة الإداري في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٣): المعهد العلمي بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٤): مبنى محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٥): مبنى الدفاع المدني بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٦): الشارع الرئيسي وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٧): أحد أهم التقاطعات وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٨): إحدى عمارات المدارس الحديثة وسط محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٦٩): أحد التقاطعات على الطريق المؤدية إلى قصرية في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٠): مبنى بلدية محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٧١): إحدى الحدائق الحديثة التي أنشأتها البلدية في مدينة المجاردة



الصورة رقم (١٧٢): قرى بني زهير شمال محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٣): جانب من القرى والأحياء في محافظة المجاردة ويظهر بعدها جبل ريمان الشهير



الصورة رقم (١٧٤): انتشار العمارات الحديثة في كافة أرجاء محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٥): فرع جامعة الملك خالد للبنات بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٧٦): رعي الأبقار من المناشط المنتشرة في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٧): أحد مراكز الرعاية الصحية بمركز ثريان في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٨): سوق الماشية بمركز ثريان في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٩): سوق الخميس الأسبوعي بمركز ثربان) في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٠): مبنى مركز ثربان أحد المراكز التابعة لمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨١): جزء من وادي يبة في تهامة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٢): جبل البكرتين من أشهر الجبال غرب محافظ المجاردة



الصورة رقم (١٨٣): العين الحارة بمركز أحد ثريان في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٤): أحد الجوامع الحديثة وسط مركز أحد ثريان بمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٥): الطريق الرئيسي وسط أحد شربان بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٦): المباني القديمة بقرية آل شعناء بمركز خاط في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٧): أحد السدود بقرى الأفاقمة بمركز خايط في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٨): لقطة جوية من وسط خايط بمحافظة المجاردة

عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٩): لقطة جوية من مركز خاط في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٠): إحدى القرى القديمة وسط محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩١) : لقطّة جوية لوسط محافظة المجرّدة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٢) : لقطّة جوية لوسط حاضرة المجرّدة ويظهر التقاطع وسط المدينة

عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٣): لقطة جوية لوسط محافظة المجاردة ويظهر سوق الأثنين والطريق المؤدية إليه



الصورة رقم (١٩٤): لقطة جوية لجزء من محافظة المجاردة ويظهر مستشفى المجاردة العام



الصورة رقم (١٩٥): لقطة جوية لوسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٦): لقطة جوية لشارع الفن وسط محافظة المجاردة

عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)

سيرة ذاتية مختصرة



أولاً : معلومات عامة

الاسم : غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (Austin Texas)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ - ١٩٩٠م).
- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيس تحرير مجلة ببادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م).
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم؛

- قدم حوالي (١٣٣) محاضرة عامة، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٩٣) ندوة، أو مؤتمر، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) .
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/ محرم/ ١٤٣٥هـ الموافق ٦/ نوفمبر/ ٢٠١٣م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٨/٨/١٤٤٠هـ الموافق ٢٣/٤/٢٠١٩م) .
- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٩/١١/١٤٤٠هـ الموافق ٢٢/٧/٢٠١٩م) .
- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٧/١١/١٤٤١هـ الموافق ٨/٧/٢٠٢٠م)، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

رابعاً : النتاج العلمي :

١. ألف ونشر أكثر من (٦١) كتاباً، أنظرها على الرابط الآتي (prof-ghithan.com)
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (٣٠٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia
(1th - 15th H. / 7st - 21st G.)



Volume: 25



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais
King Khalid University

First edition
1443 H / 2022

Riyadh : Al Homaidhi Press